

تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة

تأليف
العارف الشهير
الحاج سلطان محمد الجنابذي
الملقب بسلطان علي شاه
طاب ثراه

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

بيان السعادة

في

مقامات العبادة

١

بيان السعادة
في
مقامات العبادة

تأليف

العارف الشهير

الحاج سلطان محمد الجنابذي

الملقب بسلطان علي شاه

طاب ثراه

المجلّد الأوّل

منشورات

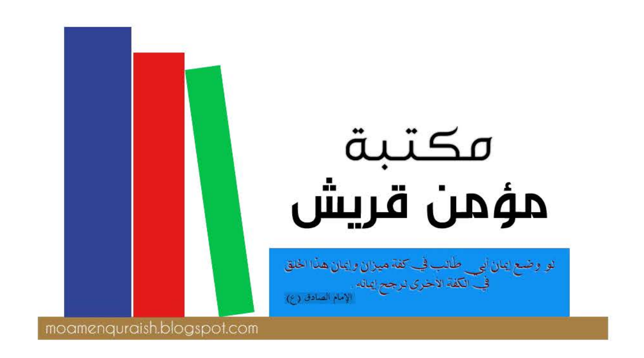
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الثانية

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات :
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب : ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

يا من هو اختفى لفرط نوره	الظّاهر الباطن فى ظهوره
بنور وجهه استنار كل شيء	وعند نور وجهه سواه فيء

والصّلوة والسّلام على من انزل عليه الكتاب، الّذى اوتى الحكمة وفصل الخطاب ، مبيّن مقامات العبادة وموضح طرق السّعادة مُحَمّد وآله الاطهار الاطياب .

وبعـــد

فانّ من اجل علوم الدّين بل اشرفها علم تفسير القرآن الكريم الّذى يكون اساساً لسائر العلوم الدّينيّة لانّ كلّها مقتبسة ومأخوذة من القرآن المجيد والفرقان الحميد وهذا الكتاب العزيز الّذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فى الحقيقة كالقانون الاساسيّ للاسلام، ولا رطب ولا يابس من امور الدّنيا والآخرة الّا فيه، وعلم التّفسير يبيّن ما فى هذا الكتاب من المجملات ويميّز بين المحكمات والمتشابهات والمطلقات والمقيّدات والنّاسخ والمنسوخ، فعلى هذا يكون موضوعه بيان الآيات القرآنيّة وغايته العلم بالكلام الآلهيّ والغاية القصوى له تكميل النّفس بالمعرفة وبالعمل بمافيه والتّحقّق بحقائقه ودرك معارفه، وكلّ ما كان موضوعه وغايته كذا فلاشكّ انّه من اشرف العلوم.

ولهذا صار تفسير القرآن من زمن الرّسول صلّى الله عليه وآله معمولاً بين الاصحاب، ولكن لمّا كان التّفسير فى الحقيقة وروداً فى بيان احكام الشّرع لم يحم حوله الّا الخصّيصون الرّاسخون فى علم القرآن المطّلعون على موارد نزوله وحقائق احكامه، وهذا فى الحقيقة منحصر فى من نزل القرآن فى بيوتهم وهم اهل بيت النّبوّة ومعدن الرّسالة ومختلف الملائكة ، ولهذا يكون تفسير القرآن عند الشّيعة منحصراً فى اهل البيت والتّابعين لهم المقتبسين من مشكوة ولايتهم والمتروّين[1] من رشحات بحار معرفتهم ولايجوّزون التّفسير بالرّأى استناداً الى الاخبار الكثيرة المأثورة من مصادر العصمة ،كالحديث النّبوى (ص)؛ من فسّر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النّار .

وامّا غير الشّيعة فلا يقولون بالانحصار بل يقولون: انّ كلّ عقل سليم يجوز له ان يفكّر فى حقائق العالم ويستنبط منها بقدر فهمه وكذا القرآن المجيد لانّه من جملة الكلام وان لم يكن بشريّاً، ولذا كانت الصّحابة والتّابعون يفسّرونه بقدر فهمهم ولكن لمّا كان معنى كلّ كلام اصالةً وذاتاً عندنا المتكلّم فكلّ من كان اقرب اليه مصاحبة واستفاضة فهو اولى بفهم مقاصده من الكلام وتبيينها، ومن اجل هذا كانت الصّحابة واهل البيت اولى بتفسير القرآن من غيرهم لا ان يكون منحصراً بهم .

وفيه نظر، لانّ كلام الله تعالى وان كان من جنس الكلام ولكنّه فوق الكلام البشريّ لانّه كما روى عن النّبيّ (ص) ذو وجوه وله ظهر وبطن ولكلّ بطن الى سبعة ابطن اوسبعين بطناً ، وله محكم ومتشابه ومجمل ومبيّن ومطلق ومقيّد والاطّلاع على جميع موارده لايمكن الّا لمن تعلّم واستفاد ممّن انزل الكتاب عليه ومن مكتب الوحى وذلك لم يكن حاصلاً بالوجه الاكمل الّا لعلىّ بن ابى طالب عليه السّلام ووُلده وخلفائه وكلّ من استضاء من ضياء علمه ، ولذا كان علىّ عليه السّلام اوّل من فسّر القرآن بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله باتّفاق الفريقين وهذا لاشكّ

---

(١) من التروّى : الحديث = رواه ونقله . تفكّر.

فيه بل جميع العلوم المتداولة فى الاسلام منتسب اليه ، كما ذكره ابن ابى الحديد مشروحاً فى مقدّمة شرحه لنهج البلاغة وكلّ من يحوم حول هذا لازم عليه ان يستمدّ من اهل البيت عليهم السّلام ولا يعتمد على مايفهمه لانّه يمكن ان يكون ما ادركه خلاف المقصود من الكتاب، ولمّا كان علم التّفسير من اشرف معالم الدّين ويبتنى عليه سائر العلوم الدّينيّة كان جمع كثير من الصّحابة ايضاً من المفسّرين مثل عبدالله بن مسعود واُبىّ بن كعب وهم الّذين استفادوا بحضرة الرّسول والامام علىّ (ع) ، واوّل من فسّر القرآن واستفاده من رشحات طفحات المولى علىّ عليه السّلام تلميذه عبدالله بن عبّاس بن عبدالمطّلب رضى الله عنهما المتوفّى سنة ٦٨ وهو اعظم مفسّرى القرآن بعد أستاذه علىّ (ع) .

وكان جمع من التّابعين ايضاً من المفسّرين مثل سعيد بن جبير تلميذ عبدالله بن عبّاس وقتادة وعكرمة ومجاهد واسماعيل بن عبدالرّحمن السُّدّى(١) والحسن البصرى ومالك بن انس، وجابر بن يزيد الجعفى وابو حمزة ثابت بن ابى صفيّه دينار الثّمالى وهما كانا من اصحاب الباقر والصّادق عليهما السّلام واستفادا بحضرتهما .

ثمّ صار علم تفسير القرآن تدريجاً شائعاً بين المسلمين ومدوّناً والّف فى الشّيعة واهل السّنة تفاسير كثيرة مختلفة بحسب الموضوع والمطالب المستفادة من القرآن من الادب والحديث وموارد النّزول والتّاريخ والفقه والفلسفة والعرفان وبسطوا الكلام والمقال فيها، والتّفاسير المؤلّفة كثيرة يتعسّر احصاؤها والاحاطة بجميعها ولكنّ التّفاسير الموجودة المشهورة اكثرها من مؤلّفات الشّيعة وكلّ هذه مأخوذة من الاحاديث المرويّة من الائمّة المعصومين عليهم السّلام ، وفى بعضها اقتصروا على شرح الآيات بنقل الحديث وبيان ظاهرها وزاد بعضها بيان اللّغة والاعراب والتّركيب والقواعد الصّرفيّة والنّحويّة والبيان وسائر النّكات الادبيّة، وبعض آخر لم يهتمّوا بذكر الجهات الادبيّة وكان وجهة همّتهم بيان موارد النّزول وشرح الاحكام الفقهيّة، وبعض المفسّرين لم يقتصروا على هذه واضافوا بعض ما يتعلّق بلطائف القرآن وحقائقه المعبّرة عنها باعتبار بالتّأويل المستند الى اخبار اهل البيت عليهم السّلام .

التّأويل

ولا يخفى انّ بعض اقسام التّأويل غير جائز ولكنّ التّأويل المذكور هنا جائز فانّ التّأويل بالمعنى الاوّل هو الرّجوع والمراد هنا ارجاع الظّاهر الى الباطن؛ فانّ للقرآن ظهراً وبطناً وهذا ان كان مستنداً الى ما ورد من اهل البيت عليهم السّلام فهو صحيح ، وبيان بطن من بطون القرآن وان لم يكن مستنداً الى المعصوم بل كان ناشئاً من الوهم والفكر النّاقص فقط فهو تأويل غير جائز لانّه يمكن ان يكون غير ماقصد من الآية فى القرآن وهذا هو التّأويل الممنوع .

وللتّأويل ايضاً معنىً آخر وهو ارجاع المفاهيم الخارجيّة للآيات الى باطن الانسان وتطبيقها على القوى الباطنيّة مثل تأويل كلمتى قابيل وهابيل المذكورتين فى قصّة آدم بالنّفس والعقل حتّى يستنتج منه لزوم تسليط هابيل العقل على قابيل النّفس حتّى يصير العقل خليفة آدم الرّوح فى العالم الانسانىّ ، وكذا تطبيق نوح والسّفينة على الرّوح والعقل ولزوم متابعته وامثال ذلك لنستنتج منه تطبيق العالم الكبير واجزائه على العالم الصّغير وقواه؛ ونستفيد منه فى السّلوك الى الله بالتّأسى بالانبياء والكمّل وترك متابعة الطّاغوت واوليائه ، وهذا التّأويل ليس خلاف الشّرع ولا يكون تفسيراً بالرّأى بل هو التّدبّر والتّفكّر المأموربه .

وامّا التّأويل الممنوع فهو كما ذكرنا ارجاع ظواهر الآيات الى ما اقتضاه الاهوية النّفسانيّة وتطبيقه على المعانى البعيدة عن الفهم والمخالفة لضروريّات الشّرع المقدّس من دون وجود مستند له من اخبار المعصومين (ع) مثل تأويل آية وهو معكم اينما كنتم بالحلول والاتّحاد الباطلين فى الشّرع والعقل .

وكما انّ امثال هذه التّأويلات غير جائزة فكذا التّفسير الّذى يكون على خلاف ظواهر الشّرع وضروريّاته كالاستدلال بامثال آية وجاء ربّك والملك صفّاً صفّاً على كون الرّبّ واصناف الملائكة ذوات اجسام واقدام ،

---

(١) منسوب الى السُّدّة لانّه كان يبيع المقانع والخمر (جمع الخمار) فى سُدّة من مسجد الكوفة وهى ما يبقى من الطّاق المسدود .

والاستشهادبهذه الآية الشّريفة : فمن كان يرجو لقاء ربّه بجواز رؤية الله بالبصرفانّ كلّ ذلك باطل ومخالف للشّرع والعقل ولهذا لايجوز التّفسير والتّأويل عندالشّيعة الّا لمن كان راسخاً في العلم وآخذاً من اهل بيت النّبوّة او مستنير أمن مصباح علومهم وهدايتهم حتّى لايقع المفسّر والقارى في الورطات المهلكة من الزّندقة والالحاد وسائر العقائد الباطلة.

ولايخفى انّ التّفسير غير التّرجمة بلغة اخرى فانّ التّرجمة تبديل الالفاظ الدّالة على معان مخصوصة في لغة بالفاظ اُخر دالّة على هذه المعاني في لغة اخرى والتّفسير بيان هذه المعاني مشروحاً .

بيان السّعادة ومؤلّفه

ومن اهمّ التّفاسير المؤلّفة في الشّيعة في القرن الاخير التّفسير المسمّى ببيان السّعادة في مقامات العبادة وهو من تأليفات العالم العارف الجليل المولى الحاجّ سلطان محمّد الجنابذي الملقّب في الطّريقة بسلطانعليشاه طاب ثراه وهو كان شيخ السّجّادة في الطّريقة النّعمة-اللّهية ومن اشهر العلماء والعرفاء في القرن الاخير ، وكان ولادته على ماكتبه والده المرحوم المولى حيدر محمّد بخطّه في ظهر القرآن الموجود صورته الفتوغرافيّه في كتاب « نابغهٔ علم وعرفان » في الثّامن والعشرين من شهر جمادى الاولى سنة احدى وخمسين ومائتين بعد الالف ، وحين بلغ ثلاث سنين سافر والده بعض بلاد ايران وبعداً الى الهند ولم يوجد منه خبر، وابتلى بفراق والده وصار تحت حضانة اخيه المولى محمّد على وعند بلوغ ستّ سنين شرع بامر امّه واخيه في تعلّم القرآن المجيد والكتب الفارسيّة وفي مدّة خمسة شهور صار ناجحاً فيه وبعد ذلك لم يساعده التّوفيق لادامة التّحصيل واشتغل بالامور الدّنيويّة بامر اخيه حتّى بلغ عمره سبعة عشرسنة، واشتغل مرّة اخرى بتحصيل العلوم الدّينيّة المتداولة ابتداءً في موطنه وسافر بعد تحصيل العلوم الادبيّة الى المشهد المقدّس الرّضوىّ (ع) ، ولتكميل العلوم الدّينيّة الى النّجف الاشرف وللعلوم العقليّة والفلسفيّة الى سبزوار، واستفاد من محضر الحكيم العارف الزّاهد المتألّه الحاجّ مّلاهادى سنين متوالية ومتناوبة، وبعد تكميل العلوم الظّاهريّة والتّفوّق والتّبحّر فيها ادركه جذبة من جذبات الحقّ بوسيلة الحاجّ مّلاهادى وهدايته ، وسافر في طلب المقصود الى اصفهان وتشرّف باخذ الاذكار القلبيّة والدّخول في طريقة النّعمة اللّهيّة عند المولى العارف الجليل الحاجّ محمّد كاظم سعادتعليشاه تغمّده الله بغفرانه .

وفي العود الى جنابد تزوّج مع صبيّة الحاجّ مّلاعلى البيدختي حيث امره مرشده باطاعة امر امّه في الازدواج وبعد مدّة قليلة تهيّجت اشواقه لتجديد زيارة شيخه وسافر الى اصفهان، وفي سنة ١٢٨٤ صار مفتخراً باخذ اجازة الارشاد وتلقين الاذكار القلبيّة والاوراد المأثورة وملقّباً في الطّريقة بلقب سلطانعليشاه ، وفي سنة ١٢٩٣ توفّى شيخه وتمكّن هو في مقامه وصار شيخ السّجّادة في طريقة النّعمة اللّهيّة؛ وتوجّه السّالكون الى الله اليه، وصار مقرّه بيدخت من قرى الجنابد محطّ رحال الوافدين ولم يكن جنابد الى هذا الزّمان معروفاً وبعد تمكّنه هذا اشتهر اسم جنابد في بلاد ايران تدريجاً وكان ذلك واحداً من بركات وجوده هنا .

في سنة ١٣٠٥ القمريّة تشرّف بالحجّ وزيارة البيت وعند رجوعه تشرّف بزيارة الاعتاب المقدّسة في العراق ولاقى بعض العلماء والفقهاء من الشّيعة في هذه البلاد مثل المرحوم الشّيخ زين العابدين المازندرانيّ وابنائه والمغفور له الحاجّ ميرزا حسن الشّيرازيّ وغيرهم وفبجّلوه وعظّموه، وبعد عوده الى ايران وتوقّفه بطهران حضر بخدمته اكثر رجال العلم والفقه والسّياسة، وملك القاجار ناصر الدّين شاه حينئذ كان بجاجرود، ولمّا سمع قدومه الى طهران ارسل رسولاً الى طهران وابرز علاقته الى الملاقاة واخبرانّه سيعود الى طهران للقاء حضرته ولكن بعد ما استمع حضرته هذا استعجل في الحركة قبل قدوم جلالة الملك الى طهران ، وقال: نحن المساكين جالسو المساكين، مالنا والملوك!

وعند عوده الى جنابد صار مدّة متمكّناً هنا، وبعد سنين سافر مرّة اخرى لزيارة المشهد المقدّس الرّضوىّ (ع) وصار هنا مسموماً ولكن استعلج ورفع عنه الخطر ولكن لم ينل صحّته الاوّليّة .

حضرته كان مشتغلاً بالامور الزّراعيّة لتحصيل وسائل المعاش لانّه كان معتقداً بلزوم الكسب لتحصيل المعاش على ما امر به المولى السّيّد نعمة الله الولىّ اتباعه ومريديه بالكسب وترك البطالة وهومع ذلك لم يترك المطالعة والتّدريس والتّأليف وارشاد الخلق واعانة المساكين وقضاء حوائج المحتاجين بل كان يشتغل بمعالجة المرضى ايضاً حتّى صار مشتهراً بالحذاقة فى الطّبّ. حضرته كان كثير التّنسّك والعبادة ولم يفت عنه تهجّد الاسحار وكان مولعاً باقامة شعائر الدّين والمذهب ؛ مثل صلوة الجماعة ومجالس الذّكر وقراءة القرآن واقامة عزاء اهل البيت عليهم السّلام، وكان قانعاً من الدّنيا فى الاكل واللّبس باقلّها ، وكان يأمر اتباعه ومريديه ايضاً بالمحافظة على الآداب الدّينيّة، واذا رأى اوسمع فى بعض المريدين خلافاً لم يتمكّن فى امر الدّين من كظم الغيظ والكتمان بل كان يشدّد ويغلّظ عليه حتّى انّه طرد بعضاً من المريدين على اثرعدم مراقبتهم لآداب الشّرع بعد تذكيره ايّاهم للمراقبة وعدم تأثيره فيهم.

ولاغروان نذكر هنا استطراداً خصائص من طريقة النّعمة اللّهيّة :

منها انّ السّيّد وخلفاءه الى الآن امرجميع مريديه بمحافظة آداب الشّرع المقدّس النّبوىّ (ص) من العمل بالواجبات والسّنن وترك المحرّمات بل المكروهات ، لانّ تخلية القلب عن غير الله تستلزم اطاعته واطاعة الرّسول واولى الامر واتّباع احكامه ،لانّ المحبّ لايجوز له بل لا يمكنه مخالفة امر المحبوب، وكلّ من ادّعى محبّة الله يلزمه اطاعة اوامره واوامر الرّسول، حيث قال: قل ان كنتم تحبّون الله فاتّبعونى يحببكم الله، ومالم يتزيّن الظّاهر والجوارح بحفظ حدود الله لايتأدّب القلب بآداب الرّوحانيّين ، ولهذا ليس فى هذه الطّريقة ما يخالف الشّرع الشّريف من الاعتقادات الباطلة والبدع والاعمال المنهيّة حتّى السّماع، ومجالس الذّكر ايضاً منزّهة عن جميع هذه الامور.

ومنها انّ الاخوان فى هذه الطّريقة مأمورون بترك البطالة والانزواء والرّهبانيّة وبالاشتغال بواحد من الاشغال الدّنيويّة المباحة لتحصيل المعاش حتّى يغنيهم عن غيرهم فى المعاش، لانّ الانسان محتاج فى الدّنيا الى الاكل والشّرب واللّبس والمسكن وكلّها من الضّروريّات للحيوة الدّنيويّة والوصول اليها يكون امّا بالكسب اوالسّرقة اوالسّؤال واظهار احتياجه الى الغير، وكلّ ماكان بدون رضامالكه كالغصب فهو داخل فى السّرقة حقيقةً، وكلّ ماكان مقروناً بالطّمع فهو من السّؤال وكلاهما حرامان عقلاً وشرعاً وعرفاً فيبقى الكسب مباحاً سواء كان فلاحة اوتجارة اوصنعة اوغيرها من المكاسب المختلفة المحلّلة، فلازم على جميع الفقراء فى هذه الطّريقة ان يشتغل كلّ منهم بكسب حتّى لايكون كلّاً على غيره بل لازم ان يكون بحيث ينتفع به الغير.

ولمّا كان اخوان هذه الطّريقة مأمورين بترك الانزواء وبالدّخول فى الجماعات صار البسط فيهم غالباً على القبض المصطلحين عند الصّوفيّة ، لانّ غلبة القبض على البسط فى السّالك الى الله ، تكون فى الاغلب على اثر الانزواء والعزلة عن الخلق، والدّخول فى الجماعات مستتبع للبسط لانّ السّالك لازم له ان يشاهد ظهور الحقّ فى جميع المظاهر ويحسن المعاشرة والمجالسة مع الجميع لكون محبّتهم ظلّاً لمحبّة الله ، كما قال الشّيخ الجليل سعدى الشّيرازى:

بجهان خرّم از انم كه جهان خرّم از وست عاشقم بر همه عالم كه همه عالم از وست

ومنها عدم التّقيّد فى هذه الطّريقة بكسوة مخصوصة وزىّ معين فى الظّاهر كالخرقة المخصوصة والتّاج وامثال ذلك المعمولة فى كثير من طرق التّصوّف، بل قال السّيّد وخلفاؤه: انّ اللّازم للصّوفىّ لباس التّقوى لاغيره، ولاغرواذا لم يتلبّس فى الظّاهر بلباس معيّن وعبادة الله والسّلوك اليه ممكن وجائز فى كلّ لباس وزىّ سواء كان زىّ اهل العلم اورجال الحكومة اوغيرهم ، بخلاف كثير من سلاسل الصّوفيّة حيث يكون فيها خرقة مخصوصة والتّاج المختصّ به بحيث يكون التّقيّد به لازماً على كلّ من دخل فى هذه الطّريقة، وفى بعض الطّرق يكون هذا التّقيّد مختصّاً بمجالس الذّكر ولكن ليس فى طريقة النّعمة اللّهيّة هذا التّقيّد اصلاً فى مجالس الذّكر وفى غيرها اصلاً.

وحضرة المؤلّف الجليل ايضاً لمّا كان بهذه السّيرة وعلى انّه لم يترك واحداً من الواجبات بل المستحبّات

وكان تاركاً للمحرّمات بل المكروهات ، وكان مشتغلاً بالشّغل الدّنيويّ امر اتباعه ومريديه ايضاً بهذه الامور ، وكان شديد التّحفّظ عليها، وفي ليلة السّبت السّادس والعشرين من شهر ربيع الاوّل سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بعد الالف صار مخنوقاً وغريقاً وارتحل من الدّنيا شهيداً، ودفن في اعلى مقابر بيدخت؛ وخلّف ابنه العالم العارف الكامل المولى الحاج ملّا علي نور عليشاه الثّاني المتولّد في السّابع عشر من شهر ربيع الثّاني ١٢٨٤ وصار خليفة والده حتّى قتل مسموماً بكاشان في الخامس عشر من شهر ربيع الاوّل سنة سبع وثلاثين وثلاثمأة بعد الالف ؛ وصار سليله الجليل والدي المعظّم المولى الحاجّ شيخ محمّد حسن صالحعلي شاه المتولّد في الثّامن من شهر ذي الحجّة الحرام سنة ثمان وثلاثمائة بعد الالف خليفة له ، ومسند الطّريقة في هذا الزّمان مزيّن بوجود سماحته اطال الله بقاءه الشّريف .

وللمولى الحاج ملّا سلطان محمّد مؤلّفات كثيرة اكثرها في الاحكام والآداب الشّرعيّة والاخلاق مع التّطبيق على اصول العرفان مثل سعادتنامه ومجمع السّعادة وبيان السّعادة وولايتنامه وبشارة المؤمنين وتنبيه النّائمين والتّوضيح والايضاح، اثنان منها وهما بيان السّعادة والايضاح بالعربيّة وغيرهما بالفارسيّة، وله تأليفات اخر غير ذلك في المنطق والنّحو مثل تذهيب التّهذيب حاشية وشرح على تهذيب المنطق، وحواش على الاسفار كلّها بالعربيّة .

واهمّ مؤلّفاته تفسير القرآن المجيد المسمّى « بيان السّعادة في مقامات العبادة » وهو من اهمّ التّفاسير المؤلّفة في القرن الاخير حتّى قال فيه الفقيه الكامل المرحوم الحاجّ آقا محسن المجتهد العراقيّ والحكيم الجليل المغفور له الآخوند ملّا محمّد الكاشانيّ « تفسير السّلطان سلطان التّفاسير » وقد ذكر في هذا التّفسير نكات دقيقة عرفانيّة وفلسفيّة وادبيّة في بيان الآيات لم يذكرها احد قبله كما صرّح به نفسه في مقدّمة التّفسير وجميع ما ذكر في تفسير الآيات مستند الى الاحاديث والاخبار المرويّة من مصادر العصمة عليهم السّلام .

ولمّا كان شديد العلاقة والارادة بشيخه ومرشده الحاجّ محمّد كاظم سعادتعلي شاه سمّى ثلاثة من مؤلّفاته باسمه وهي سعادتنامه وبيان السّعادة ومجمع السّعادة كالمولويّ البلخيّ الخراسانيّ حيث سمّى ديوانه باسم مرشده شمس الدّين التّبريزي، والمولى محمّد تقي الكرمانيّ مظفّر عليشاه حيث ختم اشعاره في ديوانه باسم مرشده مشتاقعليشاه رحمهم الله .

مختصّات هذا التّفسير

ولهذا التّفسير امور مختصّة به لاتكون في غيره :

١ـ منها ربط الآيات وجعل الآيات اللّاحقة مربوطة بالسّابقة والحال انّ جمع الآيات لم تكن بترتيب نزولها والمؤلّف ايضاً قائل به ولكنّه كان قائلاً معذلك انّ تأليف الآيات القرآنيّة وجمعها بالتّرتيب الموجود بين الدّفتين دليل على انّ العلم الآلهيّ والارادة الازليّة قد تعلّقتا بجمعها كذلك، كما قال الله تعالى شأنه «انّ علينا جمعه وقرآنه» فالآيات في الواقع ونفس الامر كلّها مرتبطة ومنتظمة، ولازم هذا ان تكون في المعنى ايضاً مرتبطة وان لم تكن جمعها بترتيب النّزول، ولهذا لايجوز عندنا تنظيم الآيات القرآنيّة بغير التّرتيب الفعليّ وما بين الدّفّتين كلام الله وهذا التّرتيب محفوظ الى زمان ظهور القائم عجّل الله فرجه .

على انّ بعض الاخبار والاقوال دالّ على انّ تنظيم الآيات كان في زمن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وبامره وهو ايضاً دليل على ارتباطها في نفس الامر ولذا ربط المؤلّف الجليل اكثر الآيات بسابقها وذكر وجه الرّبط وان لم تكن مربوطة في ظاهر المعنى والمفهوم .

٢ـ ومنها تفسير جميع الآيات المربوطة بالعقائد والايمان والكفر بالايمان والكفر بالولاية والاهتمام التّام بشأن ولاية عليّ عليه السّلام والائمّة المعصومين من ولده ، وانّ الايمان بالله عين الايمان بالولاية، والكفر بالله عين الكفر بالولاية، وكذا العكس (اي الايمان بالولاية مستلزم للايمان بالله والكفر بها مستلزم للكفر به) وفي هذا ايضاً استند الى الاخبار النّبويّة المتّفق عليها الفريقان والاحاديث المرويّة من الائمّة عليهم السّلام ، وهذا النّظر وان كان في الظّاهر

غلواً حتّى زعم بعض اهل اللّجاج من المخالفين انّ هذه العقيدة من الغلاة واحتسبوا الشّيعة منهم ، ولكنّها ليست كذلك بل مستندة الى الاخبار و دليل العقل لانّ الولىّ فى اصطلاح الاخبار وعند العرفاء بمعنى الاولى بالتّصرّف كما قال تعالى شأنه: اللّه ولىّ الّذين آمنوا ، وقال عزّ وجلّ : النّبىّ اولى بالمؤمنين من انفسهم ، و هذا المعنى ايضاً حقيقة مشكّكة ذات مراتب متفاوته باختلاف المظاهر الكاملة فى كلّ زمان ويشمل جميع الانبياء والاولياء الكمّل المطاعين فى كلّ زمان وهم بعد رسول اللّه محمّد (ص) الائمّة المعصومون الاثنى عشر عليهم السّلام ، والمرتبة العالية من هذه الحقيقة متّحدة مع مقام المشيّة و الواحديّة و تجلّى الاسماء و الصّفات و مقام الجامعيّة المسمّى باللّه والفيض المقدّس الّذى كان محمّد (ص) وبعده علىّ بن ابيطالب عليهما السّلام مظهراً تامّاً ومرآة له ، وهذه المرتبة محيطة بماسوى اللّه فكذا مظهره التّامّ وهو الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وبعده خلفاؤه واوصياؤه المعصومون ، فكما يكون الايمان والكفر فى المقام العالى منتسباً الى هذه المرتبة كذا فى مقام المظهر والمرآة ، والايمان بالمظهر ايمان بالظّاهر والكفر به كفر به ، والاخبار ايضاً دالّة عليه بل يمكن ان نقول : هو من اصول التّشيّع .

٣- ومنها اهتمام المؤلّف الجليل بالجمع والتّطبيق بين الاخبار المختلفة فى تفسير الآيات بقدر الامكان وعدم طرد حديث ، كالاخبار الواردة فى الشّجرة المنهيّة فى قصّة آدم فانّه فسّرها بحيث ينطبق على جميع ماورد فى الاخبار ، وكذا التّفاسير المختلفة فى آية « ولقد همّت به وهمّ بها لولا ان رآى برهان ربّه » وغيرها من الآيات الّا فى الموارد النّادرة حيث طرد بعض اقوال المفسّرين اوخدش فى صحّة بعض الاخبار لكونها على خلاف عقيدته كتفسير آية « فأنزل اللّه سكينته عليه وايّده بجنود لم تروها » وغير ذلك .

٤- ومنها اصطلاحه فى الولاية وتسمية الاتّصال بها بالوصلة تشبيهاً له بالوصلة المعمولة عند الفلّاحين فى الاشجار لتربيتها ونموّها وصلاح ثمرها فانّ اكثر الاشجار المثمرة لاتثمر بدون الوصلة اويكون ثمرها سخيفاً رديّاً او مرّاً الّا اذا التصق وصلة الشّجر المثمر ذو الثّمر الشّريف به وان لم يفسد الوصلة تنمو بعدها .

فكذا الانسان يكون مثل هذا الشّجر ولايبلغ بكماله المنظور الّا اذا اتّصل وصلة الولاية الا لهيّة به وهى اصل الخيرات ومنبع السّعادات وسبب لظهور الاثمار الشّريفة وموجبة لتبديل الاثمار الفاسدة الرّديّة من الاخلاق الفاسدة وغيرها بالثّمر القوىّ الشّريف وهو الكمال المنظور ، وايضاً شبّه هذا الاتّصال بالانفحة[1] حيث يصير اتّصال الحليب به سبباً للانعقاد .

٥- ومنها انّ المفسّر الحبر العلّامة اهتمّ بحلّ المعضلات العلميّة الموجودة فى القرآن ببيان سهل مستند الى المطالب الكلاميّة والفلسفيّة والعرفانيّة مع تطبيقها على الاخبار وذلك التّطبيق كان دأبه فى جميع الموارد ولم يقدم على بيان آية او معضلة فى القرآن الّا مع الاستناد بالاحاديث المرويّة عن المعصومين عليهم السّلام وفى بيان الموضوعات المشكلة والمطالب المعضلة ايضاً كان مهتمّاً بهذا التّطبيق ولذا لم يكن تحقيقه فى مورد مخالفاً للمبادى الدّينيّة كمسئلة المعراج والمعاد حيث شرحهما ببيان فصيح سهل يفهمه كلّ من له عقل سالم غير مشوب ، وكذا مسئلة تحقيق الجنّ واثبات وجوده ببيان فلسفىّ عرفانىّ مليح ، وايضاً تحقيقه فى حرمة الخمر وبعده حرمة شرب الافيون واثباتها بالادلّة الطّبيعيّة والتّشريحيّة وكونه اشدّ حرمة من الخمر ؛ وهذه المسائل وان كانت مذكورة فى غيرها ولكنّه كان مبتكراً فى طريق الاستدلال ورعاية جميع الجهات الدّينيّة والفلسفيّة .

الفتيا والمؤلّف

انّ المؤلّف الجليل مع كونه متبحّراً فى العلوم العقليّة والنّقليّة وكان مجتهداً مسلّماً باعتراف جميع علماء زمانه حتّى مراجع التّقليد مثل المغفور له آية اللّه الشّيرازىّ الكبير ولكنّه لم يفت ولم يدوّن رسالة عمليّة بل احال المريدين والفقراء فى الاحكام الفرعيّة الى رسالات مراجع

---

(١) الانفحة بكسر الهمزة وفتح الفاء مخففة وهى كرش الجمل والجدى مالم يأكل فاذا اكل فهو كرش (مجمع البحرين) .

التّقليد ومعذلك قد ذكر رأيه فى موارد قليلة من الاحكام فى تفسيره وهو وان لم يكن بعنوان الفتوى ولكنّه يبيّن نظره ويكون بحكم الفتوى :

١ـ منها بيانه فى تفسير الآية الشّريفة « يسئلونكَ عن الخمر والميسر » فى الاستدلال على حرمة الشّراب حيث ذكر بعدها ادلّة قويّة على حرمة شرب دخان الافيون وافتى به ولعن شاربيه .

٢ـ ومنها رأيه بطهارة اهل الكتاب وترجيحه القول بالنّجاسة العرضيّة بمزاولة الخمر والخنزير على النّجاسة الذّاتيّة فى ذيل آية « وطعام الّذين اوتوا الكتاب حلّ لكم » .

٣ـ ومنها القول باختصاص حليّة عقد الكتابيّة بالتّمتّع والانقطاع وعدم جواز نكاحها بالعقد الدّائم المفهوم من فحوى كلامه فى تفسير الآية المباركة « اذا آتيتموهنّ اجورهنّ » فى اوّل سورة المائدة .

٤ـ ومنها قوله بعدم نشر الحرمة اذا كانت المعقودة بالانقطاع صغيرة غير قابلة للاستمتاع الّا اذا اضيف مدّة من البلوغ اليها حتّى تكون قابلة للاستمتاع فى آخر الجزء الرّابع فى ذيل جملة « وامّهات نسائكم » وذكر بعداً هذه العبارة « فماشاع عندهم من تمتيع الصّغائر لتحليل النّظر الى الامّهات فيه اشكال عظيم والاحتياط هو طريق السّداد وهو ان يجتنب من النّظر الى غير المواضع المستثناة من امّ المقعودة الصّغيرة وان يجتنب من تحليل بعضها ايضاً اولا يحوم حول مثل هذه الشّبهات » وهنا قال بالاحتياط فى الطّرفين اى اذا عقد الصّغيرة من دون اضافة مدّة ولو قليلة بعد البلوغ لايحتسب امّها محرماً ومع ذلك يجتنب من نكاحها .

٥ـ ومنها تحريم السّفر فى يوم الجمعة على من كان المسافة بينه وبين مجتمع النّاس للجمعة اقلّ من فرسخين اوبقدر فرسخين بل لزوم ترك البيع فيه استناداً الى الآية الشّريفة « ياايّها الّذين آمنوا اذا نودى للصّلوة من يوم الجمعة » (الى آخره) .

انكار كون التّفسير من المؤلّف والجواب عنه

وبعد تأليف هذا التّفسير وطبعه وانتشاره اشتهر فضل المؤلّف بين الخواصّ والعوامّ وكلّ من رأى التّفسير ولاحظه اقرّ بفضل مؤلّفه ونبوغه وعبقريّته وصار ذلك سبباً لتشديد حسد الحاسدين حتّى انكر بعضهم كون هذا التّأليف المنيف منه، واصرّوا فى تلقين هذا الافتراء فى قلوب بعضٍ آخر وذكروا هذا بوجوهٍ مختلفةٍ بحيث وقع فى قلوب بعض الفضلاء ايضاً وتلقّوا بالقبول من دون دقّة وتحقيقٍ ، والحال انّ اللّازم للفقيه المحقّق والنّاقد المدقّق التّحقيق والتّعمّق فى الامور وعدم الحكم بشيء مشكوك الّا بعد التّحقيق ، لانّه اذا ظهر له بعداً خلاف ذلك يصير نادماً ممّا حكم به قبلاً كما قال الله تعالى: « يا ايّها الّذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإٍ فتبيّنوا ان تصيبوا قوماً بجهالة » ولكنّ بعضاً من الفضلاء والفقهاء ايضاً تلقّوا ما سمعوا من بعض المعاندين والحسّاد بالقبول ظنّاً منه الصّدق والصّحّة وبعد ما ظهر لهم خلافه عدلوا من رأيهم السّابق مثل حجّة الاسلام المغفور له الحاجّ شيخ محمّد باقر الجازار حيث الّف كتاباً وسمّاه «اطغاء المكائد واصلاح المفاسد » بالفارسيّة فى ردّ الصّوفيّة والشّيخيّة والبابيّة والحال انّ ذكر هذه الثّلاثة مرادفاً بعيد من مثل هذا المحقّق لانّ بين عقيدة الصّوفيّة والشّيخيّة مع البابيّة بينونة بعيدة، لانّ الاوّلين من المتعصّبين فى التّشيّع والبابيّة منكرون للاسلام وقائلون بنسخه وظهور دين جديد .

والفقيه المغفور له ذمّ المؤلّف وذكره بعبارة موهنة بهذا المضمون وهو انّه: « سمع من بعض الثّقات انّ هذا التّفسير ليس منه بل من صوفيّ مبتدع آخر سابق عليه وهو وجد نسخته الخطيّة القديمة وجعله باسمه والحال انّه لم يفهم مضامينه » حتّى انّ مؤلّف هذا الكتاب حرّف اسم التّفسير وسمّاه بيان الشّقاوة ولكنّه لم يدرك حقيقة هذا الاسم ولم يستشعر به فلم يخض فى غور معناه لانّ هذا التّفسير ولو فرض انّه لم يكن منه اوكان منه وكان باطلاً ولكنّه بيان القرآن فتسميته بهذا الاسم ان كان مع قصد وشعور فى الحقيقة شتم للقرآن ويكون كفراً ولكنّ الفقيه المذكور

ذكر هذا اللّفظ بدون توجّه للمعنى .

ولمّا طبع هذا الكتاب وانتشر رأى نسخة منه واحد من اعادى مؤلّف التّفسير من اهالى جنابد واعترض على الفقيه المذكور وقال كنّا نحن باعيننا شاهدين لكونه بنفسه مؤلّفاً لهذا التّفسير ، ورأينا انّه كان مشغولاً بكتابة جزوات هذا التّفسير شخصاً، وقرء بعضه على الحاضرين عند الكتابة، ونسبة هذا الفقيه فى الحقيقة يكون مكّذباً لسائر الايرادات الواردة على مؤلّف التّفسير من المخالفين لانّه يوجد الشّكّ والتّرديد عند كلّ من لم يعرفه فى سائر المنتسبات اليه.

والفقيه المذكور بعد تأليف هذا الكتاب سافر لزيارة المشهد المقدّس الرّضوىّ(ع) وتوقّف ببيدخت يومين وصار مأنوساً مع خليفة المؤلّف الحاجّ ملّاعلى نورعليشاه الثّانى ووجد عقائده واعماله وافعاله مخالفاً للاتّهامات الواردة على الصّوفيّة ولم يجد فيه وفى اعوانه ما يخالف الشّرع المقدّس النّبوىّ(ص) وقال « شنيدن كى بود مانند ديدن » اى السّماع لايكون كالرّؤية، وكتب بعده ايضاً كتاباً للمولى الحاج شيخ محمّد حسن صالحعلى شاه واعتذر من السّابق واظهر النّدامة على تأليف الرّسالة الرّديّة، وهذا الكتاب موجود الآن وكلّ ذلك يكون دليلاً على صدق نيّته وانّه قد اشتبه الامر عليه من بعض المغرضين والاعادى .

وقال بعض: انّ المؤلّف حينما كان فى اصفهان اطّلع على نسخة خطيّة قديمة من المكتبات وتصرّف فيها وحذف اوّلها وآخرها وجعلها باسمه، وقال بعض منهم : انّه كان فى الاصل من فاضل نجف آبادىّ ،وقال بعض آخر : انّه من فاضل يزدىّ كان معه فى حجرة واحدة بمدرسة اصفهان ثمّ رتّب ناشر هذه التّهمة آثار اليقين على هذا الوهم لانّه مع عدم ذكر دليلٍ على هذا الدّعوى قطع بعدم كون هذا التّفسير منه وهذا عجيب ولاسيّما ممّن ادّعى العلم والرّوحانيّة.

ونحن نقول لم يسافر هو باصفهان لتحصيل العلم اصلاً بل كان تحصيله كما ذكرنا بجنابد اوّلاً ،وبعداً بالمشهد وسبزوار والنّجف الاشرف: وكان رحلته باصفهان لاخذ آداب الطّريقة وزيارة الحاجّ محمّد كاظم سعادتعليشاه وكان وجهة همّته زيارته والاستفاضة من محضره فقط .لاالعلوم الظّاهريّة الشّرعيّة ولا مشاهدة المكتبات، على انّ استكتاب هذا التّفسير مستلزم لاشتغال مدّة مديدة ولا اقلّ من سنة لكتابته وهو لم يبق باصفهان الّا مدّة قليلة، وايضاً كان هو قبل هذا السّفر مشتهراً بالفضل والتّبحّر فى العلوم العقليّة والنّقليّة بطهران وغيره كما ذكرته مشروحاً فى كتاب « نابغهٔ علم وعرفان در قرن چهار دهم » .

وثانياً لوكان هذا التّفسير من مؤلّف آخر قبله لذكر فى التّذاكر وشروح احوال المتقدّمين وكيف يمكن ان يوجد تأليف غير مألوف ومعروف عند احد من الفحول وعلماء الرّجال ويصير طالب علم غير معروف مطّلعاً عليه. وهذه النّسبة لايكون الّا محض التّهمة والافتراء ولايليق لمسلمٍ فكيف لمؤمنٍ ان يحوم حول هذه الافتراءات .

وقال لى بعض الفضلاء بلسان المدح مريداً به الذّمّ (من قبيل الذّمّ الشّبيه بالمدح) انّه تفسير كامل فلسفىّ عرفانىّ بنكات دقيقة ومطالب انيقة اخذ كلّها من رشحات الاستاذ الحاجّ ملّاهادى السّبزوارىّ رحمه الله. لكنّه ايضاً خلاف الواقع وليس بصحيح، لانّ كثيراً من النّكات التّحقيقيّة فيها كالتّحقيق فى وجود الجنّ وامثاله ليس موجوداً اصلاً لافى مؤلّفات الحكيم السّبزوارىّ ولافى غيره بل من مبتكرات المؤلّف الجليل. على انّه لم يدّع الابتكار فى جميع ماحقّق ، بل نقول اوّلاً: انّه يفتخر بانّ كلّ ما ادرك من الحقائق يكون مقتبساً من رشحات افاضات الائمّة المعصومين عليهم السّلام ومن الاخبار والاحاديث وثانياً: انّ لازم كلّ تأليف ان يذكر من اقوال المتقدّمين وتحقيقاتهم ويستشهد بها وهذا لايكون مخالفاً للتّأليف ونحن لانقول: انّ جميع ما ذكر من التّحقيقات من مبتكرات فكره ، بل نقول: انّ كثيراً من هذه التّحقيقات مماسنح بفكره الكامل ولايكون مذكوراً فى كتب المتقدّمين رحمهم الله كما اشار اليه فى مقدّمة التّفسير وقال : «وقد كان يظهر لى بعض الاحيان من اشارات الكتاب وتلويحات الاخبار لطائف ما كنت اجدها فى كتابٍ ولا اسمعها من خطاب » (الى آخره) .

وذكر العلّامة الاستاذ الشّيخ محمّد محسن الطّهرانيّ المعروف بشيخ آقابزرگ في المجلّد الثّالث من كتاب « الذّريعة الى تصانيف الشّيعة » ماعبارته كذا:

بيان السّعادة في مقامات العبادة او التّفسير المنير تفسير للقرآن الشّريف طبع بطهران في مجلّد كبير سنة ١٣١٤ على نفقة اصحاب العارف المعاصر المولى سلطانمحمّد بن حيدر محمّد الكنابديّ (الجنابذيّ) الخراسانيّ المتوفّى حدود ١٣٢٠ معتقدين انّه تصنيف شيخهم المذكور وهو نفسه ذكر فيه انّه فرغ من تأليفه سنة ١٣١١ ولكن نبّهني العالم البارع المعاصر السيّد حسين القزوينيّ الحائري بانتحال وقع في هذا التّفسير يكشف عن كونه لغيره ولو في الجملة فانّ ماأورده في اوّله من تشقيق وجوه اعراب فواتح السّور من الحروف المقطّعات وانهاء تلك الشّقوق الى مايبهر منه العقل توجد بتمام تفاصيلها وعين عباراتها في رسالة الشّيخ عليّ بن احمد المهائميّ الكوكنيّ النّوائتيّ المولود سنة ٧٧٦ والمتوفّى سنة ٨٣٥ المشهور بمخدوم عليّ المهائمي وقد ذكر الفاظ الرّسالة السيّد غلامعلي آزاد البلگرامي في كتابه سبحة المرجان المؤلّف سنة ١١٧٧ والمطبوع سنة ١٣٠٣ وذكر انّ المهائم بندر في كوكن من نواحي دكن، ونوائت كثوابت قوم من قريش نزلوا الى بلاد دكن في زمن الحجّاج قال: وله التّفسير الرّحمانيّ والزوارف في شرح عوارف المعارف، وشرح الفصوص لمحيي الدّين، وشرح النّصوص للقونويّ وادلّة التّوحيد .

اقول وتفسيره الموسوم بتبصير الرّحمن وتفسير المنّان طبع في دهلي سنة ١٢٨٦ - وفي بولاق سنة ١٢٩٥ كما ذكره في معجم المطبوعات، وكتابه مرآة الدّقائق طبع في بمبئي؛ وبالجملة المقدار المذكور من رسالة المهائميّ في هذا التّفسير ليس هو جملة اوجملتين اوسطراً وسطرين حتّى يحتمل فيه توارد الخاطرين وتوافق النّظرين، فهذا الانتحال ثبّتنا عن الاذعان بصدق النّسبة الى من اشتهر بانّه له والله العالم .

وهذا ايضاً وان كان ظاهره موهما للتّحقيق ولكنّه عند المنصف المحقّق لايخلو عن شوب الغرض وبعيد عن التّحقيق، لانّ المحقّق في كلّ امر ولاسيّما في الامور المحتملة للتّهمة وشوب الافتراء لايكتفي بنقل القول من واحد ولو فرض عادلاً بل يجتهد ويفتّش ولايتقاعد عن هذا حتّى يحصل له القطع بالدّليل، وهذا العالم الجليل كان لازماً عليه ان يطالع التّفسير المنسوب الى المهائميّ ولايقتصر على نقل القول ويطابق الكلمات والتّحقيقات حتّى يزول عنه الشّكّ لانّ الخبر يحتمل الصّدق والكذب، ونسبة الخلاف الى المؤمن بنقل خبر شخص واحد خلاف، ويكون مصداقاً للآية الشّريفة ان جاءكم فاسق بنبأٍ .

وثانياً كان حريّاً على مؤلّف الذّريعة لتكميل التّحقيق ان يسأل من معاصريه من العلماء والفضلاء المنصفين الّذين كانوا يعرفونه ورأوه حتّى يصير فضله عليه واضحاً، لانّ كثيراً من فحول العلماء في زمانه مثل آية الله الشّيرازيّ والحاج ملّاعليّ السّمناني والحاجّ ميرزا حسين السّبزواريّ والآخوند ملّامحمّد الكاشانيّ والشّيخ زين العابدين المازندرانيّ واولاده رحمهم الله وغيرهم كانوا معترفين بفضله ونبوغه، وكلّ من حضر محضره من المؤالفين والمخالفين لم يتمكّن من انكار فضله وعلمه وتقواه حتّى اعاديه، وسائر تأليفاته ايضاً شاهدة على ذلك فانّ تأليفه ليس منحصراً بهذا التّفسير بل له تأليفات كثيرة بالفارسيّة والعربيّة وحواشٍ وتحقيقات على الاسفار وتحقيقات في علوم الادب وغيرها وهي كلّها شاهدة لعبقريّته رحمه الله .

وثالثاً لوكان هذا الفاضل محقّقاً لم يقع في الخطأ في تاريخ وفاة المؤلّف ولم يذكره بالتّقريب بل كان لازماً عليه تحقيق التّاريخ القطعيّ لوفاته حتّى لايقع في الاشتباه، وهو نفسه اقرّ بهذا الاشتباه في المجلّد الرّابع من الذّريعة عند ذكر كتاب تنبيه النّائمين احد مؤلّفات صاحب التّفسير، وهذا دليل على انّه خرج عن حدّ الانصاف وفي كلامه الطّويل الّذي ذكرناه الّذي يكون ظاهره متيناً وباطنه من الغرض والعناد شحينا، وغلب عليه حسّ البغض والحال انّ المحقّق لايليق ان يقع تحت تأثير احساسات الحبّ والبغض ولاسيّما اذا كان شيوع امثال هذا من شخصٍ

واحد اوشخصين معروفين بالغرض الشّخصىّ والاهواء النّفسانيّة فانّ المغرض وان كان بلباس اهل العلم يكون افتراؤه على المسلمين سبباً للفسق وعدم قبول قوله .

ورابعاً كان حريّاً ان يطالع ويلاحظ طرائق الحقائق الحاجّ ميرزا معصوم نائب الصّدر الشّيرازىّ فانّه مع كونه فى زمن تأليف هذا الكتاب مدّعياً للطّريقة ومعرضاً عن مؤلّف التّفسير ولعلّه كان مغرضاً فى وقته ولكنّه مع ذلك لم ينكر فضله عند ذكر حالاته فى هذا الكتاب ولاسيّما عند بيانه فى شرح عظمة هذا التّفسير . ونحن نُحيل الطّالبين بمطالعة هذا الكتاب ومطالعة «نابغهٔ علم وعرفان» فى شرح حال المؤلّف من تأليفاتى و« رهنماى سعادت» فى ترجمة تفسير بعض السّور الصّغار منّى .

نسبة الغلوّ الى المؤلّف

وقال بعضٌ آخر: لقد اجاد المؤلّف فى تأليف هذا التّفسير وبلغ الغاية القصوى فى التّحقيقات الادبيّة والفلسفيّة والعرفانيّة وبعض المسائل الفقهيّة ، ولكنّه لشدّة علاقته بامر الولاية وتأويل الآيات بها خرج عن حدّ الاعتدال وصار كلامه شبيهاً بالغلوّ مثل تفسير كلمة الله فى قوله تعالى فى سورة البقرة «ومنهم من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر» بعلىّ الّذى هو مظهر الاله ، وكذا فى آيات اخر مثلها ، وفى سورة البراءة «الم يعلموا ان الله هو يقبل التّوبة عن عباده و يأخذ الصّدقات» وفى موارد اخر بمظاهره وخلفائه الفانين ببشريّتهم فى الله، ومثل اطلاق الرّبّ على ربّ الارباب والرّبّ المضاف وتفسير الرّبّ المضاف بالرّبّ فى الولاية كتفسير الرّبّ فى مثل آية «فمن كان يرجو لقاء ربّه» فى آخر سورة الكهف بالرّبّ فى الولاية ولقاء ملكوته ثمّ جبروته وتفسير الرّبّ فى آية « وجاء ربّك والملك صفّاً صفّاً » فى سورة الفجر بالرّبّ المضاف الّذى هو القائم فى وجود السّالك وتفسير الكفر فى موارد متعدّدة بالكفر بالولاية وكذا الاشراك بالشّرك بالولاية ؛ ولكن هذا ايضاً خلافٌ لواقع مذهبه لانّ كُلّ هذه يكون مبنياً على العقائد العرفانيّة الّتى تكون مستندة الى الآيات والاخبار المأثورة من الائمّة عليهم السّلام، لانّ الاخبار فى تفسير الايمان بالايمان بالولاية كثيرة متواترة عند الشّيعة كما فى الكافى ، فى باب ما نزل فيهم وفى اعدائهم ، عن السّرّاد عن الصّحّاف ، قال سألت اباعبدالله (ع) عن قوله تعالى «فمنكم كافر ومنكم مؤمن» فقال عرف الله ايمانهم بموالاتنا وكفرهم بها يوم اخذ عليهم الميثاق ، وفى الصّافى فى تفسير «ولا يشرك بعبادة ربّه احداً » آخر سورة الكهف عن الصّادق عليه السّلام انّه سئل عن هذه الآية فقال : العمل الصّالح المعرفة بالائمّة ؛ ولا يشرك بعبادة ربّه احداً التّسليم لعلىّ لا يشرك معه فى الخلافة من ليس ذلك له ولا هو من اهله . والاخبار فى فضائل اهل البيت وذمّ اعدائهم كثيرة لا تحصى ، وامّا تفسير كلمة الله بعلىٍّ فهو بطريق المجاز وذكر الظّاهر وارادة المظهر وهو ايضاً مستفاد من الاخبار ، لانّ الايمان بالله ملازم للايمان بمظاهره ، والكفر بمظاهره يستلزم الّود ومخالفة امر الله وهو كفر به ، كما روى عن ابى جعفر الباقر عليه السّلام : انّ حبّنا ايمان وبغضنا كفر ؛ وامثال ذلك كثيرة . واستعمل فى القرآن ايضاً كذلك لانّ نسبة قبول التّوبة واخذ الصّدقات الى الله لا يمكن حمله على ظاهره لانّ الله لا يرى ولا يكون له يد فلابدّ ان يراد من كلمة الله مظاهر الذّات المستجمعة لجميع صفات الكمال بطريق المجاز كما قال تعالى شأنه « ومارميت اذرميت ولكنّ الله رمى » .

امّا تفسير الرّبّ فهو ايضاً صحيح لانّ الرّبّ فى اللّغة بمعنى المربّى وقد اطلق فى القرآن ايضاً على غير الله كما فى سورة يوسف نقلاً عن يوسف (ع) « اذكرنى عند ربّك » وكلمة ربّ الارباب ايضاً دليل على صحّة اطلاق الرّبّ على غير الله تعالى بعنوان الرّبّ المضاف وكونه تعالى شأنه ربّ الارباب .

بل اهل السّنّة والجماعة ومحقّقوهم ايضاً اعترفوا بذلك وفى كتبهم اخبار كثيرة فى هذا الباب ، كما فى مودّة القربى للمير سيّد على الهمدانىّ الشّافعىّ فى المودّة الثّالثة : انّه قال النّبىّ (ص) فى جمع الصّحابة : لا يحبّ عليّاً الّا مؤمن ولا يبغضه الّا كافر ، وفيه ايضاً عن امّ المؤمنين عايشة ، انّها قالت قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : انّ الله

قد عهد الىّ من خرج على علىّ فهوكافر فى النّار ، وفى ينابيع المودّة للشّيخ سليمان البلخىّ الحنفىّ فى الباب التّاسع والخمسين نقلاً عن الصّواعق المحرقة ، قال اخرج الدّار قطنىّ فى الافراد عن ابن عبّاس انّ النّبى صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: علىّ باب حطّة من دخل فيه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً .

ونسبة الغلوّ الى المؤلّف الجليل كتسمية القمّيّين المتقدّمين رضى الله عنهم، كلّ من لا يعترف بسهو النّبىّ (ص) غالياً لانّهم كانوا قائلين بانّه بشر بصريح الآية الشّريفة « قل انّما انا بشر مثلكم » وقالوا انّ البشر يعترى عليه السّهو والنّسيان والخطاء فهو ايضاً جائز السّهو، وكانوا معتقدين انّ كلّ من لم يعترف بذلك يكون غالياً، ولذا كانوا يحتسبون غيرهم من فقهاء الشّيعة غالياً بالتّقريب والحال انّه ليس كذلك كما ذكر مشروحاً فى المفصّلات، والغالى فى الحقيقة من اثبت جميع الصّفات الثّبوتيّة الموجودة فى الآله المستجمع لجميع صفات الكمال المتجلّى فى كلّ العوالم والذّرّات الحىّ الباقى الدّائم الّذى لا يعتريه نقص ولا زوال ولاممات للفرد البشرى الّذى يكون له ادوار الحيوة من الصّغر والشّباب والكهولة ويصير مريضاً وضعيفاً وفقيراً وغير ذلك من نواقص المادّة، فالاعتقاد بالوهيّة جسمانيّة علىّ بن ابى طالب عليهما السّلام المنسوب الى عبدالله بن سبأ، اوالوهيّة جعفر بن محمّد عليهما السّلام، كما نسب الى محمّد بن مقلاص الاسدىّ المكنّى بأبى الخطّاب اوبالوهيّة علىّ بن محمّد الهادى او الحسن العسكرىّ عليهما السّلام كما روى نسبته الى فارس بن حاتم بن ماهويه القزوينىّ المقتول على يد جنيد بامر الامام ابى محمّد العسكرىّ عليهما السّلام كلّها كفر وغلوّ، لانّه خلاف الشّهود ورأى العقل لانّ الشّيء الفانى والهالك كيف يمكن ان يكون آلهاً فاطر السّماوات والارض، ولكنّ العبد اذا صار فانياً من صفات بشريّته واستنار بنور الالوهيّة وصار حيّاً بالحيوة المعنويّة يصير مظهراً للذّات الاحديّة ومجلىً للجلوات الرّبوبيّة فيصدر منه امور خارجة عن حيطة ظاهر البشريّة من المعجزات والكرامات وخوارق العادات، وكلّما كان فناؤه فى الذّات الاحديّة اتمّ كان بقاؤه به اقوى حتّى يصل الى مقام يصير مظهراً تامّاً له ، وعند ذلك يكون اقوى مظهر واتمّ مجلى لله ، وهذا يكون فى الحقيقة متّصلاً بل متّحداً مع مقام المشيّة التّامّة وهذه المظهريّة كانت مخصوصة بمحمّد (ص) وبعده بعلىّ (ع) وبعده بالائمّة المعصومين من ولده حاد يعشرهم ثانى عشر الائمّة وقائمهم ، فهم الاسماء الحسنى والصّفات العليا والمظاهر التّامّة والمجالى الكاملة لذات الله وهم قادرون على جميع ما تعلّق القدرة الالهيّة بارادته وقدرته، فهم عالمون بعلمه، وقادرون بقدرته، ومريدون بارادته، وليس شيء من ذلك كفراً ولا شركاً ولا غلوّاً ، بل يكون عين التّوحيد لانّ المعتقد بذلك لا يرى لاىّ فرد منهم شخصيّة مخصوصة قبال الذّات الاحديّة بل يقول، انّهم فانون ولا يكون لهم شخصيّة الّا مظهريّة الله تعالى والبقاء به فهم كالمرآة حيث لا ينظر اليها الّا لمشاهدة الصّورة المتجلّية فيه؛ والائمّة عليهم السّلام مرآة ذات الله كما ورد «بنا عبدالله وبنا عرف الله» فهذه العقيدة فى الحقيقة عين التّوحيد ولذا يكون عقيدة القمّيّين فى الحقيقة افراطاً وغلوّاً فى التّمسّك بظواهر الآيات والاخبار، ونسبة الغلوّ الى المؤلّف ايضاً كذلك .

ترجمة التّفسير بالفارسيّة

ولمّا كان هذا التّفسير كثير الفوائد غزير العوائد ذو مطالب مهمّة ومسائل عالية استدعى جمع من الاخلّاء من حضرة والدى الجليل المولى صالحعلى شاه روحى فداه ان يأمر بترجمته بالفارسيّة حتّى يتمكّن المتكلّمون بهذه اللّغة ايضاً ان يستفيدوا منه واجاز حضرته ان يتصدّى له من يمكنه ترجمته ثمّ كلّمنى بعض من الاصدقاء فى اواخر ايّام التّحصيل (سنة ١٣٥٧ و١٣٥٨ قمريّة = ١٣١٧ و١٣١٨ شمسيّة) تصدّى هذا الامر والتّعهّد لذلك، ولكن لمّا كان امراً معضلاً ومبتنياً على التّبحّر فى العلوم العقليّة والنّقليّة ولا اقلّ على الوقوف الكامل عليها ، وكان هذا زائداً على وسعى وغير ميسّر لى لفقد هذا عندى وكيف يمكن لى هذا مع عدم البضاعة العلميّة ، فلذا لم يتيسّر لى قبول هذا الامر الخطير، ولكن ألحّ عليه بعض منهم على ان اقدم بقدر الوسع والمجال واشار اليه حضرة والدى الجليل لا بطريق الامر والوجوب بل بعنوان قبول استدعاء الاخوان بقدر

الميسور، فلذا تهيّأت لترجمة المقدّمة فقط بالفارسيّة وشرعت فيها ولكن بعد ترجمة فصول منها صار منسيّاً ووقع في زاوية الخمول سنين متمادية حتّى وقع فى ذكرى بعد عشرين سنة وشرعت مجدّداً فى اتمامها وجعلت كفّارة هذا النّسيان اضافة ترجمة سورة الحمد اليه وبعد ترجمتها ساعدني التّوفيق لتصميم ترجمة ستّ سور صغار اخرى وهى سورة الاعلى وسور والضّحى والم نشرح والقدر والنّصر والاخلاص وختم فى سنة ١٣٨٠ قمريّة =١٣٣٩ شمسيّة وصار مطبوعاً فى سنة ١٣٨٣ قمريّة=١٣٤٢ شمسيّه، وسمّيتها بمناسبة اسم التّفسير «رهنماى سعادت» وارجو من الله التّوفيق ومن الاصدقاء والاخلّاء الدّعاء .

الطّبعة الاولى للتّفسير

وكان اتمام تأليف هذا التّفسير بعد سنين متمادية فى الرّابع عشر من شهر صفر المظفّر سنة ١٣١١ قمريّة وطبع فى سنة ١٣١٤ قمريّة بنفقة الحاجّ محمّد حسن خطيب الطّهرانىّ وميرزا محمّد حسين خان سر رشته دار الاصفهانىّ وغلامرضا خان مصدّق السّلطان المشهدىّ رحمهم الله ؛ وكان تصحيح نسخة الطّبع بوسيلة المرحوم الشّيخ رضا الطّهرانى شيخ الحكماء، والحاجّ شيخ عبّاسعلى كيوان الواعظ القزوينىّ . ولكنّه اضاف حواشى متعدّدة محتوية بعضها على اعتراضات ادبيّة ليس بعض منها واردة اصلاً، وبعض منها ايضاً من سهو القلم اومن النّاسخ ؛ وانا اذكرها مع الجواب عنها : ففى صفحة ٨٩ من المجلّد الثّانى اوّل سورة الشّعراء عند آية « وانّ ربّك لهو العزيز الرّحيم » ذكر هذه العبارة « برحمته يمهلهم لعلّهم يتوبون » بذكر يهملهم ويهملهم وذكر فى الحاشية «كان فى خطّ المصنّف انّ يهملهم من الاهمال ولا ادرى لعلّه من سهو القلم » والحقّ ان كليهما صحيحان وان كان يمهلهم اولى ولكن ذكر يهملهم ايضاً مجاز كما ورد انّه امهلهم حتّى كانّه اهملهم .

وفى ص ١٤٠ فى تفسير يا ايّها النّبىّ قل لازواجك فى عبارة «وقلن لعلّك انّك ان طلّقتنا »كتب فى الحاشية «كأنّه سقط هنا شيء» وكان الحقّ رجوعه الى اصل كلام القمىّ حتّى يرفع الشّبهة منه وهو كذا «قلن لعلّك ترى انّك ان طلّقتنا» فكلمة «ترى» سقط من النّاسخ، وفى ص ١٦١ وص ٢٣٦ من هذا المجلّد حيث ذكر المؤلّف كلمة باع وباعوا للبيعة اعترض المحشّى وذكر انّه لم يقف على هذا الاستعمال ؛ ولكنّه ايضاً صحيح لانّ «باع» استعمل لجانب واحد وبايع من الطّرفين، وكلمة البيعة ايضاً ثلاثيّة واطلاق باع من جانب المؤمن فقط صحيح لانّه باع الله بوسيلة اوليائه وخلفائه نفسه وماله ولكنّ المبايعة من الطّرفين .

وفى ص ١٧٧ فى ذيل «فامنن او امسك بغير حساب» من جملة الحديث «ثمّ جرت هذه الآية فى رسول الله (ص) فكان له ان يعطى من شاء مايشاء» كلمة «له» سقط من النّاسخ فقول المحشّى : ان لفظة ان زائدة اومصدريّة سهو وكان عليه ان يرجع الى اصل الحديث حتّى يصير معلوماً عليه .

وفى ص ١٧٩ فى تفسير انتم عنه معرضون حيث قال « وهى الحبل من الله الّذى ضرب عليهم الذلّة الّا به وبحبل من النّاس» قال المحشّى «كذا بخطّ المصنّف » حيث يفهم منه الاستبعاد والحال انّه ليس فيه استبعاد لانّه اقتباس من الآية الشّريفة «ضربت عليهم الذّلّة الّا بحبل من الله و حبل من النّاس» .

وفى ص ١٩٩ من المجلّد المذكور فى ذيل آية نزلاً من غفور رحيم فى ذكر الحديث المروىّ عن الصّادق عليه السّلام « ما يموت موال منّا مبغض لاعدائنا الّا ويحضره رسول الله (ص) وامير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السّلام فيرونه ويبشّرونه الى آخرها» ذكر فى الحاشية انّ المناسب ان يكون بواوين من التّروية، ولا يخفى مافيه لانّه ذكر الحديث بعبارته ويرونه بواو واحدة صحيح من الثّلاثىّ من باب رأى يرى، ومن المزيد من باب الافعال من الاراءة بحذف المفعول الثّانى ايضاً صحيح بقرينة مابعده اى يرونه حقيقتهم ونورانيّتهم، وفى الصّافى ايضاً ذكر الحديث كذلك .

وايضاً فى هذه الصّفحة فى عبارة الحديث « فما امامك من الاحوال فقد كفيتموها» ذكر انّ «نسخة الاصل

كذا والظّاهر ان يكون بهاءِ هوّز» ويظنّ انّ قوله هنا صحيح ويكون من سهو القلم فانّ عبارة الحديث بهاءِ هوّز كما في الصّافي وان كان بالحاء ايضاً نظرا الى عموميّته صحيحاً .

وفي صفحة (٢١٠) سورة الزّخرف ذيل تفسير ورحمة ربّك خير ممّا يجمعون «واماّ خدمة تصلح لما لا يتهيّأ لذلك الملك ان يستغنى الّا به» من تهيّأ باب التّفعّل وفي النّسخة المطبوعة صارت مغلوطة كذا «تصلح لما لايتها» فذكر المحشّى «لم ادر معناه لكن المقصود معلوم» والحال انّ المعنى معلوم والغلط من نسخة الطّبع لا من نسخة الاصل .

وفي هذه الصّفحة ذيل آية وسرراً عليها يتّكئون وزخرفاً، قال «ولولا مراعاة حال من في وجوده استعداد الايمان لوسّعنا عليه في دنياه بحيث لايغتمّ انا بشيءٍ من دنياه» ولفظ انا بعد كلمة لايغتمّ بالالف الممدودة ونصب النّون (آناً) والمحشّى ظنّ انّه انا بمعنى المتكلّم وقال انّه زائدة وليس كذلك.

وفي اوّل ص ٢٢٥ الصّحيح في الحديث لايتجافون من التّجافي فذكره من المحشّى بطريق التّرديد سهو .

وفي ص ٢٦٥ سورة الحشر ذيل آية يخربون بيوتهم بأيديهم قال في توجيه تخريب البيوت «توسعة للقتال ومجالة مع المسلمين» وفي نسخة الاصل ومجاله بدون النّقطة بل بالهاء وعلى هذا يرجع الضّمير الى القتال اى توسعة لمجال القتال مع المسلين كماذكر في الصّافي ايضاً مثل هذا بهذه العبارة «كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعاً لمجال القتال» فعليهذا ظنّ المحشّى انّه بصيغة المجادلة وسقط الدّال خطاء .

وفي ص ٢٧٥ سورة الحشر في تفسير والنّور الّذي انزلنا قال المفسّر «وكلّ امام لمّا صار متّصلاً بالمشيّته الى آخرها» ولم يذكر ظاهراً جواباً للمّا لذا ذكر المحشى انّ الظّاهر زيادة لفظ لمّا او زيادة الواو في «وبذلك الاتّصال» بالاحتمال الضّعيف . ولكن لمّا لاحظ المؤلّف بعد الطّبع هذه الحاشية كتب في ذيله في النّسخة الموجودة عندى هذه العبارة بخطّه «وحذف الجواب اسهل من كلّ ذلك فانّ حذف الجواب بقرينة كثير في الآيات والاخبار فليقدّر. فليقدّر فسّروا النّور بالامام» وايضاً اضاف الى المتن في هذه النّسخة بخطّه قبل هذا بعد عبارة «قبل الاتّصال بالامام» هذه العبارة «وبتلك الفعليّة يظهر عليه وجوده فسّروا النّور بالامام» فعليهذا اشكال المحشّى غير وارد ، ويمكن ايضاً كون «فعليكم بالاتّصال بهذا النّور» بعد سطور متعدّدة جواباً، وعلى هذا لايحتاج الى التّقدير وان كان نظر المؤلّف بل كلّ مؤلّف في تأليفه اجدر بالقبول .

وفي سورة البلد ذيل آية يقول اهلكت مالاً لبداً ذكر كلمة جيش العشرة في النّسخة الخطّيّة بخطّ المصنّف بالسّين وفي المطبوعة بالشّين وقال المحشى لم ادر معناها والحال انّ معنى كليهما معلوم وصحيح وان كان بالسين اولى لانّ جيش العسرة اطلق على غزوة تبوك لانّ النّاس عسر عليهم الخروج في حرارة القيظ وابّان اىناع الثّمرة وايضاً لعسرة المعيشة عليهم للقحط والغلاء وكان زادهم الشّعير المسوس والتّمر المدود وربّما اقتسم التّمرة اثنان وربّما مصّوها الجماعة ليشربوا عليها الماء ، واطلاق جيش العشرة ايضاً على هذه الغزوة صحيح لانّها وقعت في السّنة العاشرة من الهجرة ، وايضاً في هذه الغزوة كان يعقب كلّ عشرة بعيراً واحداً .

وفي اوّل سورة والشّمس ذيل آية واللّيل اذا يغشيها قال اقسم باللّيل ووقت احاطة ظلمة نور الشّمس ، فذكر المحشّى انّ الظّاهر زيادة الواو والحال انّ كليهما (بالواو ودونها) صحيحان وذكر الواو للتّوضيح والتّبيين .

الطّبعة الثّانية

ولمّا مضى من الطّبعة الاولى سنون متمادية وصار نسخة التّفسير نادر الوجود سألني جمع من الاخلّاء قبل سنين تجديد الطّبع حتّى انّ جمعاً من الفضلاء واهل العلم في بغداد والعتبات العاليات خلال اسفاري للزّيارة تكلّموا في لزوم تجديد طبعه وقال بعض منهم بطبعه في بغداد

اوبيروت، وانا ايضاً عرضت مقالهم على والدى الجليل ولكنّه لم يوافق لطبعه فى خارج ايران للاشكال فى مراقبة الطّبع لنا فى الخارج لبعد المسافة، وفى ذلك الزّمان استدعى ايضاً جمع من حضرته تجديد طبعه واستأذن الاخ الايمانىّ الصّديق الحاجّ حسينعلى خان المصداقى حفظه الله واعطاه الوسعة والبركة من حضرته ان يكون الطّبع بنفقته ولم يجبه باتّاً حدود سنتين حتّى الحّ كراراً وكرّر هذا السّؤال، فاجاز حضرته، وطفق الحاجّ مصداقىّ لاعداد وسائله؛ شرع الفاضل العارف الحاجّ سيّد هبة الله الجذبىّ ادام الله توفيقاته فى كتابة التّفسير مع التّصحيحات ليكون نسخة الطّبع، واجاد فى الكتابة والتّصحيح طبق ما امربه والدى الجليل ومقابلته مع النّسخة الاصليّة والنّسخة الاخرى الخطّيّة والمطبوعة بمعاونة العمّ الفاضل الحاجّ محمّد باقر السّلطانى حفظه الله، وبعد كتابة المجلّدين من المجلّدات الاربع عزم الحاجّ مصداقىّ على عقد القرار وكتب كتاباً مع مطبعة «دانشگاه طهران»، وخلال هذه الايّام تقبّل تصحيح النّسخة ومقابلتها العالم الرّبّانى الشّيخ على اكبر العارف الكاشانىّ والاخ الفاضل السيّد فضل الله دانشور العلوىّ وفّقهما الله واجادا فى التّصحيح، وبعد ذلك عنى بتصحيح طبعه احد من العلماء الكرام من مدرّسى دار العلم بطهران مع معاضدة السيّد دانشور العلوىّ حفظهما الله، وبعد ذلك ايضاً سعى فى بعض كتابته وتسهيل امور الطّبع الاستاد مرتضى عبد الرّسولى والسيّد الفاضل الجليل السّيد معزّ الدّين المهدوىّ والسيّد عبد الحميد مير جهانگيرى واعضاء المطبعة، وانا اقدّم الشّكر من جميعهم واسأل الله اجر الدّارين لهم.

ولهذه الطّبعة مزايا لاتكون فى الاولى:

١ـ قد جعل التّفسير تبعاً لاصل التّفسير الّذى يكون بخطّ المؤلّف فى اربع مجلّد ولكن الطّبعة الاولى جعلت فى مجلّد واحد.

٢ـ ذكر عنوان المطالب فى مقدّم السّطور ليصير اللّاحق متمايزاً عن السّابق، وهذا لم يكن فى اصل التّفسير ولا فى الطّبعة الاولى.

٣ـ اعراب الحروف مع التّشديد ان كان فتحة جعل فوق علامة التّشديد وان كان كسرة وضع تحت التّشديد وكلاهما فوق الكلمة بخلاف التّرتيب المعمول فى الحروف المعربة المعمولة فى غيرها فانّ الكسرة فيها تجعل تحت الكلمة والفتحة فوقها والتّرتيب المعمول فى هذا الطّبع صارت اخيراً متداولة فى الحروف المعربة ولا يحسبونها غلطاً والحال انّها مع التّرتيب السّابق يكون غلطاً.

٤ـ انّ المؤلّف مع شدّة تعصّبه فى التّشيّع والولاية حتّى وقع فى بعض الموارد تحت تأثير هذه العصبيّة والاحساسات المذهبيّة وتفوّه بالطّعن على من اشتهر عند بعض بالمخالفة، ولكنّه كان مع ذلك شديد العلاقة لتقريب المذاهب الاسلاميّة ورفع الخلاف وايجاد حسن النّظر بل الاتّحاد فى المذاهب ولهذا عدل عنه واذن لولده الجليل الحاجّ ملّا على نور عليشاه وكلّ من اجاز هو رحمه الله فى الطّبعة الثّانية بتجديد النّظر فى بعض العبارات الموهمة وتغييرها اوحذف بعض الفاظها وتبديلها بكلمات مناسبة لمعناها الاصليّة مع كونه موافقاً لاعتقاد الفريقين.

فلهذه الاجازة الضّمنيّة امر حضرة الوالد الجليل بتغيير هذه العبارات وحذف الكلمات المصرّحة وتبديلها بكلمات مناسبة بحيث يصير موافقاً لمعتقدات غير الشّيعة ايضاً واطعت امره المطاع ثمّ قرأتها عليه وصحّحه.

ولذلك يكون هذه العبارات فى هذه الطّبعة غير ما كان فى الطّبعة الاولى وموافقاً لاعتقاد الفريقين.

ارجو من الله ان يوفّق السّاعين فى هذه الطّبعة ويزيدهم اجراً وخيراً وبركة.

هذا آخر الكلام فى المقدّمة؛ واسئل الدّعا من القارئين والسّلام على عباد الله الصّالحين.

وانا العبد سلطانحسين تابنده الجنابذى

غرّة جمادى الاولى ١٣٨٥ = ٦ شهريور ١٣٤٤

وهو المطلوب وعليه التكلان

١

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم
هو الملهم للصواب و هو حسبي ونعم الوكيل و هو المجلي في كل حط

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا الذي تجلى بذاته على ذاته فتنزه عن مماثلة مخلوقاته وتجلى باسمائه وصفاته على سائر مصنوعاته فصار بذلك التجلي حقا متجليا بنعمه فلا يرى وقرب فشهد للنجوى تبارك وتعالى والصلوة والسلام على ملائكته وانبيائه ورسله خصوصا على من انزل عليه القرآن الذي هو جمع البرزخ للوجوب والامكان وجمع البيان لكل ذكر وكتاب و تبيان الصافي عن كل مين وخلف وارتياب والوافي بكل وعد في خير وصواب والشافي لكل مرض وعناء في النفوس والاجسام والكافي للبصير عن كل كتاب وخطاب وكلام وعلى خلفائه الراشدين والخلفاء المهديين واهل بيته الطاهرين لاسيما ابن عمه ووارث علمه واولاده المعصومين وبعد فيقول الفقير الى ربه الغني سلطان محمد بن حيدر محمد الجنابذي عفى الله عنهما اني استشهد الله واستشهد ملائكته وانبيائه ورسله وجميع خلقه اني اشهد ان لا اله الا الله الذي هو الواحد الاحد الحي القدير العليم السميع البصير المدرك المهيمن المتكلم الرحمن الرحيم القيوم

الصّفحة الاولى من التّفسير بخطّ مؤلّفه البارع طاب ثراه

الحمد لله الآمر المرسل للرسل المنزل للكتب وان انبياءه ورسله واولياءه
وحججه في ارضه كلهم حق لا فرق بين احد من رسله وان ما جاؤوا به من عند
ربهم حق وصدق امنت بهم وبجميع ما جاؤوا به وان محمدا ص خاتم الانبياء
والمرسلين واشرف الخلائق اجمعين وان عترته بعده اشرف الخلق
وان عليا اول العترة ووارث علم محمد ص ومن بعده الاحد عشر من ولده وان
الحادي عشر منهم غائب قائم منتظر لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول
الله ذلك اليوم حتى يخرج ويملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا
وان هؤلاء ائمتي وشفعائي ليوم فقري وفاقتي بهم اتوسل الى الله وبهم
ارجو نجاتي يوم ميعادي وان شريعة محمد ص ناسخة لجميع الشرائع وان جميع
ما جاء به محمد ص من السنن والفرائض والسياسات والعقائد والاخلاق
حق وصدق امنت بها كلها مفصلها ومجملها وان الموت وسؤال القبر
والصراط والميزان وحشر الخلائق وتطاير الكتب والحساب والجنة و
النار والمعاد جسمانية وروحانية كلها حق وصدق امنت بها وايقنتها
وان هذه ديني الذي ادين به عليها احيى وعليها اموت وعليها ابعث
انشاء الله وان القرآن الذي بين اظهرنا هو الكتاب المنزل على محمد ص حرّف فيه
او لم يحرّف وهو دليل رسالته واعجاز شريعته وهو الحبل الممدود من الله
للناس صورته الولاية التكوينية التي هي الحبل من الله حقيقة كما ان العترة وولايتهم
هي الحبل من الناس وانهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض وان القرآن دليل
العترة كما قالوا في حجتنا اهل البيت كما ان العترة مبينون القرآن فالقرآن

الصّفحة الثّانية من التّفسير بخطّ مؤلّفه البارع طاب ثراه

بسم الله الرحمن الرحيم

هو الملهم للصّواب ، والمتجلّى فى كلّ خطاب ، وهو حسبى ونعم الوكيل

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی أَنْزَلَ عَلٰی عَبْدِهِ الْكِتٰابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً ، قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَ يُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّٰالِحٰاتِ اَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ، اَلَّذِی تَجَلّٰی بِذٰاتِهِ عَلٰی ذٰاتِهِ فَتَنَزَّهَ عَنْ مُجٰانَسَةِ مَخْلُوقٰاتِهِ ، وَتَجَلّٰی بِأَسْمٰائِهِ وَ صِفٰاتِهِ عَلٰی سٰائِرِ مَصْنُوعٰاتِهِ فَصٰارَ بِذٰلِكَ التَّجَلّی حَقٰائِقَ مُتَجَلِّيٰاتِهِ ، بَعُدَ فَلاٰ يُرٰی وَقَرُبَ فَشَهِدَ النَّجْوٰی ، تَبٰارَكَ وَ تَعٰالٰی ، وَالصَّلٰوةُ وَالسَّلاٰمُ عَلٰی مَلاٰئِكَتِهِ وَ أَنْبِيٰائِهِ وَ رُسُلِهِ خُصُوصاً عَلٰی مَنْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ، الَّذِی هُوَ مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ لِلْوُجُوبِ وَالْإِمْكٰانِ ، وَ مَجْمَعُ الْبَيٰانِ لِكُلِّ ذِكْرٍ وَكِتٰابٍ وَ تِبْيٰانٍ ، اَلصّٰافِی عَنْ كُلِّ مَيْنٍ وَ خُلْفٍ وَارْتِيٰابٍ ، وَالْوٰافِی بِكُلِّ وَعْدٍ فِی خَيْرٍ وَصَوٰابٍ ، وَالشّٰافِی لِكُلِّ مَرَضٍ وَعَنٰاءٍ فِی النُّفُوسِ وَالْأَجْسٰامِ ، وَالْكٰافِی لِلْبَصِيرِ عَنْ كُلِّ كِتٰابٍ وَ خِطٰابٍ وَكَلاٰمٍ ، وَ عَلٰی خُلَفٰائِهِ الرّٰاشِدِينَ وَ أَصْحٰابِهِ الْمَهْدِيِّينَ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ الطّٰاهِرِينَ لاٰسِيَّمَا ابْنِ عَمِّهِ وَ وٰارِثِ عِلْمِهِ وَأَوْلاٰدِهِ الْمَعْصُومِينَ .

وبعـــــــــد

فيقول الفقير الى ربّه الغنىّ **سلطان محمّد بن حيدر محمّد الجنابدى** عفى الله عنهما انّى اُشهدالله و اُشهد ملائكته وانبيائه ورسله(ع) وجميع خلقه انّى اشهدان لااله الاّالله الّذى هوالواحدا لاحدالحىّ القدير العليم السّميع البصير المدرك المريد المتكلّم الرّحمن الرّحيم القيّوم المدبّر للامورالمرسل للرسل (ع) المنزل للكتب ، و انّ انبيائه(ع) ورسله(ع) واوليائه(ع) وحججه(ع) فى ارضه كلّهم حقّ لا افرّق بين احدٍ من رسله ، وانّ ماجاؤا به من عند ربّهم حقّ وصدق آمنت بهم وبجميع ماجاؤا به ، وانّ محمّداً(ص) خاتم الانبياء والمرسلين(ع) واشرف الخلائق اجمعين ، وانّ عترته(ع) بعده اشرف الخلق ، وانّ عليّاً(ع) اوّل العترة ووارث علم محمّد(ص) و بعده الاحد عشر من ولده(ع) ، وانّ الحادى عشرمنهم غائب قائم منتظر لولم يبق من الدّنيا الاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج و يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً ، وانّ

هؤلاء ائمّتى وشفعائى ليوم فقرى وفاقتى، بهم اتوسّل الى الله وبهم ارجو نجاتى يوم ميعادى، وانّ شريعة محمّد (ص) ناسخة لجميع الشرايع، وانّ جميع ماجاء به محمّد (ص) من السّنن والفرائض والسّياسات والعقائد والاخلاق حقّ و صدق؛ آمنت بها كلّها مفصّلها ومجملها، وانّ الموت وسؤال القبر والصّراط والميزان وبعث الخلائق وتطائر الكتب والحساب والجنّة والنّار والمعاد جسمانيّة وروحانيّة كلّها حقّ وصدق آمنت بها وايقنتها، وانّ هذه دينى الّذى ادين به؛ عليها احيى وعليها اموت وعليها ابعث انشاءالله، وانّ القرآن الّذى بين اظهرنا هو الكتاب المنزل على محمّد (ص) حرّف فيه اولم يحرّف، وهو دليل رسالته واجمال شريعته وهو الحبل الممدود من الله لانّه صورة الولاية التّكوينيّة الّتى هى الحبل من الله حقيقة كما انّ العترة وولايتهم هى الحبل من النّاس، وانّهما لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض، وانّ القرآن دليل العترة كما قالوا فيه حجّتنا اهل البيت، كما انّ العترة مبيّنو القرآن فالقرآن امام صامت والعترة قرآن ناطق، وكما انّ محبّة العالم من العترة وتعظيمه والنّظر اليه والجلوس عنده واستماع قوله وسماعه والتدبّر فى افعاله واحواله واخلاقه والتّفكر فى شؤنه والتّسليم له ولمتشابهات مامنه و تخلية بيت القلب لنزوله بملكوته فيه بملاحظة انّه حبل الله الممدود الى النّاس او من غير عنادمعه من اعظم العبادات كذلك تعظيم القرآن والنّظر فى سطوره واستماع كلماته وسماعها والتدبّر فى عباراته والتّفكّر فى اشاراته و لطائفه وتخلية بيت القلب لتجلّى حقائقه واتّباع احكامه وتسليم متشابهاته من اعظم العبادات اذاكان بلحاظ كونه حبلاً ممدوداً من الله .

وقدورد فى الايات والاخبار الامر بالاستماع والانصات له عند قراءته والتدبّر فى آياته واستنباط اشاراته و لطائفه والتّفكّر فيها كماورد ذمّ من أعرض عنه واتّخذه مهجوراً ونبذه وراء ظهره، وذمّ من لاكه بين لحييه ولم يتدبّر ما فيه و ذمّ من حفظه وقرأه ولم يعمل بما فيه كمثل الحمار يحمل اسفاراً فأولى الاشياء بالخدمة بعد علماء العترة واحقّ الامور بالنّظر والفكرة هو القرآن .

وقد كنت نشيطاً منذ اوان اكتسابى للعلوم وعنفوان شبابى بمطالعة كتب التّفاسير والاخبار ومدارستها ووفّقنى الله تعالى لذلك وقد كان يظهر لى بعض الاحيان من اشارات الكتاب وتلويحات الاخبار لطائف ماكنت اجدها فى كتاب ولا اسمعها من خطاب فأردت ان اثبتها فى وريقات واجعلها نحو تفسير للكتاب لتكون تذكرة لى ولاخوانى المؤمنين وتنبيهاً لنفسى ولجملة الغافلين، راجياً من الله ان يجعلها لى ذخيرة ليوم الدّين ولسان صدق فى الاخرين وهو جدير بان يسمّى بيان السّعادة فى مقامات العبادة والمسؤل من النّاظر ان ينظر اليه بنظر الانصاف لابعين العناد والاعتساف والحمدلله اوّلاً وآخراً والصّلوة على محمّد وآله .

ولنذكر قبل الشّروع فى المقصود حقيقة العلم والفرق بينه و بين الجهل المشابه للعلم و شرافة العلم و خساسة هذا الجهل و انّ العلم كلّما ازداد ضعفت الانانيّة ، والجهل كلّما ازداد زاد فى الانانيّة ، وانّ العلم لاينفكّ عن الحيرة والخشية واقتضاء الوحدة والعزلة ، وانّه يلازم العمل ولاينفكّ منه ، وانّ الادراك المنفكّ عن العمل هو الجهل المشابه للعلم واستحباب قراءة القرآن والاستماع له وكيفيّة قراءته و مراتب قرّائه وجواز تفسيره و بيان الظّهر والبطن والتّنزيل والتّأويل والمحكم والمتشابه والنّاسخ والمنسوخ والعامّ والخاصّ من القرآن وانّ التّفسير بالرأى الّذى ورد ذمّه هو التّفسير بالادراكات الجهليّة وانّ التّفسير بالعلم من الحكمة الّتى من اوتيها فقد اوتى خيراً كثيراً ، وانّه مأمور به مندوب اليه ، وانّ تفسير القرآن بتمام مقاماته مختصّ بأهله الّذين نزل عليهم، وانّ القرآن ذووجوه وهو مراد بكلّ وجوهه كما انّه ذوبطون ومراد بكلّ بطونه ، وانّه يجوز ان يكون نزوله بالقراءات المختلفه كما يجوز ان يكون اختلافات القراءات من القرّاء ، وانّ القرآن الّذى

فى ايدى النّاس ان لم‌يكن منقوصاً منه بحسب الفاظه وعباراته كماقيل فهومنقوص منه بحسب وجوهه واشاراته وبطونه ومقاماته ، وانّ القرآن نزل فى‌الائمّة وفى اعدائهم او اثلاثاً او ارباعاً ولنذكر ذلك فى فصول .

الفصل الاول

فى حقيقة العلم والجهل المشابه للعلم

اعلم انّ الانسان بحسب مقام بشريّته واقع بين مدينتى العلم والجهل وعالمى النّور والظّلمة وكلّ ادراك اوشهود يقع له او حال يطرو عليه من حيث توجّهه الى دارالعلم اوبحيث يجعله متوجّهاً اليها فهو علم ، وكلّ ادراك اوشهود اوحال يحصل له من حيث توجّهه الى دارالجهل اوبحيث يجعله متوجّهاً اليها فهو جهل مشابه للعلم لمشابهته للعلم فى‌اصل‌الادراك ، ويسمّى جهلا مركّباً فى‌مقابل الجهل الساذج الّذى هوعدم‌الادراك ممّن شأنه الادراك لتركّبه من الادراك وعدم ادراك الجهة العلميّة من‌المدرك . اولتركّبه من عدم ادراك الجهة العلميّة وعدم ادراك عدم ذلك الادراك ويسمّى داءً عياءً ايضاً لعجز اطبّاء النفوس عن علاجها . لانّ المعالج يعالج من يجد او يظنّ بنفسه المرض و يسلّم نفسه للطّبيب و ينقاد لامره و هذا المريض يظنّ بنفسه الصّحة ويتأنّف عن الطّبيب ولا ينقاد لأمره ولمكان هذا الجهل المشابه للعلم صحّ اثبات العلم ونفيه من موضوعٍ واحدٍ كما سيجيئ فى سورة البقرة عند قوله لَبِئْسَ مٰا شَرَوْابِهِ اَنْفُسَهُمْ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ و سيجيئ تحقيق تامّ للعلم والجهل عند تلك الاية انشاءالله . وعلامة العلم انّه كلّما ازداد نقص من‌الانانيّة حتّى يفنيها بالكلّيّة . وعلامة هذاالجهل انّه كلّما ازداد زاد فى‌الانانيّة ورؤية النّفس والاعجاب بهاحتّى لايبقى فى‌الانسان من‌التّسليم الّذى هومن صفات الانسان شئ ، وانّ العلم لايجتمع مع‌الاغراض الدّنيويّة بل يفنيها ، وانّ الجهل كلّما زاد زاد الاغراض وكلّما ازداد الاغراض ازداد الانسان فى‌طلبه حتّى انّه يتحمّل المتاعب طول اللّيل والنّهار بادامة المدارسة والتّكرار وقطع الفيافى والبحار ومقاساة المكاره فى‌الاسفار والقاء النّفس فى‌المهالك والاخطار كلّ ذلك بتوهّم التوسّل بتلك الجهالات الى المناصب الدّانية والاعراض الفانية والتّصرّف فى‌الاوقاف واموال الغيّاب والايتام والتّقرّب الى السّلاطين والحكّام والتبسّط فى البلاد والتسلّط على‌العباد وهذاالعلم المسمّى بالجهل لايزيد صاحبه الّاالبعد من‌الله والقرب من‌الشّيطان وقوله تعالى يَعْلَمُونَ ظٰاهِراً مِنَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِهُمْ غٰافِلُونَ اشارة الى‌هذاالجهل والغفلة عن هذاالعلم يعنى يعلمون من كلّ مدرك جهته الدّنيويّة الجهليّة لكونهم واقعين فى‌طرف الجهل ولا يعلمون منه جهته العلميّةالاخرويّة لعدم وصولهم الى باب مدينة العلم حتّى يصير ادراكهم علميّاً اخرويّاً او يدركون المدركات الدّنيويّة ولايدركون المدركات الاخرويّة ، ومالم‌يطهّر القلب من هذه الادراكات الدّنيويّة لم‌يظهر على‌القلب نور العلم فانّه نور يقذفه‌الله فى‌قلب من يشاء ، وفى‌المرتبة الاولى من ظهور هذا النّور يحصل للانسان الحيرة والسّكوت والاعراض عن‌المدركات الدّنيويّة ، وفى‌المرتبة الثّانية يحصل له حال الاستماع والانقياد و ترك العلم الّذى يجعله مستبدّاً معجباً بنفسه كما عن‌الصّادق(ع) انّه قيل لرسول‌الله(ص): يارسول‌الله ماالعلم ؟ـ قال : الانصات قال : ثمّ مه يارسول‌الله ؟ـ قال : الاستماع ؛ ونعم ماقيل :

دل ز دانشها بشستند اين فريق	زانكه اين دانش نداند اين طريق
دانشى بايد كه اصلش زان سر است	زانكه هرفرعى باصلش رهبر است
پس چرا علمى بياموزى بمرد	كش ببايد سينه را زان پاك كرد

فالانسان مالم يخرج من دارالجهل لم يجز له طلب الادراكات العلميّة حكمة كانت اوفقهاً اوغيرهما لتضرّره بها واشتداد جهله منها كماقيل :

بدگهر را علم وفن آموختن — دادن تيغ است دست راهزن
جمله صحرا ماروكژدم پرشود — چونكه جاهل شاه حكم مُرشود
چون ملايك گوى لاعلم لنا — تا بگيرد دست تو علّمتنا
گردراين مكتب نداني توهجي — همچواحمد پرّى از نور حجى

الفصل الثّانى

فى شرافة هذاالعلم وخساسة الجهل

قدعلم ممّا ذكرشرافة العلم وكفى فى شرافته انّه المايز بين الانسان وسايرالحيوان وانّ الانسان اشرف من كلّ حيوان بل من كلّ موجود سوى الرّحمن؛ وقوله تعالى اَلرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْاِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ اشارة الى شرافته لذكره الامتنان بتعليم البيان بعد خلق الانسان وقوله هَلْ يَسْتَوِى الَّذينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذينَ لايَعْلَمُونَ يبيّن شرافته بل نقول شرافته فطريّة لتقديم كلّ ذى صنعة الاعلم فى صنعته على نفسه لشهادة فطرته بتقدّمه وشرافته ولشرافة هذا العلم يكرم من لاخبرة له صاحبى الجهل المشابه للعلم لظنّهم انّ جهلهم علم و يقبلون منهم و يقبلون عليهم ، ولولا هذه الشّرافة للعلم وتلك المشابهة لكانوا يفرّون منهم فرار الضّأن من السّرحان، ولشرافته ورد بطرق مختلفة والفاظ متوافقة ومتخالفة انّ : طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة وورد : انّ الله يحبّ بغاة العلم ، وانّ من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً الى الجنّة ، وانّ الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضىً به ، وانّه ليستغفر لطالب العلم من فى السّماء ومن فى الارض حتّى الحوت فى البحر ، وانّ من خرج من بيته يلتمس باباً من العلم وينتفع قلبه ويعلّمه غيره كتب الله له بكلّ خطوة عبادة الف سنة صيامها وقيامها وحفّته الملائكة بأجنحتها وصلّى عليه طيور السّماء وحيتان البحر ودواب البرّ وانزله الله بمنزلة سبعين صدّيقاً ، وانّ العلماء ورثة الانبياء ، وانّ من تعلّم العلم وعمل به وعلّم لله دُعِىَ فى ملكوت السّماء عظيماً ، وانّ محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزّرابىّ ، وانّ النّاس عالم ومتعلّم وغثاء ، وورد اغد عالماً اومتعلّماً اواحبّ اهل العلم ولاتكن رابعاً فتهلك ببغضهم ، وانّه لاخير فى العيش الّا لرجلين عالمٍ مطاعٍ اومستمعٍ واعٍ ، وانّ عالماً ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد؛ والسرّ فى ذلك كلّه انّ جهات الشّرف مجتمعة فى العلم لانّ شرف الاوصاف امّا بشرف محالّها ومحلّ العلم بعدالله والملائكة نفس الانسان من جهتها الروحانيّة لامن جهتها الحيوانيّة ولاشكّ انّ نفس الانسان اشرف النّفوس وجهتها الرّوحانيّة اشرف جهاتها ، اوبشرف موصوفاتها والموصوف بالعلم هوالحقّ الاوّل ثمّ الملائكة ثمّ الانسان الّذى هواشرف الموجودات ، اوبشرف غاياتها وغاية العلم غاية الانسان وهوالحشر الى الرّحمن ولاغاية اشرف منه، اوبشرف لوازمها ولوازم العلم الخلاص من اسر النّفس وشهواتها وغضباتها وحيلها الشّيطانيّة والخشية والخشوع والرّاحة والسّرور والالتذاذ بمناجاة الله والمحادثة مع ملائكة الله بل مع الله والتّشبّه بالاله فى الاحاطة بماسواه وكلّما ذكر من جهات الشّرافة للعلم فأضدادها الّتى هى جهات الخساسة ثابتة للجهل المشابه للعلم بحكم المقابلة ، وهذاالجاهل هو العالم التّارك لعلمه اى للجهة العلميّة من مدركاته ، وانّ اهل النّار ليتأذّون من ريح العالم التّارك لعلمه ، وانّ اشدّ اهل النّار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً الى الله تعالى فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الجنّة وأدخل الدّاعى النّار

بتركه علمه و اتّباعه الهوى و طول الامل . ونسب الى النبيّ(ص)انّه قال العلم علمان فعلم فى القلب ؛ اشارة الى الجهة العلميّة من المدركات فذلك النّافع ، وعلم على اللّسان ؛ اشارة الى الجهة الجهلية فذاك حجّة الله على ابن آدم ، ولشرافة الجهة العلميّة ولطافتها وسرعة اختفائها تحت الجهة الجهليّة من المدركات امروا بدقّة النظر فى العلم وفيمن يؤخذ منه فانّ المدركات اذا اخذت من صاحبى الجهل لا يستنير صاحبها بنور العلم ولا يظهر له جهتها العلميّة فانّ من اخذ العلم من اهله وعمل به نجا ؛ كما فى الخبر . ويفيد بمفهومه انّ من لم يأخذه من اهله اولم يعمل به لم ينج . وقال الباقر (ع) فى بيان قوله تعالى فَلْيَنْظُرِ الْاِنْسانُ اِلىٰ طَعامِهِ علمه الّذى يأخذه عمّن يأخذه ، والاخبار فى اخذ العلم من اهله والاحتراز من اخذه من غير اهله كثيرة فانّ المدركات يمكن اخذها من الصّحف ومن الرّجال عالمين كانوا ام جاهلين بالجهل المشابه للعلم ؛ كافرين كانوا ام مؤمنين ، لكن الاتّصاف بجهتها العلميّة لايحصل الّا اذا اخذ المدركات ممّن كان متّصفاً بجهتها العلميّة .

قال البارع فى العلم **العلّامة الحلّى رضوان‌الله عليه** فى اوّل تحريره : ولكلّ علم اسرار لايطّلع عليها من الكتب فيجب اخذه من العلماء ولهذا قال (ع) : خذالعلم من افواه الرّجال ، و نهى عن الاخذ ممّن اخذ علمه من الدّفاتر فقال (ع) : لا يغرنّكم الصّحفيون . وقيل للباقر (ع) انّ من عندنا يزعمون انّ قول الله فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ انّهم اليهود والنّصارى قال اذاً يدعونكم الى دينهم . والحاصل انّ النفوس البشريّة خلقت قابلة سريعة التّأثّر كالمرآة الصّافية القابلة للصّور فاذا اخذت المدركات من صاحبى الجهل تكيّفت بجهلهم ولم تدرك من المدركات الّا الجهة الجهليّة ، واذا اخذت المدركات من صاحبى العلم تكيّفت بكيفيّة علمهم ولم تدرك من المدركات الّا الجهة العلميّة منها ، **فالحذر الحذر** عبادالله من الجهّال المتلبّسين بلباس اهل العلم المتشبّهين فى مدركاتهم باهل العلم .

وقد ذكر فى الاخبار علامات وآثار كثيرة للعلم والجهل وللعلماء الحقّة وللعلماء السّوء وللعالم والمتكلّف ولطلب العلم للدّنيا ولطلبه للاخرة وللعلم الدّنيوىّ وللعلم الاخروىّ فلينظر العالم والمتعلّم الى الاخبار ولينظر الى علومهما وتعلّماتهما وانّها من اىّ صنف ؛ فان كانت من قسم الجهالات والعلوم الدّنيويّة فليتضرّعا الى الله وليسئلا منه ان يطهّر قلوبهما منها . وان كانت من قسم العلوم فليبتهلا الى الله ان يزيدها ولا يسلبها منهما ، ولينظر المتعلّم الى من يأخذ العلم منه حتّى لايشتبه الامر عليه ويأخذ المدركات من جاهل بظنّ انّه عالم .

الفصل الثّالث

فى انّ العلم كلّما ازداد ضعفت الانانيّة ، والجهل كلّما ازداد زادت الانانيّة

اعلم انّ الانسان واقع بين دارى الرّحمن والشّيطان ، ولنفسه وجه الى الله ويقال له وجه الرّبّ ووجه الى الشّيطان ويقال له وجه النّفس اى انانيّته ، ولايكون رؤية الوجود من النّفس ونسبته اليها الّا بهذا الوجه وهذان الوجهان للنّفس هما الاخرة والدّنيا اللّتان هما الضرّتان والاقبال الى كلّ اضرار بالاخرى وهما العقل والجهل فى العالم الصّغير ويطلق العقل والجهل على مدركاتهما ايضاً ، وسعة كلّ من الوجهين بزيادة مدركاته وسعتها لانّ فعليّة الانسان بفعليّة مدركاته كماقيل :

اى برادر تو همين انديشهٔى	مابقى تو استخوان و ريشهٔى
گرگل است انديشهٔ توگلشنى	ور بود خارى توهيمهٔ گلخنى

فكلّما ازداد المدركات الجهليّة ازدادت الانانيّة وضعفت الوجهة الربّانيّة ، وكلّما ازداد المدركات

العقلانيّة قويت الوجهة الربّانيّة وضعفت الوجهة الجهلانيّة والانانيّة ، وكلّما ازدادت الجهالات فى الانسان ازداد فيه تصرّف الشّيطان بل لايكون تلك المدركات الّا بامداد الشّيطان و افاضته فهى فى الحقيقة فضلاته على وجه النّفس ونعم ماقال مولانا بهاء الملة والدّين :

اين خيالات محال و اين صور — فضلهٔ شيطان بود برآن حجر
شرم بادت زانكه دارى اى دغل — سنگ استنجاى شيطان در بغل

فالانسان ان لم يكن ذاوجهٍ الى الرّبّ كان لامحالة ذاوجهٍ الى الشّيطان وكان صفحة نفسه بتصرّف الشّيطان فيلقى عليها مايشاء بحسب استعدادها كماقال شيخنا البهائى ايضاً رضوان الله عليه :

تو بغير علم عشق ار دل نهى — سنگ استنجا بشيطان ميدهى
دل كه فارغ شد زمهرآن نگار — سنگ استنجاى شيطانش شمار

ففرّوا الى الله واصرفوا وجوهكم من الشّيطان وطهّروا قلوبكم من وساوسه :

فاغسلوا ياقوم عن لوح الفؤاد — كلّ علم ليس ينجى فى المعاد

و انظروا الى مكتسباتكم من الصنايع العلميّة فان كانت تزيد فى استكباركم ومماراتكم فاعلموا انّها من فضلات الشّيطان وفى الخبر فى الفرق بين طالبى المدركات الجهليّة والمدركات العلميّة : انّ طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم ؛ صنف يطلبه للجهل والمراء ، وصنف يطلبه للاستطالة والختل ، وصنف يطلبه للفقه والعقل . فجعل صاحب وجهة النفس الشيطانية صنفين باعتبار قوّتيه الدّراكة والعمّالة ، وجعل غاية طلب العلم باعتبار القوّة الشّيطانيّة الدّراكة الجهل يعنى نفس المدركات الجهليّة ، اواستكمال وجه النّفس الّذى يلى الشّيطان ولوازمها الّتى هى الاستكبار ورؤية النّفس والاعجاب بمدركاتها وتحقير الغير ، وعبّر عن ذلك كلّه بالممارات ؛ وجعل غاية طلب العلم باعتبار القوّة العمّالة المنشعبة الى السّبعيّة والبهيميّة الاستطالة الّتى هى من لوازم السبعيّة والختل اى التّملّق الّذى هو من لوازم البهيميّة ، وجعل غايته باعتبار الوجه الالهىّ الفقه اى اشتداد الادراك والانتقال من مدركٍ الى مدركٍ آخر ، والعقل اى نفس المدركات اواستكمال وجه النّفس الّذى يلى الرّحمن.

الفصل الرّابع

فى تلازم العلم والعمل واقتضاء العلم الحيرة والخشية والعزلة

اعلم انّ العلم كما علم عبارة عن المدركات الحاصلة للانسان من حيث وجهته الالهيّة وصفحته الاخرويّة وهى تنقسم الى عقائد عقلانيّة واخلاق نفسانيّة واعمال جسمانيّة الّتى اشير اليها فى الحديث النّبوى (ص) بقوله: انّما العلم ثلاثة ؛ آية محكمة اوفريضة عادلة اوسنّة قائمة ، والعقائد العقليّة اذاحصلت من حيث كونها علوماً وحيث كون الانسان فى دار العلم كانت مرائى للمعتقدات بحيث يجد المعتقد ذوق معتقداته فى اعتقاداته ويلتذّ بها و يشتدّ فى ذلك الوجدان والالتذاذ حتّى يشاهدها ، ولإراءتها المعتقدات بحسب الذّوق والوجدان والشهود والعيان سمّاها الرسول (ص) آية ، ولعدم انفكاك المعتقدات عنها كماذكر سمّاها محكمة وهذا الوجدان والشّهود هو عمل القلب فلو تخلّى الاعتقادات عن المعتقدات كما ذكر لم تكن علوماً حاصلة للانسان من حيث كونه فى دار العلم ولا فائضة من الله بل كانت جهالات ملقاة على النّفس من الشّيطان سواء سمّيت خطوات الشّيطان او فضلاته ، والاخلاق النفسيّة اذا ادركت من حيث كون الانسان فى دار العلم لم يكن ادراكها الّا بنحو الجزئيّة وبنحو المعرفة لابنحو الكلّيّة ومعرفة الرّذائل بنحو الجزئيّة عبارة عن مشاهدتها فى وجوده ، ومن شاهد الرّذائل ومضرّتها فى وجوده انزجر منها وكان فكره تطهير نفسه منها وهذا هو عمل هذا العلم ، ومن شاهد الخصائل

وبهجاتها ولذّاتها طلب الاتّصاف بها وهذا عمل هذا العلم، وباعتبار هذا الشّهود والاتّصاف سمّاها الرسول(ص) فريضة وعادلة فانّ الفرض عيناً هو هذا الاتّصاف والعادلة بين طرفى الافراط والتّفريط هى اعيان هذه الصّفات، وامّا العلم بالرذائل والخصائل بنحو الكلّية منفكاً عن شهودها بنحو الجزئيّة فانّه من الجهالات ولم يكن فرضاً ولا عادلاً وكان منفكاً عن العمل وكان من فضلات الشّيطان، والاعمال القالبيّة اذا اخذت من صادق؛ وعلم الآخذ صدق من اخذها منه وصدق وعد الاجر على فعلها ووعيد العقوبة على تركها ولم يستر هذا العلم او لم يغلب مقتضى النّفس على مقتضاه لايمكنه ترك العمل بها وباعتبار هذا العمل سمّاه سنّة فان السّيرة والسنّة هى الاعمال الّتى اتّفق جماعة عليها اوصارت شيمة للشخص، وباعتبار اخذها من اهلها واتّصالها بالاعمال القلبيّة وبصاحب الاعمال القلبيّة سمّاها قائمة. واذا لم يؤخذ هذا العلم من اهله اولم يكن اخذه من حيث كون الاخذ فى دار العلم اوغلب على مقتضاه مقتضى النّفس لم يكن علماً وصار منفكّاً عن العمل اوعن كون العمل قائماً متّصلاً بالقلب وكان ذلك العلم جهلاً وكان من فضلات الشّيطان؛ ولذلك ورد عنهم(ع) فى اخبار كثيرة التّصريح والاشارة الى تلازم العلم والعمل؛ فعن ابى عبدالله(ع) فى بيان قوله تعالى انّما يخشى الله من عباده العلماء: **يعنى بالعلماء** من صدّق قوله فعله ومن لم يصدّق قوله فعله فليس بعالم. وعنه(ع) انّ العلم مقرون الى العمل فمن علم عمل ومن عمل علم والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والّا ارتحل عنه. وعنه(ع) لايقبل الله عملاً الّا بمعرفة ٍ ولامعرفة الّا بعمل ٍ فمن عرف دلّته المعرفة على العمل ومن لم يعمل فلامعرفة له؛ الا انّ الايمان بعضه من بعض ٍ. ومن هذا يعلم انّ العلم كما لا ينفكّ عن العمل لا ينفكّ عن الاشتداد والازدياد فى جانب الآخرة لانّ من عرف وادرك من الصّفات الالهيّة مايبتهج ويلتذّ بادراكه اشتاق الى ازدياد الادراك والابتهاج ومن اشتاق الى شيىء ٍ طلبه، ومن طلب شيئاً وجده، ومن عرف شيئاً من الرذائل اوالخصائل اشتدّ فراره عن الرّذائل وطلبه للخصائل، وكلّما ازداد فراره من الرّذائل واتّصافه بالخصائل ازداد استبصاره بآفاتها ولذّاتها، ومن عرف الامر الالهى وانّ امتثال امره و نهيه يزيد فى علومه العقليّة والنفسيّة امتثل، ومن امتثل ازداد علومه المذكورة وسيجيىء بسط وتحقيق لهذا المطلب فى سورة البقرة عند قوله تعالى ولبئس ماشروا به أنفسهم. وصاحب هذا العلم هو الّذى يكون ذاكأبة وحزن من عدم مراعاته لعلمه وعدم وصوله الى معلومه كمايريد فانّ هذا العالم يحزنه ترك الرّعاية كما انّ صاحب الجهل يعجبه حفظ الرّواية، ويكون ذاسهر اشتياقاً الى مطلوبه يعمل ويخشى وجلاً داعياً مشفقاً مقبلاً على شانه عارفاً بأهل زمانه مستوحشاً من اوثق اخوانه، متحيراً فى امره لتجاذب علمه وجهله، وهو الشكور الرّؤف الرّحيم الرّفيق الحليم الصّبور الخاشع الخاضع المتواضع المستسلم القنوع الغنىّ الودود البارّ الوصول الحىّ النّظيف الظّريف الطّريف **فاحذر يا اخى** من العالم العامل بغيره والزم العالم العامل بعلمه وكن متواضعاً له.

خاك شو مردان حق را زير پا   خاك بر فرق حسد كن هچو ما

الفصل الخامس

فى فضل قراءة القرآن وفضل التّوسّل به باىّ نحو كان

اعلم انّ القرآن كما سلف الاشارة اليه قرين العترة وهما الحبلان الممدودان من الله الى الخلق، وانّ التّوسّل بالعترة بأىّ نحو كان من الخدمة وقضاء الحاجة والتّوقير والمحبّة لهم والنّظر اليهم والجلوس عندهم والانس بهم والتأمّل فى شؤنهم والتدبّر فى افعالهم والاستماع الى اقوالهم وسماع اسمائهم ومناقبهم واحوالهم وتذكّر شمائلهم واوصافهم من غير عناد ٍ معهم عبادة بل كانت من اعظم العبادات ومن اسباب دخول الجنّات

كذلك النّظر الى سطور القرآن والاستماع الى حروفه وقراءة كلماته وكتابة سوره وآياته وتعظيمه وتوقير قاريه وتصوّر مفاهيمه وتدبّر معانيه والنّظر فى اشاراته والالتذاذ بلطائفه وامتثال اوامره ونواهيه والاعتبار بحكاياته وامثاله والّا تعاظ بمواعظه ونصائحه عبادة بل كانت من اعظم العبادات وكفى فى فضل التوسّل به قوله تعالى اذا قرء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلّكم ترحمون وعن علىّ بن الحسين (ع) وجعفر بن محمّد (ع) انّهما قالا من استمع حرفاً من كتاب الله تعالى من غير قراءة كتب الله تعالى له به حسنة و محا عنه سيّئة ورفع له درجة ، ومن قرء نظراً من غير صوت كتب الله له بكلّ حرف حسنة ومحا عنه سيّئة ورفع له درجة ، ومن تعلّم منه حرفاً ظاهراً كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيّئات ورفع له عشر درجات ؛ قال لااقول بكلّ آية ولكن بكلّ حرف ؛ باء اوياء اوشبههما قال ومن قرأ حرفاً وهو جالس فى صلوته كتب الله له خمسين حسنة ومحا عنه خمسين سيّئة ورفع له خمسين درجة . ومن قرأ حرفاً وهو قائم فى صلوته كتب الله له مائة حسنة ومحا عنه مائة سيّئة ورفع له مائة درجة ، ومن ختمه كانت له دعوة مستجابة مؤخّرة اومعجّلة . قال الرّاوى قلت جعلت فداك ختمه كلّه قال ختمه كلّه . واسحق بن عمّار عن ابى عبدالله (ع) قال قلت له جعلت فداك انّى احفظ القرآن عن ظهر قلبى فأقرأه عن ظهر قلبى افضل اوانظر فى المصحف فقال لى بل اقرأه وانظر فى المصحف فهو افضل اما علمت انّ النّظر فى المصحف عبادة . ونسب الى النّبىّ (ص) انّه قال افضل العبادات قراءة القرآن وعنه (ص) القرآن مأدبة الله تعالى فتعلّموا من مأدبته ما استطعتم ، انّ هذا القران حبل الله وهو النّور المبين والشّفاء النافع عصمة لمن تمسّك به ونجاة لمن تبعه لايعوجّ فيتقوّم ولايزيغ فيستعتب ، ولاتنقضى عجائبه ولايخلق عن كثرة الرّدّ فاتلوه فانّ الله يأجركم على تلاوته بكلّ حرف عشر حسنات ، اما انّى لااقول الم عشر ولكن اقول الف عشر ولام عشر وميم عشر . وعن ابى عبدالله (ع) انّ القرآن عهد الله الى خلقه فقد ينبغى للمرء المسلم ان ينظر فى عهده وان يقرأ فى كلّ يوم خمسين آية . وعن النّبى (ص) انّه قال نوّروا بيوتكم بتلاوة القرآن ولاتتّخذوها قبوراً كما فعلت اليهود والنّصارى صلّوا فى الكنائس والبيع وعطّلوا بيوتهم فانّ البيت اذا كثر فيه تلاوة القران كثر خيره واتّسع اهله وأضاء لاهل السّماء كما تضيئ نجوم السّماء لاهل الدّنيا . وعن السّجاد (ع) انّه قال ، قال رسول الله (ص) من اعطاه الله القرآن فرأى انّ احداً اعطى افضل ممّا أعطى فقد صغّر عظيماً وعظّم صغيراً .

الفصل السّادس
فى آداب القراءة وكيفيّتها ومراتب القُرّاء

اعلم انّ الكلام نحو ظهور للمتكلّم بشأنه الّذى هو فيه حين التّكلّم الاترى انّ الانسان حين الغضب لو اجهد نفسه فى اخفاء غضبه يظهر لامحالة غضبه فى كلامه ، وانّ كلام كلّ متكلّم مناسب لمقامه لالمقام السّامع ولذلك لايمكن للبشر من حيث بشريّته استماع كلام الملك اوالجنّ ولو سمع هلك اوجنّ اوغشى عليه اوتضرّر بوجه آخر، وانّ كلام الله تعالى لوظهر فى مقام اطلاقه لماقام له شئ من خلقه ولفنى الكلّ فى كلامه لكنّه تعالى لغاية رحمته وكمال رأفته لخلقه نزّل اسمائه وصفاته وكلامه من مقام الاطلاق وألبسها ألبسة التعيّنات فصارت فى مقام الارواح العالية موافقة لها ، وفى مقام الارواح المضافة مرافقة لها ، وفى مقام الاشباح العالية النّورية والسّافلة الظلمانيّة مطابقة لها ، وفى مقام الانسان ظاهرة بلباس الاصوات والعبارة والحروف والكتابة لتناسب اصماخهم وابصارهم كما اشار اليه المولوى بقوله :

خود طواف آنکه او شه بین بود	فوق قهرو لطف و کفرو دین بود
زان نیامد یک عبارت در جهان	بس نهانست و نهانست و نهان
زانکه این اسماء و الفاظ حمید	از گلابه آدمی آمد پدید
علّم الاسماء بد آدم را امام	لیک نی اندر لباس عین و لام
چون نهاد آن‌آب و گل برسر کلاه	گشت آن أسماء جانی رو سیاه
که نقاب حرف دم درخود کشید	تاشود بر آب و گل معنی پدید

فعلى هذا كان القران بنقوشه والفاظه ظهوراً للحقّ الاوّل تعالى بأسمائه وصفاته فى كلامه وخطابه رأفة بعباده وعليهم ان يعظّموه ويطهّروا ظواهرهم عند قراءته من الانجاس والاخباث وممّا لايرتضيه الانظار، وبواطنهم من الاحداث بالغسل والغسل اوالوضو اوالتيمّم ، ونفوسهم من الانانيّة الّتى هى ظهور الشّيطان ومختفى فضلاته بالتّواضع تحت كبرياء الرّحمن والخشوع تحت عظمته الظاهرة فى كلامه . وان يتحزّنوا لقراءته وسماعه ، ويرقّ نفوسهم عنده ويبكوا ويزيدوا خشوعاً، وقوله تعالى **لا يمسّه الّا المطهّرون** بالاخبار للاشعار بانّه لاينبغى مسيس نقوشه وحروفه الّا بطهارة الظّاهر من الاخباث والاحداث ، ولايمكن مسيس باطنه ومقصوده ولا الاتّصال بلطائفه وحقائقه ولا استفاضة علومه وبركاته الّا بطهارة الباطن من الرّذائل والارجاس والشّكوك والرّيبة والوسواس ، ومن العلوم العاديّة والعقائد العامّية التّقليديّة المأخوذة من النّاس . وقوله **انّ الّذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرّون للاذقان سجّداً ويقولون سبحان ربّنا ان كان وعد ربّنا لمفعولا ويخرّون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً** فى مقام المدح اشارة الى استحباب التّواضع والبكاء والخشوع عند القراءة والاستماع للقران وعن الصّادق(ع) انّه قال القران نزل بالحزن فاقرأوه بالحزن **وقال الفيض قدّس سرّه فى تفسير الصّافى وفى مصباح الشّريعة** عن الصّادق(ع) انّه قال ،(ع) قال النّبى(ص) لكلّ شيئ حلية وحلية القران الصّوت الحسن وعنه (ع) انّه قال من قرء القران ولم يخضع له ولم يرقّ عليه ولم يغش حزناً اووجلاً فى سرّه فقد استهان بعظم شأن الله وخسر خسراناً مبيناً فقارئ القران يحتاج الى ثلاثة اشياء قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خال؛ فاذ اخشع لله قلبه فرّ منه الشّيطان الرّجيم ، واذا تفرّغ نفسه من الاسباب تجرّد قلبه للقراءة فلايعترضه عارض فيحرمه نور القران وفوائده ، واذا اتّخذ مجلساً خالياً واعتزل من الخلق بعد ان اتى بالخصلتين الاوليين استأنس روحه وسرّه بالله ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصّالحين وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بقبول كراماته وبدائع اشاراته فاذاشرب كأساً من هذا المشرب فحينئذ لايختار على ذلك الحال حالاً وعلى ذلك الوقت وقتاً بل يؤثره على كلّ طاعة وعبادة لانّ فيه المناجاة مع الرّبّ بلاواسطة فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك ومنشور ولايتك، وكيف تجيب اوامره ونواهيه ، وكيف تمتثل حدوده فانّه كتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فرتّله ترتيلاً وقف عند وعده ووعيده وتفكّر فى امثاله ومواعظه واحذر ان تقع من اقامتك حروفه فى اضاعة حدوده . وعنه(ع) انّه قال والله لقد تجلّى الله لخلقه فى كلامه ولكن لايبصرون هذا ما اشير اليه فى الاخبار والايات . لكن نقول لمّا كان الانسان بمنطوق قوله تعالى **علّم ادم الاسماء كلّها** منطوياً فيه جميع مراتب الموجودات بالقوّة وله بحسب كلّ مرتبة اذا صارت فيه بالفعل حال وحكم و تكليف؛ كان له بحسب تلك المراتب احوال مختلفة تختلف احكامها ؛ وجملة المراتب منطوية فى الشّيطانية والرّحمانيّة والحالة المتوسّطة بينهما لانّه ان كان مسخّراً للشّيطان بحيث لم يبق فيه تصرّف الرّحمن كان مظهراً للشّيطان سواء كان الغالب

عليه البهيميّة بمراتبها اوالسبعيّة بمراتبها اوالشّيطنة بمراتبها اوالحالة الحاصلة من تركيبها بمراتبها وكان لسانه ويده وسمعه وبصره الات للشّيطان فكان لا يقرأ القران الّا بلسان الشّيطان وهواللّسان المضاف الى نفسه وانانيّته ولايكتب ولايسمع ولايبصر الّا بيد وسمع وبصر كذلك؛ وفي حقّ امثاله ورد قونه تعالى يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب و ما هو من الكتاب وقوله فويل للّذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عندالله و ما هو من عندالله يعنى انّ نقوش القرآن وان كانت امراً كلّياً تصدق على كلّ مكتوب منها عند من لاخبرة له بمبادى الافعال وكيفيّة صدق القرآن على مكتوب البنان لكنّها لاتصدق في نفس الامر وعند من ينظر الى مبادئ الافعال الّا على مكتوب يد منسوبة ومسخّرة للرّحمن ، لاعلى كلّ نقش مشاكل لنقش القرآن صادر من كلّ بنان سواء كانت مسخّرة للشيطان اوالرّحمن وهكذاالحال في قراءة ألفاظ القرآن فانّه لا يكون كلّ ملوىّ باللّسان مشابه للقرآن مصداقاً له في نفس الامر الّا اذاكان مقرّوا بلسان مضاف ومسخّر للرّحمن لابلسان مضاف الى نفس القارئ ومسخّر للشّيطان . وصاحب هذه الحالة حكم قراءته انّها لاتتجاوز حنجرته بل تكون وبالاً عليه وهكذا حكم كتابته واستماعه لايات القرآن وتكليفه التضرّع الى الله والسؤال منه ان يبصّره افات ما هو فيه والاستغفار من الله والتّوبة والانابة اليه ولامثاله قال الانبياء(ع) اوّل ما قالوا ياقوم استغفروا ربّكم ثمّ توبوا اليه وان كان متوسّطاً بين الرّحمانيّة والشّيطانية كان له بحسب غلبة كلّ من الحالين حال وحكم وتكليف . وبحسب استواء الحالين فيه له حكم آخر وصاحب هذه الحالة له عناء كثير وحزن طويل لايسكن الى مقتضياته الحيوانيّة فيلتذّ بها ولا يلتذّ بمقتضياته العقلانيّة فيطمئنّ اليها؛ وفي حقّه نزل يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون .

روزوشب درجنگ و اندر كشمكش كرده چاليش اوّلش با آخرش

وقد يغلب عليه الجهل والشيطانيّة فيلتحق في قرائته واستماعه بالصّنف الاوّل ، وقد يغلب عليه الرحمانيّة فيلتحق بالصّنف الاتى وقد يبقى فيه اثر من الشّيطان والرّحمن ، فيكون مشركا في قرائته كرجل فيه شركاء متشاكسون وان كان مسخّراً للرّحمن بحيث لم يبق الانانيّة وللشّيطان في عباداته مداخلة بل يكون عباداته بامره تعالى او بفعله تعالى بحيث لايكون الفاعل في وجوده الّا الله تعالى ؛ كان لهذا الصّنف من المسخّر لله تعالى مراتب ودرجات لانّ منهم من هو محجوب عن الله وعن ملائكته وخلفائه ناظر الى امره الّذى وصل اليه بتوسّط خلفائه فاعل لفعله بامره تعالى لابامر نفسه فهو يرى الفعل من نفسه والفاعل نفسه لكن يرى نفسه مسخّرة لامر الله تعالى لالانانيّة وللشّيطان ، وكذلك اعضاؤه تكون مسخّرة لامر الله وان كان يرى اضافتها الى نفسه فهى من حيث الفعل مضافة الى امر الله لا الى نفسه فلا يكون هذا القارى ممّن يلوى الكتاب بلسانه بل بلسان امر الله وهكذا حال النّاظر والمستمع والكاتب للكتاب ، لكن ليس شانه في القرائة الّا حكاية قول الله الصّادر من لسان الرّسول(ص) ، فهو في قرائته حاك عن الرّسول(ص) اوعن جبرئيل اوعن الله ان لم يكن له التفات الى وساطة الرّسول(ص) . ومنهم من يكون من اهل الشّهود لكن لم يتجاوز شهوده عن مشاهدة خلفاء الله تعالى وملائكته وهذا ان لم يبلغ شهوده الى مقام الحلول او بلغ لكن لم يبلغ حلول الحالّ الى نحو اتّحاد مع المحلّ ، كان مثل سابقه يرى الفعل من نفسه المسخّرة للمشهود وحكمه مثل حكم سابقه ، والفرق بينه وبين سابقه انّ المشهود ان كان هو الرّسول (ص) او خليفته (ع) اوملكاً من الملائكة كان القارى حينئذٍ حاكياً لقول الرّسول اوقول الله وقارياً له على مشهوده لحضوره عند مشهوده ولسانه من حيث القرائة لسان امر الله اوامر مشهوده ان كان المشهود امراً له بالقرائة وان

بلغ المشهود فى الحلول الى نحو اتّحاد مع الشّاهد كان لسان القارى حينئذٍ لسان المشهود وان كان ينسب الى نفسه ايضاً لكنّ انتسابه الى نفسه عين انتسابه الى المشهود وهكذا سمعه وبصره ويده وهذا القارى قد يرى القرائة من نفسه لبقاء نفسيّة له وقد يراها من المشهود وقد يريها من مبدء هو نفسه ومشهوده ، وهكذا الحال فى نفس رؤيته القراءة ورؤيته مشهوده وفى سماعه القراءة وفى حقّ هذا الاتّحاد واواخر مراتب الحلول قيل بالفارسيّه :

از صفاى مى و لطافت جام — درهم آميخت رنگ جام ومدام

همه جام است ونيست گوئى مى — يامدام است ونيست گوئى جام

وللاشارة الى مراتب الحلول قيل :

انامن اهوى ومن اهوى انا — نحن روحان حللنا بدنا

وللاشارة الى مراتب الاتّحاد قيل :

من كيم ليلى و ليلى كيست من — ما يكى روحيم اندر دو بدن

وسيجيئ تحقيق مقام الحلول والاتّحاد والوحدة انشاءالله وقد يترقّى السّالك من مقام التعيّنات ويشاهد فعل الحقّ اى مقام المشيّة مطلقاً من جملة التعيّنات خارجاً عن وجوده اوحالاّ فى ملكه اومتّحداً معه فيظنّ انّ الفعل هوالله فيجرى عليه كلّ الاحوال التّى ذكرت حين مشاهدة الرّسول اوالملك ، فيظنّ القارى انّه يقرأ على الله اويسمع من الله وانّ القارى هوالله وقد يترقّى عن رؤية نفسه فى البين فلايرى الّا المشهود سواء كان المشهود هوالرّسول (ص) اوالحقّ المضاف وحينئذٍ يكون القارى والسّامع والنّاظر والكاتب هوالمشهود وهذا هومقام الوحدة المشهودة لبعض السّلاك التّى لايجوز التّفوّه بها بعد الافاقة وظهور الكثرات وهذه هى الوحدة الممنوعة والى هذا المقام اشار الشّيخ رحمةالله عليه بقوله :

حلول و اتحاد اينجا محال است — كه در وحدت دوئى عين ضلال است

وقيل فى حقّه .

آنجا كه توئى چو من نباشد — كس محرم اين سخن نباشد

فينبغى للقارئ المسخّر للشّيطان ان يجهد نفسه فى الخروج من تسخير الشّيطان حتّى لايصير بتعبير قوله تعالى يلوون السنتهم بالكتاب (الاية) مردوداً من باب الرّحمن ، ولذلك امرالله العباد بالاستعاذة من الشّيطان حين قراءة القرآن حتّى لايصير لسانهم لسان الشّيطان وللقارئ الحاكى ان يتعب نفسه حتّى يخرج من غيبته ويشاهد المحكيّ منه ، وللمشاهد ان يعانى فى الخروج من محض المشاهدة حتّى يدخل المشهود فى وجوده ويصير حالاًّ فيه ، ولمن دخل فيه المشهود ان يبالغ فى الخروج من الحلول الى الاتّحاد ، وللمتّحد ان يلتذّ حتّى يبقى المشهود وحده ولايبقى غيره ، وهذا آخر مراتب السّلوك الى الله وهذا احد وجوه ماورد فى اخبار كثيرة انّه يقال للقارئ القرآن يوم القيامة اقرأ وارق ، لانّه ينبغى ان يكون القيامة بانموذجها حاضرة للسّالك ، ونسب الى الصادق (ع) انّه لحقه الغشى فى الصّلوة فسئل عنه (ع) فقال : مازلت اردّد الاية على قلبى وعلى سمعى حتّى سمعتها من المتكلّم بها فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته ، وللتنبيه على انّه ينبغى ان يجاهد القارى حتّى يصير لسانه لسان الله وردالامر بالتلبية حين قراءة يا ايّها الّذين آمنوا اجابة لندائه تعالى بتصوّر استماعه من الله ، وأمرالله بالاستعاذة حين القراءة وورد : كذلك الله ربّى ، حين قراءة سورة التّوحيد .

الفصل السّابع

فى جوازتفسير آيات القرآن وأخبار المعصومين عليهم السلام والنّظرفيها والتأمّل فى مفاهيمها والتّفكّر فى معانيها والمراد بها والتّدبّر فى مقاصدها والغايات المؤوّل اليها واستعلام تنزيلها واستنباط تأويلها بقدر استعداد المفسّر النّاظر

اعلم انّ الايات والاخبار الدالّة على مدح التّدبّر فى القرآن وذمّ ترك التدبّر ولزوم التوسّل به ولزوم جعله اماماً واتّباع أحكامه والاستنارة بنوره والاستضاءة بضيائه وانّه المنجى حين التباس الفتن ، وانّه شفاءٌ عن داء الجهل ، وانّ فيه دليل الامامة وحجّة الائمّة . وانّه لاتنقضى عجائبه ولاتبلى غرائبه ، وانّه دليلٌ على المعرفة لمن عرف الصّفة . وانّه الدّليل على خيرسبيل ، وانّ فيه مصابيح الهدى ومنارالحكمة ، وانّه ينبغى ان يجلوجال بصره ويبلغ الصّفة نظره ، وانّ من التمس الهدى فى غيره اضلّه الله ولايشبع عنه العلماء ، وانّ من قال به صدق ، ومن عمل به اجر ، ومن اعتصم به فقد هدى الى صراطٍ مستقيمٍ ، وانّه هدىً من الضّلالة وتبيانٌ من العمى واستقالة من العثرة ونورمن الظّلمة ورشد من الغواية وبيان من الفتن ، وانّ من جعله امامه الّذى يقتدى به ومعوّله الّذى ينتهى اليه ادّاه الله الى جنّات النّعيم ؛ كثيرة ، وكلّها دالّات على جواز النّظر فى آيات القرآن والتأمّل فى معانيها وتفسيرها وامتثال أوامرها ونواهيها والاعتبار بقصصها وامثالها واستنباط اشاراتها واستبطان بطونها ولطائفها لمن كان اهلاً لها . وخطابات الله للنّاس عامّة اوخاصّة تدلّ على جوازالنّظروالتأمّل لمن يخاطب بتلك الخطابات، فمنع بعض من النّظر فى الايات وبيان معانيها وتفسيرها ؛ لايصغى اليه بعدماذكر، ولمّا كان القرآن والاخبار عبارة عن العبارات الدّالّة على مفاهيمها العرفيّة المراد بها المقاصد المخصوصة المشاربها الى لطائفها وحقائقها وكان تفسير الايات والاخبار عبارة عن ابانة مفاهيم ألفاظها وكشف الغطاء عن مقاصدها والاشارة الى اشاراتها والايماء الى لطائفها الّتى اتّصف المفسّر بها والتّنبيه على حقائقها والتّصريح بتنزيلها والتّلويح الى تأويلها لانّ الفسر والتّفسير بمعنى الابانة ، والابانة فى كلّ شيىءٍ تكون بحسبه كان المفسّر محتاجاً الى علم لغة العرب وعلم اعرابها وهيئاتها واشتقاقها، وعلم البلاغة والمحسّنات الطارية للكلام المذكورة فى صناعة البديع، والاطّلاع على الاخبار الواردة فى تفسير الآيات ، والى علم العقائد العقليّة الاصليّة ، والاخلاق النفسيّة الفرضيّة ، والاحكام الجسميّة الفرعيّة ، والعلم بمقاصدها ومعرفة اشاراتها . والى الاتّصاف بلطائفها المشعر بامكان التحقّق بحقائقها، والى العلم بتنزيلها ومعرفة تأويلها بقدر مرتبته ، والى العلم بالمحكم والمتشابه والنّاسخ والمنسوخ والعامّ والخاصّ **لانّه ان لم يعلم** العلوم الادبيّة كان كثير الخطاء فى بيان المفاهيم والمقاصد ، **وان لم يطّلع** على ماورد فى تفسير الايات من الاخبار كان كثير الخطاء فى بيان التّنزيل والتأويل ، **وان لم يعلم** العلوم الدينيّة كان كثير الخطاء فى بيان المتشابهات والمجملات، **وان لم يعرف** الاشارات ولم يجد اللطائف فى وجوده كان تفسيره ناقصاً بل تفسيراً بالرّأى الّذى كان تمامه خطاء ، وهكذا الحال فى معرفة التأويل ، **وان لم يعلم** المحكم من المتشابه والنّاسخ من المنسوخ والعامّ من الخاصّ لم يكن على يقينٍ فى بيانه وكان كثير الخطاء فيما بيّنه .

الفصل الثّامن

فى الفرق بين الظهر والبطن والتنزيل والتأويل والمحكم والمتشابه والنّاسخ والمنسوخ والعامّ والخاصّ

اعلم انّ القران كلام الحقّ الاوّل تعالى وقد ظهر اوّل ماظهر مطلقاً عن جميع التعيّنات الامكانيّة وبهذا الاعتبار يسمّى بنفس الرّحمن، ولجوازاتّصافه بجميع التعيّنات لكونه لابشرط شيئ ولابشرط لاشيئ يسمّى باضافته الاشراقيّة وبمقام كن، ولظهورالغيب به بنحوالاجمال والبساطة مثل ظهورمافى الصّدور فى الكلمات يسمّى بكلمته، ولاشتماله على جميع الوجودات الامكانيّة بنحواشرف واعلى يسمّى بالقرآن وبجمع الجمع، ولكونه اعلى مقامات محمّد(ص) الّذى هوآخر فعليّاته الّتى هو بها هويسمّى بالحقيقة المحمّديّة، ولذلك كان خلقه القرآن، ولمّا كان القرآن باطلاقه وكلام الله فى اوّل ظهورلايقوم لسماعه السّموات والسّماويّات ولا الارض والارضيّات انزله تعالى عن مقام اطلاقه وحجبه بحجب التعيّنات العقليّة بمراتبها فصار العقول بفعليّاتها ووجوداتها مصاديق القرآن ثم انزله وحجبه بحجب التعيّنات النفسيّه فصارت النّفوس بفعليّاتها مصاديق له ثم انزله وحجبه بحجب التعيّنات المقداريّة النّورية فصارعالم المثال بمراتبها مصاديق له، ثم نزّله وحجبه بحجب التعيّنات الطّبيعيّة فصارت الاجسام الطّبيعيّة مصاديق له، ثمّ نزّله الى انزل مراتب الوجود والبسه لباس الصّوت والحروف والكتابة والنّقوش حتّى يطيقه الاذان والابصار البشريّة فصارت الحروف والنّقوش مصاديق له، ولكون جميع مراتب الوجود مصاديق للقرآن ضارتبياناً لكلّ شيئ ولارطب ولايابس الّا كان فيه، اذاعرفت ذلك فاعلم انّ مصاديقه المحسوسة الطّبيعيّة ظهوره ومصاديقه الرّوحانيّة بطونه، وباعتبار تعدّد المراتب الرّوحانيّة كلّياتها وجزئيّاتها ذكرتعدّد البطون فى الاخبار الى سبعين الفاً، ولمّا كان المنزل فيه لكلّ اية وامثال المنزل فيه جميعاً مصاديقها وكان المنزل فيه اظهرمصاديقها ورد انّ لكلّ ظهرظهراً، ولمّا كان كلّ مرتبة من الرّوحانيات بالنّسبة الى دانيتها بطناً ورد انّ لكلّ بطن بطناً، وتنزيل القرآن ان كان بمعناه المصدرى كان عبارة عن جعله صادقاً على المصاديق الطّبيعيّة، وان كان بمعنى المنزل فيه كان عبارة عن نفس تلك المصاديق، وتأويله عبارة عن ارجاعه الى المصاديق الرّوحانيّة اوعن نفس تلك المصاديق ولمروره على تلك المصاديق حين النّزول سمّى جعله صادقاً عليها ارجاعاً، وماورد فى بعض الاخبارمن تسمية بعض المصاديق الطّبيعيّة تأويلاً اشارة الى انّ تعميم الاية للمنزل فيه المخصوص ولامثاله الّتى تأتى بعد زمان النّزول لايكون الّا بارجاعها عن خصوصيّات الشّخص المنزل فيه الى معنى كلّى يصدق على المنزل فيه وعلى امثاله، وهكذا الحال فى تسمية المصاديق الطّبيعيّة الّتى هى غير المنزل فيه بطناً و للاشارة الى تفسير التّنزيل والتّأويل ورد انّ تفسير القرآن لايجوز الّا بالنصّ الصّريح والاثرالصّحيح يعنى انّ معرفة التّنزيل من القرآن محتاجة الى بيان من نزل القرآن فى بيوتهم، ومعرفة تأويله محتاجة الى ان يدرك الانسان انموذجات المصاديق الرّوحانيّة فى وجوده الّتى هى آثارالمصاديق الرّوحانيّة اوالمقصود انّ بيان التّنزيل والتّأويل لايجوز الّا بواحد منهما اوبكليهما يعنى لايجوز التّفسيرالّا بالقاء السّمع والتّقليد المحض اوبالتحقّق بوجدان الاثارفى القلب وباعتبار المصاديق الطّبيعيّة والرّوحانيّة وانموذجاتها فى وجود الانسان ورد عن الصّادق(ع) انّ كتاب الله على اربعة اشياء العبارة والاشارة واللّطائف والحقائق؛ فالعبارة للعوامّ، والاشارة للخواصّ، واللّطائف للاولياء(ع)، والحقائق للانبياء(ع) فالعبارة عبارة عن العبارات والنّقوش الدّالّة على المفاهيم العرفيّة الصّادقة على المصاديق الحسّية

الطّبيعيّة وهذه المرتبة للعوامّ الّذين لايتجاوز ادراكهم عن المحسوسات بمعنى انّ العوام محصورادراكهم على هذه المرتبة اوهذه المرتبة بشرط عدم انضمام الاشارات اليها مختصّة بهم والّا فصاحبوا المراتب الاخر يشاركونهم فيادراك هذه المرتبة ويمتازون عنهم بادراك المراتب الاخر، والاشارة عبارة عن دلالة المصاديق الحسّيّة واشاراتها الى المصاديق الرّوحانيّة واللّطائف الحاصلة في وجود المدرك؛ولا يدرك هذه المرتبة من القران الّا الخواصّ الّذين توجّهوا الى الاخرة واشتغلوا بأنفسهم فتذكّروا النّشأة الاخرى من النّشأة الاولى؛وموجودات العالم الصّغيرمن العالم الكبير، واللّطائف عبارة عن الرّقائق الّتي يجدها الانسان فيوجوده من انموذجات مصاديق العالم الكبيروهذه المرتبة لاولياء الله الّذين كان لهم قلب من حيث ولايتهم ، والحقائق عبارة عن مصاديق القرآن تماماً وهذه المرتبة لمن تحقّق بها اوشاهدها وعاينها وهم الانبياء من حيث نبوّتهم اوالاولياء(ع) من حيث خلافتهم للانبياء(ع) فانّ الولّي من حيث ولايته لاتوجّه له الى الكثرات حتّى يتحقّق بها اويشاهدها وامّا من حيث خلافته فله شأن النّبي فيالتّوجّه الى الكثرات والتحقّق بها ومشاهدتها ، وكلّ من له المرتبة العليا فلهالمرتبة الدّانية دونالعكس ، فصاحبالحقائق كان صاحباللّطائف والاشارات والعبارات اوّلاً ثمّ صار صاحب الحقائق ثانياً فقوله تعالى اطيعوا الرّسول لفظ الرّسول(ص)ونقشه المكتوب الدّالان على انسان مخصوص مرسل منالله عبارته ، والرّسول الهاشمي الّذي هوالمنزل فيه وكلّ من كان مثله تنزيله وظهره ، وهذاالرّسول المنزل فيه ظهرظهره والتّنزيل منحصرفيه بوجه ، ومن كان مثله من افراد البشرتأويله بوجه كما انّه بطنه بوجه كما سبق ، والامر بطاعة محمّد(ص) بايقاع اسم الرّسول عليه واطلاق اسم الرّسول عليه يدّلان على انّ فيه معنى منالله به استحقّ وجوب اطاعة النّاس له ويدّلان على انّ كلّ من كان فيه هذاالمعنى سواءكان فيالعالم الكبير اوفيالعالم الصّغيروسواءكان في عالمالطّبع اوفيعالمالارواح كان طاعته واجبة وهذه الدّلالة هي اشارة الكتاب ، ومن هذه الدّلالة ينتقل من كان له قلب وسعة في وجوده الى اهل مملكته وانّ فيهم من فيه هذا المعنى كالعقل الّذي هورسول منالله وكمثال الرّسول المتمثّل عنده الّذي فيه ايضاً هذا المعنى ويجد في وجوده وجوب طاعة العقل والرّسول المتمثّل امّا بصريح الامر اوبعدم امكان تخلّفه وهذه الّتي يجدها في وجوده هي لطائف الرّسول والامر بطاعته وحقائق الرّسول والامربطاعته ، وطاعته في عالم المثال وعالمالنّفوس وعالمالعقول وعالمالاسماء حقائقها وتأويلها وبطنها وبطنبطنها ، وكلّ من هذه المعانيوالمراتب منحيث نفسه يسمّى حدّاً للاية ولحروفالقرآن ، ومن حيث كونه دالّا على معنى فوقه يسمّى مطّلعاً ، والمحكم فيالقرآن هوالّذي يكون محكم التّعلّق بحيث لايزول عمّن تعلّق به ولايخرج من تعلّقه احد ، والمتشابه هو الّذي يكون متشابه المتعلّق بمعنى انّ متعلّقه يشبه متعلّق الاية الاخرى اويشتبه ويلتبس علىالنّاظرفيه والجاهل لمتعلّقه لاعتبارخصوصيّة من خصوصيّات الافراد اوالاحوال في تعلّقه فلايكون عامّ التعلّق ولامحكم التعلّق بحيث لا يزول عمّن تعلّق به فانّ قوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ليس لكلّ مكلّف و ليس لمن تعلّق به فيكلّ الاحوال بل اذاكان الانسان في جهنّام النّفس ولايمكنه العفو عمّن ظلمه امّا من يمكنه العفو عن المسيئ و من خرج من جهنّام النّفس و صار بحال يمكنه العفو عمّن ظلمه فليس له هذا الحكم و هذا مامعنى ورد انّ المحكم مايعمل به والمتشابه ما اشتبه على جاهله ، ومعنى ماورد انّ المحكم مايعمل به والمتشابه الّذي يشبه بعضه بعضاً ، و معنى ما ورد فامّا المحكم فنؤمن به ونعمل به وندين به ، وامّا المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به يعني انّا قدارتفعنا عن مقام المتشابه وطرّوا الحالات فما تعلّق بنالايزول فكان محكماً و ما تشابه لايتعلّق بنافنؤمن به ولانعمل به ، وللمحكم والمتشابه معنى أخروهوالّذي احكم دلالته بحيث لايتطرّق الاحتمال

والاشتباه اليه والّذى اشتبه دلالته على مقصوده بدلالته على غير مقصوده واشير الى كلّ فى الاخبار و سيجيئ تحقيق تامّ وتفصيل اتمّ للمحكم والمتشابه عند قوله تعالى منه ايات محكمات هنّ امّ الكتاب الاية فى سورة ال عمران. **والنّاسخ** بالنّسخ الكلّى فى القرآن هو الاية الّتى نسخت حكماً ثابتاً فى شريعة اخرى او فى هذه الشّريعة، **والمنسوخ** هو الاية الّتى نسخ حكمها الثّابت فى الشّريعة والنّاسخ بالنّسخ الجزئى هو الاية الّتى تعلّق حكمها بشخص ورفعت عنه حكماً آخر والمنسوخ بهذا النّسخ هو الاية الّتى نسخ حكمها عن هذا الشخص ، ويقال النّاسخ للّتى تعلّقت بشخص والمنسوخ للّتى لم تتعلق بهذا الشّخص ، فالنّاسخ بالنّسخ الجزئى لايكون الّا فى المتشابهات وسيجيئ تحقيق واف للنّسخ فى سورة البقرة عند قوله ما ننسخ من اية ،الاية، **والعامّ** هو الاية الّتى يكون حكمها عامّاً لجميع الاشخاص وجميع الاحوال **والخاصّ** هو الاية الّتى يكون حكمها خاصّاً بشخص دون شخص و بحال دون حال فالعامّ والمحكم باحد معانيه واحد وكذا الخاصّ والمتشابه ولايعرف النّاسخ والمنسوخ ولاالعامّ والخاصّ بهذا المعنى الّا الخواصّ من اولياء الله(ع) لانّ مصاديق الخاصّات من الايات والمتشابهات منها والنّاسخات والمنسوخات بهذا المعنى متشابهات ولايمكن معرفتها الا ببصيرة من الله .

الفصل التّاسع

فى تحقيق التّفسير بالرّأى الّذى ورد حرمته ومذمّته فى الاخبار

فعن النّبى(ص) انّه قال : من فسّر القران برأيه فاصاب الحقّ فقد اخطأ وعنه(ص)، من فسّر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النّار، وعن ابى عبدالله(ع) من فسّر القرآن برأيه ان اصاب لم يوجر وان اخطأ **فهو أبعد** من السّماء ، وعنه(ع) ماضرب رجل القران بعضه ببعض الّا كفر .

اعلم انّ الانسان كما سبق واقع بين دارى الرّحمن والشّيطان والعقل والجهل والنّور والظلمة فان ظهر بفعليّته المنسوبة الى الشّيطان وهى الفعليّة المنسوبة الى نفسه بظهور انانيّته صار تمام اعضائه ومداركه الات للشّيطان ولنفسه لا للرّحمن ولعقله وكان جملة افعاله وفعليّاته للشّيطان وكان جميع ادراكاته جهالات واسباباً لتمكّن الشّيطان منه والبعد من الرّحمن ، **والخطاء** فعل اوادراك يكون بتصرف الشّيطان ويصير سبباً لتمكّنه فى الانسان فالانسان الّذى ظهر بفعليّة الشّيطان كلّما ادرك من القرآن كان ادراكاته جهالات الشّيطان وان كان موافقاً لمقصود القرآن وان بيّن وفسّر القرآن كان بتحريك الشّيطان فكان خطاء وان كان موافقاً وكان تفسيره برأى منسوب اليه لانّ صاحب هذه الفعليّة لايرى الافعال والادراكات الّا من نفسه بظهوره بانانيّته فصحّ ان من فسّر القرآن برأى منسوب الى نفسه وانانيّته فان اصاب الحقّ فقد اخطأ وليتبوّء مقعده من النّار وان اصاب لم يوجر وان ظهر بفعليّته المنسوبة الى العقل وهى فعليّة الرّحمن صار كلّ اعضائه ومداركه الات للعقل والرّحمن وكان جميع افعاله وفعليّاته للرّحمن وكان جملة ادراكاته علوماً ونوراً وباعثاً لضعف الانانيّة ، واذا نسبت اليهم كان نسبتها اليهم نسبة الى العقل لانّ نفسيتهم حينئذ تكون مسخّرة للعقل لا للشّيطان ولاتكون انانيّة لهم ، وكلّما نسب الى العقل فعلاً كان اوادراكاً كان صواباً ولو لم يكن موافقاً فانّ العقل خطاءه صواب بحكم المضادة مع الشّيطان والجهل ولصاحب هذه الفعليّة ورد مانقل انّ المصيب له اجران والمخطئ له اجر واحد وفى حق صاحب الفعليّة الشّيطانية قيل بالفارسية .

« هرچه گيرد علّتى علّت شود »

فانّ الفعليّةالشّيطانيّة مرض فوق جميع الامراض حتّى قيل انّه داء عياءٌ وفى حقّ صاحب الفعليّة العقلانيّة قيل بالفارسية :

« كفر گيرد ملّتى ملّت شود »

لانّ صاحب الفعليّة العقلانيّة لايكون الّا مؤمناً بالولاية بايعاً مع وليّ امره ولايكون سيرة هذا المؤمن الّا الالٰهيّة والسّيرة الالٰهيّة اذاكانت بتصرّف العقل كانت ملّة والمخطئ من الملّى مصاب وله اجرولذلك ورد عن الصّادق(ع) انّ الله جعل ولايتنا اهل البيت قطب القران وقطب جميع الكتب وعليها يستدير محكم القران وبها نوّهت الكتب ويستبين الايمان . وقد امر رسول الله (ص) ان يقتدى بالقرآن وآل محمّد(ص) الحديث وللاشارة الى الفعليّتين واثارهما قيل بالفارسيّة :

گفت پيغمبر كه احمق هركه هست	او عدوّ ما و غول ره زنست
هركه او عاقل بود او جان ماست	روح او و ريح او ريحان ماست
عقل دشنامم دهد من راضيم	زانكه فيضى دارد از فيّاضيم
احمق ار حلوا نهد اندر لبم	من ازآن حلواى او اندر تبم

مثال ذلك انّ العامل بالتّقيّة كان مصاباً ولو لم يكن عمله موافقاً لحكم الله فى نفس الامر والتّارك للتّقيّة مخطئٌ ولوكان عمله موافقاً والمأذون من الهنود والقلندرية فى الدّعاء والمنطريّات يؤثّر قوله ولوقرء مغلوطاً وغيرالمأذون لايؤثّر قوله ولوقرء صحيحاً فالّلازم للمفسّر بعد تحصيل المقدّمات الّتى ذكرت فى الفصول السّابقة ان يفرّ من الشّيطان ويدخل تحت حكم الرّحمن ويسلّم نفسه لامره تعالى ، فان فسّر بهذه الحالة كان تفسيره حقّاً وصواباً وحكمةً ونوراً رزقنا الله وجميع المؤمنين هذه الحال .

الفصل العاشر

فى انّ علم القران بتمام مراتبه منحصر فى محمّد ﷺ واوصيائه الاثنى عشر وليس لغيرهم الّا بقدر مقامه

قد مضى انّ بطون القران وحقائقه كثيرة متعدّدة وانّ بطنه الاعلى وحقيقته العليا هو محمّديّة محمّد(ص) وعلويّة علىّ(ع) وهو مقام المشيّة الّتى هى فوق الامكان وكلّ نبىّ ووصىّ كان لايتجاوز مقامه الامكان سوى محمّد(ص) واوصيائه ومن لم يبلغ الى مقام المشيّة لايعلم مافيه ولايبيّن من ذلك المقام شيئاً لانّ المفسّر لايتجاوز فى تفسيره حدّ نفسه فكلّ من علم من القرآن شيئاً اوفسّر منه شيئاً وان بلغ مابلغ من المقامات لايكون علمه وتفسيره بالنّسبة الى علم القران الّا كقطرة من بحر محيط فانّ حقيقة القران الّتى هى حقيقة محمّد(ص)وعلىّ(ع) هى مقام الاطلاق الّذى لانهاية له ، والممكن وان كان اشرف الممكنات الّذى هوالعقل الكلّى يكون محدوداً ولايتصوّرالنّسبة بين المحدود وغيرالمتناهى الغيرالمحدود فعلم كلّ عالم ومفسّر للقرآن بالنّسبة الى علم القرآن كقطرة الى البحار ، ولمّا كان مقام محمّد(ص)وعلىّ(ع)واولاده المعصومين عليهم السّلام مقام المشيّة كان علم القرآن كلّه عندهم وكان علىّ(ع) هو من عنده علم الكتاب كما فى الاية باضافة العلم الى الكتاب المفيد للاستغراق وكان آصف (ع) هوالّذى عنده علم من الكتاب وكان ابرهيم(ع) ابتلاه ربّه بكلمات معدودة لابجملة الكلمات مع انّه كان اكمل الانبياء بعد نبيّنا (ص) وكان محمّد(ص) يؤمن بالله وكلماته جميعاً كما فى قوله تعالى فامنوا بالله ورسوله النّبى الامّىّ الّذى يؤمن بالله وكلماته؛ فانّ الكلمات جمع مضاف

مفيد للاستغراق وليس المراد به الايمان الاجمالى والّا لشاركه غيره فيه بل الايمان التّفصيلى والايمان التّفصيلى لايكون الّا بادراك المؤمن به شهوداً وعياناً .

الفصل الحادى عشر
فى تحقيق انّ القرآن ذووجوه

روى عن النّبى(ص) انّه قال انّ القران ذلول ذووجوه فاحملوه على احسن الوجوه . وهذا الخبر كالقرآن ذووجوه وهو مراد بكلّ الوجوه فانّ القرآن يجوز ان يكون ذاوجوه بحسب موادّ الفاظه اوهيئاتها وتصريفها اواعرابها وتركيبها وسيجيئ تحقيق ذلك فى الفصل الاتى . ويجوز ان يكون ذاوجوه بحسب دلالة الفاظه ومصاديقها ، وهذه الدّلالة وكثرة المصاديق امّا ان تكون فى الطّول بمعنى انّ كلّ لفظ من القرآن يدلّ على مفهوم واحد له مصاديق بحسب النشآت الطوليّة يكون كلّ عال من المصاديق مع الدّانى بمنزلة الرّوح والجسد ومتّحداً معه اتّحاد الرّوح مع الجسد وهذا هو معنى التّنزيل والتّأويل والظهروالبطن ، وقد مضى انّ القرآن له مصاديق متّعددة بحسب النشآت وانّ مصاديقه الطبيعيّة ظهوره وتنزيله . ومصاديقه الرّوحانية بطونه وتأويله . فهذا الوجه جارفى القرآن ومراد من هذاالخبر ، وامّا ان تكون فى العرض بمعنى انّ كلاً من المصاديق يكون مغايراً للاخر ومقابلاً له لامتّحداً معه وروحاً له مثل لفظ يزكّى فى قوله تعالى بل الله يزكّى من يشاء فانّه يجوز ان يكون بمعنى ينمى ويطهّر ويخرج الزّكوة وينعّم ويظهرالنّماء اوالطّهارة اوالتّنعّم ، والقرآن يكون ذاوجوه بهذا المعنى ايضاً فانّه ورد فى الاخبار تفسير الايات بالمعانى المتخالفة المتغايرة بل المتضادّة مثل تفسير الامانة فى قوله تعالى انّا عرضنا الامانة على السّموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان فانّها فسّرت بمطلق التّكليف وبالصّلوة مخصوصة وبالولاية وبخلافة علىّبن ابى‌طالب(ع) وبالخلافة الظاهريّة وبشهادة الحسين‌بن علىّبن ابى‌طالب(ع) ولاشكّ انّ الخلافة الظاهريّة والوصاية مغايرتان معاً وهما مغايرتان للشّهادة والكلّ مغايرة للتّكليف والصّلوة . ولاشكّ انّ الكلّ كانت مندرجة فى لفظ الامانة حين نزوله على محمّد(ص) والّا لزم ان يكون تفسيرهم(ع) بغيرماكان مندرجاً فى اللّفظ مراداً منه ولا امتناع من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى من اندراج المعانى العديدة فى اللّفظ الواحد وسعة المخاطِب والمخاطَب واحاطتهما بجميع المعانى المحتملة وجواز اندراجها بالقوّة فى اللّفظ الواحد تجوّز لحاظ الجميع فيه وهذا الاندراج بنحو عموم الاشتراك اوعموم المجاز اودخول الجزئيّات فى المفهوم الكلّى اوبنحو لحاظ الصّور العديدة فى المرآة الواحدة من غيراعتبار معنى كلّىّ بنحو عموم الاشتراك والمجاز اوبنحو الوضع للمعنى الكلّى فانّ اللّفظ اذا صحّ اطلاقه على معان عديدة بنحوالحقيقة والمجاز اوبنحو الاشتراك اللّفظى اوالاشتراك المعنوىّ جاز للمحيط ان يلاحظ فى اللّفظ جميع تلك المعانى بالفعل من غير اعتبار معنى كلّى فيه اوّلاً ثمّ اعتبار تلك المعانى نعم لايمكن للنّاقص اعتبار معان عديدة متناهية او غير متناهية بالفعل فى لفظ واحد من غير اعتبار معنى كلّى يكون هو مناط اعتبار تلك الجزئيّات بل يعتبرمعنى كلّياً بالفعل يكون تلك الجزئيات معتبرة فيه بالقوّةلابالفعل والاخبارالمشيرة الى سعة وجوه القرآن كثيرة مثل ماروى عن النّبىّ(ص) بطريق العامّة انّ القرآن نزل على سبعة احرف كلّهاكاف شاف ، وهذا الخبر كمايجوز حمله على ماروى عنه(ص) ايضاً انّه قال نزل القرآن على سبعة احرف امروزجروترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل ، وماروى فى رواية اخرى انّه قال : زجروامروحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال ، من جعل الاحرف عبارة من اقسام

الايات يجوزان يحمل على سعة الوجوه فيالّلفظ باعتبار اللغات اوباعتبار القراءات ويجوز ان يحمل على سعة الوجوه باعتبار المعانى المتعدّدة طولاً اوعرضاً وعن الصّادق(ع) انّه قيل له انّ الاحاديث تختلف منكم فقال انّ القران نزل على سبعة احرف وادنى ماللامام ان يفتى على سبعة وجوه ثمّ قال هذا عطاؤنا فامنن اوامسك بغير حساب ، وفى هذاالخبر اشعارٌ بانّ المراد بالاحرف الوجوه المعتبرة فيالمعنى بحسب العرض وانّها اكثر من سبعة وادناها السّبعة وان كان يجوزان يراد به الوجوه اللّفظية اوالمعنوية الطّولية ، ويجوزان يراد به الوجوه التّكليفية من الوجوب والاستحباب والاباحة والكراهة والحرمة والصّحة والبطلان من الوجوه المعنويّة العرضية ولفظ الذلول فيالخبر الاوّل يدلّ على كثرة الوجوه المحتملة العرضية فانّ الذلول معناه انّه ينقاد وينطبق على ايّ معنى اريد منه كالجمل الذلول الّذى ينقاد ويناخ كلّما انخته ، وقدورد عنهم (ع) فى تفسير الايات اخبار مختلفة بوجوه متخالفة عرضيّة لايمكن حملها على التّقيّة بل لابدّ وان يحمل على صحّة التّفسير بمعان مختلفة مندرجة فيا للّفظ باحد الوجوه المذكورة سابقاً والمراد بالاحسن فى قوله فاحملوه على احسن الوجوه الاحسنيّة الاضافيّة فان المخاطبين فى هذا الخطاب كلّ قرّاء القرآن والمتدبّرين فيه والاحسن الحقيقىّ بحسب البطون غير ميسّر ادراكه لغير الائمّة(ع) والاحسن الحقيقىّ بحسب الوجوه المختلفة من المعانى العرضيّة غير معلوم لكلّ احد ولوكان معلوماً لما صحّ الامربالحمل عليه فى كلّ مقام بل يأتى النّهى عن الحمل عليه فى مقام يقتضى غيره مثل مقام التّقيّة وغيرها وكذا الحال فيالوجوه المختلفة بحسب اللفظ فانّه قد يقتضى المقام النّهى عن الاحسن لوكان معلوماً اذاكان تقيّة او يقتضى حال السّامع غيره مثال النّهى عن الحمل على احسن الوجوه بحسب المعنى اية الوضوء بنصب ارجلكم فانّه يجوزجعله عطفاً على وجوهكم حتّى يدلّ على غسل الارجل وعطفاً على محلّ رؤسكم حتّى يدلّ على مسحها والثّانى احسن لعدم لزوم الفصل بالاجنّبى بين المعطوف والمعطوف عليه ولموافقته لقراءة جرّ الارجل لكنّ الحمل عليه والعمل به فى مقام التّقية يكون حراماً ومثال النّهى عن الحمل على احسن الوجوه بحسب اللّفظ هذه الايه فانّه قدقرء الارجل بالجرّ والنصب، والجرّ قدعرفت انّه احسن القراءتين لعدم لزوم الفصل بالاجنّبى حينئذٍ بين المعطوف والمعطوف عليه لكن قد يقتضى المقام التجنّب عن القراءة به والقراءة بماقرؤا وعلى الاحسنيّة الاضافيّة بحمل ماورد عنهم مختلفاً فى تفيسر الايات وهكذاالحال فى القراءات المختلفة الواردة عنهم .

الفصل الثانى عشر

فىجواز نزول القرآن بوجوه مختلفة فى الفاظه

اعلم انّ القرآن نزل به جبرئيل(ع) من طريق الباطن على بشريّة نبيّنا(ص) لكن من جهة مداركه الاخرويّة لامن جهة مداركه الدّنيويّة والمدارك الدّنيويّة لضيقها لاسعة لها بان تدرك الّا وجهاً واحداً وهيئةً واحدةً من اللّفظ المسموع واللّسان الدّنيوىّ لايجرى عليه الّا وجه واحد من اللّفظ وامّا اللّسان والسّمع الاخرويّان فيجوز ان يجرى ويسمع فى اجراء واحد وسماع واحد وجوهاً عديدة من اللّفظ لسعتهما وعدم ضيقهما عن تزاحم الكثرات ولجواز النّزول بالوجوه المختلفة اوللتوسعة بعد النزول ورد عنهم(ع) قراءات مختلفة مخالفة لقراءات العامّة وورد عنهم تصويب القراءتين المختلفتين ولولاذلك لكان بعض قراءتهم مخالفة لمانزل على محمّد(ص) من غيرتقيّة ، نسب الى النّبىّ(ص) انّه قال اتانى آتٍ من الله عزّوجلّ فقال انّ الله يأمرك ان تقرأ القران على حرف واحد فقلت يارب وسّع على امّتى فقال انّ الله عزّوجلّ يأمرك ان تقرأ القران

على سبعة احرف وهذه الرّواية كما يجوز ان يكون المراد سبع لغات متفرّقة فى القران فيكون بعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة الهوازن ، وبعضه بلغة الحجاز ، وبعضه بلغة العراق ، وبعضه بلغة اليمن ، يجوزان يكون المراد قراءته فى كلمة واحدة ومقام واحد بسبع لغات مثل هلـّم وتعال واقبل وجئ وكما يجوز ان يكون هذه التّوسعة بعد النّزول يجوزان تكون حين النّزول لسعة المنزل ولسانه والمنزل عليه ومداركه ، وكما يجوزان يكون المراد بسبعة احرف سبع لغات يجوز ان يراد بها سبعة اوجه فى اللّفظ بحسب القراءات والاعراب فى لفظ واحد للتّوسعة على القارين بعد النّزول اوحين النّزول ، ويجوز ان يراد بها سبعة اوجه فى المعنى للتّوسعة فى العمل على العباد كما مضى وماورد عن ابى جعفر(ع) انّ القران واحد نزل من عند واحد ولكنّ الاختلاف يجيئ من قبل الرّواة وماروى عن الفضل بن يسار انّه قال ، قلت لابى عبدالله(ع) انّ النّاس يقولون انّ القران نزل على سبعة احرف فقال كذبوا اعداء الله ولكنّه نزل على حرف واحد من عند الواحد يجوزان يراد به انّ القران نزل من عند واحد احد حقيقى بنحو الوحدة الظليّة والبساطة الجمعيّة وبعد تنزّله الى الكثرات جاءت الكثرة والتّفصيل فيه من جهة تعلّقه بالكثرات المتعدّدة المتخالفة ، ويكون التّكذيب راجعاً الى وهمهم الكاسد من انّه صدر من مقام الوحدة الحقيقيّة بنحو التّفصيل والكثرة فى الفاظه وقراءاته وقدعرفت فيما مضى انّه بحسب الفاظه فى ابعد المراتب من الله وانّه بحسب ذلك اخرمراتب وجوده ، والحاصل انّه يجوز ان يكون اختلاف القراءات والوجوه المرويّة بحسب الالفاظ من القرّاء انفسهم ويجوز ان يكون توسعة من الله تعالى حين النّزول او بعد النّزول .

الفصل الثالث عشر

فى وقوع الزّيادة والنّقيصة والتّقديم والتّأخير والتّحريف والتّغيير فى القرآن الّذى بين اظهرنا الّذى امرنا بتلاوته وامتثال اوامره ونواهيه واقامة احكامه وحدوده

اعلم انّه قد استفاضت الاخبار عن الائمّة الاطهار (ع) بوقوع الزّيادة والنقيصة والتّحريف والتّغيير فيه بحيث لايكاد يقع شكّ فى صدور بعضها منهم وتأويل الجميع بانّ الزّيادة والنّقيصة والتّغيير انّما هى فى مدركاتهم من القرآن لا فى لفظ القرآن كلفة ولا يليق بالكاملين فى مخاطباتهم العامّة لانّ الكامل يخاطب بمافيه حظّ العوامّ والخواصّ وصرف للّفظ من ظاهره من غيرصارف ، وماتوهـّموه صارفاً من كونه مجموعاً عندهم فى زمن النّبىّ(ص) وكانوا يحفظونه ويدرسونه وكانت الاصحاب مهتمّين بحفظه عن التّغيير والتّبديل حتّى انّهم ضبطوا قراءات القرّاء وكيفيّات قراءاتهم فالجواب عنه انّ كونه مجموعاً غيرمسلّم فانّ القرآن نزل فى مدّة رسالته الى اخرعمره نجوماً وقد استفاض الاخبار بنزول بعض السّور وبعض الايات فى العام الاخر وماورد من انّهم جمعوه بعد رحلته وانّ علياً جلس فى بيته مشتغلاً بجمع القرآن اكثرمن ان يمكن انكاره وكونهم يحفظونه ويدرسونه مسلّم لكن كان الحفظ والدّرس فيماكان بايديهم واهتمام الاصحاب بحفظه وحفظ قراءات القرّاء وكيفيّات قراءاتهم كان بعد جمعه وترتيبه وكماكان الدّواعى متوفّرة فى حفظه كذلك كانت متوفّرة من المنافقين فى تغييره . **وماقيل** انّه لـم يبق لنا حينئذٍ اعتماد عليه والحال انّا مأمورون بالاعتماد عليه واتّباع احكامه والتدبّر فى آياته وامتثال اوامره ونواهيه واقامة حدوده وعرض الاخبار عليه لايعتمد عليه فى طرف مثل هذه الاخبار الكثيرة الدّالة على التّغييروالتّحريف عن ظواهرها لانّ الاعتماد على هذاالمكتوب

ووجوب اتّباعه وامتثال اوامره ونواهيه و اقامة حدوده واحكامه انّما هى للاخبار الكثيرة الدّالّة على ما ذكر لاللقطع بانّ مابين الدّفتين هو الكتاب المنزل على محمّد(ص)من غيرنقيصة وزيادة وتحريف فيه ، ويستفاد من هذه الاخبار انّ الزّيادة والنّقيصة والتّغيير ان وقعت فى القرآن لم تكن مخلّة بمقصود الباقى منه بل نقول كان المقصود الاهمّ من الكتاب الدّلالة على العترة والتّوسّل بهم وفى الباقى منه حجّتهم اهل البيت وبعد التّوسل باهل البيت ان امروا باتّباعه كان حجّة قطعيّة لنا ولوكان مغيّرا تغييراً مخلّا بمقصوده و ان لم نتوسّل بهم اولم يأمروا باتّباعه وكان التّوسل به واتّباع احكامه واستنباط اوامره ونواهيه وحدوده واحكامه من قبل انفسنا كان من قبيل التّفسير بالرأى الّذى منعوا منه ولو لم يكن مغيّراً وقد استقصى الفيض (ره) فى مقدّمات تفسيره الصّافى الاخبار والاقوال فى هذا الباب من اراد فليرجع اليه وقد ذكر اخباراً كثيرة متفرّقة فى مطاوى تفسيره للايات فى بيان التّغييرات الواقعة فيها .

الفصل الرابع عشر

فى انّ القرآن نزل تمامه فى الائمة الاثنى عشر عليهم السلام بوجه ونزل فيهم وفى اعدائهم بوجه ونزل اثلاثاً ثلث فيهم وفى اعدائهم ، وثلث سنن وامثال ، وثلث فرائض واحكام بوجه ، اوثلث فيهم و فى احبّائهم وثلث فى اعدائهم وثلث سنّة ومثل بوجه ، ونزل ارباعاً ربع فيهم ، وربع فى عدّوهم ، وربع سنن وامثال وربع فرائض واحكام بوجه ، وقد ورد الاشعار بكلّ فى الاخبار

اعلم انّ الله تعالى شأنه العزيز كان غيباً محضاً ومجهولا مطلقاً وكان لااسم له ولا رسم ولا خبر عنه ولذا كان يسمّى بالعمى فاحبّ ان يعرف فخلق الخلق لكى يعرف كما فى القدسىّ المعروف فكان اوّل ظهوره فعله الّذى يسمّى بنفس الرّحمن والاضافة الاشراقيّة ومقام المعروفيّة والحقيقة المحمّدية(ص) وهى اللّطيفة العلويّة ، ويسمّى بالمشيّة باعتبار كونه اضافة الله تعالى الى الخلق ، وبالولاية المطلقة باعتبار كونه اضافة للخلق الى الله، وهذه الحقيقة بمضمون خلقت الاشياء بالمشيّة مبدء جميع الخلق بمراتبه العقلانيّة والنّفسانيّة والجسمانيّة النّورانيّة والظّلمانيّة والطبيعيّة ولمّا كان الانسان غاية للكلّ وكان غاية الانسان بمنطوق ما خلقت الجنّ والانس الّا ليعبدون و بمضمون قوله تعالى فخلقت الخلق لكى اعرف معرفة الله ارسل الرّسل وانزل الكتب واسّس الشرايع لمعروفيّته وقد عرفت انّ مقام معروفيّته هومشيّته الّتى هى الولاية المطلقة ولمّا كان المتحقّق بالولاية وبمقام المعروفيّة محمّداً(ص) وعليّاً(ع) واولادهما صحّ ان يقال انّهم مبدء الكلّ وغايته ، ولمّا كان جميع الشرايع الآلهيّة والكتب السّماويّة لتصحيح طريق الانسانيّة وتوجيه الخلق الى الولاية وكان اصل المتحقّقين بالطريق الانسانيّة والولاية والمتحقّق بالولاية المطلقة محمّداً(ص) وعليّاً(ع) واولادهما عليهم السّلام صحّ ان يقال جملة الشرايع الآلهيّة وجميع الكتب السّماويّة نزلت فيهم وفى توجيه الخلق اليهم وهوايضاً وصف وتبجيل لهم ، ولمّا كان كثير من آيات القرآن نزلت فيهم تصريحاً اوتعريضاً اوتوريةً وماكان فى اعدائهم لم يكن المقصود منه الّا الاعتبار بمخالفيهم والانزجار عن مخالفيهم ليكون سبباً للتوجّه اليهم ولمعرفة قدرهم وعظمة شأنهم وكان ساير آيات الامر والنّهى والقصص والاخبار لتأكيد السّير على طريق الانسانيّة الى الولاية صحّ

ان يقال جميع القرآن نزل فيهم ، ولمّا كان القرآن مفصّلاً بكون بعض آياته فيهم وفى محبّيهم وبعضها فى اعدائهم ومخالفيهم وبعضها سنناً وامثالا وبعضها فرائض واحكاماً صحّ ان يقال نزل القرآن فيهم وفى اعدائهم اونزل اثلاثا اوارباعاً ، والآيات الدّالّة على اخبار الاخيار والاشرار الماضين كلّها تعريض بالائمّة واخيار الامّة واشرارهم مع قطع النّظر عن رجوعها اليهم والى اعدائهم ، بسبب كونهم اصلاً فى الخير وكون اعدائهم اصلاً فى الشّرّ بل نقول كلّ آية ذكر فيها خير كان المراد بها اخيار الامّة وكلّ آية ذكر فيها شرّ كان المراد بها اشرار الامّة لكون الآية فيهم اوتعريضاً بهم ، اولكونهم وكون اعدائهم اصلاً فى الخير والشّرّ وفى الزّيارة الجامعة: ان ذكر الخير كنتم اوّله واصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه ، وهكذا الحال فى حال اعدائهم بحكم المقابلة ، فان ذكر الشّر كانوا اوّله وآخره واصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه .

هذا آخر مااردت ايراده قبل الشّروع فى المقصود ، ومن الله الاعانة فى كلّ حالٍ وهو حسبى ونعم الوكيل.

سورة الفاتحة

سبع آيات مكيّة وقيل مدنيّة وقيل نزلت بمكة مرّة و بمدنية مرّة اخرى

والسورة امّا من سور المدينة سميّت سور القرآن بها لانّ كلّاً منها بمعانيها بمنزلة مدينة من العلم والالفاظ المخصوصة بمنزلة سور تلك المدينة اومن السّورة بمعنى المنزلة لانّ كلّ سورة منزلة للوافدين عليها . اومن السورة بمعنى الشّرف لانّ كلّاً منها شرف لقاريها ، اومن السورة بمعنى البناء الطويل الحسن لانّ كلّاً منها بناء طويل حسن لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، اومن السّورة بمعنى العلامة لانّ كلّاً علامة من علامات حكمته تعالى وقدرته وعلمه ورأفته ، اومن السّورة بمعنى كلّ عرق من عروق الحائط لانّ القرآن تمامه كحائط طويل وكلّ سورة منه كأنّها عرق من عروقه .

وسميّت هذه السّورة بفاتحة الكتاب لافتتاح الكتاب التّكوينيّ الّذى هو جملة ماسوى الله بحقيقتها الّتى هى كلام الله الحقيقىّ وهو مقام المشيّة اصل جملة ماسوى الله ولافتتاح الكتاب التّدوينى بصورتها التدوينيّة ولافتتاح الصّلوة الّتى هى كتاب مفروض اوكتاب كتبه الله بالوحى فى قلب النّبىّ (ص) بها ، وسميّت امّ الكتاب لكونها بحقيقتها الّتى هى المشيّة اصلاً و عماداً ومجموعاً فيها جميع اجزاء الكتاب التّكوينيّ والعرب تسمّى كلّ اصل وكلّ مجتمع أمّاً ولانّ صورته التدوينيّة مشتملة على جميع النّسب والاضافات الالٰهيّة وعلى جميع النسب والاضافات الخلقية الّتى ليس الكتاب التّدوينى الّا لبيانها وسميّت اساساً لماذكر ولماروى انّ لكلّ شيئ اساساً الى ان ذكر واساس القرآن الفاتحة واساس الفاتحة بسم الله الرّحمن الرّحيم ، وسميّت بالسبع المثانى لانّها سبع آيات وثنيّت فى النزول بمكّة والمدينة . اولانّها تثنّى فى الصّلوة اولانّ اكثر فقراتها تكرّرت اولانّها مختصرة من القرآن وهوالسّبع المثانى اولانّ حقيقتها الّتى هى المشيّة تنزّلت على مراتب العالم ثمّ صعدت عليها فصارت باعتبار مراتب العالم سبعاً وباعتبار النّزول والصّعود مثانى . ويجوز ان يكون المثانى من الثّناء لانّ السّورة ثناء واخبار ودعاء و هما يستلزمان الثّناء و سيجيئ تحقيق القول فى السّبع المثانى عند قوله ولقد آتيناك سبعاً من المثانى من سورة الحجر انشاءالله ، وسورة الكنز والوافية والكافية لاشتمالها على جملة مافى العوالم وما فى القرآن وسورة الحمد والشّكر والدعاء وتعليم المسألة والصّلوة لوجوب قرائتها فى الصّلوة اولانّها صلوة حقيقة لانّ الصّلوة الدّعاء اومابه التّوجّه الى الله ، والشافية والشّفاء لقوله (ص) هى شفاء كلّ داء .

وقد ذكر فى فضل هذه السّورة وفى فضل قاريها مالايحصيه البيان ويمكن استفادة فضلها من اسمائها وكفى فى فضلها وجوب قرائتها فى جميع ركعات الصّلوات الفرضيّة وجوباً عينيّاً اوتخييريّاً وبانّها لاتترك فى ركعات الصّلوات النفليّة، نسب الى الباقر (ع) انّه قال من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شيئ ونسب الى الصادق (ع) انّه قال لو قرأت الحمد على ميّت سبعين مرّة ثمّ ردّت فيه الرّوح ماكان عجيباً.

اَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

قد سبق سرّالامر بالاستعاذة عندالقراءة وانّ الانسان لمّاكان واقعاً بين تصرّف الشّيطان والرّحمن امرالله العباد بالاستعاذة والخروج من تصرّف الشّيطان والدّخول تحت تصرّف الرّحمن حتّى لايصير لسانه لسان الشّيطان وكلامه كلام الشّيطان بل يصير لسانه لسان الرّحمن وكلامه كلام الرّحمن ويصدق على متلوّه انّه القرآن فقول القائل ، اعوذبالله من الشّيطان الرّجيم اخبار اوانشاء للالتجاء الى الله والفرار من حكومة الشّيطان وتصرّفه والدّخول تحت حكومة الله وتصرّفه ولكون الاستعاذة فراراً من الشّيطان امرنا بالاخفات في الاستعاذة فانّ الفارّ يختفي بفراره فلوقال القائل اعوذبالله من الشّيطان ولم يكن حاله الخروج من حكومة الشّيطان والدّخول تحت حكومة الله كان كاذباً في اخباره او في انشائه باعتبار الاخبار اللازم للانشاء وتكون هذه الكلمة ملقاة من الشّيطان عليه وجارية من الشّيطان على لسانه وصار بهذه الكلمة سخرية للشّيطان ومطروداً من باب الرّحمن ، **فجاهدوا** اخواني وفّقكم الله وايّاي حتّى لاتجري هذه الكلمة على السنتكم حين غفلةٍ منكم اوعلى سبيل العادة والتعليم المأخوذ من الاباء والمعلّمين بل كونوا حين الاستعاذة كمن يفرّمن عدوّ يريد قتله الى من يعلم نجاته منه ولا تكونوا في الاستعاذة كمن يفرّ من العدّو بالاقبال عليه غافلاً عن انّه مقبل على عدّوه فيقع على عدّوه ويأخذه من حيث لايشعر فانّه ليس قوله تعالى **فاستعذ بالله** امراً بالاستعاذة القولية بل هو امر بالاستعاذة الفعليّة واستحباب الاستعاذة القوليّة لتأييد الاستعاذة الفعليّة و الّا فالمطلوب هو الاستعاذة الفعليّة سواء كانت قرينة بالاستعاذة القوليّة اولم تكن ونعم ماقيل:

اى بسا ناورده استثنا بگفت جان او باجان استثناست جفت

والمقصود من الاستعاذة الفعليّة طلب القرب من الله حتّي يخرج المستعيذ من الاغراض الّتي يلقيها الشّيطان على الانسان ثمّ من نسبة الافعال والاقوال الى غيرالله ثمّ من رؤية ذات في الوجود سوى الله وفي كلّ من الاحوال الثلاث له حكم في الاستعاذة وقول غيرالحكم والقول الّذى في الاخرى ؛ فانّ الانسان مالم يخرج من دار الكثرة ويرى الافعال مثل المعتزلة من العباد من دون الله حكمه الفرار من الشّيطان واضلاله وقوله اعوذبالله من الشّيطان الرّجيم المطرود من كلّ خير ومن بقاع الخير ، واذا خرج من الكثرة الصرفة ودخل في دار توحيد الافعال ولايرى الافعال الّا من الله ويكون حينئذٍ رؤيته الافعال من الله في المظاهر المتكثّرة ويرى الاضلال من الله في مظهر الشّيطان والهداية من الله في مظاهر خلفائه كان حكمه الاستعاذة من اضلال الله في مظهر الشّيطان بهدايته في مظاهر خلفائه ومن عقابه على ايدى عمّاله واعدائه بعفوه في مظاهر خلفائه ، وكان قوله اعوذ بهداية الله من اضلاله و بعفوه من عقابه ، واذا دخل في دار توحيد الصفات ولايرى صفة الّا من الله كان حكمه الاستعاذة من صفاته القهريّة الّتي تظهر في مظاهر قهره بالصّفات اللطفية الّتي تظهر في مظاهر لطفه ؛ وقوله اعوذ برضاك من سخطك ، واذا دخل في دار توحيد الذات ولايرى ذاتاً في الوجود سوى ذاته تعالى وهو مقام الفناء الذاتي كما كان المقامان السابقان مقام الفناء الفعليّ والوصفيّ كان حكمه الاستعاذة بالله من الله من غير شعور منه بذاته و استعاذة ذاته بل يكون استعاذته بفطرة وجوده وكان قوله اعوذبالله من الله اواعوذبك منك لانّ حكم الغيبة والحضور والخطاب والتكلّم مرتفع هناك فانّ من لايرى ذاتاً في الوجود سوى الله لايرى فعلا ووصفاً سوى الذات فلايرى قهراً ولطفاً ولاحضوراً وغيبة من الذات ونعم ماقيل :

خود طواف آنكه او شه بين بود فوق قهر و لطف و كفر و دين بود

وللاشارة الى المراتب الثلاث قال الرسول (ص) في سجوده على مانسب اليه (ص): **اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك** . والشّيطان من شطنه اذا شدّه بحبل طويل اومن شطن صاحبه اذاخالفه في قصده ووجهه ، اومن الشّطون بمعنى البئرالبعيدة القعر ، اومن الشاطن بمعنى الخبيث ، اومن شاط بمعنى احترق اوغلظ اوهلك .

بسم الله الرحمن الرحيم

اتّفق اصحابنا الاماميّة رضوان‌الله عليهم انّه من‌القرآن وانّه‌آية من كلّ سورة ذكر التسميّة في‌اوّلها وانّه يجب الجهر به فيما يجهر به من الصّلوات ولا يجوز تركه في الفرائض وخالف في ذلك العامّة قال البيضاوى في اوّل تفسيره : هومن الفاتحة وعليه قرّاء مكّة والكوفة وفقهائهما وابن المبارك والشافعيّ وخالفهم الشيباني وقرّاء المدينة والبصرة والشّام وفقهاؤها و مالك والاوزاعيّ ولم ينصّ ابوحنيفة فيه بشئ فظنّ انّها ليست من السّورة عنده وسئل محمّدبن الحسن عنها فقال ما بين الدفّتين كلام‌الله تعالى لنا احاديث كثيرة منها ماروى ابوهريرة انّه قال فاتحة الكتاب سبع آيات اوليهنّ بسم‌الله الرّحمن الرّحيم و قول امّ سلمة قرأ رسول‌الله(ص) وعدّ بسم‌الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين آية ومن اجلهما اختلف في‌انّها آية برأسها اوبما بعدها والاجماع على انّ مابين الدفّتين كلام‌الله والوفاق على اثباتها في‌المصاحف مع‌المبالغة في تجريد القرآن حتّى لم يكتب آمين ، الى هيهنا كلام البيضاوى . وعن اميرالمؤمنين(ع)انّ التسمية من الفاتحة وانّ رسول‌الله(ص) يقرؤها ويعدّها آية منها وعن‌الصّادق(ع)مالهم قتلهم‌الله عمدوا الى‌اعظم‌آية في كتاب‌الله فزعموا انّها بدعة اذا اظهروها وعن‌الباقر(ع)سرقوا اكرم‌آية من كتاب‌الله بسم‌الله‌الرّحمن‌الرّحيم . وورد منهم التّرغيب في‌الابتداء به عندكلّ امرصغير اوكبيرليبارك فيه فعن‌الصّادق(ع)انّه قال لاتدعها ولوكان بعدها شعروعنه(ع) من تركها من شيعتنا امتحنه‌الله بمكروه لينبّهه على‌الشّكر والثّناء ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه . وعن اميرالمؤمنين(ع) انّ رسول‌الله(ص)حدّثني عن‌الله عزّوجلّ انّه قال كلّ امرذى‌بال لم‌يذكرفيه بسم‌الله‌الرّحمن الرّحيم فهو ابتر، وعن طريق العامّة عنه كلّ امر ذى بال لم يبدء باسم‌الله فهو ابتر .

ولفظ الباء فيه للالصاق باعتبار لصوق ابتداء القراءة باسمه تعالى اوللمصاحبة اوللاستعانة اوللسّببيّة والمتعلّق محذوف من مادّة الابتداء اومن مادّة الفعل الّذى يقع بعده مثل اقرأ واقوم واقعد وادخل واخرج او من مادّة الاسم اى اسم نفسى بسمةٍ من سمات‌الله كما روى عن الرّضا (ع) انّه قال يعنى اسم نفسى بسمة من سمات‌الله وهى‌العبادة قيل له ماالسّمة قال العلامة وفي هذاالخبر تنبيه على انّ القائل بسم‌الله الرّحمن الرّحيم ينبغى ان يجتهد حتّى يجدحين هذا القول انموذجاً من صفات‌الله في وجوده وفي قوله وهى العبادة اشارة الى انّ العبد حين هذا القول ينبغى ان يخرج من انانيّته الّتى هى خروج من العبادة والعبوديّة ويخرج من مالكيّته واختياره ويدخل تحت امر ربّه ويجد ذلك من نفسه حتّى يكون منه هذه الكلمة صادقة ولا يكون هو كاذباً بينه و بين‌الله سواء اريد بكلمة بسم‌الله انشاء الاتّصاف بسمة من سمات‌الله او الاخبار به ويجوز تقدير التأخير في‌المقدّر وتقدير التّقديم لكنّ التأخير ادخل في‌التّعظيم والاهتمام باسم‌الله ويفيد الحصر والاسم بكسرهمزة الوصل وضمّها والسّم والسّما بتثليث السّين مأخوذ من السّمو بمعنى الارتفاع اومن الوسم بمعنى العلامة ، وجمعه على‌اسماء وتصغيره على سمىّ يؤيّد الاوّل، وكونه بمعنى‌العلامة يؤيّد الثّانى، وحديث‌الرّضا(ع) في‌بيان

بسم‌الله ينبّه على الثّانى واسم الشىء علامته وكلّ لفظ وضع لجوهر اوعرض من غيراعتبار نسبة فيه ، واسماءالله عبارة عمّا يدلّ عليه تعالى من لفظ اومفهوم اوجوهر عينىّ ولااختصاص لها بالاسماء اللّفظيّة اوالمفاهيم الذّهنيّة فانّ اطلاق الاسم فى الاخبار على الذّوات العينيّة كثير وسيجيىء تحقيق تامّ للاسم فى اوّل البقرة عند قوله تعالى وعلّم آدم الاسماءَ كلّها والفرق بين الاسم والصّفة اذا اعتبر فى الاسم معنى من المعانى كالفرق بين المشتقّ ومبدء الاشتقاق كالعلم والعالم فانّ الاوّل مأخوذ بشرط لاولذلك لايصدق على الذّات الموصوفة به والثّانى مأخوذ لابشرط شيىء ولذلك يصدق على الذّات الموصوفة به وليست الذّات معتبرة فى المشتقّ لانّه اذافرض علم مجرّد قائم بذاته يصدق عليه العالم بل نقول ذات البارى جلّت عظمته علم مجرّد قائم بذاته كما انّه عالم .

وللاسم اعتبار انّ اعتبار كونه اسماً ومرآة للمسمّى ، وبهذا الاعتبار لايكون له نفسيّة ولا وجود مغاير للمسمّى بل يكون وجوده وجود المسمّى ورقيقة منه ونفسيّته نفسيّة المسمّى ولذلك لايكون الحكم فى الكلام الّا على المسمّى ولايكون النّظر الّا الى المسمّى فانّ قولك جاء زيد لايكون النّظر فيه ولاالحكم الّا على المسمّى ، والآخر اعتبار كونه موجوداً مغايراً للمسمّى منظوراً اليه محكوماً عليه وبهذا الاعتبار يكون هو كالمسمّى امراً موجوداً مستقلاً محكوماً عليه مغايراً للمسمّى وبهذا الاعتبار يصير الاسم مسمّى وله اسماء مثل قولك زيد لفظ مركّب من ثلاثة احرف فانّ زيداً فى هذا القول له اسماء عديدة مثل الاسم واللّفظ والكلمة والمركّب والموضوع والدّال والعلم وغير ذلك و بهذا الاعتبار لا يكون مظهراً و مرآة للمسمّى ولادالاً عليه ولمّا كان جملة العالم برمّتها اسماءً لله تعالى كان هذان الاعتباران ثابتين لها و الى هذين الاعتبارين اشار تعالى بقوله إن هى الّا أسماءٌ يعنى ليست هى مسمّيات ومنظوراً اليها ومستقلّات مغايرات لله سمّيتموها انتم يعنى انّكم صرتم محجوبين عن المسمّى ناظرين الى الاسماء من حيث انّها مستقلّات فى الوجود جاعلين لها مسمّيات فصرتم مشركين وكافرين لهذا النّظر ، والنّاس فى النّظر الى الاشياء مختلفون فناظر ينظر اليها من حيث انّها اسماء لله غافلاً عن وجودها وعن النّظر اليها اوشاعراً بالنّظر اليها ، وناظر ينظر اليها من حيث انّها مسمّيات غافلاً عن المسمّى ، وناظر ينظر اليها مستقلّات والى المسمّى والاوّل وهوالّذى ينظر الى الاشياء من حيث انّها اسماء غافلاً عن النّظر اليها اوشاعراً بالنّظر اليها هوالّذى يعبد المسمّى بايقاع الاسماء عليه ويكون موحّداً ، والّذى ينظر الى الاسماء من حيث انّها مسمّيات مستقلّات غافلاً عن المسمّى هوالّذى يعبد الاسم دون المسمّى و يكون كافراً وهذا حال اكثر النّاس ، والّذى ينظر الى الاسماء حال كونها مسمّيات مستقلّات والى المسمّى حال كونه مسمّىً مستقلاً مغايراً مبايناً عن الاسماء هوالّذى يعبد الاسم والمسمّى ويكون مشركاً ، والنّاظر الى الاسماء من حيث انّها اسماء غافلاً عن نظره اليها هوالمجذوب الّذى رفع القلم عنه ولاحكم له فى الكثرات ولاتكليف ، والنّاظر اليها من حيث انّها اسماء شاعراً بنظره هوالكامل الجامع للطّرفين ، وهذا الكامل امّا يكون استشعاره بالاسماء غالباً على استشعاره بالمسمّى اويكون استشعاره بالمسمّى غالباً اويكون استشعاره بالطّرفين على السواء والاوّل هوالواقع فى النشأة الموسويّة والثّانى هوالواقع فى النشأة العيسويّة والثالث هوالّذى يراعى حقوق الكثرات والوحدة بحيث لايهمل من حقوق الطّرفين شيئاً وهوالواقع فى النشأة المحمّديّة (ص) الجامعة للكثرة والوحدة بحيث لايشذّ شيىء من حقوقهما، والى النشئات الثّلاث أشار تعالى بقوله محمّدٌ رسول الله ﷺ والّذين معه أشدّاءُ على الكفّار رحماءُ بينهم تريهم ركّعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ذلك مثلهم فى التّورية ومثلهم فى الانجيل كزرعٍ أخرج شطأه؛ الآية ، فاشار بقوله ذلك : مثلهم فى التّورية؛ الى النشأة

الموسويّة وبقوله مثلهم في الانجيل كزرعٍ ؛ الآية ، الى النشأة العيسويّة. وبالجمع بين النشأتين الى النشأة المحمّديّة واعتبر ذلك المذكور من حال الكافر والمشرك والمجذوب والكامل ونشئاته الثّلاث بالمرآة والنّظر اليها ورؤية الصّور فيها فانّه قد ينظر الانسان الى المرآة من حيث صفائها واستدارتها وتربيعها وتسديسها وتحديبها اوتقعيرها من غير رؤية صورة فيها اومن غير شعور برؤية صورة فيها ، وقد ينظر اليها من حيث رؤية الصّور فيها من غير شعور بالمرآة وبرؤيتها ، وقد ينظر الى المرآة من حيث اشكالها وصفائها وينظر الى الصّورة الّتي فيها وقد ينظر الى المرآة حالكونها لاحكم لها في نظره سوى اراثة الصّور شاعراً بنظره الى المرآة وبنظره الى الصّور بالاقسام الثلاثة السّابقة وماورد في جواب من قال هل الله في الخلق ام الخلق في الله من قوله (ع) اخبرني عن المرآة هل انت في المرآة ام المرآة فيك يشير الى ماذكرنا ومقامات الكثرة في الوحدة والوحدة في الكثرة والجمع بين الوحدة والكثرة الدّايرة في ألسنة الصّوفيّة اشارة الى النشئات الثلاث وللاشارة الى تلك النّشئات ورد في خبرٍ : مارأيت شيئاً الّا ورأيت الله فيه وفي آخر : الّا ورأيت الله قبله وفي آخر : الّا ورأيت الله بعده **وما قيل** انّ الاسم عين المسمّى اوغيره قد علم جوابه ممّا ذكرنا فانّ الاسم اذاكان منظوراً اليه من حيث اسميّته بحيث يكون النّاظر غافلاً عن نظره يكون عين المسمّى بمعنى انّه لاوجود ولا نفسيّة ولا حكم ولااثر حينئذٍ الّا للمسمّى ، واذاكان النّاظر حينئذ شاعراً بنظره يكون بوجه غيره وبوجه عينه ، واذاكان منظوراً اليه بحيث يكون في نظر النّاظر ذانفسيّة ووجود وانانيّة كان غيره سواء نظر النّاظر من الاسم الى المسمّى اولم ينظر ، ولمّاكان الانسان واقعاً بين داري الرّحمن والشّيطان وكان دار الشّيطان لغاية بعدها من الرّحمن وغلبة الاعدام عليها وكونها بتمام اجزائها مظاهر قهره تعالى كأنّها لم تكن مظاهر له تعالى وكانت مقابلة لدار الرّحمن وكانت النّفس الانسانيّة من حيث تسخّره للشّيطان كأنّها اسم للشّيطان لا للرّحمن و من حيث تسخّره للعقل اسم للرّحمن وكان جميع افعال الانسان صادرة من نفسه امّا من جهتها الشّيطانيّة اومن جهتها العقلانيّة امروا العباد بالتسميّة عندكل فعل صغير اوعظيم حتّى يخرجوا بالتّسميّة من جهة النّفس الشّيطانيّة ويدخلوا في جهتها الرّحمانيّة ويكون الفعل رحمانيّاً لاشيطانيّاً ، ولمّاكان اكثر النّاس قاصرين غير بالغين الى مقام النّظر الى فاعليّة الله تعالى بدون وساطة الوسائط ومن بلغ الى ذلك المقام لم تكن الوسائط مرتفعة في أفعاله بل المرتفع في حقّه النّظر الى الوسائط قال تعالى باسم الله بتخلّل الاسم بين الباء والله ولم يقل بالله وان كان هذا ايضاً صحيحاً في نفس الامر فانّ الافعال تصدر عن الانسان بتوسّط نفسه الّتي هي اسم الله **فما قيل** انّ الاسم مقحم بين الجارّ ومجروره ليس بشيئ وكذا مايترائي من كون المراد من الله لفظه وكون الاضافة بيانيّة يأباه التّوصيف بالرّحمن ، ولمّاكان المقصود من التسمية الخروج من الجهة الشيطانيّة والدّخول في الجهة العقلانيّة كما سبق عن الرّضا (ع) في تفسيرها من قوله يعني اسم نفسي بسمة من سمات الله فلوقال القائل بسم الله الرّحمن الرّحيم كان قوله بسم الله مثل ان قال التجأت من دار الشّيطان وتصرّفه الى دار الرّحمن وتصرّفه ودخلت في داره واتّصفت بصفاته فكان يفيد فائدة الاستعاذة مع شيئ زائد ولذلك ورد عن الباقر (ع) اوّل كلّ كتاب نزل من السّماء بسم الله الرّحمن الرّحيم فاذا قرأتها فلاتبال ان لاتستعيذ واذا قرأتها سترتك فيما بين السّماء والارض ، ولمّاكان التّسمية من القائل اتّصافاً بسمة من سمات الله وهي بمنزلة السّلاح للشيطان والشّيطان يفرّمنها امروا بالجهر ببسم الله بخلاف الاستعاذة والله علم للذّات بعنوان مقام ظهوره الّذي هو فعله ومشيّته فانّ الذّات غيب مطلق لااسم له ولارسم له وانّ الاسماء والصّفات ليست له الّا باعتبار ظهوره بفعله ومشيّته ومشيّته لها اعتباران؛ اعتبار وجهها الى مقام الغيب واعتبار وجهها الى الخلق ، وتسمّى باعتبار وجهها الى الغيب عرشاً ، وباعتبار وجهها الى الخلق كرسيّاً ، وبهذين العنوانين يسمّى الحقّ الاوّل بالله

وبالعليّ وباعتبار هذين العنوانين قال تعالى الرّحمن على العرش استوى ووسع كرسيّه السّموات والارض وهو العلىّ العظيم وهل هو مشتقّ اوجامد بمعنى انّه من الاوصاف المشتقّة من المصادر اوليس اسماً مشتقّاً بل هو مصدر اواسم مصدر اواسم ليس له مادّة متصرّفة ، **اقوال ؛ فقيل** انّه من مادّة اله الهة والوهة مثل نصر بمعنى عبد واصله اله بكسر الهمزة حذف الهمزة وعوّض عنها لام التّعريف ولذلك اولمطلوبيّة التّطويل والتّفخيم فى نداء المحبوب لم يحذف الفه فى النّداء ، اومن اله كفرح بمعنى تحيّر اواشتدّ جزعه عليه اوفزع اليه ولاذبه اوبمعنى اجاره ، **وقيل** من مادّة وله من باب حسب وعلم وضرب بمعنى حزن وتحيّر وخاف وجزع اومن مادّة لاه الله الخلق يلوه بمعنى خلقهم اومن لاه يليه بمعنى تستّر اوعلا ، **وقيل** : اصله لاها بالسّريانيّة فعرّب بحذف الالف الاخيرة ودخل لام التّعريف عليه وقيل كان اصله هو لانّه موضوع لغائب معهود معروف والغائب عن الابصار مطلقاً والمعهود المعروف للقلوب على الاطلاق هوالله ثمّ ادخل عليه لام الاختصاص للاشعار باختصاص كلّ ماسواه به ، ثمّ اشبع فتحة اللّام تفخيماً ثمّ ادخل لام التّعريف عليه لتفخيم آخر فصار الله .

والرّحمن الرّحيم صفتان لله اوللاسم فانّ اسماء الله العينيّة كما انّها مظاهر لله مظاهر لجميع صفاته تعالى وجعلهما صفتين للاسم اولى من جعلهما صفتين لله للزوم التّأكيد على الثّانى مع مابعده دون الاوّل ولانّ المنظور الاتّسام باسم يكون به قوام الفعل المبتدأ به وينتهى الفعل اليه وهذا معنى كون الاسم متّصفاً بصفة الرّحمانيّة والرّحيميّة وهما مأخوذتان من رحِم بكسر العين للمبالغة اومن رحُم بضمّ العين صفتين مشبّهتين وعلى اىّ تقدير فالرّحمن ابلغ من الرّحيم لزيادة مبناه ولعدم اختصاص الرّحمة الرّحمانيّة بشيئ دون شيئ وبحال دون حال وبجهة دون جهة بخلاف الرّحمة الرّحيميّة فانّها مختصّة بالانسان ومن كان مثله سالكاً الى الرّحمن وبحال كونه على رضاه ومن جهة كونه على رضاه وامّا غير الانسان فانّ العناصر والمواليد لاتوصف بالرّحمة الرّحيميّة ولابالغضب الّذى هو ضدّها والارواح العالية وجودهم كماهو رحمة رحمانيّة رحمة رحيميّة ولاتمايز بين الرّحمتين فيهم كمالايتصوّر جهة غضب فيهم والارواح الخبيثة قديجوز ان يتّصفوا بالرّحمة الرّحيميّة لكنّ الاغلب انّهم متّصفون بالغضب وذلك **انّ الرّحمة الرّحمانيّة** عبارة عن افاضة الوجود على الاشياء وابقائها واكمالها بالكمالات اللائقة بفطرتها وهذا عامّ لجميع الاشياء دنيويّة كانت اواخرويّة اناسىّ كانت اوغير اناسىّ ولذلك قال **الرّحمٰن على العرش استوى** و فسّروه باستواء نسبته الى الجليل والحقير وورد : يا رحمن الدّنيا والآخرة ، وورد عن الصّادق (ع) انّ الرّحمن اسم خاصّ لصفة عامّة وورد عن اميرالمؤمنين (ع) انّ الرّحمن الّذى يرحم ببسط الرّزق علينا اوالعاطف على خلقه بالرّزق لايقطع عنهم موادّ رزقه وان انقطعوا عن طاعته ، ومن المعلوم انّ رزق الاعيان الثّابتة افاضة الوجود عليها ورزق الموجود افاضة مابه بقاء وجوده **والرّحمة الرّحيميّة** عبارة عن افاضة الكمالات الاختياريّة المرضيّة على المختارين من الانس والجنّ ولذلك ورد انّ الرّحيم اسم عامّ لصفة خاصّة وورد عنهم (ع) الباء بهاء الله والسّين سناء الله والميم مجدالله وفى رواية ملك الله والله اله كلّ شيئ ، الرّحمن بجميع خلقه والرّحيم بالمؤمنين خاصّة وماورد انّه الرّحيم بعباده المؤمنين فى تخفيفه عليهم طاعاته وبعباده الكافرين فى الرّفق فى دعائهم الى موافقته فتعلّق الرّحمة الرّحيميّة بالكافرين انّما هو من جهة بقاء فطرتهم واقتضائها فعليّة مرضيّة اختياريّة من الفعليّات المرضيّة تقتضى تلك الفعليّة الرّفق بهم ودعائهم الى الدّين والمداراة معهم فى الدّنيا والنّصيحة لهم فى امر العقبى وفى آخر الخبر المروىّ عن اميرالمؤمنين (ع) الرّحيم بنا فى اديانا ودنيانا وآخرتنا خفّف علينا الدّين وجعله سهلاً خفيفاً وهو يرحمنا بتميزنا من اعدائه فالرّحمة الرّحيميّة بمعنى

الرّضا مقابل الغضب كالصورة للرّحمة الرّحمانيّة وهى مادّة للرضا والغضب فانّ الرّحمة الرّحمانيّة وهى افاضة الوجود وكمالات الموجود قد تصير فى بعض الموجودين وهم المختارون العاصون غضباً و فى بعضهم وهم المختارون المطيعون رضاً ، والرّحمة السّابقة على الغضب هى الرّحمة الرّحمانيّة دون الرّحمة الرّحيميّة اوهى الرّحمة الرّحيميّة والمراد بسبقها تعلّقها بالمكلّفين بحسب اقتضاء فطرتهم ذلك كما سبق وقد علم ممّا ذكروجه تخلّل الاسم بين الجارّ والله ، ووجه تقديم الله على الرّحمن ، وتقديم الرّحمن على الرّحيم ، واشار بالله الى جامعيّته تعالى وبالرّحمن الى مبدئيّته وبالرّحيم الى مرجعيّته وقدجمع جميع اضافاته فيهما ولمّا كان الحروف اللّفظيّه بازاء مراتب الوجود العينيّة كان كلّ منها اشارة الى مرتبة منه فالالف لبساطتها اشارة الى مرتبة الوجوب والباء لكونها اقرب الى الالف فى البساطة اشارة الى فعله الّذى لافرق بينه وبينه ، والنّقطة تحت الباء اشارة الى تعيّن الفعل بالامكان ولذلك ورد : بالباء ظهر الوجود اشارة الى مقام المشيّة ، وبالنّقطة تحت الباء تميّز العابد عن المعبود؛ اشارة الى تعيّنها بالامكان الاوّل العقلانى و قيل ظهرت الموجودات من باء بسم الله ، وبلحاظ انّ الحروف بازاء مراتب الوجود ولحاظ انّ جميع الكتب السّماويّة لتصحيح النسب الحقيّة والنسب الخلقيّة وجميع النسب الحقيّة والخلقيّة مجتمعة بحسب الامّهات فى فاتحة الكتاب وجميع ما فى الفاتحة مجتمعة فى بسم الله الرّحمن الرّحيم وجميع مافى تمام بسم الله الرّحمن الرّحيم مجتمعة فى باء بسم الله صحّ ان يقال جميع ما فى القرآن فى سورة فاتحة الكتاب ، وجميع ما فى سورة فاتحة الكتاب فى بسم الله الرّحمن الرّحيم ، وجميع ما فى بسم الله فى باء بسم الله ، وعلىّ (ع) باعتبار تعيّنه الاوّل هو النقطة تحت الباء وصحّ ان يقال ، لوشاء العالم لاوقر سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب اومن تفسير بسم الله الرّحمن الرّحيم اومن تفسير باء بسم الله كما نسب اكثر هذه المضامين الى مولانا امير المؤمنين عليه السّلام .

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ قرأ القرّاء بضمّ الدّال وكسر الّلام وقرء فى الشواذّ بفتح الدّال وكسر الّلام وقرء ايضاً بكسر الدّال والّلام لاتباع الدّال لّلام ولام الحمد لتعريف الجنس اوالاستغراق وعلى اىّ تقدير فالكلام للحصر وهو على تقدير الاستغراق واضح وعلى تقدير الجنسيّة فالحصر يستفاد من لام لله لانّه للاختصاص والحمد امّا بمعنى ما يحمد عليه وصحّ الحصر حينئذٍ مع مايترائى من صفات الكمال لغيره تعالى لانّ ما للغير من صفات الكمال انّما هى له تعالى حقيقة واتّصاف الغير بها باعتبار مظهريّته لها لاباعتبار انّها من نفسه اوبمعناه المصدرىّ و فاعله الله واصله حمد الله حمداً ثمّ حذف الفعل ونقل المصدر الى الرّفع وادخل عليه لامّ التعريف وجعل الله خبره بتوسط الّلام للدلالة على الثّبات والاستغراق والحصر وحصر الحمد بهذا المعنى فى الله مع تعدّد الحامدين وكثرتهم لما سيأتى فى سورة البقرة عند قوله لٰكِنّ اللهَ يفعل ما يريد من انّه تعالى فاعل كلّ فعل ظاهر من كلّ فاعل وانّه لافاعل فى الوجود الّا الله ولاحول ولاقوّة الّا بالله ولانّ كلّ مادح اذاكان مدحه حمداً يعنى ثناء على جميل واقعىّ اختيارىّ لا يكون مادحاً الّا اذا صار عقلانيّاً ناظراً بنظر العقل ومتكلّماً بلسان العقل لابنظر الجهل ونظر نفسه ولا بلسان الجهل ولسانه ، ونظر العقل ولسانه نظر الله ولسانه فحمده يكون حينئذٍ حمد الله لاحمد غير الله ، اوبمعناه المصدرىّ والله مفعوله والاصل حمدت الله حمداً فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه وادخل عليه الّلام و عدل به الى الرّفع وجعل مفعوله بتوسط الّلام خبراً له هذا باعتبار الحدوث والصدور للمعنى المصدرىّ و يجوز ان يعتبر المصدر مبنيّاً للفاعل او المفعول بمعنى اعتبار ثبوت الحدث للفاعل او المفعول واتّصافه به من غير اعتبار الحدوث والصدور فيه ، ويكون المعنى الحامديّة لله اوالمحموديّة لله .

اعلم انّ مايحمد عليه من صفاته الجماليّة عين مايسبّح تعالى به من صفاته الجلاليّة لانّ اصل جميع

صفاته الثّبوتيّة الجماليّة الّتي يحمد تعالى عليهاهوسعة وجوده واحاطته لكلّ وجود وعدم وكلّ موجود ومعدوم لانّ العدم ثابت له نفسه الّتي هي عدم النفسيّة بالوجود والمعدوم محكوم عليه بالعدم بسبب الوجود وسعة وجوده ليست الّا سعة جملة صفاته واصل جميع صفاته السلبيّة الجلاليّة الّتي يسبّح تعالى بها هوسلب الحدود عنه تعالى وسلب الحدود راجع الى سلب السّلوب ومصداق سلب السّلوب ليس الّا الوجود وهذا بخلاف الممكنات المحدودات فانّ السّلوب الرّاجعة اليها هي سلوب الوجودات الّتي هي منتزعة من حدود وجوداتها لامن نفس وجوداتها فسبحان من لايحمد الّا على مايسبّح به ولا يسبّح الّا بما يحمد عليه ولذلك كان قلمّا ينفكّ ذكر التّسبيح عن صريح الحمد اومعناه في الكتاب والسنّة والمراد انشاء الحمد بهذه الكلمة اوالاخبار بمحموديّته تعالى ولمّا كان الله اسماً للذّات باعتبارظهوره والذّات متّحدة مع جميع الصّفات الحقيقيّة وظهور الذّات ظهورلتلك الصّفات كان الكلام في قوّة ان يقال : الحمد للذّات الجامعة لجميع صفات الكمال لجمعها جميع صفات الكمال .

رَبِّ الْعَالَمِينَ قرء بكسر الباء وفتحها من ربّه بمعنى ملكهاوجمعه اوربّاه اواصلحهاوصاحبه اولزمه والكلّ مناسب ، والربّ صفة مشبّهة اواسم فاعل مخفّف رابّ اومصدراقيم مقام اسم الفاعل ، والعالم من العلم او من العلامة مثل الخاتم بمعنى مايعلم به ويطلق على ماسوى الله جملة وعلى كلّ مرتبة من مراتب ما سوى الله ، وعلى كلّ نوع من انواع الموجودات ، وعلى كلّ فرد من افراد الانسان كأنّه اعتبر في اطلاقه اجتماع امورمع نحو اتّحاد بينها وجمعه بالواو والنّون على خلاف القياس وربوبيّته تعالى ليست كربوبيّة المّلاك للاملاك ولاكربوبيّة الاباء للاولاد ، ولاكربوبيّة النّفس للاعضاء ، بل كربوبيّة النّفس للقوى من حيث انّهاتكون محصّلة للقوى ومقوّمة لها وحافظة ومبلّغة لها الى كمالاتها الاوّليّة والثّانويّة فانّ الله تعالى مفيض الوجود على العالمين وحافظ ومقوّم لها ومبلّغ لها الى كمالاتها الاوّليّة والثّانويّة ولذلك عقّبها بقوله اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ليكون تفضيلالها وقد مضى تحقيق الصّفتين وجعلهما هيهنا صفتين لله يشعر بجعلهما في التّسميّة صفتين لاسم الله ليكون تأسيساً و اشارة الى انّ القارى ينبغي ان يكون في قرائته مرتقياً من النّظر الى الاسماء والاتّسام بها و توصيفها بصفات الله الى النّظر الى الذّات وتوصيفها بصفاتها حتّى يتحقّق في حقّه امتثال امر: اقرء وارق :

مٰالِكِ يَوْمِ الدِّينِ قرء مالك على وزن الفاعل بالجرّ والاضافة وبالنّصب والاضافة وبالرّفع والاضافة وبالرّفع منوّناً ، وقرء ملك بفتح الميم وكسر اللّام بالجرّ والنّصب والرّفع والاضافة، وقرء ملك باسكان اللّام تخفيفاً ، وقرء ملك على لفظ الفعل، ومالكيّته تعالى للاشياء ليست كما لكيّة المّلاك لاملاكهم ولاكمالكيّة الملوك لمما لكهم ولاكما لكيّة النّفوس لاعضائها بل كما لكيّة النّفوس لقويها وصورها العلميّة الحاصلة الحاضرة عندها يفني ماشاء منها ويوجد ماشاء ويمحو ويثبت ، وتخصيص مالكيّته تعالى بيوم الدّين للاشارة الى الارتقاء الّذى ذكرنا فانّ الانسان مابقى في عالم الطّبع والبشريّة لم يظهر عليه مالكيّته تعالى و اذا ارتقى الى اوّل عالم الجزاء وهوعالم المثال ظهرعليه انّه تعالى مالك للاشياء كما لكيّته لصوره العلميّة وقواه النّفسيّة فالمعنى ظاهر مالكيّته يوم الدّين سواء كان المراد ظاهر مالكيّته للاشياء اولنفس يوم الدّين و لمّا كان الواصل الى يوم الجزاء حاضراً بوجه عند مالكه قال تعالى بطريق التّعليم إِيّٰاكَ نَعْبُدُ يعني ينبغي للقارى ان يرتقى الى مقام الحضور ويشاهد الحقّ تعالى في مظاهره تعالى فيرى انّه ماكان مالكاً لشيىء من امواله و افعاله واوصافه وذاته وانّ الله كان هوالمالك للكلّ بالاستحقاق فيقع في مقام الالتجاء ويخاطبه بلسان حاله وقاله

ولسان ذاته وجميع جنوده وقواه و يظهر عبوديّته ورقّيته له تعالى بنحو حصر العبوديّة فيه فانّ مقام الحضور يقتضى التضييق فى العبوديّة بحيث لا يبقى للحاضر مجال النّظر الى غير المعبود الم تنظر الى قوله تعالى الم تكن ارض الله واسعةً فتهاجروا فيها من غير ذكر عبادة فيه فضلاً عن حصر العبادة فيه تعالى، والى قوله تعالى ياعبادى انّ ارضى واسعةٌ فايّاى فاعبدون بذكر العبادة وحصرها فيه تعالى . فانّ مقام الغيبة لايكون فيه عبادة ولو فرض عبادة لم يكن الّا للاسم لالله فضلاً عن الحصرفيه تعالى ، وفى مقام الحضور لايكون غير العبادة ولاتكون العبادة الّا لمن حضر لديه ولذلك قال تعالى فى موضع آخر و اعبدوا الله واعبدوا ربّكم ويكون المقصود من اظهار العبادة والحصر فى الله تعالى تمهيداً لطلب الاعانة منه ويقول بطريق الحصر نفعل فعل العبيد لك لالغيرك اونصير عبيداً لك لالغيرك وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فى دوام الحضور عندك وعدم الخروج من هذا المقام والبقاء على عبوديّتك وفى جملة الامور سوى هذا ، واذا بلغ السّالك فى قراءته الى مقام الحضور عند ربّه يكون لامحالة يتجاذبه كثرات وجوده ورعايا مملكته وتتقاضى منه قضاء حاجاتها واحقاق حقوقها فيضطرّ الى الالتفات اليها والى كثرات خارجة من مملكته لاضطرار الحاجة اليها فى قضاء حقوق رعاياه ويرى انّه قلّما ينفكّ فى معاملة الكثرات عن الافراط والتفريط وهما مانعان عن مقام الحضور ولذّة الوصال فيتضرّع على ربّه ويسأله الابقاء على لذّة الوصال عن الاشتغال بالاغيار ويقول اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ فى معاملاتنا مع اهل مملكتنا والكثرات الخارجة من مملكتنا بالتّوسط بين افراط التنصّر وتفريط التّهوّد فانّ الافراط وهو التّجاوز عن الطّريق بعد الوصول اليه يمنعنا عن مشاهدة جمالك بعد مامنحتنا بها ، والتّفريط ايضاً يقصّر بنا عن الحضور لديك . **والهداية** هى ارائة الطّريق سواء كانت مع الايصال الى المطلوب اوالى الطّريق اومجرّدة عنهما ، وسواء عديّت بنفسها اوبالى اوباللّام ، والصّراط بالصّاد والسّراط بالسّين والزراط بالزّاء الطّريق وقرء هيهنا بالصّاد والسّين والصّراط الظّاهر ظاهر ومستقيمه معلوم والمستوى منه ماكان فى حاقّ الوسط اومستقيماً وقد يقال المستقيم للطّريق الّذى يكون على اقرب الخطوط الى المقصود وهكذا المستوى والطّريق فى الحركات الاينيّة هوالمسافة بين مبدء الحركة ومنتهاها سواء صارت جادّة وطريقاً فى الارض اولم تصر، وهكذا الحال فى الحركات الوضعيّة ويكون المسافة وحدودها فى هاتين الحركتين موجودة قبل الحركة وامّا الحركات الكيفيّة والكمّيّة والجوهريّة فالطّريق فيها وهى مراتب الكيف والكمّ الطّارية على الجسم المتحرّك ومراتب الصّور الجوهريّة المتعاقبة على الجوهر المتحرّك غيرموجود لاقبل الحركة ولابعدها بل هو كالحركة القطعيّة الّتى لاوجود لها لاقبل الحركة ولابعدها بل وجودها يكون فى الذّهن بسبب رسم وصول المتحرّك الى حدود المراتب امراً متّصلاً وحدانياً فيه والموجود من الطّريق فيها هو مرتبة من الكيف اوالكمّ اوالجوهر الّتى وجودها كالحركة التّوسطيّة عين قوّة عدمها وتكوّنها عين قوّة تصرّمها ولذلك اشكل الامر على كثير من اهل النّظر فى بقاء موضوع محفوظ فى هذه الحركات خصوصاً فى الحركات الكميّة والجوهريّة بناء على انّ الجسم التّعليمىّ منتزع عن الجسم الطّبيعى وبتبدّله يتبدّل الجسم الطّبيعىّ وبتبدّله يتبدّل الموضوع و هكذا الحال فى توارد الصّور الجوهريّة فى الحركات الجوهريّة والحقّ انّ الموضوع محفوظ بكمّ ما وصورة ما محفوظين فى ضمن الكمّيّات والصّور الواردة بحافظ شخصىّ غيبىّ و مادّة باقية بكمّ ما و صورة ما فانّ الاتّصال الوحدانىّ مساوق للوحدة الشخصيّة وكل مكوّن من الجماد والنّبات والحيوان متحرّك من اوّل تكوّنه فى الكيف والكمّ بل فى الصّور الجوهريّة حتّى ينتهى الى كماله اللّائق بنوعه اوشخصه وهذا معنى كون الكون

فى التّرقى فانّ الحركة خروجٌ تدريجاً من القوّة الى الفعل والخروج من القوّة الى الفعل معنى التّرقّى وكلّ من هذه خروجه من القوّة الى الفعل من اوّل تكوّنه الى كماله الّلائق به يكون على الصّراط المستقيم والفعليّات الّلائقة به ان لم يمنعه مانع ولـم يعقه عائق سوى الانسان من افراد الحيوان فانّه بحسب استكمال بدنه يخرج على الصّراط المستقيم الّلائق بنوعه وشخصه ان لـم يعقه عائق وبحسب استكمـال نفسه ايضاً يخرج من القوّة الى الفعل على الصّراط الّلائق بنوعه و شخصه ما لـم يحصل له استقلال فى اختياره فاذا حصل لـه استقلال فى اختياره وحان اوان تمرينه وتكليفه فقد يخرج من القوى الى الفعليّات الّلائقة بنوع الانسان من دون حصول فعليّة مخالفة لنوعه متخلّلة بين تلك الفعليّات حتّى يصل الى آخرة فعليّاته وهى مقام الاطلاق والولاية الكليّة وعلويّة علىّ(ع) وهذا نادر وكثيراً مايخرج من القوى الى الفعليّات الّلائقة به بتخلّل فعليّات غيرلائقة به فيكون خروجه الى الفعليّات لاعلى الصّراط المستقيم الانسانىّ بل قد يعوّج صراطه الى غير الفعليّات الّلائقة به وقوله تعالى ونقلّبهم ذات اليمين وذات الشّمال اشارة الى هـؤلاء السّلاك ، وقد يخرج الانسان الى الطّرق المعوجّة والفعليّات الغير الّلائقة به من دون فعليّة لائقة به فقد ينتهى فى تلك الفعليّات فيصير أخسّ من البهائم اوالسّباع اوالشّيطان وقد يقف فيمسخ بصورة الفعليّة الّتى وقف عليها ولمّا كان الصّراط المستقيم الانسانىّ ادقّ الامور بحيث لايمكن لكلّ بصير تمييزه ، وأحدّ الامور بحيث لايمكن لكلّ سالك سلوكه من غير زلّة الى احد الطّرفين، وأخفى الامور بحيث لايمكن لكلّ مدركٍ ادراكه وكان الاشخاص مختلفين فى السّير عليه بحسب فطرتهم وبحسب الاسباب والمعاونات الخارجة وصف بأنّه أدقّ من الشّعر وأحدّ من السّيف وانّه مظلم يسعى النّاس عليه على قدر انوارهم ولكون تلك الفعليّات الّلائقة بالانسان صور مراتب انسانيّة الانسان ومحفوفة بفعليّات الافراط والتّفريط الّتى هى انموذجات الجحيم ومخرجة للانسان فى كلّ مرتبة وفعلّية من صورة من صور مراتب النّيران وموصلة الى صورة مرتبة من مراتب الجنان ورد انّ الصّورة الانسانيّة هى الطّريق المستقيم الى كلّ خير والجسر الممدود بين الجنّة والنّار؛ وانّ الصّراط ممدود على متن جهنّم ، ولمّا كان السّلوك على الصّراط الانسانىّ والخروج من القوى الى الفعليّات الانسانيّة مستلزماً للتّوسط بين الافراط والتّفريط فى الاعمال البدنيّة و الاحكام الشّرعيّة و فى الاعمال القلبيّة يعنى الاخلاق النّفسيّة والاحوال الطّاريـة و فى الاوصاف العقليّة والعقائد الدينيّة وكان التّوسّط فى ذلك مستلزماً للسّلوك على الصّراط الانسانىّ فسّر الصّراط بالتّوسط فى الاعمال والاحوال والاخلاق والعقائد والتّوسّط فى الاعمال مثل التّوسط فى الاكل والشّرب المشار اليه بقوله تعالى كلوا واشربوا فانّه اباحةٌ للاكل والشّرب اواستحباب اووجوب و منع عن الامساك ولا تسرفوا فانّه منع صريحاً عن الافراط ، ومثل التّوسط فى الانفاقات المشار اليه بقوله تعالى لا تجعل يدك مغلولةً الى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط ، ومثل قوله تعالى فى الصّدقات الواجبة اوالمستحبّة و آتوا حقّه يوم حصاده ولا تسرفوا ، ومثل قوله تعالى فى الصّلوة او فى مطلق العبادات البدنيّة ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً ، والتّوسط فى الاحوال كالتّوسط بين الجذب والسّلوك الصّرف ، والتّوسط بين القبض والبسط ، والتّوسط بين الخوف والرّجاء ، والتّوسط فى الاخلاق كالتّوسط بين الشره والخمود المسمّى بالعفّة، والتّوسط بين التّهوّر والجبن المسمّى بالشجاعة، والتّوسط بين الجربزة والبلاهة المسمّى بالحكمة ، والتّوسط بين الظلم والانظلام المسمّى بالعدالة ، والتّوسّط فى العقائد كالتّوسط بين التّنزيه المحدّد والتّشبيه المجسّم فى الحقّ الاوّل تعالى شأنه ، والتّوسط بين حصر النّبى(ص) والامام(ع) على المرتبة

الجسمانيّة واعلائهما الى مرتبة الآلهة فى اعتقاد النّبوّة والامامة ، والتّوسط بين الجسمانيّة الطّبيعيّة والروحانيّة الصّرفة فى اعتقاد المعاد وطبقات الجنان ولذّاتهـا ودركات النيران وآلامها ، ولمّاكان الخارج الى الفعليّات الانسانيّة والسّالك على الصّراط المستقيم يصير متحقّقاً بتلك الفعليّات فاذا بلغ الى مقام من مقامات الآلهه وصار به نبيّاً اوخليفة وصار بنفسه طريقاً وصراطاً مستقيماً من مقام بشريّته ومقامات روحانيّته وصارولايته الّتى هى البيعة معه والاتّصال به بنحو مخصوص وكيفيّة خاصّة طريقاً انسانيّاً لانّها طريق الى روحانيّته وروحانيّته طريق حقيقة الى الله صحّ ما ورد عن الصّادق (ع) من انّها الطّريق الى معرفة الله و هما صراطان صراط فى الدّنيا وصراط فى الآخرة فامّا الصّراط فى الدّنيا فهو الامام المفترض الطّاعة ؛ من عرفه فى الدّنيا واقتدى بهديه مرّ على الصّراط الّذى هو جسر جهنّم فى الآخرة . ومن لم يعرفه فى الدّنيا زلّت قدمه عن الصّراط فى الآخرة فتردى فى نارجهنّم ، وماوردعنه انّ الصّراط اميرالمؤمنين (ع) وزيدفى خبرٍ : ومعرفته ، وماوردانّه معرفة الامام(ع) وماورد من قولهم : نحن الصّراط المستقيم وصحّ ان يقال انّ بشريّة الامام ومعرفة بشريّته من دون معرفة نورانيّته والاتّصال ببشريّته والبيعة معه طريق الى الطّريق الى الله وانّ الطّريق الى الله هو نورانيّة الامام(ع) ومعرفتها والاتّصال بها و يسمّى الاتّصال بالامام (ع) و معرفته بحسب نورانيّته عند الصّوفيّة بالحضور والفكر واوّل مرتبة ذلك الاتّصال والمعرفة هو ظهورالامام بحسب مقام مثاله على صدرالسّالك الى الله وليس المراد بهذا الفكر والحضور مااشتهر بين مرتاضى العجم من جعل صورة الشيخ نصب العين بالتّعمّل وانكان ورد عن ائمّتنا(ع) الاشعار بمثل هذا المعنى فانّه ورد عن الصّادق(ع) وقت تكبيرة الاحرام تذكّر رسول الله(ص) واجعل واحداً من الائمّة(ع) نصب عينيك ، فانّه تقيّد بالصّورة وشبيه بعبادة الاصنام بل المراد انّ السّالك ينبغى ان يجلومرآة قلبه بالذّكر والاعمال المأخوذة من شيخه ، فاذا اجتلى الذّهن وقوى الذّكر وخلا القلب من الاغيار ظهرالشّيخ بمثاله على السّالك فانّ الذّكر المأخوذ منه نازلة وجوده فاذا قوى تمثّل بصورته واذا ظهرالشّيخ بمثاله رفع كلفة التّكليف عنه والتذّ بحضوره عند محبوبه ورأى انّ كلّ مايرد عليه انّما هو من محبوبه فيلتذّ بها ولو لم يكن ملائماً لانّه يراها من محبوبه وحينئذٍ قديكون ظهور الشّيخ بنحو ظهور المباين الخارج على المباين ، وقديكون بنحوالحلول فى وجوده ، وقديكون بنحوالاتّحاد ، وقديكون بنحوفناء السّالك وبقاء الشّيخ وحده وللسّالك فى كلّ من المراتب مراتب ودرجات وحالات وورطات مهلكات اذا اغترّوخرج من تصرّف الشّيخ ومن عرض حاله عليه فانّه كثيراً يغترّ بما يشاهده من غير تميّز ويعتقد ماعاينه من غيرعرض على بصيرحتّى يبيّن له سالمه عن سقيمه فيظهرمنه مالايرضيه الشّرع من مثل انّى اناالله ، وليس فى جبّتى سوى الله ويظهر منه اعتقاد الحلول والاتّحاد والوحدة الممنوعة والاباحة والالحاد فى الشّريعة المطهّرة ، ولمّاكان السّالك على الفعليّات الانسانيّة يصير الفعليّة الاخيرة صورة له وسائرالفعليّات تصيركالمادّة وشيئيّة الشيئ بصورته لابمادّته صحّ اضافة الطّريق اليه باعتبارانّه الفعليّة الاخيره وصحّ تفسيره به باعتبارانّه متحقّق بجميع الفعليّات ، ولمّاكانت السّورة تعليماً للعباد كيف يحمدونه ويلتجؤن اليه ويدعونه فقوله تعالى اهدنا تلقين لكلّ العاد ان يدعوه للهداية فمعنى اهدنا بالنّسبة الى غيرالمسلم دلّنا على الطّريق الّذى هوالنّبىّ الّذى هوالطّريق اليك او اوصلنا اليه وبالنّسبة الى المسلم دلّنا على الطّريق الّذى هو الولىّ الّذى يؤمن به او اوصلنا او ابقنا على الصّراط الّذى هوالاسلام باختلاف نظره فانّه انكان ناظراً الى اسلامه وراضياً به فالمعنى أدمنا ، وانكان ملتفتاً الى انّ الاسلام طريق الى الايمان فالمعنى دلّنا او أوصلنا الى الايمان ، وبالنّسبة الى المؤمن الغيرالحاضر عند شيخه بحسب نورانيّته أدمنا على الطّريق اوأوصلنا اودلّنا بحسب اختلاف نظره وبالنّسبة الى الحاضرعند

شيخه بحسب نورانيّته أدمنا اواذهب بنا على الطّريق ، وبهذه الاعتبارات اختلفت الاخبارفى تفسير «اهدنا» ولمّا كان السّلوك على الصّراط المستقيم الانسانيّ لايحصل الّا بالولاية والولاية هى النّعمة الحقيقيّة وبهايصير الاسلام نعمة ابدل تعالى عنه قوله تعالى صِراطَ الَّذينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ فانّ الانعام للانسان ايتائه ما يلايم انسانيّته والملايم لانسانيّته هى الولاية المخرجة له الى فعليّاته الانسانيّة ، والفعليّات الانسانيّة من مراتب الولاية والآثار الصّادرة والّلازمة من فعليّاته الانسانيّة من التّوسط فى الامور المذكورة وهكذا الاعمال المعينة على الخروج المذكور انّما هى نعمة باعتبار اتّصالها بالنّعمة الّتى هى الولاية ولذلك ورد عن مولينا اميرالمؤمنين (ع) فى تفسيره انّه قال: قولوا اهدنا صراط الّذين انعمت عليهم بالتّوفيق لدينك وطاعتك لابالمال والصّحة فانّهم قد يكونون كفّارا اوفسّاقاً قال وهم الّذين قال الله تعالى ومن يطع الله والرّسول فاولئك مع الّذين أنعم الله عليهم الى قوله وحسن اولئك رفيقاً . والنّعم الصوريّة انكانت مرتبطة بالولاية كانت نعمة ّوالّا صارت نقمة اذاكانت معينة على الخروج الى الفعليّات الغير الانسانيّة وهكذاكان حال الفعليّات الانسانيّة بعد ماحصلت بالولاية يعنى اذا صارت مسخّرة للشّيطان بعد ماكانت مسخّرة للرّحمن صارت نقمة بعد ماكانت نعمة ً، ولمّا كان المنعم عليهم بالولاية هم المتوسّطين بين التفريط والتقصير فى ترك الولاية والافراط المخرج عن حدّ الولاية وصراطهم كان متوسّطاً بين التّفريط والافراط فى جملة الامور وصفهم بقوله غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَاالضّالّينَ فانّه قد فسّر المغضوب عليهم بالمفرّطين المقصّرين والضّالّون بالمفرطين المتجاوزين لانّ المفرّط المقصّر لمّا لم يبلغ الى الولاية لم يصر مرضيّاً اصلاً والمفرط فى امر الولاية لمّا صار بالوصول الى حدّالولاية مرضيّاً خرج من المغضوبيّة لكنّه بتجاوزه عن حدّالولاية ضلّ عن طريق الانسانيّة وعن طريق الرّضا فانّ المعيار للرّضا والغضب وللافراط والتفريط هوالولاية لاغيرلانّها حدّ استقامة الانسان وسبب ارتضائه وقد يفسّر «المغضوب» عليهم بمن لم يبلغ فى وصفه مقام النّبىّ(ص) اوالامام(ع) والضّالّ بمن وصفهما بماهو فوق ادراكه اوفوق مقامهما وبهذا المعنى فسّرا باليهود والنّصارى وانكان يجوز ان يكون تفسيرهما باليهود والنّصارى باعتبار المعنى الاوّل و يجوز ان يجعل عطف الضّالّين من قبيل عطف الاوصاف المتعدّدة لذات واحدة فانّ المفرّط والمفرط كليهما مغضوب عليهما وضاالّان بمعنى انّهما فاقدان للطّريق سواءكان الفقدان بعدالوجدان اوقبل الوجدان ، وقد يفسّر «المغضوب عليهم» بالنّصاب لشدّة غضب الله عليهم « والضّالون» بمن لم يعرف الامام وبمن كان شاكّاً فيه .

اعلم انّ السّورة المباركة تعليم للعباد كيف يحمدون ويثنون على الله تعالى وكيف يقرؤن ويرتقون فى قراءتهم وكيف يخاطبون ويسألون، فالامر بالاستعاذة فى اوّل القراءة للاشارة الى انّ الانسان واقع بين تصرّف الرّحمن والشّيطان الّا من عصمه الله فاذا اراد القراءة اوالثّناء على الله والمناجاة له ينبغى ان يستعيذ من تصرّف الشّيطان ويلتجئ الى حفظ الله وامانه حتّى لايكمن الشّيطان خلف قلبه ولايخلى الفاظ ثنائه ومقرّواته من معانيها المقصودة لله ولايدخل فيها المعانى الشّيطانيّة فيصير الحامد حامداً للشّيطان وقارياً لكتاب الشّيطان وهويحسب انّه حامد لله وقار لكتاب الله ويكون داخلاً فى مصداق قوله تعالى يلوون السنتهم يعنى لا لسان الله بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب فلابدّ للمستعيذ ان يكون ملتفتاً الى مايقول ويجعل حاله حال الاستعاذة من الشّيطان و الّاكان استعاذته كقراءته بتصرّف الشّيطان واستعاذة من الرّحمن لاالى الرّحمن وجعل التسميّة

جزء من اوّل كلّ سورة والامر بها فى اوّل كلّ امر اشارة الى انّ الفاعل لكلّ فعل وخصوصاً عند تلاوة القرآن الّذى هو كلام الله ينبغى ان يسم نفسه بسمة من سمات الله حتّى يصير لسانه وسائر اعضائه آلات لتلك السّمة وكلامه وافعاله كلاماً وافعالاً لذلك الاسم فيصحّ جعلها لله فانّها ان لم تكن من الله لم تكن لله ولو لم يسم نفسه بسمة من سمات الله صار متّسماً بسمة من سمات نفسه وسمات الشّيطان فصارت اعضاؤه آلات للشّيطان فكان افعالها افعالاً صادرة من الشّيطان وراجعة اليه و صار القارى والفاعل ممّن يلوون السنتهم بالكتاب و ممّن قال الله فيهم فويلٌ للّذين يكتبون الكتاب بايديهم لابيدالله ثمّ ينظر الى سعة ظهوره تعالى بصفاته فى كلّ سمة من سماته فينظر الى جملة اضافاته تعالى الظّاهرة من تلك السّمة بالنّسبة الى اهل مملكته ان كان قاصراً عن رؤية اضافاته بالنّسبة الى خارج مملكته فيصفها بأمّهات اضافاته تعالى وهى رحمته الرّحمانيّة الدّالة على الابداء والابقاء ورحمته الرّحيميّة الدّالة على الاعادة وافاضة الكمالات الاختياريّة الانسانيّة حتّى يستعدّ بذلك التّوصيف للنّظر الى الله تعالى وتوصيفه بصفاته فى حمده وثنائه بدون وساطة سماته وتختلف السّمات بحسب اختلاف حال القارى والمتّسم فتلك السّمة بالنّسبة الى المنقادين القابلين للولاية الغائبين عن الله وعن امامهم هى جهة النّفس المنقادة لولىّ امرها وهى المقوّمة والرّازقة المبقية بالنّسبة الى اهل مملكتها والمفيضة لكمالاتها الاختياريّة وبالنّسبة الى من عرف و وجد انموذجات اسمائه تعالى فى وجوده تلك الانموذجات وبالنّسبة الى من حضر عند شيخه ووجد مثال شيخه فى مملكته هى صورة شيخه وهو اوّل مقامات المعرفة بالنّورانيّة. وبالنّسبة الى من خرج من مقام التقدّر وعاين الاشياء مجرّدة عن التقدّر روحانيّة شيخه مجرّدة عن التقدّر، وبالنّسبة الى من خرج عن مقام التحدّد والتقيّدات الامكانيّة مقام الاطلاق المعبّر عنه بالمشيّة وبالنّسبة الى الجامع لجميع المقامات سمات تمام المقامات وبعد الاستعداد للنّظر الى الذّات من غير احتجاب بحجب السمات ينبغى للقارى ان يجرّد النّظر عن الاسماء وينظر الى الله فى كلّ شيئ وفيئ، ولايرى من الاشياء الّا الحدود والنقائص ولايرى صفات الكمال الّا من الله. ويطلق لسانه بصيغة الحمد انشاءً اواخباراً بنحو حصر المحامد اوالحامديّة اوالمحموديّة فيه تعالى، ويصفه بربوبيّته الّتى هى حفظ الاشياء بكمالاتها الموجودة وتبليغها الى كمالاتها المفقودة وهكذا الى آخر السورة بنحو ماذكر سابقاً.

ثمّ اعلم انّ للسّالكين الى الله اسفاراً ومنازل ومقامات ومراحل لايحصيها الّا الله وقد قالوا انّها بحسب الامّهات منحصرة فى أربعة اسفار، الاوّل، السّفر من الخلق الى الحقّ وهو السّير من حدود الكثرات والنّظر اليها الى الحقّ الاوّل، ومنتهى هذا السّفر الوصول الى حدود القلب ومشاهدة الحقّ الاوّل فى مظاهره بصفاته و اسمائه، ولا ينفكّ السّالك فى هذا السّفر من العنا وكلفة التّكليف و فى حقّ هذا السّالك قال المولوى قدّس سرّه :

جمله دانسته كه اين هستى فخ است ذكر و فكر اختيارى دوزخ است

والثّانى، السّفر من الحقّ فى مظاهره الى الحقّ المطلق وفى هذا السّفر يتبدّل الكلفة راحة والمرارة لذّة والخوف أمناً، وفى هذا السّفر ورطات مهلكات كما سيجيئ. والثّالث، السّفر بالحقّ فى الحقّ، وفى هذا السّفر يسير السّالك بتسيير الحقّ من غير شعور منه بسيره ولا بذاته، والسّلاك فى هذا السّفر احد مصاديق قوله تعالى انّ اوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى. والرّابع، السّفر بالحقّ فى الخلق وابتداء هذا السّفر ابتداء الرّبوبيّة وانتهاء العبوديّة ومقامات هذا السّفر لايحصيها الّا الله وتحديد عدد الانبياء(ع) والاوصياء(ع) بمأئة واربعة وعشرين الفاً اشارة الى امّهات تلك المقامات وسيجيئ تحقيق تامّ لبيان الاسفار ومراتب الانسان عند

قوله تعالى و اثمهما اكبر من نفعهما فى سورة البقرة . اذا تنبّهت بذلك فاعلم انّ السّورة المباركة اشارة اجمالاً الى الاسفار الاربعة المذكورة فانّ الاستعاذة اشارة الى السّفرمن الخلق الى الحقّ لانّ هذا السّفرفرار من الكثرات ومظاهر الشّيطان الى عالم التّوحيد ومظاهر الحقّ تعالى ، والاستعاذة القوّلية اخبار بهذا الالتجاء والاستعاذة الفعليّة نفس ذلك الالتجاء والفرار، والتسميّة الى قوله مالك يوم الدّين اشارة الى السّفر من الحقّ الى الحقّ فانّ التسميّة اخبار بالاتّصاف بصفاته تعالى و ما بعده الى مالك يوم الدّين اعلام بحركة السّالك فى صفات الحقّ تعالى الى ظهورمالكيّته وفناء العبد من ذاته وهذا السّفرحركة فى صفات الحقّ تعالى الى فناء العبد ، وقوله ايّاك نعبد وايّاك نستعين اشارة الى السّفربالحقّ فى الحقّ لانّ مالكيّته تعالى لا يظهر الّا اذا صار العبد فانياً من فعله ووصفه وذاته وبفناء ذاته يتّم عبوديّته وبعدكمال عبوديّته لايكون سيره الّا فى الحقّ المطلق ولايكون الّا بالحقّ لعدم ذات له ، وقوله تعالى اهدنا الصّراط المستقيم اشارة الى السّفربالحقّ فى الخلق وهذا هو الرّجعة الاختياريّة فى العالم الصّغير والبقاء بعد الفناء والصّحو بعد المحو ، وينبغى ان يكون هذا السّفر بحفظ الوحدة فى الكثرات والصّراط المستقيم فى هذا السّفر هو محفوظيّة الوحدة فى الكثرة بحيث لايغلب احديهما على الاخرى ولا يختفى احديهما تحت الاخرى وهذه الاحوال قد تطرؤ على السّلاك سواء استشعروا بها اولم يستشعروا .

اذاقنا الله وجميع المؤمنين منها ومكنّنا فيها والحمدلله اوّلاً وآخراً ولاحول ولا قوّة الّا بالله العلىّ العظيم.

سورة البقرة

مدنيّة كلّها الّا آيةً واحدة منها وهی قوله تعالی واتّقوا يوماً ترجعون فيه الی الله فانّها نزلت فی حجّة الوداع بمنی كذا فی المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

تحقيق مراتب الوجود و انّه حقيقة واحدة مشكّكه

الٓمٓ ، اعلم انّ الوجود حقيقة واحدة متأصّلة فی التحقّق ظاهرة فی مراتب كثيرة متفاوتة بالشدّة والضّعف والتقدّم والتأخّر متكثّرة بحسب تكثّر التّعيّنات الّتی نشأت من تنزّلاتها و التعيّنات تابعة لها فی التحقّق مجعولة بمجعوليّتها معلولة بمعلوليّتها لا حكم لها فی انفسها لانّها من حيث هی ليست الّا هی لامعدومة ولا موجودة ولا موصوفة بشیٔ من توابعهما ، والمدارك الحيوانيّة لتقيّدها بالتعيّنات الكثيرة لاتدرك الّاالموجودات المقيّدة بالتعيّنات من حيث هی مقيّدة ولذا تتوهّم انّ الاصل فی التحقّق والمجعول بالذّات والمحكوم عليه هی التعيّنات وانّ الوجودات امور اعتباريّة لاحقيقة لها ولا عليّة ولا معلوليّة فيها .

و اعلم ايضاً انّ مرتبة من تلك الحقيقة غيب مطلق لاخبر عنها ولا اسم لها ولا رسم والاخبار عنها بأن لاخبر عنها من قبيل الاخبار عن المعدوم المطلق بأنّه لاخبر عنه والاسم الّذی استأثره الله تعالی لنفسه ولم يظهره لغيره هو فی تلك المرتبة ، ومرتبة منها ظهور المرتبة الاولی وتجلّيه تعالی بأسمائه وصفاته وذلك الظّهور يسمّی باعتبارٍ بالواحديّة وباعتبارٍ بالمشيّة كما يسمّی باعتبارٍ بالعرش وباعتبارٍ بالكرسی وباعتبارٍ بالله وباعتبارٍ بالعلیّ وهی كلمة الله وفعل الله واضافته الاشراقيّة ونور الله فی السّماوات والارض وتسمّی بنفس الرّحمن للتّشبيه بنفس الانسان وهی البرزخ بين الوجوب والامكان والجامع بين الاضداد كلّها وفی تلك المرتبة يجیٔ الكثرة كم شئت بحسب كثرة الاسماء والصّفات وبحسب كثرة التعيّنات :

تحقيق معنی بسيط الحقيقة كلّ الاشياء

وماقيل انّ بسيط الحقيقة كلّ الاشياء وليس بشیٔ منها، اشارة الی تلك المرتبة ؛ والّا فمرتبة الوجوب الذّاتیّ لا خبر عنه كما مرّ و وجه كونها كلّ الاشياء انّها ماخوذة لا بشرط والمأخوذ لابشرطٍ لاينافی المأخوذ بشرطٍ بل هو هو مقطوع النّظر عن الشّرط وماورد فی الايات والاخبار فی بيان هذاالاتّحاد مشيراً الی بقاء المغايرة بين هذه المرتبة وبين الاشياء مثل قوله تعالی هو معكم وقوله تعالی اينما تولّوا فثمّ وجه الله وقوله و هو بكلّ شیٔ محيط وقوله الله نور السّموات والارض وقول المعصوم (ع) داخل فی الاشياء لا بالممازجة وقوله (ع) مارأيت شيئاً الّا ورأيت الله فيه وغيرذلك ممّا يدلّ علی الاتّحاد والمغايرة اجود من قولهم بسيط الحقيقة كلّ الاشياء وليس بشیٔ من الاشياء ، حيث يحتاج الی هذا القيد ويوهم اتّحاده مع الاشياء ومن حيث انّها مقيّدة بقيودها ومراتب

منها ظهورات تلك المرتبة بحسب تنزّلاتها وترقّياتها وتكثّراتها بحسب التعيّنات وتلك المراتب هى الّتى تسمّى باعتبار بالملائكة الّذين هم قيام لاينظرون والصّافات صفّاً والمدبّرات امراً والرّكّع والسجّد وعالم الكون المنقسم الى السّماويّات والارضيّات ، وباعتبار بالاقلام العالية واللّوح المحفوظ ولوح المحو والاثبات وعالم العين المنقسم الى الاباء العلويّة والامّهات السّفليّة ودار الجنّة وكلّ تلك المراتب نازلها مثال وظهور لعاليها وعاليها حقيقة لنازلها والانسان الّذى هو خلاصة جملة الموجودات ايضاً له مراتب كمراتب العالم وكلّ مرتبة منه حقيقة اورقيقة لما سواه فكلّما يجرى على لسان بشريّته رقيقة وتنزّل وظهور لما يجرى على لسان مرتبة مثاله ، ومايجرى على لسان مثاله رقيقة لما يجرى على لسان قلبه ، وهكذا وكلّ تلك رقائق لماثبت فى المشيّة وفضل الانسان بقدر الاستشعار بتلك المراتب والاتّصال بها ، ومن لايدرك من الانسان سوى البشريّة فقدره قدر البهيمة واكثر النّاس غافلون عن تلك المراتب لايدركون من الانسان سوى ما فى اهابه والمستشعر بتلك المراتب والمتحقّق بها اذا تكلّم هو اوغيره بكلمة يستشعر بحقائق تلك الكلمة وصور حروفها فى المراتب العالية اويتحقّق بها .

تحقيق جريان الحروف المقطّعة على لسان المنسلخ عن هذا البنيان

وما قيل : انّ كلّ حرف من القرآن فى الالواح العالية اعظم من جبل احد ؛ صحيح عند هذا الاستشعار اوالتحقّق ، وقد يتحقّق الانسان بالمراتب العالية اويستشعر بها اوّلاً ثمّ ينزّل من تلك المراتب على بشريّته الكلمات الّتى هى رقائق مايظهر عليه من الحقايق فى تلك المراتب ، وقد نقل عن بعض انّه كان اذا سمع كلمة دالّة على المعانى العالية اوذكر كلمة كذلك يأخذه الغشى وينسلخ من بشريّته وربّما كان يتكلّم حين الغشى بالحقائق الالٰهيّة وقدكان رسول الله (ص) يأخذه حالة شبيهة بالغشى حين نزول الوحى وكان (ص) قد يظهر عليه الحقائق حينئذٍ فى تلك المراتب بنحو التّفصيل وتنزّل على بشريّته ايضاً بنحو التّفصيل وتسمّى النّازلة بكلام الله وبالحديث القدسى ، وقد يظهر الحقائق بنحو الاجمال والبساطة وتنزّل على بشريّته كذلك فيعبّر عنها بطريق الاجمال وبالحروف المقطّعة مثل فواتح السّور .

معنى تأويل القرآن وبطونه

وتأويل القرآن عبارة عن ارجاع الفاظه الى حقائقها الثابتة فى تلك المراتب ، وبطون القرآن عبارة عن الحقائق الثابتة فى تلك المراتب ولكون المراتب باعتبار كلّيّاتها سبعاً وباعتبار جزئيّاتها ترتقى الى سبعمائة الف اختلف الاخبار فى تحديد البطون ولعدم امكان التّعبير عن تلك الحقايق للرّاقدين فى مراقد الطّبع الّا بالامثال كما يظهر الحقائق العينيّة للنّائمين عن هذا العالم بالامثال اختلف الاخبار فى تفسير فواتح السّور وماورد فى تفسيرها صريحاً اوتلويحاً تبلغ اثنى عشر وجهاً فنقول: آلم ، امّا بعض حروف الاسم الاعظم القى اليه (ص) تنبيهاً له (ص) حتّى يؤلّفه ويدعو به اوهو من الاسرار الّتى لايطلع عليها احداً اوهو مأخوذ من حروف الكلمات الّتى هو اشارة اليها مثل انا الله المجيد او هو مأخوذ من حروف الاسماء الّتى هو اشارة اليها مثل الله ، جبرئيل (ع) محمّد (ص) اوهو اسم للسّورة اوللقرآن كما قيل اوهو اسم لله اولمحمّد (ص) اوهى اسماء للحروف البسيطة المركّب منها الكلمات ، والمقصود انّ المؤلّف ، من مسمّياتها هذا القرآن اوالسّورة وهى لغتكم وانتم عاجزون عن مثله اوهو اشارة الى مراتب وجود العالم اومراتب وجوده (ص) اوهو اشارة الى بد وظهور اقوام وآجالهم .

فی الوجوه المحتملة فی اعراب فواتح السور وعدم اعرابها

وقد ذكر اكثر هذه الوجوه فی الاخبار صريحاً وما لم يذكر صريحاً يستفاد منها تلويحاً وسائر ماقيل فيها ضعيف جدّاً وما يترتّب عليها من جهة خواصّها ومزاجها واعدادها فخارج عن اسلوب العربيّة ، فان كان حروف الاسم الاعظم فامّا ان يكون له محلّ من الاعراب اولا ، فان كان ذامحلّ من الاعراب فامّا ان يكون مبتدء محذوف الخبر اوخبراً محذوف المبتدأ اومفعولاً لمحذوف مثل اذكر اوادع اوالّف ممّا يناسب المقام اوهو مقسم به منصوب بفعل القسم اومبتدأ لما بعده اوخبر لما بعده اومنادى بتقدير حرف النّداء فهذه ثمانية اوجهٍ تجرى بأعيانها اوبامثالها فی جميع الوجوه المحتملة فی «الٓمٓ» الّتی هی اثناعشرويحصل من ضرب الثمانيّة فی الاثنی عشرستّة وتسعون وجهاً ويجری فی كلّ وجوه عديدة من الاعراب بحسب تركيبه مع ما بعده ونذكر وجوه الاعراب فی واحد من الستّة والتّسعين لتكون ميزاناً للباقی فنقول اذاكان الٓمٓ مأخوذا من حروف الاسم الاعظم وكان مبتدء محذوف الخبر تقديره الٓمٓ حروف الاسم الاعظم مثلاً فذلك بدل منه او عطف بيان والكتاب صفة لذلك اوبدل منه ولاريب على قراءة الفتح والرّفع «لا» فيه لنفی الجنس اوعاملة عمل ليس اوملغاة عن العمل فتلك اثنی عشر والجملة حال اومستأنفة فتلك اربعة وعشرون وخبر «لا» محذوف لشيوع حذف خبرلاحتّی قيل انّه لاخبر لها وفيه صفة لريب اوحال عنه لوقوعه فی سياق النفی اوحال عن الٓمٓ فتلك اثنان وسبعون وهدی حال من الرّيب اومن الٓمٓ اوصفة لريب اوخبرمبتدء محذوف اومفعول فعل محذوف بالوجوه الثّلثة فی حمل المصدر على الذّات اوتمييز فتلك ستّة عشر وجهاً مضروبة فی الاثنين والسّبعين فيحصل الف ومأة واثنان وخمسون ١١٥٢ و«للمتّقين» صفة لهدی اولريب اوحال عن الم اوعن ريب اوخبر مبتدء محذوف او ظرف لغو متعلّق بهدی اوبفيه فتلك سبعة مضروبة فی سابقتها تحصل ثمانيه آلاف واربعة وستّون ٨٠٦٤ ، اوعلى الوجوه الاربعة والعشرين الحاصلة عند تركيب لاريب ، لفظ فيه خبرمقدّم وهدی مبتدء مؤخّر والجمله صفة لريب اوحال منه اوحال من الم اومستأنفة فتلك ستّة وتسعون و«للمتّقين» على الوجوه الثمانية باضافة وجه كونه خبراً بعد خبر الى الوجوه السبعة السّابقة فتلك بعد الضّرب سبعمائة وثمانية وستّون تجمع مع الوجوه السّابقة تحصل ثمانية آلاف وثمانمائه واثنان وثلثون ٨٨٣٢ ، اوعلى الوجوه الاربعة والعشرين «هدی» مبتدء وللمتّقين خبره والمسوّغ تقديم فيه وفيه حال عن هدی اوظرف لغومتعلّق بالخبر اومتعلّق بهدی على ضعف والجملة على الوجوه الاربعة فتلك اثنا عشر تضرّب فی الاربعة والعشرين وتحصل مأتان وثمانية وثمانون وتجمع مع السّابقه حتّی تحصل تسعة آلاف ومائة وعشرون ٩١٢٠ ، أونقول على الوجوه الاربعة والعشرين «فيه» خبرلاوهدی صفة للرّيب اوحال عنه اوعن الم اوخبر بعد خبر او خبر مبتدء محذوف اومفعول فعل محذوف بالاوجه الثّلاثة فی حمل المصدر اوهدی تميز وللمتّقين صفة بالوجهين اوحال بالوجهين اوخبر مبتدء محذوف اوخبر بعد خبر اولغو بالوجهين فهذه ثلاثة آلاف وستّمائةٍ وثمانية واربعون ٣٦٤٨ أونقول على الوجوه الاربعة والعشرين فيه صفة لريب اوحال عنه اوعن الٓمٓ وهدی على الوجوه الثّلاثة فی حمل المصدر خبرلاوللمتّقين على الوجوه الثّمانية وبعد الضّرب تحصل الف وسبعمائةٍ وثمانية وعشرون ١٧٢٨ ، أونقول على الاربعة والعشرين فيه على الوجوه الثّلاثة وهدی على التّسعة عشر وللمتّقين خبر لا تحصل بعد الضّرب الف وثلاثماة وتسعة وستون ١٣٦٩ ، أونقول على الوجوه الاربعة والعشرين فيه هدی جملة معترضة او صفة اوحال بالوجهين و للمتّقين خبر لافهذه بعد الضّرب ستّة وتسعون ٩٦، أونقول على الاربعة والعشرين فيه هدیٰ خبرلا وللمتّقين على الوجوه التّسعة باضافة كونه خبراً بعد خبر لهدی الی الثّمانية السّابقة فهذه مأتان وستّة عشر ٢١٦، أونقول على الاربعة والعشرين فيه هدی للمتّقين جملة

واحدة خبرلا وفيه لغو متعلّق بقوله للمتّقين اوبهدى اوحال عن هدى فهذه اثنان وسبعون ٧٢ تجمع وتضاف الى مجموع الحاصل السّابق تحصل ستّة عشر الفاً وماثان وتسعة واربعون١٦٢٤٩ اونقول ذلك بدل اوعطف بيان على تقدير كون آلم مبتدء محذوف الخبر والكتاب مبتدء ومابعده خبره والجملة حال اومستأنفة والخبر لاريب محذوف الخبرعلى الثّلاة فى لفظ لا وفيه صفة الرّيب اوحال منه وامّا كونه خبراً بعد خبراوحالاً عن آلم اوعن الكتاب فضعيف جدّاً لاحتياج لاريب حينئذٍ الى تقدير عايد للمبتدء وهدى صفة للرّيب اوحال عنه اوعن آلم اوعن الكتاب اوخبر بعد خبر للكتاب اوخبرمبتدء محذوف اومفعول فعل محذوف بالاوجه الثّلاثة فى حمل المصدر اوهدى تميز وللمتّقين صفة لهدى اولريب اوحال عن آلم اوعن الكتاب اوعن الرّيب اوخبربعد خبر اوخبرمبتدء محذوف اوظرف لغومتعلّق بهدى اوبفيه فهذه بعد الضّرب اربعة آلاف وسبعمائة واثنان وخمسون ٤٧٥٢ ، اونقول على الوجوه الاثنى عشرحين كون لاريب محذوف الخبرخبراً للكتاب فيه هدى صفة لريب اوحال منه اومن الكتاب اومن آلم اوخبر بعد خبر او جملة مستأنفة وللمتّقين على العشرة باضافة كونه خبرا بعد خبر لهدى الى التّسعة السّابقة تحصل بعد الضّرب سبعمائة وعشرون ٧٢٠ اونقول على الاثنى عشرهدى للمتّقين جملة على السّتة وفيه حال من هدى اولغومتعلّق بقوله للمتّقين اوبهدى فهذه مأتان و ستّة عشر٢١٦ ، اونقول على الاثنى عشر خبر لاريب لفظة فيه وهدى صفة للرّيب اوحال منه اومن آلم اومن الكتاب اوخبر بعد خبر للكتاب اوخبربعد خبر للاريب اوخبرمبتدء محذوف اومفعول فعل محذوف بثلاثة اوجه فى حمل المصدر اوتميز وللمتّقين صفة هدى اوصفة ريب اوحال عن الرّيب اوعن آلم اوعن الكتاب اوخبر بعد خبر للكتاب اوللاريب اوخبر مبتدء محذوف اولغو متعلّق بهدى او بفيه فهذه ثلثة آلاف ٣٠٠٠ ، اونقول على الوجوه الاثنى عشرفيه صفة لريب اوحال عنه اوعن الكتاب وهدى خبر لاريب على الوجوه الثلاثة فى المصدر وللمتّقين على العشرة فهذه الف وثمانون ١٠٨٠ ، اونقول على الاثنى عشر فيه على الثّلاثة وهدى على الاثنين والعشرين وللمتّقين خبر لااوعلى الاثنى عشر فيه هدى صفة اوحال عن الرّيب اوعن الكتاب اوخبر بعد خبروللمتّقين خبرلااوعلى الاثنى عشر فيه هدى خبر لا وللمتّقين على العشرة اوفيه هدى للمتّقين خبر لا فهذه تسعمائة واثنان وسبعون يجمع مع سابقتها فتصير عشرة آلاف وسبعمائة وستّين ١٠٧٦٠ تضاف عليها المجموع السّابق فتصيرسبعة وعشرين الفاً وتسعة ٢٧٠٠٩، اونقول ذلك بدل اوعطف بيان والكتاب مبتدء والجملة حال اومستأنفة ولاريب محذوف الخبر على الثّلاثة حال اومعترضة وفيه خبر الكتاب وهدى على الاثنين والعشرين وللمتّقين على التّسعة فهذه بعد الضّرب تصير اربعة آلاف وسبعمائة و اثنين و خمسين ٤٧٥٢ ، اونقول ذلك بدل او عطف بيان والكتاب معطوف مبتدء والجملة على الوجهين ولاريب محذوف الخبر على السّتّة وفيه صفة لريب اوحال عنه اوعن الكتاب وهدى على الثّلاثة خبر الكتاب وللمتّقين على التّسعة فهذه الف وتسعمائة واربعة واربعون١٩٤٤ ، اونقول على الاربعة والعشرين عند لاريب لفظ فيه خبر لا وهدى على الثّلاثة خبر الكتاب وللمتّقين على التّسعة فهذه ستّمائة وثمانية واربعون ٦٤٨ ، اونقول ذلك بدل اوعطف بيان والكتاب مبتدء والجملة على الوجهين والخبر للمتّقين ولاريب محذوف الخبر على السّتة وفيه على الثّلاثة وهدى صفة لريب اوحال منه اومن الكتاب اوخبر مبتدء محذوف بالاوجه الثّلاثة فى المصدر اوتميز فهذه الف ومائة واثنان وخمسون ١١٥٢ ، اونقول على الاربعة والعشرين عند تركيب لاريب حين كون للمتّقين خبر الكتاب فيه خبر لا وهدى خبر بعد خبر اوصفة للريب اوحال عنه اوعن الكتاب اوخبر مبتدء محذوف اومفعول فعل محذوف على الثّلاثة فى حمل المصدر اوتميز فهذه اربعمائة وستّة وخمسون ٤٥٦ ، اونقول على الاربعة والعشرين عند لاريب حين كون خبر الكتاب للمتّقين فيه على الثّلاثة وهدى

خبر لا على الثلاثة اوعلى الاربعة والعشرين فيه هدى خبرلافهذه ماثان واربعون ٢٤٠ ، اونقول ذلك بدل اوعطف بيان والكتاب مبتدء والجملة على الوجهين ولاريب محذوف الخبر على السّتة وخبرالكتاب فيه هدى وللمتّقين على التّسعة اوعلى الاربعة والعشرين فيه هدى للمتّقين خبر الكتاب فهذه مائتان واربعون تجمع مع سابقتها وتضاف الى المجموع فتصيرستّة وثلثين الفاً واربعمائة وواحداً واربعين ٣٦٤٤١ ، اونقول آلم محذوف الخبر وذلك مبتدء والكتاب خبره والجملة حال اومستأنفة ولاريب محذوف الخبر على الثّلاثة فى لفظ لاخبربعد خبر اوحال عن آلم اوعن ذلك اومستأنفة وفيه خبر بعد خبراوصفة للريب اوحال عنه اوعن ذلك اوعن آلم وهدى صفة للريب اوحال عنه اوعن ذلك اوعن آلم اوخبر بعد خبر اوخبر مبتدء محذوف اومفعول فعل محذوف بالاوجه الثّلاثة فى حمل المصدر اوتميز وللمتّقين صفة هدى اوصفة ريب اوحال عن الريب اوعن ذلك اوعن آلم اوخبر بعد خبر اوخبر مبتدء محذوف اوظرف لغو بالوجهين فهذه ثلاثة وعشرون الفاً وسبعمائة وستّون ٢٣٧٦٠، اونقول ذلك مبتدء والكتاب خبره والجملة على الوجهين ولاريب على الاثنى عشروجملة فيه هدى على الخمسة وللمتّقين على التّسعة اوعلى الاربعة والعشرين الحاصلة عند تركيب لاريب جملة فيه هدى للمتّقين على الخمسة وفيه على الاربعة بجعله حالاً عن هدى اوظرفاً للخبر اولهدى اوخبراً مقدّماً فهذه الف وخمسمائة وستّون ١٥٦٠، اونقول جملة ذلك الكتاب على الوجهين ولاريب على الاثنى عشر وفيه خبر لا وهدى خبر بعد خبر للاريب اولذلك اوخبر مبتدء محذوف اومفعول فعل محذوف اوصفة ريب اوحال عنه اوعن ذلك اوعن آلم بثلاثة اوجه فى المصدر اوتميز وللمتّقين خبر بعد خبر بالوجهين اوخبر مبتدء محذوف اوصفة هدى اوصفة ريب اوحال عن الرّيب اوعن ذلك اوعن آلم اوظرف لغومتعلّق بهدى اوبفيه فهذه ستّة آلاف ٦٠٠٠ ، اونقول جملة ذلك الكتاب على الوجهين ولاريب على الاثنى عشر وفيه صفة ريب اوحال عنه اوعن آلم اوعن ذلك وهدى على الثّلاثة خبرلا وللمتّقين على العشرة فهذه الفان وثمانمائة وثمانون ٢٨٨٠، اونقول على الاربعة والعشرين عند تركيب لاريب فيه على الاربعة وهدى على التّسعة عشر وللمتّقين خبر لا فهذه الف وثمانمائة واربعة وعشرون ١٨٢٤ اونقول على الاربعة والعشرين فيه هدى خبر لا وللمتّقين على العشرة اوفيه هدى للمتّقين بالوجوه الاربعة فى لفظ فيه خبرلا فهذه ثلاثمائة وستّة وثلاثون ٣٣٦ ، تجمع مع سابقتها وتضاف الى المجموع الحاصل السّابق فتصير اثنين وسبعين الفاً وثمانمائة وواحداً ٧٢٨٠١ ، اونقول ذلك مبتدء والجملة على الوجهين والكتاب بدل اوعطف بيان ولاريب محذوف الخبر على الثّلاثة خبر ذلك وفيه على الخمسة وهدىً على الاثنين والعشرين وللمتّقين على التّسعة فهذه احد عشر الفاً وثمانمائة وثمانون ١١٨٨٠ ، اونقول على الاثنى عشرعند تركيب لاريب لفظ فيه خبرلا وهدىً على الخمسة والعشرين وللمتّقين على العشرة فهذه ثلاثة آلاف ٣٠٠٠ ، اونقول على الوجوه الاثنى عشر عند لاريب جملة فيه خبرلاوللمتّقين على العشرة اوجملة فيه هدى للمتّقين بالوجوه الاربعة فى لفظ فيه خبرلافهذه مائة وثمانية وستّون ١٦٨ ، اونقول على الوجوه الاثنى عشرعند لاريب لفظ فيه على الاربعة وهدىً خبر لا بالثّلاثة وللمتّقين على العشرة فهذه الف واربعمائه واربعون ١٤٤٠ ، اونقول على الاثنى عشرعند لاريب لفظ فيه على الاربعة وهدىً على التّسعة عشر وللمتّقين خبرلافهذه تسعمائة واثنا عشر٩١٢ ، اونقول على الاثنى عشر عند لاريب للمتّقين خبر لا وفيه هدىً على الخمسة باضافة كونها جملة معترضة فهذه ستّون ٦٠ تجمع مع سابقتها وتضاف الى مجموع الحاصل السّابق فتصير تسعين الفاً وتسعمائة وثلاثة وخمسين٩٠٩٥٣ ، اونقول ذلك مبتدء والجملة على الوجهين والكتاب بدل اوعطف بيان ولاريب محذوف الخبر على السّتة وفيه خبر ذلك وهدىً على الاثنين والعشرين وللمتّقين على التّسعة فهذه اربعة آلاف وسبعمائة واثنان وخمسون ٤٧٥٢ ، اونقول

على الاربعة والعشرين عند تركيب لاريب محذوف الخبر لفظ فيه على الاربعة وهدىً على الثّلاثة خبرذلك وللمتّقين على التّسعة اوعلى الاربعة والعشرين فيه خبر لا وهدىً على الثلاثة خبر ذلك وللمتّقين على العشرة اوفيه على الاربعة وهدىً على الثّلاثة خبر ذلك وللمتّقين خبر لا على ضعف فهذه ثلاثة آلاف وستّمائة ٣٦٠٠ اونقول على الاربعة والعشرين عند لاريب محذوف الخبر لفظ فيه على الاربعة وهدىً على التّسعة عشر وللمتّقين خبر ذلك اوفيه هدىً على الاربعة اوعلى الاربعة والعشرين للمتّقين خبر ذلك وفيه خبر لا وهدىً على الاثنين والعشرين اوعلى الاربعة والعشرين للمتّقين خبر ذلك وفيه على الاربعة وهدىً خبر لا بالثلاثة اوعلى الاربعة والعشرين للمتّقين خبر ذلك وفيه هدىً خبر لا فهذه الفان وسبعمائة وستّون ٢٧٦٠، اونقول على الاربعة والعشرين عند لاريب محذوف الخبر فيه هدىً خبر ذلك وللمتّقين على التّسعة اوللمتّقين خبر لا اوفيه هدىً للمتّقين بالوجوه الاربعة فى لفظ فيه خبر ذلك فهذه ثلاثمائة وستّة وثلاثون ٣٣٦ تجمع مع سابقتها وتضاف الى مجموع الحاصل السّابق فتصير مائة الف والفين واربعمائة وواحداً ١٠٢٤٠١ ، اونقول على تقدير كون آلم محذوف الخبر ذلك مبتدء والكتاب مبتدئان والجملة على الوجهين ولاريب محذوف الخبر بالثّلاثة خبر المبتدء الثّانى وفيه صفة للريب اوحال منه اومن الكتاب اومن ذلك او آلم اوخبر بعد خبر لذلك اوللكتاب وهدىً خبر بعد خبر بالوجهين اوصفة الرّيب اوحال منه اومن الكتاب اومن ذلك اومن آلم اوخبر مبتدء محذوف اومفعول فعل محذوف بالثلاثة فى حمل المصدر اوتميز وللمتّقين صفة لهدىً اولريب اوحال بالوجوه الاربعة اوخبر بعد خبر بالوجهين اوخبر مبتدء محذوف اوظرف لغو بالوجهين فهذه اثنا عشر الفاً وتسعمائة وستّة وثلاثون ١٢٩٣٦، اونقول على السّتة عند لاريب لفظ فيه خبر لا وهدىً خبر بعد خبر للاريب اوللكتاب اولذلك اوصفة لريب اوحال بالوجوه الاربعة اوخبر مبتدء محذوف اومفعول فعل محذوف بالوجوه الثّلاثة فى المصدر اوتميز وللمتّقين صفة لهدىً اولريب اوحال بالاربعة اوخبر بعد خبر بالثلاثة اوخبر مبتدء محذوف اوظرف لغو بالوجهين فهذه الفان ومائتان واثنان وثلاثون ٢٢٣٢ ، اونقول على السّتة عند لاريب لفظ فيه على السّبعة وهدىً على الثلاثة خبر لا وللمتّقين على الاثنى عشر فهذه الف وخمسمائة واثناعشر ١٥١٢ ، اونقول على السّتّة عند لاريب لفظ فيه على السّبعة وهدىً على الاحد والثّلاثين وللمتّقين خبر لا اوعلى السّتّة عند لاريب فيه هدىً على السّبعة وللمتّقين خبر لا اوفيه هدىً للمتّقين بالاربعة فى لفظ فيه خبر لا اوفيه هدىً خبر لا وللمتّقين على الاثنى عشر فهذه الف واربعمائة واربعون ١٤٤٠ ، اونقول ذلك مبتدء والكتاب مبتدئان والجملة على الوجهين ولاريب محذوف الخبر بالثّلاثة فى لفظ لامعترضة اوحال عن الكتاب اوعن ذلك اوعن آلم وفيه خبر الكتاب وهدىً صفة ريب اوخبر بعد خبر بالوجهين اوحال بالوجوه الاربعة اوخبر مبتدء محذوف اومفعول فعل محذوف بالثّلاثة فى لفظ المصدر اوتميز وللمتّقين صفة بالوجهين اوحال بالاربعة اوخبر بعد خبر بالوجهين اوخبر مبتدء محذوف اوظرف لغو بالوجهين فهذه سبعة آلاف وثلاثمائة واثنان وتسعون ٧٣٩٢ ، اونقول على الاربعة والعشرين عند لاريب لفظ فيه صفة اوحال بالاربعة وهدىً بالثلاثة خبر الكتاب وللمتّقين بالاحد عشر فهذه ثلاثة آلاف وتسعمائة وستّون ٣٩٦٠ ، اونقول على الاربعة والعشرين فيه خبر لا وهدىً بالثّلاثة خبر الكتاب وللمتّقين على الاحد عشر فهذه سبعمائة واثنان وتسعون ٧٩٢ ، اونقول على الاربعة والعشرين عند لاريب لفظ فيه على الخمسة وهدىً صفة اوحال بالاربعة اوخبر مبتدء محذوف اومفعول فعل محذوف بالثّلاثة فى لفظ المصدر اوتميز وللمتّقين خبر الكتاب اوعلى الاربعة والعشرين فيه خبر لا وهدىً على الخمسة والعشرين بزيادة كونه خبراً بعد خبر للاريب على الوجوه السّابقة وللمتّقين خبر الكتاب اوعلى الاربعة والعشرين فيه هدىً خبر لا وللمتّقين خبر الكتاب اوفيه على الخمسة وهدىً

خبرلا بالثّلاثة اوعلى الاربعة والعشرين عند لاريب محذوف الخبر فيه هدىً على الخمسة وللمتّقين خبر الكتاب فهذه ثلاثة آلاف وسبعمائه واربعة واربعون ٣٧٤٤ ، اونقول على الاربعة والعشرين عند لاريب محذوف الخبر فيه هدىً خبر الكتاب وللمتّقين على الاحد عشر اوفيه هدىً للمتّقين بالاربعة فى لفظ فيه خبر الكتاب فهذه ماثان واربعة وستّون ٢٦٤ تجمع مع سابقتها وتضاف الى مجموع الحاصل السّابق فتصير مائة وستّة وثلاثين الفاً وستّمائه وثلاثة وسبعين ١٣٦٦٧٣ .

وهذه وجوه الوجه الواحد من الوجوه السّتة والتّسعين واذا ضرب هذه فى السّتة والتّسعين تحصل ثلاثة عشر الف الف ومائة وعشرون الفاً وستّمائة وثمانية ١٣١٢٠٦٠٨ ، وعلى الوجوه المندرجة السّابقة فقوله تعالى الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَمِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوْقِنُونَ * أُولٰئِكَ عَلٰى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ يحتمل وجوهاً عديدة من الاعراب فنقول فى بيانها «الّذين يؤمنون بالغيب» امّا صفة للمتّقين اوبدل اوعطف بيان اوخبر مبتدء محذوف اومفعول فعل محذوف فهذه خمسة وممّا رزقناهم ينفقون جملة فعلية معطوفة على الصّلة اوجملة اسميّة معطوفة على الصّلة اومستأنفة اوحاليّة فهذه اربعة مضروبة فى الخمسة والّذين يؤمنون بماانزل اليك عطف على المتّقين اوعلى الّذين يؤمنون بالغيب وما فى «ماانزل اليك» موصولة اسميّة اوموصوفة اومصدريّة وما انزل من قبلك بثلاثة اوجه فى لفظ مامعطوفة على ما انزل اليك اوماانزل من قبلك جملة حاليّة اومستأنفة ولفظ «ما» نافية اواستفهاميّة فهذه احد وعشرون مضروبة فى الاربعين و «بالاخرة» عطف على ما انزل اليك وجملة هم يوقنون حال اومستأنفة اوبالاخرة متعلّق بيوقنون والجملة حال اومستأنفة اومعطوفة على الصّلة فهذه خمسة مضروبة فى الثمانمائة والاربعين الحاصلة من ضرب الاحد والعشرين فى الاربعين والحاصل من الضّرب اربعة آلاف وماثان ٤٢٠٠ وعليها فاولئك الاولى بدل اوعطف بيان للّذين الاوّل او الثّانى وعلى هدىً من ربّهم حال مفرداً اوجملة مستأنفة بتقدير مبتدء واولئك الثّانية عطف على اولئك الاولى وهم المفلحون جملة حاليّة اومستأنفة اواولئك هم المفلحون جملة معطوفة على على هدىً من ربّهم اوحاليّة اومستأنفة وهم ضمير الفصل اومبتدء فهذه اربعة وستّون مضروبة فى الاربعة الالاف والمأتين والحاصل من الضرب مأتان وثمانية وستّون الفاً وثمانمائة ٢٦٨٨٠٠ ، اوعلى الاربعة الالاف والمأتين اولئك الاولى مبتدء والجملة حال اومستأنفة وعلى هدىً خبره واولئك الثّانية عطف عليها عطف المفرد وهم المفلحون جملة حاليّة اومستأنفة اواولئك هم المفلحون جملة معطوفة على جملة اولئك على هدىً اوحال اومستأنفة والضّمير للفصل اومبتدئان فهذه ستّة عشر مضروبة فى الاربعة الالاف والمأتين والحاصل من الضّرب سبعة وستّون الفاً وماتتان ٦٧٢٠٠ اوعلى الاربعة الالاف والمأتين اولئك الاولى مبتدء والجملة حال اومستأنفة وعلى هدى من ربّهم حال واولئك الثّانية عطف عليه وهم المفلحون خبره والضّمير للفصل اومبتدء ثان فهذه اربعة مضروبة فى السّابق والحاصل ستّة عشر الفاً وثمانمائة ١٦٨٠٠ ، اونقول الّذين يؤمنون بالغيب على الخمسة وممّا رزقناهم ينفقون على الاربعة والّذين الثّانى مبتدء والجملة حال اومستأنفة وبما انزل اليك وما انزل من قبلك على الاحد والعشرين وبالاخرة هم يوقنون على الخمسة فهذه ايضاً اربعة آلاف وماثتان ٤٢٠٠ ، وعليها فاولئك الاولى خبره وعلى هدىً خبر بعد خبر اوحال اومستأنف بتقدير مبتدء واولئك الثّانية عطف على الاولى عطف المفرد وهم المفلحون حال اومستأنفة اواولئك الثّانية مبتدء والجملة معطوفة على جملة الّذين يؤمنون بما انزل اوعلى ، على هدىً

اوحال اومستأنفة والضّميرعلى الوجهين فهذه ثلاثون وجهاً مضروبة والحاصل مائة وستّة وعشرون الفاً ١٢٦٠٠٠
اوعلى الاربعة الالاف والمأتين اولئك الاولى بدل اوعطف بيان للّذين الثّانى وعلى هدىً خبر الّذين الثّانى
واولئك الثّانى عطف على اولئك الاوّل اوعلى الّذين الثّانى وهم المفلحون على الوجهين او اولئك الثّانى
مبتدء وهم المفلحون بالوجهين فى الضّمير خبره والجملة معطوفة على جملة الّذين يؤمنون بما انزل اوعلى
على هدىً اوحال اومستأنفة فهذه اربعة وعشرون والحاصل من الضرب مائةالف وثمانماة ١٠٠٨٠٠،اوعلى الاربعة
الالاف والمأتين اولئك الاولى بدل اوعطف بيان وعلى هدىً حال اومستأنف واولئك الثّانية عطف عليها
عطف المفرد وهم المفلحون خبر الّذين الثّانى والضّمير بالوجهين فهذه ثمانية مضروبة والحاصل ثلاثة وثلاثون
الفاً وستّمائة ٣٣٦٠٠ ، اوعلى الاربعة الالاف والمأتين اولئك الاولى مبتدءٌ ثانٍ وعلى هدىً خبره والجملة خبر
الّذين الثّانى واولئك الثّانية عطف على الّذين الثّانى او على اولئك او على على هدى عطف المفرد
وهم المفلحون بالوجهين اواولئك هم المفلحون بالوجهين فى الضّمير جملة معطوفة على جملة الّذين وخبره
اوعلى جملة اولئك على هدىً اوعلى، على هدىً اوحال اومستأنفة اواولئك الاولى مبتدء تانٍ وعلى هدىً بالوجهين
واولئك الثّانية عطف على اولئك الاولى اوعلى الّذين الثّانى وهم المفلحون بالوجهين فى الضّمير خبر
اولئك الاولى والجملة خبر الّذين الثّانى فهذه اربعة وعشرون مضروبة والحاصل مائةالف وثمانمائة ١٠٠٨٠٠،
اونقول الّذين الاوّل مبتدء والجملة حال اومستأنفة وممّا رزقناهم ينفقون على الاربعة والّذين الثّانى عطف
على الاوّل وبما انزل اليك وما انزل من قبلك على الاحد والعشرين وبالاخرة هم يوقنون على الخمسة فهذه
ثمانمائة واربعون ٨٤٠ وعليها فاولئك الاولى خبره وعلى هدى على الثلاثة واولئك الثّانية عطف على المتّقين
او على الّذين او على اولئك الاولى عطف المفرد و هم المفلحون على الوجهين او اولئك الثّانية مبتدء
وهم المفلحون بالوجهين فى الضّمير خبره والجملة عطف على جملة الّذين وخبره اوعلى اولئك على هدىً
اوعلى على هدىً اوحال اومسأنفة فهذه ثمانية واربعون مضروبة فى الثمانمائه والاربعين والحاصل اربعون الفاً
وثلاثمائة وعشرون ٤٠٣٢٠ ، اوعلى الثمانمائة والاربعين اولئك الاولى بدل اوعطف بيان وعلى هدىً خبر الّذين
واولئك الثّانية عطف على الّذين اوعلى اولئك اوعلى ، على هدىً وهم المفلحون على الوجهين او اولئك
الثّانية مبتدء وهم المفلحون بالوجهين فى الضّمير خبره والجملة عطف على جملة الّذين وخبره اوعلى على
هدىً اوحال اومستأنفة فهذه ثمانية وعشرون مضروبة والحاصل ثلاثة وعشرون الفاً وخمسمائة وعشرون٢٣٥٢٠،
اوعلى الثمانمائة والاربعين اولئك الاولى بدل اوعطف بيان وعلى هدىً حال اومستأنف اواولئك على هدىً
مبتدء وخبر وحال اومستأنف واولئك الثّانية عطف على الّذين اوعلى اولئك الاولى وهم المفلحون بالوجهين
فى الضّمير خبره فهذه اربعة وعشرون مضروبة والحاصل عشرون الفاً ومائة وستّون ٢٠١٦٠ ، اونقول الّذين
الاوّل مبتدء والجملة حال اومستأنفة وممّا رزقناهم ينفقون على الاربعة والّذين الثّانى مبتدء والجملة حال
اومعترضة وما انزل اليك وما انزل من قبلك على الاحد والعشرين وبالاخرة هم يوقنون على الخمسة فهذه
الف وستّمائة وثمانون ١٦٨٠ ، وعليها فاولئك الاولى خبر المبتدء الثّانى وعلى هدىً خبر الاوّل واولئك مفردا
عطف على المبتدء الاوّل اوالثّانى اوالخبر الاوّل اوالثّانى وهم المفلحون بالوجهين ، اواولئك هم المفلحون
بالوجهين فى الضّمير جملة معطوفة على الجملة الاولى اوالثّانية اوالخبر الاوّل اوالثّانى اوحال اومستأنفة فهذه
ثلاثة وثلاثون الفاً وستّمائة ٣٣٦٠٠ اوعلى الالف والسّتمائة والثّمانين اولئك الاولى بدل اوعطف بيان للّذين
الثّانى وعلى هدىً خبر الّذين الثّانى واولئك الثّانى عطف على الّذين الاوّل اوالثّانى اوعلى اولئك الاولى

اوعلى على هدىً وهم المفلحون بالوجهين في الضّمير خبر الاوّل فهذه ستّة وعشرون الفاً وثمانمائة وثمانون ٢٦٨٨٠، اوعلى الالف والسّتمائة والثّمانين اولئك مبتدء ثان وعلى هدىً خبره والجملة خبر الّذين الثّاني واولئك الثّانية عطف على الّذين الاوّل اوالثّاني اوعلى جملة اولئك على هدىً اوعلى على هدىً اوعلى اولئك نفسه و هم المفلحون بالوجهين في الضّمير خبرالّذين الاوّل فهذه ستّة عشر الفاً و ثمانمائه ١٦٨٠٠، واذا جمعت المجموعات الحاصلات حصل ثمانمائة وخمسة وسبعون الفاً ومائتان وثمانون ٨٧٥٢٨٠، ويجرى كلّ في مجموع الوجوه المحتملة في آلم الى قوله للمتّقين وهى ثلاثة عشر الف الف ومائة وعشرون الفاً و ستّمائة وثمانية ١٣١٢٠٦٠٨، واذا ضرب ذلك المجموع في هذا المجمع ع يحصل احد عشر الف الف الف الف واربعمائة واربعة و ثمانون الف الف الف و مائتان و خمسة آلاف الف وسبعمائة و سبعون الفاً ومائتان و اربعون و هذه ارقامه، ١١٤٨٤٢٠٥٧٧٠٢٤٠ .

وهذه هى الوجوه الشّايعة الّتى لاشذوذ لها ولاندور ولا غلق فيها، وامّا الوجوه الضّعيفة الّتى فيها امّا ضعف بحسب المعنى اوغلق بحسب اللّفظ اويورث التباساً في المعنى وقد رأيت بعض من تعرّض لوجوه الاعراب ذكراكثرها وترك اكثرهذه الوجوه القويّة الشّايعة فهى ايضاً كثيرة تركناها وكذا تركنا الوجوه الّتى فيها شوب تكرارٍ مثل كون الاحوال مترادفة و متداخلة وقد ذكرنا هذه الوجوه في الآية الشّريفة مع التزامنا في هذا التّفسير الاختصاروعدم التّعرض لتصريف الكلمات ووجوه الاعراب والقراءات تنبيهاً على سعة وجوه القرآن بحسب اللّفظ، الدّالة على سعة وجوهه بحسب المعنى الّتى تدلّ على سعة بطون القرآن وتأويله، وبعد ماعرفت انّ الانسان حين الانسلاخ من هذاالبنيان يشاهد اويتحقّق بمراتب العالم الّتى هى بوجهٍ حقائق القرآن وبوجهٍ مراتب الانسان، ويظهرمن تلك الحقائق بحكم اتّباع الدّانى للعالى واقتضائه من حظوظ العالى وافاضة العالى على الدّانى واجابته لاقتضاء الدّانى واستدعائه على بشريّته ومداركها اجمالا اوتفصيلا صورمناسبة لتلك الحقائق وتلك المدارك وكلمات وحروف كذلك منقوشة على الواح اومسموعة مدركة بآلة السّمع اوالبصر الخياليّتين اوالجسمانيّتين وانّ آلم وكذا ساير فواتح السّور اشارة الى تلك الحقائق ولا يمكن التعبير عمّا يشار بها اليه الّا بالامثال، وماورد في تفسيرها ليس الّا امثالاً مناسبة لتلك الحقائق موافقة لشاكلة المخاطب سهل عليك معرفة انّ :

تحقيق كون جميع الكتب المدوّنة حقّه و باطله صور الكتاب الحقيقىّ الّذى هوحقيقة القرآن

قوله تعالى [ذٰلِكَ الْكِتٰابُ] اشارة الى تلك الحقائق و انّ الاتيان باسم الاشارة البعيدة لعظمة تلك الحقائق وبعدها غاية البعد عن ادراك الابصار والبصائروانّ الحصر المستفاد من تعريف المسند على تقدير كون ذلك الكتاب مبتدءً وخبراً انّما هوباعتبار انّ تلك الحقائق حقيقة الكتاب الّذى كتبه الرّحمن بالاقلام الالٰهيّة على الالواح السّماويّة اوالأرضيّة العينيّة وانّ سائر الكتب المدوّنة الالٰهيّة اوغيرالالٰهيّة صور شؤن ذلك الكتاب ونازلته لكنّ الكتب الحقّة المدوّنة في العلوم الشّايعة الشّرعيّة وغيرالشّرعيّة وفي العلوم الغير الشّايعة من العلوم الغريبة بأنواعها صور شؤن تلك الحقائق الّتى تترائى في المرآة المستقيمة الصّافيه والكتب الغير الحقّة المدوّنة في العلوم الباطلة الشيطانيّة بأنواعها وفنونها شؤنها المتراءاة في المرايا المعوّجة الكدرة الّتى لاتترائى الصّور فيها الّا بخلاف ما هى عليه وتفسيرذلك الكتاب بالقرآن كما ورد عن الامام(ع) انّه قال يعنى القرآن الّذى افتتح بآلم هوذلك الكتاب الّذى أخبرت به موسى(ع) ومن بعده من الانبياء(ع)

وهم أخبروا بنى اسرائيل انّى سأنزله عليك يامحمّد(ص) باعتبار انّ القرآن هو الكتاب الجامع لصور جميع شؤن تلك الحقائق ، وهذاالخبريدلّ على جعل ذلك الكتاب خبراً لا لَم وقد سبق ، اوخبراً لمحذوف ولم نذكره فى الوجوه السّابقة ؛ وتفسيره بمحمّد(ص) اوعلىّ(ع) باعتبار انّهما متحقّقان بتلك الحقائق ، وتفسيره بالرّسالة اوالنبوّة اوالولاية باعتبار ظهور تلك الحقائق بجميع شؤنها اوببعضها فيها وكذلك تفسيره بالصّدر والقلب والرّوح من حيث انتقاشها بصور تلك الحقائق ، وماورد من تفسيره بكتاب علىّ(ع) يمكن ان يراد به مكتوب كتبه علىٌّ (ع) بعلويّته فانّ جملة ماسوى الله مكتوب علويّة علىّ (ع)، وان يراد به كتاب نزل من الله على محمّد(ص) فى علىّ (ع) وخلافته ، وان يرادكتاب هوعلىّ (ع) على ان يكون الاضافة بيانيّة . وروى عن الصّادق (ع) انّ الكتاب علىٌّ (ع) لاشكّ فيه .

تحقيق الكتاب ومصاديقه

ولفظ الكتاب مصدر يطلق على ما من شأنه ان ينطبع بنفسه كالصّور المنطبعة فى الموادّ اوبصورته كالالفاظ المنطبعة بصورها الكتبيّة فى شئ آخروعلى الصّورة المنطبعة وعلى ما يرتسم فيه الصّور باعتبار ارتسام الصّور فيه فالالفاظ الموضوعة لارتسام صورها فى الصّحائف والصّور المكتوبة والصّحائف المرتسمة فيها الصّور تسمّى كتاباً ، والصّور الطبيعيّة والموادّ المنطبعة فيها الصّور تسمّى ايضاً كتاباً ، والنّفوس الحيوانيّة والنّفوس الانسانيّة والفلكيّة ومحالّها كتاب ، والنّفوس المتعلّقة بالاجساد المثاليّة والاجساد المثاليّة كتاب ، والصّور العلميّة الحاصلة فى النّفوس السّفليّة اوالعلويّة ونفس تلك النّفوس من حيث حصول العلوم فيها كتاب ، والرّذائل والخصائل الحاصلة فى النّفوس ؛ ونفس تلك النّفوس من حيث حصول الاخلاق فيها كتاب ، والعلوم الفائضة على العقول والعقول كتاب ، والاسماء الالٰهيّة ولوازمها الظّاهرة فى مقام الواحديّة والفيض المنبسط الّذى هو محلّ ظهور الاسماء والصّفات كتاب ، والتعيّنات الامكانيّة والوجودات المتعيّنة بتلك التعيّنات كتاب ، كما قيل بالفارسيّة :

بنزد آنكه جانش در تجلّى است همه عالم كتاب حق تعالى است

وقد كثر اطلاق الكتاب فى الآيات والاخبار على مراتب وجود العالم ، وعلى بنى آدم ، وعلى الصّدر المستنير بنور الرّسالة ، وعلى أحكام الرّسالة ، وعلى القلب المستنير بنور النّبوّة ، وعلى احكام النّبوّة ، وعلى الرّوح المستنير بنورالولاية ، وعلى آثارالولاية .

تحقيق معنى الكلام

والكلام مصدر لم يستعمل فعله لانّ كلم مجرّداً لم يستعمل فى معنى التكلّم بل استعمل من باب قتل وضرب بمعنى جرح والمستعمل بمعنى التكلّم كلّم من باب التّفعيل وتكلّم من باب التفعّل وكالم من المفاعلة وتكالم من التفاعل ، وقيل هو اسم مصدر بمعنى التّكلّم لكنّه فى العرف العامّ صار اسماً للحاصل بالتّكلّم وفى عرف النحاة صار اسماً للمركّب المفيد من الكلمات .

الفرق بين الكتاب والكلام

والفرق بين الكتاب والكلام بالنّسبة الى ماصدر من المبادئ العالية اعتبارىّ محض فانّ الفيض المقدّس المسمّى بفعل الحقّ تعالى واضافته الاشراقيّة ونفس الرّحمن ومشيّته باعتبار ظهور الصّفات والاسماء و لوازم الاسماء به اذا لوحظ نسبته الى الحقّ الاوّل تعالى وقيامه به قيام الفعل بالفاعل كان كلاماً ومتكلّميّة له تعالى ، واذا لوحظ شيئيّته فى نفسه ومغايرته له تعالى وبينونته منه كان كتاباً له تعالى ، وهكذا الحال فى العقول والنّفوس وعالم المثال وعالم الطّبع فانّها بالنّسبة اليه تعالى كلام وكتاب بتوسط المشيّة الّتى هى من الله كنفس الانسان من الانسان ، ومن مراتب الممكنات كنفس الانسان من مخارج الحروف ولذا سميّت بنفس الرّحمن ، وكلّ مرتبة من مراتب الوجود بالنّسبة

الى عاليهاكلام وكتاب بالاعتبارين ، والانسان بمراتبه العالية نظير المراتب العالية للعالم ، وامّا بمقامه البشريّ فنفسه المتكيّف بكيفيّة الحروف بتوسّط تقطيعه بمخارج الحروف بسبب عدم ظهوراستقلاله ونفسيّته كلاميّته ظاهرة وكتابيّته خفيّة ، ومكتوبه لظهور بينونته واستقلاله كتابيّته ظاهرة وكلاميّته خفيّة ، ونظير هذين عالم الارواح وعالم الطّبع بالنّسبة الى الله تعالى لاختفاء البينونة هناك وظهورها هيهنا .

[لاٰ رَيْبَ فِيهِ] لالنفى الجنس اولنفى الفرد الشّايع على اختلاف القراءتين والرّيب والرّيبة القلق والاضطراب فى النّفس عن الانقياد لامر معلوم اومظنون اومشكوك وتبادر معنى الشّكّ واستعماله فيه لكونه فى الاغلب مع الشّكّ ، ولانّه اذاكان مع العلم والظّنّ يستعقب الشّكّ كما ورد: لاترتابوا فتشكّوا ، ولاتشكّوا فتكفروا ، والمراد منه هيهنا معناه الحقيقيّ ، اوالشّكّ والضمير المجرور راجعٌ الى الكتاب اوالى آلم.

اعلم انّ الكتاب هناكمامرّت الاشارة اليه عبارة عن الحقائق المشهودة له (ص) حين الانسلاخ عن البشريّة والاتّصال بالعوالم العالية المشار اليها بآلم اوالمأخوذ منها آلم وتفسيره بالقرآن المفتتح بآلم اوبعليّ(ع) اوبمانزل فى عليّ (ع) يعنى بالولاية وآثارها اوبالنّبوّة اوالرّسالة وأحكامهما لكون المذكورات نازلة تلك الحقائق وظهورها .

تحقيق انّ الانسان مالم يخرج من اسر نفسه لايدرك من القرآن الّا اللّفظ و العبارة

والانسان ما لم يخرج من اسر نفسه وهواها ولم يبلغ حدّ التّسليم والاستماع الّذى هو اولى درجات العلم بوجه ، وثانيتها بوجه ،اوحدّ التّحقيق والغنى عن التّقليد مشاراليهما بقوله تعالى لمن كان له قلب اوالقى السّمع و هو شهيد لا يمكن له ادراك تلك الحقائق ولا ادراك نازلتها وظهورها فلايمكن له ادراك القرآن ولا النّبوّات والرّسالات والولايات من حيث انّها ظهورتلك الحقائق ونازلتها ، بل لايدرك من القرآن الّا الصوت والعبارة اوالنّقش والكتابة ولايتصوّرمن معانيه الّا ماهوالموافق لشأنه المناسب لمقامه لاماهوالعناوين الالٰهيّة للحقائق العالية كما قال تعالى لا يمسّه الّا المطهّرون ولايدرك من خلفاءالله الّا مقامهم البشريّ ولامن دعاويهم الّا ما هو الموافق لادراكاته الشيطانيّة و شؤنها البهيميّة والسبعيّة لامقاماتهم العالية وأخلاقهم الملكوتيّة وأوصافهم الالٰهيّة ولهذا نسبوا الانبياء الى مانسبوهم فاللّفظ المسموع من القرآن والنّقش المبصرمنه انكان لفظ القرآن ونقشه بان لايكون المتكلّم بالقرآن متكلّماً بلسانه ولم يكن الكاتب كاتباً بيده فالشّيطان يخلّيهما من معانيهما ويجعل فيهما معانى اُخر موافقة له حين السّماع والابصار؛ وهذا احد وجوه تحريف الكلم عن مواضعه ، وهؤلاءهم الّذين يقال فيهم : ويل للّذين يكتبون الكتاب و يسمعونه و يبصرونه بأيديهم و أسماعهم و أبصارهم فويلٌ لهم ممّا كتبت أيديهم وسمعت اذانهم وابصرت عيونهم وويل لهم ممّا يكسبون.

والشّكّ والارتياب من جنودالجهل والنّفس ، والعلم والانقياد من جنود العقل والقلب ، اذاتمهّد هذا فنقول : من لم يخرج من أسر نفسه لايدرك الكتاب فى مرتبة من مراتبه ، ومن خرج من أسر نفسه لا يقع منه شكٌّ وارتياب فيما أدرك من الكتاب ، فالشّاكّون فى الكتاب شكّهم راجعٌ الى مدركاتهم لاالى الكتاب، فماوقع فيه الشّكّ غيرالكتاب ، وماهوالكتاب لايقع فيه شكٌّ وريبة ، فصحّ نفى جنس الرّيب اوجميع افراده من الكتاب من غير حاجة الى ارتكاب تضمين اوتقدير اوتقييد بمعنى لاينبغى الرّيب بتضمين الابتغاء اوتقديره، اولاريب للعاقل بالتّقدير ، اوللمتّقين بتقييده بالظّرف .

تحقيق معنى الهداية

[هُدىً] الهدى كالتّقى مصدرٌ بمعنى اراءة الطّريق مصاحبة للايصال اليه اوالى المقصود، اوغير مصاحبة سواء عدّى الى المفعول الثّانى بنفسه اوباللّام اوبلفظ الى ، وسواء كانت الهداية من الله اومن الخلق ، وسواء تعلّقت بنفس الطّريق اوبالمقصود ، وامّا الهداية من الله اذا تعلّقت بشيء ايّ شيئ كان مطلقة عن المهدىّ اليه فالمراد هدايته الى طريق كماله المطلوب منه ، والكمال المطلوب من الانسان هوحصول الولاية المطلقة ثمّ النّبوّة المطلقة ثمّ الرّسالة المطلقة ، وطريقه الى هذا الكمال هوطريقه من نفسه الانسانيّة الّتى يعبّر عنها بالصّدر منشرحاً بالكفر اوبالاسلام ، اوغيرمنشرح بشئ منهما الى قلبه ومنه الى روحه وهكذا الى الولاية المطلقة ، ولمّا كان هذا الطّريق مختفياً عن الابصار مسدوداً بالتّعيّنات النّفسيّة وكان المرور عليه اختياريّاً والانسان فى بيداء النّفس ضالّاً فى بدوحاله ظانّاً انّ الكمال المطلوب منه هوالوصول الى المشتهيات النّفسيّة واستكمال القوى الحيوانيّة والشّيطانيّة مبغضاً لما سوى مظنونه اقتضت الحكمة البالغة الالٰهيّة والرّحمة التّامّة الرّبوبيّة ان يبعث الى النّوع من ينبّههم عن ضلالهم ، وانّ ماوراء مظنونهم هوالكمال المطلوب منهم ، وانّ ماظنّوه كمالاً سمومٌ مهلكةٌ وشبّاك الشّيطان ، وانّ فى الوادى سباعاً مترصّدةً ضلالهم مغتنمةً ضياعهم ، ويحذّرهم عن الوقوف فيه وعن ترصّد السّباع لهم وعن حبائل الشّيطان حتّى يتنبّهوا ويأخذوا حذرهم ويتأهّبوا للخروج منه ويطلبوا الطّريق ومن يدلّهم عليه ؛ حتّى يبعث بعد ذلك عليهم من يرفع موانعهم بالرّفق ويريهم طريق كمالاتهم ويذهب بهم الى غاياتهم ، وتلك الاراءة وهذا الاذهاب تسمّى هداية، والرّسول وخليفته لمّا كان كلّ منهما ذاشأنين شأن الرّسالة وبه يقع التّنبيه والانذار المذكوران ، وشأن الولاية وبه يقع الاذهاب والاراءة المزبوران كان كلّ منهما بوجهٍ منذراً وبوجهٍ هادياً ، وحصرشأن الرّسول فى الانذار فى قوله تعالى : انّما انت منذر ؛ مع انّه امام الكلّ فى الكلّ للاشارة الى شأن الرّسالة وانّ المخاطب هو الرّسول بما هو رسول لابما هو ولىّ اونبىٌّ ، والّا فهو بولايته صاحب الهداية المطلقة وكلّ الهادين مقتبسون منه ، وبنبوّته صاحب الشأنين فالرّسول بماهورسول منذرٌ والولىّ بماهوولىّ هادٍ ، والنّبىّ صاحب الشأنين والهداية من الله لاتتعلّق الّا بمن أنذر واتّقى فاذاأخذهدى ههنامطلقاًبحسب اللّفظ اومقيّداًبقوله للمتّقين كان المقصوداحداً.

تحقيق معنى التقوى ومراتبها

والتّقوى والتّقى والتّقاة مصادر من الوقاية واذا نسبت الى الله اوالى سخطه اوالى المحرّمات او اطلقت فالمراد منها التحفّظ عمّا ينافى او يضرّ حصول الكمالات او الكمالات الحاصلة الانسانيّة ؛ ولها مراتب عديدة بعضها قبل الاسلام ، وبعضها بعدالاسلام وقبل الايمان ، وبعضها بعدالايمان بمراتبها الى الفناء التامّ الذّاتىّ ، فاولى مراتبها الانزجار عن مساوى النّفس ودواعيها المنافية للعاقلة وهى مقام الاستغفار ، وثانيتها الانصراف عنها وطلب الخلاص منها بالفرار وهى مقام التّوبة ، وثالثتها الرّجوع فى الفرار الى خلفاءالله ووسائله بينه وبين خلقه وهى مقام الانابة ؛ وهذه الثّلاثة مقدّمة على الاسلام واليها اشارتعالى بقوله حكاية عن قول بعض أنبيائه مع أممهم : ياقوم استغفروا ربّكم ثمّ توبوا اليه ؛ وتقييد التّوبة بقوله « اليه » اشارة الى المرتبة الثالثة ، واذا اسلم الانسان على يد نبىّ (ص) اوخليفته(ع) وقبل منه احكامه القالبيّة من أوامره ونواهيه حصل له مرتبة رابعة من التّقوى الّتى هى التحفّظ عن مخالفة قوله بامتثال اوامره ونواهيه ، والخامسة الانزجار عن الوقوف على ظاهر الاوامر وطلب بواطنها وروحها وطلب من يدلّه على بواطنها ، وهاتان بعد الاسلام وقبل الايمان ؛ وهذه التّقوى هى تقوى العوامّ وتنقسم بوجهٍ الى تقوى العوامّ من الحرام ، وتقوى الخواصّ من الشبهات ، وتقوى الاخصّ من المباح ، واذاوجدالطالب

من يدلّه على روح الاعمال وتاب على يده توبة خاصّة وآمن بالبيعة الخاصّة الولويّة و استبصر بباطنه وبرذائله وخصائله حصل له مرتبة أخرى من التّقوى وهى التّحفّظ من الرّذائل باستكمال الخصائل ، واذا تطهّر قلبه من الرّذائل وتحلّى بالخصائل تمثّل امامه ودخل بيت قلبه وحينئذٍ يشاهد فى وجوده فاعلاً الٰهيّاً وفاعلاً شيطانيّاً فيظنّ انّ فى الوجود الٰهين فيقع فى ورطة الاشراك و الثّنويّة و يرى وجوداً لنفسه و وجوداً لشيخه داخلاً فى مملكته فيظنّ انّه حالّ فى وجوده فيقع فى ورطة الحلول ، اويرى وجوداً واحداً هوذاته وامامه فيقع فى ورطة الاتّحاد ، وان ساعده التّوفيق واتّقى نسبة الافعال الى الشّيطان ورأى الفعل مطلقاً من الرّحمن فى المظهر الآلهىّ اوالشّيطانىّ وحصّل ووجد معنى لاحول ولاقوّة الّا بالله والتذّ به حصل له مرتبة أخرى من التّقوى هى التحفّظ من نسبة الافعال الى غيرالله والخروج من الاشراك الفعلىّ الى التّوحيد الفعلىّ ، واذا تفطّن بانّ الاوصاف الوجوديّة كالافعال نسبتها الى الله بالصّدور والوجوب و الى غيره تعالى بالظّهور والقبول ؛ وانّ الكلّ مظاهر اوصاف الله وحصّل ووجد معنى الحمدلله والتّذبه حصل له مرتبة أخرى من التّقوى هى التحفّظ عن رؤية نسبة الاوصاف الى غيره تعالى .

بيان سرّ ظهور بعض الشطحيّات من السّلاك

وفى هذه المرتبة قد يتجلّى الله على المؤمن بصفة الواحديّة فلايرى لشيىءٍ ذاتاً ولا صفة مع بقاء انانيّةٍ ما لنفسه فيقع فى ورطة الوحدة الممنوعة ، ويظنّ انّ الوجود واحد والموجود واحد وبعد الافاقة يعتقد ذلك ويتفوّه به ويقع فى الاباحة والالحاد لولم يكن له شيخ اولم يرجع الى شيخه ولايعدّ الرّسل وشرايعهم حينئذٍ فى شيىءٍ بل يستهزء بهم وبها ، وقد يتجلّى بصفة الصّمديّة عليه فيظهر الانانيّة منه و الاستغناء من كلّ شيئ حتّى من الله وهكذا ، ففى هذه المرتبة من التّقوى والمرتبة السّابقة ورطات مهلكة وعقبات موبقة ان لم يكن المؤمن فى تربية شيخ اولم يرجع اليه و استغنى منه أعاذنا الله وجميع المؤمنين منها وفى هاتين المرتبتين يظهرجميع مايظهرمن السّلاك من الشّطحيّات الممنوعة ؛ واكثر الغالين نشأ غلوّهم من هاتين المرتبتين ، واكثر المتشيّخة المغرورين من هاتين استدرجوا وهلكوا من حيث ظنّوا انّهم وصلوا واستغنوا عن الشيخ المكمّل والحال انّهم فى هذه الاحوال أشدّ احتياجاً منهم الى الشيخ فى غيرهذه الاحوال ، وبالجملة مهالك مراتب التّوحيد الفعلىّ والوصفىّ الى الخروج الى التّوحيد الذّاتىّ اكثرمن ان يحيط بها البيان اويحصيها تحريرالاقلام ، واذا تفطّن بأنّ المتحقّق بالذّات هوالحقّ الاوّل تعالى شأنه وانّ سائر مراتب الوجود اعتبارات محضّة وتعيّنات اعتباريّة ناشئة من مراتب سعة تلك الحقيقة وانقلب بصره فلايرى فى دارالوجود الّا الوجود الحقّ المنزّه عن كلّ تعيّن واعتبار وحصّل ووجد معنى لااله الّاالله بل معنى لاهو الّا هو ، والتّذبه حصّل له مرتبة أخرى من التّقوى وهى آخر مراتب التّقوى فانّه لايبقى للسّالك بعد هذه عينٌ ولا اثر حتّى يتصوّر له فعل ووصف وتقوى ، فان ادركته العناية الآلهيّة بموهبة البقاء بعد الفناء والصّحوبعد المحووشهود الحقّ فى الخلق والتّشبّه بالرّحمن باعطاءالله له فضيلة الاحسان لتكميل العبادوتكثير جنوده عوضاً لما اقرض الله من الجنود والاعوان فى جهاد الاعداء فى سبيله تمّ له السّلوك وصارنبيّاً اوخليفته ، ولمّا لم يكن مراتب التّقوى الّتى قبل الاسلام من مراتب حقيقة التّقوى لانّ الانسان مالم يدخل فى دين الاسلام ولم يتعلّم مايضرّه فى تحصيل كما له من عالم وقته لايدرى اىّ شيئ يضرّه حتّى يتّقى منه ، ولمّا كان المراتب الباقية منقسمة الى ثلاثة اقسام ؛ التّقوى الّتى بعد الاسلام وقبل الايمان ، والّتى بعد الايمان وقبل التّقوى عن نسبة الصّفات الى غيرالله تعالى ، والتّقوى عن رؤية صفة وذات غيره تعالى اسقط التّقوى الّتى قبل الاسلام و ذكر الاقسام الثلاثة الباقية فى قوله تعالى :

تحقيق قوله تعالى ليس على الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات

ليس على الّذين آمنوا اى اسلموا فانّ المراد بالايمان هنا الايمان العامّ الّذى هو الاسلام كما سيجيئ تحقيقه وتفصيله ، ولم يقل ليس على الّذين اتّقوا وآمنوا للاشارة الى انّ الّتى قبل هذا الايمان ليست من التّقوى وعملوا الصالحات و المراد بعمل الصالحات العمل بالاحكام الشّرعيّة القالبيّة جناحٌ فيما طعموا اذا ما اتّقوا اى اتّقوا بالتّقوى الّتى بعد الاسلام وقبل الايمان و آمنوا بالايمان الخاصّ الّذى يحصل بالبيعة الخاصّة الولويّة ويدخل به بذر الايمان فى القلب و به يتمسّك بالعروة الوثقى الّتى هى حبل من النّاس مضافاً الى التمسّك بالعروة التّكوينيّة الّتى هى حبل من الله وعملوا الصالحات الّتى هى اعمالهم القلبيّة مضافة الى اعمالهم القالبيّة ثمّ اتّقوا بمراتب التّقوى الّتى بعد الايمان و قبل التّقوى عن نسبة الصّفات الى غير الله و آمنوا شهوداً اى أيقنوا عين اليقين بانّ الافعال كلّها منه جارية على مظاهره اللّطفية والقهريّة ولم يقل وعملوا الصّالحات لما ذكر من انّ هذه التقوى تطهير عن الرّذائل وتحفّظ عن نسبة الافعال الى غير الله فلا يرون فعلاً لانفسهم حتّى ينسب الاعمال اليهم لكن بقى بعدُ نسبة الصّفات الى الذّوات الامكانيّة و نفس الذّوات الامكانيّة فى انظارهم ثمّ اتّقوا عن نسبة الصّفات الى غيره تعالى وعن رؤية الذّوات الامكانيّة فى جنب ذاته حتّى عن رؤية ذواتهم وعن رؤية اتّقائهم ويعبّر عن الاتّقاء عن رؤية التّقوى بفناء الفناء فلا يبقى حينئذٍ عنهم فعل ولا صفة ولا ذات فلا يبقى ايمان ولاعمل لهم ولذا لم يأت بهما بعد هذه التّقوى وقال احسنوا اشارة الى البقاء بعد الفناء فانّ الباقى بعد الفناء فعله على الاطلاق احسان لاغير ، و فى الخبر : المتّقون شيعتنا ؛ والمراد بالتّقوى فى الخبر التّقوى عمّا يخرج من الطّريق الانسانىّ اوينافى السّلوك عليه ، وغير المؤمن بالايمان الخاصّ لمّا لم يكن على الطّريق لايتصوّر له تقوى بهذا المعنى ولمّا لم يكن لغير الشيعة بهذا المعنى تقوىً صح حصر المتّقى فى الشيعة . ونعم ماقيل:

هر چه گيرد علّتى علّت شود كفر گيرد ملّتى ملّت شود

تحقيق الايمان و مراتبه

[اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ] الايمان لغة التّصديق والاذعان واعطاء الامان وانفاذ الامان وجعله آمناً من الخوف والايتمان ، وشرعاً يطلق على البيعة الاسلاميّة وقبول الدّعوة الظاهرة وعلى مابعد التّوبة من اجزاء البيعة وعلى الحالة الحاصلة بالبيعة العامّة من كون البايع مقرّاً بالاصول الاسلاميّة قابلاً للفروع وعلى الحالة الشبيهة بالحالة الحاصلة بالبيعة الاسلاميّة من كون الانسان مقرّاً وقابلاً كالبايع حين عدم الوصول الى البيعة ، ويطلق على ارادة البيعة والاشراف عليها و هذه بعينها معانى الاسلام الّذى هو مقابل الايمان الحقيقىّ ومقدّمته ، ويطلق على البيعة الخاصّة الايمانيّة وقبول الدّعوة الباطنة ، وعلى مابعد التوبة من اجزاء البيعة وعلى الحالة الحاصلة بالبيعة الخاصّة الولويّة من كون البايع مقرّاً بالتّوحيد والرّسالة والولاية وقابلاً للاحكام القلبيّة مضافة الى الاحكام القالبيّة ، وعلى الحالة الشبيهة بالحالة المزبورة من الاقرار والقبول المذكورين من دون بيعة حين عدم الوصول الى البيعة ، ويشبه ان يكون اطلاقه على معانى الاسلام مجازاً لسلبه عنها فى قوله تعالى: قالت الاعراب آمنّا ؛ من حيث انّهم بايعوا البيعة العامّة الاسلاميّة قل لهم يامحمّد لم تؤمنوا حتّى تنبّههم على انّ الايمان امر آخر يقتضى بيعة أخرى فلم يقفوا على ظاهر الاسلام وحتّى يطلبوا ويجدوا من يدلّهم على الايمان ولكن قولوا اسلمنا لانّ البيعة العامّة والاقرار بالاصول الاسلاميّة وقبول الاحكام القالبيّة ان كانت

موافقة لما فى القلب كانت اسلاماً وان لم تكن موافقة للقلب لم تكن اسلاماً ايضاً ولذا قال قولوا أسلمنا ولم يقل ولكن اسلمتم ، و لمّا يدخل الايمان اى البذر الّذى يدخل بسبب البيعة الايمانيّة فى القلوب فى قلوبكم وما لم يدخل فى قلب الانسان بذر الايمان الّذى بسببه يصدق اسم الايمان وان لم يكن الموصوف باسم الايمان متّصفاً بحقيقته الّتى هى شأن من حقيقة الانسان لم يصدق عليه أنّه مؤمن ، وان تطيعوا الله ورسوله بالوفاء بالعهد الّذى أخذه رسوله(ص) فى البيعة الاسلاميّة وامتثال اوامره ونواهيه بظاهرهما لايلتكم من اعمالكم شيئاً وهذا يدلّ على كفاية البيعة العامّة فى النّجاة ان كان البايع صادقا فى بيعته ، وعلى انّ من مات فى زمان الرّسول على البيعة العامّة كان مغفوراً لامحالة ، وفى قوله تعالى يمنّون عليك ان اسلموا قل لا تمنّوا علىّ اسلامكم بل الله يمنّ عليكم ان هديكم للايمان تصريح بانّ المسمّى بالاسلام غير الايمان وانّ الاسلام مقدّمة للايمان وبه يرى طريق الايمان وفى الاخبار تصريحات بمغايرة الاسلام للايمان وانّ الاسلام قبل الايمان وانّ الثواب على الايمان ، والاسلام لا يفيد الّا حفظ الدّماء وجواز المناكحة وصحّة التّوارث ، والايمان بمعناه الشّرعىّ يناسب كلّاً من معانيه اللّغويّة والمراد به هيهنا ان كان الظّرف صلة له معنى التّصديق اوالاذعان وفيما روى عن مولانا الصّادق(ع) انّ المراد بالغيب هنا ثلاثة اشياء يوم قيام القائم(ع) ويوم الكرّة ويوم القيامة من آمن بها فقد آمن بالغيب وهذا بعينه هو معنى قوله تعالى و ذكّرهم بأيّام الله دلالة على كونه صلة ليؤمنون ، و ان كان مستقرّاً حالاً من الفاعل والمعنى الّذين يؤمنون حال كونهم فى الغياب من الله اوالآخرة اومتلبّساً بالغيب يمكن ان يراد معناه الشّرعىّ او كلّ واحد من معانيه اللّغويّة سوى اعطاء الامان وانفاذ الامان .

تحقيق الصّلوة ومراتبها

[وَيُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ] اعلم انّ الانسان كما مرّ ذو مراتب كثيرة وادنى مراتبه مرتبة قالبه الجسمانىّ و بعدها مرتبة نفسه الّتى يعبّر عنها بالصّدر وبالقلب ايضاً وبعدها مرتبة قلبه الّتى هى بين النّفس والرّوح ، وبعدها مراتبه الاخر، وفى كلّ مرتبة له صلوة وصلوته القالبيّة فى الشّريعة المحمديّة(ص) الافعال والاذكار والهيئات المخصوصة المعلومة لكلّ من دخل فى هذا الدّين بالضّرورة و صلوة قلبه الّذى هو صدره الذّكر المخصوص المأخوذ من صاحب الاجازة ، والفكر المخصوص المأخوذ من قوّة الذّكر اومن تعمّل المفكّرة ، والمراد بالفكر ماهو مصطلح الصوفيّة من التّوجّه الى الامام كماورد وقت تكبيرة الاحرام تذكّر رسول الله (ص) واجعل واحداً من الائمّة نصب عينيك وصلوة القلب الّذى هو بين النّفس والرّوح مشاهدة معانى اذكار الصّلوة ومشاهدة الاحوال والشؤن المشار اليها بأطوار الصّلوة وصلوة الرّوح معاينة هذه وهكذا ، ومعنى اقامة الصّلوة جعل صلوة القالب متّصلة بصلوة الصدر وصلوة الصّدر متّصلة بصلوة القلب ، وهكذا سواء كان الاقامة بمعنى الاقامة عن اعوجاج اوعن قعود ، او بمعنى اقامة حدود الصّلوة فانّ اعظم حدودها حدودها الطّوليّة فانّها بالنّسبة الى الحدود العرضيّة كالرّوح بالنسبة الى القالب فصلوة القالب كقالب الانسان والصّلوة الذّكريّة القلبيّة الجسمانيّة كالرّوح البخارىّ من الانسان الّذى هو مركب القوى والمدارك الحيوانيّة ، والصّلوة الفكريّة الصدريّة كالبدن المثالىّ من الانسان ، والصّلوة القلبية الرّوحانيّة كروح الانسان ، فكما انّ الانسان بدون المراتب الباطنة ميتة عفنة تؤذى قرينها كذلك الصّلوة القالبيّة بدون مراتبها الباطنة جيفة عفنة موذية؛ وقدورد ربّ مصلٍّ والصّلوة تلعنه .

تحقيق استمرار الصّلوة والزّكوة للانسان تكويناً

و اعلم ايضاً انّ الانسان خلق ذاقوّة وفعليّة من اوّل خلقة مادّته الى مرتبته الاخيرة الّتى هى بالفعل من كلّ جهة وليس فيها قوّة فالنّطفة لها فعليّة النّطفة وقوّة العلقة قريبة وقوّة المضغة والجنين والطّفل الانسانى وهكذا بعيدة ، وما لم ينقص من فعليّة النّطفة شيىءٌ لم يحصل من فعليّة العلقة شيىءٌ ويحصل بالاتّصال والاستمرار فعليّة العلقة بقدر نقصان فعليّة النّطفة الى ان صار العلقة بالفعل من جهة كونها علقة ثمّ يصير فعليّة العلقة فى النقصان وفعليّة المضغة فى الحصول والازدياد وهكذا جميع المراتب فانّ فعليّة كلّ مرتبة موقوفة على نقصان سابقتها او فنائها ، وهذا النقصان والفناء زكوة الانسان تكويناً ، وذلك الحصول والازدياد صلوته تكويناً لانّ الزّكوة اعطاء فضول المال وتطهير باقيه ، وهذا ايضاً كذلك والصّلوة جلب الرّحمة وطلبها والازدياد المزبور جلب للرّحمة الّتى هى كمالات الانسان واستجماعٌ لها ، ولمّا كان التّكليف موافقاً للتّكوين وحسن الاعمال الاختياريّة بكونها مطابقة للافعال التّكوينيّة لم يبعث نبىّ قط الّا بتشريع الصّلوة والزّكوة وجعلهما اصلاً وعماداً لتمام الاعمال الشّرعيّة الفرعيّة لكن وضعهما وصورتهما فى الشّرائع مختلفة غير متوافقة ، وتقديم الصّلوة فى هذه الآية وفى سائر الآيات على الزّكوة امّا لتقدّمها طبعاً لانّ اسقاط مافى اليد موقوف على وجدان غيره اوطلب الافضل منه والصّلوة كما علمت وجدان اوطلب للكمال المفقود بعد الاتّصاف بكمال موجود ، فما لم يطلب الانسان كمالاً آخر لايترك كمالاً حاصلاً وقيل بالفارسيّة :

تا نبيند كودكى كه سيب هست او پياز گنده را ندهد ز دست

اولانّ الصّلوة اشرف والاهتمام بها اتمّ لانّها طلب ووجدان ، والزّكوة ترك وفقدان .

[وَمِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ يُنْفِقُونَ] انفق من باب الافعال من نفق ماله اى نفد لكن خصّص بانفاق المال فيما ينتفع به وتقديم الظّرف للاهتمام ومراعاة رؤس الاى وللحصر كأنّه ارادان يشير الى انّ الاموال قدتحصل بامرنا ومن الوجه الّذى قرّرناه لتحصيلها ، وقد تحصل بأمر الشّيطان ومن الوجه الّذى نهينا عنه ، وقد تحصل بشركة الشّيطان ، وكذا العلوم والقوى والشّؤن والنّيّات والخيالات المتولّدة فى عالم الانسان وانّ المؤمن لايوجد فى ملكه الّا مارزقناه لانّه لوأراد الشّيطان ان يداخله فى تحصيل ماله تذكّر فاذا هو يبصرويتّقى فلاينفق الّامارزقناه ، ولهذا الوجه عدل عن قوله يؤتون الزّكوة وكأنّك تفطّنت ممّا اسلفنا بتعميم مارزقهم الله وتعميم الانفاق فانّ الانفاق الاختيارىّ للانسان من اوّل بلوغه بل من اوّل زمان تمرينه الى آخر مقام الاطلاق والخروج من التعيّنات ، وروى عن الصّادق (ع) انّ معناه وممّا علّمناهم يبثّون ، وهذا بيان لاحد وجوه المرزوق والانفاق بحسب اقتضاء المقام ، و ادخال من التبعيضيّة للاشعار الى التوسّط فى الانفاق وانّه لاينبغى انفاق الجميع كمالاينبغى التّقتير وعدم الانفاق .

[وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ] ان كانت الباء للسّببيّة صحّ ارادة كلّ من المعانى الشّرعية واللّغويّة من الايمان وان كانت صلة للايمان فمعناه التّصديق اوالاذعان والمراد بما انزل اليه جملة ما نزل اليه من القرآن والاحكام ، اوخصوص مانزل فى ولاية علىّ (ع) من القرآن ، اوخصوص مانزل من حقيقة الولاية على قلبه ؛ هذا اذاكان ماموصولة اوموصوفة ، واذاكانت مصدريّة فالمعنى الايمان بنفس الوحى وانزال الكتاب من دون اعتبار المنزل .

[وَمٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ] من الشّرايع والكتب اومن التنصيص على ولاية الاوصياء اومن الولايات

النّازلة على الانبياء من علويّة علىّ(ع) هذا ان كان ماانزل من قبلك معطوفاً على ما انزل اليك ، وان كان جملة حاليّة ولفظة مانافية اواستفهاميّة فالمعنى وماأنزل ، ماأنزل اليك من الشّرايع والقرآن اوالولاية من قبلك ، اوایّ شیئ أنزل من قبلك على معنى الانكار ای ليس ماأنزل اليهم بشیئ فی جنب ماأنزل اليك .

[وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ] الايقان اتقان العلم بحيث لايعتريه شكّ وارتياب ولايشوبه تقليد واعتياد والحصر المستفاد من تقديم الضّمير سواء كان مسنداً اليه اوللفصل اشعار بانّ الايقان الّذى هومن صفات العقلاء مختصّ بهؤلاء الموصوفين بماذكردون غيرهم فانّهم أصحاب النّفوس الّتى ليس من شأنها الّاالظّنّ والشّكّ والرّيبة ، وعلومهم ان كانت برهانيّة فهى ظنونٌ ولايخلو من شوب ريبة وتقليد وعادة ، وتقديم الظّرف على تقدير كونه معمولاً ليوقنون لاعلى تقدير جعله عطفاً على بما أنزل لمراعاة رؤس الآى وللحصر مشاراً به الى انّ هؤلاء الموصوفين بالاوصاف السّابقة المختصّ بهم اليقين ليس علمهم وايقانهم الّا متعلّقاً بالآخرة لانّهم جعلوا الآخرة نصب أعينهم وغاية هممهم فلايلتفتون الى غيرها حتّى يتعلّق يقينهم به بخلاف غيرهم فانّهم جعلوا الدّنيا نصب أعينهم ونبذوا الآخرة وراء ظهورهم فلاتعلّق لعلمهم النّفسانىّ بالآخرة لانّ علومهم مقصورة على الدّنيا وعلى مايلزم التعيّش فيها فتكون نفسانيّة غيرايقانيّة يعلمون ظاهراً من الحيوة الدّنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، ذلك مبلغهم من العلم ؛ وقد قيل بالفارسيّة :

اندر اين سوراخ بنّائى گرفت	در خور سوراخ دانائى گرفت
چون پى دانش نه بهرروشنى است	همچو طالب علم دنياى دنيست
طالب علم است بهرعام وخاص	نى كه تايابد ازاين عالم خلاص
همچو موشى هرطرف سوراخ كرد	چونكه نورش راند ازدر گشت سرد

والآخرة تأنيث الآخر كان فى الاصل وصفاً والتّأنيث باعتبار الموصوف الّذى هى الدّار ثم غلب عليه الاسميّة ، واطلاق الآخرة على عالم الغيب باعتبار انّها للانسان بعد الدّار الدّنيا ومتأخّرة عنها ، فان كان المراد بالغيب المبدء والعوالم العالية فى سلسلة النّزول ؛ وبالآخرة العوالم المتأخّرة فى سلسلة الصّعود يعنى المعاد فالكلام تأسيس ، وان كان المراد بالغيب مطلق العوالم العالية مبدءً ومعاداً فالكلام مبتنٍ على ذكر الخاصّ بعد العامّ وكان الكلام باعتبار ذكر الايقان بعد الايمان تأسيساً ايضاً .

[أُولٰئِكَ] العظماء المذكورون بالاوصاف العظام [عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ] بحيث انّهم حاكمون على وصف الهدى لا أنّهم محكومون به فالاتيان باسم الاشارة البعيدة لاحضار المسند اليه بأوصافه المذكورة ليكون كالعلّة للحكم وللاشارة الى بُعد مرتبتهم لعظمتهم ، وان كان الّذين الاولى اوالثّانية مبتدءً فتكرير المبتدأ باسم الاشارة يفيد الحصر ، وان كانتا تابعتين للمتّقين فكون الجملة جواباً لسؤال ناشٍ عن المقام يقتضى الحصر فانّه بعد ذكر المتّقين وكون الكتاب هادياً لهم وذكر اوصافهم الجميلة صار المقام مقام ان يقال : مالهم من الله ، وبما امتازوا من غيرهم فقال : اولئك امتازوا عن غيرهم بكونهم على هدىً اهدى اليهم من ربّهم دون غيرهم ، والحصر فى القرين الثّانى قرينة للحصر هيهنا .

[وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] تكرار المبتدأ للاشارة الى امتيازهم بكلّ من الصّفتين على حيالهما لابجمعهم بينهما ، وتوسيط العاطف للاشارة الى انّ كلّاً من الوصفين غير الآخر ، ولواتى بالجملة الثّانية مجرّدة عن العاطف لتوهّم انّ الثّانية تأكيد للاولى وانّ الوصفين متّحد ان اومتلازمان .

بيان الكفر و اقسامه

[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله لابالشّيطان فانّ الكفر كفران؛ كفر بالله وكفر بالشّيطان واذا اطلق فى الآيات والاخبار كان المراد الكفر بالله؛ والكفر بالله ينقسم الى كفر الوجوب الذّاتىّ وكفر الآلهة وكفر التّوحيد وكفر الرّسالة وكفر الولاية وكفر المعاد وكفر النّعماء؛ فانّ القائلين بالبخت والاتّفاق كافرون بالوجوب الذّاتىّ ، واليهود القائلين بالوجوب الذّاتىّ وانّه قد فرغ من الامر ، والمعتزلة القائلين بأنّ العباد فاعلون بالاستقلال كافرون بالآلهة ، والقائلون بمبدئين واجبين اوبمبدء واحد واجب وفاعلين آلهين كافرون بالتّوحيد ، ومنكر الرّسالة المطلقة اورسالة رسول خاصّ كافر بالرّسالة ، ومنكر بقاء الولاية بعد انقطاع الرّسالة مطلقاً اومنكر ولاية ولىّ خاصّ كالعامّة ، والفرق المنحرفة من الشيعة كافرون بالولاية ، ومنكر المعاد كافر بالمعاد ، ومنكر انعام المنعم كافر بالنّعم ، وكلّ واحد من ذلك امّا كفر قالىّ اوجنانىّ او حالىّ اوشهودىّ اوتحقّقىّ ، والمنفصلة مانعة الخلوّ فانّ الكافر بالنّعمة امّا كافر لساناً كقارون حين قال : انّما اوتيته على علمٍ عندى ، اواعتقاداً كمن لايعتقد مبدء ولا انعاماً منه ، اوحالاً كاكثر المقرّين بالله وبانعامه الغافلين عنه ، اوشهوداً وقلّ من لايكفر بهذا الكفر ، اوتحقّقاً ولاينفكّ عنه الّا الانبياء وبعض الاولياء ، وينقسم بقسمة أخرى الى الكفر الفطرىّ وهوالكفر الذّاتىّ الّذى لاينفع لصاحبه الانذار ، والى الكفر العرضى الّذى ينتفع صاحبه بالانذار بل الانذار لهذا الكافر والّا فالمؤمن بجهة ايمانه ليس له الّا البشارة ، والمراد بالكفر فى الآية الكفر الذّاتىّ الّذى لاينتفع صاحبه بالانذار ولذا حمل على الّذين كفروا قوله [سَوَاءٌ] مصدرٌ بمعنى مستو سواء فيه المفرد والجمع والمذكّر والمؤنّث [عَلَيْهِمْ] لاعليك فانّ الانذار طاعة ونافع لك سواء اثّر ام لم يؤثّر فانّما عليك البلاغ وهم المذمومون بعدم التّأثّر والكلام فى ذمّهم عكس قوله تعالى سواءٌ عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون فانّ المراد ذمّ المخاطبين على ارتكاب امر لاينفعهم [ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ] الفعل الّذى بعد همزة التّسوية امّا مؤوّلٌ بالمصدر اوملحوظٌ فيه معنى المصدر مقطوع النّظر عن النسبة الّتى هى جزء من معناه ولذا يحكم عليه وسواء هيهنا خبرانّ ومابعد الهمزة فاعله اوسواء مبتدء لما بعده اوخبر عنه والجملة خبر انّ اوفاعل سواء مستتر ومابعد الهمزة مفسّر له [لَا يُؤْمِنُونَ] خبر بعد خبرٍ اومستأنف جواب للسؤال عن حالهم اودعاء عليهم اوخبر انّ لايؤمنون وسواء عليهم الى الآخر حاليّة اومعترضة [خَتَمَ اللهُ] خبر بعد خبر اوحال اواستيناف فى مقام التعليل اوفى مقام الدّعاء والختم الطّبع ختم الكتاب والاناء وختم على الكتاب طبع عليه بخاتمه اوبشيئٍ مثل الخاتم بحيث اذا فتح لايمكن ختمه الّا بمثل ذلك وختم الكتاب بلغ آخره فى قراءته .

تحقيق مراتب القلب واطلاقاته و تحقيق ختم القلب والبصر

[عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ] جمع القلب والقلب يطلق على القلب الصّنوبرىّ اللحمىّ وعلى النّفس الانسانيّة الّتى هى برزخ بين عالم الجنّة والشّياطين وبين عالم الملائكة وهى الّتى يعبّر عنها بالصّدر منشرحاً بالكفر اوالاسلام اوغير منشرح بشيئٍ منهما ويعبّر عنها بالاعتبارات بالنّفس الامّارة واللّوامة والمطمئنّة ويطلق على المرتبة الّتى بين هذه النّفس والعقل ويدرك الإنسان فى تلك المرتبة شيئاً من حقائق علومه وثمرات اعماله ويتشأنّ بشؤنات علومه وأعماله ولذا قيل انّ القلب معدن المشاهدة اى مشاهدة شيئٍ جزئىٍّ من حقائق العلوم والاعمال ، والى هذا اشار تعالى بقوله : انّ فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السّمع وهو شهيد فانّ المراد بمن كان له قلب من كان

متحققاً ومشاهداً لشيئ يسيرمن حقائق علمه وعمله وخارجاً من التقليد الصرف داخلاً في تحقيقٍ ما ، ويطلق على اللطيفة السيارة الانسانية وعلى المرتبة الروحانية من الانسان من دون اعتبارمرتبة خاصة ، ويسمى القلب قلباً لتقلبه بين عالمى الملائكة والشياطين وتقلبه فى العلوم والاحوال وفى الشؤن والاطوار، والمراد بالقلوب هيهنا هى النفوس الانسانية ، وجمع القلوب اما باعتبار جمعية المضاف اليه اوباعتبار كل واحد من المضاف اليه اى ختم الله على قلب كل منهم اوعلى قلوب كل منهم نظير كل قلب متكبرجبار على قراءة اضافة القلب الى متكبرجبارفان النفس الانسانية ذات شؤن كثيرة كدارٍ ذات بيوت كثيرة فى طبقة واحدة ، وذات مراتب كثيرة بعضها فوق بعضٍ كدارٍ ذات بيوت بعضها فوق بعضٍ وكل شأنٍ اومرتبة منها يسمى قلباً ، والقلب لما كان واقعاً بين مصرى الاشقياء والسعداء ومحلاً للجنود العقلية والجهلية ، وله بابان الى مصر السعداء والاشقياء قال تعالى : ختم الله على ابواب قلوبهم الى مصر السعداء حتى لايتمكن أحدٌ من الدخول والخروج من تلك الابواب وختم تلك الابواب ملازم لفتح ابواب العالم السفلى ، واطلاق الختم للاشارة الى أن باب القلب هو الباب الذى الى العالم العلوى وأما بابه الى العالم السفلى فليس باباً للقلب حقيقةً ، ونسبة الختم اليه تعالى كنسبة الاضلال لايستلزم جبراً لان الختم من شعب الرحمة الرحمانية التى تختلف باعتبار القابل فان الرحمة الرحمانية كشعاع الشمس الذى يبيض ثوب القصارويسود وجهه ويطيب ريح الورد وينتن ريح الغايط حسب استعداد القابل واقتضائه وسيأتى تمام الكلام فيه ان شاءالله فى موضعٍ آخر .

[وَعَلٰى سَمْعِهِمْ] السمع مصدر سمع الكلام كالسماع ويطلق على العضو الذى قوة السماع موضوعة فيه ، ويطلق على القوة المودعة فى الروح المصبوبة فى العصبة المفروشة فى الصماخ التى بها يحصل السماع ، والمدرك بالسمع هوالصوت الحاصل من تموج الهواء والحاصل من امساسٍ عنيفٍ سواء كان بالقرع اوالامرار؛ اوتفريقٍ عنيفٍ كقلع الشجرة وخرق الثوب ، والقوة التى بها يدرك النفس المسموعات شأن من شؤن النفس ولها كالقلب سوى كوتها الى الخارج كوتان ؛ كوة الى العالم العلوى والى الارواح الطيبة بها تسمع من الملائكة ، وماتسمع من الخارج بها تؤدى جهته الحقة الى مرتبتها الحقة العقلانية ، وكوة الى العالم السفلى والى الارواح الخبيثة بها تسمع من الشيطان وتصغى اليه ، وماتسمع من خارج بها تؤدى الى جهته الباطلة الى مرتبتها الباطلة السفلية ، ولما كان كوتها الى الارواح الطيبة ذاتيةً لها وكوتها الى الارواح الخبيثة غير ذاتيةٍ فختمها على الاطلاق منصرف الى ختم كوتها العلوية فلاينفث فيها الملك ويوسوس فيها الشيطان وما تسمع من خارج يصرفه الشيطان الى مايوافقه ويحرف الكلمة عن معناها ويجعل فيها معنى ؛ آخر ، وافراد السمع مع كون القلوب والابصار جمعين لملاحظة كونه مصدراً فى الاصل واستواء التأنيث والتذكير والافراد والتثنية والجمع فيه بخلاف الاذن ولذا اتى بالجمع فى قوله تعالى فى آذانهم وقرٌ فضربنا على آذانهم : و تقديمه على الابصار لانه أعلى تجرداً من البصر كما حقق فى موضعه ولذا لايغلبه النوم فى بعض ما يغلب البصر [وَعَلٰى أَبْصٰارِهِمْ] عطف على : على قلوبهم ؛ اومتعلق بمحذوف اى جعل على أبصارهم على قراءة نصب ما بعده وخبر مقدم على قراءة رفعه اومبتدأ مكتفٍ بمرفوعه عن الخبر ، والابصار جمع البصروهوادراك العين اوالعضو المخصوص اوالقوة المودعة فى الروح المصبوبة فى العصبتين المجوفتين الممتدتين الى العينين وهذه ايضاً كقوة السماع شأن من شؤن النفس ولها سوى كوتها الى الخارج كوتان ، وختمها على الاطلاق ختم كوتها العلوية وكذا حجابها [غِشٰاوَةٌ] قرء بالنصب وبالرفع وبتثليث الفاء وتنكير الغشاوة للتفخيم. [وَلَهُمْ عَذٰابٌ

عَظِيمٌ] عطف على قوله تعالى «على أبصارهم» غشاوة اوعلى قوله «ختم الله» .

[وَمِنَ النَّاسِ] لمّا انساق ذكر الكتاب الّذى هو اصل كلّ الخيرات وعنوان كلّ غائب وغائب كلّ عنوان ومصدر الكلّ وكلّ المصادر والصّوادر اعنى كتاب علىّ (ع) الى ذكر المؤمنين وذكر قسيمهم اعنى المسجّل عليهم بالكفر اراد ان يذكر المذبذب بينهما أعنى المنافق المظهر للايمان باللّسان المضمر للكفر فى القلب تتميماً للقسمة وتنبيهاً للامّة على حال هذه الفرقة تحذيراً لهم عن مثل أحوالهم بل نقول كان المقصود من سوق تبجيل الكتاب الى ذكر المؤمنين واستطرادهم بالكافرين ذكر هؤلاء المنافقين الّذين نافقوا بولاية علىّ (ع) خصوصاً على ماهو المقصود الاتمّ من الكتاب والايمان والكفر والنّفاق اعنى كتاب الولاية والايمان والكفر والنّفاق به فانّه اقبح اقسام الكفر فى نفسه واضرّها على المؤمنين واشدّها منعاً للطّالبين ولذا بسط فى ذمّهم وبالغ فى ذكر قبائحهم وذكر مثل حالهم فى آخر ذمّهم قرينة دالّة على انّ المراد المنافقون بالولاية لانّ المنافقين بالرّسالة ليست حالهم شبيهة بحال المستوقد المضيئ فانّ المنافق بالرّسالة لايستضيئ بشيئ من الاعمال لعدم اعتقاده بالرّسالة وعدم القبول من الرّسول بخلاف المنافق بالولاية فانّه بقبوله للرّسالة يستضيئ بنور الرّسالة والاعمال المأخوذة من الرّسول (ص) لكن لمّا لم يكن اعماله المأخوذة وقبوله الرّسالة متّصلة بنور الولاية كان نوره منقطعاً، ومايستفاد من تفسير الامام انّ الآية كانت اشارة الى ماسيقع من النّفاق بعلىّ (ع) يوم الغدير ومبايعة الامّة والمنافقين معه وتواطؤهم على خلافه بعد البيعة وبعد التّأكيد بالعهود والمواثيق عليهم يدلّ على انّ المراد النّفاق بالولاية . والنّاس اسم جمع من النّسيان مقلوب العين لاماً ، اومحذوف اللّام لغلبة النّسيان عليه حيث لم يتذكّر ما الفه فى العوالم السّابقة ، اومن النسيئ بمعنى التّأخير مقلوباً ؛ اومحذوف اللّام ، اومن الانس بمعنى الالفة ضدّ التّوحّش محذوف الفاء اومقلوبه ، اوهو مأخوذ من الايناس بمعنى الابصار مع الاطمينان بالمبصر كما قال : انّى انست ناراً اى رأيت ناراً واطمأننت بها ؛ والاظهر أنّ النّاس مأخوذ من النّسيان اوالنسيئ لاستعماله فى الاغلب فى مقام مناسب لهما وانّ الانسان من الانس لذلك ، وقيل انّ اللّام فى النّاس عوض عن المحذوف وهو بعيد والجارّ والمجرور مبتدءٌ امّا لقيامه مقام الموصوف المحذوف المقدّر اولنيابته عنه لقوّة معنى البعضيّة فيه حتّى قيل : انّه بنفسه مبتدءٌ من دون قيام مقام الغير وتقدير ونيابة والمعنى بعض النّاس . اوخبر مقدّم ، [مَنْ يَقُولُ] بألسنتهم من دون موافقة قلوبهم [آمَنَّا بِاللهِ] اوبعلىّ (ع) الّذى هو مظهر الآلهة على ماورد من التّفسير بالايمان بالولاية [وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ] يعنى بالمبدء والمعاد كأنّهم اشاروا بتكرار الجارّ الى انّ ايمانهم بكلّ مأخوذ عن برهانٍ لانّ الايمان باليوم الآخر مأخوذ من الايمان بالله من دون تحقيق وبرهانٍ عليه .

واعلم انّ العوالم باعتبار كلّيّاتها سبعة ومراتب كلّ عالمٍ عشرة ودرجات كلّ مرتبةٍ عشرة الى مأة الى ماشاء الله و بسبب هذه الاعتبارات اختلف الاخبار فى تحديد العوالم و بطون الآيات بالسّبعة و السّبعين والسّبعمائة الى سبعين الفاً الى ماشاءالله ، واذا لوحظ المراتب من المبدء الاوّل الى آخر العوالم كان كلّ مرتبة بالنّسبة الى سابقتها ليلة لقوّة الظّلمة الحاصلة من تنزّلات الوجود وكثرة التّعيّنات ، واذا لوحظت من المنتهى الى المبدء كان كلّ مرتبة بالنّسبة الى سابقتها يوماً لقوّة النّور وضعف الظّلمة بالنّسبة الى سابقتها ، ولهذا ذكر اليوم فى الآيات والاخبار عند ذكر العروج والصّعود والانتهاء والخروج ، و ذكر اللّيلة عند ذكر النّزول ، والمراد باليوم الآخر امّا يوم حشر الخلايق للحساب ، اويوم قيام كلّ صنفٍ فى مقامهم الّذى لاخروج لهم عنه.

[وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ] كان المناسب لردّ قولهم: آمنّا بالله واليوم الآخر ان يقول تعالى شأنه: لم يؤمنوا بالله واليوم الآخر نفياً لما ادّعوه من حصول الايمان في الزّمن الماضي لكنّه عدل الى الاسميّة مطلقةً عن التّقيّد بالزّمان والمتعلّق اشعاراً بنفي الايمان عنهم فطرةً وتكليفاً ماضياً ومستقبلاً متعلّقاً بشيء من الاشياء فانّه كما انّ اسميّة الجملة تكون لتأكيد الايجاب تكون لتأكيد النّفي، ونفي المطلق يكون لاطلاق النّفي الّا ان يقيّد المطلق بالاطلاق فانّ النّفي الوارد عليه حينئذٍ قد يكون لنفي الاطلاق [يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا] الخداع والمخادعة والخدع بفتح الفاء وبكسرها مصادر، والخديعة اسم للمصدر والخدع ان تظهر الاحسان وتبطن الاساءة اوتظهر الموافقة مع ابطان المخالفة، اوتظهر الاعراض مع ابطان التعرّض، والخداع مصدر خادع بمعنى خدع اوللمشاركة اوللمبالغة فانّهم باظهارهم الايمان يظهرون الموافقة مع ابطانهم المخالفة والله تعالى بامهالهم في الخديعة والانعام عليهم كأنّه يريهم الاعراض والاحسان مع انّه يخفي التّعرّض والاساءة والرّسول والمؤمنون بمداراتهم معهم يظهرون الموافقة مع علمهم بالمخالفة منهم باطناً و ابطانهم المخالفة وكأنّهم يغالبون الله والرّسول والمؤمنين في الخديعة، والمراد بالله واجب الوجود اوالرّسول (ص) اوعليٌّ (ع) لانّ آلهيّته تعالى شأنه ظهرت بهما [وَمَا يَخْدَعُونَ] قرء يخدعون بالبناء للفاعل والمفعول و يخادعون كذلك ويخدّعون من التّفعيل ويخدّعون من الافتعال [إِلَّا أَنْفُسَهُمْ] فانّهم بمخادعة الرّسول والمؤمنين يضرّون بأنفسهم ويحسبون أنّهم يحسنون صنعاً لأنّهم ينزلون أنفسهم عن مقاماتهم الانسانيّة المقتضية للصّدق والمحبّة والانس الى الشّيطانيّة المقتضية للكذب والبغض والتوحّش ويقطعون عمّا يجب ان يوصل ويصلون الى مايجب ان يقطع منه من الرّسول والشّيطان، والنّفس تطلق على ذات الشيء وعلى النّفس الانسانيّة الّتي هي النّفس الحيوانيّة المستضيئة بنور العقل؛ ويجوز ارادتهما من الا نفس هيهنا، وعلى النّفس الحيوانيّة، وعلى النفس النّباتيّة، وعلى الدّم لمناسبة مابين تلك الانفس والدّم، وعلى مراتب النّفس الانسانيّة من الأمّارة واللوّامة والمطمئنّة، وامّا تفسيرها بالامام في أمثال: من عرف نفسه فقد عرف ربّه، وأعرفكم بنفسه أعرفكم بربّه، واعرف نفسك تعرف ربّك؛ فانّما هولكون الامام ذات كلّ شيء ولاسيّما ذات من بايع معه وقبل ولايته [وَمَا يَشْعُرُونَ] مايعلمون اويتفطّنون اويحسّون بالمدارك وكأنّه اراد به احد المعنيين الاخيرين حتّى يكون مع مايأتي من قوله ولكن لايعلمون تأسيساً، وكثيرا ما يستعمل الشعور في الالتفات[1] الى المدرك، والمقصود انّ خداعهم لأنفسهم من كثرة ظهوره كأنّه محسوس بالحواسّ الظّاهرة، وعدم ادراكهم له مع ظهوره من عدم التفاتهم وشعورهم مثل من يقع ابصاره على المرئيّ لكن لشدّة اشتغال النّفس بامر آخر لايشعر بادراكه ولم يأت هيهنا باداة الاستدراك كما أتي بها فيما بعد من قوله ولكن لا يشعرون وقوله ولكن لايعلمون لانّه تعالى جرى في مخاطباته على طريقة المخاطبات الانسانيّة والاغلب انّ المتكلّم في اوّل ذكر ذمائم المذموم لايكون غضبه شديداً فلايناسبه البسط والتّأكيد والتّغليظ ولذا لم يؤكّد الكلام السّابق عليه بخلاف مايأتي، والمخاطب في اوّل الكلام يكون خالي الذّهن عن الرّدّ والشّكّ والقبول وعن توهّم الخلاف والوفاق فلا يناسبه التّأكيد واداة الاستدراك أيضاً .

[فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] مستأنفة جواباً عمّا ينبغي ان يسأل عنه من حالهم اومن علّة مخادعة الله اوعلّة عدم الشّعور اومستأنفة للدّعاء عليهم اوحال عن فاعل الفعل الاوّل اوالثّاني اوالثّالث، والمرض علّة في الحيوان

١- في الالتفات يعني اكثر استعماله في الاحساس الخاصّ مما ينبغي ان يحسّ لحضوره عند الحسّ اوفي تفطّر الخاص.

لا تلائم مزاجه الطّبيعيّ و اهل الحسّ خصّصوه بما فى بدن الحيوان ولا اختصاص له به بل يعمّه و ما فى نفسه من الاعراض الغير الملائمة لمزاجها الآلهيّ لانّ كلّ مـا يخرج نفس الانسان عمّا هى عليه بحسب التّكوين والتّكليف فهـو مرضها وقد مضى انّ للقلب اطلاقات عديدة والمراد بالقلوب [1] هنا امّا القلوب الصّنوبريّة الجسمانيّة فانّهـا لشدّة غيظهم وحنقهم دمائها فى شدّة الغليان اومن شدّة خوفهم دمائها فى عدم الغليان وكلاهما غير ملائم لمزاجها اوالقلوب المعنويّة وامراضها بجملة الرّذائل الشّيطانيّة .

[فَزٰادَهُمُ اللهُ مَرَضاً] دعاءٌ اواخبارٌ،وازدياد مرضهاباز دياد بعدهاعن الخصائل وتمكّنهافى الرّذائل [وَلَهُمْ عَذٰابٌ] دعاء اواخبارٌ [أَلِيمٌ] صيغة مبالغة من الم اذا وجع ، وتوصيف العذاب بالاليم مجازاً للمبالغة فى شدّته كأنّ العذاب من شدّته متعذّب بنفسه ، ويجوز ان يراد معنى المولم مثل ارادة المطهّر من الطّهور لانّ المبالغة فى مثله تقتضى التّعدّى الى الغير وهذا أبلغ من الاوّل لانّه يفيد تألّم العذاب بحيث يقتضى تألّمه الم الغير بتألّمه [بِمٰا كٰانُوا] بكونهم اوبشيئ اوبالّذى كانوا [يَكْذِبُونَ] قرئ بالتّخفيف وبالتّشديد من كذّبه اذا نسبه الى الكذب اومن كذّب اللازم للمبالغة او التّكثير والكذب كالصّدق يستعمل كثيراً فى الاقوال لكن لااختصاص له بها بل كلّ فعل اوحال اوخلق اوشأن يصدر من الانسان يكون مطابقاً لما يقتضيه حقيقة الانسانيّة فهو صدق ، وكلّما لم يكن كذلك فهو كذب .

[وَإِذٰا قِيلَ لَهُمْ لٰاتُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ] عطف على « يكذبون » اوعلى « فى قلوبهم مرض » اوعلى « يخادعون الله » او « يقول آمنّا بالله » والافساد تغيير الشّيئ عمّا هو عليه اومنعه عن كمال يقتضيه والمراد بالارض اعمّ من ارض العالم الكبير اوالصّغيروالخروج عن طاعة العقل والامام افساد فى العالم الصغيرويؤدّى الى الافساد فى الكبير والى الافساد الكبير الّذى هوالاستهزاء بالامام وقتله ، ومانسب الى سلمان رضى‌الله عنه : انّ اهل هذه الآية لم يأتوا بعد؛ يدلّ على انّ الآية نزلت فى منافقى الامّة بعد النّبىّ(ص) .

[قٰالُوا إِنَّمٰا نَحْنُ مُصْلِحُونَ] فانّ منكرى التّوحيد اوالرّسالة اوالولاية يظنّون الخيروالصّلاح فى فعلهم لاالشّرّ والفساد فانّ كلّ ذى شعورٍ يقصد بفعله خيره وصلاحه كمـا نسب الى بعض الصّحابة انّه علّل منع خلافة علىّ(ع) بأنّه قليل السّنّ كثير المزاح .

ولمّا زعموا انّهم مصلحون فى فعلهم وسمعوا نسبة الافساد اليهم نسبوا الاصلاحٍ الى انفسهم بطريق قصر شؤنهم عليه مؤكّداً باسميّة الجملة وانّ و افادة الحصر [أَلٰا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ] قابل انكارهم المؤكّد باسناد الافساد اليهم مؤكّداً باداة الاستفتاح وانّ واسميّة الجملة وضمير الفصل وافادة الحصر وأتى فى مقابلة حصرهم شؤنهم فى الاصلاح بحصر شؤنهم فى الافساد [وَلٰكِنْ لٰايَشْعُرُونَ] اتى هيهنا باداة الاستدراك لاقتضاء المقام استدراك توهّم الخلاف والبسط فى الكلام كما مضى آنفاً [وَإِذٰا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا] لمّا كان القائل هوالرّسول اوالمؤمنين اشارتعالى شأنه الى أنّ النّاصح لهم جمع بين وصفى التّحذيروالتّرغيب والانذار والتبشير وانّهم ردّوا عليه كلاشقىّ نصحه والمراد بالايمان الايمان بـالرّسول(ص) بالبيعة العامّة مع تواطؤالقلب واللّسان اوالايمان بعلىّ(ع) [كَمٰا آمَنَ النّٰاسُ] بالبيعة مع محمّد (ص) اوعلىّ (ع) مع تواطؤ

---

[1] ـ والمراد بالقلوب يعنى مع انّ المراد بالمرض ، المرض النفسانىّ .

القلب والعزم على الوفاء بما أخذ عليهم من الشّروط والمواثيق ويجوزان يراد بالايمان فى قولهم «آمنّا بالله» الاذعان اوالتّصديق وان يراد به هيهنا ايضاً ذلك لكنّ الايمان اذا اطلق فى الكتاب والسّنّة يراد به البيعة العامّة اوالخاصّة اومابعد التّوبة من أجزاء البيعة اوالحالة الحاصلة بالبيعة وامّا محض الاقراربالتّوحيد والرّسالة فلم يكن يسمّى بالايمان حالة حيوة الرّسول(ص) و ما نقل فى تفسير الامام يدلّ على أنّ المراد به البيعة مع علىّ (ع) .

[قَالُوا] مع نظرائهم من المنافقين لا مع المؤمنين والنّاصحين فانّهم لمخادعتهم للمؤمنين واخفاء حالهم عنهم لايكاشفون بمثل هذا الجواب معهم [أَنُؤْمِنُ] انكاراً لصدورمثل ايمان المؤمنين الّذين هم سفهاء بظنّهم عن مثلهم [كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ] السّفيه غير الرّشيد وهو المحجور عليه الّذى يحتاج الى القيّم ، ويطلق على خفيف العقل الّذى لايكون افعاله على ما ينبغى ولايكون مبذّراً ولا منمياً لما له كما ينبغى ، ويطلق على من لايعرف الحقّ ولاينقاد تحت حكم حاكمٍ الهىٍّ ، وكثيراً مايستعمل فى الآيات والاخبار بهذا المعنى ، ولمّا رأوالمؤمنين على حالة لايرتضيها عقولهم الشّيطانيّة مع انقيادهم ظاهراً وباطناً لمحمّد(ص) اوعلىّ(ع) وعدم قدرتهما بزعمهم على محافظة اتّباعهما من اعدائهم سمّوهم سفهاء ، ولمّاكان اتّباع المؤمنين وانقيادهم لخليفة الله هومقتضى العقل و مقتضى معرفة الحقّ وخروج المنافقين عن الانقياد والخديعة مع العباد خروجاً عن مقتضى العقل السّليم وعن مقتضى معرفة الحقّ حصر تعالى شأنه السّفاهة فيهم مؤكّداً بالتّأكيدات العديدة حصر قلب ليفيد نفيها عمّن نسبوها اليهم فقال [أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ] قد مضى وجه الاتيان بأدوات التّأكيد واداة الاستدراك .

[وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا] كانت الفقرتان الاوليان لبيان حالهم فى أنفسهم وأنّهم باعجابهم بأنفسهم وارتضائهم لافعالهم لايسمعون نصح النّاصح وهاتان لبيان حالهم مع المؤمنين والكفّار وبيان خديعتهم للمؤمنين [قَالُوا آمَنَّا] بالجمله الفعليّة الخالية عن المؤكّدات لايهام انّ ايمانهم لاينبغى ان ينكر او يشكّ فيه ولعدم مساعدة قلوبهم على المبالغة والتّأكيد [وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ] جمع الشّيطان والشّيطان معروف ، وتسمية الانسان شيطاناً امّا لصيرورته مظهراً للشيطان ومسخّراً تحت حكمه ، اوللمشاكلة والمشابهة ، اولكون الانسان احد مصاديقه باعتبار معناه اللّغوىّ فانّه مشتقّ من شطن اذا بعد لبعد شياطين الجنّ والانس عن الخير ، اومن الشّطن بمعنى الحبل الطويل المضطرب ، اومن شاط اذا بطل لبطلانهم فى ذواتهم فعلى هذا كان نونه زائدة [قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ] فى الدّين والاعتقاداكدّواالحكم لتوهّم انكاره اوالشّكّ فيه من شياطينهم لمخالطتهم مع المؤمنين ولنشاطهم فى اظهاره فانّ نشاط المتكلّم فى الحكم يدعوه الى المبالغة والتّأكيد ، ولهذا لم يكتفوا بهذا القدر وبسطوا فى الكلام وقالوا مؤكّدين بتأكيدات قاصرين شأنهم قصر القلب اوالافراد [إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ] الاستهزاء معروف وان كان بحسب حال المستهزء والمستهزء به من حيث الاستهزاء محتاجاً الى شرح وتفصيل وكيف كان فالاستهزاء المنسوب الى الله كان مجازاً فمعنى قوله تعالى [اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ] يجازيهم جزاء استهزائهم اويهينهم اويفعل بهم مايشابه الاستهزاء ، اوالاتيان بالاستهزاء من باب صنعة المشاكلة ولم يأت بأداة العطف لعدم المناسبة بينه وبين ماقبله فالجملة امّا مستأنفة جواباً عن سؤالٍ مقدّرٍ اودعاء

عليهم ويحتمل ان تكون حالا عن فاعل قالوا ولم يقل : الله مستهزء بهم ؛ ليكون المقابلة اتم ّ لان ّ نشاطهم في الاخبار بالاستهزاء كما يقتضي ان يبالغوا في تأكيد الحكم يقتضي ان يخبروا ان ّ الاستهزاء بالمؤمنين صار سجيّة لهم اوكالسجيّة في الثّبات والاستمرار بخلاف اخبارالله بالاستهزاء بهم فانّه ليس في اخباره نشاط له تعالى وليس استهزاؤه بايّ معنى كان من صفاته الثّابتة له بالذّات فضلاً عن ان يكون الّتي هي عين الذّات بل هو من شعب القهر الثّابت له بالعرض ولايكون الّا في عالم الطبع ومادونه من عالم الارواح الخبيثة ، والتجدّد ذاتيٌّ لعالم الطّبع وكلّما فيه فهو متجدّد بتجدّده و في اخباره تعالى بتجديد الهوان اخبارٌ بتشديد الهوان [وَيَمُدُّهُمْ] من المدد اوالمدّ اى يمدّ قواهم ويقوّيها ويزيد فيها ، اويمدّ لهم في عمرهم وامهالهم وهذا بيانٌ للاستهزاء بهم [فِي طُغْيانِهِمْ] ظرف لغو متعلّق بما قبله اوبما بعده اومستقرّ حالاً اومستأنفاً بتقدير مبتدء جواباً لسؤال مقدّر والطّغيان تجاوز الشيئ عن حدّه ايّ شيئ كان وحدّ الانسان انقياده تحت حكم العقل الّذى يبيّنه نبيّ وقته فمن تجاوز عن هذا الحدّ كان طاغياً [يَعْمَهُونَ] يتحيّرون . والعمه هو التحيّر في الآراء فانّ نسبته الى البصيرة كنسبة العمى الى البصر وهو حال اومستأنف .

بيان اشتراء الضلالة بالهدى

[أُولٰئِكَ] المحضرون بالاوصاف المذمومة المهانون غاية الهوان [الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدىٰ] الضّلال والضّلالة مصدرا ضلّ الانسان اذا فقد الطّريق ، وضلّ المال اذا فقد ولم يدر صاحبه اين هو ، والهدى الدّلالة والرّشد والبيان يذكّر ويؤنّث والمراد به هنا الاهتداء الى الطّريق المستقيم الانسانيّ على ان يكون مصدراً مبنيّاً للمفعول ، اوهداية الله لهم الى الطّريق المستقيم الانسانيّ على ان يكون مبنيّاً للفاعل ، « والشّرا » مقصوراً وممدوداً من الاضداد يطلق على البيع والشّراء ، والاشتراء خاصّ بالمشترى في العرف العامّ كالبيع للبايع .

و اعلم انّ الانسان ذاشؤن كثيرة بحسب طرقه الى دار الاشقياء وطريقه الى دار السّعداء وشؤنه الّتي له بحسب كونه على طريق السعداء ذاتيّة له فكأنّ الله ملّكه ايّاها والشّؤن الّتي له بحسب كونه على طريق الاشقياء عرضيّة له كأنّها مملوكة لغيره و انّ الاوصاف الّتي هي في هذا العالم أعراض قائمة بغيرها لها حقائق قائمة بذواتها في عالم آخر فانّ الضلالة الّتي هي وصف اعتباريّ اضافيّ لها حقيقة متجوهرة في عالم النّفس وهي من شؤنها ومراتبها وكذلك الهداية **اذا تمهّد هذا فنقول** : لمّا كان الاشتراء أخذ مال الغير بثمن مملوك للمشترى فان لم يعتبر فيه قيد آخر كما هو الحقّ فالشّراء على حقيقته وان اعتبر كون المبيع والثّمن من الاعراض الدّنيويّة وكون الاشتراء بصيغة مخصوصة كان الاشتراء استعارة وكان قوله [فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ] ترشيحاً للاستعارة ونسبة الرّبح الى التّجارة مجاز عقليّ والرّبح هو الفضل على رأس المال في المعاملة كما انّ الخسران هو نقصان رأس المال ، ونفى الرّبح اعمّ من بقاء رأس المال ونقصانه واتلافه رأساً كما انّ الخسران أعمّ من نقصان رأس المال واتلافه [وَما كانُوا مُهْتَدِينَ] من قبيل عطف الاقوى على الاضعف والمعنى بل ماكانوا مهتدين اى اتلفوا بضاعتهم رأساً فانّه تعالى جعل الهدى بضاعتهم ولذا جعله في الاشتراء ثمناً اومن قبيل عطف العلّة على المعلول اى ما ربحوا لانّهم لم يهتدوا الى طرق التّجارة والمرابحة اوالمعنى اشتروا الضّلالة بالهدى لانّهم ماكانوا مالكين للهدى فانّ الهدى كان عارية لهم سواء أريد بالهدى الاستضاءة بنور الاسلام

بالبيعة مع محمّدٍ (ص) اوشؤن النّفس المستضيئة بنور الاسلام اوالشّؤن المستعدّة للاستضاءة بنور الاسلام اوالايمان، اومن قبيل عطف الجمع اى ماربحوا ماصاروا مهتدين الى طريق النّجاة [مَثَلُهُمْ] فى قبول نور الاسلام والاستضاءة به [كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً] المثل بالتّحريك والمثل بالكسر والاسكان والمثيل كالشّبه والشّبه والشّبيه لفظاً ومعنىً لكن استعمال المثل بالتّحريك فى التشبيه المركّب اكثر ولذا صار اسماً للقول السّيّار فى العرف العامّ والموصول كالمعرّف باللّام قد يكون لتعريف الجنس وحينئذٍ يجوز ان يجرى على مفرده حكم الافراد والجمع كما هنا فانّه أفرد بعض الضّمائر الرّاجعة اليه وجمع بعضها وكما فى قوله تعالى وخضتم كالّذى خاضوا على ان يكون الفاعل عائد الموصول ولم يأت بالعاطف هنا مع أنّه متفرّع على اشتراء الضّلالة مثل الجملتين السابقتين وجعله مستأنفاً لجواب سؤالٍ مقدّر تجديداً لنشاط السامع بتغيير الاسلوب ويحتمل ان يكون حالاً [فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ] أضاءت متعدّ مسند الى ضمير النّار اولازم مسند الى ما باعتبار كونه بمعنى الاماكن والاشياء الّتى حوله ، اولازم مسند الى ضمير النّار و ما حوله بدل عنه بدل الاشتمال [ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ] وحّد النّور وجمع الظلمة للاشارة الى وحدة حقيقة النّور وانّ الوحدة ذاتيّة للنّور ولغيره بعرض النّور ، وللاشارة الى كثرة الظّلمة وانّ الكثرة ذاتيّة لها ولغيرها عرضيّة ، وسيأتى تحقيق لهذا فى اوّل سورة الانعام ان شاء الله والمراد بالظّلمات فى الممثّل له ظلمات شؤن النّفس المتراكمة فانّ الانسان كلّما ازداد بعداً من نور الاسلام ازداد توغّلاً فى شؤن النّفس المظلمة ، وتعريف النّور بالاضافة وتنكير الظّلمات لما سبق من كون النّور ذاتيّاً للانسان والظّلمة عرضيّة [لَا يُبْصِرُونَ] حال اوصفة بحذف العائد اومستأنف اومفعول ثان لترك اذاجعل بمعنى صيّر، اومفعول بعد مفعولٍ اذا جعل فى ظلمات مفعولاً ثانياً وترك المفعول لترك القصد اليه كان الفعل جعل لازماً اولقصد التّعميم فى المفعول .

[صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ] قد علمت فيما مضى انّ السّمع والبصر لكل منهما كوّةٌ الى الخارج وكوّتان من جهة الباطن الى عالم الملائكة وعالم الجنّة وكوّتهما الى عالم الملائكة ذاتيّة وكوّتهما الى عالم الجنّة عرضيّة وختمهما عبارة عن سدّ كوّتهما الى عالم الملائكة ، والصّمم والعمى عبارة عن سدّ الكوّتين اللّتين هما الى عالم الملائكة بحيث لايسمع من المسموعات جهتها الحقانيّة الّتى تؤدّى الى عالم الملائكة ولايسمع من عالم الملائكة ولا من الملك الزّاجر ولايبصر من المبصرات جهتها الحقّانيّة وبعبارة أخرى مدارك الانسان مسخّرة تحت حكم الخيال فان كان الخيال مسخّراً تحت حكم العاقلة كان ادراكها من الجهة المطلوبة من ادراكها وان كان مسخّراً تحت حكم الشّيطان لم يكن ادراكها من الجهة المطلوبة منها وهكذا حكم اللّسان [فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ] عن دار الضّلالة الى دار الهدى لعدم سماعهم نداء المنادى لهم الى دار الهدى والى طريق النّجاة ولاصداء الغيلان فى دار الضّلالة حتّى يستوحشوا ولعدم ابصارهم موذيات دار الضّلالة ولاملذّات دار السّعادة ولا طريق الخروج منها الى دار السّعادة ولعدم نطق لهم يستغيثون به بغيرهم ويذكرون مالهم من الآلام حتّى يرحموا والمقصود من التّمثيل الّذى كثر فى كلام الله وكلام خلفائه بيان الاحوال الباطنة لاهل الانظار الحسّيّة بالاحوال الظّاهرة ولذلك قد يذكر المثل قبل اداة التشبيه وبعدها وقد يذكر نفس الاحوال كما فى قوله تعالى [أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ] اى حال المنافقين فى قرع الكلمات المهدّدة المندرجة فيها الرّحمة المستنيرة

بنورها القلوب اسماعهم كصيّب اى مطر اوسحاب فهو معطوف على قوله كمثل الّذى استوقد لا على الّذى استوقد كما قيل [فِيهِ ظُلُمَاتٌ] ظلمة اللّيل وظلمة تتابع المطر وظلمه تراكم السّحاب .

تحقيق الرعد والبرق والسّحاب والمطر

[وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ] اعلم انّ السّحاب والرّعد والبرق من جملة كائنات الجوّ وسبب تكوّن السّحاب تصاعد البخار من الاراضى الرّطبة المتسخّنه بالشّمس اوبكونها كبريتيّة اومالحة سبخة فاذا تصاعد البخار ووصل قبل تحلّله واستحالته الى الهواء الى قريب كرة الزمهرير تراكم وصار سحاباً حاجباً لماوراءه ، والبخار عبارة عن أجزاء رشيّة مائيّة مختلطة بأجزاء هوائيّة وبعد التّراكم يجتمع الاجزاء المائيّة ويستحيل شيئ من الاجزاء الهوائيّة الى الماء فان لم تنعقد ببرودة الهواء صارت مطراً ، وان انعقدت بعدالاجتماع صارت برداً ، وان انعقدت قبل الاجتماع التامّ صارت ثلجاً ، وقديتصاعد من الاراضى السّبخة والكبريتيّة دخان مختلط مع البخار ، والدّخان مركّب من الاجزاء الارضيّة والاجزاء النّاريّة المختلطة بالاجزاء الهوائيّة ، فاذا وصل ذلك البخار الى كرة الزّمهرير وتراكم واحتبس الاجزاء الدخانيّة بين الاجزاء البخاريّة والحال انّ الاجزاء الارضيّة مائلة بالطّبع الى السّفل والاجزاء النّاريّة مائلة بالطّبع الى العلو فمادام النّاريّة غالبة يتحرّك الاجزاء الدّخانيّة من بين السّحاب الى العلو بالشدّة وان كانت الاجزاء الارضيّة غالبة تتحرّك الى السّفل بالشدّة وبحركتها الشّديدة تخرق السّحاب الّذى هو أغلظ من الهواء ويحصل من خرقها الصّوت الّذى يسمّى رعداً ، فان كان مادّة الدخان لطيفة يشتعل بتسخين الحركة و سخونة الاجزاء النّاريّة وينطفى بسرعة ويسمّى برقاً ، وان كانت غليظة يشتعل ولا ينطفى بسرعة بل يبقى حتّى يصل الى الارض ويسمّى صاعقة ، ولا ينافى ما ذكر ماورد فى الاخبار من انّ الرّعد أصوات أسواط الملائكه الموكّلة على السّحاب [يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ] حال اوصفة او مستأنف جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل ماحال النّاس والضّمير راجع الى النّاس المستفاد بالملازمة [مِنَ الصَّوَاعِقِ] من اجل الصّواعق جمع الصاعقة [حَذَرَ الْمَوْتِ] من خرق صوت الصّاعقة اصمختهم اوضمير يجعلون راجع الى المنافقين كأنّه سأل سائل عن حال المنافقين الممثّل لهم ، ويكون الصّواعق حينئذٍ مجازاً عن الكلمات الّتى تقرع أسماعهم ممّا فيه تهديدٌ ووعيدٌ شديدٌ وهذا أوفق بقوله [وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ] اى بهم فوضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بذمٍّ آخر لهم ، هذا على ان يكون ضمير يجعلون راجعاً الى المنافقين والجملة حالاً من فاعل يجعلون والمعنى لاينفعهم الحذر اذلايمكن الفرار من حكومته [يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ] جواب سؤال آخر كأنّه قيل ، ماحال الممطرين اوالمنافقين مع البرق ، والخطف الاذهاب بسرعة ، اوحال مترادفة اومتداخلة [كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا] استيناف آخر وجواب سؤال ثالث اوحال مترادفة اومتداخلة ، واضاء متعدّ ولازم وكذلك أظلم وان كان متعدّية فى غاية القلّة والمعنى كلّما اضاء الله اوالبرق ما حولهم اوالطّريق مشوا فى الضّياء اوفى ماحولهم اوفى الطّريق ، واذا أظلم الله ماحولهم اواذا أظلم ماحولهم اوالطّريق اوالمعنى كلّما اضاء ماحولهم اوالطّريق ، واذا أظلم ماحولهم اوالطّريق ، ولمّا كان الانسان بالفطرة كادحاً الى الله والى الخيرات فكلّما وجد معيناً من عالم النّور سعى اليه لامحالة ، واذا لم يجد المعين من عالم الخيرات قد يقف

وقد يسعى بفطرته و لذلك أتى بالشّرطيّة الاولى كلّيّةً و بالثّانية مهملةً [وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ] مفعول شاء محذوف بقرينة الجواب ومثله كثيرٌ فى كلامهم لايذكرالمفعول الّا قليلاً وقد مضى وجه افراد السّمع والمعنى لوشاءالله ان يذهب بسمعهم بالصّاعقة وببصرهم بوميض البرق ، اولوشاءالله ان يذهب بسمعهم حتّى لايسمعوا صوت الرّعد والصّاعقة ، اوالمعنى لوشاءالله لذهب بسمعهم وابصارهم حتّى لايسمعوا كلمات التّهديد والوعيد ، ولايبصروا آيات الله الدّالّة على حقّيّته وحقيّة نبيّه على ان يكون الالتفات الى الممثّل له ويكون الضّمائر راجعة الى المنافقين والجملة عطف على الشّرطيّة السّابقة اوحال اومستأنفةٌ على تجويز اتيان الواوللاستيناف [إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] استيناف لتعليل السّابق والشيئ من المفاهيم العامّة الشّاملة للواجب والممكن ولا اختصاص له بالممكن وعلى هذا فعمومه مخصّص بما سوى الواجب تعالى ، والقدرة فسّرت بصحّة الفعل والتّرك وهذا للمتكلّمين ، ولايصحّ تفسيرقدرةالله به لانّه يلزم منه ان يكون نسبة الافعال اليه تعالى بالامكان والحال انّ واجب الوجود بالذّات واجب من جميع الجهات كما حقّق فى محلّه ، وفسّرت بكون الفاعل فى ذاته ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل ؛ وهذا يعمّ قدرة الواجب والممكن لعدم اقتضاء الشّرطية امكان وضع المقدّم بل تصحّ مع ضرورة وضع المقدّم وامكانه ، ولمّا انساق ذكرالكتاب الى فرق النّاس من المتّقين وماهم عليه وماهو لهم ، ومن الكفّار وماهم عليه وماهوعليهم ، ومن المنافقين وماهم عليه وماهو عليهم عقّب ذلك بالامر بالعبادة المستعقبة للتّقوى المستعقبة لماذكر للمتّقين كأنّه نتيجة له وفرع على ذكرالفرق ومالهم وماعليهم وصدّر الكلام بالنّداء تهييجاً لنشاط السّامع بلذّة المخاطبة اهتماماً بشأن العبادة وعدل عن الغيبة الى الخطاب بطريق الالتفات فى الكلام تجديداً لنشاطه فى العبادة فقال :

[يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ] صيروا عبيداً له بالخروج من رقّية أنفسكم وأهويتها او افعلوا له فعل العبيد لمواليهم بان لايكون حركاتكم الّا من امره ونهيه اوافعلوا صورة ماجعله الله افعال عبيده من الاعمال المقرّرة فى الشّريعة ، والرّب قد يطلق ويراد به ربّ الارباب اى الواجب الوجود بالذّات وهو المعبود على الاطلاق ، وقد يطلق ويراد به الرّبّ المضاف وهو علويّة علىّ(ع) فانّه ظهور الرّبّ المطلق وعنوانه وما يخبر به عنه فانّه تعالى شأنه من غير هذا الظّهور والعنوان لاخبرعنه ولا اسم ولارسم فلايعبد ، وامّا بعد ظهوره بهذا العنوان فهو يدرك ويخبر عنه ويعبد ، وهذا العنوان لكونه ظهوراً للرّبّ المطلق ومضافاً الى الخلق يسمّى بالرّبّ المضاف وقد ورد فى بيان قوله تعالى وكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيراً انّ المراد به الرّبّ المضاف وهو علىّ(ع) ولا يبعد ان يراد بالرّبّ هنا الرّبّ المضاف ولا ينافيه التّوصيف بالخالقيّة لانّه واسطة خلق الخلق كماورد خلق الله الاشياء بالمشيّة والمشيّة بنفسها ، وعلويّة علىّ(ع) هى المشيّة ، واذا اريد الرّبّ المضاف فالمراد بالعبادة عبادة الطّاعة ، وقد يطلق الرّبّ ويراد به ما يسمّونه ربّاً من الله والاصنام والكواكب والسّلاطين [الَّذِي خَلَقَكُمْ] التّوصيف لتعليل الامر لالتقييد الرّبّ اولتقييد الرّبّ على المعنى الثّالث للرّبّ والتعليل جميعاً [وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] استيناف بيانىّ لبيان علّة الامربالعبادة اوعلّة العبادة اوعلّة الخلق وفى تفسيرالامام(ع) اشارة الى تعدّد الوجوه وورد فى كثيرٍ من الاخبار عنهم للآيات تفاسيرمختلفة ونقل عنهم فى بعض الآيات وجوهٌ عديدة وهذا من سعة وجوه القرآن ومن باب صحّة الحمل على الكلّ بحسب المقام المقتضى لكلٍّ ، ومانقل انّ القرآن ذووجوه فاحملوه على أحسن وجوهه ؛لاينافى اختلاف التّفاسير ، فانّ المقصود

من الحمل على أحسن الوجوه الحمل على ماهو أحسن الوجوه بحسب مقام البيان لاالحمل على أحسن الوجوه مطلقاً
[اَلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ فِراشاً] صفة ثانية والفراش واحد الفرش وهو مايفترش على الارض للجلوس والاضطجاع عليه ويلزمه الانتفاع به ومطاوعته للانسان ولمّا كان الارض منبسطة يمكن الاستقرار والاضطجاع عليها والانتفاع بها أطلق الفراش عليها ، وما نقل عن الرّضا (ع) من قوله جعلها ملائمة ًلطبائعكم موافقة لاجسادكم ، لم يجعلها شديدة الحمّى والحرارة فتحرقكم ، ولا شديدة البرودة فتجمدكم ، ولا شديدة طيب الرّيح فتصدع هاماتكم ، ولا شديدة النتن فتعطبكم ، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم ، ولا شديدة الصّلابة فتمتنع عليكم في دوركم وابنيتكم وقبور موتاكم ، ولكنّ الله تعالى جعل فيها من المتانة ماتنتفعون به وتتماسكون وتتماسك عليها ابدانكم وبنيانكم، وما تنتفعون به لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم فلذلك جعل الارض فراشاً ؛ يدلّ على انّه (ع) اعتبر في وجه التّشبه جميع لوازم الفراش [وَالسَّماءَ بِناءً] سقفاً به يحفظكم ويسهّل تعيّشكم على الارض بتدبيره تعالى وتنظيمه اسبابه الّتي بها يحصل تمام ماتحتاجون اليه ، [وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ] من جهة العلو [ماءً] بالمطر والبرد والثلج فيستقي به قلل جبالكم وتلالكم كما يستقى به وهادكم وجعله بحيث ينتفع به اراضيكم واشجاركم وزروعكم ولم يجعله قطعة واحدة يفسد ابنيتكم وزروعكم [فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ] جمع الثمرة وهي الفاكهة اومطلق ما يحصل من الزّروع والاشجار [رِزْقاً لَكُمْ] لفظة من للابتداء اوللتبيين اوللتبعيض والجارّ والمجرور حال من رزقاً مقدّم عليه ورزقاً مفعولٌ به اولفظة من للتّبعيض والجارّ والمجرور قائمٌ مقام المفعول به ورزقاً حال من الثّمرات اوبدل من بعض الثّمرات بدل الاشتمال ، واذا كان الرّبّ الّذي خلقكم منعماً عليكم بعد خلقكم بهذه النّعم ومربيّاً لكم بهذه التّربية من تسبيب الاسباب السّماويّة والارضيّة
[فَلا تَجْعَلُوا لِلّهِ اَنْداداً] في الوجوب اوالآلهة والتّربية اوالعبادة اوالطّاعة اوالاستعانة اوالوجود فانّه حقيق ان يوحّد في الكلّ ، ووضع الظّاهر موضع المضمر للاشارة الى جميع الاضافات الّلازمة للرّبوبيّة فانّ الله اسمٌ للذّات من حيث جميع الصّفات ومن جملة الاضافات التّفرّد بالآلهة واستحقاق العبادة والاستعانة به حتّى يكون كالعلّة للنّهي ، والوجه العامّ في تكرار اسمائه تعالى الالتذاذ بها والنّشاط في ذكرها ، واقتضاء تمكّنها في النّفس ذكرها على اللّسان ، وتحصيل تمكّنها في النّفس بتكرار ذكرها ، وتكرار اسماء الله تعالى في الكتاب المجيد ادلّ دليلٍ على انّ الآتي به لم يكن في وجوده سوى تذكّر معبوده [وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] ذووالعلم والشّعور ولايسوّي ذوالشّعور من لايقدر على شيءٍ بمن يقدر على هذه ، هذا على ان يكون مفعول تعلمون منسيّاً ، وامّا اذا قدّر المفعول قدرة الله وعدم قدرة الانداد فالمعنى وانتم تعلمون انّ الله يقدر على ذلك وانّ الانداد لايقدرون على شيءٍ من ذلك .

[وَاِنْ كُنْتُمْ] عطف باعتبار المعنى يعني ان كنتم في ريبٍ من الله ووجوب وجوده ومبدئيّته فهذه أوصافه الّتي لاتنكرونها وان كنتم [فِي رَيْبٍ] من الرّسالة [وَ مِمّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا] حتّى تجحدوا رسالته وماقاله هو في التّوحيد وخلع الانداد [فَأْتُوا بِسُورَةٍ] السّورة من القرآن طائفةٌ من القرآن محدودة مبدّوة ببسم الله الرّحمن الرّحيم اوغير مبدّوة مأخوذة من سور المدينة اومن السّور بمعنى الرّتبة اومن السّؤر بالهمزة

بمعنى البقيّة والقطعة من الشئ ، وقدمضى فى اوّل الفاتحة تفصيل لبيان السّورة [مِنْ مِثْلِهِ] من مثل محمّد (ص) اومن مثل مانزّلنا وهذا أوفق بالتحدّى وأبلغ فى ادّعاء اعجاز القرآن لانّه يدلّ على انّه معجز مطلقاً بخلاف الاوّل فانّه يدلّ على اعجازه من مثل محمّد (ص) الّذى لم يقرأ ولم يكتب اصلاً واطبق بسائر الآيات المتحدّى بها وأنسب بقوله [وَ ادْعُوا] اى للاستعانة اوالتّصديق [شُهَدٰائَكُمْ] جمع الشهيد بمعنى الحاضر والمعنى ادعوا من ينبغى ان يحضر للاعانة اوبمعنى النّاصر اوالامام اوبمعنى القائم بالشّهادة المؤدّى لها [مِنْ دُونِ اللّٰهِ] لفظ دون بمعنى المكان الدّانى من الشيئ وبمعنى تحت نقيض فوق وبمعنى عند ويستعمل من باب الاتّساع فى الرّتبة مثل ، زيد دون عمرو ، يعنى مرتبته تحت مرتبة عمرو ، وبمعنى غير وهو المراد هنا والظّرف مستقرّ حال من شهدائكم والمعنى ادعوا ناصريكم اومن ينبغى ان يحضر ناديكم لاعانتكم اوائمّتكم اومن يشهد لكم بالمماثلة لاداء الشّهادة حين الاتيان ، اوللاعانة حين التّرتيب حالكونهم بعضاً ممّن هو غير الله .

تحقيق معنى من دون الله

وقد ذكر[1] فى بيان من دون الله فى بعض تفاسير العامّة مالنا الغناء عن ذكره ولماكان اولياء الله من الانبياء واوصيائهم (ع) مظاهر اسماء الله وصفاته بل لايظهر الله الّا بهم كما ورد : بكم عرف الله ، جاز ان يراد بقوله من دون الله من دون اولياء الله خصوصاً على اجراء الآية الشريفة فى منافقى الامّة وقد ذكر انّ المراد من دون اولياء الله [إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ] فى ادّعاء الرّيب ، اوفى انكار التّوحيد ، اوانكار تنزيل القرآن من السّماء اوفى انكار الرّسالة ، وانكار الكتاب المنزل عليه وانّ محمّداً (ص) تقوّله من تلقاء نفسه اوتعلّمه من بشر مثله فانّ العامّة اذا ارتابوا فى شيئ أنكروه فى الاغلب لانّهم ينكرون ماوراء معلومهم فيجوز ان يراد بقوله ان كنتم فى ريب ممّا نزّلنا معنى قوله ان انكرتم مانزّلنا على عبدنا .

الاشارة الى وجوه اعجاز القرآن

واعلم انّ آيات التحدّى وانّ القرآن لايمكن الاتيان للبشر بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيراً كثيرة وقد ورد وشاع فى الالسن انّ القرآن هو المعجزة الباقية بعد محمّد (ص) و ذكروا فى اعجاز القرآن وجوهاً كثيرةً تبلغ بضعة عشر وجهاً متحيّرين غير قاطعين والتّرديد فى وجه اعجاز القرآن دليل على عدم ادراك وجه اعجازه ، وماورد فى الاخبار من انّ اعجازه بفصاحته وبلاغته لايدركه الّا اهل اللّسان البارع فى الفصاحة وقد ورد فى الكتاب الكريم انّ فيه تبيان كلّ شيىء وهذا وجه لايدركه الّا أهله ، وكذا ماورد انّ به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى ليس الّا لأهله ، وماورد انّ فيه شفاء ورحمة للمؤمنين لايدركه الّا الخوّاصّ من المؤمنين ، واشير فى الاخبار الى استنباط الوقايع الآتية من أعداد حروفه ، واشير ايضاً الى ترتّب الآثار على اعداد حروفه ، وهذا ايضاً وجه لايدركه الّا اهل العلوم الغريبة ، ولهذا أنكر بعضٌ اعجاز القرآن وتردّد بعضٌ فيه ، ومن قال به لم يقل عن تحقيق بل محض التّقليد للاسلاف اوللآيات والاخبار ، ومن حقّق اعجازه ببعض الوجوه اوبكلّها قليل جدّاً وليس له اظهاره كما لم يظهره الاوائل الّا بالاشارة ، ولمّاكان التحدّى مع اهل لغة العرب وكانوا مباهين بالخطب والاشعار كان التحدّى بفصاحته وقد اعترفوا ببراعته كلّ كلام وخطاب ، ولهذا ورد فى اخبار كثيرة انّ التحدّى كان بوجه فصاحته [فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا] اتى بأداة الشّكّ مع انّه تعالى عالم بعدم الاتيان مراعاةً لحال المخاطبين لانّهم فى اوّل التحدّى كانوا شاكّين فى امكان المعارضة وعدمه ولذا اتى بجملة معترضة مخبرة عن نفى الاتيان بالنّفى

---

١ ـ قوله : و قد ذكر فانّ الزمخشرى و البيضاوىّ ذكرا انّ من فى من دون الله متعلّق بادعوا او بشهداءكم والحال انّ الجارّ والمجرور ظرف مستقرّ .

التأبيدىّ حتّى لايتوهّم متوهّم امكانه فقال [وَلَنْ تَفْعَلُوا] وأبدل عن الاتيان المقيّد بالسّورة من مثله ودعاء الشّهداء من دون الله بالفعل الّذى يكنّى به عن الكلّ ايجازاً وحذراً من التكرار والحذف ونظم الكلام مشتملاً على بيان المرام ان يقال ان كنتم فى ريب من القرآن وانّه منزل من عندالله ، اوان انكرتم القرآن وانّه منزل من عندالله وقلتم انّ محمّداً (ص) تقوّله من عند نفسه اوتعلّمه من بشرٍ مثله فان كنتم صادقين فى دعوى الرّيب من أنفسكم اوفى انكار القرآن واقرار تقوّله من عند البشر يجزلكم الاتيان بمثله وخصوصاً من الخطباء البلغاء مع تعاون الشّهداء ، فأتوا لمعارضته و ابطال حقّيّته وابطال دعوى رسالة الآتى به بسورة من مثله و ادعوا شهدائكم من دون الله ، فانّ المراد بتعليق الجزاء فى مثل مقام التّحدّى والتّعجيز تعليق جوازالجزاء وامكانه حتّى يرتفع برفع فعليّته امكانه وجوازه ، فان لم تقدروا على ان تأتوا بسورةٍ مثله مع تعاون الشّهداء واهتمامكم وجهدكم فى معارضته وابطاله تعلموا صدقه ، والاعتراض بجملة لن تفعلوا دليل ايضاً على انّ المراد نفى الامكان والقدرة فلا يرد عليه أنّ عدم الفعل لعلّه لعدم الاعتناء بالمعارضة لا لعدم القدرة حتّى يستلزم صدق القرآن وصدق الآتى به ، واذا علمتم صدق القرآن وصدق الآتى به [فَاتَّقُوا النّارَ] فهومن اقامة المسبّب مقام الجزاء والمعنى فاتّقوا مخالفتهما الّتى هى سببٌ لدخول النّار فهو أيضاً من اقامة المسبّب مقام السّبب ، اوفاتّقوا بسبب متابعتهما النّار [الَّتِى وَقُودُهَا] التّوصيف للتّهويل وتأكيد التحذير ،والوقود بالفتح اسم مصدر لمايوقد به النّار و بالضّمّ مصدرٌ ، وقيل الوقود بالفتح مصدرٌ وبالضّمّ اسم للمصدر و قرء بالضّم فان كان مصدراً كان التّقدير سبب وقودها [النّاسُ وَ الْحِجَارَةُ] او وقودها احتراق النّاس والحجارة والاوّل ابلغ فى مقام التّهويل لانّه يدلّ على أنّ نار الآخرة فى الشّدّة بحيث يكون ماتوقد به النّاس والحجارة الّذين لايتأثّر ان الّا بالنّار الموقدة الشّديدة ، والحجارة جمع الحجر كالجمالة جمع الجمل وهو قليل غير مقيس [أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ] حالٌ بتقدير قد او مستأنف لجواب سؤال عن حالها .

[وَ بَشِّرْ] عطف على الجملة السّابقة باعتبار المعنى كأنّه قيل أنذر الّذين أنكروا القرآن بعد وضوح حجيّته بالنّار وبشّر [الَّذِينَ آمَنُوا] اى أقرّوا بالقرآن وأذعنوا بـه اوآمنوا بالله بالايمان العامّ او بالايمان الخاصّ المستلزم كلّ واحدٍ منهما الاقرار بحقّيّة القرآن اوعطف على قوله: اتّقوا النّار ؛ فانّ وضوح حقّيّته كما يستلزم تهديد منكره يستلزم تبشير مقرّه كأنّه قال فان لم تفعلوا فاتّقوا النّار وبشّر الّذين آمنوا ، والخطاب خاصّ بمحمدٍ (ص) اوعامّ لكلّ من يتأتّى منه الخطاب [وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] ان كان المراد بالايمان الايمان العامّ فالمقصود من العمل الصّالح الايمان الخاصّ الّذى يحصل بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة ، وان كان المراد بالايمان الايمان الخاصّ فالمراد بالعمل الصّالح الاتيان بما أخذ عليه فى ميثاقه والوفاء بعهده [اَنَّ لَهُمْ] بأنّ لهم [جَنَّاتٍ] جمع الجنّة وهى البستان [تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] من تحت أشجارها ، اومن تحت عماراتها ، اومن تحت قطعها ، والانهار جمع النّهر والنّهر فوق الجدول ودون البحر [كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً] الجملة صفة بعد صفة اوحال عن الضّمير المجرور باللّام اوعن الجنّات اومستأنفة لبيان حالهم وحال ما فى الجنّات ، والرّزق اسم مصدر بمعنى المرزوق وهوأعمّ ممّا يستكمل

به البدن من الرّزق النّباتيّ الّذى يدخل من طريق الفم الى المعدة ، ومنها الى الكبد ، ومنه الى الاوردة ، ومنها الى الاعضاء ، والرّزق النّباتيّ الحقيقيّ هو الّذى يدخل فى خلل الاعضاء بدلاً عمّا يتحلّل منها وباقى المراتب السّابقة قوالب لهذا الرّزق كما انّ البساتين محالّ للاثمار ، و من الرّزق الحيوانيّ الّذى يدخل من طريق المدارك الحيوانيّة الى القلب اومن طريق المحرّكة اليه فانّ اعضاء السّبعية والحيوانية مقتضياتها تؤثّر فى القلب اعنى الخيال ، وكلّما يؤثّر فى القلب من الملذّات والمولمات كما يؤثّر فى الرّوح يؤثّر فى البدن ، وممّا يستكمل به الرّوح من الرّزق الحيوانيّ ومن الرّزق الانسانيّ الّذى هو العلم الباعث على العمل ، والعمل المورث للعلم، وقوله تعالى : **منها** ؛ ظرف لغو متعلّق برزقوا ، ولفظ من ابتدائيّة فانّ فى رزقوا معنى الاخذ وهو يقتضى الوصول الى المفعول بمن ، ومن ثمرة بدل منه بدل الاشتمال وهذا اولى ممّا قاله الزمخشريّ والبيضاويّ فى اعرابهما من جعلهما حالين متداخلين من رزقاً ، ولفظ ثمرة لكونه بعد كلّما يقتضى العموم البدليّ ، ورزق الجنّة ليس كالرّزق النّباتيّ لعدم الحاجة هناك الى بدل مايتحلّل ولعدم اشتماله على الثفل المحتاج الى الدفع [قَالُوا هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ] اى فى الدّنيا .

اعلم انّ كلّما فى الدّنيا من السّماويّات والارضيّات صور وأظلال لما فى الآخرة ، وما فى الآخرة حقايق لما فى الدّنيا فالعناصر ومواليدها والافلاك وكواكبها حقايقها فى الجنّة وليس فى الجنّة شيىءٌ الّا وظلّها فى هذا العالم ، ولمّا كان شيئيّة الشيئ وشخصيّة الشّخص بحقيقته لابصورته وظلّه فكلّما رأى المؤمنون فى الجنّة علموا أنّه الّذى رأوه فى الدّنيا لكنّه فى الدّنيا مشوب بنقائص الموادّ وأعدامها وظلماتها وفى الآخرة مصفّىً عن ذلك فكلّما رأوه من الاثمار قالوا : هذا الّذى رزقنا من قبل فى الدّنيا ، ويحتمل ان يكون الكلام على الاستفهام الانكاريّ التعجّبيّ يعنى بعد مارأوا الرّمّانة الاخرويّة مثلاً ، متفاوتة مع الرّمّانة الدّنيويّة تفاوتاً عظيماً فى الشّكل واللّون والطّعم ورأوا أنّها هى الرّمّانة الّتى رأوها فى الدّنيا تعجّبوا واستغربوا ذلك التّفاوت العظيم وأظهروا كونها من جنس الرّمّانة الّتى كانت فى الدّنيا فى معرض الانكار ، ويحتمل ان يكون المراد من قبل هذه المرّة فى الجنّة فانّ ثمار الجنّة متشابهة فى الصّفاء عن الكدورات والاثقال وفى غاية اللّطافة واللّذّة وطيب الرائحة وعدم ثقل الجسد بأكلها ومتوافقة غير مختلفة فى كون بعضها نيّاً وبعضها نضيجاً وبعضها متجاوزاً حدّ النضج وبعضها معيباً كما انّ ثمار الدّنيا كذلك وبهذا التّشابه والتّوافق يصحّ حمل : الّذى رزقنا من قبل ؛ على هذا بحمل هو هو مثل زيدٌ أسدٌ [وَأُتُوا بِهِ] بجنس الرّزق اوبجنس ثمر الجنّة [مُتَشَابِهاً] بعض افراده مع بعضٍ وقد مضى وجه التّشابه [وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ] جمع الزّوج يستوى فيه الذّكر والانثى والجمعيّة بالنّسبة الى المجموع اوبالنّسبة الى كلّ فرد [مُطَهَّرَةٌ] من المادّة ونقائصها ممّا يستقذر من النّساء من الاخبثين والدّماء وممّا يذمّ من عليه من الرّذائل [وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] ذكر تعالى من النّعم أصولها فى الانظار الحسيّة وهى المساكن والمطاعم والمناكح وكمالها وهو دوامها فان النّعمة وان كانت جليلة لكنّها مع خوف الزّوال منغّصة.

[إِنَّ اللّٰهَ لَا يَسْتَحْيِي] الحياء قوّة رادعة عن اظهار القبيح ومخجلة حين ظهوره وقد يطلق على اثرها الظّاهر منها على الاعضاء كسائر السّجايا ، والاستحياء للمبالغة لاللطلب اوللطلب باعتبار انّ المستحيى كأنّه يطلب الحياء من نفسه ، ونسبة الحياء والاستحياء الى الله تعالى ليس بمعنى نسبته الى الخلق كسائر مايقتضى انفعالاً وتغييراً

حين نسبتها الى الخلق وطرفا تفريطه وافراطه الخجل عن ظهور الفعل وعدم الاقتدار على الفعل حين اطّلاع الخلق عليه مطلقاً حسناً كان الفعل اوقبيحاً وعدم المبالاة بظهور الفعل حسناً كان اوقبيحاً [أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مٰا] ان يقرع الاسماع بمثل والمثل امرظاهر يشبهه امر خفيّ يذكر لبيان حال ذلك الامر الخفيّ ، وضربه عبارة عن اجرائه وذكره ، ولفظة ماوصفيّة ابهاميّة [بَعُوضَةً] وقرئ بعوضةٌ بالرّفع وعليها فلفظة مايحتمل كونها موصولة وموصوفة بحذف صدر الصّلة وصدر الصّفةواستفهاميّة [فَمٰا فَوْقَهٰا] فى الحقارة اوفى الجثّة والكبارة وهذا ردّ لانكارهم عليه تعالى التّمثيل بالذّباب والعنكبوت وغير ذلك لانّ الجهّال يستنكفون من التّوجّه الى امثال تلك الحقار والله لايستنكف من التّمثيل بها فانّ الحقير من هذه حقير فى أنظار الجهّال لافى أنظار العقلاء فانّ ذوات النّفوس الحيوانيّة وان كانت اصغر ما يكون خصوصاً ما تمّ له المدارك الحيوانيّة ، فيها من دقائق الحكم ولطائف الصّنع مالا يحصيها الّا الله فانّ البعوضة من أدرك من دقائق الحكم ولطائف الصنع الّتى اودعهاالله فيها عشراً من أعشارها لايستنكف من التّمثيل بها ولايستغرب تمثيل الفيل بها ، وعن الصّادق(ع) انّما ضرب الله المثل بالبعوضة لانّها على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق الله فى الفيل مع كبره وزيادة عضوين آخرين فأراد الله ان ينبّه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه وعجيب صنعه ، واشار(ع) بقوله : وزيادة عضوين آخرين ؛ الى جناحيها ورجليها الزّايدتين على الفيل فانّ للفيل اربع أرجل ولهاستّ أرجل ، ولمّا جعلوا انكارهم التّمثيل بالامثال المذكورة فى الكتاب مشعراً بانكار كونها من الله ودليلاً عليه قال تعالى:

[فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ اوالخاصّ و أقرّوا برسالة الرّسول ونزول الوحى و تنزيل الكتاب [فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ] اى المثل المضروب [الْحَقُّ] يعنى يعلمون انّ المثل حقّ لاباطل يعنى منزّل من الله لا مختلق من النّفس و لذا أتى بقوله [مِنْ رَبِّهِمْ] للبيان خبراً بعد خبر اوحالاً او ظرفاً لغواً متعلّقاً بالحقّ

[وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مٰاذٰا أَرٰادَاللّٰهُ] الاستفهام ونسبة الارادة الى الله تعالى للاستهزاء والتّهكّم وكان المناسب للقرين السّابق ان يقول وامّا الّذين كفروا فلا يعلمون انّه الحقّ لكنّه عدل الى هذا لافادة هذا المعنى مع شيئ زائد وهوالتّهكّم والاستهزاء [بِهٰذٰامَثَلاً] تميز من هذااوحال منه اوحال من محذوف اى نذكر هذا حالكونه مثلاً والّا فالمقصود ماذا اراد بجملة الامثال وجملة القرآن [يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً] جمعاً كثيراً او اضلالاً كثيراً جواب من الله لاستفهامهم تعليماً لنبيّه (ص) ان يجيبهم بمثله اومقول قولهم حالاً اومستأنفاً وحينئذٍ فقوله تعالى [وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً] امّا من قولهم اومن قول الله كأنّهم قالوا : ماذا أرادالله بهذا حالكونه يضلّ به كثيراً من النّاس و ان كان يهدى به كثيراً ، او قال الله عطفاً على قولهم للرّدّ عليهم و يهدى به كثيراً [وَمٰا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰاسِقِينَ] يعنى فيه هداية اناسىّ كثيرين وليس اضلاله الّا لمن لارجاء خير فيه فخيره كثير وضرّه لايعبأ به .

[الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَاللّٰهِ] تابع للفاسقين صفة او بدل او عطف بيان او مبتدء خبره اولئك هم الخاسرون ، ونقض الحبل فسخ فتل طاقاته ، واستعماله فى العهد لتشبيه العهد بالحبل وكلّما ذكرعقد اوعهد فى الكتاب مطلقاً كان اومقيّداً عامّاً اوخاصّاً فالمراد به اوّلاً وبالذّات هوالّذى يكون فى البيعة العامّة اوالخاصّة

و ثانياً و بالتّتبع كلّ عهدٍ وعقدٍ والمراد بهم الّذين ينقضون عهد الله المأخوذ عليهم بالبيعة مع محمّد (ص) [مِنْ بَعْدِ مِيثٰاقِهِ] وهم الّذين نكثوا بعد محمّد(ص) ولذا أتى بالفعل مستقبلاً اوالمراد هم الّذين نقضوا عهدالله المأخوذ عليهم من بعد ميثاقه والبيعة مع محمّدٍ(ص) وخلفائه واوصيائه(ع)والميثاق امّا اسم آلةٍ بمعنى مابه الوثوق والاحكام ، اومصدر بمعنى الاحكام والحاصل انّ المراد بالّذين ينقضون منافقوا الامّة الّذين بايعوا مع محمّدٍ(ص)ثمّ نقضوا عهدهم الّذى عاهدوه باطاعته فى جميع اوامره ونواهيه .

بيان قطع ما امرالله به ان يوصل

[وَيَقْطَعُونَ مٰا اَمَرَاللّٰهُ بِهِ اَنْ يُوصَلَ] بدل من ما ، اومن الضمير المجرور، والقطع امّا بمعنى التّرك والمهاجرة فانّ قوله(ع) صل من قطعك بمعنى من هاجرك وتركك والمعنى يتركون ماأمرالله بوصله واصل ماأمرالله بوصله الولاية التكليفيّة الّتى هى ظهور الولاية التكوينيّة وسائر الاعمال الشرعيّة القالبيّة والاعمال القلبيّة والقرابات الروحانيّة والجسمانيّة من شعبها واصل الكلّ علىّ(ع) اوالقطع بمعنى قطع الحبل اى فصل كلّ من طرفيه عن الآخر وجعله حبلين والمعنى يقطعون حبلاً بينهم وبين الله او بينهم و بين الاقرباء امرالله بوصله من الولاية وشعبها ومن القرابات الرّوحانيّة والقرابات الجسمانيّة ، ويجوز ان يراد انّهم يقطعون الاعمال البدنيّة عن الارواح الّتى هى الاذكار القلبيّة والافكار الصدريّة والنيّات الآلهيّة وقد امرالله بوصل الاعمال سواء كانت عباداتٍ اومرمّات للمعاش الى الاذكار والافكار .

تحقيق الافساد فى الارض

[وَيُفْسِدُونَ فِى الْاَرْضِ] من قبيل عطف المسبّب على السّبب فانّ الافساد فى الارض عبارة عن افناء مواليدها اوافناء كمالاتها اومنعها عن البلوغ الى كمالاتها المترقّبة لها اوتحريف كلماتها التكوينيّة اوالتّدوينيّة عن مواضعها والقاطع عن الولاية مفنٍ لاستعدادات قواه العلّامة والعمّالة للسّلوك الى الآخرة ومهلك لما تولّد بالعناية الآلهيّة من بذر الآخرة وزرعها ونسلها فى ارض عالمه الصّغير وكذا فى ارض العالم الكبير اذالفاسد يفسد مايجاوره على انّ الافساد فى ارض العالم الصغير افساد فى العالم الكبير ، وكذا فى أراضى الكتب السّماويّة والشرائع الآلهيّة لانّه كما يحرّف كلمات عالمه الصغير وكذا كلمات العالم الكبير عن مواضعها يحرّف كلمات الكتب السّماويّة والشّرائع الآلهيّة .

[أُولٰئِكَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ] الّذين أهلكوا بضاعتهم الّتى هى لطيفتهم السيّارة الانسانيّة واستعدادها للعروج الى عالمها ، والاتيان باسم الاشارة البعيدة وضمير الفصل وتعريف المسند للاهانة واستحضارهم بالصّفات المذكورة والتّأكيد والحصر كأنّه لاخسران الّا فى قطع الولاية [كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ] بعد ما ذكر حال المنافقين وأنّهم كفروا بنقضهم العهد ثمّ قطعوا وأفسدوا التفت اليهم فقال على سبيل التعجّب والانكار : على أىّ حالٍ تكفرون يعنى لا ينبغى لكم الكفر بحالٍ من الاحوال فلا ينبغى لكم الكفر اصلاً بالله بنقض عهده المأخوذ عليكم من بعد ميثاقه وهذا أوفق بما قبله ، ويحتمل ان يكون الخطاب لمطلق الكفّار والمؤمنين ، ويحتمل ان يكون الخطاب للمؤمنين خاصّةً [وَكُنْتُمْ أَمْوٰاتاً] حال عن الفاعل اوالمجرور امّا بتقدير قد لتصحيح وقوع الماضى حالاً ، اولأنّ الحال فى الحقيقة علمهم بمضمون تلك الجمل المتعاقبة لانّ انكار الكفر والتعجّب منه معلّلٌ بعلمهم بذلك كأنّه قال وأنتم عالمون بتلك الاحوال ، والموت عدم الحيوة عمّا من شأنه ان يكون

حيّاً، وللحيوة بالاضافة الى كلّ شيئ معنىً بحسبه؛ فانّ حيوة الأرض باخراج نباته والنّبات باخراج اوراقه وحبوبه واثماره، والحيوان بنفخ الرّوح الّتى بها الاحساس والحركة، وحيوة الانسان بنفخ الرّوح الّتى بها انعقاد عيسى القلب فى رحم مريم النّفس، وبدون هذا النّفخ لايصدق العلم على الانسان ولا الحيوة، وقد نسب الى اميرالمؤمنين(ع): النّاس موتى وأهل العلم أحياء، والمراد بالموت ان كان الخطاب للمؤمنين معنى يشمل الاحوال الّتى قبل الحيوة الانسانيّة من كون الانسان عنصراً وغذاءً ونطفةً وعلقةً ومضغةً وجنيناً وانساناً صوريّاً، وان كان الخطاب للكفّار فالمراد بالموت الاحوال الّتى قبل الحيوة الحيوانيّة وحمل الاموات على المخاطبين مع انّ الموت صفة المادّة بالذّات للاتّحاد بين المادّة والصورة فانّهما اذا أخذتا لابشرط كانتا جنساً وفصلاً محمولين على انّ الصّورة الانسانيّة فى مقامها العالى غير المادّة، وامّا فى مقامها الدّانى فهى متّحدة معها بحيث ظنّوا انّ الانسان هو البدن وانّ الرّوح جسم سار فى البدن كسريان الماء فى الورد، وقد رأيت فى مؤلّفات بعض: انّ من قال بتجرّد النّفس النّاطقة فهو فاسقٌ.

تحقيق تكرار الاحياء والاماتة للانسان

[فَأَحْيٰاكُمْ] بالحيوة الحيوانيّة اوالانسانيّة [ثُمَّ يـمِيتُكُمْ] عن الحيوة الحيوانيّة الدّنيويّة اوالانسانيّة الدّنيويّة فانّ الانسان بنفخة الاماتة يموت عن كلّ ماله من المدارك والقوى ما لم يقم عليه القيامة الكبرى [ثُمَّ يُحْيِيكُمْ] بالحيوة الأخرويّة الملكيّة بنفخة الاحياء فى البرازخ الى الاعراف [ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] على الطّريق الّذى هو عن يمين الاعراف اوعلى الطّريق الّذى هو عن يسارها والرّجوع اليه تعالى امّا الى مظاهره النّوريّة ودارنعيمه واسمه اللّطيف، اوالى مظاهره الظلمانيّة ودار جحيمه واسمه القهّار.

اعلم انّ الانسان من أوّل خلقة مادّته الّتى هى النّطفة الّتى استقرّت فى الرّحم الى آخر استكمال بدنه فى خلع ولبس فى مادّته، وكذا من اوّل تعلّق نفسه ببدنه فى خلع ولبس فى نفسه الى بلوغه حدّ الرّجال، وكلّ خلع منه موت وكلّ لبس حيوة، وهذان الاستكمالان مشهود ان للكلّ، وله بعد ذلك استكمالٌ واستعلاءٌ على مدارج السّعادة واستكمالٌ واستنزالٌ فى مهابط الشّقاوة، وهذان خلع ولبسٌ بحسب نفسه وموت وحيوة فى برازخ الآخرة، وهما وان كانا غير مشهودين للكلّ لكنّ العالم يعلم بالمقايسة انّ حالاته بعد البلوغ مثل حالاته قبل البلوغ كما قال تعالى شأنه: **ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكّرون**؛ وكلّ من خلعاته ولبساته موت وحيوة وهذا الخلع واللبس مستمرٌّ الى الاعراف سواءٌ مات الانسان بالموت الاختياريّ اوالاضطراريّ وبعد الاعراف له ترقّياتٌ وتنزّلاتٌ ايضاً لكن ترقّياته حيوةٌ على الحيوة وتنزّلاته موتٌ على الموت، وقد قال المولوى قدّس سرّه مستنبطاً من الآية الشريفة مشيراً الى امّهات أنواع الموت والحيوة فانّ افراده غير متناهية كما حقّق فى محلّه من انّ الحركة القطعيّة قابلة للقسمة الى غير النّهاية.

از جمادى مردم و نامى شدم	وز نما مردم بحيوان سر زدم
مردم از حيوانى و آدم شدم	پس چه ترسم كى زمردن كم شدم
حملهٔ ديگر بميرم از بشر	تا برآرم از ملايک بال و پر
وز ملک هم بايدم جستن ز جو	كلّ شيىء هالک الّا وجهه
بار ديگر از ملک پرّان شوم	آنچه اندر وهم نايد آن شوم

فقوله تعالى : وكنتم أمواتاً اشارة الى تمام الحالات الّتى قبل الحيوانيّة اوقبل الانسانيّة ولذا عطف عليه قوله فأحياكم بالفاء وهو اشارة الى حدوث الحيوة الحيوانيّة اوالانسانيّة ولذا عطف عليه قوله ثمّ يميتكم بثمّ ، وقوله ثمّ يميتكم اشارة الى حدوث الموت الحيوانىّ اوالبشرىّ ولذا عطف عليه قوله ثـمّ يحييكم بثمّ وهواشارة الى حدوث الحيوة البرزخيّة ولذا عطف عليه قوله ثمّ اليه ترجعون بثمّ ، وهواشارة الى مابعد البرزخ والاعراف ولم يقل ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم لما ذكر انّه فى اهل الخير حيوة على الحيوة .

تحقيق خلق جميع الاشياء حتى السّموم وذوات السّموم لنفع الانسان

[هُوَ الَّذِي خَلَقَ] الجملة حال عن سابقتها اومستأنفة ولم يأت باداة الوصل للاشعار بكثرة النّعم وانّها ينبغى ان تعدّ كالمعدودات الكثيرة فى معرض التّعداد [لَكُمْ] اى لايجادكم وخلقكم فانّ كلّما فى الارض تقدمة لخلق الانسان بل كلّ ماسوى الله مقدّمة لخلق الانسان فانّه كما حقّق فى محلّه آخرالانواع وآخرالفعل أشرف لانّه غايته فهوغاية الغايات ونهاية النّهايات بل نقول : لمّا كان الغرض الزائد على ذات الحقّ تعالى منفيّاً عن فعله للزوم استكماله وهو محال كما قرّر فى موضعه فجعل الانسان غاية وغرضاً دليل على انّه ينتهى الى ذات الحقّ وما انتهى الى ذاته فهو أشرف من كلّ شريف بعده تعالى ، اوالمعنى لانتفاعكم فى بقائكم فانّ الانسان فى بقائه محتاج الى اصل العناصر ومواليدها ، اوالمعنى لخلقكم وانتفاعكم فى بقائكم جميعاً ومايتراءى من عدم توقّف خلقة الانسان اوبقائه على اكثر المعادن والنّباتات والحيوانات بل التّضرّر ببعضها كالسّموم وذوات السّموم خطاء من عدم الاطّلاع على كيفيّة الارتباط بين المعلولات فانّ بعضها أصل ومقصود بالذّات، وبعضها علّة لخلقة ما هو المقصود اولكماله ، وبعضها شرطٌ وبعضها لازم كماهو مشهود فى موجودات ارض العالم الصّغير فانّه لااختصاص لقوله تعالى شأنه [مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً] بارض العالم الكبير بل نقول كلّما ذكر ارض وسماء فالنّظر اوّلاً الى العالم الصّغير وما لم يعرف فى العالم الصّغير لايعرف فى العالم الكبير لانّه نسخة موجزة عن الكبير بمطالعته يمكن مطالعة ما فى الكبير وما فى ارض العالم الصّغير[1] امّا علّة اوشرط لحدوث الانسان الحقيقىّ الّذى هو آدم أبو البشر اولبقائه ، اوعلّة اوشرط لكماله وتجمّله ، اولازم لحدوثه وبقائه اوعلّةٌ بوجه ٍ ولازمٌ بوجه ٍ فانّ الاعضاء الرّئيسة يتوقّف عليها حدوث الانسان وبعض الاعضاء الآخر شرط لحدوث الاعضاء الرّئيسة اولحفظها ، وبعضها شرط لبقاء الانسان ، وبعضها لتجمّله ، وبعضها لازم لخلقته ، وبعضها شرط بوجه ٍ ، ولازم بوجه ٍ ، فانّ الطّحال والمرارة كذوات السّموم والمرّتان كالسّموم وفيها منافع ذكرت فى مقامها ، والشّعر والظُفُر مع أنّهما اخسّ الاجزاء ولاحيوة لهما لازمان لخلقته وبقائه ، ويتوقّف عليهما تجمّله ، واذا اريد بالارض والسّماء الارض والسّماء اللّتان فى العالم الصّغير لم يبق اشكالٌ فى عطف قوله تعالى [ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ] بثمّ فانّ خلقة سماوات العالم الصّغير من حيث اضافتها الى ارضه بعد تمام ارضه وتمام مافيها وامّا فى العالم الكبير فان اريد بالسّماء الاجرام العلويّة فخلقتها مع خلقة ارضه ، وان اريد بالسّماء الارواح العلويّة فخلقتها قبل ارضه ، وكلّما ذكر فى الاخبار ممّا يدل على تأخّر خلق السّماء عن الارض فهو منزّل على العالم الصّغير وعلى تنزيل الآية على العالم الكبير فالعطف بثمّ لتفاوت الاخبارين والخلقتين

---

١ ـ المراد بالعلّة : احدى العلل الاربع ، الصورة والمادّة والفاعل والغاية والمراد بالشّرط ، ماله مدخليّة فى ايجاده وبقائه بوجوده او عدمه اوكليهما وينقسم الى الشّرط المصطلح والمعدّ المانع .

والاستواء هيهنا القصد اى قصد خلق السّماء [فَسَوّٰيهُنَّ] اى خلقهنّ تامّة مصونة عن العوج والفطوروجمع الضمير لكون السّماء جنساً فى معنى الجمع اولرعاية الخبر (١) [سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ] تحقيق عدد السّماوات والارضين ومراتب العالم سيجيئ من بعد ان شاءالله [وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] عطف على قوله هوالّذى خلق ، اوحال عن فاعل خلق ، اوعطف على كنتم امواتاً ، اوحال عن فاعل احدى الجمل السّابقة على قوله هوالّذى خلق ، وعلى اىّ تقدير فالمقصود التّهديد عن الكفروتعليل انكاره بأنّه عالم بكفركم فيؤاخذكم عليه ، وعلمه بالاشياء عين وجود الاشياء فهو علم حضورىّ كعلمنا بالصّور الحاضرة فى نفوسنا فانّ وجودها علم لنا ومعلوم ، وهذا علمه الّذى هومع الاشياء وامّا علمه بالاشياء الّذى هو قبلها فله مراتب ، مرتبة منها عين ذاته ، ومرتبة عين فعله ، ومرتبة عين القلم ، ومرتبة عين اللّوح المحفوظ ، ومرتبة عين لوح المحووالاثبات ، وتحقيق علمه فى الحكمة النّظريّة وليس هيهنا محلّ تحقيقه وتفصيله .

تحقيق مادّة الملك واقسام الملائكة

واذكر [إِذْقٰالَ رَبُّكَ] حتّى تعلم انّ الكلّ خلق للانسان اوذكّرهم بذلك حتّى يعلموا فانّ فى قصّة خلقة آدم وسجود الملائكة له دليلاً على أنّ خلقة الكلّ لاجله [لِلْمَلاٰئِكَةِ] جمع الملك باعتبار اصله فانّ اصله مألك من الالوكة بمعنى الرّسالة فقلب فصارمعفل بتقديم العين ثمّ حذف الهمزة فصارمعل ، وقيل : اصله مفعل من لاك يلوك بمعنى ارسل فقلب الواوالفاً بعد نقل حركته ثمّ حذف وقيل اصله فعال من ملك يملك فحذف الالف ، والملك على أنواع منها ملائكة ارضيّون متعلّقون بالمادّيات سواءكانوا متعلّقين بالاجرام السّماويّة اوبالاجرام الارضيّة ؛ ولهم ترقّيات وتنزّلات والملائكة السّجّد والرّكّع منهم ، وماورد من سقوط ملك عن مقامه وتنزّله عن مرتبته وشفاعة شفيعٍ له هو فى هذا النّوع لافى سائر الانواع فانّ الملائكة الغيرالمتعلّقة بالمادّيات كلّ واحد منهم له مقامٌ معلوم .

وليعلم انّ العوالم بوجهٍ ثلاثة ؛ اوّلها عالم الجنّة والشّياطين وفيه الجحيم ونيرانها وهومحلّ الاشقياء والمعذّبين من بنى آدم وهوتحت عالم المادّيات وان كان ذلك العالم مجرّداً عن المادّة ، **وثانيها** عالم المادّيات من السّماوات والسّماويّات والارض والارضيّات وهذا العالم أضعف العوالم ، **وثالثها** عالم المجرّدات العلويّة وهوعالم الملائكة بمراتبها من السّجّد والرّكّع وذوى الاجنحة مثنى وثلاث ورباع ، والمدبّرات أمراً ، والصّافّات صفاً ، والقيام المهيمنين الّذين لاينظرون ، ولاهل عالم الجنّة من أنواع الجنّة والشّياطين قدرة باقدارالله على أنواع الخوارق والتصرّف فى عالم المادّيات مثل اهل عالم الملائكة من دون فرقٍ ، والجنّة والشّياطين على نوعين ، نوع منهم فى غاية البعد والخباثة غير قابلين للهداية ، ونوع منهم لهم قرب من عالم المادّيات ، وبسبب هذا القرب كانوا مستعدّين للهداية والايمان ولهم ترقّيات وتنزّلات ، وكذلك الملائكة على نوعين ؛ نوع منهم فى غاية البعد عن المادّيات وهم المجرّدات عن المادّيات وعن التعلّق بها والتّدبير لها وهم العقول والارواح ، ونوع منهم لهم التعلّق والتّدبير للمادّيات وهم الملائكة الموكّلة على الارضيّات من الاجرام العلويّة والسّفليّة والمأمور بسجدة آدم من حيث فعليّة آدميّته هوهذا النّوع كما فى الاخبار أنّ المأمورين بسجدة آدم هم ملائكة الارض واعتراض الملائكة المستفاد من الآية والأخبار أيضاً من هذا النّوع ولمجانسة هذا القسم للجنّة كان ابليس مشابهاً لهم و مشتبهاً عليهم و عابداً فيهم بل نقل انّه كان اماماً ومعلّماً

---

١ ـ قوله لرعاية الخبر ، و ذلك لانّ سبع سموات ٍ خبرٌ فى الاصل على ان يكون سوّيهنّ متعدياً الى مفعولين هما فى الاصل متبدءٌ وخبرٌعلى ان يكون مضعّف فعل ناقص ٍ مثل صيرو ماذا كان مضعّف فعل تامّ ٍ فيكون سبع سموات حالاً لاخبراً .

وحاكماً لهم ولقومه ، وكانوا محاربين للابالسة والجنّة طاردين لهم عن وجه الارض سارقين للشيطان رافعين له الى سمائهم ، والمأمور بسجدة آدم من حيث مقام الآدميّة وان كان هذا النّوع من الملائكة لكنّ المأمور بسجدته من حيث سائر مقاماته بل من حيث مقام علويّته المكمونة جميع أنواع الملائكة بل جميع الموجودات الامكانيّة لأنّ جميع الموجودات واقعة تحت تصرّف ارباب أنواعها ومسخّرة لها ، وجميع أرباب الانواع واقعة تحت تصرّف ربّ النوع الانسانيّ ومسخّرة له ، وقد أشير فى الاخبار الى ذلك وانّ آدم صار مسجوداً لكون علىّ (ع) والائمّة فى صلبه .

تحقيق كيفيّة قول الله و أمره للملائكة

[إِنِّي جَاعِلٌ] اى خالق فقوله [فِي الْأَرْضِ] ظرف للجعل اوهو من جعل بمعنى صيّر المعدّى الى المفعولين فقوله فى الارض مفعول ثان [خَلِيفَةً] منّى يأمر بأمرى وينهى بنهيى ويعدل بعدلى ، اوخليفةً منكم فى الارض لاصلاح الارض بعد رفعكم الى السّماء ، اوخليفةً من الشّياطين والجنّة بعد ان طرد تموهم عن وجه الارض وقوله تعالى للملائكة ليس بنداءٍ يسمع ولا بصوتٍ يقرع بل نقول : انّ العوالم مترتّبة بعضها فوق بعضٍ والعالى محيطٌ بالدّانى ومصدرله ومظهر للاعلى ، وكلّما يريد العالى ايجاده من فعل اووصف اوذات فى العالم الدّانى يظهر تلك الارادة وذلك المراد بصورته وتمام اوصافه ولوازمه بل بحقيقته الّتى هى أحقّ به من حقيقته الّتى هو بها هو فى العالم المتوسّط بين العالى وذلك الدّانى ، وذلك الظّهور هوقول العالى بالنّسبة الى ماظهر فيه فاذا أراد الله خلق آدم البشرىّ فى عالم الطّبع يظهر لامحالة تلك الارادة وهذا المراد فى عالم الواحديّة وهوعالم المشيّة بوجهٍ وعالم الاسماء والصّفات بوجهٍ وعالم اللّاهوت بوجهٍ وعالم علويّة علىٍّ (ع) بوجهٍ وتلك الصّورة بل الحقيقة الظّاهرة انسان لاهوتىّ ثمّ يظهر فى عالم الملائكة المهيمنين ثمّ فى عالم الصّافّات صفاً ثمّ فى عالم المدبّرات امراً ثمّ فى عالم ذوى الاجنحة ثمّ فى عالم الرّكّع والسّجّد ثمّ فى عالم الطّبع ، ثمّ فى الملكوت السّفلىّ وهى عالم الجنّة والشّياطين ، وظهور آدم (ع) على مراتب الملائكة بتمام لوازمه واوصافه ومن جملتها خلافته من الله فى الارض قوله تعالى لهم انّى جاعل فى الارض خليفة ، والمقرّبون من الملائكة لاحاطتهم وسعة ادراكهم ادركوا من آدم (ع) لوازمه وصفاته الظّاهرة والباطنة وماله بالفعل وما فيه بالقوّة فعلموا أنّه مركّب من الاضداد ومحلّ للرّذائل موصوف بالشّهوات المستدعية لهيجان الغضب والتباغض مع من منعه عن مشتهاه والغضب يقتضى القتل والاسروالنّهب والافساد ، وعلموا ايضاً انّه محلّ ووعاء للانسانيّة الّتى من شأنها تسخير الاضداد واطاعة المتضادّات وأنّه بكلّ من اوصافه مناسبٌ لموجود من الموجودات ولا يمكن ان يكون الخليفة بين المتضادّات غير آدم الّذى هومجمع الاضداد فلم يستعجبوا من استخلاف آدم ولم يستنكروه ، وامّا ملائكة الارض فلمّا كان لكلٍّ شأن واحد ولشأنه حدّ محدود لايتجاوزه نظيرهم القوى والمدارك الانسانيّة فانّ لكلّ شأناً ولشأن كلّ حدّاً مثل قوّة السّمع شأنه مقصور على ادراك الاصوات ، وادراكه للاصوات محدود بحدّ معيّن من الصّوت والمسافة لم يدركوا من آدم سوى ما عليه ظاهره من كونه مجمعاً للاضداد مقتضياً للقتل والنّهب والفساد ، ولم يدركوا باطنه من الانسانيّة المسخّرة للكلّ واستعجبوا من استخلافه واستنكروه وأطلقوا السانهم اللّائق بحالهم [وَقَالُوا] بصورة الانكار [أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ] كماكان هذا فعل الشّياطين والجنّ ولاتجعل منّا خليفة يعدل فى الارض ويرفع الفساد ويحفظ الدّماء وتجعلنا مطيعين لمثل هذا محكومين له .

تحقيق معنى التّسبيح والتّقديس والفرق بينهما

[وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ] فنحن أحقّ بالخلافة لعدم الاوصاف المتضادّة فينا . والتّسبيح والتّقديس فى العرف بمعنىً واحدٍ وهو التّطهير والتّنزيه لكنّهما اذا أضيفا الى الله تعالى يراد بالتّسبيح التّطهير من القبائح والنقائص لابشرط عدم الاوصاف والاضافات بل مع بقاء الاوصاف والاضافات والكثرات و بالتّقديس التّطهير من النّسب والاضافات ورفع الكثرات ، اويراد معنىً بالتّقديس أعمّ من التّنزيه من القبائح والنّسب وثبوت الكثرات وبعبارةٍ أخرى ملاحظة حقّ الاوّل باسمه الواحد يعنى بجملة صفاته الثّبوتيّة والسّلبيّة وجملة اضافاته تسبيحه وملاحظته باسمه الاحد من غيرملاحظة اسمٍ وصفةٍ وكثرةٍ وتعيّنٍ واعتبارٍ بل مع ملاحظة عدمها تقديسه ، وقد يستعمل كلّ فى معنى الآخر فهماكالفقراء والمساكين اذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا ومعنى سبحان الله تنزّه الله من النّقائص تنزّهاً ، ومعنى قدّس الله تنزّه الله من الاضافات والاعتبارات تنزّهاً ، وقول الصّادق(ع)وهل هناك شيئ ، فى جواب من قال: اللهاكبرمن ايّ شيىءٍ ، اشارة الى مقام قدسه لاالى مقام تسبيحه فالفرق بين تسبيحه تعالى و تقديسه كالفرق بين المأخوذ لا بشرطٍ والمأخوذ بشرط لا بالنّسبة الى الاوصاف والكثرات ، اوكالفرق بين المأخوذ بشرط شيىءٍ والمأخوذ بشرط لا ولهذا قلّما ذكر تسبيح بدون ذكر الحمد الدّالّ على اتّصافه بالاوصاف الحميدة ، ولابتلاء عامّة الخلق بالكثرات لم يذكر التّقديس الدّالّ على نفى الكثرات الّا قليلاً وتقدير قوله تعالى نسبّح بحمدك نسبّحك ونطهّرك عن النقائص اونسبّح اسمك اونسبّح نفوسنا بسبب حمدك اومتلبّسين بحمدك ، ونقدّس لك ، نقدّسك بزيادة اللّام اونقدّس نفوسنا لك اونقدّس اسمك لك [قٰالَ] الله فى جواب استغرابهم [إِنِّي أَعْلَمُ] من آدم ومن المكمون فيه من الانسانيّة السيّارة المسخّرة لجميع الاضداد المناسبة بسعتها وجامعيّتها لجملة ما فى العوالم و جملة الشؤن ومن الكفر المكمون الملتبس عليكم فى بعض وهو ابليس و انّه لا يظهر ذلك الّا بخلقة آدم [مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ] و لذا تستغربون وتستنكرون استخلافه بملاحظة ماتدركون منه من شؤنه الظّاهرة المتضادّة المقتضية للافساد.روى عن الباقر(ع) عن آبائه عن أميرالمؤمنين (ع) انّ الله لمّا اراد ان يخلق خلقاً بيده وذلك بعد ما مضى على الجنّ والنّسناس فى الارض سبعة آلاف سنةٍ فرفع سبحانه حجاب السّماوات وأمر الملائكة ان انظروا الى اهل الارض من الجنّ والنّسناس فلمّا رأوا ما يعملون فيها من المعاصى وسفك الدّماء والفساد فى الارض بغير الحقّ عظم ذلك عليهم وغضبوا لله تعالى وتأسّفوا على الارض ولم يملكوا غضبهم وقالوا : ربّنا انت العزيز القادر العظيم الشأن وهذا خلقك الذّليل الحقير المتقلّب فى نعمتك المتمتّع بعافيتك المرتهن فى قبضتك وهم يعصونك بمثل هذه الذّنوب ويفسدون فى الارض ولاتغضب ولاتنتقم لنفسك وانت تسمع وترى وقد عظم ذلك علينا وأكبرناه لك، فقال تعالى: انّى جاعل فى الارض خليفة تكون حجّة لى فى أرضى على خلقى، قالت الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيهاكما أفسد هؤلاء ، ويسفك الدّماءكما فعل هؤلاء ، ويتحاسدون ويتباغضون فاجعل ذلك الخليفة منّا فانّا لانتحاسد ولانتباغض ولانسفك الدّماء ، ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك ، قال تبارك وتعالى : انّى أعلم مالاتعلمون ، انّى أريد ان أخلق خلقاً بيدى وأجعل فى ذرّيّته الانبياء والمرسلين وعبادالله الصّالحين وائمّة مهديّين وأجعلهم خلفائى على خلقى فى أرضهم يهدونهم الى طاعتى وينهونهم عن معصيتى وأجعلهم حجّة لى عليهم عذراً ونذراً ، وأبين النّسناس عن ارضى وأطهّرها منهم وأنقل الجنّ المردة العصاة عن بريّتى وخيرتى من خلقى وأسكنهم فى الهواء وفى قفار الارض فلا يجاورون خلقى ، وأجعل بين الجنّ وبين نسل خلقى حجاباً

ومن عصانى من نسل خلقى الّذين اصطفيتهم اسكنتهم مسكن العصاة وأوردتهم مواردهم ، فقالت الملائكة ، سبحانك لا علم لنا الّا ما علّمتنا قال فباعدهم الله عزّ و جلّ من العرش مسيرة خمسمائة عام فلا ذوا بالعرش وأشاروا بالاصابع فنظر الرّبّ جلّ جلاله اليهم ونزل الرّحمة فوضع لهم البيت المعمور فقال : طوفوا به ودعوا العرش فانّه لى رضاً فطافوا به وهو البيت الّذى يدخله كلّ يوم سبعون الف ملك لايعودون اليه ابداً ، ووضع الله البيت المعمور توبة لاهل السّماء ، والكعبة توبة لاهل الارض ، فقال الله تعالى : انّى خالقٌ بشراً من صلصال قال وكان ذلك من الله تعالى تقدمة فى آدم (ع) قبل ان يخلقه واحتجاجاً منه عليهم قال فاغترف جلّ جلاله من الماء العذب الفرات غرفة بيمينه وكلتا يديه يمينٌ فصلصلها فجمدت وقال الله جلّ جلاله : منك أخلق النبيّين والمرسلين وعبادى الصّالحين والائمّة المهديّين الدّعاة الى الجنّة واتباعهم الى يوم القيامة ولا أسأل عمّا أفعل وهم يسألون ، ثمّ اغترف من الماء المالح الاجاج غرفة فصلصلها فجمدت فقال تعالى : ومنك أخلق الفراعنه والجبابرة واخوان الشّياطين والعتاة والدّعاة الى النّار وأشياعهم الى يوم القيامة ولا أسأل عمّا أفعل وهم يسألون قال وشرط فى ذلك البداء فيهم ولم يشرط فى أصحاب اليمين ثمّ خلط المائين جميعاً فى كفّه فصلصلهما ثمّ كفأهما قدّام عرشه وهما سلالة من طين ، ثمّ أمر ملائكة الجهات الشّمال والجنوب والصّبا والدّبوران يجولوا على هذه السّلالة من طين فابرؤها وانشأوها ثمّ جزّؤها وفصّلوها وأجروا فيها الطّبائع الاربع المرّتين والدّم والبلغم فجالت الملائكة عليها وأجروا فيها الطّبائع الاربع فالدّم من ناحية الصّبا ، والبلغم من ناحية الشّمال ، والمرّة الصّفراء من ناحية الجنوب ، والمرّة السّوداء من ناحية الدبور ، واستقلّت النّسمة وكمل البدن وقد أسقطنا آخر الحديث ؛ وبهذا المضمون أخبار كثيرة . ولمّا كان قصّة آدم (ع) وخلقته وأمر الملائكة بسجدته واباء ابليس عن السّجود وهبوطه عن الجنّة وبكاؤه فى فراق الجنّة وفراق حوّاء وخلقة حوّاء من ضلع الجنب الايسر منه وغروره بقول الشّيطان وحوّاء وكثرة نسله وحمل حوّاء فى كلّ بطنٍ ذكراً وأنثى وتزويج أنثى كلّ بطنٍ لذكر البطن الآخر من مرموزات الاوائل ؛ وقد كثر ذكره فى كتب السّلف خصوصاً كتب اليهود وتواريخهم وورد اخبارنا مختلفة فى هذا الباب اختلافاً كثيراً مرموزاً بها الى مارمزوه ومن اراد ان يحملها على ظاهرها تحيّر فيها، ومن رام ان يدرك المقصود بقوّته البشريّة والمدارك الشّيطانيّة منها طرد عنها ولم يدرك منها الّا خلاف مدلولها.

تحقيق معنى الاسم وبيان تعليم آدم الاسماء كلّها وبيان اللّطائف المندرجة فى الاية الشّريفة

[وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمٰاءَ كُلَّهٰا] اعلم انّ اسم الشيئ مادلّ عليه مطلقاً اوباعتبار بعض صفاته سواء كانت الدّلالة وضعيّة اوغيروضعيّة ، وسواء كان الدّالّ لفظاً اونقشاً اومفهوماً ذهنيّاً اوموجوداً عينيّاً ، و لمّا كانت الدّلالة مأخوذة فى الاسميّة فكلّما كانت الدّلالة اقوى كانت الاسميّة اشدّ فالدّلالة الوضعيّة الّتى هى فى الالفاظ والنّقوش لمّا كانت محتاجة الى أمر آخر هو وضع واضع كانت اضعف ، فالاسميّة فى الدّلالة الوضعيّة اضعف الاسميّات ، والمفهوم الذّهنىّ لضعفه فى نفسه واختفائه عن المدارك بحيث أنكره بعضٌ وقالوا : انّ العلم الحصولىّ ليس بحصول صورة من المعلوم فى ذهن العالم بل هو بالاضافة بين العالم والمعلوم ، وقال بعض المحقّقين انّه بشهود العالم صورة المعلوم فى عالم المثال عن بعد اوبشهوده ربّ نوع المعلوم عن بعد اضعف الاسماء أيضاً ، فبقى ان يكون الموجود العينىّ المدرك لكلّ احد الدّالّ على غيره بالطّبع كاملاً فى الاسميّة ؛ ونحن الاسماء الحسنى، ولااسم اعظم منّى ، وبأسمائك الّتى ملأت أركان كلّ شيىء ، وغير ذلك من كلماتهم تدلّ على اعتبار الاسميّة للاعيان الموجودة واهل العرف لمّا كان نظرهم الى المحسوسات

غير متجاوزٍ عنها لا يعرفون من اطلاق الاسم سوى اللّفظ والنّقش لغفلتهم عن حصول مفهوم من المسمّى في الذّهن فضلاً عن اعتبار الاسميّة له ، ولاحتجابهم عن دلالة الاعيان على غيرها وعن كونها مرايا للحقّ الاوّل تعالى ، والاسم من حيث الاسميّة وكونه عنواناً ومرآةً للمسمّى لاحكم له بل الحكم بهذا الاعتبار للمسمّى ، وقد يعتبر الاسم من حيث نفسه من غير اعتباره مرآةً لغيره وله بهذا الاعتبار حكمٌ في نفسه ويحكم عليه وبه ، والاخبار الدّالّة على انّ عابد الاسم كافرٌ وعابد الاسم والمعنى مشركٌ وعابد المعنى بايقاع الاسماء عليه بصفاته الّتي وصف بها نفسه موحّد ناظرة الى الاسماء العينيّة اوالموهومات الذّهنيّة ومشيرة الى هذين الاعتبارين ، وقوله تعالى : ان هي الّا اسماءٌ سمّيتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ؛ اشارة الى هذين ايضاً يعني ماجعلتموها معبوداتٍ اومطاعين ليست الّا اسماء لاينبغي ان ينظر اليها ويحكم عليها انتم وآباؤكم جعلتموها مسمّياتٍ ومنظوراً اليها ومحكوماً عليها بالمعبوديّة اوالمطاعيّة ما أنزل الله بها من ذلك الاعتبار سلطاناً وحجّة وتعليم الشّيئ اعطاء العلم له سواء كان بنحو الاعداد والتّسبيب كالتّعليم البشريّ اوبنحو الافاضة كتعليم الله تعالى وعلم الشيئ ظهوره على النّفس بنفسه كالعلم الحضوريّ اوبصورته الحاصلة في النّفس ، اوفي عالم المثال ، اوفي ربّ النّوع على الاختلاف فيه كالعلم الحصوليّ سواء كان بالشّعور البسيط اوبالشّعور التّركيبيّ فمعنى علّم آدم الاسماء كلّها أفاض وأودع علم الموجودات وصورة كلّ منها وانموذجه من حيث هي أسماء ومرايا للحقّ تعالى شأنه لامن حيث هي مسمّيات لعدم تحدّد آدم بحدٍّ حتّى يصيروا واقفاً في ذلك الحدّ ويكون المعلوم في ذلك الحدّ مستقلاً عنده في الوجود ومسمّى لا اسماً لغيره فالتّعبير عن الموجودات بالاسماء للاشعار بعدم وقوف آدم(ع) دون الوصول الى الله والتّأكيد بلفظ كلّها للاشارة الى انّ الجميع مودعة في وجود آدم بحيث لايشذّ عن حيطة وجوده شيئ من الاشياء ، وما قلنا انّه أودع صورة الاشياء وأنموذجها انّما هو بحسب أفهام العوامّ والّا فحقيقة كلّ شيءٍ عند آدم عليه السّلام والاشياء كلّها دقائق للحقائق الّتي أودعها الله تعالى في آدم(ع) ، ولمّا كان الملائكة متّحددين وكان الاشياء بالنّسبة اليهم متحدّدة ومحكوماً عليها بوجهٍ جعلها تعالى في معرض العرض على الملائكة للاشعار بمحدوديّتهم في صورة المسمّيات المستقّلات من غير اعتبار الاسميّة لها بارجاع ضمير ذوي العقول اليها تغليباً اوباعتبار كون الاشياء بالنّسبة اليه تعالى عقلاء فانّ ارجاع الضّمير الى الاسماء و اعتبار كونها عقلاء اسقاط لاعتبار الاسميّة لها بخلاف ايقاع العلم على الاسماء بعنوان الاسميّة فقال [ثُمَّ عَرَضَهُمْ] اى عرض الاسماء كما عرفت فلاحاجة الى تكلّف ارجاع الضّمير الى المسمّيات المفهومة بالالتزام بل تكلّف ارجاع الضّمير الى المسمّيات يذهب باللّطائف المودعة في تعليق الفعل على الاسماء وارجاع ضمير ذوي العقول اليها كما عرفت [عَلَى الْمَلٰائِكَةِ] اى ملائكة الارض لانّهم المستغربون خلافة آدم(ع) اوعلى الجميع ليظهر على الجميع سعة آدم(ع) واحاطته واستحقاقه الخلافة على جميعهم فانّ المقرّبين من الملائكة وان كانوا محيطين عالمين من آدم (ع) ظاهره وباطنه وما فيه بالفعل ومافيه بالقوّة لكنّ حقائق الاسماء الآلهيّة الّتي هي في مقام المشيّة مختفية عليهم مع انّ آدم(ع) بعلويّته عالم بها جامع لها وبتلك الحقائق يستحقّ الخلافة عليهم وباعتبار ذلك المقام ورد عنهم (ع) على مانسب اليهم : روح القدس في جنان الصاقوره ذاق من حدائقنا الباكورة ، وورد انّ جبرئيل (ع) قال لمحمّدٍ(ص) ليلة المعراج : لودنوت أنملةً لاحترقت ، والمراد بالعرض عليهم اظهار حقائقهم في العود الى الله لا في النّزول من الله ولذا كان ذلك العرض بعد تعليم آدم (ع) جميع الاسماء فانّ للاشياء بواسطة عروج آدم(ع) عروجاً بأنفسها في صراط الانسان مضافاً الى عروج أسمائها

مع الانسان وعطف العرض بثمّ على تعليم الاسماء لآدم(ع) مشعر به ، وورد الخبر انّه عرض أشباحهم وهم أنوار فى الأظلّة [فَقَالَ اَنْبِؤُنِي بِاَسْمَاءِ هٰؤُلَاءِ] الاسماء هيهنا بمنزلة العلم فى آدم يعنى أنبئونى بأنموذج كلّ من هؤلاء الحقائق المتكثّرة الموجودة المتضادّة من وجودكم حتّى تستحقّوا الخلافة فى المتضادّات والحكومة بين المتفاسدات بالسّنخيّة بينكم وبين المتضادّات، فانّ الخليفه لابدّ ان يكون له سنخيّة مع المستخلف عليه وليس فى وجودكلّ الّا انموذج واحد منهم فلا يخبر كلّ منكم الّا باسم واحد منهم فأخبرونى بأسماء الجميع [اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] فى انكار خلافة آدم(ع) واستحقاق خلافتكم فرجعوا الى أنفسهم وأيقنوا انّهم قاصرون عن المجانسة مع الاضداد وعن المحاكمة بين المتخالفات ، وعن العلم بالمتفاسدات ، مقصّرون فى الاستعجاب والاستخبار على سبيل الانكار مفرّطون فى ادّعاء التّسبيح مع التّحميد واستحقاق الخلافة دون آدم فاعترفوا بذلك [وَقَالُوا سُبْحَانَكَ] اى تنزّهت تنزّهاً عن النّقص والعبث وان تسأل عمّا تفعل واقتصروا على التّسبيح لمّا علموا أنّهم لم يدركوا حمده تعالى فانّ الحمد المضاف كما ادّعوه فى قولهم ونحن نسبّح بحمدك مستغرق وادراك حمده المستغرق بادراكه فى جميع مظاهره وقد علموا أنّهم عاجزون عن ادراك أكثر مظاهره [لَاعِلْمَ لَنَا] اى لااسم فى وجودنا من الاسماء [اِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا] الّا اسماً اعطيتناه ولمّا توهّم من قولهم : اتجعل فيها الى الآخر ؛ وقولهم : ونحن نسبّح الى الآخر ؛ نسبة العلم والحكمة الى أنفسهم وظهر بعد ذلك عجزهم وانّ علمهم بالنّسبة الى علم الله وحكمته كالعدم نفوا العلم عنهم اصالة واثبتوا قدراً قليلاً من العلم لأنفسهم عارية وافادوا التزاماً انّ العلم اصالة منحصر فيه تعالى حصر افراد ، وأكّدوا ذلك باثبات العلم والحكمة له تعالى بطريق الحصر [فَقَالُوا اِنَّكَ اَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ] ولذا لم يأتوا بالعاطف ، والعلم ظهور الشّيئ عند العقل بصورته على قول من يجعل العلم الحصولىّ بالصّورة الحاصلة من المعلوم عند العالم ، اوبنفسه كالعلم الحضورىّ كعلمنا بالصّور الحاضرة عندنا ، اوبحقيقته كعلم الحقّ تعالى بالاشياء بالعلم الذّاتىّ ، والحكمة قد تستعمل فيما للقوّة العلّامة وقد تستعمل فيما للقوّة العمّالة ، وقد تستعمل فى الاعمّ منهما ، وهو اللّطف فى العلم والعمل ؛ واللّطف فى العلم عبارة عن ادراك دقايق العلوم والغايات المترتّبة المتعاقبة واللّوازم القريبة والبعيدة ، واللّطف فى العمل عبارة عن القدرة على صنع مايدركه من دقائق المصنوع ، والحكمة العلميّة يعبّر عنها فى الفارسيّة «بخرده بينى» والحكمة العمليّة يعبّر عنها «بخرده كارى» والمراد بها هيهنا امّا المعنى الاعمّ او الحكمة العمليّة فقط [قَالَ] تعالى بعد ظهور عجزهم و عدم استحقاقهم للخلافة [يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِاَسْمَائِهِمْ] حتّى يظهر فضلك عليهم واستحقاقك للخلافة دونهم فيظهر عندهم بطلان دعويهم ؛ انكار استحقاق خلافتك واثبات استحقاق الخلافة لانفسهم ، والمراد بالانباء ليس الاخبار باللّسان بل اظهار الاسماء من وجوده كما عرفت سابقاً [فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِاَسْمَائِهِمْ] ورأوا انّه جامع لاسماء الكلّ بوجوده الجمعىّ ورأوا انموذج كلّ فيه بل رأوا انّ حقيقة كلّ الاشياء الامكانيّة هو آدم(ع) بوجه ، وانّ كلّ الحقائق منطوية فيه بوجه والكلّ رقائق له ، وعرفوا انّ آدم(ع) هو الّذى يستحقّ الخلافة فى الارض وعلى جميع الملائكة [قَالَ اَلَمْ اَقُلْ لَكُمْ] عند قولى انّى اعلم مالاتعلمون [اِنِّي اَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوَاتِ وَ الْاَرْضِ] الغائب عنكم منهما وهو

ملكوتهما اوالغائب عنهما ومن جملته جامعيّة الانسان لما له علامة الامكان [وَ اَعْلَمُ ما تُبْدُونَ] من اظهار استعجاب خلافة آدم واستحقاقكم الخلافة دونه وسائر صفاتكم الظّاهرة عليكم وعلى غيركم ومقدارعلومكم الظّاهرة [وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ] من النّقائص الّتى لا شعور لكم بها ولا يظهر عليكم الّا بعد اختياركم باستعلامكم كما فعلنا وليس المراد ماتكتمون بالشّعور والارادة فانّه يستلزم نسبة النّفاق واعتقاد جواز الجهل على الله الى الملائكة وللاشارة الى ما فسّرنا زادكنتم لانّه يدلّ على انّ الكتمان كان ثابتاً دائماً لهم ، ويجوز ان يراد بما يكتمون ماكتمه الشّيطان من الاباء عن السّجدة لآدم(ع) لوأمر به او من المخالفة والعناد لآدم(ع) المكمون فيه ، ونسبته الى الملائكة لكونه فيهم ومشتبهاً بهم ، ويجوز ان يراد اعمّ منه وممّا ذكراوّلاً ، وهذا القول منه تعالى امّا تفصيلٌ لما أجمل عند قوله : انّى اعلم مالا تعلمون ، اوكان هذا القول مذكوراً مع قوله انّى اعلم مالا تعلمون لكنّه تعالى اسقطه حين الحكاية ، ويحتمل ان يكون قوله اعلم ماتبدون حالاً بتقديراً نا اوعطفاً على الم اقل محكيّاً بالقول الاوّل ، ويجوزان يكون قوله انّى اعلم غيب السّموات مستأنفاًغير محكيٍّ بالقول [وَ إِذْقُلْنا] عطفٌ على قوله اذقال ربّكَ اى اذكر اوذكر حتّى تعلموا انّ جميع ما فى الارض خلق لكم اذقلنا [لِلْمَلائِكَةِ] اى لملائكة الارض على ماورد فى أخبارنا فانّ مرتبة آدميّة آدم(ع) مسجودة لملائكة الارض اوللملائكة جميعاً على ماسبق انّ آدم(ع) بعلويّته مسجودٌ لجميع الملائكة وقد ورد فى أخبارنا انّ الله أمر الملائكة بسجدة آدم (ع) لكون نور محمّدٍ(ص) وعلىٍّ (ع) و عترتهما (ع) فى صلبه [اسْجُدُوالِآدَمَ] السّجدة غايةالخضوع والتّذلّل والانقياد للمسجود ، ولمّاكان غايةالتّذلّل السّقوط على التّراب عند المسجود صارت السّجدة اسما لسجدة الصّلوة فى الشّريعة والمراد بالسّجدة هيهنا التّذلّل تحت أمرآدم(ع) والتّسخّر له بحيث يكون بالنّسبة الى كلّ منهم اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون ، وتسخّر الملائكة وسجدتهم لآدم(ع) دون ابليس نظير تسخّر القوى لآدم فى العالم الصّغير دون الوهم الّذى هو الشّيطان فى هذا العالم [فَسَجَدُوا إِلّاَ إِبْلِيسَ] افعيل من أبلس اذا ئيس من رحمةالله اومن أبلس اذا تحيّر واضطرب ، اومن أبلس اذاندم لانّ فعله فعل ينبغى ان يندم عليه ، اومن أبلس اذاسكت وانقطع حجّته ، وكأنّه لم يستعمل مجرّدة وقيل : انّه اسم أعجمىّ ولذا لم‌ينصرف [اَبى وَاسْتَكْبَرَ] من قبيل عطف السّبب على المسبّب [وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ] يعنى انّ فطرته كانت فطرة الكفر والاباء وترك الطّاعة لانّ الكفرطرأ عليه بعد انكان مؤمناً ، اذقوّة الاباء عن الانقيادكانت ذاتيّة له بحيث لوطرأ الانقيادكماروى شيطانى أسلم على يدى كان الانقيادكأنّه عرضىّ عرض له .

تحقيق مراتب العالم وكيفيّة خلق الاجنّة والشّياطين

اعلم انّ الوجودكمامرّ له مراتب ؛ مرتبةٌ منه غيبٌ مطلق لاخبر عنه ولااسم ولارسم وهو الوجوب الذّاتىّ الّذى يخبر عنه بعنوان مقام ظهوره بالوجوب الذّاتىّ ، ومرتبةٌ منه فعل الواجب وظهوره ومعروفيّته وفى تلك المرتبة يظهر تمام صفاته واسمائه ؛ وتلك المرتبة باعتباركونها عنواناً له تعالى بأسمائه تسمّى بالواحديّة ، وباعتباركونها اقتضاءً لايجاد العالم تسمّى بالمشيّة ، وباعتباركونها نفس ايجاد العالم تسمّى بفعله تعالى ، وباعتباركونها جامعة لتمام الاسماء والصّفات بوجودٍ واحدٍ جمعىٍّ تسمّى بالله ، و باعتباركونها مجمعاً لتمام الموجودات بنحو الاحاطة

تسمّى بعليّ(ع) ، وبهذين الاعتبارين تسمّى بالعرش والكرسيّ ولها أسماءٌ أُخر غيرهذه ، ومرتبةٌ منه عالم المجرّدات ذاتاً وفعلا وينقسم الى العقول والارواح المعبّرعنهما فى لسان الشّريعة بالملائكة المهيمنين وبالصّافّات صفّاً، ويسمّيهما الفلاسفة بالعقول الطّوليّة والعقول العرضيّة ، وارباب الانواع وارباب الطّلسمات فى اصطلاح حكماء الفرس الّتى قرّرها الشرع عبارة عن العقول العرضيّة ، ومرتبةٌ منه عالم المجرّدات فى الذّات لا فى الفعل وتسمّى بالمدبّرات امراً ، وينقسم الى النّفوس الكلّيّة والنّفوس الجزئيّة يعنى اللّوح المحفوظ ولوح المحو والاثبات ، ومرتبةٌ منه عالم المثال النّازل المعبّرعنه بجابلقا الواقع فى جانب المغرب وفيه صورة كلّ ما فى عالم الطّبع بنحو أعلى واشرف ، وظهور المحو والاثبات اللّذين فى النّفوس الجزئيّة فى هذا العالم ، والبداء الّذى ذكرفى الاخبارهوفى هذا العالم ـ وقوله تعالى : ماتردّدت فى شيىءٍ كتردّدى فى قبض روح عبدى المؤمن؛انّما يظهر فى هذا العالم ، والرّؤيا الصّادقة تكون بالاتّصال بهذا العالم وشهود ماسيقع بصورته فيه محتاجة الى التّعبير اوغير محتاجة ، ومرتبةٌ منه عالم المادّيات من سماواته وسماويّاته وعنصره وعنصريّاته ، وهذا العالم مجمع الاضداد ومورد المتخالفات ومصدر المتباغضات ومصرع الهلكى ومصعد السّعداء ، وفيه وقع تعليم آدم الاسماء وخلافته على ما فى الارض والسّماء ، ومرتبةٌ منه عالم الجنّة والشّياطين وهو أسفل العوالم وأبعدها عن الله وهومحلّ الاشقياء من الانسان وفيه الجحيم وعذاب الاشراروهوفى مقابل المثال العالى ، ووجود الجنّة والشّياطين كوجود الملائكة الّذين هم ذووا الاجنحة مجرّد عن المادّة ؛ ولذا يقدرون على التّشكّل بالاشكال المختلفة والتّصرّف فى عالم الطّبع مثل الملائكة ، ويتراءى انّهم اقوى وجوداً من عالم الطّبع لتجرّدهم عن التّقيّد بالمادّة والمكان والزّمان واطّلاعهم على ما لا يطّلع عليه الانسان من الماضى والآتى وممّا لم يكن حاضراً فى مكانهم، لكنّ العناصر والعنصريّات للاستعداد للخروج عن التّقيّد بالزّمان والمكان والمادّة والتحاقهم بالملأ الاعلى والمقرّبين من الله اقوى وجوداً واقرب من الله ، وينقسم اهل الملكوت السّفليّ الى من هو فى غاية البعد عن الله وعن استعداد قبول رحمة الله بحيث كأنّ الحرمان عن الرّحمة ذاتيّ له وهم الشّياطين وذرّيّتهم والى من هو ليس فى غاية البعد عن المادّة واستعدادها للرّحمة وهم الجنّة ، وهذا العالم تحت عالم الطّبع كما انّ عالم الملائكة فوقه ، وفى الاخبار اشاراتٌ الى ما ذكرنا من عالم الجنّة وصفاتها وأقسامها وهذا آخر العوالم فى نزول الوجود من الله ، وامّا فى صعود الوجود الى ما منه بدئ فالمبدأ المادّة والعناصر وان كان الجنّة والشّياطين قد يتقرّبون ويتصاعدون عن مهابطهم البعيدة لكن صعودهم الى حدّ محدود لايتجاوزونه بخلاف صعود المادّيات فانّه لاحدّ لها ولا وقوف ، واولى درجات صعود العناصر امتزاجها وكسر سورة كلّ بحيث ارتفع التّميز بينها ، وثانيتها حصول المزاج والصّورة النّوعيّة فيها والوحدة الحقيقيّة لها ويسمّى الحاصل جماداً ؛وهو امّا واقفُ اوواقع فى طريق النّبات ، وثالثتها حصول النّفس النّباتيّة فيها وظهور آثارٍ مختلفة وافعالٍ متخالفةٍ عنها ويسمّى الحاصل نباتاً وهو اِمّا بشرط لا اولابشرط شيىءٍ فى طريق الحيوان ، ورابعتها حصول النّفس الحيوانيّة فيها وظهور الحسّ والحركة الاراديّة عنها ؛والحاصل امّا موقوفٌ على حدٍّ اوغيرموقوفٍ بل واقع فى طريق الانسان ، وخامستها حصول النّفس الانسانيّة وظهور الادراكات الكلّيّة عنها ، ولا وقوف للحاصل بحسب التّكوين ان كان بحسب الاختيار لأفراده وقوفات عدد وقوفات أنواع الجماد والنّبات والحيوان، وعدد وقوفات افراد كلّ نوع منها ، ومقامات صعود نفس الانسان ودرجات عروجها بعد ذلك غير متناهيةٍ ، و اوّل مقامات صعودها بعد ذلك عروجها الى الملكوت العليا بدرجاتها ، اونزولها الى الملكوت السّفلى بدركاتها ، والملكوت الحاصلة بعد صعود العناصر عن المقام البشريّ يسمّى بجابلسا وهومقابلٌ لجابلقا ، وجميع

ما فى هذا العالم يحصل فى جابلسا ثانياً كماكان حاصلاً فى جابلقا قبل هذا العالم ، ومايحصل فى جابلسا يكون مُدبراً عن هذا العالم كما انّ ما حصل فى جابلقاكان مقبلاً على هذا العالم ، ولهذا لم يكن لما فى جابلسا ظهور فى هذا العالم كماكان ماحصل فى جابلقا لابدّ من ظهوره فى هذا العالم ، وامّا البرزخ الّذى هو طريق مشترك بين الملكوت العليا ودارالسّعداء والملكوت السّفلى ودارالاشقياء فهو معدود من صُقع الملكوت وليس مقام مقرّ حتّى يعدّ مقاماً وعالماً بنفسه لانّ السّعيد والشّقىّ لابدّ من سلوكهما عليه الى الاعراف ، والاعراف آخر البرازخ ومنه طريق الى الملكوت العليا وطريق آخر الى الملكوت السّفلى وسمّى الاقدمون البرزخ بهورقوليا وهذهالمدينة هىالّتى لهاالف الف باب ويدخلهاكلّ يوم مالايحصى من خلقالله، ويخرج مثل ذلك، وهورقوليا وجابلقا وجابلسا غير مجرّدة عن التّقدّر وفوقها عوالم مجرّدة عن التّقدّر ايضاً .

واعلم ايضاً انّ النّورالعرضىّ الّذى به يستضيئ السّطوح معرّف بأنّه ظاهرٌ بذاته مظهرٌ لغيره وهذا التّعريف فى الحقيقة للوجود وهو اولى به من النّور العرضىّ؛ فانّ النّور ظاهرللابصارمظهرلغيره علىالابصار لاعلى سائر المدارك ، وظهوره ليس بذاته وبمهيّته النّوريّة بل بوجوده فالنّوربما هومهيّة من الماهيّات ليس ظاهراً بنفسه بل هو بما هو وجود ظاهربنفسه اى بجزئه الّذى هوالوجود لابالجزء الآخرولابالمجموع بخلاف الوجود فانّه بسيط ظاهر بذاته لابشيئ آخر مظهر لغيره الّذى هوالمهيّة ايّة مهيّةكانت ومظهر لنقيضه الّذى هوالعدم، وظهوره ليس على مدرك واحد بل هوظاهرومظهرلكلّ الاشياء على جميع المدارك فهواقوى فىالنّوريّة من النّورالعرضىّ ، وكما انّ النّورالعرضىّ اذا قابله جسم صلب كثيف غير شفيف ينفذ النّورفيه على استقامته سواءكان صيقليّاً كالبلوّر اوغير صيقلىّ كغيره من الاحجار الصّلبة واجتمع النّور فيه وتراكم ظهر منه آثارغير النّوريّة مثل النّارالحاصلة خلف البلوّرة اذا قابلت نورالشّمس والنّار المكمونة فىالاحجارالكبريتيّة وغيرها كذلك النّورالحقيقىّ اذا قابله ما لم ينفذ فيه على الاستقامة كالمادّة القابلة الّتى لاجهة فعليّة فيها سوى القوّة ، و عالم الاجسام الّذى ليس فيه الّا جهة القبول لا الفاعليّة و اجتمع الوجودات الضعيفة والكثرات البعيدة من الوحدة حصل من اجتماع الانوارنارمكمونة فيه اوخلفه وتعلو بتلك النّار نفس مناسبة لها شريرة امّا بعيدة عن الخير ظاهرة النّاريّة نظيرها النّار الظّاهرة خلف البلوّرة البعيدة من الجسم المستنير ، اوقريبة من الخير نظيرها النّارالمكمونة فىالاحجار، والقسم الاوّل الشّياطين والقسم الثّانى الجنّة ففى النّورنارمكمونة والنّار نور مكمون اوظاهر ، فعلى هذا لاحاجة الى تأويل الآيات والاخبار الدّالّة على خلق الشّياطين والجنّة منالنّار كما فعلته الفلاسفة ، ولا الى تصحيحها بتجويز خلقها فىكرة الدّخان المنافى لكثير من قواعدهم ولكثيرمنآثار الشّياطين الّتى ذكروها فى الشّريعة ، ولا الىانكاروجودهم الّا بالتّأويل ، ولا الى جعلهم نوعاً من الملائكة؛ فانّ الملائكة خلقوا من النّور وهم خلقوا من النّار وانكان لهم نوريّةكنوريّة النّار المختلطة ، وكون آدم مخلوقاً من الطّين باعتبار انّ التّراب والماء غالبان فى مادّته والّا فمادّته مركّبة من العناصرالاربعة [وَقُلْنَا] بعد خلق آدم (ع) وخلق حوّاء لأنسه بها وسجود الملائكة له واباء ابليس من السّجود .

[يٰاآدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ] الّتى هى من جنان الدّنيا لامن جنان الآخرة الّتى هى للانسان بعد خلاصه من البنيان العنصرىّ فانّه من دخلها لم يخرج منها وسيأتى الاشارة الى وجهكونها من جنان الدّنيا [وَكُلاٰ مِنْهٰا] رزقكما الخاصّ بكما من أثمار الجنّة وفواكه الاعمال وحبوبها [رَغَداً] رزقاً واسعاً

اواكلاً واسعاً [حَيْثُ شِئْتُما وَلاتَقْرَبا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ] اطلق لهما الاكل من اىّ مأكول شاء اوفى اىّ مكان وزمان أرادا ونهيهما عن الاكل من شجرة مخصوصة ، وتعليق النّهى على القرب من الشّجرة للمبالغة فى النّهى عن الاكل ، اوللنّهى عن القرب حقيقة فانّ القرب من الشيئ يورث توقان النّفس اليه .

اعلم أنّ قصّة خلق آدم(ع) وحوّاء(ع) من الطّين ومن ضلعه الايسر ومن امر الملائكة بسجود آدم(ع) واباء ابليس عن السّجدة واسكان آدم(ع) وحوّاء(ع) الجنّة ونهيهما عن اكل شجرة من اشجارها ووسوسة ابليس لهما واكلهما من الشّجرة المنهيّة وهبوطهما من المرموزات المذكورة فى كتب الامم السّالفة وتواريخهم كماذكرنا سابقاً. فالمراد بآدم فى العالم الصّغير اللّطيفة العاقلة الآدميّه الخليفة على الملائكة الارضيّين وعلى الجنّة والشّياطين المطرودين عن وجه ارض النّفس والطّبع المسجودة للملائكة المخلوقة من الطّين السّاكنة فى جنّة النّفس الانسانيّة وهى أعلى عن مقام النّفس الحيوانيّة المخلوق من ضلع جنبها الايسر الّذى يلى النّفس الحيوانيّة زوجتها المسمّاة بحوّاء لكدرة لونها بقربها من النّفس الحيوانيّة ، والمراد بالشّجرة المنهيّة مرتبة النّفس الانسانيّة الّتى هى جامعة لمقام الحيوانيّة والمرتبة الآدميّة ، والمراد بالحيّة واختفاء ابليس بين لحييها القوّة الواهمة فانّها لكونها مظهراً لابليس تسمّى بابليس فى العالم الصّغير ، ووسوسته تزيينها مالاحقيقة له للجنب الايسر من آدم المعبّر عنه بحوّاء وهبوط آدم(ع) وحوّاء (ع) عبارة عن تنزّلهما الى مقام الحيوانيّة ، وهبوط ابليس والحيّة وذريّتهما عبارة عن تنزّلها عن مقام التّبعيّة لآدم ؛ فانّ ابليس لمّا كان الواهمة احد مظاهره كان رفعتها رفعته ، وشرافتها باستخدام آدم لها شرافته ، وهبوط الواهمة كان هبوطاً له ، واذا اريد بالشّجرة النّفس الانسانيّة ارتفع الاختلاف من الاخبار فانّ النّفس الانسانيّة شجرة لها انواع الثّمار والحبوب واصناف الاوصاف والخصال لانّ الحبوب والثّمار وان لم تكن بوجوداتها العينيّة الدّانيّة موجودة فيها لكنّ الكلّ بحقائقها موجودة فيها فتعيين تلك الشّجرة بشيىءٍ من الحبوب والثّمار اوالعلوم والاوصاف بيان لبعض شؤنها . **روى فى تفسير الامام (ع)** انّها شجرة علم محمّدٍ (ص) وآل محمّدٍ (ع) الّذين آثرهم الله تعالى به دون سائر خلقه فقال الله تعالى : لاتقربا هذه الشّجره ؛ شجرة العلم فانّها لمحمّدٍ (ص) وآله (ع) دون غيرهم ولايتناول منها بأمرالله الّاهم ، ومنها ماكان يتناوله النّبىّ (ص) وعلىّ(ع) وفاطمة(ع) والحسن (ع) والحسين(ع) بعد اطعامهم المسكين واليتيم والاسير حتّى لم يحسّوا بجوعٍ ولا عطشٍ ولا تعبٍ ولا نصبٍ وهى شجرة تميّزت من بين سائر الاشجار بانّ كلّاً منها انّما يحمل نوعاً من الثّمار وكانت هذه الشّجرة وجنسها تحمل البرّ والعنب والتّين والعنّاب وسائر أنواع الثّمار والفواكه والاطعمة ، فلذلك اختلف الحاكون فقال بعضهم : برّة ، وقال آخرون : هى عنبة ، وقال آخرون : هى عنّابة ، وهى الشّجرة الّتى من تناول منها باذن الله ألهم علم الاوّلين والآخرين من غير تعلّمٍ ، ومن تناول بغير اذن الله خاب من مراده وعصى ربّه . **أقول** : آخر الحديث يدلّ على ما قالته الصّوفيّة من انّ السّالك مالم يتمّ سلوكه ولم ينته الى مقام الفناء ولم يرجع الى الصّحو بعد المحو باذن الله لم يجز له الاشتغال بالكثرات ومقتضيات النّفس زائداً على قدر الضّرورة وشجرة علم محمّد (ص) وآل محمّد (ع) اشارة الى مقام النّفس الجامع لكمالات الكثرة والوحدة [فَتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ] الفاء سببيّة دالّة على سببيّة الاكل لصيرورتهما من الظّالمين اى لحدوث الظّلم بعد الاتّصاف بالمتضادّات يعنى انّ الاكل من الشّجرة يصير سبباً للاتّصاف بالمتضادّات وهو يقتضى منع الحقوق عن أهلها واعطائها لغير اهلها ، اولحدوث الاتّصاف بالظّلم ابتداءً يعنى انّ الاكل من الشّجرة حين عدم استحقاق الاكل ظلم

فاذا أكلتما صرتما متّصفين بالظّلم ، اولاعمّ من حدوث الظّلم بواسطةٍ اوبلاواسطةٍ [فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا] اصدر عثرتهما عن جهة الشّجرة ، اوأزالهما عن الجنّة بالعثرة بوسوسته وخديعته بان اختفى بين لحيى الحيّة وقرب من مقام آدم(ع) وقال لآدم(ع)ماحكاه الله تعالى وردّ آدم(ع)عليه وظنّ ان الحيّة تخاطبه فلمّا ايِّس من قبول آدم(ع) عاد ثانياً الى حوّاء فخاطبها وخدعها حتّى اكلت ثمّ اغترّ آدم(ع) فأكل فلمّا اكلا حصل لهما الشّعوربالشّعورفأدركا من سؤاتهما مالم يكونا يدركانه قبل ذلك [فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ] من الجنّة الّتى كانا فيها ، اومن مقامهما الّذى كانا فيه [وَقُلْنَا] لآدم(ع) وحوّاء [اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ] جمع الضّمير لارادة ذرّيّتهما معهما لكونهما اصلين لهم ، اوقلنا لآدم(ع)وحوّاء (ع)وابليس والحيّة [وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ] ارض الطّبع والنّفس الحيوانيّة اوأرض العالم الكبير [مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ] ما تنتفعون به او تمتّع [إِلَى حِينٍ] حين ينقضى آجالكم وبقوم قيامتكم الصّغرى .

اعلم انّه تعالى باقتضاء حكمته الكاملة يخلّى بين آدم ومشتهياته المنسوبة الى نفسه الدّانيّة ليهبط من مقامه العالى الى سجن الدّنيا ليستكمل فيه ويستكثر نسله وأتباعه كماقال المولوى قدّس سرّه :

من چو آدم بودم اوّل حبس كرب — پر شد اكنون نسل جانم شرق و غرب

فاذا استكمل فى نفسه و فى نسله و أتباعه تاب الله عليه و اخرجه من سجنه امّا بالموت الاختيارىّ اوالاضطرارىّ وبدون ذلك الهبوط لا يحصل كمال لآدم ولا نسلٌ ولا اتباع بل نقول : شأنه تعالى تقليب آدم النّوعىّ من الجنّة الى سجن النّفس ومن سجن النّفس الى الجنّة كما قال تعالى شأنه : ونقلّبهم ذات اليمين وذات الشّمال .

گر بجهل آييم آن زندان اوست — ور بعلم آييم آن ايوان اوست

وفى هذا التّقليب تكميله واتمام النّعمة عليه .

[فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ] الكلمات المتلقّاة من الرّبّ ليست شبيهة بكلمات الخلق كما يظنّ بل هى عبارة عن اللّطائف الوجوديّة الّتى هى التّوحيد والنّبوّة والولاية ومراتب كلّ منها ومراتب العالم الّتى لانهاية لها ؛ فانّ الكلمة كما تطلق على الكلمة اللّفظيّة وعلى الكلمة النّفسيّة الّتى هى حديث النّفس تطلق على العقائد والعلوم وعلى اللّطائف الوجوديّة وعلى مراتب الوجود ، وقوله تعالى: واذا ابتلى ابرهيم ربه بكلمات ؛ اريد به مراتب الوجود ، واذا قيس قوله(ص): اوتيت جوامع الكلم ، بهذا علم فضل محمّد(ص) على ابرهيم(ع) ولمّا اريد بالكلمات اللّطائف الوجوديّة وتلك اللّطائف يمكن التّعبير عنها بتعبيراتٍ مختلفة ورد فى الاخبار كلمات مختلفة فى تفسيرها ، وجمع الاخبار بعد الاطّلاع على ماذكرنا فى غاية الوضوح .

تحقيق توبة العبد

[فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ] توبة العبد من الشّئ ادباره عنه مع الانزجار منه سواء كان ذلك الشّئ من المعاصى الظّاهرة اوالباطنة ، او المقامات النّازلة الّتى يقف العبد فيها اوالمشاهدات الّتى قديفتتن السّالك بها ، اوالخطرات الّتى توبة الاولياء منها ، اوالالتفات الى غيرالله الّذى توبة الانبياء منه ؛وهى قسيمة للانابة فانّ الانابة الاقبال والرّجوع.

اعلم انّ سلوك السّالك لايتمّ الّا بجناحين؛ البرائة والولاية ويعبّر عنهما بالتّوبة والانابة؛ وبالزّكوة والصّلوة، وبالصّيام والصّلوة، والتّبرّى والتّولّى، والنّفى والاثبات، والنّهى والامر، والخوف والرّجاء، والتّرهيب والتّرغيب؛ ولذا لم يكن شريعة من لدن آدم (ع) الّا وفيها زكوة وصلوة وكان الكلمة الجامعة بين النّفى والاثبات اشرف الاذكار، وكان اشرف الكلّ لااله الّاالله لاعتبارات ليست فى غيرها كما سنذكره ان شاء الله فى بيان قوله: فاذكرونى أذكركم فى هذه السّورة، واذا عدّى التّوبة بالى كانت مشعرةً بالجمع بين التّوبة والانابة، واذانسبت الى العبد عدّيت بالى للدّلالة على الانتهاء، واذانسبت الى الله عدّيت بعلى للدّلالة على الاستعلاء والاستيلاء.

تحقيق توبة الرّب فى توبة العبد

[إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ] كثير التّوبة منحصرة فيه لانّ توبة العبد كسائر خصاله اظلال صفات الحقّ فانّ توبة العبد ظلّ لتوبة الرّبّ بل هى توبة الرّبّ فى مقام شأنه النّازل فلا تائب الّا هو، ونسبتها الى العبد محض اعتبار ففى توبة العبد تكرار ظهور لتوبة الرّبّ فانّه مالم يظهر توبة الله فى شؤنه العالية لم تظهر فى مظهره النّازل فهو تعالى كثير التّوبة باعتبار كثرة ظهورها ولا توّاب سواه باعتبار انّ توبة العبد توبته [الرَّحِيمُ] لارحيم سواه كحصر التّوبة وافاضة الرّحمة الرّحيميّة على العبد بعد توبة الرّبّ فى توبة العبد كالّلازم الغير المنفكّ منها ولذا عقّبها بها [قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً] ووجه التّأكيد والتّكرير التّغليظ والتّطويل المطلوب فى مقام السّخط والتمهيد للوعد والوعيد الآتى وجميعاً حالٌ فى معنى التّأكيد كأنّه قال أجمعين ولا دلالة له على الاجتماع فى زمان الحكم بل له الدّلالة على عموم الحكم بجملة افراد المحكوم عليه فقط بخلاف مجتمعين فانّه يدلّ على الاتّفاق فى زمان الحكم [فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى] امّا ان الشّرطيّة وما الزّائدة لتأكيد الشّرط ولذا يؤتى بعده بنون التّأكيد، واتيان الهدى من الله امّا على لسان الرّسول الظّاهرىّ اوالباطنىّ هذا على ظاهر المفهوم المصدرىّ من الهدى والّا فالهدى حقيقة جوهريّة من شؤن النّفس الانسانيّة ولسان الرّسول الظّاهرىّ اوالباطنىّ معدّ للنّفس، والمفيض فى الحقيقة هوالله، والمفاض حقيقة من الحقائق، والمفاض عليه هوالنّفس الانسانيّة، وعلى هذا فالاتيان باداة الشّكّ فى محلّه لانّ تلك الحقيقة لاتحصل لكلّ فردٍ من الافراد، وكثيراً ماتحصل لشخصٍ ثمّ تسلب عنه ولذا أتى بالجواب جملة شرطيّة اوكالشّرطيّة فقال [فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ] لفظة من شرطيّة اوموصولة متضمّنة لمعنى الشّرط وتكرار الهدى للتّمكين فى القلوب وللتّرغيب فى الاتّباع بتصوير مفهومه الصّريح؛ ولتعليل الحكم بذلك، ويجوز ان يراد بالهدى الرّسول اوخليفته فانّه لكونه متشأناً بالهدى فكأنّه لا حقيقة له سوى الهدى، اويراد معنىً أعمّ من الثّلاثة اى فامّا يأتينّكم منّى سبب هدايةٍ اوحقيقة هداية أوهادٍ؛ فمن تبع هداى [فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] .

تحقيق بيان اختلاف الفقرتين من قوله فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون

الخوف حالة حاصلة من الاستشعار بورود مكروه وتوقّع وروده ويستلزمها انقباض القلب واجتماع الرّوح الحيوانيّة والحرارة الغريزيّة فى الباطن والقلب واحتراق دم القلب وتصاعد بخارٍ دخانىٍّ الى الدّماغ واحتراق الدّماغ وتولّد السّوداء والماليخوليا ان طالت مدّتها، ولمّا كان الخوف وارداً من المخوف منه على الخائف كأنّ المخوف منه فاعله والخائف واقع عليه الخوف أخبر عنه بالجارّ والمجرور بعلى مع انّ القياس

يقتضي ان يخبر عن المصادر بـالجارّ والمجرور بالّلام اوبمن اذا وقع الفاعل عقيب حرف الجرّ مخبراً به ، وايضاً الخوف يقتضي الاستيلاء على النّفس بحيث لاتتمالك ويناسبه لفظ على ، ويحتمل ان يكون المعنى لاخوف لغيرهم عليهم يعني لاينبغي ان يخاف عليهم وحينئذٍ فلا اشكال . **والحزن** حالة حاصلة من استشعارفوات محبوب في الحال اوفي الاستقبال ويستلزمه ايضاً انقباض القلب واجتماع الرّوح الحيوانيّة والحرارة الغريزيّة في الباطن والقلب وسائر لوازم ذالك وقلّما ينفكّان وهكذا الغمّ والّهم فكان الحزن ينبعث من باطن الحزين من حيث انّه مستشعرٌ لفوات المحبوب وليس لورود امر من خارج وللاشعار بهذه اللّطيفة جاء بـالقرينتين مختلفتين فـانّ حقّ العبارة ان يقول فلا خوف عليهم ولا حزنٌ اوفلاهم يخافون ولاهم يحزنون ، ويستعمل الحزن من باب علم لازماً ومن باب قتل متعدّياً. والخوف والحزن ضدالرّجاء والسّرور في الذّات وفي اللّوازم والآثار.

وجواب الاشكال بانّ التّابع للهدى مؤمنٌ والمؤمن لا يخلومن الخوف والرّجاء وهما فيه ككفتّي الميزان وكذلك الحزن من لوازم الايمان كما في الاخبار فكيف ينفي عنه الخوف والحزن **يستدعي ذكر مقدّمات :**

الاولى ـ انّ الخوف يطلق تارة على المعنى الّذي ذكر وتارة على معنىً اعمّ ممّا ذكر ومن الخشية والهيبة والسّطوة فانّ الانسان في مقام الايمان التّقليديّ وهوأنزل مقامات النّفس المؤمنة له خوف ، واذا عرج الى مقام الايمان التّحقيقيّ بوجدان آثارٍما من الايمان في نفسه وهوأعلى مقام النّفس المؤمنة ومقام القاء السّمع يتبدّل خوفه بالخشية ، واذا عرج الى مقام القلب وهومقام الايمان الشّهوديّ يتبدّل خشيته بالهيبة ، واذا عرج الى مقام الرّوح و هو مقام الايمان التّحقّقيّ يتبدّل هيبته بالسّطوة ، ولفظ الخوف قد يطلق على الجميع .

والثّانية ـ انّ تعليق الجزاء يقتضي اعتبار حيثيّة وصف الشّرط في التّلازم .

والثّالثة ـ انّ المراد بالهدى هوالنّبيّ(ص) اووصيّه(ع) اوشأن من الله يظهرعلى نفس الانسان بواسطة البيعة مع أحدهما ومتابعته ، اوالمراد بالهدى مثال احدهما يظهر على صدرالانسان بقوّة متابعته لهما .

والرّابعة انّ التّابع للنّبيّ(ص) اووصيّه(ع) اذا خلص متابعته له عن متابعة غيره يتمثّل المتبوع عنده بحيث ينجذب التّابع بتمام مداركه وقواه الى الصّورة المتمثّلة عنده ويأخذ ذلك المثال بمجامع قلبه ولايدع مدخلاً ولا مخرجاً لغيره فلا يدع له ادراك الغير حتّى يستشعر بالتّضرّر منه فيخاف اوبفواته فيحزن؛ فعلى هذا معنى الآية فمن تبع هداى بحيث يتمثّل الهادى عنده فلاخوف عليه ولاحزن من حيث انّه تابع وان كان قديخرج من تلك الحيثيّة فيدخله حينئذٍ خوف وحزن .

وقد عدّ الخوف والحزن من صفات النّفس وهوخارج عن مقام النّفس وهذا التمثّل هوالّذى قالته الصّوفية من انّ السّالك ينبغي ان يجعل شيخه نصب عينيه بحيث لايشتغل عنه بغيره ومقصودهم انّ السّالك ينبغي ان يتوغّل في الاتّباع حتّى يتمثّل المتبوع عنده لاان يتكلّف ذلك من غير اتّباع ، فانّه كفر وليس الّا في النّار وقد قيل بالفارسيّة .

جمله دانسته که اين هستى فخ است   ذکر و فکر اختيارى دوزخ است

فانّ الفكر في لسانهم عبارة عن تمثّل الشّيخ عند السّالك والمراد بـالاختياريّ هوالّذى يتكلّفه السّالك ويتراءى انّ الفكر الغير الاختياريّ كالاختياريّ اشتغال بـالاسم و غفلة عن المسمّى و هو كفر شبيه بالاشتغال بالصّنم لكن هذا من جملة الظّنون فانّ الصّورة المتمثّلة اذاكـان بقوّة المتابعة لا بتكلّف السّالك لاتكون الّا مرآة لجمال الحقّ الاوّل تعالى ولايكون فيهـا حيثيّة سوى كونها مرآة والمشتغل بها عابد للمسمّى بايقاع الاسماء عليه لامحالة ، لانّه عابد للاسم والمسمّى اوللاسم فقط فهوموحّد حقيقيّ ، وقد قالوا: انّ ظهور

القائم(ع) فى العالم الصّغير عبارة عن التمثّل المذكور لانّ كلّما ذكروه فى ظهور القائم(ع) يحصل حينئذٍ فى العالم الصّغير وقد نظم بالفارسيّة اشارة الى هذا التمثّل :

کرد شهنشاه عشق در حرم دل ظهور — قد ز ميان بر فراشت رايت الله نور
هر که در اين ره شتافت باقدم نيستى — هستى جاويد يافت از تو ببزم حضور
وانكه جمال تو ديد جام وصالت چشيد — بادۀ کوثرنخواست از کف غلمان وحور

اومعنى الآية فلاخوف عليهم فى الآخرة ، اولاخوف لغيرهم عليهم . ولاهم يحزنون فى الآخرة ، ونظير هذه الآية ذكر مكرّراً فى القرآن ونذكر فى بعض الموارد مايليق به [وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ] عطف على جملة من تبع هداى (الى آخره) . وحقّ العبارة ان يقول : ومن لم يتّبع هداى لكنّه عدل الى صريح الموصول وترك الفاء فى الخبر هيهنا وجاء به فى الاوّل للتّأكيد والتّصريح بالتّلازم وعدم التخلّف فى جانب الوعد وعدم التّأكيد والتّلازم فى جانب الوعيد وأتى بقوله كفروا وكذّبوا بآياتنا بدل من لم يتّبع للاشعار بأن عدم الاتّباع كفر ومستلزم للانتهاء الى التّكذيب ، واصل الآيات وأعظمها الانبياء والاولياء فذكر تكذيب الآيات فى مقام عدم اتّباع الهدى يؤيّد تفسير الهدى بالانبياء والاولياء(ع) وتكرار المبتدأ باسم الاشارة البعيدة لتأكيد الحكم واحضارهم بأوصافهم الذّميمة وتحقيرهم ، وللتّطويل فى مقام الوعيد المطلوب فيه التّشديد والتّأكيد والتّطويل ، ولذا لم يكتف بصحابة النّار المشعرة بالتّجانس المستلزم للخلود وأكّدها بقوله [هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] اعلم انّ اخبار خلق آدم(ع) وحوّاء وكيفيّة خلقهما وبقائهما فى الجنّة ووسوسة الشّيطان لهما وأكلهما من الشّجرة وهبوطهما على الصّفا والمروة وبكائهما على فراق الجنّة وبكاء آدم على فراق حوّاء وتوبة الله عليهما مذكورة فى التّفاسير وكتب الاخبار والتّواريخ من أهل الاسلام وغيرهم ، ومن راجعها وتأمّلها تفطّن بأنّها من مرموزات الاقدمين ؛ من أراد فليرجع اليها .

[يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ] اسرائيل اسم ليعقوب(ع) واسرا بمعنى العبد وايل بمعنى الله ، اواسرا بمعنى القوّة وايل بمعنى الله ، بعد ما ذكر خلق آدم (ع) وحوّاء (ع) وانعامه عليهما بسجدة الملائكة وطاعتهم لهما واسكانهم الجنّة ونقضهما للعهد بترك النّهى بالأكل من الشّجرة وهبوطهما بارتكاب منهيٍّ واحدٍ وتفضّله عليهما وعلى ذرّيّتهما بايتاء الهدى ووعد التّابع ووعيد التّارك التفت تعالى الى ذرّيّتهما تفضّلاً عليهما وعليهم وناداهم واتى فى مقام آدم(ع) باسرائيل للاشعار بأنّ من انتسب الى الانبياء فهم بنو آدم(ع) وامّا غيرهم فليسوا بنى آدم حقيقةً فانّ النّسبة الجسمانيّة اذا لم تكن قرينة للنّسبة الرّوحانيّة لم تكن منظوراً اليها ، واختار من بين الانبياء يعقوب(ع) لكثرة أولاده وبقاء النّسبة الرّوحانيّة اليه فى أكثرهم فانّه لم يقطع النّبوّة فى اولاده ولم يرفع الدّين عنهم بخلاف سائر الانبياء [اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ] بخلق أبيكم آدم (ع) و تفضيله على سائر الموجودات ، وتسخيره لكلّ ما فى الارض ، وسجود الملائكة له ، وهبوطه الى الارض لكثرة نسله وخدمه فانّه نعمة لآدم وذرّيّته وان كان بصورة النّقمة كما قال المولوى :

ديو كبود كو ز آدم بگذرد — برچنين نطعى از آن بازى برد
در حقيقت نفع آدم شد همه — لعنت حاسد شده آن دمدمه
بازئى ديدو دوصد بازى نديد — پس ستون خانۀ خودرا بريد

وببعثه الرّسل فيكم واخذهم عهدى العامّ عليكم بالبيعة معكم البيعة العامّة النّبويّة وبابقاء شرائع الرّسل بخلفائهم واخذهم عهدى الخاصّ عليكم بالبيعة الخاصّة الولويّة وخصوصاً ببعثة خاتم الانبياء(ص) وخليفته خاتم الخلفاء [وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي] الّذى أخذه نبيّكم اوخليفته عليكم فى البيعة العامّة وقبول الدّعوة الظّاهرة اوالبيعة الخاصّة وقبول الدّعوة الباطنة [أُوفِ بِعَهْدِكُمْ] الّذى علىّ الوفاء به من ادخالكم الجنّة بازاء قبول الدّعوة فى البيعة و فتح البركات السّماويّة والارضيّة بازاء اتّباعكم شروط العهد واتّقائكم عن مخالفتها واقامتكم لأوامر العهد الّتى هى أوامر الشّرع وقد سبق أنّه كلّما ذكر عهد اوعقد فى الكتاب فالمراد به هو الّذى فى ضمن البيعة العامّة اوالخاصّة والتّفسير بما أخذ عليهم فى الذّرّ صحيح كما فى بعض الاخبار فانّه اشارة الى العهد التّكوينىّ والولاية الفطريّة لكنّه اذا لم يقترن بالعهد التّكليفىّ والبيعة الاختياريّة لم يصحّ الامر بالوفاء به ولا المدح على الوفاء به ولا الذّمّ على تركه و نقضه لنسيان المعاهد العهد الّذى كان فى الذّرّ [وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ] الفاء امّا زائدة اواصليّة وعلى اىّ تقدير فايّاى منصوب بمحذوف يفسّره المذكور سواء عدّ من باب الاشتغال ام لا وهو تأكيد وتخصيص للرّهبة به تعالى بصورة التّقديم وتنبيه على انّه لا ينبغى ان يخاف من احدٍ الّا الله تعالى فانّ الاخلاص لايتمّ الّا بحصر الطّاعة والرّغبة والخوف والرّهبة فيه وهذه الآية تعريض بأمّة محمّد(ص) وبالعهد الّذى أخذه محمّد بالبيعة العامّة بقبول احكام النّبوّة وبالعهد الّذى أخذه محمّد(ص) فى غديرخمّ لعلىٍّ(ع) بالخلافة بالبيعة العامّة على يد علىٍّ(ع) وماورد فى الاخبار من التّفسير بالعهد الّذى أخذه انبياؤهم على اسلافهم بالاقرار بنبوّة محمّد (ص) وولاية علىٍّ(ع) تفسير بما كان مقصوداً من عهدهم سواء ذكر فى بيعتهم ام لا ، ولمّا كان الامر بالوفاء بالعهد هيهنا مقدّمة للامر بالايمان بمحمّد(ص) وعلىّ(ع) فتفسير العهد بما هو المقصود منه من الاقرار بمحمّد(ص) وعلىّ(ع) كما فسّر فى الاخبار كان اولى [وَ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ] الّذى هو النّتيجة، والمقصود ماأنزل على محمدٍ(ص) من الكتاب والشّريعة النّاسخة لكلّ كتابٍ وشريعةٍ والايمان به مستلزم للايمان بنبوّة محمّد(ص) وولاية علىّ(ع) اوالمراد ممّا أنزل ابتداءً نبوّة محمّد (ص) و ولاية علىٍّ(ع) [مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ] حال فى محلّ التّعليل للامر بالايمان به فانّ تصديقه لما معهم مصدّقٌ للايمان به والمراد ممّا معهم التّوراة والانجيل والاحكام الفرعيّة الشّرعيّة والعقائد الاصليّة الدّينيّة ومنها نبوّة محمّد(ص) وخلافة وصيّه والمقصود اوّلاً وبالذّات ممّا معهم نبوّة محمّد(ص) و خلافة علىّ(ع) فانّهما ثابتتان فى كتبهم وفى صدورهم بحيث لا تنفكّان عن خاطرهم [وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ] تنزّل فى الكلام على طريقة المناصحين اى يجب عليكم الايمان به لكونه مصدّقاً لما معكم فان لم تؤمنوا به فاصبروا ولاتكونوا اوّل كافرٍ به فانّه اقبح لكم من كلّ قبيح لانّكم عالمون بصدقه من قبل ومحجوجون بأنّ برهان صدقه وهو تصديق ما عندكم معه والمراد أوّل كافرٍ به حين ظهور دعوته او بالاضافة الى اصحاب الملل فلا يرد انّ هذا الكلام صدرمنه مع يهود المدينة وقدكفرقبلهم كثيرمن مشركى مكّة ، واوّل كافرٍ خبر لا تكونوا وحمل المفرد على الجمع بتقدير فريق اوصنف ، اولايكن كلّ واحد منكم اوّل كافربه ، روى انّ يهود المدينة جحدوا نبوّة محمّدٍ(ص) وخانوه وقالوا : نحن نعلم أنّ محمّداً(ص) نبىّ وانّ عليّاً(ع) وصيّه ولكن لست انت ذلك ولاهذا هو ولكن يأتيان بعد وقتنا هذا بخمسمائة سنين .

تحقيق وتفصيل لاشتراء الثّمن القليل بالآيات

[وَلَاتَشْتَرُوا بِـآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً] اى لاتستبدلوا فانّ الاشتراء فى أمثال المقام يستعمل بمعنى مطلق الاستبدال والمراد بالثّمن القليل الاعراض الدّنيويّة لانّها وان كانت كثيرة فى أنفسها قليلةٌ فى جنب الآخرة ، ونزول الآية فى اشراف يهود مدينة وتحريفهم لآيات التّوراة لاستبقاء مأكلةٍ كانت لهم على اليهود ، وكراهة بطلانها بسبب الاقرار بالنّبىّ(ص)لاينافى باعتبار التّعريض بأمّة محمّد(ص)عموم الآية وتعميم الآيات المذكورة فيها ؛ فانّ الآيات وكذا سائر كلمات الكتاب لااختصاص لها بمرتبةٍ خاصّةٍ بل لها فى كلّ مرتبةٍ ومقام مصداق مناسب لتلك المرتبة ؛ فالآيات التّدوينيّة نقوش الكتاب الالٰهىّ والالفاظ المدلول بها عليها فانّهاآيات تدوينيّة باعتبار انّ دوالّهاتدوينيّة ، وهكذا نقوش الاخبار الصّادرة عن المعصومين(ع)والصّادقين والالفاظ الّتى هى مدلولاتها . وآيات الآفاق الموجودات الدّالّة بغرائب خلقتها على حكمة صانعها سواء كانت مادّيّة ارضيّة اوسماويّة اوغير مادّيّة من البرزخ والمثال والنّفوس والعقول ، وآيات الانفس شؤن النّفوس وارداتها ومشاهداتها وكمون الاشياء فيها ، وظهورها بها ، وغرائب ذلك فى اطوارها ، والاعمال الّتى تظهر منها على الاعضاء فانّهاآيات دالّة على ضمائر النّفوس فان كانت بصورة الاعمال الآلٰهيّة الدّالّة على انّ ضمائر النّفوس اوامر ونواهٍ آلٰهيّة كانت آيات الله ايضاً ، واشتراء الثّمن القليل بالآيات عبارة عن الاعراض عنها من جهة كونها آيات الله سواء أعرض عنها مطلقاً اوتوجّه اليها بجهة اخرى فالمصلّى اذاكان الدّاعى له الى الصّلٰوة الامر الآلٰهىّ من غير التفاتٍ منه الى انّ فيها قرباً اورضىً من الله اونجاة من النّار اودخولاً فى الجنّة ومن غير طلب منه لذلك يعنى من غير التفاتٍ الى نفسه وصدور العمل منها كان حافظاً لآية الله غير مشترٍ بها ثمناً قليلاً ، واذاكان الدّاعى له طلب القرب من الله اوطلب رضاه اوالنّجاة من النّار اودخول الجنّة يعنى اذا التفت الى عمله وطلب له اجراً كان مستبدلاً بآية الله ثمناً قليلاً ، واذاكان الدّاعى له حفظ صحّته او صحّة من عليه اهتمام امره اورفع مرض اوحفظ مال اوتكثير مال اوحفظ عرضٍ اوبقاء منصبٍ اوالوصول الى منصبٍ اوالظّهور على عدوٍّ اوغير ذلك من الاغراض المباحة كان مستبدلاً بها ثمناً اقلّ من الاوّل . واذاكان الدّاعى غرضاً من الاغراض الغير المباحة مثل الرّيا والسّمعة والصّيت ومدح النّاس والتّحبّب اليهم وحفظ المناصب الغير المباحة مثل القضاوة والامامة والحكومات الغير الشّرعيّة وجلب المال الغير المباح وادرار السّلاطين والحكّام وغير ذلك من الاغراض الغير المباحة كان مستبدلاً بها عذاباً دائماً وهكذا سائر الاعمال الشّرعيّة بل الاعمال المباحة فانّها الصّادرة عن النّفس العاقلة . والعاقل فعله ينبغى ان يكون صادراً من مبدء عقلانىّ وراجعاً الى ذلك فاذا لم يكن فعل العاقل قرين غرض عقلانىٍّ كان مستبدلاً بآية الله اى آية العقل فانّ العقل آية الله وآية الآية آية ثمناً قليلاً ، وماورد فى الآيات والاخبار من المدح على ابتغاء وجه الله اوطلب مرضاته اوغير ذلك فالمراد الطّلب من غير جعل الطّلب غرضاً ومن غير استشعار بذلك الطّلب وقلّما تنفكّ ارباب العمائم واصحاب المناصب والاتباع السّواقط من اكثر هذه الاغراض المباحة . وامّا من ابتلى منهم بالأغراض الغير المباحة فليتعوّذ من شرّه فانّه أضرّ على دين العباد من ابليس وجنوده ، وماتداول بينهم من الاجرة على بعض العبادات كالاذان وصلوة ليلة الدّفن و تلاوة القرآن وتعليم القرآن ، و ما تداول بين ارباب المنابر من أخذ الاجرة على ذكرهم المصائب والمراثى ومجالس وعظهم فقد صرّحوا بحرمته ، وهذا غير الأغراض الكاسدة الّتى ابتلاهم الله بها ، وامّا الجعالة على فعل الصّلٰوة والصّوم المفروضين الفائتين يقيناً اوظنّاً اواحتمالاً اوالغير الصّحيحين يقيناً اوظنّاً اواحتمالاً

بنيابة الاموات فقد اشتهر العمل به و نيابة الحجّ من حيٍّ عاجزٍ او قادرٍ او ميّتٍ كثر الاخبار بها و أجمعوا على صحّتها وعملوا بها لكن لم يبيّنوا كيف ينبغى ان يكون القصد فيها حتّى لا يكون المأخوذ اجرة على العبادة و اشتراءً بآيات الله ثمناً قليلاً ، والقاضى اذا اجازه الامام اونائبه للقضاء عموماً اوخصوصاً وجلس فى مجلس القضاء بأمر الامام الّذى هو أمر الله ولم يكن الدّاعى له الى القضاء سوى الامر كان حافظاً لآية الله فانّ القضاء آية الامر به ، والامر آية الآمر، والآمر آية الله ، وان كان الدّاعى له التّقرّب الى الله اوالى الامام اوطلب رضا كلٍّ اوالاصلاح بين النّاس اورفع الخصومات اواحقاق الحقوق اورفع الظّلم وحفظ المظلوم اواجراء احكام الله وحدوده اوامثال ذلك من الاغراض الصّحيحة كان مستبدلاً بآية الله ثمناً قليلاً ، وان كان الدّاعى له التّرأس على العباد والتّبسّط فى البلاد اوالتّحبّب الى النّاس اوتخويف الخلق اوالّشرف والحسب اوالخدم والحشم اوالاعراض الفانية الدّنيويّة اوغير ذلك من الاغراض الكاسدة فهو مستبدل بآية الله عذاباً دائماً اليماً ، هذا اذا كان القاضى منصوباً من الامام لذلك اوللاعمّ من ذلك ، وان كان غير مأذونٍ فى ذلك فليتدبّر فى قوله(ع): هذا مجلس لايجلس فيه الّا نبىّ اووصىّ اوشقىّ ، وهكذا حال أصحاب الفتيا فانّهم فى فتياهم ان لم يكونوا مأذونين اولم يكن الامر داعياً لهم صدق عليهم قوله تعالى : يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وقوله تعالى: فويل للّذين يكتبون الكتاب بأيديهم فانّ المراد بالكتاب كتاب النّبوّة وأحكامها المستنبطة من الآيات والاخبار فالفتيا وآيات القرآن واخبار المعصومين(ع) هذا الكتاب الّذى يلوون ألسنتهم به ويكتبونه بأيديهم فانّ الانسان مالم يخرج من أغراضه سواء كانت صحيحةً اوفاسدة كان مايجريه على اللّسان اويكتبه باليد ملويّاً بلسانه ومكتوباً بيده لابلسانٍ مسخّرٍ لامر الله ولا بيدٍ آلةٍ لله وان كان صورته صورة الكتاب وصورة الاحكام الّشرعية و اخبار المعصومين (ع) لم يكن من الكتاب ولا من الّشريعة ولا من المعصومين (ع) فانّ صورة اللّفظ وصورة النّقش حرمتها بنيّة المتكلّم والكاتب ، الا ترى أنّ الفقهاء رضوان الله عليهم أفتوا بأنّ لفظ محمّدٍ(ص) ان كتب مراداً به محمّد بن عبدالله الرّسول الختمىّ(ص) كان محترماً ومسّه بدون الطّهارة حراماً، وان كتب مراداً به غيره لم يكن له حرمة مع انّ الصّورة فى الكتابتين واحده لاتميز بينهما والفرق ليس الّا بنيّة الكاتب فويل للّذين يكتبون الكتاب بأيديهم ويلوونه بألسنتهم مماكتبت ايديهم ونطقت به السنتهم وويل لهم ممّا يكسبون، لكن ماكتب من صورة القرآن ينبغى الاهتمام فى احترامه مراعاة لحفظ صورة الكتاب كماورد التّأكيد فى الاهتمام بماجمعه عثمان من صورة الكتاب وأمثال الآيتين المذكورتين فى حقّ الّشجرة الملعونة وهى بنواميّة واحزابهم واتباعهم الى يوم القيامة الّذين عاندوا الائمّة وشيعتهم فضلاً عن الاذن منهم فى كتابة الكتاب والفتيا فى الاحكام ولهذا كان اهتمام الّشيعة من الصّدر الاوّل بالاذن والاجازة من المعصومين (ع) اوممّن نصبوه لذلك بحيث مالم يجازوا لذلك لم يتكلّموا فى الاحكام ولم يكتبوا منها شيئاً ، والمدرّس فى تدريسه والمتعلّم فى تعلّمه ان كانا مأمورين بذلك ولم يكن الدّاعى لهما الّا الامر كانا حافظين لآيات الله ، والّا كانا مستبدلين، سواءٌ كان غرضهما من المباحات اومن غير المباحات نظير ارباب القضاء والفتيا ، وكذلك الحال فى جملة الاعمال والاحوال عبادة كانت اوغيرها فما من احدٍ سوى المخلَصين (بفتح الّلام) الّا وهو مشترٍ بآيات الله ثمناً قليلاً بوجهٍ ، أعاذنا الله وجميع المؤمنين منه ، وأعظم من ذلك الاشتراء كلّه أن تقلّد نبىّ العصر اوولىّ الامر ثمّ تعرض عنه للاشتغال بما عرضته النّفس من اهوائها اوتطهّر بيت قلبك حتّى يدخل فيه ويظهر عليك فى عالمك الصّغير صاحب الامر عجّل الله فرجه ثمّ تعرض عنه اويعرض عنك فانّك حينئذٍ تكون اشدّ حسرة وندامة من كلّ ذى حسرةٍ

وندامة [وَ إِيّٰایَ فَاتَّقُونِ] لمّا كان الرّهبة فى الاغلب من المحتمل الوقوع والتّقوى من المتيقّن الوقوع والغفلة عن النّعمة وترك الوفاء بالعهد من غير الاعراض والاستهزاء بالمعاهد معه محتمل النّقمة ، واشتراء الثّمن القليل بالآيات الّتى اصلها واعظمها نبىّ الوقت اوخليفته متيقّن النّقمة لانّ شراء سائر الآيات وان كان محتمل النّقمة لكنّه باعتبار ادّائه الى شراء الآية الكبرى متيقّن النّقمة استعمل الرّهبة هناك والتّقوى هيهنا .

[وَلَا تَلْبِسُوا] لا تخلطوا [الْحَقَّ] الّذى هو الايمان والعقائد الدّينيّة والفروع الشّرعيّة المأخوذة من طريق الظّاهر بالتّعلّم والتّعليم اومن طريق الباطن بالالهام والوجدان اوالحقّ الّذى هو ولاية علىٍّ (ع) اوالحقّ الّذى هو أعمّ من الولاية والعقائد الدّينيّة والفروع الشّرعيّة [بِالْبٰاطِلِ] الّذى هو الكفر و ضدّ العقائد الدّينيّة وضدّ الفروع الشّرعيّة اوالباطل الّذى هو ولاية غير علىّ (ع) اوالباطل الّذى هو أعمّ ، اولاتلبسوا الاعمال الآلهيّة بالأغراض النّفسانيّة ، اولاتلبسوا الحقّ الّذى هو نبوّة محمّدٍ وولاية علىٍّ (ع) الّذى هو ثابت فى كتبكم بتحريفاتكم الباطلة ، اوالحقّ الّذى هو أوصاف محمّدٍ (ص) وعلىّ (ع) بالباطل الّذى أحد ثتموه فى كتبكم وهذا هو نزول الآية [وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ] ولا تكتموا الحقّ اومع ان تكتموا الحقّ على ان يكون مجزوماً بالعطف اومنصوباً بان المقدّر والمراد بالحقّ الثّانى هو الاوّل على قانون تكرار المعرفة اوغيره والمعنى لاتلبسوا الحقّ بالباطل لقصد كتمانه اولعدم المبالاة به ، اولاتلبسوا الحقّ الظّاهر بالباطل ليشتبه على من ظهر الحقّ عليه ولاتكتموا الحقّ الغير الظّاهر ليختفى على النّاس [وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] يعنى وانتم العلماء اووانتم تعلمون الحقّ ولبسه واخفائه [وَ أَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَ آتُوا الزَّكٰوةَ] قد مضى بيان للصّلوة واقامتها وللزّكوة وايتائها فى اوّل السّورة [وَارْكَعُوا مَعَ الرّٰاكِعِينَ] الرّكوع فى اللّغة و فى العرف العامّ الانحناء وقد يستعمل فى التّذلّل مجازاً ، و فى عرف المتشرّعة عبارة عن الانحناء المخصوص الواقع فى الصّلوة و يستعمل مجازاً فى الصّلوة وامّا فى لسان الشّارع فلوسلّم ثبوت الحقائق الشّرعيّة لم يعلم نقله الى الانحناء فى الصّلوة ولوسلّم نقله اليه كثر استعماله فى الخضوع والتّذلّل ايضاً بحيث كان استعماله فى الخضوع غالباً على استعماله فى ركوع الصّلوة و لمّا كان الصّلوة المسنونة فى شريعتنا عباداةً جامعةً لعبادات سائر الموجودات تكويناً ولعبادات الملائكة ولعبادات مقامات الانسان وشؤنه كان ركوع الصّلوة صورة عبادة الملائكة الرّكّع وصورة عبادة الحيوان المنكوس الرّأس الى الارض ، وصورة عبادة مقامه الّذى به اصلاح معاشه وتدبير دنياه بقوله تعالى : و اركعوا مع الرّاكعين بعد ذكر الصّلوة امر بالجماعات او بالاتّفاق مع المسلمين فى عباداتهم و خضوعاتهم اوبموافقة اهل الدّنيا فى مرمّة المعاش يعنى لاينبغى لكم ان يكون اقامة الصّلوة مانعةً عن مرمّة معاشكم بل ينبغى ان تكون مقتضيةً لمرمّة المعاش واصلاح الدّنيا بحيث تكونوا رجالاً لاتلهيكم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصّلوة. وقوله تعالى [أَتَأْمُرُونَ النّٰاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ] ان كان المراد به الامر بحسن المعاشرة فى مرمّة المعاش كان بمنزلة التّعليل لقوله : واركعوا مع الرّاكعين على المعنى الاخير وامراً لهم بحسن المعاشرة على أبلغ وجه وأوكده ، وان كان المراد الامر بحسن المؤانسة مع الحقّ وحسن المعاشرة مع الخلق كان بمنزلة التّعليل لمجموع قوله واقيموا الصّلوة (الخ) والاستفهام للانكار التّوبيخىّ والمعنى انّكم مفطورون على ان تأمروا النّاس بالبرّ والاحسان فى العبادات وبالاحسان مع الخلق ومكلّفون من الله مطابقاً للفطرة بذلك ولايجوز لكم

ان تأمروا النّاس بذلك وتتركوا أنفسكم بان لاتصلحوا بالايتمار فأصلحوها اوّلاً باقامة الصّلوة وايتاء الزّكوة والرّكوع مع الرّاكعين بأىّ معنى أريد ، ثمّ مروا النّاس بذلك لقبح امر النّاس بذلك وعدم الايتمار به فى العقل والعرف [وَاَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتٰابَ] السّماوىّ من التّوراة والانجيل وغيرهما من الصّحف دونهم ، اوانتم تتلون كتاب النّبوّة وأحكام الشّريعة دون النّاس فانتم عالمون بالمعروف دونهم ، فانتم اولى بالايتمار منهم ، اوالمعنى وانتم تتلون الكتاب وفيه قبح الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر ممّن لا يأتمر ولا يتناهى [اَفَلاٰتَعْقِلُونَ] قبح ذلك وعقوبة القبيح بعده .

تحقيق الامر بالمعروف وموارده

اعلم انّ الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر واجبان فى الجملة امّا عموم وجوبهما لكلّ فردٍ بالنّسبة الى كلّ واحدٍ من النّاس وبلاشرطٍ فلا ؛ فنقول : انّهما واجبان على كلّ بالغ رشيد بالنّسبة الى من فى عالمه الصّغير فانّه اذا تعلّق التّكليف بالانسان كان عليه ان يأمر نفسه وقواه بما علم انّه خيره و ينهى عمّا هو شرّه بالنّسبة الى قوّته الانسانيّة كما كان يأمر بما هو خيره وينهى عمّا هو شرّ له بالنّسبة الى قواه الحيوانيّة قبل ذلك ، وما لم يعلم انّه خير اوشرّ كان عليه اوّلاً تحصيل العلم بذلك ثمّ الامر والنّهى ، ومن كان جمعٌ آخر تحت يده مثل امرأته واولاده ومملوكه لامثل الاجير والمكارى والخادم كان عليه ان يأمرهم بما علم انّه خير لهم وينهاهم كذلك ، وما لم يعلم انّه خير اوشرّ كان عليه تحصيل علمه اوّلاً ثمّ الامر والنّهى وليس عليه ان يطهّر نفسه اوّلاً ثمّ يستأذن الامام ثمّ يأمروينهى فانّ من تحت اليد كالقوى والجنود الّتى فى عالمه الصّغير من جملة اجزائه ، والامر والنّهى بالنّسبة اليهم مطلقان غير مقيّدين بطهارة النّفس عن جملة الرّذائل وحصول القوّة القدسيّة الرادعة عن المعاصى ، نعم كان عليه ان يأمر وينهى اوّلاً نفسه ويزجرها عن الرّذائل ثمّ يأمر وينهى من تحت يده والّا دخل تحت الامر التّارك والنّاهى الفاعل ، وامّا بالنّسبة الى عموم الخلق فليس ذلك واجباً على كلّ احدٍ بل على من تطهّر اوّلاً من المعاصى والرّذائل ، وحصّل القوّة القدسيّة الرّادعة عن ارتكاب المعاصى ، وحصّل العلم بمعروف كلّ احد من النّاس ومنكره فانّ المعروف والمنكر يختلفان بحسب اختلاف الاشخاص ؛ وحسنات الابرار سيّئات المقرّبين يدلّ عليه ، وفى الاوّلين خلاف بل أفتى اكثر الفقهاء رضوان الله عليهم بوجوب الامر بالمعروف على تاركه والنّهى عن المنكر على فاعله ، **وامّا الثّالث** فلاخلاف فى انّه شرط لوجوب الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر بل لاخلاف فى كونه شرطاً لجوازهما ، وقيل : انّ هذا الشّرط يقتضى اشتراطهما بالاوّلين ايضاً فانّ العلم بمعروف كلّ احدٍ ومنكره يقتضى البصيرة التّامّة بحاله بحيث يعلم انّه فى اىّ مقام من الايمان والاسلام ، ويعلم أنّ اىّ مرتبة من الاحكام يقتضيها ذلك المقام ، وهذه البصيرة لاتكون الّا لمن تطهّر عن المعاصى والرّذائل وحصّل القوّة القدسيّة الّتى هى شرط فى الافتاء ، فانّ الافتاء كالامر بالمعروف لايجوز لكلّ احدٍ بل لمن تطهّر وحصّل القوّة القدسيّة المذكورة وسيأتى ان شاء الله بيان له ، وفيما روى عن الصّادق(ع) تصريح بعدم جواز الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر بالنّسبة الى عموم الخلق لكلّ فردٍ من النّاس وهو قوله (ع) : من لم ينسلخ من هواجسه[1] ولم يتخلّص من آفات نفسه وشهواتها ولم يهزم الشّيطان ولم يدخل فى كنف الله وامان عصمته لا يصلح للامر بالمعروف والنّهى عن المنكر لانّه اذا لم يكن بهذه الصّفة فكلّ ما أظهر يكون حجّة عليه ولا ينتفع النّاس به قال الله تعالى : اتأمرون النّاس بالبرّ وتنسون أنفسكم ويقال له : يا خائن اتُطالبُ خلقى بما خنت به نفسك

١ـ فى القاموس هجس من باب ضرب بمعنى خطر هجس فى صدره خطر اوهو خطرات السّوء الّتى يسمّى وسواس

وأرخيت عنه عنانك ، وهكذا الحال فيما روى عنه(ع) انّه سئل عن الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر أواجب هو على الامّة جميعاً ؟ ـ فقال : لا ؛ فقيل : ولم ؟ ـ قال : انّما هو على القوىّ المطاع العالم بالمعروف من المنكر لا على الضعفة الّذين لا يهتدون سبيلاً الى اىّ من اىّ يقول من الحقّ الى الباطل والدّليل على ذلك كتاب الله تعالى قوله ولتكن منكم امّة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فهذا خاصّ غير عامّ كما قال الله تعالى : ومن قوم موسى امّة يهدون بالحقّ وبه يعدلون ، ولم يقل : على امّة موسى ، ولا على كلّ قوم وهم يومئذٍ امم مختلفة ، والامّة واحدٌ فصاعداً كما قال الله تعالى : انّ ابراهيم كان امّة قانتا لله يقول : مطيعاً لله ؛ الى آخر الحديث ، و الاخبار الدّالّة على ذمّ الآمر التّارك و النّاهى الفاعل يشعر بذلك مثل ما نسب الى امير المؤمنين(ع) وهو قوله : وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه فانّما أمرتم بالنّهى بعد التناهى وقوله(ع) لعن الله الآمرين بالمعروف والتّاركين له ، والنّاهين عن المنكر العاملين به ، ومثل الاخبار الدّالّة على ذمّ من وصف عدلاً ثمّ خالفه الى غيره وانّه اشدّ حسرة يوم القيامة فعلى هذا فالاخبار الدّالّة على عموم وجوبهما امّا مخصّصة بالعالم المطهّر او بالعالم بالمعروف والمنكر الّذى يأمر به والمنكر الّذى ينهى عنه ، اونقول التّطهير وحصول العلم من مقدّماتهما فهما واجبان مطلقاً لكن حصولهما مشروط بالعلم والتّطهير لا وجوبهما فالأمر بهما يقتضى الأمر بمقدّماتهما اوّلاً مع انّ المقدّمات فى أنفسها مأمورٌ بها ، اونقول : وجوبهما على الكلّ انّما هو بعنوان التّعاون على البرّ والتّقوى وترك التّعاون على الاثم والعدوان ، لا بعنوان الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر ، وان كان لفظ الاخبار بعنوان الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر فانّ الالفاظ كثيراً يستعمل بعضها فى عنوان البعض الآخر.

[وَاسْتَعِينُوا] فيما ذكر من الوفاء بالعهد الى آخر ماذكر اوفى خصوص تطهير النّفس وأمر الغير بالبرّ اوفى جملة الأمور من الانتهاء عن المناهى وامتثال المأمورات وحسن المُضىّ فى المصائب وحسن المعاشرة مع الخلق وتحصيل الرّاحة فى الدّنيا والآخرة [بِالصَّبْرِ] فانّه لا يتيسّر شيىءٌ من المذكورات الّا بالصبر فانّه حبس النّفس عن الهيجان عند الغضب ، وعن الطيش عند الشّهوة ، وعن الجزع عند ورود المكاره ، ومن استعان بالصّبر فى اموره لم يخرجه الغضب عن حقّ ولم يدخله الشّهوة فى باطل وهانت عليه المصائب فلم يكن اسيراً للشّهوة والغضب ولا جزوعاً عند المصيبته فكان فى الدّنيا فى راحة عن الاسر والجزع ، وفى الآخرة فى اطلاق عن السّلاسل وفى نعمة عظيمة فى الجنان ، ولم يمنعه الشّهوة والغضب ولا البلايا عن تزوّد معاده ولا عن مرمّة معاشه [وَالصَّلٰوةِ] الصّلوة حقيقة من ولىّ الامر ولايته ومن غيره قبول ولاية ولىّ الامر كما انّ الزّكوة هى التّبرّى من غير ولىّ الامر ولذا كانت الصّلوة والزّكوة عمادى الدّين ، ولم يكن شريعة من لدن آدم(ع) الّا كانتا اساسيها ، ولمّا كان القالب مسخّراً للقلب وكان اثر الصّفات القلبيّة يظهر على القالب كان للصّلوة والزّكوة فى كلّ شريعة صورة على القالب ، ولمّا كان الشّرائع بحسب اختلاف النّبوّات فى الكمال وبحسب اختلاف الازمان واستعداد اهلها مختلفة اختلفت صورة الصّلوة والزّكوة فى الشّرائع ، ولمّا كانت شريعة محمّد(ص) باخبارهم اكمل الشّرائع كان صورة الصّلوة والزّكوة فى شريعته أكمل الصّور ، وقد فسّر الصّبر فى الاخبار بالصّيام لكون الصّيام أكمل افراده وسبباً لحصول سائر، انواعه ولا غروفى تفسيره بالرّسالة لكونها مانعة للنّفس بانذارها عن امضاء الغضب والشّهوة وعن الجزع عند المصيبة ، وتفسيره بالرّسول لاتّحاده مع الرّسالة الّتى هى شأن من شؤنه واتّحاد كلّ ذى شأن مع شأنه كما لا غرو فى تفسير الصّلوة بعلىّ(ع) لكون الولاية شأناً منه واتّحاده مع شأنه ، وعن الصّادق(ع) ما يمنع أحدكم اذا دخل عليه غم من غموم الدّنيا ان يتوضّأ ثمّ يدخل مسجده فيركع

ركعتين فيدعوالله فيهما اما سمعت الله تعالى يقول : واستعينوا بالصّبر والصّلوة . وعنه(ع) كان علىّ(ع) اذا هاله شيىءٌ فزع الى الصّلوة ثمّ تلاهذه الآية واستغيوا بالصّبر والصّلوة [وَإِنَّهَا] اىّ الصّلوة كما يستنبط من الاخبار وقيل: الاستعانة بهما، ومافى تفسير الامام(ع) من قوله انّ هذه الفعلة من الصّلوات الخمس والصّلوة على محمّد(ص) وآله (ع) مع الانقياد لاوامرهم والايمان بسرّهم و علانيتهم وترك معارضتهم بلم وكيف يدلّ على انّ الضّمير راجع الى الصّلوة وانّ المراد بالصّلوة الولاية الظّاهرة بالصّلوات الخمس والصّلوة على محمّد(ص) وآله(ع) والانقياد لاوامرهم و ترك مخالفتهم [لَكَبِيرَةٌ] على كلّ احد لانّ الانسان ما لم يخرج من انانيّته ولم يستشعر بعظمة الله لايتيسّر له الصّلوة الّتى هى الانقياد تحت أمرالله والتّسخّر له اوالافعال المسبّبة عن الانقياد فانّ الانانيّة الّتى هى صفة الشّيطان والنّفس منافية للانقياد الّذى هوصفة الانسان [إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ] المتذلّلين تحت عظمة الله الخارجين من انانيّتهم وعظمتهم ، والخشوع والخضوع والتّواضع الفاظٌ متقاربة المعنى فانّ الخشوع حالة حاصلة من الاستشعار بعظمة المتخشّع له مع محبّته والالتذاذ بوصالٍ ما منه ممزوجاً بألم الفراق؛ والخضوع تلك الحالة ، لكنّ الاستشعار بالعظمة فى الخضوع اكثر منه فى الخشوع والمحبّة أخفى ، والتّواضع تلك الحالة والعظمة اكثر والمحبّة اخفى بالنّسبة الى الخضوع .

اعلم انّ الانسان كلّما ازداد خروجه من انانيّته وشيطنته ازداد انقياده لولىّ امره ، وكلّما ازداد جهة انقياده ازداد خشوعه اى استشعاره بعظمة ولىّ امره والتذاذه بوصاله وتألّمه بجهة فراقه ، وكلّما ازداد خشوعه ازداد تلذّذه بصلوته حتّى تصير صلوته قرّة عينه ويجعل راحته فى صلوته كما روى عن النّبىّ(ص) انّه قال : قرّة عينى فى الصّلوة ، وكان يقول : روّحنا يا ارحنا يا بلال .

[الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ] فى الحيوة الدّنيا قديفسّر الرّبّ بالرّبّ المضاف والملاقاة بملاقاة الرّبّ المضاف من حيث ربوبيّته وهى بظهور مثاله على الصدر المعبّر عنه فى اصطلاح الصّوفيّة بالفكر وفى لسان الشّريعة بالسّكينة وهو ظهور صاحب الامر فى العالم الصّغير واوّل مراتب معرفة علىٍّ بالنّورانيّة وحينئذ فالظّنّ بمعناه فانّهم لايتيقّنون ذلك بل يتوقّعونه ويرجونه وقد يفسّر بملاقاة الرّبّ المضاف فى الآخرة فالظّنّ ايضاً بمعناه لانّهم لايعلمون انّهم يلاقون ربّهم فى الآخرة اويختم لهم بالشّرّ فينكسون فى النّار وقد يفسّر بملاقاة الحساب والجزاء يعنى بالبعث فالظّنّ بمعنى اليقين ، ولمّا كان النّفس علومها غير معلوماتها بل قد يتخلّف المعلومات عنها كثيراً ما يستعمل الظّنّ فيها لمشابهتها بالظّنون فى ذلك بخلاف علوم القلب والرّوح [وَأَنَّهُمْ] بعد لقائه فى الحيوة الدّنيا اوبعد بعثتهم ولقاء حسابه فى الآخرة [إِلَيْهِ رَاجِعُونَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ] كرّر النّداء للتّأكيد ولانّ المراد ببنى اسرائيل هناك كما مضى بنو آدم والمراد بهم هيهنا بنواسرائيل حقيقةً فانّ المراد اظهار الامتنان بالنّعم الّتى أنعمها عليهم خاصّة لكنّ الغرض التّعريض بامّة محمّد(ص) وسائر الخلق [اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ] ببعثة الانبياء فيكم ودلالتهم لكم الى بعثة محمّد(ص) وخلافة وصيّه ، اوالمراد من النّعمة المضافة جنس النّعمة ويكون قوله : [وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ] من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال على الوجه الاخير ، ونسبة النّعم الى الموجودين مع انّها كانت لاسلافهم المعدومين على طريق مخاطبات العرف فانّهم ينسبون ما وقع من قبيلة الى بعضهم الّذى لم يشاركوهم من جهة السّنخيّة والموافقة فى الحسب والنّسب ، والمراد من العالمين اهل عالمهم الموجودون معهم لأهل كلّ عالم

حتّى يلزم تفضيلهم على أمّة محمّد(ص) [وَاتَّقُوا يَوْماً] يوم الموت فانّه وقت [لَاتَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَايُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ] فى رفع الموت اوتأخيره [وَلَايُؤْخَذُ مِنْهَاعَدْلٌ] فداء يكون بدلاً منها بتحمّل الموت [وَلَاهُمْ يُنْصَرُونَ] يعنى ان انجرّ الامرالى المدافعة يوم الموت لم يكن لهم ناصرٌ يدفع عنهم روى عن الصّادق (ع) هذا يوم الموت فانّ الشّفاعة لاتغنى عنه فامّا يوم القيامة فانّا واهلنا نجزى عن شيعتناكلّ جزاء لنكوننّ على الاعراف بين الجنّة والنّار محمّد (ص) و علىّ (ع) و فاطمة والحسن (ع) والحسين (ع) والطيّبون من آلهم فنرى بعض شيعتنا فى تلك العرصات ؛ فمن كان منهم مقصّراً وفى بعض شدائدها نبعث عليهم خيار شيعتناكسلمان والمقداد وأبى ذرّ وعمّار ونظرائهم فى العصر الّذى يليهم فى كلّ عصر الى يوم القيامة فينقضّون[1] عليهم كالبزاة والصّقور ويتناولونهم كما يتناول البزاة والصّقور صيدها فيزفّونهم الى الجنّة زفّاً[2] وانّا لنبعث على آخرين من مُحبّينا خيارشيعتنا كالحمام فيلتقطونهم من العرصات كما يلتقط الطّير الحبّ وينقلونهم الى الجنان بحضرتنا ؛ وسيؤتى بالواحد من مقصّرى شيعتنا فى أعماله بعد ان قد حاز الولاية والتقيّة وحقوق اخوانه ويوقف بازائه مائة واكثر من ذلك الى مائة الف من النّصاب فيقال له هؤلاء فداؤك من النّار فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنّة واولئك النّصّاب النّار، وذلك ما قال الله عزّوجلّ ربّما يودّ الّذين كفروا يعنى بالولاية لوكانوا مسلمين فى الدّنيا منقادين للامامة ليجعل مخالفوهم من النّار فداءهم [وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ] اذكروا اذنجّينا اسلافكم [مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ] من سامه الامر كلّفه وقلّما يستعمل فى غير الشّرّ والمراد بسوء العذاب الاعمال الشّاقّة الخارجة عن الطّاقة كانوا يأمرونهم بنقل الطّين واللّبن على السّلاليم مع ان كانوا يقيّدونهم بالسّلاسل اوقوله تعالى [يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ] بيانٌ لسوء العذاب كانوا يقتلون الذّكور من اولاد بنى اسرائيل طلباً لقتل من أخبر الكهنة والمنجّمون بأنّ خراب ملك فرعون بيده وجعل الله رغم أنفه تربية موسى بيده [وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ] يستبقون بناتكم للاسترقاق بقرينة المقابلة لذبح الابناء اويفتّشون حياء نسائكم يعنى فروجهنّ لتجسّس العيب كالاماء اولتجسّس الحمل ، وروى انّه ربّما كان يخفّف العذاب عنهم ويسلم ابناؤهم من الذّبح وينشؤن فى محلّ غامض ويسلم نساؤهم من الافتراش بما أوحى الله الى موسى(ع) من التّوسّل بالصّلوة على محمّد(ص) وآله(ع) الطيّبين [وَفِى ذٰلِكُمْ] الانجاء اوسوم سوء العذاب اوالمذكور من الانجاء وسوم سوء العذاب [بَلَاءٌ] نعمة اونقمة اوامتحان بالنّعمة والنقمة كليهما [مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ] والمقصود تذكير بنى اسرائيل بالبلاء العظيم الّذى ابتلى به اسلافهم وتخفيفه بالصّلوة على محمّد(ص) وآله(ع) الطيّبين ليتنبّهوا انّ من كان التّوسّل بأسمائهم والصّلوة عليهم رافعاً لعذابهم و مورثاً لنجاتهم و بركاتهم فالتّوسّل بأشخاصهم (ع) كان اولى فى ذلك و تنبيه الامّة على شرافة محمّد(ص) وآله(ع) [وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ] من جنود فرعون ومن الغرق [وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ] اى فرعون وقومه فانّ نسبة أمرالى قوم بسبب الانتساب الى رئيسهم تدلّ على انّ المنتسب اليه

١- انقّض الطير بتشديد الضاد هوى ليقع .

٢- زفّ العروس = هديها .

اولى بذلك الامر [وَ اَنْتُمْ تَنْظُرُونَ] اليهم وهم يغرقون وقد ورد فى اخبارنا انّ نجاتهم ونعمهم كانت بتوسّلهم بمحمّد(ص) وآله(ع) والمقصود من ذكر نجاتهم ونعمهم تذكيرهم بتوسّلهم بمحمّد(ص) وآله الطّيّبين حين عدم ظهورهم حتّى يتذكّروا بأنّ من كان نجاتهم من البلايا ونعمهم بتوسّلهم به حين لم يكن موجوداً فالتّوسّل به حين ظهوره اولى وفيه تعريض بالامّة وبنجاتهم ونعمتهم بمحمّد (ص) وآله (ع) وبان لا ينبغى التّخلّف عن قوله و معاندة آله الّذين كان السّلف بتوسّلهم بهم ينجون و يتنعّمون ، و **قصّة** خروج موسى(ع) مع بنى اسرائيل من مصر، وخروج فرعون وجنوده على اثرهم، وعبور السّبطىّ وغرق القبطىّ مذكورة فى المفصّلات ولعلّنا نذكر شطراً منها فيما يأتى .

[وَاِذْ وٰاعَدْنٰا مُوسٰى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً] كان موسى بن عمران يقول لبنى اسرائيل: اذا فرّج الله عنكم أتيتكم بكتابٍ من ربّكم مشتمل على ماتحتاجون اليه فى دينكم ، فلمّا فرّج الله عنهم امره الله عزّوجلّ ان يأتى للميعاد ويصوم ثلاثين يوماً فلمّا كان فى آخر الايّام استاك قبل الفطر فأوحى الله عزّوجلّ اليه ياموسى: اما علمت انّ خلوف فم الصّائم أطيب عندى من ريح المسك ، صُم عشراً آخر ولاتستك عندالافطار ، ففعل ذلك موسى فكان وعدالله تعالى ان يعطيه الكتاب بعد اربعين ليلة فأعطاه ايّاه فجاء السّامرى فشبّه على مستضعفى بنى اسرائيل وقال وعدكم موسى ان يرجع اليكم بعد اربعين ليلة وهذه عشرون ليلة وعشرون يوماً تمّت اربعون أخطأ موسى ربّه وقد اتاكم ربّكم ان يريكم انّه قادرٌ على ان يدعوكم بنفسه الى نفسه وانّه لم يبعث موسى لحاجة منه اليه فأظهر لهم العجل الّذى كان عمله ، فقالوا له :كيف يكون العجل آلهنا ؟ـ قال لهم: انّما هذاالعجل يكلّمكم منه ربّكم كما كلّم موسى من الشّجرة فالاله فى العجل كما كان فى الشّجرة فضلّوا وعبدوه . **ونقل** انّه صنع صورة العجل ووضعه بحيث كان مؤخّره الى حائط وحبس خلف الحائط بعض مردته فوضع فاه على دبره وتكلّم بما تكلّم فتوهّموا انّ العجل يكلّمهم . **ونقل** انّ السّامرىّ كان قد أخذ من تراب اثرقدم رَمَكة جبرئيل يوم غرق فرعون وكان التّراب فى صرّةٍ عنده وكان يفتخر على بنى اسرائيل بذلك وكان موسى قد وعدهم ان يأتى بالكتاب بعد الثّلاثين فلمّا انقضى الثّلاثون ولم يرجع موسى اتى الشّيطان بصورة شيخ وقال لهم : انّ موسى قد هرب ولا يرجع اليكم فاجمعوا لى حليّكم حتّى اتّخذ لكم آلهاً فصاغ لهم العجل وقال للسّامرىّ : هات التّراب الّذى عندك فأتاه به فألقاه فى جوف العجل فتحرّك وخار ونبت له الوبر والشّعر [ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظٰالِمُونَ] نقل انّ اتّخاذهم العجل كان بتهاونهم بالصّلوة على محمّد (ص) وآله(ع) وبترك التّوسّل بهم [ثُمَّ عَفَوْنٰا عَنْكُمْ] بتوسّلكم بمحمّد(ص) وآله من بعد ذلك [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] نعمة العفو و نعمة التّوسّل بمحمّد (ص) وآله (ع) [وَ إِذْ آتَيْنٰا] و اذكروا اذآتينا [مُوسَى الْكِتٰابَ وَالْفُرْقٰانَ] ما به يفرق بين الحقّ والباطل والمحقّ والمبطل والمراد بالكتاب النّبوّة والتّوراة صورتها وبالفرقان الرّسالة اوالمراد بالكتاب النّبوّة والرّسالة وبالفرقان الولاية فانّها الفارقة بين الخير والشّرّ والخيّر والشّرير والتّوراة صورتهما و لذا فسّر الكتاب بالتّوراة او النّبوّة يعنى الّتى كانت فى موسى (ع) والفرقان بالاقرار بمحمّد(ص) والطّيّبين من آله (ع) فانّه كالولاية فارق ، **نقل** انّه لمّا أكرمهم الله بالكتاب والايمان به أوحى الله الى موسى هذاالكتاب قد أقرّوا به وقد بقى الفرقان فرق مابين المؤمنين والكافرين فجدّد عليهم العهد به فانّى آليت على نفسى قسماً حقّاً لاأتقبّل من أحدهم ايماناً ولاعملاً الّا به، قال موسى(ع) : ماهو

يارب ؟ـ قال الله : يا موسى تأخذ عليهم انّ محمّدا(ص)خير النّبيّين وسيّد المرسلين، وانّ أخاه ووصيّه علياً خير الوصيّين ، وأنّ اولياءه الّذين يقيمهم سادة الخلق ، وانّ شيعته المنقادين له ولخلفائه نجوم الفردوس الا على وملوك جنّات عدن فأخذ عليهم موسى ذلك؛فمنهم من اعتقده حقاً ومنهم من أعطاه بلسانه دون قلبه ، فالفرقان النّور المبين الّذى كان يلوح على جبين من آمن بمحمّد(ص) وعلىّ (ع) وعترتهما وشيعتهما وفقده من جبين من أعطى ذلك بلسانه دون قلبه **اقول** : الاقرار بهذه المعانى والمراتب المذكورة ليس الّا بقبول الولاية فانّه بالولاية يتبيّن مراتب الوجود وأنّ بعضها افضل من بعض ومراتب الرّسل والاوصياء وانّ بعضهم أكمل من بعض لا بغيرها [لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] الى مقامات الانبياء والرّسل ومراتب الوجود ومراحل السّلوك وعوالى العوالم [وَإِذْقَالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ] عدّ نعمة أخرى فانّ توجّه موسى اليهم وتذكيرهم بالتّوبة وتعليمهم طريق التّوبة نعمة عظيمة كما انّ قبولهم لقوله(ع)وتوبتهم بقتل أنفسهم كانت نعمة عظيمة [يٰاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخٰاذِكُمُ الْعِجْلَ] آلهاً [فَتُوبُوا] عن ظلمكم وضلالكم بما برأتم [إِلىٰ بٰارِئِكُمْ] التّعليق على الوصف للاشعار بعلّة التّوبة والتّنبيه على غاية الغباوة بالانصراف عن البارى الى المبروء [فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ] الّتى اقتضت الانصراف عن البارى الى المبروء الّذى هو غاية الحماقة؛ فالمراد بالأنفس الأنفس المقابلة للعقول ، اوفاقتلوا وأفنوا أنانيّاتكم الّتى اقتضت الاستقلال بالآراء الكاسدة ، اواقتلوا ذواتكم بقتل بعضكم بعضاً . **و ما ورد فى الاخبار** من أنّهم أمروا ان يقتلوا أنفسهم بالسّيوف وأنّهم كانوا سبعين **ألفاً** شهروا السّيوف على وجوههم يدلّ على ذلك ، مثل ماورد انّ العابدين كانوا ستّمائة الف الّا اثنى عشر الفاً وهم الّذين لم يعبدوا العجل أمر الله اثنى عشر ألفاً لم يعبدوا العجل ان يقتلوا الّذين عبدوا العجل فشهروا سيوفهم وقالوا : نحن أعظم مصيبته من عبدة العجل نقتل آباءنا وقراباتنا بأيدينا فنزل الوحى على موسى(ع) انْ قل لهم : توسّلوا بالصّلوة على محمّد (ص) وآله (ع) حتّى يسهل عليكم ذلك فتوسّلوا فسهل عليهم ذلك فلمّا استمرّ القتل فيهم وهم ستّمائة الف الّا اثنى عشر الفاً واستسلموا لذلك وقف الله الّذين عبدوا العجل على مثل ذلك فتوسّلوا فتاب الله عليهم فرفع القتل . **ونقل** انّه قتل منهم عشرة آلاف فوقفوا فرفع القتل [ذٰلِكُمْ] القتل [خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بٰارِئِكُمْ] كرّر البارى للتّلذذ والتّمكين واحضار الله بالوصف المخصوص تأكيداً لنسبة الغباوة اليهم بالانصراف عن عبادة البارى الى عبادة المبروء .

اعلم انّ اسم الله وسائر اسمائه تعالى قد تكرّر فى الكتاب كثير تكرار، والوجه العامّ التّمكين فى القلوب وتلذّذ الموحى اليه بسماعه وذكره ويوجد فى خصوص المقامات دواع خاصّة غير ذلك سواء اقتضت الدّواعى اسماء خاصّة مثل اقتضاء مقام التّهديد الاسماء القهريّة كالاسماء الدّالّة على الغضب والانتقام وسرعة الانتقام ومثل اقتضاء مقام الوعد الاسماء اللّطفيّة اولا .

[فَتٰابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَالتَّوّٰابُ الرَّحِيمُ] .

[وَ إِذْقُلْتُمْ يٰا مُوسىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لن ندعن لَكَ بالنبوّة حَتّىٰ نَرىَ اللّٰهَ جَهْرَةً فَاَخَذَتْكُمُ الصّٰاعِقَةُ] بجرأتكم على نبيّكم وعلى ربّكم وسوء أدبكم [وَ اَنْتُمْ تَنْظُرُونَ] الى الصّاعقة تنزل بكم فمتّم [ثُمَّ بَعَثْنٰاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ] اشارة الى انّ البعثة كانت عن موت لا عن اغماء ، وهذه الآية تدلّ

على جواز الرّجعة كما ورد الاخبار بها وصارت كالضّروريّ في هذه الامّة و قد احتجّ اميرالمؤمنين (ع) بها على ابن الكوّاء في انكاره الرّجعة ، وورد انّه سئل الرّضا(ع) كيف يجوز ان يكون كليم الله موسى بن عمران لا يعلم انّ الله لايجوز عليه الرّؤية حتّى يسأله هذا السّؤال ؟- فقال : انّ كليم الله علم أنّ الله منزّه عن ان يرى بالابصار ولكنّه لمّا كلّمه وقرّبه نجيّاً رجع الى قومه فأخبرهم أنّ الله كلّمه وقرّبه وناجاه فقالوا : لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعته ؛ وكان القوم سبعمائة الف فاختار منهم سبعين الفاً ثمّ اختارمنهم سبعة آلاف ثمّ اختارمنهم سبعمائة ثمّ اختارمنهم سبعين رجلاً لميقات ربّه ؛ فخرج بهم الى طورسيناء فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى الى الطّور وسأل الله ان يكلّمه و يسمعهم كلامه وكلّمه الله وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وامام لانّ الله أحدثه في الشّجرة ثمّ جعله منبعثاً منها حتّى سمعوه من جميع الوجوه فقالوا: لن نؤمن بأنّ هذا الّذى سمعناه كلام الله حتّى نرى الله جهرةً ، فلمّا قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عليهم صاعقةً فأخذتهم الصّاعقة بظلمهم فماتوا ، فقال موسى(ع): ما أقول لبني اسرائيل اذا رجعت اليهم وقالوا انّك ذهبت بهم فقتلتهم ؛ لانّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة الله ايّاك ؟ فأحياهم و بعثهم فقالوا : انّك لو سألت الله ان يريك تنظر اليه لاجابك فتخبرنا كيف هو ونعرفه حقّ معرفته فقال موسى(ع): يا قوم انّ الله لايرى بالابصار ولا كيفيّة له وانّما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه فقالوا: لن نؤمن لك حتّى تسأله ، فقال موسى(ع): يا ربّ انّك قد سمعت مقالة بني اسرائيل و أنت أعلم بصلاحهم فأوحى الله اليه يا موسى (ع) : سلني ما سألوك فلم أُ اخذك بجهلهم فعندذلك قال موسى: ربّ أرني أنظر اليك ، قال: لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقرّ مكانه وهويهوى فسوف تراني فلمّا تجلّى ربّه للجبل بآية من آياته جعله دكّاً وخرّ موسى صعقاً فلمّا أفاق قال: سبحانك تبت اليك يقول رجعت الى معرفتي بك عن جهل قومي وأنا اوّل المؤمنين منهم بأنّك لاترى .

وذكر في الاخبار أنّ موسى اختار من قومه وهم سبعمائة ألف سبعين رجلاً من خيار القوم بزعمه وقد وقع اختياره على الافسد مع ظنّه أنّهم الاصلحون و اذا كان اختيار مثل موسى(ع) رسولاً من اولى العزم واقعاً على الافسد علمنا انّ اختيار الخلق معزول عن تعيين الامام الّذى ينبغي ان يكون أصلح الخلق . **وورد** انّ موسى(ع) لمّا اراد ان يأخذ عليهم عهد الفرقان فرّق ما بين المحقّين والمبطلين لمحمّد(ص) بنبوّته ولعليّ(ع) والائمّة بامامتهم قالوا لن نؤمن لك ان هذا امر ربّك حتّى نرى الله عياناً يخبرنا بذلك فأخذتهم الصّاعقة معاينةً فقال موسى : للباقين الّذين لم يصعقوا اتقبلون وتعترفون والّا فأنتم بهؤلاء لاحقون فقالوا : لاندرى ما حلّ بهم فان كانت انّما اصابتهم لردّهم عليك في أمر محمّد (ص) وعليّ (ع) فاسأل الله ربّك بمحمّد (ص) وآله (ع) ان يحييهم لنسألهم لماذا أصابهم ماأصابهم ، فدعى الله موسى فأحياهم فسألوهم فقالوا : أصابنا ما أصابنا لابائنا اعتقاد امامة عليّ(ع) بعد اعتقاد نبوّة محمّد(ص) لقد رأينا بعد موتنا هذا ممالك ربّنا من سماواته وحجبه وعرشه وكرسيّه وجنانه و نيرانه فما رأينا أنفذ أمراً في جميع الممالك و أعظم سلطاناً من محمّد (ص) و عليّ (ع) وفاطمة(ع) والحسن(ع) والحسين(ع) وانّا لمّا متنا بهذه الصّاعقة ذهب بنا الى النّيران فناداهم محمّد(ص) وعليّ(ع) كفّوا عن هؤلاء عذابكم فانّهم يحيون بمسئلة سائل سأل ربّنا عزّوجلّ بنا وبآلنا الطّيّبين(ع) قال الله لأهل عصر محمّد(ص): فاذا كان بالدّعاء بمحمّد(ص) وآله الطّيّبين (ع) نشر ظلمة أسلافكم المصعوقين بظلمهم فانّما يجب عليكم ان لاتتعرّضوا لمثل ماهلكوا به الى ان أحياهم الله [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] قدمضى وجه نسبة فعل الاسلاف الى الاخلاف وأنّها بملاحظة السّنخيّة بينهم وملاحظة رضا الاخلاف بفعل الاسلاف ،

و لمّا كان الشّكر بمعنى ملاحظة المنعم فى النّعمة اوصرف النّعمة فيما خلقت لاجله وكلّ منهما لا يمكن للمحتجب بالانانيّة والمقيّد بالحيوة الدّانية عقّب البعث الّذى هو الحيوة الآلهيّة بعد الاماتة عن الحيوة الدّانية والخروج من الانانيّة بترقّب الشّكر [وَ ظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ الْغَمامَ] حين كونكم تائهين فى التّيه ليقيكم من ضرّ حرّ الشّمس وبرد القمر [وَاَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ] فسّر المنّ بالتّرنجبين [وَالسَّلْوى] بالعسل وبالطّائر المشوىّ و بالسُّمانىٰ و هو طيرٌ يشبه الحمام أطول ساقاً و عنقاً منه [كُلُوا] اى قائلين كلوا [مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ] والامر فى أمثال المقام أعمّ من الاباحة والوجوب والرّجحان بحسب اعداد الاشخاص واحوال الشّخص الواحد ومقدار الاكل لشخصٍ واحد فى حالٍ واحدةٍ والمراد بمارزقه الله هيهنا ان كان المنّ والسّلوى فاضافة الطّيّبات للتّبيين لا للتّقييد ، وان كان المراد مطلق مارزقه الله العباد فالاضافة للتّقييد اى تقييد المضاف اليه بالمضاف، اونقول: ان كان المراد بالمرزوق المنّ والسّلوى فطيبوبته وعدم طيبوبته بذكر اسم الله عليه وعدمه والمعنى كلوا ممّا ذكر اسم الله عليه ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه وحينئذٍ فالاضافة للتّقييد وفى تفسير القمىّ لمّا عبر موسى(ع) بهم البحر نزلوا فى مفازة فقالوا : يا موسى أهلكتنا وأخرجتنا من العمران الى مفازة لاظلّ فيها ولا شجرولاماء فكانت تجيىء بالنّهار غمامة تظلّهم من الشّمس وتنزّل عليهم باللّيل المنّ فيأكلونه وبالعشىّ يجيىء طائر مشوىٌّ فيقع على موائدهم فاذا أكلوا وشبعوا طار عنهم وكان مع موسى(ع) حجرٌ يضعه فى وسط العسكر ثمّ يضربه بعصاه فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً فيذهب الماء الى كلّ سبطٍ وكانوا اثنى عشرسبطاً فلمّا طال عليهم ملوّا وقالوا : يا موسى لن نصبر على طعامٍ واحدٍ [وَ ما ظَلَمُونا] بكفران النّعمة واستبدال الادنى بالّذى هو خيرٌ اوما ظلمونا بالاعتراض على موسى(ع) وعدم مراعاة تعزيزه وتوقيره وهو تعريضٌ بأمّة محمّد(ص) وكفرانهم النّعمة وعدم تعظيم محمّد(ص)والائمّة(ع). **وعن الباقر(ع)** انّه قال : انّ الله أعظم وأعزّ وأجلّ وأمنع من ان يظلم ولكنّه خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته حيث يقول : انّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا يعنى الائمّة منّا [وَلٰكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] باستبدال الادنى بالّذى هو خيرٌ، اوبازالة النّعمة بالكفران ، اوبظلم الائمّة الّذين هم أنفس الخلائق وذواتهم حقيقة ، اوبظلم الائمّة المسبّب او السّبب لاهلاك أنفسهم [وَ إِذْقُلْنَا] واذكروا يا بنى اسرائيل اذقلنا لكم حين خرجتم من التّيه [ادْخُلُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ] وهى بيت المقدّس او اريحا من بلادالشام [فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً] واسعاً بلاتعبٍ [وَادْخُلُوا الْبابَ] اى باب القرية او باب القبّة الّتى فى بيت المقدّس كانوا يصلّون اليها [سُجَّداً] ساجدين لله او خاضعين متواضعين للشّكر على خروجكم من التّيه ذكر أنّه مثّل الله تعالى على الباب مثال محمّد(ص)وعلىّ(ع)وأمرهم ان يسجدوا تعظيماً لذلك ويجدّدوا على أنفسهم بيعتهما وذكر موالاتهما ويذكروا العهد والميثاق المأخوذين عليهم [وَ قُولُوا] بألسنتكم هذه الفعلة من السّجود والتّعظيم لمثال محمّد (ص) وعلىّ(ع) [حِطَّةٌ] لذنوبنا اوقولوا بألسنة قلوبكم اواعتقدوا ذلك اوهومصدرٌ مبنىٌّ للمفعول اى قولوا بألسنة اجسادكم اوقلوبكم لنا حطّة وسفلية بالنّسبة الى المثال المذكور وهى فعله من حطّة اذا أنزله وألقاه وقرئ حطّة بالنّصب مفعولاً لفعل محذوف وعلى أىّ تقدير فهذه الكلمة امّا جزء جملة محذوفة المبتدأ اومحذوفة الخبر أوقائمة مقام جملة محذوفة وعلى التّقاديرفهى امّا انشائيّة دعائيّة اوخبريّة [نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ]

لمن كان مخطئاً منكم [وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ] منكم الجملة مستأنفة لبيان حال المحسن مخطياً كان اوغير مخطىء [فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ] اى لم يسجدوا كما أمروا ولا قالوا ماأمروا بل دخلوا الباب بأستاههم وقالوا بدل حطّة : حنطة حمراء نتقوّتها أحبّ الينا من هذا الفعل وهذا القول ، اوقالوا حنطة فى شعير . وروى أنّه كان خلافهم انّهم لمّا بلغوا الباب رأوا باباً مرتفعاً وقالوا: مابالنا نحتاج ان نركع عند الدّخول هيهنا ظنّنا أنّه باب متطأ من لابدّ من الرّكوع فيه وهذا باب مرتفع والى متى يسخربنا هؤلاء يعنون موسى ثمّ يوشع بن نون ويسجدوننا فى الاباطيل وجعلوا أستاههم نحوالباب وقالوا بدل قولهم حطّة: ما معناه حنطة حمراء فذلك تبديلهم [فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا] وضع الظّاهر موضع المضمر وتكرار الموصول لتمكين قبح الظّلم فى قلوب المستمعين والاشعار بسببيّته للزّجر كما انّ تعليق التّبديل على الموصول كان للاشعار بسببيّته لتبديل قول النّبىّ (ص) الّذى هو قول الله والمقصود التّعريض بأمّة محمّد (ص) وظلمهم لاهل البيت (ع) وتبديلهم قول النّبىّ (ص) ونسب الى الباقر(ع) أنّه قال : نزل جبرئيل (ع) بهذه الآية فبدّل الّذين ظلموا آل محمّد(ص) حقّهم غيرالّذى قيل لهم فأنزلنا على الّذين ظلموا آل محمّد(ع) وهذا باعتبار المعرّض به والمقصود من الآية [رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ] الرّجز بالكسر وبالضّم بمعنى العذاب اوالنّجاسة اومطلق ما يعاف عنه كالرّجس [بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ] يحزجون من امرالله وطاعته ذكر انّ الرّجز الّذى أصابهم انّه مات منهم فى بعض يوم بالطّاعون مائة وعشرون ألفاً وهم الّذين كانوا فى علم الله أنّهم لا يؤمنون ولا يتوبون ولم ينزّل على من علم أنّه يتوب اويخرج من صلبه ذرّيّة طيّبة [وَ] اذكروا [إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ] لم يقل لكم بالخطاب كما أتى بخطاب الحاضرين من بنى اسرائيل فى السّابق واللّاحق تجديداً للاسلوب واشعاراً بأنّ استسقاء موسى كان لبنى اسرائيل من حيث كونهم قومه وموافقين له متضرّعين اليه مستحقّين لطلب الرّحمة لهم وليس الحاضرون اسناخاً لهم من هذه الجهة حتّى يخاطبوا من هذه الحيثيّة فانّهم لما عطشوا فى التّيه التجأوا الى موسى وتضرّعوا عليه واستسلموا لأمره فاستسقى لهم [فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ] وكان ذلك الحجر حجراً مخصوصاً فضربه بها داعياً بمحمّد(ص) وآله الطّيّبين(ع) نسب الى الباقر(ع) انّه قال نزلت ثلاثة احجار من الجنّة؛ مقام ابراهيم(ع)، وحجربنى اسرائيل ، والحجرالاسود . **وعنه** اذا خرج القائم من مكّة ينادى مناديه : الا لا يحملنّ أحدٌ طعاماً ولا شراباً وحمل معه حجر موسى بن عمران وهو وقربعير ولاينزل منزلاً الّا انفجرت منه عيونٌ؛ فمن كان جائعاً شبع ، ومن كان ظمأن روى، ورويت دوابّهم حتّى ينزلوا النّجف من ظهر الكوفة [فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ] من الاسباط الاثنى عشر من اولاد يعقوب [مَشْرَبَهُمْ] ولايزاحمون الآخرين فى مشربهم، وكأنّ مشرب كلّ كان معلوماً مميّزاً عن مشارب الآخرين قائلين لهم [كُلُوا] من المنّ والسّلوى ، اوكانت العيون تنبع بما فيه غذاؤهم وشرابهم كما أشاراليه الخبر السّابق [وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ] حال مؤكّدة فانّ العثو بمعنى الافساد [وَإِذْ قُلْتُمْ] و اذكروا اتى بالخطاب لمجانسة الحاضرين للماضين فى الانكار والكفران [يَا مُوسَى

لَنْ نَصْبِرَ عَلٰى طَعٰامٍ واٰحِدٍ] يعنى قال اسلافكم فى التّيه لن نصبرعلى المنّ والسّلوى ولابدّ لنا من غذاءٍ آخر معهما [فَادْعُ لَنٰا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنٰا مِمّٰا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهٰا] البقل مايؤكل من نبات الارض خضراً مثل الكرّاث والنّعناع والكرفس ونحوها ويطلق على مطلق نبات اخضرّت به الارض [وَ قِثّٰائِهٰا] بالمدّ وتشديد الثّاء وكسرالقاف وقد يضمّ الخيار ، وبعضهم يطلق القثّاء على نوع شبه الخيار [وَفُومِهٰا] الحنطة او الخبز او مطلق الحبوب المأكولة و قيل الثّوم وقرء بالثّاء [وَ عَدَسِهٰا وَ بَصَلِهٰا] قال الله تعالى اوموسى(ع) [اَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنٰى] وادون مرتبة من المنّ والسّلوى [بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ] فانّهما ألذ وأقوى وألطف [اهْبِطُوا] من هذه التّيه [مِصْراً] من الامصار اوالمراد المصرالعلميّ وصرفه لسكون اوسطه [فَاِنَّ لَكُمْ] فيها [مٰا سَأَلْتُمْ] من البقول والقثّاء والفوم وغيرها [وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ] الهوان شبّه الذّلّة المضروبة عليهم بالقبّة لاحاطتها بهم من جميع الجوانب اوبالطّين المضروب الملصق على الجدار ثمّ استعمل الضّرب فيها [وَالْمَسْكَنَةُ] هى اسوء من الفقروهذا عذابهم فىالحيوة الدّنيا وذلك انّه ماينفكّ اليهود عن الحرص والطّمع وهما أعظم أسباب الذّلّة والحاجة وهم فى الظّاهر أسوأ حالاً من النّصارى [وَ بٰاؤُا بِغَضَبٍ منَ اللهِ] رجعوا عن مقام السّؤال متلبّسين بغضبٍ عظيمٍ من الله ، اوصاروا أحقّاء بغضبٍ من الله فى الآخرة [ذٰلِكَ] المذكور من ضرب الذّلّة والمسكنة والرّجوع بالغضب يا أمّة محمّد(ص) فانّه للتّعريض بهم [بِأَنَّهُمْ كٰانُوا يَكْفُرُونَ] تخلّل كانوا للاشارة الى انّ الكفر صارسجيّة لهم وكذا قتل الانبياء [بِآيٰاتِ اللهِ] صغريٰها وكبريٰها فى العالم الصّغير والكبير، والآيات الكبرى هم الانبياء(ص) والاولياء(ع) [وَيَقْتُلُونَ النَّبِيّينَ] المخبرين من الله سواء كانوا انبياء اوخلفاءهم اوالنّبيّين المخصوصين الّذين هم غير الاوصياء [بِغَيْرِ الْحَقِّ] لمحض البيان فانّه لايقتل نبىٌّ بالحقّ [ذٰلِكَ] الكفر بالآيات والقتل [بِمٰا عَصَوْا] الله وخلفائه [وَكٰانُوا يَعْتَدُونَ] على الخلفاء اويتجاوزون أمرالله، وتخلّل كانوا للاشارة الى تمكّنهم فى الاعتداء والمقصود انّ العصيان صار سبباً للاعتداء والتّمكّن فيه ، والتّمكّن فى الاعتداء صارسبباً للكفروالقتل ، وهما صارا سبباً للذّلّة والمسكنة والغضب ؛ فاحذروا يا امّة محمّد(ص) من مقارفة صغار الذّنوب حتّى لاتؤدّى الى كبارها والى العقوبة بالذّلّة والمسكنة فى الدّنيا والغضب فى الآخرة ، اوبكلٍّ منها فيهما ونسب الى النّبىّ(ص) انّه قال : ياعبادالله فاحذروا الانهماك فى المعاصى والتّهاون بها فانّ المعاصى يستولى بها الخذلان على صاحبها حتّى توقعه فيما هوأعظم منها ؛ فلايزال يعصى ويتهاون ويخذل ويوقع فيما هوأعظم ممّا جنى حتّى توقعه فى ردّ ولاية وصىّ رسول الله (ع) و دفع نبوّة نبىّ الله (ص) ، ولا يزال ايضاً بذلك حتّى توقعه فى دفع توحيد الله والالحاد فى دين الله ، **وعن الصّادق(ع)** انّه قال: والله ما ضربوهم بأيديهم ولاقتلوهم بأسيافهم ولكن سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها فقتلوا فصار قتلاً باعتداء ومعصيةٍ وبهذا المضمون أخبار كثيرة .

[إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ الّذى هونفس البيعة العامّة اوالحاصل بالبيعة العامّة اوالتّشبيه

بالحالة الحاصلة من البيعة العامّة كما سبق مفصّلاً والحاصل أنّ المراد بالايمان هذا هو معنى الاسلام [وَالَّذِينَ هادُوا] هاد وتهوّد وسائر متصرّفاتهما من المشتقّات الجعليّة المأخوذة من اليهود بمعنى دخل فى اليهوديّة اوانتحلها ، ويهود امّا عربىّ من هاد اذا تاب؛ سمّوا به لأنّهم تابوا على يد نبيّهم ، اولأنّهم تابوا عن عبادة العجل ، وامّا معرّب يهودا أكبر اولاد يعقوب سمّوا باسمه [وَالنَّصارىٰ] والّذين تنصّروا واعدل عن الموصول وصلته لانّ نصر لم يستعمل مأخوذاً من النّصرانيّة ومعناه اللّغوىّ غير مقصود وتنصّروا ان كان من المشتقّات الجعليّة المأخوذة من النّصرانيّة لكنّ الاغلب استعماله فى انتحال النّصرانيّة لا فى الدّخول فيها ، والنّصارى جمع النّصران كالسّكارى والسّكران وصف مأخوذ من نصر؛ سمّوا به لأنّهم نصروا عيسى (ع) ، اومأخوذ جعلىٌّ من النّاصرة ، اومن النّصرانة اسم قرية نزلتها مريم وعيسى (ع) بعد رجوعهما من مصر، واجتمع النّصارى فيها، والياء فى النّصرانىّ للمبالغة اوللنّسبة على الاخير [وَ الصّابِئِينَ] عبدة الكواكب سمّوا به لأنّهم صبَوا اى مالوا الى دين الله اوعن دين الله ان قرء بدون الهمزة اولانّهم صبئوا عن دين الله اوصبؤا الى دين الله اى خرجوا ان قرأ بالهمزه وعدل عن الموصول لما ذكر فى النّصارى [مَنْ آمَنَ] منهم [بِاللهِ] بالايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة ودخول الايمان فى القلب ودخول الانسان فى دار الايمان وقبول الولاية واحكام القلب اوالمراد بالايمان معناه اللّغوىّ اى من أذعن بالله اوبعلىّ (ع) لانّه مظهره ، اوالمراد بالايمان الاسلام اى من آمن بالبيعة العامّة وقبول الدّعوة الظّاهرة بالله ، [وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صالِحاً] اى عمل الاعمال المأخوذة عليه فى بيعته على المعنى الاوّل للايمان ، اوالمراد بالعمل الصّالح على المعنيين الأخيرين للايمان البيعة الخاصّة الولويّة فانّها اصل الاعمال الصّالحة و بدونها لا يكون عمل صالح اصلاً [فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ] اى الاجر الّذى ينبغى ان يكون لهم ولا يمكن معرفته الّا بالاضافة اليهم [عِنْدَ رَبِّهِمْ] والتّقييد بكونه عند ربّهم تعظيم آخر للاجر والمقصود انّ الاسلام واليهوديّة والنّصرانيّة والصّابئيّة متساوية فى ثبوت الاجر العظيم اذا انتهى كلّ منها الى الولاية وقبول الدّعوة الباطنة ودخول الايمان فى القلب ، و اذا لم ينته الى الولاية فالعبارة تدلّ بمفهوم المخالفة على ان لا اجر عند ربّهم لشيىء منها سواء لم يكن أجر اوكان ولكن لم يكن عند ربّهم ، وتفصيل هذا الاجمال كما يستفاد من الآيات والاخبار انّ من أنكر الولاية فله عقوبته ، ومن لم ينكر ولم يذعن فهو مرجىءٌ لأمر الله ؛ امّا يعذّبه وامّا يتوب عليه سواء كان المنكر مسلماً اوغيره ، ومن لم ينكر ولم يذعن ولكن كان فى زمان الرّسول ووقف على البيعة العامّة كان ناجياً ببيعته العامّة مع الرّسول فانّ الله لا يليته من أعماله شيئاً [وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاهُمْ يَحْزَنُونَ] قد مضى بيان مفصّل لهذه الآية فلا نعيده [وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ] اى على أيدى أنبيائكم اوخلفائهم ، والمراد بالميثاق هو العهد المأخوذ فى البيعه العامّة اوالخاصّة ، والاضافة للعهد اى الميثاق المأخوذ بنبوّة محمّد (ص) وولاية علىّ (ع) اوالميثاق المأخوذ بالتّوحيد والنّبوّة والاقرار بماجاء به نبيّهم ومنه نبوّة محمّد (ص) وولاية علىّ (ع) وان يؤدّوه الى اخلافهم ولذا ورد تفسير الميثاق بهما امّا لكونهما مذكورين فى البيعة اولكون الاقرار بنبوّة كلّ نبىّ وولاية كلّ ولىّ اقراراً بنبوّة محمّد (ص) وولاية علىّ (ع) لكون نبوّة الانبياء وولاية الاولياء رقائق لنبوّة محمّد (ص) وولاية علىّ (ع) والرّقيقة جزئيّة من الحقيقة كما انّها كلّ بالنّسبة اليها والاقرار بالجزئىّ اقرار بالكلّىّ كما انّ الاقرار

بالكلّ اقرار بالجزء [وَرَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ] اى الجبل امرالله جبرئيل ان يقلع من جبل فلسطين قطعة على قدر معسكر بنى اسرائيل فقلعها ورفعها فوق رؤسهم قائلين على لسان نبيّنا [خُذُوا ما آتَيْناكُمْ] من الاحكام مطلقة او من الاحكام الّتى آتيناكم فى الميثاق بحسب القالب اوالقلب اومن التّوراة او من نبوّة محمّدٍ (ص) وولاية علىّ (ع) [بِقُوَّةٍ] من قلوبكم وابدانكم. قيل: قال لهم موسى : امّا ان تأخذوا بما أمرتم وامّا ان ألقى عليكم هذا الجبل فألجئوا الى قبوله كارهين الّا من عصمه الله ثمّ لمّا قبلوا سجدوا وعفروا وكثير منهم عفر خديّه لالارادة الخضوع لله ولكن نظراً الى الجبل هل يقع ام لا [وَاذْكُرُوا ما فِيهِ] اى فى الميثاق من الشّروط اومن الاحكام القالبيّة اوالقلبيّة اومن ثواب الموافق وعقاب المخالف، اواذكروا ما فى رفع الطّور ووقوعه ، اواذكروا ما فيما آتيناكم من الثّواب والعقاب اوالاحكام ، ونسب الى الصّادق(ع) انّه قال : واذكروا ما فى تركه من العقوبة [لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] اى اذكروا ما أمرناكم لعلّكم تتّقون المخالفة [ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ] عن الذّكر اوعن الأخذ او عن الميثاق او عن الوفاء بشروط الميثاق [فَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ] الفضل هوالرّسالة والنّبوّة بوجه الرّسالة والرّحمة هى الولاية والنّبوّة بوجه الولاية ، ولذا فسّرا فى بعض الآيات بمحمّدٍ(ص) وعلىٍّ (ع) لاتّحادهما معهما ولكون النّبىّ والولىّ فى الخلق سبباً لنزول رحمته وبركته عليهم ودفع العذاب عنهم [لَكُنْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ] المضيّعين بضاعتكم لكن وجودهما فيكم سبب لتدارك خسرانكم وتوفيق توبتكم وانابتكم ، والآيات كما مضى تعريض بالامّة فكأنّها خطاب لهم وتذكير لهم بمخالفتهم وتداركها بوجود محمّدٍ (ص) وعلىٍّ (ع) فيهم [وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِى السَّبْتِ] فلا تعتدوا ايّها اليهود ولا تعتدوا يا امّة محمّد(ص) فتعاقبوا بمثل عقوبتهم [فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا] بالامر التّكوينىّ [قِرَدَةً خاسِئِينَ] بعيدين من كلّ خير اوصاغرين اوبمعنىً أعمّ منهما [فَجَعَلْناها] اى المسخة اوالعقوبة الّتى أخزيناهم بها اوالامّة الممسوخة كما فى الخبر [نَكالاً] زجرة وعبرة مانعة عن الاعتداء والمخالفة [لِما بَيْنَ يَدَيْها] للامم الماضية فانّ الامّة الممسوخة الحاضرة بتوجّههم الى الآخرة ووجود الامم الماضية فى الآخرة وعالم المثال متوجّهون الى الامم الماضية وهم بين أيديهم ، وكونها عبرة لهم باعتبار أخبار أنبيائهم عن الامم الآتية واعتدائهم ؛ وعلى هذا فقوله تعالى [وَما خَلْفَها] عبارة عن الامم الحاضرة فى زمان الممسوخة والامم الآتية فانّ الممسوخة بتوجّههم فطرة الى الآخرة مستدبرون عن الدّنيا ومن فيها ومن سيقع فيها وان كانوا متوجّهين الى الدّنيا اختياراً ، اوالمراد بما بين يديها الامم الحاضرة فى زمان المسخ والامم الآتية فانّ الحاضرة حاضرة بين أيديهم والآتية باعتبار مرور الممسوخة على الزّمان واستقبالهم عليها كأنّها حاضرة بين أيديهم فقوله تعالى : وما خلفها ؛ عبارة عن الأمم الماضية ، اوالمراد بما بين يديها الحاضرون فى زمان الممسوخة وبما خلفها الآتون ؛ اوالمراد القرى القريبة والبعيدة ، اوالمراد بالنّكال العقوبة الّتى هى معناه حقيقة ؛ والمعنى جعلناها عقوبة لمعصيتهم الحاضرة والماضية [وَمَوْعِظَةً] تذكيراً وتنبيهاً على العواقب اوعبرة اونصحاً اوحثّاً على التّقوى والطّاعات اوتخويفاً عن المعاصى والاغترار بالدّنيا [لِلْمُتَّقِينَ] فانّ غيرهم لايتنبّهون

ولا يتّعظون فلا ينتفعون فلا ينظر اليهم . ويأتى قصّة المعتدين فى السّبت ومضى فى اوّل السّورة تحقيق معنى التّقوى [وَ] اذكروا يا بنى اسرائيل اويا أمّة محمّد(ص) اوذكّر بنى اسرائيل اوأمّتك قصّة القتيل واحياءه على يد موسى(ع) حتّى تعلموا انّ ماقاله موسى(ع) حقّ وانّ اخباره بنبوّة محمّد(ص) وولاية علىّ (ع) ليس ممّا لا يكترث به [إِذْقٰالَ مُوسٰى لِقَوْمِهِ إِنَّاللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ] لاحياء المقتول وإخباره بقاتله [اَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً] فتضربوا ببعضها هذا المقتول .

وقصّته أنّه كان فى بنى اسرائيل امراةٌ حسناء ذات شرفٍ وحسبٍ ونسبٍ كثرخُطّابها وكان لهابنوأعمام ثلاثة فرضيت بأفضلهم فاشتدّ حسدا بنى عمّه الآخرين فعمدا اليه فدعواه وقتلاه وحملاه الى محلّة مشتملة على اكثر قبيلة من بنى اسرائيل فألقياه فيها ليلاً فلمّا أصبحوا و جدوا قتيلاً وعرفوه فجاء ابنا عمّه القاتلان ومزقا على أنفسهما واستعديا عليهم فأحضرهم موسى(ع) وسألهم فأنكروا قتله وقاتله فالزم موسى (ع) اماثل القبيلة ان يحلف خمسون منهم بالله القوىّ الشّديد اٰله بنى اسرائيل مفضّل محمّدٍ (ص) وآله الطّيّبين على البرايا اجمعين انّا ما قتلناه ولا علمنا له قاتلاً فان حلفوا غرموا دية المقتول وان نكلوا نصّوا على القاتل او اقرّ القاتل فيقاد منه ، فان لم يحلفوا حبسوا فى مجلسٍ ضنكٍ الى ان يحلفوا اويقرّوا اويشهدوا على القاتل ، فقالوا : يا نبىّ الله اما وَقَت ايماننا اموالنا ولا اموالنا ايماننا ؟ - قال : لا ؛ هذا حكم الله ، فقالوا : يا نبىّ الله عزمٌ ثقيلٌ ولاجناية لنا وأيمانٌ غليظة ولاحقّ فى رقابنا ، فادع الله عزّوجلّ ان يبيّن لنا القاتل وينكشف الامرلذوى الالباب ويتزّل به ما يستحقّه فقال موسى : انّ الله قد حكم بذلك وليس لى ان اقترح عليه غير ما حكم به بل علينا ان نسلم حكمه وهمّ بأن يحكم عليهم بذلك فأوحى الله تعالى اليه ان أجبهم وسلنى ان أبيّن لهم القاتل فانّى اريد ان أوسع باجابتهم الرّزق على رجلٍ من خيار أمّتك دينه الصّلوة على محمّد(ص) وآله الطّيّبين (ع) ليكون بعض ثوابه عن تعظيمه لمحمّد(ص) وآله (ع) **ونسب الى الصّادق(ع)** انّ الرّجل كان له سلعةٌ وجاء قوم يطلبون سلعته وكان مفتاح بيته فى تلك الحال تحت رأس أبيه وهو نائم فكره ان ينبّهه وينغّص عليه نومه فانصرف القوم ولم يشتروا سلعته فلمّا انتبه ابوه قال : يا بنىّ ما صنعت فى سلعتك ؟- قال : هى قائمة لم أبعها لانّ المفتاح كان تحت رأسك فكرهت ان أزعجك من رقدتك وانغّص عليك نومك قال له ابوه: قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عمّا فاتك من ربح سلعتك وشكر الله تعالى للابن مافعل بأبيه فأمر الله جلّ جلاله موسى(ع) ان يأمر بنى اسرائيل بذبح تلك البقرة بعينها ليظهر قاتل ذلك الرّجل الصّالح فلمّا اجتمع بنواسرائيل الى موسى (ع) وسألوه ، قال : انّ الله يأمركم ان تذبحوا بقرة ليحيى ذلك القتيل تعجّبوا و[قٰالُوا] ياموسى [اَتَتَّخِذُنٰا هُزُواً قٰالَ أَعُوذُ بِاللّٰهِ اَنْ اَكُونَ مِنَ الْجٰاهِلِينَ] فانّ الاستهزاء من صفات الجاهل ونسبة امرٍ الى الله لم يكن منسوباً اليه ليست من وصف العاقل [قٰالُوا ادْعُ لَنٰا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنٰا مٰاهِيَ] ما وصفها فانّ ماهى كما هو سؤالٌ عن حقيقة الشيئ و مهيّته يكون سؤالاً عن صفة الشّيىء ومميّزاته العرضيّة [قٰالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهٰا بَقَرَةٌ لاٰفٰارِضٌ] اى لا مسنّة ولغلبة الاسميّة عليه لم يأت بتاء التّأنيث [وَلاٰبِكْرٌ] لا صغيرة [عَوٰانٌ بَيْنَ ذٰلِكَ] المذكور من الفارض والبكر [فَافْعَلُوا مٰا تُؤْمَرُونَ] ولا تكثروا السّؤال عنها حتّى يشدّد عليكم [قٰالُوا ادْعُ لَنٰا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنٰا مٰالَوْنُهٰا قٰالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهٰا بَقَرَةٌ صَفْرٰاءُ فٰاقِعٌ لَوْنُهٰا] شديد

الصّفرة مستحسناً بحيث لايضرب الى السّواد ولا الى البياض [تَسُرُّ النّاظِرِينَ] لحسنها وبريقها [قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ماهِيَ] زيادة على ما وصفت بحيث لا يبقى لنا التباس فيها [إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا وَإِنّا إِنْ شاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ] ببيانك روى أنّهم لولم يستثنوا لما بيّنت لهم آخر الابد [قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لاذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ] لاتكون مروّضة مذلّلة لاثارة الارض [وَلاتَسْقِي الْحَرْثَ] ولا تكون مروّضة تسقى الحرث بالدّلاء [مُسَلَّمَةٌ] من العيوب [لاشِيَةَ فِيها] لالون فيها غير الصّفرة يخالطها [قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ] من أوصاف البقرة وحقيقتها الّتى بها تمتاز عن غيرها وقد عرفناها هى بقرة فلان واشير فى بعض الاخبار انّهم لوذبحوا أىّ بقرة عمدوا اليها أجزأهم لكنّهم شدّدوا على أنفسهم فشدّدالله عليهم . **وفى تفسير الامام(ع)** فلمّا سمعوا هذه الصّفات قالوا: ياموسى فقد أمرنا ربّنا بذبح بقرة هذه صفتها؟ـ قال : بلى ولم يقل موسى فى الابتداء انّ الله قد أمركم لانّه لوقال : انّ الله قد أمركم لكانوا اذقالوا ادع لنا ربّك يبيّن لنا ماهى ومالونهاكان لايحتاج الى ان يسأله عزّوجلّ ذلك ولكن كان يجيبهم هو بأن يقول امركم ببقرة فاىّ شيىء وقع عليه اسم البقرة فقد خرجتم من أمره اذا ذبحتموها فلمّا استقرّ الامرعليهم طلبوا هذه البقرة فلم يجدوها الّا عند شابّ من بنى اسرائيل أراه الله فى منامه محمّداً (ص) وعلياً (ع) وطيّبى ذرّيّتهما فقالا انّك كنت لنا محبّاً مفضّلاً ونحن نريد ان نسوق اليك بعض جزائك فى الدّنيا فاذا راموا اشراء بقرتك فلاتبعها الّا بأمر أمّك فانّ الله يلقّنها مايغنيك به وعقبك، ففرح الغلام وجاء القوم يطلبون بقرته فقالوا: بكم تبيع بقرتك هذه ؟ ـ قال: بدينارين والخيار لامّى قالوا : رضينا بدينار فسألها ، فقالت : بأربعة ، فأخبرهم فقالوا ، نعطيك دينارين ، فأخبر أمّه، فقالت : ثمانية ، فما زالوا يطلبون على النّصف ممّا تقول أمّه ، ويرجع الى أمّه فتضعف الثّمن حتّى بلغ ثمنها ملأمسك ثور أكبر ما يكون ملأدنانير ، فأوجبت لهم البيع [فَذَبَحُوها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ] لغلاء ثمنها وثقله عليهم لانّ ثمنها بلغ الى ملأجلدها على بعض ما نقل ، اوملأجلد ثوراكبر ما يكون ديناراً وكان ثقيلاً عليهم فانّه بعد ماقبلوه بلغ مقداره الى خمسة آلاف الف دينار ولجاجهم حملهم على أدائها وافتقرالقوم كلّهم واستغنى الشّابّ ، **ونقل** أنّه لم يفتقر أحد من أولاده الى سبعين بطناً . وفى تفسير الامام(ع) انّ أصحاب البقرة ضجّوا الى موسى(ع) وقالوا : افتقرت القبيلة وانسلخنا بلجاجنا عن قليلنا وكثيرنا فأرشدهم موسى (ع) الى التّوسّل بنبيّنا فأوحى الله اليه ليذهب رؤساؤهم الى خربة بنى فلان ويكشفوا عن موضع كذا ويستخرجوا ماهناك فانّه عشرة آلاف ألف دينار ليردّوا على كلّ من دفع فى ثمن هذه البقرة مادفع لتعود أحوالهم على ماكانت . ثمّ ليتقاسموا بعد ذلك ما يفضل وهو خمسة آلاف ألف دينار على قدر ما دفع كلّ واحد منهم ليتضاعف أموالهم جزاء على توسّلهم بمحمّد (ص) وآله (ع) واعتقادهم لتفضيلهم [وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً] خطاب الجمع للحاضرين مع انّ القتل كان من واحد اواثنين من الماضين لوجود القتل فيهم ولتعيير الكلّ بوقوع مثل ذلك الامر الشّنيع فيهم ولانّ القاتل كان منهم ولانّ الحاضرين كانوا مشابهين للماضين ، وكان حقّ هذا ان يذكر مقدّماً على قوله و اذقال موسى لقومه الى آخر الآية لكنّه فكّك و قدّم ذلك و أخّر هذا لانّ المقام لبيان مساويهم وبيان المساوى فى ذلك كان أتّم ونوعها أكثرفانّ فيه ذكراً لانكارهم لموسى(ع) واستهزائهم بالامر بقياسهم الفاسد حيث قالوا :كيف يكون ملاقات عضو ميّت لميّت سبب الحيوة؟ والاستقصاء فى السّؤال

والتّواني في الامتثال والتّداني من ترك الامتثال [فَادّٰارَأْتُمْ فِيهٰا] تخاصمتم فانّ المخاصمة تستلزم المدافعة اوتدافعتم على حقيقته لانّ كلّادفع قتلها عن نفسه الى صاحبه [وَاللّٰهُ مُخْرِجٌ مٰا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ] من خبر القاتل وارادة تعجيز موسى والاستهزاء به وهي جملة حاليّة اومعطوفة على ادّارأتم اومعترضة واعمال مخرج لكونه حكاية حال ماضية متصوّرة بصورة الاستقبال بالنّسبة الى جملة فادّارأتم فيها [فَقُلْنٰا اضْرِبُوهُ] اى المقتول [بِبَعْضِهٰا] ببعض أعضاء البقرة فضربوه بذنبها روى أنّهم أخذوا قطعة وهي عجز الذّنب الّذي منه خلق ابن آدم وعليه يركب اذا أعيد خلقاً جديداً فضربوه بها وقالوا : اللّهمّ بجاه محمّد (ص) وعليّ(ع) وآله الطّيّبين لمّا أحييت هذا الميّت وأنطقته ليخبر عن قاتله فقام سالماً سويّاً وقال : يا نبيّ الله قتلني هذان ابنا عمّي حسداني على بنت عمّي فقتلاني وألقياني في محلّة هؤلاء ليأخذا ديتي فأخذ موسى(ع) الرّجلين فقتلهما. وروى انّ المقتول المنشور توسّل الى الله سبحانه بمحمّد(ص) وآله(ع) ان يبقيه في الدّنيا متمتّعاً بابنة عمّه ويجزي عنه أعداءه ويرزقه رزقاً كثيراً طيّباً؛ فوهب الله له سبعين سنةً بعد ان كان قد مضى عليه ستّون سنة قبل قتله صحيحةً حواسّه فيها قويّة شهواته فتمتّع بحلال الدّنيا وعاش معها لم يفارقها ولم تفارقه وماتا جميعاً معاً وصارا الى الجنّة وكانا فيها زوجين ناعمين [كَذٰلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتىٰ] اى قلنا اضربوه ببعضها فضربوه فحيّ فقلنا كذلك يحي الله الموتى فلا تستغربوا الحيوة بعد المماة اوقلنا اضربوه ببعضها قائلين بعد ضربه وحيوته كذلك يحي الله الموتى ، اوهومستأنف لبيان كيفيّة احياء الموتى في الرّجعة اوفي المعاد فانّهم كانوا مستغربين لاحياء الموتى ورجعتهم الى الدّنيا ، اواعادتهم في الاخرى وبعد حيوة الميّت صار المقام مقام السّؤال عن كيفيّة احياء الموتى كأنّهم قالوا : هل يحي الله الموتى مثل احياء هذا الميّت؟ـ فقال تعالى :كذلك يحيي الله الموتى [وَيُرِيكُمْ آيٰاتِهِ] عطف على يحي الله اى مثل اراءة هذه الآية العجيبه من احياء الميّت بالتقاء ميّت آخر يريكم سائر آياته النّفسانيّة العجيبة والخارجيّة الغريبة [لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] اى تدركون جواز المعاد والرّجعة ، اوتدركون صحّة نبوّة موسى(ع) وصحّة قوله في تفضيل محمّد(ص) وعليّ(ع) وآلهما(ع) اولعلّكم تصيرون عقلاء خارجين عن مقام الجهل الى مقام العقل [ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ] لاتلين بالرّحمة والخير [مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ] يعني ما جعلناه سبباً لرقّة قلوبكم صار سبباً لقسوته فانّ تعقيب القساوة لاراءة الآيات يشعر بسببيّتها لها ، وهذا ذمّ بليغ لهم لأنّه يشعر بأن خباثة طينتهم جعلت ما كان سبباً لهدايتهم و ادراكهم سبباً لقساوتهم و بلاهتهم [فَهِيَ كَالْحِجٰارَةِ] اى فصارت كالحجارة لكنّه عدل الى الاسميّة اشعاراً بتمكّنهم في القسوة اوفعلم أنّها كالحجارة فيكون عطفاً باعتبار لازم الحكم [أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً] بل أشدّ قسوة وقرء أشدّ بالفتح عطفاً على محلّ الحجارة [وَإِنَّ مِنَ الْحِجٰارَةِ لَمٰا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهٰارُ] عطف في موضع التّعليل اوحال كذلك [وَإِنَّ مِنْهٰا لَمٰا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمٰاءُ] الّذي هودون النّهر مثل العيون القليلة الماء [وَإِنَّ مِنْهٰا لَمٰا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ] بنهار فينحدر من أعلى الجبل الى أسفله انقياداً لأمرالله التّكوينيّ اويتناثر فيهبط من أطراف الاحجار الباقية في الجبل نيهبط انقياداً للامر التّكوينيّ ، واستعمال الخشية مجازٌ او محمولٌ على انّ كلّ الممكنات لها علم وشعور وشوق وخوف وخشية [وَمَا اللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ] توعيدٌ لهم ثمّ صرف

الخطاب عنهم بعد ما وبّخهم الى المؤمنين فقال [أَفَتَطْمَعُونَ] بعد ما سمعتم من أحوال أسلافهم الموافقين لهم فى الشّؤن [أَنْ يُؤْمِنُوا] اى هؤلاء الموجودون المشابهون لهم [لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ] اى من اسلافهم [يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ] فى اصل جبل طورٍ حين ذهابهم مع موسى (ع) لسماع كلام‌الله والشّهادة لبنى‌اسرائيل بسماع كلام‌الله تعالى اويسمعون كلام‌الله من‌التّوراة اوالانجيل اومن لسان الانبياء والاولياء اوالمراد افتطمعون ان يؤمن هؤلاء الموجودون لكم وقدكان فريق من هؤلاء يسمعون كلام‌الله من‌الكتاب النّازل عليكم ، اومن لسان محمّدٍ(ص)اومن التّوراة فى وصف محمّدٍ(ص)وعلىّ (ع)وطريقهما [ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ] التّحريف جعل الشّيىء فى طرفٍ من الحرف بمعنى‌الطّرف وتحريف الكلام جعله فى طرفٍ من موضعه الّذى وضع فيه و تحريف الكلم من بعد مواضعه بمعنى جعله فى طرف بعد وقوعه فى موضعه و يلزم تحريف الكلم تغييره ؛ ولذلك قد يفسّر به ، وتحريف كلام الله امّا بتغييرلفظه باسقاطٍ وزيادةٍ وتقديم وتأخيرحتّى يظنّ به غيرمعناه المقصود ، اوبتفسيره و تبيينه بغيرالمعنى المقصود منه حتّى يشتبه على من لا خبرة له [مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ] ادركوه بعقولهم [وَهُمْ يَعْلَمُونَ] انّهم يحرّفونه اوهم العلماء ومن شأن العالم وخصوصاً اذا عقل أمراً ان لا يحرّفه فهم أشدّ عذاباً من غيرهم حيث خالفوا مقتضى علمهم وتعقّلهم [وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا] عطف على يسمعون [قَالُوا آمَنَّا] اظهاراً للموافقة للمؤمنين‌كسلمان و مقدادٍ و غير هما من غير مواطاةٍ للقلب ولم يؤكّدوا كلامهم لعدم اقبال قلوبهم عليه ولاظهار أنّ ايمانهم لا ينبغى ان يشكّ فيه فلا ينبغى ان يؤكّد [وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا] اى قال بعضهم للآخرين [أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ] من صفات محمّدٍ (ص) و شريعته و موطنه و مهاجره و ذلك انّ قوماً من اليهود الّذين لم ينافقوا مع المسلمين كانوا اذا لقوا المسلمين أخبروهم بما فى التّوراة من صفة محمّدٍ (ص) و دينه وكان ذلك سبباً لغضب الآخرين المنافقين فقالوا فى الخلوة للمحدّثين : اتحدّثونهم بنعت محمّدٍ (ص) و وصيّه (ع) ودينه [لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ] ليحاجّ المسلمون بما أخبرتموهم ممّا فتح‌الله عليكم عند ربّكم‌فيقولوا عند ربّكم انّكم علمتم حقّيّة ديننا ونبيّنا وما آمنتم وعاندتمونا ، وقد زعم هؤلاء لحمقهم وسفاهتهم أنّهم ان لم يحدّثوهم بما عندهم من دلائل نبوّة محمّدٍ(ص)لم يكن لهم عليهم حجّة عند ربّهم ، واذا لم‌يكن لهم عليهم حجّة عند ربّهم لم يؤاخذهم‌الله ، وهذاكماترى قياس اقترانىّ فاسد صغراه وكبراه ، لا يتفّوه بمثله الّا السّفيه والصّبىّ [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] انّ فيما تخبرون حجّة عليكم وهذا خطاب من منافقى القوم للآخرين [أَوَلَا يَعْلَمُونَ] اى هؤلاء الّذين قالوا لاخوانهم : اتحدّثونهم [أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ] فما أظهروه ممّا فتح‌الله عليهم وما أسرّوه كان حجّة عليهم عنده سواء أظهروه اولم يظهروه ، وسواء حاجّهم المؤمنون اولم يحاجّوهم [وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ] عطف على قدكان فريق منهم يسمعون كأنّه قال : افتطمعون ان يؤمنوا لكم ومنهم علماء يسمعون كلام‌الله ثمّ يحرّفونه ، ومنهم امّيّون لايعلمون الحقّ من‌الباطل ولايدركون من الكتاب والشّريعة ابتداءً الّا الامانىّ الّتى يحرّف الكتاب علماؤهم بعد تعقّل المقصود اليها يعنى انّ فريقاً منهم يعرفون المقصود من الكتاب لكنّهم يحرّفونه الى ما اقتضته أنفسهم وفريقاً منهم لايعرفون من الكتاب

الّا ما يوافق أهويتهم ، والامّىّ هوالمنسوب الى الامّ بمعنى انّه لم يزد على نسبته الىالامّ شيئاً من الكمالات الكسبيّة من القراءة والكتابة ، وخصّص فىالعرف بمن لايقرأ ولا يكتب والمراد به ههنا من لم يزدد على مقام التّابعيّة للامّ وهو مقام الصّباوة واتّباع الشهوات والامانىّ شيئاً منالانسانيّة الّتى اقتضت التّميز بين الحقّ والباطل واختيار الحقّ ورفض الباطل ولذا فسّره بقوله [لَايَعْلَمُونَ الْكِتَابَ اِلَّا أَمَانِيَّ] والمراد بالكتاب مطلق أحكامالنّبوّة ، اومطلقالكتابالسّماوىّ ، اوشريعةموسى(ع) ، اوالتّوراة، اوأحكام شريعة محمّد(ص) ، اوالقرآن . **والامانىّ** جمع الامنيّة وهى مايتمنّى الانسان سواءكان ممكناً اومحالاً والمعنى افتطمعون ان يؤمنوا لكم ومنهم اميّون متّبعون للاهوية والآمال غير متّصفين بالانسانيّة ومقتضياتها من التّميز بين الحقّ والباطل والادراك للجهة الحقّانيّة من الاشياء والاحكام والكتب ، ومنزّلون للاحكام والكتب على ما يوافق أهويتهم وأمانيّهم ؛مثلاً لايعلمون من الصّلوة الّا ما يوافق آمالهم من حفظ الصّحة ورفع المرض وكثرة المال والجاه وحفظهما وغيرذلك منالامانىّ الكثيرة؛فانّ أمانىّ النّفوس غيرواقفةٍ على حدّ ، اومقدّرون انّ ظهورالاحكام والكتب منالانبياء ظهورآمالهم ووصولهم الى أمانيّهم منالتّبسّط فىالبلاد والتّسلّط علىالعباد والجاه والمال غير مدركين منها ظهور الامر الآلهىّ وبروز عبوديّة الانبياء ولا يدركون شيئاً من الحكم والمصالح المندرجة فيها ، فالتّقدير على المعنى الاوّل لايعلمون الكتاب الّا أمانىّ لهم ، وعلى المعنى الثّانى لايعلمون الكتاب الّا أمانىّ للانبياء **ويحتمل** ان يكون المعنى لايدركونالكتاب الّا أمانىّ رؤسائهم الّتى يحرّفون الكلم اليها ويبيّنون بهاكما مضى فى بيان الامّىّ ، **ويمكن** ان يراد معنىً اعمّ منها اى لا يعلمون الكتاب الّا أمانىّ للانبياء ولهم ولرؤسائهم ، ومن لايدرك من الحقّ الّا الباطل لايذعن للحقّ بما هو حقّ فلا يؤمن هؤلاء علماؤهم وجهّالهم لكم من حيث انتم علىالحقّ فعلم من هذا البيان انّ الاستثناء متّصل مفرّغ وليس منقطعاً كما ظنّه بعض العامّة وقلّده على ذلك بعض الخاصّة رضوانالله عليهم ، ولمّا توهّم من النّفى والاثبات ثبوت العلم متعلّقاً بالامانىّ لهم حصرتعالى ادراكهم حصر افراد فى الظّنّ فقال تعالى : [وَاِنْ هُمْ اِلَّا يَظُنُّونَ] ولاعلم لهماصلاً ولعلّك تفطّنت بوجه حصرادراكهم فى الظّنّ ممّا أسلفنا من انّ ادراك النّفوس لجواز تخلّف المدرك عنالادراك شأنه شأن الظّنّ فقط .

نقل انّه قال رجل للصّادق(ع): فاذاكان هؤلاء العوامّ من اليهود لايعرفون الكتاب الّا بما يسمعونه من علمائهم لاسبيل لهم الى غيره فكيف ذمّهم بتقليدهم والقبول من علمائهم وهل عوام اليهود الّاكعوا منا يقلّدون علماءهم فان لم يجزلاولئك القبول من علمائهم لم يجز لهؤلاء القبول من علمائهم ؟ـ فقال(ع): بين عوامنا وعلمائنا وبين عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهةٍ وتسوية من جهةٍ ، امّا من حيث استووا فانّالله قد ذمّ عوامنا بتقليدهم علماءهم كما قدذمّ عوامهم، وامّا منحيث افترقوا فلا، قال:بيّنلى ذلك ياابن رسولالله(ص)، قال(ع) : انّ عوام اليهودكانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصّراح وبأكل الحرام والرّشا ، وبتغيير الاحكام عن وجهها بالشفاعات والعنايات والمصانعات ، وعرفوهم بالتّعصّب الّشديد الّذى يفارقون به أديانهم ، وأنّهم اذا تعصّبوا أزالوا حقوق من تعصّبوا عليه و أعطوا ما لا يستحقّه من تعصّبوا له من أموال غيرهم وظلموهم من أجلهم ، وعرفوهم يقارفون المحرّمات واضطرّوا بمعارف قلوبهم الى انّ من فعل مايفعلونه فهوفاسق لايجوزان يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله فلذلك ذمّهم لما قلّدوا من قد عرفوا ومن قد علموا انّه لايجوزقبول خبره ولاتصديقه فى حكايته ، ولا العمل بما يؤدّيه اليهم عمّن لم يشاهدوه ، ووجب عليهم النّظر

أنفسهم فى أمر رسول‌الله(ص) اذكانت دلائله أوضح من ان تخفى وأشهر من ان لاتظهرلهم ، وكذلك عوامّ أمّتنا اذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظّاهر والعصبيّة الشّديدة والتّكالب على حطام الدّنيا وحرامها ، واهلاك من يتعصّبون عليه وان كان لاصلاح أمره مستحقّاً ، والرّفق والبرّ والاحسان على من تعصّبوا له وان كان للاذلال والاهانة مستحقّاً ، فمن قلّد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الّذين ذمّهم الله بالتّقليد لفسقة فقهائهم ، فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على هواه مطيعاً لامر مولاه فللعوام ان يقلّدوه؛ وذلك لايكون الّا فى بعض فقهاء الشّيعة لاجميعهم فانّ من يركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامّة فلا تقبلوا منهم عنّا شيئاً ولاكرامة لهم .

[فَوَيْلٌ] تفريعٌ على قوله يسمعون كلام الله ثمّ يحرّفونه يعنى انّ الّذين يسمعون كلام الله ثمّ يحرّفونه يكتبون الكتاب بأيدى أنفسهم اى بأيدٍ منسوبةٍ الى أنفسهم لا الى الله ولا الى أمرالله فويلٌ [لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ] اوتفريع على مجموع سماع كلام الله وتحريفه وعدم ادراك جهةٍ حقّانيّةٍ من‌الكتاب وانحصار ادراكهم فى‌الجهة الباطلة يعنى انّ‌الّذين لايعلمون من‌الكتاب الّا الجهة الموافقة لآمالهم لايكتبون الكتاب على‌الصّحائف الجسمانيّة الّا بأيديهم المسخّرة لانفسهم ، اولايكتبون‌الكتاب على صحائف أذهانهم الّا بأيدٍ مسخّرةٍ لأنفسهم الامّارة بالسّوء لا بأيدٍ منسوبةٍ الى الله ، اوالى أمرالله فويلٌ للّذين يكتبون الكتاب بأيدى أنفسهم من دون مدخليّةٍ لله ولأمرالله فيه [ثُمَّ يَقُولُونَ] افتراءً ظاهراً [هٰذَا] المكتوب بأيدينا المسخّرة تحت الانفس المسخّرة للشّيطان [مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ] وليس من عندالله بل هو من عند الشّيطان فانّه جرى أوّلاً منه على الأنفس المحكومة له ثمّ منها على الأوهام ثمّ على الألسن اوالأيدى فهو من عند الشّيطان وهم يفترون بان يقولوا : هذا من عندالله [لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً] من الاعراض الدّنيويّة والاعراض الاعتباريّة والاغراض النّفسانيّة من‌التّبسّط والجاه والتّحبّب وغيرها [فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ] من الالفاظ والنّقوش الملقاة من الشّيطان على صدورهم فانّها أسباب تمكّن الشّيطان منهم [وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ] من الثّمن القليل فانّه أشدّ حرمة من كلّ حرامٍ لانّهم توسّلوا بآلات الدّين الى الاغراض النّفسانيّة وجعلوا آلة الدّين شركاً للدّنيا ، وصاروا أضرّ على ضعفاء العقول والدّين من جيش يزيد على أصحاب الحسين(ع) [وَقَالُوا] عطف على قدكان فريق [لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً] يعنى افتطمعون ان يؤمنوا لكم والحال أنّهم قائلون بأنّ النّارلن تمسّنا الّا ايّاماً معدودة ليتمكّنوا من‌آمالهم وانتم داعون لهم الى ترك الشّهوات ورفض الآمال [قُلْ] يا محمّد(ص) لهم : انّ هذا القول لا يكون الّا عن مشاهدة النّار وأصحابها وأنّهم ما مسّتهم النّار الّا ايّاماً ، ولستم أهل المشاهدة ، اوعن عهدٍ من الله وصل اليكم بلاواسطةٍ ، اوبواسطة الانبياء، اوعن افتراءٍ على‌الله تعالى فسلهم [أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللّٰهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللّٰهُ عَهْدَهُ] يعنى ان اتّخذتم عهداً فلن يخلف الله عهده اوالمعنى فسلهم الن يخلف الله عهده [أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] لكن ليس لكم عهد عندالله ولستم مدّعيه فبقى انّكم تفترون على‌الله وتستحقّون به شدّة العذاب فضلاً عن دوامه [بَلَىٰ] جواب عن ادّعائهم انّ العذاب ليس بدائم [مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً] اصله سيوء على وزن فيعل والتّاء

للنّقل مثل تاء الحسنة ، وسيّئة الانسان مالايلائم انسانيّته سواءكان ملائماً لنفسه وحيوانيّته ام لا ، وأتى بالكسب المشير الى بقاء السّيئة دون الاتيان والفعل والعمل الدّالة على حدوثها للاشارة الى انّ المستلزم لدخول النّار والخلود فيها هو الاثر الحاصل فى النّفس من فعل السّيئة لاالحركات والافعال الغير القارّة زمانين [وَ اَحاطَتْ بِهِ خَطيئَتُهُ] و لمّاكان كسب السّيّئة والاثر الباقى منها فى النّفس غيركافٍ فى استلزام الخلود ما لم يسدّ طرق الخروج الى الجنان بتمامها أضاف اليه احاطة الخطيئة والخطيئة الاثم عدل الى الاسم الظّاهر لاقتضاء مقام الوعيد التّطويل وتكرار لفظ القبيح والاتيان بالالفاظ العديدة القبيحة [فَاُولٰئِكَ اَصْحابُ النّارِ] مصاحبين مجانسين لها ولم يكتف بالصّحابة المشعرة بالسّنخيّة المشيرة الى الخلود وصرّح بالخلود مؤكّداً للتّطويل والتّشديد فقال تعالى : [هُمْ فيها خالِدُونَ] لمّاكان المقام ههنا مقتضياً للاهتمام بالوعيد للرّدّ على المغرورين بانكار الخلود قدّم الوعيد وأتى بلفظ من المشتركة بين الشّرطيّة والموصولة وأتى فى الخبر بالفاء المؤكّدة للتّلازم وأتى فى الوعد بصريح الموصول ولم يأت بالفاء فى الخبر بخلاف ماسبق من قوله تعالى: فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون · والّذين كفروا و كذّبوا بآياتنا اولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون ؛ فانّ المقام هناك يقتضى الاهتمام بالوعد دون الوعيد [وَالَّذينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ] قد مضى بيانٌ للايمان والعمل الصّالح [اُولٰئِكَ اَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فيها خالِدُونَ وَ] اذكروا يا بنى اسرائيل او يا امّة محمّد (ص) اوالخطاب عامّ لمن يتأتّى منه الخطاب اوذكّر يا محمّد (ص) بنى اسرائيل اوأمّتك اومطلق الخلق [اِذْأَخَذْنا ميثاقَ بَنى اِسْرائيلَ] على أيدى أنبيائهم فى ضمن البيعة العمّة اوالخاصّة ، وقد سبق انّه كلّما ذكرعهد وعقد وميثاق فالمراد هوالّذى يكون فى ضمن البيعة [لا تَعْبُدُونَ اِلَّا اللّهَ] **امثال هذه العبارة تستعمل على ثلاثة أوجهٍ** بعد ذكر أخذ الميثاق؛ **الاوّل** ـ ان تكون على صورة الاخبار ايجاباً اونفياً . **والثّانى** ـ ان تكون على صورة الانشاء امراً اونهياً . **والثّالث** ـ ان يكون الفعل عقيب لفظ ان وقد قرء ههنا بالوجوه الثّلاثة فان كان على صورة الاخبارفامّا ان يكون بمعنى الانشاء بتقدير القول اى أخذنا ميثاق بنى اسرائيل قائلين : لاتعبدوا ، ويؤيّد هذا الوجه عطف قولوا ، واقيموا ، وآتوا ؛ عليه ، وامّا بمعنى الاخبار بتقدير ان المصدريّة والمعنى أخذنا ميثاقهم على ان لا يعبدوا ، او لان لايعبدوا ؛ أو يكون بدلاً من الميثاق ولا اشكال على قراءة لايعبدون بالياء ، وامّا على قراءة لاتعبدون بالتّاء فهو على حكاية الحكاية الماضية من غير تغييراوهوبمعنى الاخبار على الحاليّة والمعنى أخذنا ميثاقهم حالكونهم لايعبدون اوحالكوننا قائلين لهم لاتعبدون الّا اللّه [وَ] تحسنون [بِالْوالِدَيْنِ اِحْساناً] .

تحقيق الوالدين والنّسبة الروحانيّة

اعلم انّ الانسان ذومراتب كثيرةٍ وكلّ مرتبة منه ذات اجزاءٍ كثيرةٍ طوليّة وعرضيّةٍ ، ولكلّ مرتبة منه سبب ومعدّ لوجودها غير السّبب والمعدّ لوجود الاخرى؛ فالمعدّ لوجود مرتبته الجسمانيّة هووالداه الجسمانيّان وكلّ من انتسب اليهما بتلك النّسبة كان مناسباً له ومناسبته تسمّى بالاخوّة ، والسّبب لوجود مرتبة صدره المنشرح بالكفر هو الشّيطان اومن يناسب الانسان من جنود الشّيطان الّذين هم اهل عالم الظّلمة والمنسوبون الى الجانّ ابى الجانّ ، ومرتبة نفسه القابلة المستعدّة لتصرّف الشّيطان وبتصرّف الشّيطان وتأثّر نفسه يفاض من الرّحمن قوّة مناسبة لتلك النّفس ، والشّيطان وكلّ

من يناسبه من هذه الجهة فهواخ له ، وسبب وجود مرتبة صدره المنشرح بالاسلام هو الملك ومرتبة نفسه القابلة المستعدّه لذلك ، وبتصرّف الملك وتأثّر نفسه يفاض من الله قوّة مناسبة لتلك النّفس هذا بحسب التّكوين وامّا بحسب التّكليف فأبوا مرتبة صدره المنشرح بالكفر هما اللّذان يبايعان البيعة العامّة معه من غير اذن واجازة لكنّ الانسان فى تلك المرتبة بتلك النّسبة ولد لغية ومنفيّ النّسبة كما انّه بحسب التّكوين فى مرتبته الجسمانيّة ايضاً كذلك ، وأبوا مرتبة صدره المنشرح بالاسلام هما اللّذان يبايعان معه البيعة العامّة بالاذن والاجازة من الله اومن خلفائه ، وكلّ من يناسبه من جهة تلك النّسبة فهو أخ له ، وسبب وجود مرتبة قلبه جبرئيل العقل ومريم النّفس المنشرحة بالاسلام ، وبنفخ جبرئيل العقل فى جيب مريم النّفس ينعقد عيسى القلب ويتولّد من ساعته ويتكلّم فى المهد صبيّاً ؛ هذا بحسب التّكوين ، وأمّا بحسب التّكليف فأبوا مرتبة قلبه هما اللّذان يبايعان معه البيعة الخاصّة الولويّة والمناسب للانسان من جهة تلك النسبة أخ له ، وهكذا المراتب الاُخَرمنه ، ونسبة كلّ نسبة الى ما فوقها كنسبة الجسم الى الرّوح واللّغية الرّوحانيّة كاللّغية الجسمانيّة منفيّة النسبة ومنفيّة الحكم وقد يعتبر النّسبة الفاسدة ويطلق الابوّة عليها بحسب اصل النّسبة لاصحّتها كما اعتبر النّسبة فى قوله تعالى : وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علمٌ وفسّر الأبوان المجاهدان فيه بالشّيطان والنّفس على طريقة الاستخدام فى ضمير جاهداك، ولمّا كان اطلاق الابوّة والبنوّه باعتبار تلك النّسبة فكلّما كانت النّسبة اقوى كان اطلاقهما عليها اولى، وتبادر النّسبة الجسمانيّة من اطلاقهما؛ لكونهما مدركة مشاهدة لكلّ احد بحسب العلائم والمقارنات لا لاولويّة اطلاقهما عليها ، ولعدم اعتبار النّسبة الفاسدة فى الشّريعة المطهّرة كان اطلاق الوالدين والابوين فى لسان الشّارع منصرفاً الى من كان نسبته صحيحة لا فاسدة فلا يدخل الوالدان الفاسدان النّسبة تحت الامر بالاحسان ، **والولادة الجسمانيّة** عبارة عن انفصال مادّة الولد عن الوالد لا انفصال صورته عن صورته ، **والولادة الرّوحانيّة** عبارة عن تنزّل صورة الوالد وظهورها بصورة الولد وتقيّدها وتعيّنها بتعيّنات المرتبة النّازلة عن مرتبتها كالشّمس المنعكسة فى المرايا العديدة الّتى لا تخلّ كثرتها فى وحدة الشّمس ، فالولد الرّوحانىّ هو الوالد والوالد هو الولد لكن فى المرتبة النّازلة فلو ارتفع التّعيّنات النّازلة لم يبق الّا الوالد الواحد ونعم ماقال المولوى قدّس سرّه فى بيان هذه النّسبة وذلك الاتّحاد :

جان حيوانى ندارد اتّحاد	تو مجو اين اتّحاد از جان باد
جان گرگان وسگان از هم جداست	متّحد جانهاى شيران خداست
همچو آن يک نور خورشيد سما	صد بود نسبت بصحن خانه ها
ليک يک باشد همه انوار شان	چونکه برگيرى تو ديوار از ميان
چون نماند خانه ها را قاعده	مؤمنان مانند نفس واحده

وعلى هذا فالاخوّة ههنا تنتهى الى الاتّحاد فى الصّورة وان كان المادّة متعدّدة بخلاف الاخوّة الجسمانيّة فانّها لا اتّحاد فيها لا فى الصّورة ولا فى المادّة بل الوحدة فيمن ينفصل عنه المادّة ومن ههنا يعلم وجه شدّة حرمة غيبة المؤمن بحيث نقل انّه اشدّ من سبعين زنية مع الامّ تحت الكعبة ، وكذا شدّة حرمة ذكره بسوء فى حضوره وغيبته ، وشدّة حرمة الاهانة والاستهزاء به فانّ الكلّ راجع الى والده ، ويعلم ايضاً وجه المبالغة فى الدّعاء للاخوان بظهر الغيب ، والسّعى فى حاجاتهم وقضائها ، والمواساة معهم ، ووجه قوله : من زار أخاه المؤمن فى بيته من غير عوض ولا غرض فكأنّما زار الله فى عرشه ؛ فانّ زيارة المؤمن زيارة الله لكن فى المرتبة النّازلة ، ووجه قوله : اذا تصافح المؤمنان يتحاطّ الذّنوب عنهما كما يتحاطّ الورق عن الشّجر ،

وقوله : اذا تصافح المؤمنان كان يدالله بين أيديهما اوفوق أيديهما ، اوينظر الله اليهما بالرّحمة ، فانّ تصافحهما سببٌ لقوّة ظهوروالدهما فيهما وبقدرظهورالوالد يكون انمحاء الذّنوب من الولد ويظهرمن ذلك سرّالاهتمام باحسان الوالدين الرّوحانيّين بحيث جعلهالله تعالى قريناً بتوحيده حيثما ذكرففي سورة النّساء واعبدواالله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احساناً ، وفي سورةالانعام: قل تعالوا أتل ماحرّم ربّكم عليكم الّا تشركوا به شيئاً و بالوالدين احسانا ، وفي سورة بني اسرائيل : و قضى ربّك الّا تعبدوا الّا ايّاه و بالوالدين احسانا ، والوالدان الجسمانيّان بمظهر يّتهما و مناسبتهما للوالدين الرّوحانيّين وكثرة حقوقهما وشفقتهما على الاولاد وتحمّلهما للزّحمات الشّاقّة مثل الرّوحانيّين في التّعظيم والاشفاق والاحسان ، **ويعلم أيضاً** أنّ الاحسان الى الوالدين الرّوحانيّين احسان الى نفسه ، وانّ الطّاعات كلّما كانت أتمّ وأكثر كان الاحسان الى الوالدين أتمّ وأكثر ؛ فانّ الطّاعات احسان الى ذاته الّتي هي ظهوروالده ؛ وكلّما كان سبباً لشدّة ظهورالوالد في الولد كان احساناً الى الوالد لانّه يفيد سعة الوالد بحسب المظاهر .

ويستفاد ممّا ذكر وجه كون النّبيّ(ص) أولى بالمؤمنين من أنفسهم وكونه(ص) مع عليّ(ع) أبوين لهذه الامّة بحسب مرتبة الصّدر والقلب ، وأمّا بحسب الجسد فانّه ان كان بما هو هو منفصلاً عن الغير غير اولى به وغبراب له فهو بما هو مستنير بنور الصّدروالقلب محكوم بحكمهما واولى بالمؤمنين من أنفسهم وأبٌ لهم ، ولذلك صارت أزواجه الّلاتي هنّ ازواج مرتبة بدنه أمّهاتهم وبتلك الاستنارة والمحكوميّة سرى بجسده الى عالم الارواح ، وكان يبصر من خلفه كما كان يبصر ببصره ، ولم يكن له ظلّ ، ولو لم يكن هذه المحكوميّة والمغلوبيّة لم يظهر على جسده حكم الرّوح روى عن رسول الله (ص) انّه قال : افضل والديكم وأحقّهما لشكركم محمّد(ص) وعليّ(ع) ، وقال عليّ بن ابيطالب (ع) سمعت رسول الله(ص) يقول : انا وعليّ أبوا هذه الامّة ولحقّنا عليهم أعظم من حقّ أبوى ولادتهم ، فانّا ننقذهم ان اطاعونا من النّار الى دارالقرار ، ونلحقهم من العبوديّة بخيار الاحرار ، والاحسان اليهما والى سائر من أمرالله باحسانهم أمّا بحسن صحابتهم والتّواضع لهم واظهارالرّحمة عليهم ، اوبالخدمة لهم والسّعي في حاجاتهم وقضائها ودفع الاذى عنهم ، اوبالسؤال عن الله والدّعاء لهم ، اوبحفظهم في عرضهم وعيالاتهم واموالهم في غيابهم .

[وَذِي الْقُرْبٰى] اى لهما اولكم ويظهر ممّا مرّ أنّه لااختلاف بينهما وانّه لااختصاص لذى القربى بالمرتبة الجسمانيّة بل يعمّها وغيرها من المراتب الرّوحانيّة ؛ قال رسول الله(ص) من رعى حقّ قرابات أبويه أعطى في الجنّة ألف ألف درجةٍ ، ومن رعى حقّ قربى محمّد (ص) وعليّ (ع) أوتي من فضائل الدّرجات وزيادة المثوبات على قدر زيادة فضل محمّدٍ(ص) وعليّ(ع) على أبوى نسبه [وَالْيَتَامٰى] اليتيم الجسمانيّ من فقد أباه ما لم يبلغ مبلغ الرّجال ، واليتيم الرّوحانيّ من فقد أباه الرّوحانيّ ولم يصل اليه سواء مات اوكان حيّاً لكن لم يصل اليتيم بعدُ اليه اووصل ثمّ انقطع عنه بالغيبة عنه و سواءٌ باع معه وصحّة الابوّة والبنوّة بينه وبينه حتّى صار من ذوى القربى اولم يبع ولم يصدق النّسبة لكن كان يستعدّ لوقوع النّسبة والبيعة **و في الخبر** بعد ذكراليتيم الجسمانيّ : وأشدّ من يتم هذا اليتيم من يتم[1] عن امامه لايقدرعلى الوصول اليه ولايدرى كيف حكمه فيمايبتلى به من شرائع دينه ، الافمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا فهذاالجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا

١ـ يتم كضرب وعلم يتم بالضم وتديفتح الياء مع تحريك الاوسط كثيراً ومع سكونه قليلاً .

يتيم فى حجره الا فمن هداه وأرشده وعلّمه.شريعتنا كان معنا فى الرّفيق الاعلى [وَالْمَسَاكِينِ] جمع المسكين وزن المفعيل من السّكون عن الحركة وهو مبالغة فى السّكون بحيث لم يبق له قوّة الحركة فهو أسوأ حالاً من الفقير لانّه المحتاج الّذى يمكنه الحركة فى رفع حاجاته اوهو أعمّ من المسكين والمراد مساكين المؤمنين كاليتامى اوأعمّ منهم ؛ومسكنة الفقر معلومة ، **واما مسكنة الايمان والعلم** فهى عبارة عن سكون رجل النّفس عن السّير فى اراضى الآيات والاخبار وسير الاخيار ، وسكون بصرها عن ادراك دقائق الامور ، ولسانها عن الاحتجاج على أعدائه ، ويدها عن البطش على الاعداء ، **ونقل أنّه** من واساهم بحواشى ماله وسّع الله عليه جنانه وأناله غفرانه ورضوانه ، ثمّ قال : انّ من محبّى محمّدٍ (ص) مساكين مواساتهم أفضل من مواساة مساكين الفقر ؛ وهم الّذين سكنت جوارحهم وضعفت عن مقابلة أعداء الله الّذين يعيّرونهم بدينهم ويسفّهون أحلامهم، الا فمن قوّاهم بفقهه وعلمه حتّى أزال مسكنتهم ثمّ سلّطهم على الاعداء الظّاهرين من النواصب وعلى الاعداء الباطنين ابليس و مردته حتّى يهزموهم عن دين الله و يذودوهم عن اولياء آل رسول الله (ص) حوّل الله تلك المسكنة الى شياطينهم وأعجزهم عن إضلالهم وقضى الله بذلك قضاءً حقّاً على لسان رسول الله (ص) [وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً] قرىء بالضمّ وبالتّحريك والمعنى واحدٌ فانّ اظهار حسن القول واظهار القول الحسن واحد والمراد بالنّاس جملة الاناسىّ قريبهم و بعيدهم ويتيمهم ومسكينهم فهو أعمّ مطلقاً ممّا تقدّمه ، و بين القريب و اليتيم مثل المسكين عمومٌ من وجه و حسن القول أمر اضافىّ يختلف باختلاف الاشخاص و الاحوال والمقامات فانّ الصّدق حسن ما لم يكن فيه شين والّا كان قبيحاً والكذب حسناً ؛ فما يخاطب به الاطفال حسنه بوجه ان يناسب مقتضياته وبوجه ان يردعه عمّا يضرّه ، وما يخاطب به التّاجر والزّارع و سائر أرباب الحرف حسنه بوجه ان يناسب حرفهم ومذاقهم وبوجه ان يناسب انسانيّتهم لكن فى المقام والشّأن الّذى هم فيه ، وما يخاطب به أرباب الصّناعات العلميّة حسنه ان يناسب صناعاتهم ، وهكذا حال ارباب الحكم والمناصب ، وحسن القول مع السّالك المنجذب الّذى يخاف فوت سلوكه ان يخاطب بما يشغله بالسّلوك ، ومع السّالك الواقف ان يخاطب بما يهيّجه الى الانجذاب ، ولوخوطب الاطفال بخطاب العقلاء ، والجهّال بخطاب العلماء ، والحلّاج بخطاب الحدّاد ، اوبالعكس؛ كان قبيحاً ، روى عن الصّادق (ع) : قولوا للنّاس حسناً كلّهم مؤمنهم ومخالفهم ، امّا المؤمنون فيبسط لهم وجهه وبشره ، وامّا المخالفون فيكلّمهم بالمداراة لاجتذابهم الى الايمان فان ييأس من ذلك يكفّ شرورهم عن نفسه واخوانه المؤمنين ثمّ قال : انّ مداراة أعداء الله من أفضل صدقة المرء على نفسه و اخوانه ،كان رسول الله (ص) فى منزله أذن استأذن عليه عبدالله بن أبىّ بن أبى سلول فقال رسول الله (ص) : بئس أخو العشيرة ائذنوا له فلمّا دخل أجلسه و بشّر فى وجهه فلمّا خرج قالت عائشه : يارسول الله (ص) قلت فيه ما قلت وفعلت فيه من البشر ما فعلت ؟! فقال رسول الله (ص): يا عويش ياحميراء انّ شرّ النّاس عندالله يوم القيامة من يكرم اتّقاء شرّه [وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ] أخّر الامر باقامة الصّلوة لشدّة الاهتمام بالاحسان مع الخلق ارحاماً كانوا اوغير ارحام ، وقد مضى بيان لاقامة الصّلوة وقد فسّر فى الخبر اقامة الصّلوة باتمام ركوعها وسجودها وحفظ مواقيتها واداء حقوقها الّتى اذا لم تؤدّ لم يتقبّلها ربّ الخلائق وقال: اتدرون ما تلك الحقوق؟! هواتباعها بالصّلوة على محمّدٍ (ص) وعلىٍّ (ع) وآلهما منطوياً على الاعتقاد بأنّهم أفضل خيرة الله والقوّام بحقوق الله ، والنّصّار لدين الله تعالى ؛ قال(ع) : وأقيموا الصّلوة على محمّدٍ (ص) وآله (ع)

عند أحوال غضبكم ورضاكم وشدّتكم ورخاكم ، وهمومكم المعلّقة بقلوبكم [وَآتُوا الزَّكٰوةَ] قد مضى بيانه [ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ] لمّاكان أخذ الميثاق ههنا مستعقباً للصّفات الانسانيّة قال أخذنا ميثاق بنى اسرائيل الّذين هم بنوآدم حقيقةً وأتى بقوله : ثمّ تولّيتم المشعربصفة النّقص ، وبقوله اذ اخذنا ميثاقكم المستعقب لقوله ورفعنا فوقكم الطّور المشعربعدم الطّاعة والقبول منهم وبقوله الآتى : اذ أخذنا ميثاقكم المستعقب لقوله لا تسفكون دماءكم المشعر بشانيّة سفك الدّماء بخطاب الحاضرين اشعاراً بذمّهم و نقصهم بالنّسبة الى بنى اسرائيل [إِلّاٰ قَليلاً مِنْكُمْ وَاَنْتُمْ مُعْرِضُونَ] اى والحال انّ عادتكم الاعراض عن العهد اوهو حال مؤكّدة [وَ إِذْ أَخَذْنٰا ميثٰاقَكُمْ] اى ميثاق اسلافكم يا بنىاسرائيل على أيدى أنبيائهم وخلفاء أنبيائهم، اوميثاق أنفسكم على أيدى المتشبّهين بخلفاء الانبياء فانّ رسم البيعة لم يكن متروكاً بالكلّيّة فيهم ، فعلى هذا فهوتعريض بأمّة محمّد(ص) كما فىالاخبار من تفسيره بهم ، اوالخطاب لهم ابتداء ، والمعنى واذكروا يا أمّة محمّدٍ(ص) وقت البيعة مع محمّد(ص) واخذه ميثاقكم [لاٰتَسْفِكُونَ دِمٰاءَكُمْ] قد مضى بيان محلّ الجملة الواقعة بعد أخذ الميثاق [وَلاٰتُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ] بجعل قتل الغير و اخراجه قتلاً و اخراجاً لنفس الرّجل لاتّحاده معه فى المعاشرة اوالقرابة اوالدّين اوالموطن اولادّائه الى القصاص المفنى لنفس الرّجل والمكافاة المورثة لاخراج الغير له ، اوالمعنى لا ترتكبوا فعلاً يؤدّى الى قتل انفسكم واخراجها من ديارها ، اوالمعنى لاترتكبوا فعلاً يؤدّى الى قطع الحيوة الابديّة والاخراج من الدّيار الحقيقيّة الّتى هى الجنّة [مِنْ دِيٰارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ] بالميثاق [وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ] علىأنفسكم بذلك الميثاق وهذا الاقرار [ثُمَّ أَنْتُمْ] يا [هٰؤُلاٰءِ] الحمقى على ان يكون هؤلاء منادى وهذا أدلّ على ما هوالمقصود من اظهارحمقهم وسفاهتهم ، اوهومنصوب علىالاختصاص ، اوهومنصوب بفعل مضمرأعنى أعنى ، اوهوتأكيد لانتم اوهو خبرانتم [تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَريقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيٰارِهِمْ] غضباً عليهم [تَظٰاهَرُونَ عَلَيْهِمْ] تتعاونون على قتل المقتولين و اخراج المخرجين [بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوٰانِ] والحال انّكم مأمورون بالتّظاهر على البرّ والتّقوى ومنهيّون عن التّظاهر على الاثم والعدوان [وَإِنْ يَأْتُوكُمْ] اى المقتولون المخرجون [أُسٰارىٰ] جمع الاسرى جمع الاسير وقيل هو جمع الاسير ابتداء [تُفٰادُوهُمْ] يعنى ليسقتلكم واخراجكم لهم عنغيرةٍ دينيّةٍ وأمرٍ آلهىٍّ بل عن أهوية نفسانيّةٍ وأغراض فاسدة لأنّه انكان عن أمرٍ آلهىٍّ كنتم راضين به سواءكان ذلك منكم اومن غيركم والحال انّه اذا فعل ذلك غيركم وأسروهم تعصّبتم لهم وفد يتموهم بأموالكم [وَهُوَمُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرٰاجُهُمْ] هو ضميرالشّأن اومبتدءٌ راجع الى اخراجهم المذكور فى ضمن تخرجون واخراجهم بدل منه اوهومبتدءٌ مبهم مفسّرباخراجهم [اَفَتُؤْمِنُونَ] تذعنون [بِبَعْضِ الْكِتٰابِ] ببعض المكتوب عليكم اوببعض التّوراة اوببعض القرآن؛ على ان يكون الخطاب لمنافقى الامّة ، وذلك البعض هوفريضة المفاداة [وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ] وهو حرمة القتل والاخراج يعنى انّكم لاتكترثون بالكتاب وتتّبعون أهواءكم فما وافقها منه تتّبعونه

وما خالفها تتركونه [فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ] يا معاشر اليهود اويا امة محمدٍ(ص) [إِلَّاخِزْيٌ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يُرَدُّونَ] قرئ على الخطاب والغيبة باعتبارمنكم ومن يفعل [إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيٰوةَ الدُّنْيٰا بِالْآخِرَةِ] كأنّ الآخرة كانت مملوكة لهم وهي كذلك فباعوها وجعلوا مكانها الحيوة الدّنيا الّتي كانت عارية لهم والآخرة كانت دائمة والدّنيا داثرة ، والعاقل لايبيع الدّائم المملوك بالدّاثر المعار [فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ] لانّه لم يبق لهم مقام وموطنٌ في دارالرّاحة حتّى يستريحوا اليها [وَلَاهُمْ يُنْصَرُونَ] يعني لايخفّف عنهم العذاب بنفسه ولامن قبل الموكّلين عليه ولاينصرهم ناصر فيغلب على موكّلي العذاب ويدفع العذاب عنهم، **نسب الى رسول الله (ص)** أنّه (ص) قال لمّا نزلت الآية في اليهود اي الّذين نقضوا عهدالله وكذّبوا رسل الله وقتلوا أولياءالله: افلا أنبّئكم بمن يضاهيهم من يهود هذه الامّة ؟- قالوا : بلى يا رسول الله(ص) ، قال : قوم من امّتي ينتحلون أنّهم من اهل ملّتي يقتلون أفاضل ذرّيّتي وأطائب أرومتي ، ويبدّلون شريعتي وسنّتي ، ويقتلون ولديّ الحسن والحسين(ع) كماقتل أسلاف اليهود زكريّا ويحيى(ع) ، الاوانّ الله يلعنهم ويبعث على بقاياذراريهم قبل يوم القيامة هادياً مهديّاً من ولد الحسين(ع) المظلوم يحرقهم بسيوف أوليائه الى نارجهنّم [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ] فلا غروفي ايتاء محمّدٍ (ص) الكتاب والمراد بالكتاب النّبوّة اوالرّسالة والتّوراة صورتها [وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ] بعثنا رسولاً على قفاء رسولٍ [وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ] يعني بعثناه بعدالكلّ وأعطيناه المعجزات الواضحات كاحياء الموتى و إبراء الاكمه والابرص و حيوة الطّين بنفخة و الاخبار بالمغيبات او الاحكام الواضحات المحكمات اوالاحكام القالبيّة اواحكام النّبوّة فانّ البيّنة قد تطلق على المعجزة ، وقد تطلق على المحكم مقابل المتشابه ، وقد تطلق على احكام القالب مقابل احكام القلب ، وقد تطلق على الرّسالة وأحكامها والنّبوّة وأحكامها مقابل الولاية وآثارها ، وقد تطلق مقابل الزّبر على حروف اسم كلّ حرفٍ ؛ فيقال : بيّنة العين العين والياء والنّون ؛ وزبرها الملفوظ من العين ، اوعلى غيراوّل حروف الاسم كالياء والنون [وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ] الرّوح تطلق على الرّوح الحيوانيّة الّتي تنبعث عن القلب وعلى الرّوح النّفسانيّة الّتي تنبعث عن الدّماغ الى الاعصاب ، وعلى القوّة المحرّكة الحيوانيّة ، وعلى القوّة الشّهويّة ، وعلى القوّة الغضبيّة ، وعلى اللّطيفة الايمانيّة ، وعلى الرّوح المجرّدة عن المادّة وعن التّعلّق بها ، وعن التّقدّر وهي الّتي تسمّى بروح القدس ، وهي الّتي ذكر في الاخبار أنّه أعظم من جبرائيل وميكائيل ولم تكن مع أحدٍ من الانبياء وكانت مع محمّدٍ(ص) وكانت مع الائمّة(ع) وسمّاها الفهلويّون من أهل الفرس بربّ النّوع الانسانيّ وقالوا : انّه أعظم من جميع الملائكة والكلّ مسخّرله ، وتطلق الرّوح على جملة المجرّدات **وفي الخبر:** يامفضّل انّ الله تبارك وتعالى جعل في النّبيّ خمسة أرواحٍ روح الحيوة ؛ فبه دبّ ودرج ، وروح القوّة ؛ فبه نهض وجاهد ، وروح الشّهوة ؛ فبه أكل وشرب واتى النّساء من الحلال ، وروح الايمان فبه آمن وعدل ، وروح القدس لاينام ولا يغفل ولا يلهو ولايزهو [أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ] يعني بعثنا الرّسل بعضهم على قفاءِ بعضٍ فاستكبرتم وكذّبتم فريقاً وقتلتم فريقاً الا ترعوون عمّا فعلتم سابقاً من الشّنائع فكلّما جاءكم [رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ] من فعل الطّاعات

و ترك الشّهوات [اسْتَكْبَرْتُمْ] عن الانقياد للرّسول واتّباعه بعد ذلك مثل مافعلتم سابقاً [فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ] اى تكذّبون وأتى بالماضى لفظاً للدّلالة على تحقّقه كأنّه وقع والّا فهو مستقبل معنىً [وَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ] اتى هنا بالمضارع لكونه الاصل ولمراعاة رؤس الاى؛ والمقصود توبيخهم على شيمتهم الذّميمة وتقريعهم على الماضى وردعهم فى الأتى؛ **عن الباقر(ع)** أنّه قال: ضرب الله مثلاً لامّة محمّدٍ(ص) فقال لهم: فان جاءكم محمّد(ص) بما لاتهوى أنفسكم بموالاة علىٍّ(ع) استكبرتم ففريقاً من آل محمّد(ص) كذّبتم وفريقاً تقتلون قال: فذلك تفسيرها فى الباطن [وَقَالُوا] التفات من الخطاب الى الغيبة تبعيداً لهم عن ساحة الخطاب وعطف باعتبار المعنى كأنّه قيل على مابيّن فى الخبر السّابق استكبروا عن محمّد(ص) وكذّبوه وقالوا فى مقام الاستهزاء والاستكبار [قُلُوبُنَا غُلْفٌ] جمع الاغلف اى قلوبنا فى غلافٍ وحجاب ممّا تدعونا اليه فهى فى اكنّةٍ لايصل اليها قولك ونصحك، اوجمع الغلاف و أصله غلف بالضّمّتين كما قرىء به فخفّف باسكان العين والمعنى قلوبنا أوعية للعلوم فلاحاجة لنا الى ما جئت به اوليس فى علومنا خبرمنك ولا اثر وفى تفسيرالامام(ع) بعد ذكر قراءة غلف بضمّتين واذا قرىء غلف فانّهم قالوا قلوبنا غلف فى غطاءٍ فلانفهم كلامك وحديثك نحو ماقال الله تعالى: وقالواقلوبنا فى اكنّةٍ ممّاتدعونااليه وفى آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب، وكلتا القراءتين حقّ وقدقالوا بهذا وبهذا جميعاً فردّ الله عليهم وقال: ليس الامر كما يقولون [بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ] بمحمّد(ص) ولذا لايتأثّرون ولايدركون مايصدّق محمّداً(ص) [فَقَلِيلاً مَا] لفظ ما زائدٌ او صفةٌ لقليلاً لتأكيد القلّة وقليلاً صفة مصدرٍ محذوفٍ اى ايماناً قليلاً اىّ قليلٍ [يُؤْمِنُونَ وَ لَمَّا جَاءَهُمْ] اى اليهود وهو عطف على قالوا قلوبنا غلف [كِتَابٌ] القرآن [مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ] من التّوراة الّتى فيها نعت محمّد(ص) و علىٍّ(ع) وآلهما ومبعثه و مهاجره [وَ كَانُوا] اى هؤلاء اليهود [مِنْ قَبْلُ] اى قبل ظهور محمّدٍ(ص) بالرّسالة [يَسْتَفْتِحُونَ] بمحمّدٍ(ص) وعلىٍّ(ع) وآلهما [عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا] بمحمّدٍ(ص) اوبنبوّة الانبياء او بنبوّة موسى (ع) ودينه وكانوا يظفّرون على اعدائهم الكفرة بالاستفتاح والاستنصار بهم، وقصص استفتاحهم مسطورة فى المطوّلات مثل الصّافى وغيره [فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا] تأكيد للاوّل وزيادة الفاء فى التّأكيد مبالغة وتأكيد فى التّأكيد والمراد بما عرفوا امّا القرآن اومحمّد(ص) وعلىّ(ع) ونعوتهما، ولاينافى التّأكيد هذه المخالفة فانّ مجيء الكتاب المصدّق فى قوّة مجيء صاحب الكتاب وقوله تعالى [كَفَرُوا بِهِ] جواب لمّا الاولى، اوجواب لمّا الاولى محذوف بقرينة جواب لمّا الثّانية اى لمّا جاءهم كتاب مصدّق لما معهم كذّبوه فلمّا جاءهم ما عرفوا من نعوت محمّدٍ(ص) وعلىٍّ(ع) وآلهما واصحابهما كفروا به، اولمّا الثّانية مع جوابها جواب لمّا الاولى وهذا على جواز اتيان الفاء فى جواب لمّا وقد منعه البصريّون وجوّزه الكوفيّون [فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ] تفريع على الكفر بما عرفوا انّه حقّ وأتى بالمظهر موضع المضمر للتّطويل والتّصريح بوصفهم القبيح الّذين يقتضيهما مقام السّخط وللاشعار بعلّة الحكم؛ **ونسب الى علىّ(ع)** انّه قال بعد ذكر استفتاح اليهود واستنصارهم على أعدائهم: فلمّا ظهر محمّد(ص) حسدوه اذكان من العرب وكذّبوه ثمّ قال رسول الله(ص) هذه نصرة الله لليهود على المشركين بذكرهم لمحمّد(ص) وآله الافا ذكروا يا أمّة

محمّدٍ محمّداً(ص)وآله عند نوائبكم وشدائدكم لينصرالله به ملائكتكم على الشّياطين الّذين يقصدونكم فانّ كلّ واحدٍمنكم معه ملكٌ عن يمينه يكتب حسناته وملكٌ عن يساره يكتب سيّئاته ومعه شيطانان من عند ابليس يغويانه فاذا وسوسا فى قلبه وذكرالله تعالى وقال: لاحول ولاقوّة الّابالله العليّ العظيم وصلّى الله على محمّدٍ(ص) خنس الشّيطانان واختفيا [بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ] لفظ ما نكرة موصوفة تميزٌ عن الفاعل المستتر و اشتروا صفته والتّقدير بئس هوشيئاً اشتروا به أنفسهم ، اولفظ ما معرفة ناقصة فاعل بئس واشتروا صلته وامّا ما يتراءى صحّته من كون ما نكرة تامّة اومعرفة تامّة واشتروا مستأنفاً فبعيد جدّاً ، اوالشرى يستعمل فى البيع والاشتراء والقياس يقتضى استعمال الاشتراء فى كليهما لكنّ الاغلب استعماله فى مقابل البيع فان كان المراد به ههنا معنى البيع فلا اشكال لأنّ بيعهم أنفسهم بالكفر واشتراء الشّيطان لها فى مقابل بيعهم أنفسهم بالجنّة واشتراء الله لها ولأموالهم بأنّ لهم الجنّة ، وان كان المراد به معنى الاشتراء فالمقصود أنّهم اشتروا الانانيّة الّتى هى بالاصالة حقّ الشّيطان باللّطيفة الآلهيّة على ان يكون الباء فى به للسببيّة لا للبدليّة وما فى تفسير الامام(ع) يشعر بأنّه بمعنى البيع وانّ المخصوص بالذّمّ محذوف وهو قوله اشتروها بالهدايا والفضول الّتى تصل اليهم وكان الله أمرهم بشرائها من الله بطاعتهم له ليجعل لهم أنفسهم والانتفاع بها دائماً (الى آخره) [أَنْ يَكْفُرُوا] مخصوص بالذّمّ او تعليل و المخصوص محذوف كما يشعر به تفسير الامام (ع) اى بئس ما اشتروا به أنفسهم هداياهم وفضولهم الّتى تصل اليهم [بِمَا أَنْزَلَ اللهُ] بالّذى أنزل الله او بشيءٍ أنزل الله فى كتابهم من أمرمحمّدٍ(ص) وعليٍّ(ع)وآلهما اوبما أنزل الله من القرآن اومن قرآن فضل عليّ(ع) [بَغْياً] لبغيهم وعدم انقيادهم لمحمّدٍ(ص) خليفة الله اوباغين على محمّد(ص) [أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ] لان ينزّل الله او هو بدل من ما أنزل الله نحو بدل الاشتمال ، ويجوز ان يكون ما فى بما أنزل الله مصدريّة وان يكون أن ينزّل الله تعليلاً اوبدلاً منه [مِنْ فَضْلِهِ] بعضاً من فضله اوكتاباً من فضله [عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ] يعنى محمّداً(ص) واتى بالموصول وصلته اشعاراً بأنّ المكروه لهم حيثيّة مشيّة الله للمبالغة فى تهديدهم وذمّهم ، ولمّا كانت الآية تعريضاً بمنافقى الامّة وكراهتهم لما نزل فى خلافة عليّ(ع) صحّ تفسيرها كما فى الاخبار بان يقال بما أنزل الله فى عليّ(ع) بغياً على عليٍّ(ع) ان ينزّل الله من فضله على من يشاء يعنى عليّاً(ع) [فَبَاؤُا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ] هذه العبارة تستعمل لمحض التّكثير والمعنى باؤا بغضبٍ كثيرٍ متعاقبٍ متراكمٍ وقد تستعمل لبيان العدد يعنى باؤا الى الله اوباؤا عن حضور محمّد(ص) بغضبٍ من الله لكفرهم بمحمّدٍ(ص) على غضبٍ آخر من الله لكفرهم بعيسى(ع) ، اوفباؤا بغضبٍ من الله لكفرهم بما أنزل الله على محمّدٍ(ص) على غضبٍ لكفرهم بما أنزل الله على موسى(ع) فى نعت محمّدٍ(ص) ، اوفباؤا بغضبٍ منهم لما انزل الله على محمّد(ص) على غضبٍ منهم لما انزل الله على موسى (ع) فى وصف محمّدٍ (ص) هذا بحسب التّنزيل و التّصريح ، و امّا بحسب التّأويل والتّعريض فباء منافقوا أمّة محمّدٍ(ص) بغضب من الله اومنهم على غضب لكفرهم بمحمّد(ص) وعليٍّ(ع) [وَ لِلْكَافِرِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر للتّطويل المطلوب فى مقام الغضب وللتّصريح بوصف الذّمّ لهم وللاشعار بعلّة الحكم فى الآخرة [عَذَابٌ مُهِينٌ] مذلّ لامعزّ كبلاء الانبياء ، اوالمقصود تأكيد العذاب و المبالغة فيه [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ] عطف باعتبار المعنى كأنّه قيل: انّهم كفروا بما أنزل الله عليهم لان ينزّل الله،

على محمّد (ص) واذا قيل ، اوعطف على جملة باؤا بغضب ، اوحال عن فاعل ان يكفروا ، اوعن فاعل باؤا ، اوجملة مستأنفة على جواز مجيء الواو للاستيناف لابداء ذمّ آخروتسجيل سفاهتهم باتيان التّناقض فى دعواهم، وهذه العبارة كثيراً ما تستعمل فى مقام المدح والذّمّ منسلخة عن خصوص زمان الاستقبال مفيدة للاستمرار فى الماضى والحال والاستقبال كأنّه قيل : شيمتهم انّه كلّما قيل لهم [آمِنُوا بِمٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ] على محمّد (ص) من القرآن اوعلى الانبياء من الكتب السّماويّة والوحى الالٓهىّ كذّبوا صريحاً [وَقٰالُوا نُؤْمِنُ بِمٰا أُنْزِلَ عَلَيْنٰا] يعنى التّوراة [وَيَكْفُرُونَ بِمٰا وَرٰاءَهُ] ولوكانوا يؤمنون بالتّوراة لم يكفروا بالقرآن ولا بسائر الكتب لانّ فى التّوراة اثباتاً لحقّيّة القرآن وسائر الكتب السّماويّة [وَهُوَ الْحَقُّ] اى ماوراءه و هو القرآن حقّ ، ناسخ للتّوراة ولجميع الكتب الأُخر لاحقّ بعد نسخه للكتب سواه [مُصَدِّقاً لِمٰا مَعَهُمْ] من التّوراة [قُلْ] ردّاً لادّعائهم الباطل من الايمان بالتّوراة انكنتم مؤمنين بالتّوراة وفيها وجوب تعظيم الانبياء وحرمة قتلهم [فَلِمَ تَقْتُلُونَ اَنْبِيٰاءَاللّٰهِ] نسبة فعل الاسلاف الى الحاضرين والاتيان بالمستقبل مع التّقييد بالمضىّ للاشعار بمجانسة الحاضرين للماضين وأنّ قتل الانبياء كان سجيّة لهم قدروا عليه ام لم يقدروا [مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] بالتّوراة ومخالفتها تدلّ على عدم الايمان بها [وَ] قل [لَقَدْ جٰاءَكُمْ مُوسٰى بِالْبَيِّنٰاتِ] اى بالمعجزات الدّالّة على صدقه وحقّيّة نبوّته فلم تؤمنوا به [ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ] الٓهاً [مِنْ بَعْدِهِ] اى من بعد مجيء موسى (ع) بالبيّنات اومن بعد ذهابه الى جبل الطّور وهو دليلٌ على انّكم مفطورون على تكذيب الحقّ واتّباع الباطل [وَ أَنْتُمْ ظٰالِمُونَ] واضعون الباطل موضع الحقّ او ظالمون على انفسكم [وَإِذْ أَخَذْنٰا مِيثٰاقَكُمْ وَرَفَعْنٰا فَوْقَكُمُ الطُّورَ] قائلين على لسان موسى(ع) [خُذُوا مٰا آتَيْنٰاكُمْ بِقُوَّةٍ] من قلوبكم وأبدانكم قد مضت الآية فلا نعيد تفسيرها ، وكرّره لاقتضاء مقام الذّمّ تكرار الذّمائم والتّطويل بها [وَاسْمَعُوا] مايقال لكم من تفضيل محمّد(ص) وعلىّ(ع) على سائر الانبياء والاوصياء اومن أحكام التّوراة و اقبلوه [قٰالُوا] بعد ذلك [سَمِعْنٰا] ولم نقبل بل [عَصَيْنٰا] اوقالوا حين الخطاب سمعنا وأردنا العصيان اوعصينا بقلوبنا [وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ] ادخلوا باشرابهم الماء الّذى فيه برادة العجل فى قلوبهم اللّحمانيّة جرم العجل وفى قلوبهم الرّوحانيّة وبال عبادته ، وذلك أنّه لمّا نزل توبة العابدين للعجل بالقتل انكر بعض عبادة العجل ووشى بعضهم ببعضٍ فقال الله عزّ و جلّ ابرد هذا العجل الذّهب بالحديد برداً ثمّ ذرّه فى البحر فمن شرب من العابدين ماءه اسودّ شفتاه وأنفه انكان ابيض اللّون وابيضّا انكان اسود وبان ذنبه ، ففعل فبان العابدون وكانوا ستّمائة ألفٍ الّا اثنى عشر الفاً و هم الّذين لم يعبدوا العجل فأمرالله الاثنى عشر الفاً ان يخرجوا على الباقين شاهرين سيوفهم **وعن الباقر (ع) فى حديث:** فعمد موسى (ع) فبرد العجل من انفه الى طرف ذنبه ثمّ أحرقه بالنّار فذرّه فى اليمّ فكان أحدهم ليقع فى الماء وما به اليه من حاجة فيتعرّض لذلك الرّماد فيشربه وهو قول الله تعالى **وأشربوا فى قلوبهم العجل** وعلى الخبر الاوّل فالمعنى ادخلوا باشراب موسى (ع) لهم الماء المخلوط ببرادة العجل جرم العجل فى قلوبهم الجسمانيّة ووباله فى قلوبهم الرّوحانيّة . وعلى الثّانى أدخلوا

باشراب حبّ العجل لهم الماء المخلوط ببرادته جرم العجل فى قلوبهم **وقيل** : المعنى وأشربوا فى قلوبهم حبّ العجل [بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمٰا يَأْمُرُكُمْ بِهِ اِيمٰانُكُمْ] قتلكم لانبياءالله واتّخاذكم العجل الٰهاً اوكفركم بى [اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] بموسى(ع) والتوراة ، ولمّاكان زعم اليهود أنّ دينهم حقٌّ وما سوى دينهم باطلٌ وأنّهم اولياء الله دون غيرهم وانّ الدّار الآخرة خالصة لهم قال الله [قُلْ] يا محمّد(ص) لهم [اِنْ كٰانَتْ لَكُمُ الدّٰارُالْآخِرَةُ عِنْدَاللهِ خٰالِصَةً مِنْ دُونِ النّٰاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ اِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ] فى دعويكم فانّ من كان وليّاً لله يطلب ملاقاته و من كان متيقّناً بالآخرة و نعيمها يستعجل الوصول اليها نظيره قوله تعالى :قل ياايّها الّذين هادوا ان زعمتم أنّكم اولياء لله من دون النّاس فتمنّوا الموت ان كنتم صادقين **و فى تفسير الامام (ع)** قل ان كانت لكم الدّار الآخرة الجنّة و نعيمها خالصةً من دون النّاس محمّد (ص) وعلىّ(ع) والائمّة(ع) وسائرالاصحاب ومؤمنى الامّة وانّكم بمحمّد وذريّته ممتحنون وانّ دعاءكم مستجاب غيرمردود فتمنّوا الموت للكاذب منكم ومن مخالفيكم فانّ محمّداً(ص)وعليّاً(ع)وذرّيّتهما يقولون : انّهم اولياءالله من دون النّاس الّذين يخالفونهم فى دينهم وهم المجاب دعاءهم ان كنتم صادقين انّكم انتم المحقّون المجاب دعاءكم على مخالفيكم ثمّ قال لهم رسول الله (ص) بعد ما عرض هذا عليهم لايقولها أحد منكم الّا غصّ بريقه فمات مكانه فكانت اليهود علماء بأنّهم الكاذبون وانّ محمّداً (ص) وعليّاً (ع) و مصدّقيهما هم الصّادقون فلم يجسروا ان يدعوا بذلك فقال الله [وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ اَبَداً بِمٰا قَدَّمَتْ اَيْدِيهِمْ] من الرّشا على الاحكام والحكم لغير المستحقّ بالمصانعات والشّفاعات وتحريم المحلّلات وتحليل المحرّمات من الاموال والفروج والدّماء، وتحريف الكتاب والكفر بما يعرفونه [وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظّٰالِمِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر اظهاراً لوصفهم المذموم واشعاراً بأنّهم ظالمون فى جميع ماوقع منهم وفى دعويهم ما ليس لهم وهو تهديدٌ لهم [وَ لَتَجِدَنَّهُمْ اَحْرَصَ النّٰاسِ عَلٰى حَيٰوةٍ] حقيرة دانية لاينظر اليها حتّى تعرف ، وهذا دليل على أنّهم مقبلون على الدّنيا ومدبرون عن الآخرة ونعيمها فلايريدونها فكيف يتمنّونها [وَمِنَ الَّذِينَ اَشْرَكُوا] عطف على النّاس فانّه بتقدير من وتخصيص المشركين بعد النّاس لانّهم احرص من سائرالنّاس على الحيوة الدّنيا [يَوَدُّ اَحَدُهُمْ] كلّ واحد منهم فانّ الاضافة تفيد العموم البدلىّ [لَوْ يُعَمَّرُ] لو مصدريّة [اَلْفَ سَنَةٍ] غفلة عن الله وعن الآخرة ونعيمها واطمئناناً بالدّنيا ونعيمها ولبس هذا شأن أولياء الله ولا أصحاب الآخرة ونعيمها [وَ مٰا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذٰابِ اَنْ يُعَمَّرَ] هوراجع الى أحدهم وان يعمّر فاعل مزحزحه اوهو راجع الى التّعمير المستفاد من يعمّروفاعل مزحزحه راجع الى مرجع هوومفعوله راجع الى أحدهم وان يعمّر بدل منه ؛ اوهو ضمير مبهم كضمير الشّأن وان يعمّر تفسيره [وَاللهُ بَصِيرٌ بِمٰا يَعْمَلُونَ] تهديدٌ لهم على مخالفة أفعالهم لاقوالهم .

واعلم أنّه كان من أقوال اليهود انّ جبرئيل عدوٌّ لنا فانّه ملك موكّلٌ على القتل والشّدّة والحرب والجدب وأنّه أعان على خراب بيت المقدّس لانّه منع دانيال عن قتل بختنصّر وأعان على قتل بنى اسرائيل و خراب بيت المقدّس و قالوا لمحمّد (ص) على اختلافٍ فى الرّوايات : ان كان ميكائيل يأتيك نؤمن بك

وان كان جبرئيل يأتيك لا نؤمن بك فانّه عدوٌّ لنا فقال الله تعالى [قُلْ] يا محمّد(ص) لهم [مَنْ كانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ] فليعاد الله [فَإِنَّهُ] اى جبرئيل [نَزَّلَهُ] اى القرآن والاتيان بضمير الشّأن من غير سبق ذكر له صريحاً يدلّ على تفخيمه وأنّه غنيٌّ عن سبق ذكره لتعرفه بنفسه [عَلىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ] ومن يعاد الرّسول فقد عادى المرسل اومن كان عدوّاً لجبريل فليختنق ؛ فانّ جبرئيل نزّل القرآن المصدّق لكتابكم فى اثبات نبوّتى ونسخ دينكم على قلبى وأعاننى على ذلك باذن الله ، اومن كان عدوّاً لجبرئيل فلاوجه له فانّ جبرئيل نزّل القرآن المصدّق لكتابكم والمصحّح لدينكم على قلبى فيلزمكم المحبّة له لا العداوة فقوله فانّه نزّله على قلبك من قبيل اقامة السّبب مقام المسبّب ؛ وكان حقّ العبارة ان يقول : على قلبى لكنّه عدل الى حكاية قول الله كأنّه قال من كان عدوّاً لجبريل فانّ الله يقول انّه نزّله على قلبك ، اوالجزاء محذوف وقوله فانّ الله نزّله على قلبك من كلام الله لتعليل الأمر بالقول اولتعليل الجزاء المحذوف **و فى جبريل لغاتٌ عديدة قرئ** بثمانٍ منها جبرئيل كسلسبيل بفتح الجيم وكسرها ، و جبريل كقنديل بالفتح والكسر ، و جبرئل كجحمرش ، و جبرائيل كميكائيل بكسر الجيم وفتحه ، و جبرائل بالكسر والفتح ، وجبرال بالكسر والفتح وهكذا جبرعيل باللّغات المذكورة وقد يبدّل اللّام بالنّون و اسماء العجمة اذا عرّبت تغيّر تغييراً كثيراً [مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ] من كتب الله ومنها التّوراة [وَ هُدىً وَبُشْرىٰ] عدل الى المصدر للمبالغة [لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كانَ عَدُوّاً لِلّهِ] استينافٌ من الله اومن جملة ما أمره الله ان يقوله لهم **روى** أنّ المنافقين لمّا سمعوا ماقال النّبىّ(ص) فى علىٍّ(ع) من أنّ جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره واسرافيل من خلفه وملك الموت امامه والله تعالى من فوق عرشه ناظرٌ بالرّضوان اليه قال بعض النّصّاب : أنا أبرأ من الله و جبرئيل و ميكائيل والملائكة الّذين حالهم مع علىٍّ (ع) ماقاله محمّد(ص) فقال الله : من كان عدوّاً لله [وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكالَ] فليحذر من معاداة الله اوفليتهيّأ لمعاداة الله [فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر ايماءً الى أنّه كافر واظهاراً لوصفه المذموم واشعاراً بعلّة الحكم [وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ آياتٍ] معجزات اواحكام بحسب القالب والقلب اوآياتٍ من القرآن اوآياتٍ من آيات الانفس اوآيات الآفاق الظّاهرة فى نفسك [بَيِّناتٍ] واضحات دالّات على صدقك ورسالتك وامامة علىٍّ (ع) وصيّك **وفى تفسير الامام(ع)** : دالّاتٍ على صدقك فى نبوّتك مبيّناتٍ عن امامة علىٍّ (ع) اخيك ووصيّك وصفيّك ، موضحاتٍ عن كفر من شكّ فيك اوفى أخيك، وذكر الدّالات والمبيّنات والموضحات فى ذيل البيّنات ليس تفسيراً للبيّنات بل هى تفسيرٌ للآيات فانّ الآية بما هى آية مايدلّ على شيءٍ آخر ويوضحه اوهى تفسير للبيّنات [وَما يَكْفُرُ بِها إِلَّا الْفاسِقُونَ] **وقوله** ولقد أنزلنا اليك الى آخر الآية اشارة الى صغرى قياس من الشّكل الاوّل **وقوله** : و ما يكفر بها (الى آخرها) اشارة الى كبرى قياس آخر من الشّكل الاوّل ترتيبها هكذا : انت رسول من الله بالآيات ، وكلّ رسول معه آيات ، عدوّه كافرٌ به وبآياته من حيث رسالته فأنت عدوّك كافرٌ بك وبآياتك وكلّ كافر بك وبآياتك فاسق ، فأنت عدوّك فاسق والفسق الخروج عن طاعة العقل و هو الرّسول الدّاخلىّ وعن طاعة الرّسول و هو العقل الخارجىّ **و فى تفسير الامام(ع)** قال علىّ بن الحسين عليهما السّلام فى تفسير هذه الآية : وذلك أنّ رسول الله(ص) لمّا آمن به عبدالله بن سلام

بعد مسئلته الّتی سألها رسول الله(ص) وجوابه(ص) ايّاه عنها قال : يامحمّد بقيت واحدة وهی المسئلة الكبری والغرض الاقصی من الّذی يخلفك بعدك ويقضی ديونك وينجز عداتك ويؤدّی اماناتك ويوضح عن آياتك وبيّناتك؟- فقال رسول الله(ص): اولئك أصحابی قعود ، فامض اليهم فيدولك النّور السّاطع فی دائرة غرّة ولیّ عهدی و صفحة خدّيه وسينطق طومارك بأنّه هو الوصیّ و سيشهد جوارحك بذلك فصار عبدالله الی القوم فرأی عليّاً يسطع من وجهه نور يبهر نور الشّمس و نطق طوماره و أعضاء بدنه كلّه يقول : يا ابن سلام هذا علیّ بن ابی طالب(ع) المالیٔ جنان الله بمحبّيه ونيرانه بشانئيه ، الباثّ دين الله فی أقطار الارض وآفاقها ، والنّافی للكفر عن نواحيها وارجائها فتمسّك بولايته تكن سعيداً ، واثبت علی التّسليم له تكن رشيداً ، فقال عبدالله بن سلام : أشهد ان لا اله الّا الله وحده لا شريك له ، و أشهد انّ محمّداً (ص) عبده و رسوله المصطفی ، وأمينه المرتضی ، وأميره علی جميع الوری ، (الی ان قال) وأشهد أنّكما اللّذان بشّر بكما موسی(ع) ومن قبله من الانبياء ودلّ عليكما المختارون من الاصفياء ثمّ قال لرسول الله(ص) : قد تمّت الحجج ، وانزاحت العلل ، وانقطعت المعاذير ، فلاعذر لی ان تأخّرت عنك ، ولاخير لی ان تركت التّعصّب لك، ثمّ قال: يارسول الله(ص) انّ اليهود ان سمعوا باسلامی وقعوا فیّ فاخبأ بی عندك فاذا جاؤك فاسئلهم عنّی تسمع قولهم فیّ قبل ان يعلموا باسلامی و بعده لتعلم أحوالهم فخبأه رسول الله فی بيته ثمّ دعا قوماً من اليهود فحضروه و عرض عليهم أمره فأبوا فقال: بمن ترضون حكماً بينی وبينكم ؟- قالوا : بعبدالله بن سلام ، قال(ص): وایّ رجلٍ هو؟- قالوا: رئيسنا وابن رئيسنا ، وسيّدنا وابن سيّدنا ، و عالمنا وابن عالمنا ، و ورعنا وابن ورعنا ، وزاهدنا وابن زاهدنا ، فقال رسول الله (ص) : أرأيتم ان آمن بی اترضون ؟- قالوا : قد أعاذه الله من ذلك ، فقال : اخرج عليهم يا عبدالله وأظهر ماقد أظهره الله لك من أمر محمّدٍ(ص) فخرج عليهم وهويقول : أشهد ان لااله الّاالله وحده لاشريك له ، وأشهد انّ محمّداً (ص) عبده ورسوله المذكور فی التّوراة والانجيل وصحف ابراهيم وسائر كتب الله المدلول فيها عليه وعلی أخيه علیّ بن ابی طالب(ع) ، فلمّا سمعوه يقول ذلك قالوا : يا محمّد(ص) سفيهنا وابن سفيهنا ، وشرّنا وابن شرّنا ، وفاسقنا وابن فاسقنا ، وجاهلنا وابن جاهلنا ،كان غائباً عنّا فكرهنا ان نغتابه فقال عبدالله : هذا الّذی كنت أخافه يا رسول الله(ص) (الی آخر ماروی) [اَوَكُلَّما عاهَدُوا] ای الايرعوی هؤلاء اليهود الّذين أنكروا رسالة محمّدٍ(ص) وخلافة علیٍّ(ع) بعد الآيات الواضحات الدّالّات علی الرّسالة والامامة و كلّما عاهدوا [عَهْداً] مع الرّسول بمحاكمة واحد منهم مثل عبدالله بن سلام مثلاً اوهؤلاء النّصّاب كلّما عاهدوا بمبايعة محمّد(ص) مثل بيعة الرّضوان بالتّسليم فی جميع أوامره وترك الرّدّ عليه وترك مخالفته ومثل البيعة مع محمّد(ص) بغدير خمّ بخلافة علیّ(ع) ومع علیّ بخلافته ، وكلّما عاهدوا بدون البيعة ان لايخالفوا محمّداً(ص) وان يسلموا لعلیٍّ(ع) [نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لايُؤْمِنُونَ] ای فی مستقبل أعمارهم لايرعوون ولا يتوبون مع مشاهدتهم للآيات ومعاينتهم للدّلالات ، اوالمعنی بل اكثرهم لايصدّقون ولايذعنون حين المعاهدة ، والاتيان بالشّرطيّة كلّيّة يدلّ علی أنّ هذه عادتهم قديماً وجديداً لاتنفكّ عنهم ، نسب الی رسول الله(ص) انّه قال : اتّقوا عباد الله واثبتوا علی ما أمركم به رسول الله (ص) من توحيد الله ومن الايمان بنبوّة محمّدٍ(ص) رسول الله، ومن الاعتقاد بولاية علیّ(ع) ولیّ الله ، ولا يغرّنّكم صلوتكم وصيامكم وعباداتكم السّالفة أنّها تنفعكم ان خالفتم العهد والميثاق فمن وفی وُفی له ، ومن نكث فانّما ينكث علی نفسه ، والله ولیّ الانتقام منه، وانّما الاعمال بخواتيمها [وَلَمّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ] عطف باعتبار لازم قوله او كلّما عاهدوا فانّه يفيد أنّ هذه ديدنهم

فكأنّه تعالى قال : لمـّاكان هذه ديدنهم استمرّوا عليه ولمـّا جاءهم رسول من عندالله وضميرجاءهم راجع الى اليهود لكنّه تعريض بمنافقى الامّة ، اوهوراجع الىاليهود الّذين سبق ذكرهم والى منافقى الامّة ابتداء ، ولمـّا كان مجيء الرّسول (ص) مستلزماً للاتيان بالاحكام الّتى أرسل بها وقدسبق انّ تلك كتاب الله سواءكانت مكتوبة فى كتاب اولم تكن ظهروجه صحّة التّفسير المنسوب الى الصّادق(ع) من قوله : ولمـّا جاءهم جاء اليهود ومن يليهم من النّواصب كتاب من عندالله القرآن مشتملاً على وصف محمّدٍ (ص) وعلىٍّ (ع) وايجاب ولايتهما وولاية أوليائهما وعداوة أعدائهما [مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَهُمْ] مع اليهود ممّا فى التّوراة وممّا وصل اليهم من أسلافهم من أوصافهما وأخبارهما ، ولما مع منافقى الامّة من الدّلائل الواضحة الدّالّة على صدق محمّدٍ (ص) وصدق كتابه وفضل علىٍّ (ع) ، وممّا فى كتاب محمّدٍ (ص) من الآيات المصرّحة بفضل علىٍّ (ع) وخلافته ، وممّا قاله محمّد (ص) فى فضله و خلافته [نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ] و هم اليهود و منافقو الامّة فانّهم أوتوا أحكام الرّسالة والكتاب التّدوينىّ الّذى هوالتّوراة والقرآن [كِتٰابَ اللّٰهِ] اى المنزل فى وصف محمّدٍ (ص) وعلىٍّ (ع) فى التّوراة والقرآن اوجملة التّوراة والقرآن [وَرٰاءَ ظُهُورِهِمْ] النّبذ الطّرح والتّقييد بقوله وراء ظهورهم اشارة الى الاعراض عنه وعدم الاعتداد به [كَأَنَّهُمْ] اليهود ونواصب الامّة [لٰا يَعْلَمُونَ] انّ الكتاب اومحمّداً (ص) ونبوّته اوعليّاً وامامته حقّ من الله مع أنّهم يعلمون ذلك فهم أشدّ ممّن خالف من غيرعلمٍ اوكأنّهم ليس لهم علم وادراك حتّى يميزوا بعلمهم أنّه حقّ اوباطل [وَاتَّبَعُوا] عطف على نبذ فريق يعنى أعرضوا عن الحقّ واتّبعوا [مٰا تَتْلُوا الشَّيٰاطِينُ عَلىٰ مُلْكِ سُلَيْمٰانَ] تلا يتلوتلواً تبعه تبعاً وتلا عليه يتلو تلاوة قرأه عليه وتلا عليه يتلوكذب عليه .

حكاية ملك سليمان وكونه فى خاتمه ورمز ذلك

اعلم أنّ اكثر قصص سليمان كان من مرموزات الأوائل وأخذها المتأخّرون بطريق الأسمار وأخذوا منها ظاهرها الّذى لايليق بشأن الانبياء وورد عن المعصومين (ع) تقرير ما أخذوه أسماراً نظراً الى ما رمزها الاقدمون ؛ وامثال هذه ورد عنهم تكذيبها نظراً الى ظاهر ما أخذها العوام ، وتصديقها نظراً الى ما رمزوا اليه **فقد نسب فى مجمع البحرين الى الصّادق(ع)** انّه قال : جعل الله تعالى ملك سليمان فى خاتمه فكان اذا لبسه حضرته الجنّ والانس والطّير والوحش وأطاعوه ، و يبعث الله رياحاً تحمل الكرسىّ بجميع ما عليه من الشّياطين والطّير والانس والدّوابّ والخيل ؛ فتمرّ بها فى الهواء الى موضعٍ يريده سليمان وكان يصلّى الغداة بالشّام والظّهر بفارس ، وكان اذا دخل الخلاء دفع خاتمه الى بعض من يخدمه فجاء شيطانٌ فخدع خادمه وأخذ منه الخاتم ولبسه فخرّت عليه الشّياطين والجنّ والانس والطّير والوحش فلمـّا خاف الشّيطان ان يفطنوا به ألقى الخاتم فى البحر فبعث الله سمكة فالتقمه ثمّ انّ سليمان خرج فى طلب الخاتم فلم يجده فهرب ومرّ على ساحل البحر تائباً الى الله تعالى فمرّ بصيّادٍ يصيد السّمك فقال له : اُعينك على ان تعطينى من السّمك شيئاً فقال : نعم فلمـّا اصطاد دفع الى سليمان سمكة فأخذها وشقّ بطنها فوجد الخاتم فى بطنها ، فلبسه فخرّت عليه الشّياطين والوحش ورجع الى مكانه فطلب ذلك الشّيطان وجنوده الّذين كانوا معه فقتلهم وحبس بعضهم فى جوف الماء وبعضهم فى جوف الصّخرة ؛ فهم محبوسون الى يوم القيامة . **و نقل** أنّه كان عسكر سليمان مائة فرسخ ؛ خمسة وعشرون من الانس ، و خمسة و عشرون من الجنّ ، و خمسة و عشرون من الطّير ، وخمسة وعشرون من الوحش . **وروى** انّه أخرج

مع سليمان من بيت المقدّس ستّمائة الف كرسيٍ عن يمينه وشماله وأمر الطّير فأظلّتهم وأمر الرّيح فحملتهم حتّى وردت بهم مدائن كسرى ثمّ رجع فبات فى فارس فقال بعضهم لبعضٍ : هل رأيتم ملكاً اعظم من هذا اوسمعتم ؟- قالوا : لا ؛ فنادى ملك من السّماء : تسبيحة فى الله أعظم ممّا رأيتم ونسب الى الباقر (ع) انّه قال : لمّا هلك سليمان (ع) وضع ابليس السّحر ثمّ كتبه فى كتابٍ فطواه وكتب على ظهره : هذا ما وضع آصف بن برخيا لملك سليمان (ع) بن داود (ع) من ذخائر كنوز العلم من أراد كذا وكذا فليفعل كذا وكذا ، ثمّ دفنه تحت السّرير ثمّ استبان لهم فقرأه فقال الكافرون : ماكان يغلبنا سليمان (ع) الّا بهذا ، وقال المؤمنون : بل هو عبدالله ونبيّه فعلى ماسبق من سلطنة الشّياطين وفرار سليمان كان معنى الآية كما فى تفسير الامام (ع) : انّ هؤلاء اليهود الملحدين والنّواصب المشاركين لهم لمّا سمعوا من رسول الله (ص) فضائل علىّ بن ابى طالب (ع) وشاهدوا منه (ص) ومن علىٍّ (ع) المعجزات الّتى أظهرها الله تعالى لهم عليهما نبذوا التّوراة والقرآن وأفضى بعض اليهود والنّصاب الى بعضٍ وقالوا : ما محمّد (ص) الّا طالب الدّنيا بحيلٍ ومخاريق وسحرونير نجاتٍ تعلّمها وعلّم عليّاً بعضها فهو يريد ان يتملّك علينا فى حيوته ويعقد الملك لعلىٍّ (ع) بعده ، وليس ما يقول عن الله بشيءٍ انّما هو قوله ليعقد علينا وعلى ضعفاء عبادالله بالسّحر والنّيرنجات الّتى يستعملها ، وكان أوفر النّاس حظّاً من هذا السّحر سليمان (ع) بن داود (ع) الّذى ملك بسحره الدّنيا كلّها والجنّ والانس والشّياطين ونحن اذا تعلّمنا بعض ماكان يعلمه سليمان تمكّنّا من اظهار مثل ما يظهره محمّد (ص) وعلىّ (ع) وادّعينا لأنفسنا ما يدّعيه محمّد (ص) ويجعله لعلىٍّ (ع) واتّبعوا ما تتلوه الشّياطين اى تتبعه او تكذبه او تقرأه مستولين على مملكة سليمان (ع) او غالبين على سلطنته من السّحر والنّيرنجات الّتى لا يدرك مداركها أحد ، او اتّبعوا ما تفترى الشّياطين على سلطنة سليمان (ع) من أنّه بالسّحر الّذى نحن عالمون به ، اواتّبعوا ما تقرأه الشّياطين من السّحر والأوراد الّتى بها يقع تمزيج القوى الرّوحانيّة والطّبيعيّة ويظهر به الخوارق الّتى يعجز عن مثلها البشر وتنفثه على مملكة سليمان لادامته لهم ، وزعم هؤلاء اليهود والنّواصب والشّياطين انّ سليمان كفر [وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ] ولا استعمل السّحر كما قال : هؤلاء الكافرون [وَلٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا] حال كونهم [يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ] اوكفروا لتعليمهم السّحر على ان يكون جواباً لسؤالٍ مقدّر .

تحقيق السّحر

والسّحر اسم لقول اوفعل اونقش فى صفحة يؤثّر فى عالم الطّبع تأثيراً خارجاً عن الأسباب والمعتاد و ذلك التّأثير يكون بسبب مزج القوى الرّوحانيّة مع القوى الطّبيعيّة ، او بتسخير القوى الرّوحانيّة بحيث تتصرّف على ارادة المسخّر السّاحر و هذا أمر واقع فى نفس الأمر ليس محض تخييل كما قيل ، وتحقيقه ان يقال : انّ عالم الطّبع واقع بين الملكوت السّفلى والملكوت العليا كما مرّ ، وانّ لاهل العالمين تصرّفاً باذن الله فى عالم الطّبع بأنفسهم اوبأسبابٍ من قبل النّفوس البشريّة ، وانّ النّفوس البشريّة اذا تجرّدت من علائقها وصفت من كدوراتها بالرّياضات الشّرعيّة اوغير الشّرعيّة وناسبت المجرّدات العلويّة اوالسّفلية تؤثّر بالأسباب اوبغير الأسباب فى أهل العالمين بتسخيرها ايّاهم وجذبها لهم الى عالمها وتوجيههم فى مراداتها شرعيّةً كانت اوغير شرعيّةٍ ، واذا كان التّأثير من أهل العالم السّفلىّ تسمّى أسبابه سحراً وقد يسمّى ذلك التّأثير والأثر الحاصل به سحراً ، واذا كان من أهل العالم العلوىّ يسمّى ذلك التّأثير والاثر الحاصل به معجزة وكرامةً ، وقد تتقوّى فى الجهة السّفليّة اوالعلويّة فتؤثّر بنفسها من دون حاجةٍ الى التّأثير فى الارواح ويسمّى ذلك التّأثير والاثر ايضاً سحراً ومعجزةً ، فالسّحر هو السّبب المؤثّر فى الارواح الخبيثة

الّذى خفى سببيّته اوتأثير تلك الارواح وآثارها فى عالم الطّبع بحيث خفى مدركها ثمّ أطلق على كلّ علم وبيان دقيق قلّما يدرك مدركه ، ويطلق على العالم بذلك العلم اسم السّاحر ؛ ومنه : **يا ايّها السّاحر ادع لنا ربّك** على وجه فيستعمل السّاحر على هذا فى المدح والذمّ .

حكاية هاروت وماروت ورموزها

[**وَمٰا أُنْزِلَ**] ويعلّمون النّاس ما أنزل ، اوهو عطف على ما تتلوا الشّياطين ، اولفظ ما نافية وهو عطف على ماكفر سليمان . اوحال عن السّحر اى لم ينزل السّحر [**عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبٰابِلَ هٰارُوتَ وَمٰارُوتَ**] هما اسمان أعجميّان ولذا لم ينصرفا اوعربيّان مأخوذ ان من هرت ومرت كما قيل بمعنى كسرولا وجه حينئذ لعدم صرفهما ، وقيل من هرى بمعنى انضج اللّحم ، ومن مرى من المرية اومن المماراة ، ووزنهما فلعوت مقلوب هريوت ومريوت مثل طاغوت ، ويجوزان يكون من ماريمور بمعنى تحرّك وتموّج ، اومن ماريمير بمعنى جلب الطّعام الى اهله ، اومن هارالجُرْف بمعنى انصدع ووزنهما حينئذ فلعوت من غير قلب ، ومنع صرفهما لمكان التّاء والعلميّة . **وعن الصّادق (ع) أنّه قال** كان بعد نوح قدكثر السّحرة والممّوهون فبعث الله ملكين الى نبىّ ذلك الزّمان بذكرمايسحر به السّحرة وذكرمايبطل به سحرهم ويردّ به كيدهم فتلقّاه النّبىّ عن الملكين وأدّاه الى عبادالله بأمرالله عزّوجلّ وأمرهم ان يقفوا به على السّحروان يبطلوه ونهاهم ان يسحروا به النّاس وهذاكما يدلّ على السّمّ ماهو، وعلى مايدفع به غائلة السّمّ ، ثمّ يقال لمتعلّم ذلك : هذا السّمّ ؛ فمن رأيته سمّ فادفع غائلته بكذا ؛ وايّاك ان تقتل بالسّمّ أحداً ، قال : وذلك النّبىّ أمر الملكين ان يظهرا للنّاس بصورة بشرين و يعلّماهم ما علّمهما الله من ذلك و يعظاهم **و نسب الى أبى جعفر (ع) انّه قال** : انّ الملائكة كانوا ينزلون من السّماء الى الارض (الى ان قال) فقالت طائفة من الملائكة : يا ربّنا اما تغضب ممّا يعمل خلقك فى أرضك وممّا يصفون فيك الكذب (الى ان قال) فأحبّ الله ان يرى الملائكة القدرة ونفاذ أمره فى جميع خلقه فأوحى الله الى الملائكة ان انتدبوا منكم ملكين حتّى أهبطهما الى الارض ثمّ أجعل فيهما من طبائع المطعم والمشرب والشّهوة والحرص والأمل مثل ما جعلته فى ولد آدم ثمّ أختبرهما فى الطّاعة لى، قال: فندبوا لذلك هاروت وماروت وكانا من أشدّ الملائكة قولاً فى العيب لولد آدم (ع) فأوحى الله اليهما : ان اهبطا الى الارض فقد جعلت لكما مثل ما جعلت لولد آدم ثمّ أوحى الله اليهما : انظرا الّا تشركابى شيئاً ولاتقتلا النّفس الّتى حرّم الله ولا تزنيا ولاتشربا الخمر ؛ فهبطا ناحية بابل فرفع لهما مشرف فأقبلا نحوه و اذا بحضرته امرأةٌ جميلة حسناء متزيّنة عطرة مسفرة مقبلة نحو هما ، قال : فلمّا نظرا اليها و ناطقاها و تأمّلاها وقعت فى قلوبهما موقعاً شديداً فرجعا اليها رجوع فتنة وخذلان و راوداها عن نفسها ، **و اجمال الخبر** أنّها أمرتهما بسجود الصّنم وشرب الخمر ليتوسّلا بهما الى الزّنا معها ، فتوامرا بينهما وقالا : هذه ثلاثة خصال ممّا نهينا عنه ، فغلبت عليهما الشّهوة فأجاباها فشربا الخمر وسجدا الصّنم فلمّا تهيّأت لهما وتهيّئالها دخل عليهما سائلٌ يسأل فلمّا ان رآهما ورأياه ذعرا منه فقال لهما: انّكما لمريبان ذعران قدخلوتما بهذه المرأة انّكما لرجلا سوء وخرج عنهما ، فقالت لهما ؛لا وا لهى ماتصلان الان الىّ وقد اطّلع هذا الرّجل على حالكما و يخبر بخبركما ولكن بادرا الى هذا الرّجل واقتلاه قبل ان يفضحكما ثمّ دونكما فاقضيا حاجتكما فقتلا الرّجل ثمّ رجعا اليها فلم يرياها وبدت لهما سوآتهما قال الله : اختارا عذاب الآخرة اوعذاب الدّنيا ، فاختارا عذاب الدّنيا وكانا يعلّمان النّاس السّحرفى أرض بابل ثمّ لمّا علّما النّاس السّحر رفعا من الارض الى الهواء فهما معذّبان منكّسان معلّقان فى الهواء الى يوم القيامة **وقيل:** انّ هذه القضيّة وقعت بعد رفع ادريس (ع) الى السّماء فقالت

الملائكة : مايصنع هذا الخاطى فينا فلم يرضه الله تعالى منهم وجعلهم معرضاً لامتحانه ثمّ قال : اختاروا من بينكم من هو أصلح منكم فاختاروا ثلاثة من الملائكة أحدهم عزرائيل فهبطوا الى الارض واختلط بهم طباع أهلها ولبسوا لباسهم ثمّ استعفى عزرائيل من الحكومة فى الارض فقبل الله منه ورفعه الى السّماء وبقى هاروت وماروت فى الارض بناحية بابل يحكمان بين النّاس فى النّهار واذا جاء اللّيل خلع منهما طباع البشر و رفعا الى السّماء فجاءت ذات يوم امرأة حسناء لمهمّ لها عندهما فوقعت فى قلوبهما فراوداها الى ان تقتلا السّائل وعلّما الاسم الاعظم لها فلمّا أرادا الاختلاط بها صعدت الى السّماء بواسطة الاسم الاعظم ومسخت كوكباً وهى هذه الزّهرة المعروفة، والزّهرة كانت اسماً لها ، وبقيا فى الارض بعد التّنبّه بأنّهما عصيا واختارا عذاب الدّنيا على عذاب الآخرة بمشورة جبرئيل فعلّقا فى بئر فى مغارة جبل من بابل . **وقيل** :كانت القضيّة فى عهد ادريس(ع) واختيار عذاب الدّنيا كان بمشورة ادريس(ع) ومسئلته من الله . **وقيل:** انّهما كانا رجلين صالحين كانا فى النّاس يحكمان بينهم وسمّيا ملكين لصلاحهما ، ويؤيّده قراءة الملكين بكسر اللّام .

اعلم أنّ أمثال هذه من مرموزات الانبياء والحكماء السّلف ولذا اختلف الأخبار وكتب السّير فى نقلها ولمّا كانت من المرموزات وقد حملها العامّة على مفاهيمها العرفيّة الّتى لايمكن تصحيحها بالنّسبة الى مقام الانبياء والملائكة المعصومين عن الخطاء قرّرها المعصومون تارةً وأنكروها أخرى فانّه نسب الى الامام الحسن العسكرى(ع) انّه سئل عن هاروت وماروت ومانسب اليهما ممّا ذكر سابقاً فقال الامام(ع) : معاذالله من ذلك انّ ملائكة الله معصومون من الخطاء محفوظون من الكفر والقبائح بألطاف الله (الى آخر ما قال فيهم) ووجه صحّتها انّ المراد بالملكين القوّتان العلّامة والعمّالة اللّتان أنزلهما الله من عالم الأرواح وجعل فيهما ما جعل فى البشر من الطبائع المتضادّة والشّهوات المتخالفة والآراء المتناقضة وابتلاهما بالمرأة المتعطّرة المتزيّنة الّتى هى النّفس الانسانيّة وقد عبّر عنها فى الأخبار بالمرأة ودعت النّفس القوّتين الى متابعتها و قد افتتنتا بشهواتها ولذّاتها ولم يتيسّر لهما التّمتع بها الّا بشرب خمر الغفلة وسجدة وثن الهوى وقتل الملك الزّاجر لهما الّذى أنزله الله تعالى معهما زاجراً لهما عن متابعة النّفس فى أوّل الامر ثمّ لمّا عزمتا على مخالطة النّفس واستحكم ذلك فيهما زال عنه قوّة الزّجر والمنع بغلبتهما عليه فصار سائلاً متضرّعاً ، ولمّا لم يتيسّر لهما التّمتع بها مع مسئلته قتلتاه بأمرها ثمّ وضعتا للوصول الى شهواتها الطرائق الخفيّة الّتى بها تتصرّفان فى الطّبيعيّات باستمداد من الارواح الخبيثة وبهذا الاعتبار يسمّى سحراً ثمّ تعلّمت منهما ماترتقى به عن عالم الملك وتتّصل بروحانيّات الكواكب العلويّة خصوصاً روحانيّة الزّهرة الّتى هى المربّية للنّسأ والمزيّنة والمراد بالمسخ المسخ الملكوتىّ لاالملكىّ ، ولمّا اتّصلت بروحانيّة الزّهرة قالوا مسخت بها وبقيتا فى عالم الطّبع معذّبتين بأمره تعالى فى خدمة الجسد ولوازمه فى بئر له سبعمائة درجة باعتبار وفى الهواء باعتبار [وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ] من ذلك السّحر وابطاله [حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ] امتحان للخلق جعلنا الله امتحاناً لهم حتّى يعلم من يجاهد فى سبيله ولا يتعلّم ما يضرّ بدينه اولا يستعمل ما يتعلّمه ممّا يضرّ ممّن لايجاهد [فَلَا تَكْفُرْ] بترك المجاهدة وتعلّم مايضرّك اواستعماله وبادّعاء الانانيّة لنفسك ونسبة ماتعلّمته اليها مع انّه عارية من الله لها [فَيَتَعَلَّمُونَ] بترك نصحهما [مِنْهُمَا] من الملكين او من الصّنفين اى السّحر و ما أنزل على الملكين [مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ] من الاعمال والاقوال **والرّقى** ويتركون نصائح الملكين ويضرّون

بعبادالله [وَمٰاهُمْ بِضٰارّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ] و ما المتعلّمون بضارّين بما يفرّقون به بين المرء وزوجه او بما يتعلّمونه [إِلّٰا بِـإِذْنِ اللهِ] لمّا توهّم من نبذ الكتاب و اتّباع ما تتلو الشّياطين على ملك سليمان و تلاوة الشّيطان واستيلائه على ملك سليمان بماتلاه وتعليم الشّيطان النّاس السّحر وبالجملة من انتساب الافعال الى المذكورين استقلالهم بها واستبدادهم فيها رفع ذلك التّوهّم بانّ هذه ابتلاءات من الله على أيدى هؤلاء وليس يقع بدون اذنه شيء [وَيَتَعَلَّمُونَ] من الملكين اومن الصّنفين [مٰايَضُرُّهُمْ] من انواع السّحر والنّير نجات سوى مايفرّقون به بين المرء وزوجه ، اوالمراد أنّهم يتعلّمون مايضرّهم أعمّ من التّفريق وغيره من قبيل ذكر العامّ بعد الخاصّ للاهتمام بالخاصّ ولتطويل مقام الذّمّ ولذا أتى بالعاطف ، اوالمراد أنّهم يتعلّمون من غير الملكين ومن غير الصّنفين ما يضرّهم من العلوم والحرف ، اوأنّهم يتعلّمون من كلّ مايتعلّمون جهته الدّنيويّة الّتى تضرّهم فى دينهم وفى دنياهم تبعاً لدينهم ، ولا يتعلّمون الجهة الّتى تنفعهم فى دينهم فتنفعهم فى دنياهم أيضاً [وَلٰايَنْفَعُهُمْ] مع أنّهم أمروا بالتّعلّم لينتفعوا والملكين أنزلا ليتعلّموا منهما ماينفعهم [وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرٰيهُ] اى اشترى ما تتلو الشّياطين بكتاب الله كأنّ كتاب الله بحسب فطرته كان مملوكاً له بخلاف ما تتلو الشّياطين لانّ التّدوينىّ من كتاب الله صورة كتابه التّكوينىّ والصّورة الانسانيّة مختصرة من التّكوينىّ وماتتلو الشّياطين ليس منسوباً الى الانسانيّة بل هو ضدّ ونافرٌ منها فاشتراءه بكتاب الله شراء مبيع خسيس رديءٍ بثمنٍ نفيسٍ مملوكٍ له مملوكيّة ذات الشّيء للشّيء ولذا قال بُعَيْد ذلك ولبئس ماشروا به أنفسهم، اوالمعنى انّهم علموا لمن اشترى ما يضرّه بما ينفعه كأنّ ما ينفعه مملوكٌ له فجعله ثمناً [مٰالَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلٰاقٍ] نصيب [وَلَبِئْسَ مٰاشَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ] كتاب الله فانّه أنفسهم كما عرفت ، اوما ينفعهم فانّه أيضاً من شؤن أنفسهم وشأن الشّيء هوالشّيء بوجهٍ ، اوالمقصود أنّهم باشتراء ما تتلو الشّياطين بكتاب الله عرضوا أنفسهم فى معرض البيع للشّيطان فباعوها منه بالأعراض والأغراض الفانية ، اوالمعنى لبئس ما اشتروا به انانيّتهم كما سبق فى نظير الآية [لَوْكٰانُوا يَعْلَمُونَ] لانتهوا عمّا ارتكبوه اولما اشتروه ، اوالمعنى على التّمنّى

تحقيق العلم و مصاديقه وحقيقته

اعلم انّ العلم يطلق على مطلق الادراك الانسانىّ سواء كان بالمدارك الظّاهرة اوالباطنة ، و سواء كان جزئيّاً اوكلّيّاً تصوّراً اوتصديقاً ، ولا يطلق على ادراك سائر الحيوان لانّه ليس مطلق الادراك بل الادراك المأخوذ فى مفهومه الشّعور بالشّعور فى عرف العامّ والادراك الموصوف بالاشتداد اى المستعقب لادراكٍ آخر فوق ذلك الادراك فى طريق الانسان فى عرف الشّارعين ، ويطلق على الادراك الكلّىّ اوالمركّب مقابل المعرفة الّتى تطلق على الادراك الجزئىّ اوالبسيط ، وعلى التّصديق ظنيّاً اوعلمياً تقليديّاً اوعاديّاً اوبرهانيّاً ، وعلى الفنون العلميّة والصّناعات والحرف العلميّة من دون اعتبارادراك مدركٍ لها ، وعلى الملكة الحاصلة للانسان من ممارستها ومدارستها علماً ومواظبتها عملاً الّتى يقتدر بها على تفصيل مسائلها و اتقان عملها ، ولمّا كان العلوم والادراكات متخالفة متضادّة والفنون والصّناعات مختلفة والعلوم والجهالات متشابهة غير متمايزةٍ الّا عند من له بصيرة بدارى العلم والجهل ، وانّ أىّ الادراكات صدر من دارالعلم وأيّها من دارالجهل ، وأيّها يؤدّى الى العلم وأيّها يؤدّى الى الجهل ، وهذا البصير نادرالوجود ولكن طالب تلك البصيرة كثير ولتشابه العلوم والجهالات يضلّ كثير من الطّلّاب عن طريق

الحقّ و يحسب العلم فى الجهل واليقين فى الظنّ حتّى أنّه يحسب ان ليس وراء مظنونه علم و ادراك كان التّعرّض لتحقيق العلم و أقسامه وتمييزه عن الجهل و أفنانه من المهمّات فنقول : العلم كالوجود وكذا سائر الصّفات الحقيقيّة الآلهيّة حقيقة مشكّكة ذات مراتب عديدة فمرتبة منه واجب الوجود تعالى شأنه ، ومرتبة منه فعله المسمّى بالمشيّة والحقيقة المحمّديّة (ص) وعلويّة علىّ (ع) ونفس الرّحمن ومقام المعروفيّة وهو الواسطة بين الخلق والحقّ ولذا سمّى بالحقّ المخلوق به ، ومرتبة منه الاقلام العالية بأنواعها ومراتبها ، ومرتبة منه الالواح النّوريّة بمراتبها الكلّيّة والجزئيّة ، ومرتبة منه الالواح العينيّة بسماواتها وسماويّاتها وارضيها وارضيّاتها والعلم فى المراتب العالية لظهور الوجود فيها وخفاء المهيّات وانغمار التّعيّنات وانمحاء الكثرات وظهورها بأنفسها وانكشاف غيرها لها وانكشافها لدى غيرها وادراكها لادراكها يسمّى علماً وعقلاً كما يسمّى وجوداً و نوراً ، وامّا فى مراتب المادّيّات وخصوصاً الأرضيّات فلخفاء الوجود وغلبة الاعدام و التّعيّنات وغيبتها عن أنفسها وعن غيرها بحقائقها لايسمّى شعورها الضّعيف الخفىّ علماً فانّ للكلّ شعوراً بقدر وجوده ولكن لاشعورله بشعوره كما فى قوله تعالى : وان من شيءٍ الّا يسبّح بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم يعنى انّ للكلّ تسبيحاً وشعوراً ولكن لاشعورلهم بتسبيحهم (على قراءة لايفقهون بالغيبة) وهكذا الحال فى ادراك الحيوان مع انّ له احساساً بالمدارك الظّاهرة وادراكاً بالمدارك الباطنة لعدم شعوره بشعوره ، والسّرّ فى ذلك انّ المادّة الاولى فعليّة وجوده عين القوّة وعدم الوجود الشّأنىّ فليس لها وجودٌ فى نفسها حتّى يكون لها وجود لنفسها ، اويكون لغيرها وجود لها فلا يكون لها علم بنفسها ولا بغيرها لانّ العلم بالشّيء عبارة عن وجود ذلك الشّيء للعالم به وحضوره عنده ، والمادّة الثّانية الّتى هى الامتداد الجسمانىّ والصّور المنطبعة فيها من صور العناصر والجمادات والنّباتات لها فعليّة ما ووجود فى أنفسها ووجود لأنفسها لكن فعليّتها مختفية تحت القوّة ووجوداتها فى أنفسها عين أعدامها وتكوّناتها نفس تصرّماتها على ما تقرّر عند الصّوفيّة وبعض من قلّدهم من الفلاسفة من الحركات الجوهريّة والتّجدّدات الذّاتيّة وانّ موجودات عالم الطّبع بتمامها موادّها وصورها وأوصافها وأعراضها من قبل أنفسها فى الفناء والعدم ومن قبل موجدها فى البقاء والوجود ، ووجوداتها لانفسها بعينها أعدامها وغيبوبتها عن أنفسها ، على انّ الامتداد الجسمانىّ كلّ جزءٍ من أجزائه الغير المتناهية المفروضة فى الغيبة عمّا سواه وعن الكلّ والكلّ فى الغيبة عن الاجزاء ، وما كان كذلك لم يكن له حضور عند غيره ولالغيره حضور عنده ، فلم يكن عالماً بنفسه ولا بغيره ولا معلوماً لغيره الّا لمن كان الامتداد الجسمانىّ متقوّماً به ومتبدّلاً غيبته بالحضور وتجدّده بالثّبات عنده ، وغير الانسان من الحيوان لتجرّد نفسه الحيوانيّة عن المادّة تجرّداً ما كان له وجود فى نفسه ولنفسه فكان عالماً ومعلوماً لنفسه وكان لغيره أيضاً وجودٌ ماله بصورته المجرّدة عن المادّة تجرّداً مثل تجرّد النّفس الحيوانيّة فكان عالماً بغيره أيضاً لكن لمّا كان علمه وادراكه مجرّداً عن الشّعور بالشّعور وعن الاشتداد لايسمّى علماً بل احساساً وادراكاً ، والانسان من اوّل انفصال مادّته واستقرارها فى مقرّها حاله حال الجماد البرزخ بين الجماد والنّبات ، وبعد ذلك يصير نباتاً ، وبعد ذلك يصير حيواناً كالخراطين له قوّة ضعيفة للحركة الخفيفة وادراك ضعيف باللّامسة ، فاذا تولّد صار حيواناً كاملاً بحسب المدارك الظّاهرة لكن مداركه الباطنة الحيوانيّة بعد فى ضعفٍ حتّى بلغ الى عامين اوثلاثة فيصير حينئذٍ حيواناً كاملاً فى مداركه الظّاهرة والباطنة ، ولافرق بينه وبين الاجناس الثلاثة فى تلك المراتب الّا انّه واقع فى طريق الانسان غير واقف على شيءٍ من المراتب الثلاث ووجوده لابشرط شيءٍ بخلافها فانّها واقفة فى مقاماتها غير مستعدّةٍ للتّجاوز عنها لكن شعوره البسيط فى المراتب كشعورها لايسمّى علماً وان كان فى الاشتداد؛ لما عرفت انّ الجماد والنّبات

شعورهماكلا شعورٍ ولا يسمّى ادراكاً و شعوراً فكيف يسمّى علماً ، وانّ الحيوان و ان كان شعوره شعوراً و ادراكاً لكن لانفكاك الاشتداد والشّعور بالشّعور عنه لا يسمّى علماً فاذا بلغ او ان التميز وادراك المعقولات من البديهيّات سمّى عالماً وادراكه علماً لحصول الشّعور بالشّعور له مع الاشتداد لادراكه فى الطّريق الانسانىّ فعلم من ذلك انّ اسم العلم وقع على الادراك بعد ما سُلب عنه حين صيرورته قريناً للشّعور بالشّعور حالكونه مشتدّاً فى الطّريق الانسانىّ ، ودوران اطلاق العلم على الادراك وسلبه عنه على وجود الشّعور بالشّعور وعدمه دليلٌ على اعتباره فى اطلاق العلم ، واعتباراشتداد الادراك فى صدق العلم يستفاد من اشارات الآيات والاخبار وانّ الفطرة قاضية بأنّ العلم يقتضى العمل بمقتضاه لانّ الانسان العطشان اذا علم انّ خلف الجدار ماءً وعلم أنّه لايصل اليه الّا بالحركة اليه ؛فعلمه يدعوه الى الحركة اليه ، على أنّ فى الاخبار اشاراتٍ اليه والعمل يورث العلم بنصوص الاخبار مثل : من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم ، وباشارات الكتاب مثل قوله تعالى : واتّقوا الله و يعلّمكم الله حيث جعل التّعليم المورث للعلم ميراث التّقوى ، فالعلم على هذا يقتضى العلم ، وما فى سورة التّكاثر صريح فى اقتضاء العلم الاشتداد والازدياد من قوله تعالى : كلّا لو تعلمون علم اليقين * لترونّ الجحيم * ثمّ لترونّها عين اليقين وقد ذكر المولوى قدّس سرّه اقتضاء العلم الاشتداد بقوله .

اين عجب ظنّى است در توای مهين	كه نمى پرّد ببستان يقين
هر گمان تشنه يقين است ای پسر	ميزند اندر تزايد بال و پر
چون رسد درعلم پس پويا شود	مر يقين را علم او جويا شود
علم جويای يقين باشد بدان	وين يقين جويای ديدست وعيان

فاذا سمع الانسان نباح الكلب مثلاً وانتقل منه الى تسخّره للغضب ومنه الى تسخّر الغضب لربّ نوعه ، ومنه الى تسخّره لربّ الارباب كان سماعه علماً ، واذا سمع نبىّ وقته يقول : يا قوم اتّقوا الله وأطيعونى فانّ فى طاعتى وسماع قولى فلاح الدّنيا والآخرة ، وأدرك منه لموافقة شاكلته أنّ فلاح الدّنيا بكثرة المال والترأّس على العباد والتّبسّط فى البلاد سواء حمل ذلك القول من النّبىّ على طلبه ذلك او لم يحمل لم يكن ادراكه علماً بل كان جهلاً ، وهكذا الحال فى تعلّم الصّناعات العلميّة فانّه اذا تعلّم السّحر للاطّلاع على طرقه الخفيّة لحفظ دين الله وضعفاء عبادالله وابطال السّحر به ، اوتعلّم الشّطرنج للتنبّه على كيفيّة السّير فى البيوت والغلبة على الخصم منتقلاً به الىٰ سيرقواه فى مدارج الآخرة والغلبة على الخصم الّذى هو الشّيطان وجنوده كان ادراكه علماً ، و اذا تعلّم الفقه او علم الأخلاق او علم العقائد الدّينيّة ولم يكن المقصود منه العمل و امتثال الاوامر والنّواهى وتبديل الأخلاق ولا التّرقّى من حضيض العلم الى اوج اليقين والشّهود بل كان مقصوده التحبّب الى النّاس اوالترأّس عليهم اوالصّيت فى بلادهم اوالتّصرّف فى الاوقاف والوصول الى المناصب الشّرعيّة اوغير الشّرعيّة اوغير ذلك من الأغراض النّفسانيّة كان ادراكه جهلاً لا علماً فمدار علميّة الادراك وجهليّته شاكلة الانسان لا صورة المدرك والصّناعات فربّ متعلّمٍ للفقه كان عبداً للشّيطان بل ابناً له ، وربّ متعلّمٍ للسّحر والشّطرنج والموسيقار الّتى قالوا بحرمة تعلّمها كان ادراكه علماً ؛ وبالجملة كلّما أخذ النّاقص بدون الاذن والانقياد للكامل صار فى وجوده نقصاً وعلّة ، وما أخذه الكامل اوالنّاقص باذن الكامل وانقياده كان كمالاً وفضيلةً ؛ ونعم ماقال المولوىّ قدّس سرّه :

دست ناقص دست شيطان است و ديو	زانكه اندر دام تكليف است و ريو
كاملى گر خاك گيرد زر شود	ناقص ار زر برد خاكستر شود

جهل آيد پيش او دانش شود   جهل شد علمى كه درناقص رود
هر چه گيرد علّتى علّت شود   كفر گيرد ملّتى ملّت شود

والحاصل أنّ كلّ ادراكٍ يكون سبباً للادبار عن الدّنيا والاقبال على الآخرة يسمّى عند أهل الله علماً، وكلّ ادراكٍ لم يكن كذلك لم يكن علماً ، والعالم من كان يعلم ما يحتاج اليه فى معاشه ومعاده مع اقباله على الآخرة ، والمتعلّم من كان طالباً لادراك مايحتاج اليه مع اقباله على الآخرة ، ومن كان مقبلاً على الدّنيا لم يكن عالماً ولو كان مدركاً لجميع المسائل الشّرعيّة والمطالب الخلقيّة والعقائد الدّينيّة بالبرهان المتقن؛ ونعم ماقيل: انّ العلم هو الّذى لم يجتمع مع الأغراض الدّنيويّة والاهواء النّفسانيّة؛ وما اجتمع مع تلك فهو جهل مشابهٌ للعلم وليس بعلمٍ ، فقول المعصوم(ع): طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة ؛ اشارة الى هذا الادراك سواء كان مع الجلوس فى المدرسة او مع الاكتساب للمعيشة والّا كان أكثر النّاس محروماً من هذه الفضيلة ، وكذا قوله(ع) :كن عالماً اومتعلّماً ولاتكن ثالثاً فتهلك ، اشارة الى هذا العلم وطلبه والّا كان الأمر به أمراً بالمحال لأغلب النّاس .

وما ورد فى أخبارٍ كثيرة من أقسام العلم وطلبته و أقسام العالم يدلّ على ما ذكر مثل ما روى: انّ رسول الله(ص) دخل المسجد فاذاً جماعة قد أطافوا برجلٍ فقال(ص): ما هذا ؟- فقيل : علّامة ، فقال(ص): وما العلّامة ؟- فقالوا : أعلم النّاس بأنساب العرب ووقائعها وأيّام الجاهليّة والاشعار العربيّة ، فقال النّبىّ(ص): ذاك علمٌ لايضرّ من جهله ولا ينفع من علمه ، ثمّ قال النّبىّ (ص) : انّما العلم ثلاثةٌ؛ آية محكمة ، اوفريضة عادلة ، اوسنّة قائمة ، وماخلاهنّ فهو فضلٌ. فانّه اشارة الى الاقسام الثّلاثة للعلم العقلانىّ والنّفسانىّ والجسمانىّ بحيث يكون مشتملاً على الاقبال على المعلوم والعمل المستلزم للاشتداد فانّ الآية المحكمة عبارة عن العلوم العقلانيّة الّتى يجد العالم شيئاً من حقائق المعلومات ويستلذّ به والّا لم تكن آياتٍ ومرائى ، والّتى لم يكن للرّيب والشّكّ والزّوال مجالٌ فيها والّا لم تكن محكمة ، وهذا بخلاف العلوم الخياليّة الّتى حصّلها الفلسفىّ والمتكلّم باستخدام الخيال للعاقلة و جعلتها أنفسهم الزّائغة وسائل لمآربها النّفسانيّة من الأعراض الدّنيويّة اوالأغراض النّفسانيّة من الرّاحة عن كلفة الطّاعات الشّرعيّة فانّها ليست آياتٍ ولامحفوظة عن الرّيب والشّكّ والزّوال لكونها مأخوذة بالتّقليد من أمثالهم ، والفريضة العادلة عبارة عن العلوم النّفسانيّة المتعلّقة بالرّذائل والخصائل بحيث يصير العالم بها متخلّياً عن الرّذائل متحلّياً بالخصائل لانّ اطلاق الفريضة على هذا العلم انّما هو باعتبار تلك التّخلية والتّحلية وكذا اطلاق العادلة فانّ معنى العلم العادل ان يكون العالم به عادلاً اومعلومه متوسّطاً ولا يكون المعلوم من الاخلاق متوسّطاً الّا اذا صار جزئيّاً موجوداً فى وجود العالم به ، وهذا معنى استلزام العلم للعمل المستلزم لعلمٍ آخر اللّازم للاقبال على الآخرة ، والسنّة القائمة عبارة عن العلوم القالبيّة المأخوذة من النّبىّ(ص) اوخليفته العامل صاحبها بها بحيث ينتصب عن اعوجاجه اويعتدل عن الافراط والتّفريط ، اوتكفى مهامّ صاحبها فى الدّنيا والآخرة لانّ السّنّة بحسب العرف واللّغة لها معان عديدة لكنّها فى عرف الشّارعين اسم للعلوم المتعلّقة بالاعمال الجسمانيّة بحيث تؤدّى صاحبها الى العمل لانّ تسمية العلوم بالسّنّة ليست الّا باعتبار العمل ، والقائمة امّا من قام بمعنى انتصب اواعتدل وبكلا المعنيين تكون وصفاً بحال المتعلّق اى سنّة قائم صاحبها، اومن قام المرأة وعليها بمعنى مأنها وكفى أمورها وبهذا المعنى يكون وصفاً بحال الموصوف فالعمل والاقبال الى الآخرة مأخوذ ان فى مفهوم الكلمتين . **ومثل ما روى عن الصّادق(ع) فى أقسام طلبة العلم من قوله(ع) طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم ؛صنف يطلبه للجهل والمراء ، وصنف يطلبه للاستطالة**

والختل[۱] ، و صنفٌ يطلبه للفقه والعقل ، فصاحب الجهل والمراء موذٍ ممارٍ متعرّض للمقال فى أندية الرّجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلّى من الورع فدقّ الله من هذا خيشومه وقطع منه حيز[۲]ومه ، وصاحب الاستطالة والختل ذوخِبٍّ[۲] وملق يستطيل على مثله من أشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه فهو لحلوائهم[۳] هاضم ولدينه حاطمٍ ، فأعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء اثره ، وصاحب الفقه والعقل ذوكآبة وحزن وسهرقد تحنّك فى برنسه وقام اللّيل فى حندسه ، يعمل ويخشى وجلاً داعياً مشفقاً مقبلاً على شأنه ، عارفاً بأهل زمانه ، مستوحشاً من أوثق اخوانه ، فشدّالله من هذا أركانه ، وأعطاه الله يوم القيامة أمانه . **وهذا الحديث يدلّ على ما ذكرنا** من انّ اعتبار جهليّة الادراك و علميّته انّما هوبشأن المدرك ونيّته لا بحال المدرك المعلوم وشرافته وخساسته فانّ المراد بالعلم فى قولة(ع) : طلبة العلم ؛ مطلق الادراك المطلق عليه العلم بمفهومه العرفىّ، وقوله(ع) صنف يطلبه للجهل يعنى يطلب العلم اى الادراك اوالمدرك للجهل يعنى يجعل غاية طلبه للعلم الجهل و هذا بظاهره متناقض وبيانه بحيث لا يتوهّم تناقض ان نقول : انّ الانسان له قوّة درّاكة و يعبّر عنها بالقوّة العلّامة والقوّة النظريّة ، وقوّة عمليّة و يعبّر عنها بالقوّة العمّالة ، والقوّة العمّالة تنشعب الى الشّهويّة الّتى تجذب المنافع والملاذّ والغضبيّة الّتى تدفع المضارّ والمولمات وهذه الثّلاث امّا مسخّرة للعاقلة وخادمة لها ولايكون تسليمها للعاقلة الّتى هى رسول باطنىّ الّا اذا صارت منقادة لولىّ أمره الّذى هوعقل خارجىّ اومسخّرة للشيطان و خادمة له فان كانت خادمة للعاقلة كان ادراك العلّامة علماً و مورثاً للعمل الاخروىّ و للعلم الآخر وكان عمل العمّالة للآخرة سواء كان شهويّاً اوغضبيّاً ، وموروثاً لعلم آخرغيرالعلم الّذى صار محرّكاً له على العمل ، وان كانت مسخّرة للشيطان كان ادراكه مورثاً لازدياد جهله فانّ الجهل الحقيقىّ هو ملك الشّيطان وليس المراد به الجهل الّذى هو عدم لملكة العلم بل المراد به ازدياد الادراك الّذى يصيرسبباً لسعة النّفس الّتى سعتها قبل التّسليم سعة ملك الشّيطان ، وكثيراً ما يورث هذا الادراك ادراكاً آخر هو جهل آخر. **وقول علىّ عليه السّلام فى حديث اقسام النّاس** : انّ الناس آلوا بعد رسول الله(ص) الى ثلاثة ؛ آلوا الى عالمٍ على هدىً من الله قد أغناه الله بما علم عن علم غيره ، وجاهلٍ مدّعٍ للعلم لا علم له معجب بما عنده قد فتنته الدّنيا وفتن غيره ، ومتعلّمٍ من عالمٍ على سبيل هدىً من الله ونجاة ؛ (الى آخر الحديث) اشارة الى ما ذكرنا ؛ فانّ المراد بالجاهل المدّعى للعلم المعجب بما عنده المفتتن بالدّنيا ؛ والمفتّن غيره ليس الجاهل السّاذج بل الّذى سمّاه أشباه النّاس عالماً واكتنز من قشر العلوم كنوزاً وجعلها لمآربه معدّة ، ولا علم له بالمعنى الّذى ذكر مع انّه مليءٌ بالادراكات الجهليّة المورثة لازدياد ملك الشّيطان الّذى هو ملك الجهل ، وكان عمله بتسخير الشّيطان جلباً لما اشتهته نفسه ، ودفعاً لما لايلائم نفسه من غيراعتبار للتّأدية الى الآخرة وهذا المسخّر للشّيطان بقوّته الدّراكة وحيلته الشّيطانيّة يريد مداماً ارائة مدّخراته للخلق فيتعرّض للمقال فى أندية الرّجال ويؤذى جليسه باعجابه بنفسه وإظهاره مزخرفاته ويمارى من يظنّه مثله اوفوقه؛ ونعم ماقال المولوىّ قدّس سرّه :

علم تقليدى و تعليمى است آن — كز نفور مستمع دارد فغان

۱ـ الختل كالضرب من باب ضرب ونصر الخديعة ؛ ختل ختلا وختلاناً .

۲ـ الحيزومة الصدر او وسطه او ما استدار على الظهر والبطن و ما اكتنف الحلقوم من الصدر ، والخب بالكسر الخداع و الخبث والغش .

۳ـ الحلواء مقصوراً و ممدوداً معروف ، و الحلوان بضم الحاء و بالنون اخره الدلال و الكاهن و مهر المرأة ، او ما تعطى على متعتها او ما يعطى من نحو رشوة ومثلها .

چون بی‌دانش نه بهر روشنی است | همچو طالب علم دنیای دنی است
طالب علم است بهر عام وخاص | نی که تا یابد ازاین عالم خلاص
علم وگفتاری که آن بی‌جان بود | عاشق روی خریداران بود
گرچه باشد وقت بحث این علم زفت | چون خریدارش نباشد مرد و رفت

و علامة العلم ان يكون العالم طالباً للخلوة مع معلومه نافراً من هذه الجهة من أوثق اخوانه فكيف بغيرهم ، وان كان من جهة الحبّ فى الله طالباً للسّلاك الى الله بل لتمام خلق الله قائلاً :

مشتریّ من خدای است و مرا | میکشد بالا که الله اشتری
خونبهای من جمال ذوالجلال | خونبهای خود خورم کسب حلال

وبقوّته السّبعيّة يريد الاستطالة على من يمكن له الاستطالة عليه فيستطيل على أمثاله الّذين لا يظن حصول ملائمات قوّته البهيميّة منهم ويتملّق لمن يظنّ حصول ملائماتها منه سواء كانوا أدنى منه فى الشّرف اوأمثاله اوأشرف منه ، **فمعنى الحديث** صنفٌ من طلبة العلم يطلبه لازدياد مدركاته الحاصلة باستمداد الشّيطنة الموجب لازدياد جهله ؛ وصفة هذا الصّنف ماذكره(ع) ، وصنفٌ يطلبه لتقوية قوّته الغضبيّة الظّاهرة بالاستطالة على الخلق ولتقوية قوّته البهيميّة الظّاهرة بالختل مع الخلق والتملّق ، وصنفٌ يطلبه للفقه وازديادالعلم الاخرويّ واشتداده ، والعقل يعنى كمال الادراك الّذى هو التعقّل مقابل نقصان الادراك الّذى هو الشّيطنة والجهل . **وروى عن اميرالمؤمنين(ع)** فى عبّاد العامّة وجهّالهم الّذين سمّاهم أشباه النّاس عالمين انّه قال : انّ من أبغض الخلق الى الله تعالى لرجلين ، رجل وكله الله تعالى الى نفسه وهوجائر عن قصدالسّبيل مشعوف بكلام بدعة قدلهج[1] بالصّوم والصّلوة فهو فتنة لمن افتتن به ، ضالّ عن هدى[2] من كان قبله، مضلّ لمن اقتدى به فى حيوته وبعد موته ، حمّال خطايا غيره ، رهنٌ بخطيئته ، ورجل قمش[3] جهلاً فى جهّال النّاس عان بأغباش[3] الفتنة قد سمّاه أشباه النّاس عالماً ولم يغن فيه يوماً سالماً ، بكّرفاستكثرما قلّ منه خير ممّا كثرحتّى اذا ارتوى من ماء آجن واكتنز من غير طائل جلس بين النّاس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره ، وان خالف قاضياً سبقه لم يأمن ان ينقض حكمه من يأتى بعده لفعله بمن كان قبله ، وان نزلت به احدى المبهمات المعضلات هيّألها حشواً من رأيه ثمّ قطع به فهومن لبس الشّبهات فى مثل غزل العنكبوت لايدرى أصاب ام أخطأ ، لايحسب العلم فى شيء ممّا أنكر، ولايرى انّ وراء مابلغ فيه مذهباً ، ان قاس شيئاً بشيء لم يكذّب نظره وان اظلم عليه امر اكتتم به لمايعلم من جهل نفسه لكيلا يقال له : لا يعلم ، ثمّ جسرفقضى فهو مفتاح عشوات[4] ركّاب شبهات خبّاط جهالات ، لايعتذر ممّا لا يعلم فيسلم ، ولا يعضّ فى العلم بضرس قاطع فيغنم ، يذرى الرّوايات ذروالرّيح الهشيم ، تبكى منه المواريث وتصرخ منه الدّماء ، يستحلّ بقضائه الفرج الحرام ، ويحرّم بقضائه الفرج الحلال ، لامليءٌ باصدار ما عليه ورد ، ولا هو أهلٌ لما منه فرط من ادّعائه علم الحقّ . والاوّل من الرّجلين اشارة الى من لم يدخل فى باب الهدى ولم يأخذ علمه من أهله الّذين أمر الله العباد بالأخذ منهم ، فصار حريصاً على الصّوم والصّلوة فافتتن النّاس بهم من حيث انّهم رأوهم متعبّدين فظنّوا أنّهم من خواصّ أهل الله فاقتدوا بهم ، والثّانى اشارة الى علمائهم الّذين لم يدخلوا فى باب الولاية ولم يأخذوا علمهم من أهله بل جمعوه من الصّحف وأخذوه من الرّجال

١- لهج به اى اولع به . ٢- الهدى بالفتح والسكون والهدية بالفتح او بالكسروالسكون السيرة والطريقة.
٣- قمش كنصر جمع ، واغباش جمع غبش كأسباب جمع سبب بقية الليل اوظلمة آخره .
٤- العشوات جمع العشوة والعشوة بتثليث العين ركوب الامر من غيربيان ، وبالفتح الظلمة.

فهم جمعوا سواقط خيالات النّاس و لذا استعمل فيه القمش الّذى هو جمع القماش الّتى هى ما سقط على وجه الارض ، وسمّى سواقط خيالات النّاس ممّا سمّوه مسائل علميّة بالجهل فقال : قمش جهلاً فى جهّال النّاس اى جمع ما سمّوه علماً فى بين علماء النّاس الّذين سمّاهم أشباه النّاس علما ، **فمعنى الآية على ما عرفت من معنى العلم وإطلاقاته**، و لقد علموا اى أدركوا ادراكاً يسمّى فى عرف أهل الله بالجهل لمن اشتراه ماله فى الاخرة من خلاقٍ ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون حقيقة لا متنعوا [وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا] ولوانّ اليهود ومن يليهم من النّواصب آمنوا بالايمان العامّ اوبالايمان الخاصّ اوأقرّوا وأذعنوا بالكتاب الّذى نبذوه وراء ظهورهم وهو عطفٌ على لمن اشتراه ، اوعلى سائر الجمل السّابقة لكن عطفه على قوله لمن اشتراه أوفق بحسب أجزاء مابعده [وَاتَّقَوْا] مخالفة من بايعوا معه او اتّباع ماتتلو الشّياطين [لَمَثُوبَةٌ] لهم [مِنْ عِنْدِاللهِ خَيْرٌ] و نكّر المثوبة للاشعار بانّ ما يصدق عليه المثوبة أىّ شيءٍ كان يسيراً اوكثيراً خيرٌ ولم يأت بالجملة الفعليّة للاشعار بأنّ لزوم المثوبة أمر مفروغ عنه و المحتاج الى البيان لزوم خيريّة المثوبة لا نفس المثوبة ، ولم يأت بالمفضّل عليه لعدم الاعتداد به وليذهب ذهن السّامع كلّ مذهبٍ [لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] لوللتّمنّى اوللشرط [يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ والبيعة العامّة روى أنّه ليس فى القرآن ياأيّها الّذين آمنوا الّا وهى فى التّوراة يا أيّها المساكين [لَاتَقُولُوا رَاعِنَا] كانوايقولون للنّبىّ(ص): راعنا اى لاحظنا محسناً الينا ، اواستمع لمقالنا ، وكان تلك الكلمة سبّاً فى لغة اليهود بمعنى اسمع لاسمعت كما فى الصّافى فكان اليهود يتوسّلون بتلك الكلمة الى شتم رسول الله(ص) فنهى الله المؤمنين عن تلك الكلمة [وَ] قال: [قُولُوا انْظُرْنَا] فانّها ليست شتماً فى لغتهم حتّى يتوسّلوا بها الى شتم الرّسول (ص) [وَاسْمَعُوا] اذقال لكم رسول الله (ص) قولاً و أطيعوا ، او المعنى : و اسمعوا نهيي لكم عن هذا القول ، و أمرى لكم بهذا القول ، [وَلِلْكَافِرِينَ] يعنى اليهود الشّاتمين [عَذَابٌ أَلِيمٌ مَا يَوَدُّالَّذِينَ كَفَرُوا] ابتداء كلام لبيان مرامٍ آخر و لذا قطعه عمّا قبله [مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ] اليهود والنصارى [وَلَاالْمُشْرِكِينَ] ولا من المشركين الّذين منهم النّواصب والمنافقون بمحمّدٍ (ص) وعلىٍّ (ع) اومنافقوا الامّة داخلون فى اهل الكتاب [أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ] من الآيات المزيّدات فى شرف محمّدٍ(ص) وعلىٍّ (ع) وآلهما الطّيّبين(ع) اومن نعمة من نعم الدّنيا ، اومن غلبة وغنيمة من الخصم [وَاللهُ يَخْتَصُّ] يميز [بِرَحْمَتِهِ] اى ولاية علىٍّ (ع) فانّها رحمته تعالى اونبوّته اوتصديق نبيّه اوولايته وامامته [مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ] ودّوا ذلك اوكرهوا [وَاللهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ] على من يختصّه برحمته .

بيان النّسخ واقسامه

[مَانَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ] النّسخ لغة الازالة والتّغيير والابطال واقامة شيءٍ آخر مقام المبطل والمسخ ، ونسخ الكتاب وانتسخه واستنسخه كتبه ، وشرعاً رفع حكم ثابت فى الشّريعة بعد العمل به سواء كان النّاسخ والمنسوخ من شريعتين اومن شريعةٍ واحدةٍ ، وسواء كان بالنسبة الى عامّة الخلق اوبالنّسبة الى أشخاصٍ مخصوصين ، اوبالنّسبة الى شخصٍ واحدٍ بحسب أحواله المختلفة ؛ والاوّل هوالنّسخ

الكلّيّ والثّاني والثّالث النّسخ الجزئيّ والنّسخ في الكتاب هو النّسخ الكلّيّ والنّسخ في الاخبار الولويّة نسخ جزئيّ بحسب الاشخاص ، اوبحسب أحوال شخصٍ واحدٍ، والنّسخ في الاخبار النّبويّة يجوز فيه الامران لانّ الكتاب الآلهيّ مشرع كلّ الامّة وأحكامه المنصوصة مشرع للكلّ ، ومنسوخه منسوخ عن الكلّ وناسخه ناسخ للكلّ ، وما يجرى فيه النّسخ الجزئيّ من الآيات فهولايعدّ من النّاسخ والمنسوخ بل يعدّ من المتشابهات ، وامّا الاخبار الولويّة فالنّسخ المذكور فيها لايجوز ان يكون نسخاً بالنّسبة الى كلّ الأمّة والّا لزم ان يكون الائمّة مؤسّسين للشريعة لاحافظين لشريعة محمّدٍ (ص) والحال أنّهم حافظون للشريعة ، والنّسخ الجزئيّ عبارة عن رفع حكمٍ عن شخصٍ كان ذلك الحكم ثابتاً له بأمرٍ شرعيٍّ ، اورفع حكمٍ ثابتٍ بالامر الشّرعيّ من الحافظين للشريعة اومن الشّارع لشخصٍ اولجمعٍ عن شخص آخر اوعن جماعة أخرى .

وفي الاخبار اشاراتٌ وتصريحاتٌ بذلك ونذكر شطراً منهالمزيد الاستبصار؛فنقول: روى في الكافي عن سليم بن قيس الهلالي انّه قال ، قلت لامير المؤمنين(ع) : انّي سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذرّرحمهم الله شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبيّ الله(ص) غير ما في أيدي النّاس ثمّ سمعت منك تصديق ماسمعت منهم ورأيت في أيدي النّاس أشياء كثيرة من تفسير القرآن وأحاديث عن نبيّ الله(ص) أنتم تخالفونهم فيها وتزعمون أنّ ذلك كلّه باطل أفترى النّاس يكذبون على رسول الله(ص) متعمّدين ؟ ويفسّرون القرآن بآرائهم؟- قال : فاقبل عليّ فقال : قد سألت فافهم الجواب ؛ انّ في ايدي النّاس حقّاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعامّاً وخاصّاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً وقدكذب على رسول الله (ص) على عهده حتّى قام خطيباً فقال : ايّها النّاس قدكثرت عليّ الكذّابة فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار ثمّ كذب عليه من بعده **و انّما أتاكم الحديث من أربعةٍ ليس لهم خامس ؛ رجل منافق** يظهرالايمان متصنّع بالاسلام لايتأثّم ولا يتحرّج ان يكذب على رسول الله(ص) متعمّداً فلو علم النّاس أنّه منافق كذّاب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوه ولكنّهم قالوا : هذا قدصحب رسول الله(ص) ورآه وسمع منه ؛ وأخذوا عنه وهم لايعرفون حاله وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبرهم ووصفهم فقال تعالى : واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم ، ثمّ بقوا بعده فتقرّبوا الى ائمّة الضّلالة والدّعاة الى النّار بالزّور والكذب والبهتان فولّوهم الأعمال وحملوهم على رقاب النّاس وأكلوا بهم الدّنيا وانّما النّاس مع الملوك والدّنيا الّا من عصم الله ؛ فهذا أحد الاربعة ، **ورجل سمع من رسول الله(ص) شيئاً** لم يحفظه على وجهه ووهم فيه ولم يتعمّد كذباً فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه فيقول : أنا سمعته من رسول الله (ص) فلو علم المسلمون أنّه وهم لم يقبلوه ؛ ولو علم هو أنّه وهم لرفضه ، **و رجل ثالث** سمع من رسول الله (ص) شيئاً أمر به ثمّ نهى عنه وهو لا يعلم ؛ اوسمعه ينهى عن شيءٍ ثمّ أمر به و هو لا يعلم فحفظ منسوخه ولم يحفظ النّاسخ ؛ فلوعلم أنّه منسوخ لرفضه ؛ ولوعلم المسلمون اذسمعوه منه أنّه منسوخ لرفضوه ، **وآخر رابع** لم يكذب على رسول الله(ص) مبغضٌ للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله(ص) لم ينسه بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه ، وعلم النّاسخ من المنسوخ فعمل بالنّاسخ ورفض المنسوخ فانّ أمر النّبيّ (ص) مثل القرآن ناسخ ومنسوخ ، وخاصّ وعامّ ، ومحكم ومتشابه ، قدكان يكون من رسول الله(ص) الكلام له وجهان وكلام عامّ وكلام خاصّ مثل القرآن وقال الله تعالى في كتابه : وما آتاكم الرّسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ؛ فيشتبه على من لم يعرف ولم يدرما عنى الله به ورسوله ليس كلّ أصحاب رسول الله (ص) كان يسأله عن الشيء فيفهم وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتّى ان كانوا ليحبّون ان يجيء

الاعرابى والطّارى فيسأل رسول الله(ص) حتّى يسمعوا وقد كنت أدخل على رسول الله(ص) كلّ يوم دخلة وكلّ ليلة دخلة فيخلّينى فيها ادور معه حيث دار وقد علم أصحاب رسول الله(ص) انّه لم يصنع ذلك بأحد من النّاس غيرى فربّما كان فى بيتى يأتينى رسول الله(ص) اكثر ذلك فى بيتى وكنت اذا دخلت عليه بعض منازله اخلانى وأقام عنّى نساءه فلا يبقى عنده غيرى واذا اتانى للخلوة معى فى منزلى لم يقم عنّى فاطمة(ع) ولا أحداً من بنىّ، وكنت اذا سألته (ص) أجابنى واذا سكتّ عنه وفنيت مسائلى ابتدأنى، فما نزلت على رسول الله (ص) آية من القرآن الّا أقرأنيها و أملاها علىّ فكتبتها بخطّى و علّمنى تأويلها و تفسيرها و ناسخها و منسوخها و محكمها ومتشابهها وخاصّها وعامّها ودعا الله ان يعطينى فهمها وحفظها فما نسيت آيةً من كتاب الله تعالى ولا علماً أملاه علىّ وكتبته منذ دعا الله لى بما دعا، وما ترك شيئاً علّمه الله من حلالٍ ولا حرامٍ ولا أمرٍ ولا نهيٍ كان اويكون ولا كتابٍ منزلٍ على أحد قبله من طاعةٍ اومعصيةٍ الّا علّمنيه وحفظته فلم أنس حرفاً واحداً ثمّ وضع (ص) يده (ص) على صدرى ودعا الله لى ان يملأ قلبى علماً وفهماً وحكماً ونوراً، فقلت : يا نبىّ الله بأبى انت وامّى منذ دعوت الله لى بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتنى شيء لم أكتبه أفتخوّف علىّ النّسيان فيما بعد ؟ - فقال : لالست أتخوّف عليك النّسيان والجهل .

وقد دلّ هذا الخبر على انّ فى أخبار الرّسول (ص) مثل القرآن ناسخاً و منسوخاً و عامّاً و خاصّاً ومحكماً ومتشابهاً وقلّ من يعرف النّاسخ من المنسوخ والعامّ من الخاصّ وموارد ورود الخاصّ والمحكم من المتشابه و تأويل المتشابه، و موارد تعلّق النّاسخ و موارد ارتفاع المنسوخ، و ليس الّا من كان له بصيرة بمراتب الرّجال واختلاف أحوالهم واقتضاء أحوالهم الاحكام اللّائقة بها، وفى الاخبار الدّالّة على تفويض أمر العباد الى رسول الله (ص) ثمّ اليهم اشعار بأنّهم ينظرون الى أحوال العباد فيأمرونهم بحسب أحوالهم، و فى نسبة ايقاع الخلاف بين أتباعهم الى أنفسهم دلالة على ذلك وقال محمّد بن مسلم : **قلت لأبى عبدالله(ع)** : مابال أقوام يروون عن فلان وفلان عن رسول الله(ص) لايتّهمون بالكذب فيجيئنى منكم خلافه؟ - فقال (ع) انّ الحديث ينسخ كما ينسخ القرآن . وقال منصور بن حازم قلت لأبى عبدالله (ع) : ما بالى أسألك عن مسئلةٍ فتجيبنى فيها بالجواب ثمّ يجيئك غيرى فتجيبه فيها بجوابٍ آخر ؟ - فقال : انّا نجيب النّاس على الزّيادة والنّقصان، قال قلت : فأخبرنى عن أصحاب رسول الله(ص) صدقوا على محمّدٍ(ص) ام كذبوا ؟ - قال : بل صدقوا، قلت : فما بالهم اختلفوا؟ - قال: أما تعلم انّ الرّجل كان يأتى رسول الله(ص) فيسأله عن المسئلة فيجيبه فيها بالجواب ثمّ يجيئه بعد ذلك ما ينسخ ذلك الجواب فنسخت الأحاديث بعضها بعضاً . **وعن أبى عبدالله(ع) انّه قال** : انّ الله رفيق يحبّ الرّفق فمن رفقه بعباده تسليله أضغانهم ومضادّتهم لهواهم وقلوبهم، ومن رفقه بهم انّه يدعهم على الامر يريد ازالتهم عنه رفقاً بهم لكى يلقى عليهم عُرى الايمان ومثاقلته جملة واحدة فيضعفوا فاذا اراد ذلك نسخ الامر بالآخر فصار منسوخاً . وعن زرارة؛ أنّه قال سألت أباجعفر (ع) عن مسئلةٍ فأجابنى ثمّ جاء رجل فسئله عنها فأجابه بخلاف ما أجابنى ثمّ جاء آخر فأجابه بخلاف ما أجابنى و أجاب صاحبى، فلمّا خرج الرّجلان قلت : يابن رسول الله(ص) رجلان من اهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كلّ واحد بغير ما أجبت به صاحبه؟! فقال: يازرارة، انّ هذا خيرٌ لنا ولكم ولو اجتمعتم على أمرٍ واحدٍ لصدّقكم النّاس علينا وكان اقلّ لبقائنا وبقائكم. وعن أبى جعفرٍ(ع) انّ المؤمنين على منازل منهم على واحدة، ومنهم على اثنتين؛ وقال هكذا الى سبعٍ، فلو ذهبت تحمّل على صاحب الواحدة اثنتين لم يقو؛ وهكذا الى السّبع . وفى بعض الأخبار عبّر عن المراتب بعشر وعبّر فى خبر بتسعة وأربعين جزءً كلّ جزء عشرة أجزاءً، وكلّ هذه يدلّ على اختلاف الاحكام باختلاف الاشخاص

و أنّهم يأمرون و ينهون على حسب أحوال النّاس ، اوعلى حسب أحوال شخص واحدٍ لانّهم أطبّاء النّفوس والطّبيب يراعى أمراض المرضى و أحوالهم ، و بحسب أمراضهم وأحوالهم يجيب مسائلهم ويدبّر غذاءهم ودواءهم. وقولهتعالى: قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرةٍ أنا و من اتّبعنى يدلّ على ذلك فانّ معنى البصيرة الرّؤية الباطنة والرّؤية الباطنة مرئيّها أحوال المدعوّ والدّعوة اللّائقة بحاله والمدعوّ اليه ، والطّريق الّذى يكون السّلوك عليه . والآية فعلة بالسّكون اوبالتّحريك اوهى مخففّة فاعلة بمعنى العلامة جمعها آيات وآىٌ وآياء وزن أفعال ، وتطلق علىآيات الكتاب التّدوينىّ فانّها علاماته تعالى وعلامات رسالة رسوله ، وعلى أحكام الرّسالة والنّبوّة فانّها ايضاً علاماته وعلامات الرّسالة والرّسول ، وعلىآيات الآفاق والانفس فانّها أيضاً علاماته تعالى و خصوصاً الآيات العظمى فانّها علاماته الّتى تحاكى تمام أسمائه و صفاته تعالى ولا اختصاص للنّسخ بالآيات التّدوينيّة والاخبار النّبويّة والولويّة فانّه كما يجرى فى تلك بمعنى رفع الحكم المستفاد منها يجرى فى آيات الآفاق بمعنى رفعها وازالتها اوتغييرها لكنّ النّسخ لايجرى الّا فى الآيات النّازلة الى عالم الطّبع سواء فيه تدوينيّاتها وتكوينيّاتهافانّهاآيات متشابهات يجرى فيها النّسخ لاالآيات العلويّة فانّها محكمات هنّ أمّ الكتاب وقوله تعالى [أَوْنُنْسِهَا] من باب الافعال وقرء ننسخ من باب الافعال وننسها بفتح النون والسّين والانساء عبارة عن محوها عن القلوب مع بقائها فى الواقع اومحوآثارها عن القلوب مع بقائها اوبقاء حكمها فىالواقع [نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا] لا اشكال فى اتيانه تعالى بخيرٍ منها اومثلها فى الآيات التّدوينيّة وأحكام الرّسالة والآيات الصّغرى الآفاقيّة وأمّا الآيات العظمى فانّ الاتيان بالخير اوالمثل لايتصوّر فى الانبياء بطريق الكلّيّة فانّه كان بمضمون تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعضٍ اكثر الاخلاف أدنى مرتبة من الاسلاف فانّ كلّ من يأتى بعد اولى العزم لم يكن فى مرتبتهم لكن نقول خيريّة الآيات انّما هى بالاضافة الى من تكون آياتٍ لهم ولا شكّ فى اختلاف الازمان و أهلها وانّ بعضهم أقوياء يقدرون على قبول الأحكام من نبىٍّ اقوى وبعضهم ضعفاء لا يقدرون على قبول الاحكام الّا من نبىٍّ أضعف فخيريّة نبىٍّ فى نفسه لا ينافى عدم خيريّته بالاضافة الى أمّة نبىٍّ آخر؛ ونعم ماقال المولوىّ قدّس سرّه :

پس بهر دورى ولىّ قائم است	تا قيامت آزمايش دائم است
او چو نور است و خرد جبريل او	آن ولىّ كم از او قنديل او
وآنكه زين قنديل كم مشكوة ماست	نور را در مرتبت ترتيبهاست
زانكه هفصد پرده دارد نورحق	پرده هاى نور دان چندين طبق
از پس هر پرده قومى را مقام	صف صفند اين پرده هاشان تاامام
اهل صفّ آخرين از ضعف خويش	چشمشان طاقت ندارد نور پيش
وان صف پيش از ضعيفىّ بصر	تاب نارد روشنائى بيشتر

وفى تفسيرالامام عليه السّلام اشارة الى ما ذكرنا [أَلَمْ تَعْلَمْ] يا محمّد (ص) ، او يا منكر النّسخ ومستغربه من الله ، اوالمرادكلّ من يتأتّى منه الخطاب [أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] وسبب نزول الآية كما فى الاخبار انّ الرّسول (ص) كان يتوجّه الى بيت المقدّس فى صلوته مدّة اقامته بمكّة ثلاث عشر سنة وبعد هجرته الى المدينة الى سبعة عشر شهراً وجعل قوم من مردة اليهود يعيّرونه باستقبال بيت المقدّس فاشتدّ ذلك

عليه(ص) وكره قبلتهم فصعد جبرئيل(ع) بعد اخباره ايّاه بذلك ثمّ عاد فقال اقرأ : **قد نرى تقلّب وجهك في السّماء** (الآيات) فقالت اليهود : ماولّيهم عن قبلتهم الّتى كانوا عليها فأجاب تعالى بقوله : **قل لله المشرق والمغرب** فعيّروه بأنّه ان كان الاولى حقّةً فالثّانية باطلة ، وان كان الثّانية حقّةً فالاولى كانت باطلة ، فنزلت هذه الآية يعنى انّ الله يقدر على نسخ حكمٍ والاتيان بحكمٍ آخر يكون أصلح لكم وانفع بحالكم [اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰواتِ وَالْاَرْضِ] فيتصرّف فيهما على ما اقتضته حكمته [وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ] بنفسه بحسب نفس الأمر وبتوسّط خلفائه بحسب ظاهر الأمر اومن دون ذاته بحسب التّكوين ومن دون خلفائه بحسب التّكليف ، اومن دون الله في مظاهره العالية والدّانية تكويناً وتكليفاً [مِنْ وَلِيٍّ وَلانَصيرٍ] .

تحقيق الوليّ والنّصير

اعلم انّ الانسان خلق محتاجاً فى بقائه واستكماله فى ذاته وصفاته ومعرضاً لما يفنى ذاته وكمالاته الحاصلة ولما يمنعه عن الوصول الى كمالاته المترقّبة له فاحتاج الى مايجذب اليه مايحتاج اليه فى بقائه واستكماله ، والى ما يدفع عنه ما يفنيه ويمنعه عن كماله وكان سنّة الله ان يجرى الاشياء بالاسباب فخلق تعالى فيه قوّة شوقيّة خادمة للشهويّة والغضبيّة الخادمتين للمدركة المنشعبة الى قوىً عديدةٍ باعثة على الحركة مستخدمة للقوّة المحرّكة المودعة فى الاعصاب المستخدمة للاعصاب والرّباطات وبتوسّطها للاعضاء فتجذب بسبب الاعضاء وحكم القوّة الشّهويّة مايلائمه وتدفع بسبب الاعضاء والقوّة الغضبيّة مايضرّه؛ هذا بحسب مقام جسمه ، وأمّا بحسب مقام روحه فله ماينفعه وما يضرّه واصل النّافعات الملك الزّاجر الموكّل عليه من الله ، واصل الضّارّات الشّيطان المغوى الموكّل عليه فجعل الله تعالى له حكمة نظريّةً يبصربها ببصيرته تصرّف الملك وزجره ، وتصرّف الشّيطان واغوائه ، وحكمة عمليّة تخدم القوّتين اللّتين بهما الحبّ فى الله والبغض فى الله بازاء الشّهويّة والغضبيّة وهما تخدمان الحكمة النّظريّة ، ولمّا جعل العالم الصّغير نسخة موجزة عن الكبير وحاكية عمّا فى الكبير والتّكليف مطابقاً للتّكوين كان فى الكبير لا محالة قوّة جاذبة لنافع الانسان وقوّة رادعة لضارّه سواء كانت تانك القوّتان فى شخصٍ واحدٍ اوفى شخصين ، **والوليّ** هوالّذى يكون مربّياً بجذب ما ينفع المولّى عليه فى بقاء ذاته وحصول كمالاته ، **والنّصير** هوالّذى يكون دافعاً عنه ما يضرّه وبوجهٍ آخر الوليّ من يكون داخلاً فى ملكه ، والنصير من يكون خارجاً حامياً ، والقوّة الشهويّة والقوّة المورثة للحبّ فى الله فى الدّاخل كالوليّ فى الخارج ، والقوّة الغضبيّة والقوّة الموجبة للبغض فى الله كالنّصير ، وكلّ رسول بولايته وليّ لأمّته وبرسالته نصير ؛ وهكذا كان حال الاوصياء فانّهم كانوا بولايتهم اولياء وبخلافتهم أنصاراً وكلّ رسول فى زمانه كان وليّاً وخليفته نصيراً فانّ الرّسول(ص) فى زمانه مربٍّ وخليفته حام فمحمّد(ص) فى حيوته كان اماماً ناطقاً بشيراً وليّاً هادياً مربّياً رحيماً ، وعليّ(ع) اماماً صامتاً منذراً نصيراً حامياً قتّالاً ؛ ولذا قال(ص) : أنا وعليّ أبوا هذه الامّة ، وقوله (ص) : أنا المنذر وعليٌّ الهاد ؛ اشارةٌ الى حيثيّة رسالته وولاية عليّ (ع) ؛ انّما انت منذرٌ باعتبار شأن الرّسالة ، ولكلّ قومٍ هاد : باعتبار شأن الولاية ، ولاقتضاء تعدّد العنوان تعدّد المظهر كانت الدّعوة فى الاغلب بتظاهر نفسين احداهما مظهر عنوان الوليّ والاخرى مظهر عنوان النّصير .

[اَمْ تُريدُونَ] ام معادلة لهمزة الم تعلم انّ الله على كلّ شيىءٍ قدير ، و الم تعلم انّ الله له ملك السّموات و الارض ؛ تأكيد له او بدل عنه بدلاً تفصيلياً والاتيان بخطاب الجمع فى قوله و ما لكم

وتريدون يدلّ على انّ الخطاب فى الم تعلم لمحمّد (ص) والمقصود هو وامّته اختصّ بالخطاب لكونه أشرف وأصلاً، اوالخطاب لغير معيّن حتّى يفيد العموم البدليّ ويوافق المعاد لان فى المسند اليه والمعنى الم تعلموا أنّ الله على كلّ شيء قديرالم تعلموا انّ الله مالك الكلّ والمالك يتصرّف فى ملكه كيف يشاء، امتعلمون ذلك وتريدون [اَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ] وتحاجّوه عالمين عامدين [كَمَا سُئِلَ مُوسٰى مِنْ قَبْلُ] فأخذت السّائلين الصّاعقة فأهلكوا وفيه تهديدٌ لهم بمثل العقوبة الّتى عوقبت بها أصحاب موسى (ع) حيث قالوا: لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرةً [وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْاِيمانِ] بعد العلم الّذى من شأنه ان يكون صاحبه مقرّاً مؤمناً اوبعد جواب الرّسول له انّ ما سأله لايصلح اقتراحه، اوبعد ما أظهره الله له ما اقترح، اوبعد ما شاهد آيات الرّسول والجملة حالٌ اوعطفٌ على جملة ماننسخ من آية [فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ] يعنى انّ الآخذ للكفر بعد ما ذكر كأنّه كان على السّبيل المستوى وضلّ عنه ولذا استعمل التّبدّل الّذى يشعر بأنّه كان على الايمان او مشرفاً على الايمان فتركه وأخذ الكفر [وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ اَهْلِ الْكِتابِ لَوْيَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ ايمانِكُمْ كُفّاراً] بالقاء الشبهات وتحريف الكلمات وتعيير الضّعفاء وتثريب المعجزات.

اعلم انّه كلّ من اختار سيرةً حقّةً اوباطلة يودّان يكون النّاس كلّهم على سيرته وهذا أمر مفطورٌ عليه للانسان بل لكلّ شيء من الملائكة والجنّه والشّياطين والعناصر والمواليد فان كان الانسان واقفاً فى جهنّام النّفس والحسد من جنودها ولاينفكّ عنها كان حسده ايضاً باعثاً عليه، وان كان من أرباب القلوب كان رحمته باعثةً عليه أيضاً ولذا أضاف اليه قوله تعالى [حَسَداً] مفعول له اوحالٌ [مِنْ عِنْدِ اَنْفُسِهِمْ] يعنى ودّوا ذلك من حسدهم ومن اقتضاء فطرتهم على ان يكون الظّرف متعلّقاً بقوله تعالى ودّ، اوالمعنى ودّوا من حسدٍ حاصل لهم من أنفسهم الخبيثة من دون سببٍ آخر على ان يكون ظرفاً مستقرّاً صفة لحسداً [مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ] بالدّلائل المعلومة لهم من كتبهم وأخبارهم وبالمعجزات المشهودة لهم من محمّد(ص) [فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا] الفاء سببيّة كأنّه قال: هذه الفعلة صارت سبباً للامر بالعفو والصّفح فكأنّه جزاء او هو جزاء حقيقةً لشرطٍ مقدّرٍ تقديره هكذا: ان فعلوا ذلك فاعفوا، والعفوترك الانتقام من الجانى، والصّفح تطهيرالقلب من حقده، وكأنّهما كالفقراء والمساكين؛ اذا افترقا يجوز ان يراد بكلٍّ مجموع المعنيين، واذا اجتمعا يراد بكلٍّ معناه المذكور، والمقصود الأمربترك مقابلة حسدهم وتثريبهم بالحسد والتّثريب وتطهيرالقلب من الحقد عليهم، فانّ مقابلة الجهّال بمثل جهلهم يستلزم تنزّل الانسان الى مقامهم وصيرورته مثلهم وازدياد جهلهم وعنادهم، واللّبيب لايرضى التّماثل معهم ولا ازدياد الجهل والعناد من العباد، والحقد على الكافر والمؤمن يمنع القلب عن التوجّه الى امورالآخرة ويذهب براحة القلب ويأكل ما اكتسبه من الخيرات ويمنع عن النّصح المطلوب من كلّ أحدٍ والتّرحم المأمور به، ويوجب الاضلال المنهىّ عنه على انّ تثريب العباد والحقد عليهم يرجع الى تثريب صنع الله، وتثريب الصّنع تثريب للصّانع [حَتّٰى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ] فيهم بالقتل يوم فتح مكّة كما فى تفسير الامام، اوبالهداية لهم، او بضرب الجزية عليهم، او بالقتل والأسر والاجلاء فيهم [اِنَّ اللهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] فيقدر على ذلك كلّه [وَاَقِيمُوا الصَّلٰوةَ] يعنى بعد ما سلم مداركم وجوارحكم

عن المعارضة وقلوبكم عن الحقد يتأتّى لكم اقامة الصّلوة فأقيموها ، اوالمقصود وأقيموا الصّلوة حتّى يتأتّى لكم العفووالصّفح [وَ آتُوا الزَّكٰوةَ] قد مضى فى اوّل السّورة بيان اقامة الصّلوة وايتاء الزّكوة [وَماٰتُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ] عطف باعتبار المعنى كأنّه قال : وقدّموا لانفسكم اذالمقصود من مثله التّعريض بالأمر والايجاب على المخاطب والمراد بالخير امّا الاحسان الى المسيئين كأنّه قال : فاعفوا واصفحوا وأحسنوا ، اوالمراد منه كلّ فعلٍ حسنٍ فيكون ذكراً للعامّ بعدالخاصّ ويكون ، الاحسان المطلوب بعد مقام الصّفح مشاراً اليه بذكر اقامة الصّلوة وايتاء الزّكوة فانّ الاحسان لا يكون الّا بكسر سورة انانيّة النّفس والتّسليم الخالص لأمر الله وليسا الّاالزّكوة والصّلوة [تَجِدُوهُ عِنْدَاللهِ] مدّخراً لكم بنفسه على تجسّم الأعمال اوبحقيقته اوجزائه [إِنَّ اللهَ بِماٰ تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] فلا يشذّ عنه شيءٌ لا يدّخر عنده [وَ قاٰلُوا] اى اهل الكتاب من اليهود والنّصارى وهو عطف على ودّ [لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلّاٰ مَنْ كاٰنَ هُوداً] اسم جمع بمعنى اليهود ابتداءً ، اوكان فى الاصل جمعاً لهائدٍ بمعنى التّائب ، اوبمعنى الرّاجع الى الحقّ ، اوبمعنى الدّاخل فى اليهوديّة ، على ان يكون من المشتقّات الجعليّة كالتّهويد والتّهوّد كعوذ جمع عائذٍ من دون تغيير ، اوكان اصله هوود بواوين ثمّ خفّف فصار هوداً [اَوْنَصاٰرٰى] لفظة اوللتّفصيل اى كان قولهم هذا وذاك وقد مضى وجه تسمية النّصارى [تِلْكَ اَماٰنِيُّهُمْ] المشاراليه مجموع ما سبق من عدم ودادهم نزول خيرعلى المؤمنين ، ووِدادهم ارتدادهم عن الايمان ، وادّعائهم انّ الجنّة ليست الّا لأهل ملّتهم ، والامانىّ جمع الاُمنيّة مغيّر الامنوية كالاضحوكة بمعنى التّمنّى و ترقّب حصول امرٍمن دون تهيّؤ أسبابه وادّعائه من دون حجّةٍ ولذا قال : يا محمّد (ص) [قُلْ] لهم ان لم يكن مدّعاكم محض تمنّى النّفس فاثبتوه بالحجّة [وَهاٰتُوا بُرْهاٰنَكُمْ] على دعواكم [إِنْ كُنْتُمْ صاٰدِقِينَ] فى دعواكم [بَلٰى] اثبات لما نفوه بقولهم: لن يدخل الجنّة الّا من كان هودا اونصارى [مَنْ اَسْلَمَ] اخلص [وَجْهَهُ] الوجه العضو المخصوص و ما يتوجّه الشّيء به و نفس الشّيء والمعنى من أخلص جهة توجّهه اوذاته [لِلهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ] فى أفعاله اومحسن الى خلقه [فَلَهُ أَجْرُهُ] اللّائق به الّذى لا يمكن تعيينه الّا بالاضافة اليه [عِنْدَ رَبِّهِ] كأنّه للاهتمام به لم يكل أجره الى غيره [وَلاٰخَوْفٌ عَلَيْهِمْ] جمع الضّمير مع الافراد فى الضّمائر السّابقة باعتبار لفظ من ومعناه [وَلاٰهُمْ يَحْزَنُونَ] قدمضى بيان هذه الآية فى اوّل السّورة [وَ قاٰلَتِ الْيَهُودُ] عطفٌ على قالوا ، اوعلى ماعطف هوعليه وهواظهارٌ لدعوى باطلةٍ أخرى لهم من غير حجّةٍ تفضيحاً لهم بغرورهم وحمقهم وانّ ما قالوا فى انكار رسالة رسول الله (ص) من هذا القبيل ولا يقولون قولاً عن حجّة [لَيْسَتِ النَّصاٰرٰى عَلٰى شَيْءٍ] من الدّين [وَقاٰلَتِ النَّصاٰرٰى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلٰى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتاٰبَ] يعنى قالوا ذلك والحال أنّهم علماء تابعون للشّرائع اوعلماء قارؤن الكتب الآلهيّة والعالم لا يبرز دعوى بلا حجّة وفى الكتب الآلهيّة تأديبات وتعليمات لكيفيّة اظهارالدّعوى فالعاقل العالم القارئ للكتاب التّابع للشّرائع لا يظهر دعوى بلاحجّة وليس المقصود تكذيبهم فى اصل دعويهم بل كلا الفريقين مصدّقان فى اصل الدّعوى بعد نسخ أديانهما بدين محمّدٍ(ص)، اوالمقصود

تكذيبهم فى اصل الدّعوى وتثريبهم فى طريق اظهاره فانّ كلّا بانكار كون صاحبه على دين حقّ ينكر كون نبىّ صاحبه ودينه وشريعته وكتابه على الحقّ وهذا دعوى باطلة فى نفسها باطلة من حيث عدم الاتيان بالبرهان عليها، ولمّا كان عامّة النّاس بل عامّة الحيوان ديدنهم ان ينكروا ماوراء معتادهم وماوراء مارأوه من آبائهم، ويحسبوا انّ الحقّ هو ما اعتادوه من غير حجّة عليه سوى قولهم انّا وجدنا آباءنا على امّة قال تعالى: [كَذٰلِكَ] اى مثل قولهم [قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ] اى لا يكون لهم علم [مِثْلَ قَوْلِهِمْ] فهو تأكيد لقوله تعالى كذلك والمقصود تفضيح آخر لهم بان تشبّهوا بالجهّال يعنى انّ اتّباعهم للشرائع وقراءتهم للكتب لم يكن يورثهم علماً بل كان ذلك ايضاً محض التّقليد والاعتياد والّا فما قالوا شيئاً يشبه قول الجهّال وكأنّ الامّة المرحومة أخذوا هذه الشّيمة من اليهود والنّصارى فأخذ كلٌّ فى انكار صاحبه من غير سلطان كبر مقتاً عندالله ان يقولوا ما لا يعلمون لكن بما كان كلّ حزب بما لديهم فرحين لايتركون انكار ما لا يعلمون [فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ] بين الجماعتين او بين المختلفين من اليهود و النّصارى والّذين يحذوحذوهم فى هذا القول [يَوْمَ الْقِيٰامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] من غير حجّة وعلم . وذكر فى نزول الآية انّها نزلت فى طائفتين من اليهود والنّصارى جاؤا الى رسول الله(ص) وعرضوا عليه هذين القولين وقالوا يامحمّد اقض بيننا [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللّٰهِ اَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ] عطف على جملة كذلك قال الّذين لا يعلمون فانّها تشعر بأنّهم يمنعون عباد الله عن الاسلام و عن مساجدهم الصّوريّة وعن مساجدهم الحقيقيّة الّذين هم الرّسول وخلفاؤه، ومن أظلم استفهام انكارىّ فى معنى النّفى فكأنّه قال كذلك يمنع الّذين لايعلمون مساجد الله ولا أظلم ممّن منع مساجدالله، ومنع ضدّ أعطى وهو يتعدّى الى المفعولين بنفسه، والى الاوّل بمن والى الثّانى بنفسه، والى الاوّل بنفسه والى الثّانى بعن اوبمن، ومساجدالله ههنا مفعول اوّل وان يذكر مفعول ثانٍ اومساجدالله مفعول ثان وان يذكر بدل منه بدل الاشتمال و المفعول الاوّل محذوف والتّقدير: من اظلم ممّن منع النّاس عن مساجد الله عن الذّكر فيها .

تحقيق الظلم

والظّلم وضع الشيء فى غير ما وضع له ومنعه عمّا وضع له ولذا فسّر باعطاء الحقّ لغير المستحقّ ومنع الحقّ من المستحقّ وهو ينشأ من ظلمة النّفس وعدم استنارتها بنور العقل، و لذا اشتقّ اسمه منها، لانّ من أظلم نفسه ولم يستضيئ بضياء العقل ولم يكن تابعاً لولىّ الامر لايتميّز الحقّ والمستحقّ عنده، ومن لم يميّز الحقّ والمستحقّ لايمكنه اعطاء الحقّ للمستحقّ ويعطى الحقّ لغير المستحقّ و يمنع المستحقّ عن الحقّ فى عالمه الصّغير فانّ لكلٍّ من قواه و مداركه واعضائه حقّاً و لكلّ واحدٍ منها مستحقّاً هو حقّ له وينبغى اعطاءه لذلك المستحقّ وهو العقل المنقاد لولىّ الامر، واذا صار ظالماً فى عالمه الصّغير صار ظالماً فى العالم الكبير بالنّسبة الى من تحت يده والى غيرهم ولا أقلّ من الظّلم الّذى هو منع نفسه عن المستحقّ الّذى هو ولىّ أمره ويتدرّج فى هذا الظّلم حتّى ينتهى امره الى منع المستحقّ الّذى هو غاية الغايات الّذى هو ولىّ الامر نبيّاً كان ام وصيّاً عن الحقّ الّذى هو غاية الحقوق و نهاية العبادات و هو ذكر اسم الله تعالى عنده وفيه وله كما قال تعالى: ثمّ كان عاقبة الّذين اساؤا السّوءى ان كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن وامّا التّابع لولىّ الامر فانّه اذا كان آخذاً من ولىّ أمره عاملاً بأمره تاركاً لما نهى عنه كان عادلاً

بعد له مستنيراً بنوره وان لم يكن مستنيراً بنفسه .

تحقيق المسجد

والمساجد جمع المسجد بكسر الجيم وقد يفتح وهومحلّ السّجود وهوغاية الخضوع فتمام الارض مسجد بهذاالمعنى لأنّ جملة ما فيها ليس لها الّاالتذلّل فجملة وجه الارض محلّ لتذلّل ما فيها وقال النّبيّ (ص): جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً لشهوده(ص)سجود الكلّ في كلّ الارض وبهذا المعنى صارت الصّدور المنشرحة بنور الاسلام والقلوب المستنيرة بنور الايمان مساجد حقيقيّة لسجودكلّ ما فيهما وتذلّلها حقيقة ، وامتياز لمساجد الصوريّة من بين بقاع الارض باسم المسجد واسم بيت الله ليس بهذا المعنى ولا لخصوص البقعة ولالخصوص اللّبنة والطّين والجصّ وسائرآلات البناء ، ولا لخصوص البنّاء والعملة والّا لشاركها في هذا الاسم كلّما شاركها في هذه بل الامتيازبنيّة الواقف لانّ الواقف اذاكان نيّته صحيحة خالصة لوجه الله غير مشوبة بأغراض النّفس صار صدره منشرحاً وقلبه مستنيراً وصارا مسجدين لله وبتوجّهه الى تلك البقعة تصير البقعة مستنيرةً وتمتاز بالمسجديّة وبكونها بيت الله ، فاذا صارالانسان متمكّناً في ذلك الانشراح والاستنارة صارمسجداً وبيتاً لله على الاطلاق ، وان لم يكن متمكّناً فيهماكان مسجداً وبيتاً لله وقت الاتّصاف بهما ، وكلّما ازداد و اشتدّ الاتّصاف به ازداد واشتدّت المسجديّة و البيتيّة لله ، وكلّما اشتدّ مسجديّته لله اشتدّ مسجديّة ما بناه لله ؛ واليه أشار المولوى قدّس سرّه بقوله :

آن بناى انبيا بى حرص بود	لاجرم پيوسته رونقها فزود
اى بسا مسجد برآورده كرام	ليک نبود مسجد أقصاش نام
كعبه را كه هرزمان عزّ ميفزود	آن ز اخلاصات ابراهيم بود

فالمساجد حقيقة والبيوت الّتى أذن الله ان ترفع هى الصّدور والقلوب المنشرحة المستنيرة وبعدها صاحب تلك الصّدوروالقلوب ، وامّاالمساجد الصّوريّة فهى مساجد حقيقة باعتبارالمعنى الاوّل الّذى به تكون جملة بقاع الارض مساجد لكن امتيازها عن سائر بقاع الارض باسم المسجديّة فليس الّا بتوجّه المساجد الحقيقيّة الّتى هم الواقفون لها ولذلك فسّروا المساجد والبيوت الّتى اذن الله ان ترفع في أخبار كثيرة بأنفسهم، ونعم ماقال المولوىّ قدّس سرّه مشيراً الى الانبياء والاولياء (ع) .

گرنه پيدايند پيش نيک و بد	چيست با ايشان خسان را اين حسد
بر در اين خانه گستاخى زچيست	گرهمى دانند كاندر خانه كيست
ابلهان تعظيم مسجد ميكنند	در جفاى اهل دل جدّ ميكنند
آن مجاز است اين حقيقت اى خران	نيست مسجد جز درون سروران
مسجدى كو اندرون اولياست	سجده گاه جمله است آنجا خداست

وعلى هذا اذاكان الدّاعى على البناء الاغراض الشّيطانيّة لم يكن البناء مسجداً وان سمّى بالمواضعة مسجداً ، والبانى الغير المستنير بنفسه والغير المنقاد لولىّ امره قلّما ينفكّ عن الاغراض فانّه اذا بالغ في الاجتهاد جعل قرب نفسه لله تعالى غاية لبناءه وداعياً عليه وصحّة مثله في غاية الاشكال ، وامّا ماقالوه في صحّة الوقف من التقرّب الى الله وعدم الانتفاع به فالمقصود ان يكون قرب البانى واقتضاء قربه الاشتداد في القرب داعياً لاانّ النّفس ارادت الاجرة عليه وجعلت القرب أجرته فانّه نحو انتفاع للنّفس بالوقف ، وامّا الاغراض الأخر كالصّيت والمراءاة والتّمدّح وغيرها من الاغراض فتجعل البناء بيتاً للشّيطان ، واذاكان الانسان له قرب وقربه يقتضى ذلك لكنّه لم يمت النّفس ويشاركه النّفس في اغراضه كان البناء مسجداً وبيتاً لله بمشاركة الشّيطان ،

و اذا أراد البانی اختبار نفسه فلینظر هل ترضی باعطاء ثمن البقعة و أجرة بنائها لرجلٍ غیرمعروفٍ و بان یأمره ان یبنی المسجد من غیر اطّلاع أحدٍ علی ذلک فان ترض و تسرّ بذلک فالبناء لله والّا فللنّفس اوبمشارکتها [وَسَعىٰ فِي خَرٰابِهٰا] ای خراب سقوفها وجدرانها اومنع أهلها عن الرّجوع الیها وخرابها بتعطیلها عن ذکرالله وإقام الصّلوة ونزول الآیة فی مشرکی مکّة ومنع المسلمین بعد هجرة النّبیّ(ص) عن دخول مساجدهم ، وتخریب مساجدهم لا ینا فی عمومها وعموم المساجد و المانعین والممنوعین وعموم تخریبها [أُولٰئِكَ] المحضرون بالاوصاف المذمومة الاذلّون [مٰا كٰانَ] ینبغی [لَهُمْ اَنْ يَدْخُلُوهٰا اِلّاٰ خٰائِفِينَ] خاشعین متذلّلین اوخائفین من المؤمنین فضلاً عن ان یجترؤا علی تخریبها او منع المؤمنین عنها او ماکان فی علم الله ان یدخلوها بعد الّا خائفین ؛ وحینئذٍ یکون وعداً للمؤمنین بغلبتهم واخافتهم المشرکین کما فعل بهم یوم فتح مکّة وسیقع ذلک حین ظهور القائم عجّل الله فرجه [لَهُمْ فِي الدُّنْيٰا خِزْيٌ] قتل ونهبٌ وأسر وا جلاء وجزیة [وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذٰابٌ عَظِيمٌ وَ لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ] عطف علی قوله ومن أظلم باعتبار المعنی فانّ المقصود افادة انّ المشرکین اومطلق الکفّار منعوا مساجدالله فکأنّه قال هم منعوا مساجدالله وماهم بضارّین بذلک المؤمنین فانّ لله المشرق والمغرب ای وجه الارض کلّها [فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا] ایّها المؤمنون ای فی ایّ بقعةٍ من بقاع الارض تولّوا الیه [فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ] لا اختصاص له ببقعةٍ دون بقعةٍ و الوجه کما مضی ما به ظهور الشّیء وما به توجّهه واستقباله وذات الشّیء .

اعلم انّ الحقّ الاوّل تعالی بحسب مقام ذاته الغیبیّة غیب مطلق ومجهول مطلق لا اسم له ولا رسم ولا خبر عنه ولا اثرلکنّه بحسب مقام ظهوره وفعله لا خبر عن شیءٍ الّا وهوخبرعنه ، ولا اسم ولارسم لشیءٍ الّا وهواسم ورسم له ، ولاظهورلشیءٍ الّا وهوظهوره فهوبفعله محیط بکلّ الاشیاء کما قال تعالی : وهوبکلّ شیء محیطٌ وهو معکم و هو الاوّل والآخر والظّاهر والباطن و هو بکلّ شیءٍ علیم وکما قال (ع) : داخل فی الاشیاء لاکدخول شیءٍ فی شیءٍ بل کدخول المقوّم فی المتقوّم فلااختصاص لبقعةٍ دون بقعةٍ بالعبادة والتوجّه الی المعبود فی نفسها لکن قد یعرض لبعض امتیازعن الاخری باموررخارجة مثل توجّه کامل الی بعض دون بعض او توطّنه اوتولّده اوتعمیره او دفنه ومثل نیّة صادقة تبرزها و تمیزها للعبادة فانّ بیت المقدّس امتاز واختصّ بالعبادة وبالتوجّه الیه فی العبادة بکلّ هذه الوجوه؛ وهکذا مکّة ، واختصاص المساجد انّما هوبالنیّة الصّادقة [إِنَّ اللّٰهَ وٰاسِعٌ] لایخلومنه مکانٌ ومقام شیءٍ وفیءٍ کماعرفت [عَلِيمٌ] فیعلم منکم ما تفعلونه کیف تفعلونه وفی ایّ مکانٍ تفعلونه فعلیکم بتصحیح الأعمال لاتعیین المحلّ والجهة لها وفی الاخبار انّها نزلت فی الصّلوة النّافلة تصلّیها حیث توجّهت وامّا الفرائض فنزل فیها قوله تعالی وحیثما کنتم فولّوا وجوهکم شطره وسئل الصّادق(ع) عن رجل یقوم فی الصّلوة ثمّ ینظر بعد ما فرغ فیری انّه قد انحرف عن القبلة یمیناً وشمالاً فقال: قد مضت صلوته وما بین المشرق والمغرب قبلة ، ونزلت هذه الآیة فی قبلة المتحیّر: ولله المشرق والمغرب؛ الآیة . وفی حدیث الجاثلیق الّذی سأل عن وجه الرّبّ انّه دعا علیّ(ع) بنارٍ وحطبٍ فأضرمه فلمّا اشتعلت قال علیّ(ع): این وجه هذه النّار؟-قال النّصرانیّ : هی وجه من جمیع حدودها، قال علیّ(ع): هذه النّارمدبّرة مصنوعة لایعرف وجهها وخالقها لایشبهها، ولله المشرق والمغرب فأینما تولّوا فثمّ وجه الله لا تخفی علی ربّنا خافیة

و على هذا الوجه فمعنى الآية الى اىّ جهةٍ توجّهتم فثمّ وجه الله [وَ قالُوا] اليهود والنّصارى والمشركون [اتَّخَذَاللهُ وَلَداً] حين قالوا : عزير ابن‌الله ، والمسيح ابن‌الله ، والملائكة بنات‌الله ، وهوعطفٌ على أقوالهم السّابقة واظهارٌ لحمقٍ آخر لهم [سُبْحانَهُ] مصدرسبح كمنع بمعنى تنزّه يعنى تنزّه عن نسبة الولد والنّقائص اللّازمة منها من الحاجة والتّحديد والاثنينيّة تنزّهاً [بَلْ لَهُ] من حيث انّه مصدر الكلّ ومنتهاه ومالكه [ما فِي السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ] اى‌السّماوات والارض ومافيهما فلايكون شيء فيهما ولداً له وعلى تعميم السّماوات لسماوات الارواح والاراضى لجملة عالم الطّبع فلايكون ممّا سوى‌الله ولد له فانّ الولد نسبته الى الوالد ليست نسبة المملوكيّة [كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ] القنوت الدّعاء والطّاعة والتّواضع وهذه شأن العبيد لاالاولاد الّذين اذا بلغوا كانوا مماثلين مجانسين للوالد [بَدِيعُ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ] منشئهما من غيرمثالٍ سبق ولامادّةٍ ولازمانٍ ولاآلةٍ ولا أسبابٍ ، بدع كمنع وأبدع وابتدع خلق من غيرمثال وتهيّة اسبابٍ و [إِذا قَضىٰ أَمْراً] عطف على جملة سبحانه ، اوله مافى السّموات او كلّ له قانتون اوبديع السّموات والمعنى بل هواذا قضى امراً [فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] وليس شأنه شأن النّاقصين فى التّوالد المحتاجين الى زوج وحركات وانفصال مادّة وانقضاء مدّة ، ولا شأن النّاقصين فى الافعال المحتاجين الى مثالٍ ومادّةٍ ومدّةٍ وآلاتٍ واسبابٍ فى فعلهم وهذه العبارة كثيرة الورود فى الكتاب والسّنّة ووردت بلفظ الارادة والمشيّة والقضاء والمقصود واحد لانّ كلّ هذه من مقدّمات الفعل فانّه لايكون شيء الّا بعلمٍ ومشيّةٍ وارادةٍ وقدرٍ وقضاءٍ وامضاءٍ وقد ينحلّ الامضاء الى الاذن والكتاب والاجل وقد يؤدّى بلفظ الامضاء الّذى هو اجمال هذه الثلاثة ولمّا كان العلم الّذى قبل المشيّة من صفات ذاته تعالى وعين ذاته ولم يعدّ الفاعل من مقدّمات الفعل بل المقدّمات هى الّتى تحتاج الفعل اليها حين ايجاد الفاعل له لم يعدّ العلم فى الاخبار من مقدّمات الافعال وليست هذه فى الحقّ الاوّل تعالى كالاناسىّ تحدث بعد ما لم تكن و تفنى بعد ما تحدث فانّ مشيّته تعالى وكذا ارادته وقدره وقضاءه وامضاءه ازليّة ابديّة و انّما الحدوث من قبل الحادثات لانّ هذه بالنّسبة الى الله كالاشعّة بالنّسبة الى الشّمس واذا فرضت الشّمس فى وسط السّماء ثابتة وفرضت الاشعّة ايضاً دائمة بدوامها وكانت السّطوح متدرّجةً فى المقابلة للاشعّة كان الحدوث لاستضاءة السّطوح بالاشعّة لاللاشعّة فانّ الله اذا شاء واراد وقدّر وقضى شيئاً فانّمايقول لهوقوله اذنه: **كن**؛ وكلمة كن منه كتابه فيكون المفعول ويوجد، فقوله تعالى «اذاقضى » اشارة الى القضاء الّذى هو بعد القدر وينتزع الايجاب منه و «يقول »اشارة الى الاذن الّذى هو جزء من الايجاد الّذى ينحلّ الى الاذن والكتاب والاجل و «كن »اشارة الى الكتاب والاجل ، وقوله ليس بنداء يسمع ولا بصوت يقرع [وَقالَ الَّذِينَ لايَعْلَمُونَ] من المشركين وكذا من اليهود والنّصارى وهو عطف على أقوالهم السّابقة و اظهار لسفاهة أخرى لهم و مفعول الفعل امّا منسىّ او مقدّر اى لايعلمون انّ الخلق لايطيقون استماع كلام‌الله تعالى ولوسمعوا لهلكوا مالم يصف نفوسهم عن رين المادّة وانّ الآية المقترحة لعلّهم لايطيقونها اولايكون صلاحهم فيها [لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللهُ] حتّى نسمع كلامه ونؤمن به [أَوْ تَأْتِينا آيَةٌ] حتّى نشاهدها ونؤمن بها [كَذٰلِكَ قالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ] كما قال أمّة موسى(ع) له

ارنا الله جهرة وكما قال امّة عيسى (ع) هل يستطيع ربّك ان ينزّل علينا مائدة من السّماء [تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ] فى الجهل والعمى عمّا ينفعهم والعناد واللّجاج [قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] استيناف بيانيّ كأنّه قيل الم يظهر حقّيّة الحقّ ورسوله حتّى سألوا مثل هذا السّؤال فقال تعالى : قد بيّنّا الآيات ولم نتركهم بلا بيّنة لكنّهم اهل شكّ وريبة وليسوا أهل عقل وايقان حتّى أيقنوا بما من شأنه ان يوقن به ولوجئناهم بكلّ آية مقترحة اوغير مقترحة لما أيقنوا و ما قبلوا [إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ] استيناف بيانيّ ايضاً كأنّه قال (ص): فما أصنع مع هؤلاء وليس من شأنهم الايقان وقد أمرتنى بدعوتهم؟ـ فقال : انّا ارسلناك [بِالْحَقِّ] برسالة حقّة اومتلبّساً بالحقّ اومسبّباً رسالتك عن الحقّ [بَشِيراً وَنَذِيراً] يعنى شأنك التّبشير والانذار قبلوا اوردّوا أيقنوا اوشكّوا، و ليس من شكّهم و ردّهم وبال وعقوبة عليك [وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ] قرء بالنّفى مبنيّاً للمفعول وبالنّهى مبنيّاً للفاعل وعلى قراءة النّهى فالمقصود تهويل عذابهم ونارهم لاماقاله بعض العامّة انّه نهى للرّسول (ص) عن السّؤال عن حال أبويه العياذبالله والجحيم النّار الشّديدة التّأجّج وكلّ نار بعضها فوق بعض وكلّ نار عظيمة فى مهواتها ، والمكان الشّديد الحرّوجحم من باب منع بمعنى اوقد ، ومن باب كرم وفرح بمعنى اضطرم [وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ] عطف على جملة لاتسأل اوجملة انّا أرسلناك [حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ] اقناط له (ص) عن رضاهم بأنّهم لايرضون عنه الّا بما هومحال عنده وردع للمؤمنين عن طلب رضاهم [قُلْ] للمؤمنين [إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ] لا استرضاء اليهود والنّصارى ورضاهم ، اوقل لليهود والنّصارى : انّ هدى الله هو الهدى لا ما اعتدتموه من الملّة المأخوذة من الآباء المهويّة لكم بسبب اعتيادها [وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ] آراء أنفسهم من غيرمداخلة العقل اومهويّاتهم [بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ] بحقّيّة ملّتك و بطلان ملّتهم وآرائهم [مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ] لم يأت بالفاء لكونه جواباً للقسم لا للشّرط وهوعلى « ايّاك اعنى واسمعى ياجارة » تعريض بأمّته (ص) [الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ] لاللّذين اوتواالكتاب فأشارالى امتيازهم من أهل الكتاب بتشريف نسبة الايتاء الى نفسه يعنى الّذين استعدّوا بفطرتهم و بقابليّتهم المكتسبة لايتاء الكتاب فآتيناهم أحكام النّبوّة وصور الكتب السّماويّة مشتملة على معانيها الواقعيّة والجملة مستأنفة جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل : فلا يؤمن أهل الكتاب بمحمّد (ص) ورسالته اوبكتابهم اوبكتابه(ص) اوبجنس الكتاب ولايتلوه وهو تسلية للرّسول والمؤمنين بأنّ الّذين آتاهم الله الكتاب وكلّ واحد منهم خير من الف الف من الّذين آتاهم الشّيطان كتاباً [يَتْلُونَهُ] خبر اوحال اومعترضة جواب لسؤال مقدّر قبل تمام الكلام كأنّه قيل : ما يفعل من شرفته بايتاء الكتاب ؟ ـ فقال تعالى : يتلونه [حَقَّ تِلَاوَتِهِ] نسب الى الباقر (ع) أنّه قال : يتلون آياته ويتفقّهون فيه ويعملون بأحكامه ويرجون وعده و يخافون وعيده ويعتبرون بقصصه ويأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه ما هو والله حفظ آياته ودرس حروفه وتلاوة سوره ودرس أعشاره وأخماسه؛ حفظوا حروفه وأضاعوا حدوده ، وانّما هوتدبّر آياته والعمل بأحكامه؛ قال الله تعالى: كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبّروا آياته فالّذين آتاهم الله الكتاب وشرّفهم بذلك يحزنهم ترك الرّعاية والقصور

والتّقصير فى مراعاته والّذين آتاهم الشّيطان الكتاب اوأخذوه من الآباء بحسب ما اعتادوه اوتلقّفوه من الرّجال بحسب ما تدارسوه فانّهم يعجبهم حفظ الرّواية ولا يبالون بترك الرّعاية [أُولٰئِكَ] العظماء [يُؤْمِنُونَ بِهِ] بالكتاب اوبمحمّد(ص) اوبالله على ان يكون فى الكلام التفات ومحلّ الجملة يعلم بالمقايسة الى الجملة السّابقة [وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَاُولٰئِكَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ] لاخاسر سواهم [يٰابَنِى اِسْرٰائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتى اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَنّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعٰالَمينَ وَاتَّقُوا يَوْماً لٰاتَجْزى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلٰا يُقْبَلُ مِنْهٰا عَدْلٌ وَلٰا تَنْفَعُهٰا شَفٰاعَةٌ وَلٰا هُمْ يُنْصَرُونَ] قد مضى الآيتان الّا انّ الآية الاخيرة كانت فيما مضى هكذا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون وكرّر الآيتين لكمال الاهتمام بالنّصح وللاشعار بأنّ أصل جملة النّصائح تذكير النّعم والموت والتّهديد منه بجعلها مقدّمة للنّصائح وفذلكة لها.

تحقيق ابتلاء ابرهيم بكلمات

[وَاِذِابْتَلٰى اِبْرٰهيمَ رَبُّهُ بِكَلِمٰاتٍ] ابتليته اختبرته وامتحنته اواستخبرته فأبلانى اى أخبرنى وكلا المعنيين صحيحٌ ههنا والمعنى امتحنه بسبب عرض كلماتٍ عليه هل يعلمه او يتحمّله ام لا او استخبره كذلك و قرئ ابرهيم ربّه برفع ابرهيم ونصب ربّه بمعنى سأل ابرهيم ربّه على ان يكون ابتلى بمعنى استخبر المستلزم للسّؤال ، والكلمات جمع الكلمة وهى فى عرف الادباء لفظ موضوع لمعنى مفرد ، وفى اللّغة اللّفظة والقصيدة وتستعمل فى كلّ لفظ موضوع مفرداً كان ام مركّباً، ناقصاً ام تامّاً ، و فى الكلمات النّفسيّة كذلك ، و فى عرف الشرع تستعمل فى الكلمات اللّفظيّة و النّفسيّة كاللّغة ، وفى الكلمات الوجوديّة الّتى هى مراتب الوجود طولاً وأنحاء الوجودات عرضاً ، فانّ خصوصيّات المصاديق غير معتبرة فى مفاهيمها عندهم فانّ القلم مثلاً اسم لما يكتب به وليس كونه قصباً اوحديداً اوغير ذلك معتبراً فى مفهومه ، والكلمة ما دلّ على معنى من دون اعتبار خصوصيّة اللّفظ او النّقش او الوضع من واضع بشرىّ فيها ، و قد كثر اطلاق الكلمات فى الآيات و الاخبار على أنحاء الوجودات و المراد بالكلمات مراتب الوجودات الّتى هى شؤن انسانيّة الانسان المستلزمة للكمالات الانسانيّة النّفسيّة و الاضافيّة من الاخلاق والنّبوّات والرّسالات والامامات ، والمراد بالابتلاء بهنّ عرضهن عليه بايداع انموذجٍ من كلّ فى وجوده بحيث يستشعر ويلتذّ به ويشتاق الى أصله فيجول بشوقه حتّى يبلغ الى حقيقته وتمكّن وتحقّق بها فانّه اذا اراد الله بعبدٍ ان يظهر منه خيراً اوشرّاً ابتلاه بشيءٍ من الغيب بمعنى انّه ينبّهه على انّ ماوراء الشّهادة شيءٌ فيظنّ اوّلاً ذلك الشيء ويشتاقه فقد يجول حول ظنّه وقد يسكن عن الحركة الى مآرب نفسه حتّى يصير ظنّه علماً فيشتدّ شوقاً فقد يجول حول علمه أكثر من جولانه حول ظنّه وقد يسكن عن الحركة الى ما اقتضته نفسه حتّى يصير علمه وجداناً بايداع انموذج ذلك الامر فى نفسه شاعراً كان فى تلك المراتب بظنّه و علمه و وجدانه او غير شاعرٍ فيجول حول وجدانه اكثر من جولانه السّابق حتّى يصير وجدانه شهوداً فيجول حول مشهوده اكثر من السّابق حتّى يتّصل فيلازم المتّصل به حتّى يتّحد فيلازم حتّى يبقى المتّحد به وحده وكلّ من تلك المراتب له درجات بحسب اشتداده و ضعفه وللسّالك فى الدّرجات حالات بحسب تلوينه وتمكينه ، وان سكن المتنبّه وحام حول نفسه عن مظنونه و معلومه كان كمن آتاه الله آياته فانسلخ منها و ظهر شرّه ، والمراد باتمام الكلمات اتمامها من حيث الاضافة اليه عليه السّلام لا من حيث أنفسها فانّها تامّات من حيث أنفسها بل فوق التّمام و تماميّته اضافتها بالتمكّن فى التحقّق بها وهو آخر المراتب والدّرجات ، فالمعنى واذكر حتّى تكون على بصيرة فى أمرك

او فى أمر من تعلّمه السّلوك الى الآخرة اوذكّر حتّى يعلم من يريد السّلوك الى الله وقتاً ابتلى ابرهيم (ع) ربّه باذاقة طعم من اللّطائف الوجوديّة الغيبيّة واشمام رائحةٍ منها فوجد والتذّ واشتاق واهتزّوا نماث وطاب ووصل واتّصل واتّحد [فَأَتَمَّهُنَّ] وصارواحداً متحقّقاً متمكّناً ولمّا كان ظهورلطائف الانوارالخمسة محمّدٍ (ص) وعليّ (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) اوالاثنى عشراوالاربعة عشرمن لوازم انمام تلك الكلمات ، وهكذاالحال فى الامتحان بذبح الولد فسّر الكلمات فى الاخباربها ، ولمّا كان ابرهيم (ع) بالنّسبة الى محمّد (ص) ناقصاً و ان كان بالنّسبة الى سائر الانبياء تامّ الكلمات أتى بالجمع السّالم خالياً عن اللّام مفيداً للقلّة بخلاف محمّدٍ (ص) حيث قال فآمنوا بالله ورسوله النّبيّ الامّيّ الّذى يؤمن بالله وكلماته فأتى بالكلمات مضافة مفيدة للعموم ، ولمّا أتمّ الكلمات وأتمّت له العبوديّة والنّبوّة والرّسالة والخلّة فانّهاكانت من لوازم تلك الكلمات وبتماميّتهن تكون تماميّتها

تحقيق مراتب الخلق من النبوّة والرّسالة والخلّة والامامة

[قَالَ] تشريفاً له [إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً] وهذه الامامة غيرامامة امام القوم فى ضلالة كانت ام فى رشد ، وغيرامامة امام الجماعة والجمعة حقّاً كان ام باطلاً ، وغير الامامة الحقّة الجزئيّة الّتى اتّصف بها مشايخ الاجازة فى الرّواية اوفى الهداية ، و غير الامامةالحقّةالجزئيّة الّتى اتّصف بهاكلّ نبيّ ووصيّ بل هى فوق كلّ المراتب الانسانيّة وهى مقام التّفويض الكلّيّ الحاصل بعد الولاية والرّسالة الكلّيّتين ولذا ورد عن الصّادق (ع) : انّ الله تبارك و تعالى اتّخذ ابراهيم عبداً قبل ان يتّخذه نبيّاً ، وانّ الله اتّخذه نبيّاً قبل ان يتّخذه رسولاً ، وانّ الله اتّخذه رسولاً قبل ان يتّخذه خليلاً ، وانّ الله اتّخذه خليلاً قبل ان يجعله اماماً ، فلمّا جمع له الاشياء قال: انّى جاعلك للنّاس اماماً فالامامة آخرجميع مراتب كمالات الانسان فانّ اوّل كمالاته العبوديّة من اولى درجاتها ، وهى اولى درجات السّلوك الى الطّريق متدرّجاً فيه الى الوصول الى الطّريق متدرّجاً فى السّلوك على الطّريق الى الله الى ان خرج من انانيّته ورقّية نفسه ودخل فى زمرة عباده واستكمل العبوديّة وصارعبداً خالصاً ، فان ادركته العناية وأبقاه الله بعد فنائه وأحياه بحيوته لتكميل خلقه فامّا ان يوكّله باصلاح قلبه الّذى هو بيت الله حقيقة وباصلاح اهل مملكة نفسه من غير اذنٍ له فى الرّجوع الى خارج مملكته وهو مقام النبوّة المفردة عن الرّسالة ، اويأذن له مع ذلك باصلاح المملكة الخارجة وهوالرّسالة المفردة عن الخلّة ، اويختاره مع ذلك لنفسه ممتازاً به عن سائر رسله معيداً له كرّةً أخرى غير العود الاوّل فانّ العود الاوّل كان بطرح كلّ ما أخذ وبهذا العود يعود معه جميع ما أعطاه الله وهوجميع ما سواه وهوالخلّة ، فان استكمل مقام الخلّة بان كان مقامه مع الحقّ هومقامه مع الخلق مع التمكّن فى ذلك اختاره للامامة وتفويض جملة الاموراليه بحيث لا يسقط ورق من شجر الّا باذن وكتاب و اجل منه ، وليس وراء هذه مقام و مرتبة . وقد علم من هذا انّ كلّ امام خليل ، وكلّ خليل رسول ، وكلّ رسول نبيّ ، وكلّ نبيّ عبد؛وليس بالعكس ، وانّ الامامة بهذا المعنى هوالجمع بين المقام فى الخلق والمقام عند الحقّ من غير قصورٍ فى شيءٍ منهما مع التّمكّن فى ذلك ولمّا نظرابراهيم (ع) الى مقام الامامة وشرافتها وكان حافظاً للخلق مع المقام عند الحقّ اقتضى مقامه فى الخلق مراعاة أرحامه الجسمانيّة والرّوحانيّة فتبجّح بما أعطاه الله وسأل ذلك لاعقابه ، و لمّا علم أنّ جميع ذراريه لا يمكن ان يكونوا بهذا الشّأن [قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِى] بمن التبعيضيّة عطفاً على ضمير الخطاب فى جاعلك ، وقديفعل مثل ذلك المتخاطبان فيعطف أحدهما

شيئاً من قوله على شيءٍ من قول الآخر مثل ان يقال : سأكرمك فيقول المخاطب : وزيداً ، اوعطفاً على جملة انّى جاعلك للنّاس اماماً بتقدير واجعل من ذرّيّتى ، واعتبار معنى الانشاء : فى انّى جاعلك كأنّه قال: لاجعلك، للنّاس اماماً ، قال : واجعل من ذرّيّتى ، ولفظ قال فى المراتب الثلاث جواب لسؤالٍ مقدّرٍ ويجوز ان يكون اذابتلى ظرفاً متعلّقاً بقال الاوّل لا مفعولاً لمقدّرٍ والذرّيّة مثلّثة الذّال وقرء بالضمّ والكسر نسل الرّجل فُعْيلة اوفُعْولة من الذّر بمعنى التّفريق واصله ذريرة اوذرروة قلبت الرّاء الاخيرة ياء جوازاً مثل احسيت فى احسست ثمّ تصرّف فيه بحسب اقتضاء الصّرف اومن الذّرأ بمعنى الخلق اوبمعنى التّكثير واصله ذريئة اوذروئة فتصرّف فيه على حسب اقتضاء الصّرف [قَالَ لاَيَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ] اجابة لمسؤله و تعيينٌ للمعطى و المحروم وتنبيه له على أنّ من ذرّيّته من يكون ظالماً ، وعلى انّ المتّصف بالظّلم لايصلح للامامة ، وابطال لامامة كلّ ظالم الى يوم القيامة ، وقد اعترف بعض مفسّرى العامّة بأنّ الآية تدلّ على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعث وانّ الفاسق لايصلح للامامة ، والعهد الوصيّة والتّقدّم الى المرء فى شيءٍ والموثق والكتاب الّذى يكتب للولاة مشتملاً على ماينبغى ان يعملوا بالنّسبة الى الرّعيّة مأخوذ من الوصيّة والحفاظ ورعاية الحرمة والامان ، والمراد بالعهد المذكور الامامة السّابقة فانّ الاضافة للعهد ويناسبها كلّ من المعانى المذكورة ، ومضى بيان للظلم وقد ورد فى الأخبار أنّ محمّداً(ص) والائمة(ع) هم المقصودون بدعوة ابراهيم (ع) [وَاِذْجَعَلْنَا الْبَيْتَ] الكعبة فانّ اللّام للعهد الخارجىّ اوالقلب فانّه المعهود بين المتخاطبين المنظور اليه لهما والمتراجع اليه ومحلّ الجزاء له (ص) وللخلق حقيقة ، والكعبة لمّا كانت صورته جعلت بالمواضعة متراجعاً اليها ومحلّا لجزاء الرّاجع اليها [مَثَابَةً] محلّ ثواب وجزاء و محلّ رجوع [لِلنَّاسِ وَاَمْناً] لا يصطاد صيدها ولايعنف الجانى المستجير بها ، والبلد الطيّب ، والحرم بحسب التّأويل صورة النّفس المطمئنّة والصّدر المنشرح ، ويسرى حكم البيت الى المسجد والحرم بمجاورتهما له ، وهكذا حال النّفس والصّدر وسيأتى تحقيق البيت ومظهريّته للقلب والمناسبة بين مناسك الكعبة ومناسك القلب [وَاتَّخِذُوا] عطف على جعلنا بتقدير قلنا اوعطف على عامل اذ او معترضة معطوفة على مقدّرٍ كأنّه قيل بعد ماقال جعلنا البيت مثابة وأمناً فما نصنع؟ـ قال: ارجوا اليه واتّخذوا [مِنْ مَقَامِ اِبْرٰهِيمَ] هو الحجر الّذى عليه أثر قدم ابراهيم(ع) [مُصَلًّى] محلّاً للدّعاء او للصّلوة الّتى هى فريضة الحجّ ، اوللصّلوة النّافلة؛ روى عن الباقر (ع) أنّه قال(ع) : ما فرية اهل الشّام على الله تعالى يزعمون انّ الله تبارك وتعالى حيث صعد الى السّماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدّس ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على صخرةٍ فأمرنا الله ان نتّخذه مصلّى ، وروى أنّه نزلت ثلاثة احجار من الجنّة ، مقام ابراهيم (ع) ، وحجر بنى اسرائيل ، والحجر الاسود [وَعَهِدْنَا] اوصينا [اِلَى اِبْرٰهِيمَ] عليه السّلام [وَ اِسْمٰعِيلَ] عليه السّلام [اَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ] ولعلّك تفطّنت بتعميم البيت والتّطهير والطّائف والعاكف والرّاكع والسّاجد وروى عن الصّادق(ع) انّ المعنى نحّيا عنه المشركين وروى أنّه سئل يغتسلن النّساء اذا أتين البيت ؟ـ قال : نعم انّ الله يقول : طهّرا بيتى ؛ الآية ، فينبغى للعبد ان لايدخل الّا وهو طاهر قد غسل عنه العرق والأذى وتطهّر [وَاِذْقَالَ اِبْرٰهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا] البلد الّذى هومكّة اوهذا الصّدر الّذى صار مكّة مظهراً له على ما سبق الاشارة اليه [بَلَداً آمِناً] من تغلّب المتغلّبين بمحض الارادة

ومن اقتصاص الجانى الملتجئ اليه ومن اصطياد صيده بالمواضعة التكليفيّة ومن شرّ الشّياطين من الانس والجنّ ومن استراق السّمع بحافظيّتك اذا اريد البلد الّذى هو الصّدر المنشرح [وَارْزُقْ اَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرٰاتِ] اهل بلد مكّة من ثمرات الدّنيا كما نقل انّه يوجد فيه ثمرات الصّيف والشّتاء فى وقت واحد . **وروى** انّ ابراهيم لمّا دعا بهذا الدّعاء أمر الله تعالى بقطعة من الاردن[١] فسارت بثمارها حتّى طافت بالبيت ثمّ أمرها ان تنصرف الى هذا الموضع الّذى سمّى بالطّائف ولذلك سمّى طائفاً . **وعن الباقر** (ع) انّ الثّمرات تحمل اليهم من الآفاق وقد استجاب الله له حتّى لاتوجد فى بلاد المشرق والمغرب ثمرة لاتوجد فيها حتّى حكى انّه يوجد فيها فى يوم واحد فواكه ربيعيّة وصيفيّة وخريفيّة وشتائيّة **وعن الصّادق** (ع) يعنى من ثمرات القلوب اى حبّهم الى النّاس ليأتوا اليهم ويعودوا ، وهذا بيانٌ لتأويل الثّمرات وعلى تأويل البلد فالمعنى وارزق أهله من ثمرات العلوم ومن ثمرات القلوب وثمرات القلوب ان تتولّاهم وتقبّل ولايتهم [مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] بدل من أهله نسب **الى السجّاد** (ع) أنّه قال : انّ المقصود منهم الائمّة من آل محمّد (ص) وشيعتهم [قٰالَ وَمَنْ كَفَرَ] عطف على من آمن على ان يكون البدل بدل الكلّ من الكلّ بدلاً تفصيليّاً يكون تتميمة من الله ويكون قوله تعالى: [فَاُمَتِّعُهُ] اوّل كلام من الله، اومن كفر ابتداء كلام من الله معطوف على مقدّر جواب لمسؤل ابراهيم (ع) كأنّه تعالى قال اجابة لمسؤله من آمن أرزقه و من كفر فانا أمتّعه ؛ على ان يكون من شرطيّة و دخول الفاء فى المضارع المثبت مع عدم جوازه بتقدير أنا ، ورفعه لكون الشّرط ماضياً ، اومن موصولة ودخول الفاء فى الخبر لتضمّن المبتدأ معنى الشّرط ، وترتّب التّمتيع على الكفر باعتبار التّقييد بالقلّة وتعقيب الاضطرار الى العذاب [قَليلاً ثُمَّ اَضْطَرُّهُ اِلٰى عَذٰابِ النّٰارِ وَبِئْسَ الْمَصيرُ] نسب الى السجّاد (ع) انّه قال : عنى بذلك من جحد وصيّه ولم يتّبعه من أمّته كذلك والله هذه الأمّة [وَ اِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰهيمُ الْقَوٰاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاِسْمٰعيلُ] قائلين [رَبَّنٰا تَقَبَّلْ مِنّٰا] بناء البيت بأمرك طلباً لرضاك [اِنَّكَ اَنْتَ السَّميعُ] لدعائنا [الْعَليمُ] بأعمالنا ونيّاتنا ، عن الصّادق (ع) انّ اسماعيل (ع) لمّا بلغ مبلغ الرّجال أمر الله ابراهيم (ع) ان يبنى البيت فقال : يا ربّ فى أىّ بقعة ؟ - قال : فى البقعة الّتى أنزلت بها على آدم ، القبّة ، فأضاء لها الحرم فلم يدر ابراهيم (ع) فى اىّ موضع يبنيه فانّ القبّة الّتى أنزلها الله على آدم كانت قائمة الى ايّام الطّوفان فلمّا غرقت الدّنيا رفع الله تلك القبّة وبقى موضعها لم يغرق ولهذا سمّى البيت العتيق لأنّه أعتق عن الغرق ، فبعث الله جبرئيل (ع) فخطّ له موضع البيت فأنزل الله عليه القواعد من الجنّة وكان الحجر لمّا أنزله الله على آدم (ع) أشدّ بياضاً من الثّلج فلمّا مسّته أيدى الكفّار اسودّ ، فبنى ابراهيم (ع) البيت ونقل اسماعيل الحجر من ذى طوى[٢] فرفعه فى السّماء تسعة أذرع ثمّ دلّه على موضع الحجر فاستخرجه ابراهيم (ع) ووضعه فى الموضع الّذى هو فيه الآن فلمّا بنى جعل له بابين ، باباً الى المشرق وباباً الى المغرب يسمّى المستجار ثمّ القى عليه الشجر والاذخر[٣] وعلّقت هاجر على بابه كساء كان معها ، وكانوا يكتسون تحته . وفى خبر انّه قال (ع) : يا بنىّ قد أمرنا الله ببناء الكعبة وكشفا عنها

١- الاردنّ ، بضم الالف و الدال وشدّ النون كورة من الشام .

٢- ذوطوى ، بتثليث الطاء وقدينون موضع قرب مكة .

٣- الاذخر ، الحشيش الاخضر و نبات طيّب الرائحة .

فاذا هوحجرواحد أحمر فأوحى الله اليه ضع بنائها عليه وأنزل الله اربعة املاك يجمعون اليه الحجارة فكان ابراهيم (ع) واسماعيل (ع) يضعان الحجارة والملائكة تناولهما حتّى تمّت اثنى عشر ذراعاً وهيّئاله بابين . وفى حديث فنادى ابوقبيس ابراهيم (ع) انّ لك عندى وديعة فأعطاه الحجر فوضعه موضعه . وفى خبر آخر: كان البيت درّة بيضاء فرفعه الله الى السّماء وبقى أسّه فهو بحيال هذا البيت يدخله كلّ يوم سبعون الف ملك لا يرجعون اليه أبداً ، وفى خبر انّ اسماعيل (ع) اوّل من شقّ لسانه بالعربيّة [رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ] من أسلم بمعنى انقاد اومن أسلم بمعنى اخلص يعنى صار ذاسلامة من آفات النّفس وشرورها ، وامّا أسلم بمعنى صارمسلماً وداخلاً فى ملّة الاسلام فانّه من المشتقّات الجعليّة المأخوذة بعد اشتهار ملّة الاسلام [وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا] الجسمانيّة والرّوحانيّة او الجسمانيّة فقط فانّهم أولى بالشّفقة ومن للتّبعيض و هو مع قوله تعالى [أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ] عطف على مفعولى اجعل اومن للبيان وامّة ومسلمة عطف على مفعولى اجعل ومن ذرّيّتنا حال عن الامّة اومسلمة صفة أمّة ولك فى مقام المفعول الثّانى و من ذرّيّتنا حال عمّا بعده . وفى بعض الأخبار انّ المراد أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وفى رواية أراد بنى هاشم خاصّة [وَأَرِنَا] أعلمنا [مَنَاسِكَنَا] محالّ اعمالنا للحجّ اومحالّ عباداتنا على ان يكون جمع المنسك اسم المكان ، اوعباداتنا على ان يكون جمع المنسك مصدراً ميمياً والنّسك بتثليث النّون و اسكان السّين او بضمّتين العبادة او اعمال الحجّ مخصوصاً [وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] قد مضى بيان لتوبة العبد وتوبة الرّبّ عند قوله تعالى :انّه هوالتّواب الرّحيم [رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ] هذا يدلّ على انّ المراد من الذرّيّة من بعث فيهم محمّد(ص) ولذلك قال (ص) على ما نسب اليه(ص) انا دعوة أبى ابراهيم [يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ] يقرأ عليهم آياتك التّدوينيّة [وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ] قدمضى بيان للكتاب والحكمة وانّ المراد بالكتاب أحكام الرّسالة والنّبوّة من العقائد الدّينيّة و علم الاخلاق النّفسيّة و علم الاعمال البدنيّة ، وانّ الحكمة قد تستعمل فى كمال القوّة النّظريّة ، وقد تستعمل فى كمال القوّة العمليّة ، والمراد بها ههنا كمال القوّة العمّالة والمعنى يعلّمهم العلوم الّتى ينبغى تعلّمها والاعمال الدّقيقة المتقنة الّتى لا تتعلّم الّا بكثرة المواظبة والممارسة عليها [وَيُزَكِّيهِمْ] بعد تعليم المسائل وتعليم اتقان العمل لسهولة التّزكية ، وهذا يدلّ على انّ السّالك ينبغى ان يكون تحت ارادة الشّيخ بلغ ما بلغ فى العلم والعمل ؛ وهوكذلك فانّ الخلاص من الرّذائل وآفات النّفس والشّيطان لا يكون الّا بامداد الشّيخ واعانته لانّ الانسان العليل كلّما ازال علّة من نفسه ازداد علّة أخرى فى نفسه ، وكلّما ظنّه مقوّياً لصحّته صار سبباً لزيادة مرضه اولحدوثه ، وسيأتى عند قوله تعالى يتلو عليكم آياتنا ويزكّيكم بيان للتزكية ولتقديم التّعليم ههنا وتأخيره هناك [إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ] الّذى لايمنعك مانع عمّا تريد [الْحَكِيمُ] العالم بدقائق المعلومات القادر على دقائق المصنوعات ، وكأنّه اقرار بعجزه عن درك مصالح مسؤله وتعليق للسّؤال على اقتضاء حكمة كأنّه قال : وابعث فيهم رسولاً كذا ان اقتضته حكمتك ؛ وهذا غاية الادب فى السّؤال [وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ] استبعاد وانكار [إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ] سفه نفسه بالحركات الثّلاث فى عين سفه يعنى حملها على السّفاهة ونصب نفسه على ضمّ الفاء وفتحه للتّشبيه بالمفعول كما فى الحسن الوجه

وعلى الكسر قيل: انّه متعدٍّ، وقيل: انّه كذلك [وَلَقَدِ اصْطَفَيْنٰاهُ] حال فى موضع التّعليل [فِى الدُّنْيٰا وَإِنَّهُ فِى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصّٰالِحِينَ] فلا ينبغى الرّغبة عنه وعن ملّته [إِذْ قٰالَ لَهُ رَبُّهُ] تعليل لاصطفائه وصلاحه [أَسْلِمْ قٰالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعٰالَمِينَ وَوَصّٰى بِهٰا] اى بالملّة او بكلمة الاسلام [إِبْرٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰا بَنِيَّ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى لَكُمُ الدِّينَ فَلاٰ تَمُوتُنَّ إِلاّٰ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] يعنى ينبغى ان يكون اسلامكم ثابتاً راسخاً حتّى لا يزول عند الموت؛ والآية تعريضٌ بانكار التهوّد والتنصّر و انّ ابراهيم ما أمر باليهوديّة ولا بالنّصرانيّة بل أمر بالاسلام و وصىّ هو و يعقوب بنيهما بالاسلام لا بالتهوّد والتنصّر [أَمْ كُنْتُمْ شُهَدٰاءَ] ام منقطعة متضمّنة للهمزة والمقصود اظهار انّ بنى يعقوب أقرّوا بعبادة الله وتوحيده تعريضاً باليهود والنّصارى فى عبادة العزير و المسيح ، و أقرّوا بالاسلام تعريضاً بنفى التهوّد و التنصّر [إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قٰالَ] بدل من اذحضر [لِبَنِيهِ مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى] سأل(ع) عمّا يعبدونه تذكيراً بالتّوحيد وتقريراً لهم عليه وعلى الاسلام [قٰالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ آبٰائِكَ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ] عدّوه من الاباء لانّ العمّ كالأب و يسمّيه العرب اباً [وَإِسْحٰقَ إِلٰهاً وٰاحِداً] صرّح بالتّوحيد تعريضاً باليهود والنّصارى فى القول بأنّ عزيراً ابن الله والمسيح ابن الله اوثالث ثلاثة [وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] لايهوديّون ولانصرانيّون [تِلْكَ أُمَّةٌ] جماعة قاصدون لمقصودٍ واحدٍ [قَدْ خَلَتْ] والمراد ابراهيم(ع) ويعقوب وبنوهما [لَهٰا مٰا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مٰا كَسَبْتُمْ وَلاٰ تُسْئَلُونَ عَمّٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] يعنى انّ انتسابكم اليهم لا ينفعكم به حسناتهم ولا يضرّكم به سيّئاتهم فانظروا الى اعمال أنفسكم لا الى انسابكم وآبائكم [وَقٰالُوا] عطف باعتبار المعنى كأنّه قال ، قال ابراهيم(ع) ويعقوب(ع) كونوا مسلمين وقالوا [كُونُوا هُوداً أَوْ نَصٰارىٰ] اى قالت اليهود: كونوا هوداً وقالت النّصارى : كونوا نصارى فلفظة اوليست للتّخيير والاباحة بل هى للتفصيل [تَهْتَدُوا قُلْ] لهم يا محمّد [بَلْ] كونوا مسلمين واتّبعوا [مِلَّةَ إِبْرٰهِيمَ] أوكونوا اهل ملّة ابراهيم او على ملّة ابراهيم [حَنِيفاً] مستقيماً او مائلاً عن الاديان المعوّجة و هو حال عن الملّة اوابراهيم ولم يقل حنيفة لكون الملّة بمعنى الدّين اولكسبه التّذكير من المضاف اليه وروى انّ الحنيفيّة هى الاسلام [وَمٰا كٰانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] تعريض بالمشركين كما انّ قوله تعالى بل ملّة ابرهيم كان ردّاً لاهل الكتاب فانّ المشركين أكثرهم مقرّون برسالة ابراهيم(ع) [قُولُوا آمَنّٰا بِاللّٰهِ] خطاب للمؤمنين او للائمّة خاصّة كما ورد عن الباقر(ع) انّما عنى بذلك عليّاً(ع) وفاطمة(ع) والحسن(ع) والحسين(ع) وجرت بعدهم فى الائمّة . ثمّ يرجع القول من الله فى النّاس فقال تعالى: فان آمنوا يعنى النّاس بمثل ماآمنتم به ؛ الآية [وَمٰا أُنْزِلَ إِلَيْنٰا] من الاحكام والقرآن [وَمٰا أُنْزِلَ إِلىٰ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبٰاطِ] وهم اولاد اولاد يعقوب . سئل الباقر(ع): هل كان ولد يعقوب انبياء؟- قال: لاولكنّهم كانوا اسباطاً اولاد الانبياء، ولم يكونوا فارقوا الدّنيا الاسعداء ، تابوا وتذكّروا

ماصنعوا، وهذايدلّ على أنّ السّبط أعمّ من الولد وولد الولد [وَمٰاأُوتِيَ مُوسىٰ وَعِيسىٰ وَمٰاأُوتِيَ النَّبِيُّونَ] المذكورون وغير المذكورين يعنى قولوا آمنّا بالله وما أنزل الينا من الاحكام والكتاب تفصيلاً اوآمنّا بما أنزل على سائر النّبيّين من الشّرائع والكتب اجمالاً لعدم اطّلاعهم على ما أنزل الى الانبياء تفصيلاً [مِنْ رَبِّهِمْ لٰانُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍمِنْهُمْ] اضيف بين الى احدٍ لوقوعه فى سياق النّفى وعمومه [وَنَحْنُ لَهُ] لله [مُسْلِمُونَ] روى انّ أميرالمؤمنين (ع) علّم اصحابه ان اذا قرأتم قولوا: آمنّا فقولوا آمنّا بالله، الآية، وهذا يدلّ على انّ القارئ ينبغى ان يقدّر لسانه لسان الله وان يتصوّران الامر الجارى على لسانه انّما هوجارٍ من الله وفرض نفسه مأمورة وأوقعها موقع الامتثال والايتمار فان كان المأمور به قولاً ذكره وكرّره، وان كان عملاً عمله مثل الأمر بالسّجدة فى آيات السّجدة [فَاِنْ آمَنُوا] اى النّاس غير الائمّة او أهل الكتاب غير المسلمين [بِمِثْلِ مٰا آمَنْتُمْ بِهِ] الباء للآلة او للسّببيّة والمعنى فان اتّصفوا بالايمان بايمانٍ اوبسبب ايمان مثل ايمانٍ آمنتم به او للمصاحبة والمعنى فان آمنوا مصاحبين بايمانٍ مثل ايمانٍ آمنتم به اوالباء للآلة والمعنى فان آمنوا بطريقٍ مثل طريق ما آمنتم به، اولفظ الباء زائده ولفظ المثل مقحم، اوالكلام محمول على المبالغة بفرض المثل والمعنى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به من الله وما أنزل الله على الانبياء لوفرض له مثل [فَقَدِ اهْتَدَوْا] فكيف يكون حالهم اذا آمنوا به نفسه [وَإِنْ تَوَلَّوْا] فلا تستغربوه [فَإِنَّمٰاهُمْ فِي شِقٰاقٍ] لكم اوللايمان وليس لهم بسبب كونهم فى شقاق الّا التولّى والانكار فهو من اقامة السّبب مقام الجزاء اوالمعنى ان تولّوا يقعوا فى شقاقٍ لكم اوللاهتداء والتّأدية بالجملة الاسميّة للاشارة الى التّأكيد والثّبات، والشّقاق المخالفة والعداوة [فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ] وعدله (ص) وللمؤمنين بالنّصر وكفايته تعالى مؤنة دفعهم وقد وفى [وَهُوَ السَّمِيعُ] لما قلتم وقالوا [الْعَلِيمُ] بكم وبأعمالكم ونيّاتكم، وبهم وبأعمالهم ونيّاتهم [صِبْغَةَ اللهِ] اى صبغناالله صبغة فحذف الفعل وأضيف المصدر الى الفاعل بعد تأخيره والجملة حالٌ اومستأنفة جواب عن سؤال مقدّر كأنّهم بعد ما قالوا: آمنّا بالله قيل: ما فعل الله بكم؟ - قالوا: صبغنا الله صبغةً وفسّرت الصّبغة بالاسلام وبالايمان لانّ الصّبغ كما يظهر على الثّوب وينفذ فيه كذلك الاسلام والايمان يظهر أثرهما على البدن ويؤثّر فى القلب، اوللتشبيه بما يفعله النّصارى بأولادهم من الغمس فى ماءٍ أصفر يسمّونه بالمعموديّة وبه يتحقّق نصرانيّتهم [وَمَنْ اَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً] تبجّحوا وباهوهم بهذه العبارة [وَنَحْنُ لَهُ عٰابِدُونَ] لسنا مشركين فى عبادته مثلكم [قُلْ اَتُحٰاجُّونَنٰا] اتخاصموننا مع علمكم بأنّ ديننا حقّ وانّ دينكم منسوخ او مع جهلكم بحقّيّة ديننا و بطلانه يعنى هل تكون محاجّتكم محض الغلبة علينا من غير اعتبار حقيّة ماتحاجّون به اوبطلانه فان المحاجّه لاتستعمل الّا فى المبالغة فى المخاصمة [فِي اللهِ] اضاف اليه قوله فى الله ليكون من القضايا الّتى قياساتها معها بالنّسبة الى انكار المحاجّة يعنى انتم تخاصمون فى فضل الله وانعامه على عباده، وكلّ من يخاصم فى فضل الله على عباده مطرود عن الخير؛ فأنتم مطرودون عن الخير و لذا أضاف اليه قوله تعالى [وَهُوَ رَبُّنٰا وَرَبُّكُمْ] يعنى ينبغى لنا ولكم التّوافق والتّسليم لأمره لاالمحاجّة فى أمره [وَلَنٰا اَعْمٰالُنٰا وَلَكُمْ اَعْمٰالُكُمْ] يعنى ان كنتم تحاجّوننا فى الله

فهو ربّكم كما أنّه ربّنا ، وان كنتم تحاجّوننا لانكاركم علينا اعمالنا فلا ضرر من اعمالنا عليكم حتّى تخاصموننا بل نفعها لنا و ضررها علينا ولا تنقصكم من أعمالكم شيئاً حتّى تحاجّونا لذلك [وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ] واقتضاء الاخلاص ان لا يتضرّر أحد بعملنا وان لا يخاصمنا من انتسب اليه تعالى [اَمْ تَقُولُونَ اِنَّ اِبْرٰهِيمَ وَ اِسْمٰعِيلَ وَ اِسْحٰقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْاَسْبٰاطَ كٰانُوا هُوداً اَوْنَصٰارٰى] اى تعتقدون ذلك وتثبتون بذلك على دينكم وتنكرون ماوراءه وتحتجّون علينا فيه [قُلْ ءَاَنْتُمْ اَعْلَمُ اَمِ اللّهُ] وقد أخبرنا الله بانّ ابراهيم ماكان يهودياً ولا نصرانياً واحتجّ عليه بما لامردّ له من قوله ما انزلت التّوراة والانجيل الّا من بعده وبهذين الكتابين ثبتت اليهوديّة والنّصرانيّة [وَ] قل تعريضاً بهم وبكتمانهم شهادة الله لمحمّد(ص) الّتى ثبتت فى كتبهم وأخبرهم بها اسلافهم [مَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهٰادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللّهِ] اى ممّن كتم شهادة ثابتة من الله مودعة عنده فقوله من الله ليس متعلّقاً بكتم بل هو صفة لشهادة ولفظة من ابتدائيّة داخلة على فاعل المصدر مثل زعماً منهم [وَ] قل [مَااللّهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ] لتهديدهم اوقوله ومن اظلم ممّن كتم ابتداء قول من الله [تِلْكَ اُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهٰا مٰاكَسَبَتْ وَ لَكُمْ مٰا كَسَبْتُمْ وَلٰا تُسْئَلُونَ عَمّٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] كرّر العبارة للتّأكيد فى الزّجر عن الافتخار بالآباء والاتّكال على الانساب فانّه كان ديدن العامّة قديماً و جديداً كما كان المحاجّة بالآباء والتعصّب لدينهم ديدنهم .

[الجزء الثّانى]

[سَيَقُولُ السُّفَهٰاءُ مِنَ النّٰاسِ] اخبار من الله بما سيقع منهم والمراد بالسّفهاء من خفّت احلامهم واعتادوا مارأوا من آبائهم ولم ينظروا بعقولهم ولم ينقادوا الّذى نظر من المنافقين والمشركين واهل الكتاب [مٰا وَلّٰيهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كٰانُوا عَلَيْهٰا] يعنى بيت المقدّس [قُلْ] بعد ما قالوا ذلك [لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِى مَنْ يَشٰاءُ اِلٰى صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ] وهو من الله مااقتضته حكمته ومن الخلق التّسليم لأمره روى أنّه جاء قوم من اليهود بعد انصرافه (ص) الى الكعبة فقالوا : يامحمّد(ص) هذه القبلة بيت المقدّس قد صلّيت اليها اربع عشرة سنة ثمّ تركتها الان افحقّاً كان ماكنت عليه فقد تركته الى باطل فانّ مايخالف الحقّ فهو باطل، اوكان باطلاً فقد كنت عليه طول هذه المدّة فما يؤمننا ان تكون الان على باطلٍ ؟ـ فقال رسول الله(ص) بل ذلك كان حقّاً وهذا حقّ يقول الله تعالى: قل: لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم اذاعرف صلاحكم يا ايّها العباد فى استقبال المشرق أمركم به ، واذا عرف صلاحكم فى استقبال المغرب أمركم به ؛ الى آخر الحديث [وَكَذٰلِكَ] اى مثل هداية الله لكم الى الايمان بالله تعالى والمنزل على ابراهيم واسماعيل ومثل الهداية الى الصّراط المستقيم المستفاد من السّابق ، ولذا أتى بأداة العطف كأنّه قال : هديناكم الى الايمان بالله وبما أنزل والى الصّراط المستقيم وكذلك [جَعَلْنٰاكُمْ] الخطاب للائمّة (ع) وآل الرّسول بحسب مقام رسالته وهم الائمّة (ع) والاتباع الّذين صاروا منهم بقوّة متابعتهم [اُمَّةً] الامّة تطلق على من يؤمّ شخصاً آخر

واحداً كان او جماعةً وتطلق على من يؤتمّ به واحداً كان ام جماعةً، وفى اللّغة الامّة بالضمّ الرّجل الجامع للخير والامام وجماعة أرسل اليهم رسولٌ والجماعة من كلّ حيٍّ والجنس ومن هو على دين الحقّ والعالم ، ومن الرّجل قومه ؛ والامّة ههنا امّا بمعنى الآئمّة او بمعنى الأمّيين [وَسَطاً] متوسّطة بين المفرطين والمفرّطين كما ورد: نحن النمرقة الوسطى بنا يلحق التّالى والينا يرجع الغالى [لِتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى النّٰاسِ] وهذا يدلّ على انّ المراد بالامّة الأئمّة (ع) ومن يحذو حذوهم من مشايخهم نسب الى الباقر (ع) انّما أنزل الله وكذلك جعلناكم ائمّة وسطاً لتكونوا شهداء على النّاس ويكون الرّسول شهيداً عليكم ، قال : ولايكون شهداء على النّاس الّا الأئمّة والرّسل فأمّا الامّة فانّه غير جائز ان يستشهدها الله وفيهم من لاتجوز شهادته فى الدّنيا على حزمة بقلٍ. ونسب اليه (ع) وأيم الله لقد قضى الامر ان لا يكون بين المؤمنين اختلاف ولذلك جعلهم شهداء على النّاس ليشهد محمّد (ص) علينا ، ولنشهد على شيعتنا ، وليشهد شيعتنا على النّاس ، والشّهداء جمع الشّهيد وقد يكسر شينه بمعنا الحامل للشّهادة او المؤدّى لها فيكون فعيل بمعنى الفاعل والشّهيد بمعنى القتيل فى سبيل الله فهو فعيل بمعنى المفعول لانّه مشهودٌ عليه يعنى حضرته الملائكة اوشهدالله عليه وملائكته بالجنّة [وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً] والمراد بالشّهادة عليهم اظهار ما هم عليه من الخير والشّرّ فتكون اعمّ من الشّهادة عليهم ولهم وانّما عدّى العبارة بعلى للاشعار بأنّ شهادتهم ليست كشهادة النّاس بعضهم على بعضٍ بل الشّهادة هناك عبارة عن احاطة الشّاهد بالمشهود عليه وله واظهاره ما للمشهود عليه وما عليه ، لا الأخبار باللّسان فقط وان كان لهم هناك اخبار بلسان موافق لذلك العالم وهذا لا يكون الّا باستيلاء الشّاهد المستفاد من لفظ على [وَمٰا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْهٰا] يعنى بيت المقدّس كنت عليها مدّة اربع عشرة سنة [إِلّٰا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلٰى عَقِبَيْهِ] يرتدّ عن دين محمّدٍ (ص) بعد التديّن به ، شبّه المرتدّ عن الدّين بمن يرجع القهقرىٰ ، واسناد العلم بنحو الحدوث فى المستقبل اوفى الحال الى الله امّا باعتبار مظاهره وخلفائه اوباعتبار العلم الّذى هو مع المعلوم لا العلم الّذى هو قبل المعلوم كما نسب الى الامام (ع) انّه قال يعنى الّا لنعلم ذلك منه وجوداً بعد ان علمناه سيوجد واتّصاف العلم الّذى هو مع المعلوم بالحدوث انّما هو باعتبار تعلّق معلومٍ به لا باعتبار انتسابه الى العالم فانّ الواجب بالذّات واجب من جميع الجهات ، اوالمعنى الّا ليظهر علمنا اولتميّز، وقوله تعالى ممّن ينقلب دليل هذا المعنى فانّ لفظة من ههنا هى الّتى تستعمل بعد التميّز فان كان نزول الآية قبل صرفهم الى الكعبة كان المعنى وما جعلنا القبلة الّتى كنت عليها فى مكّة الّا لنعلم من يتّبع الرّسول ومن يتّبع الهوى فانّ أهل مكّة لألفهم الى مكّة كان هواهم فى الكعبه ، وان كان بعد صرفهم الى الكعبة يحتمل ان يراد بالقبلة الكعبة وبيت المقدّس نسب الى الامام (ع) انّه قال : وذلك انّ هوى أهل مكّة كان فى الكعبة فأراد الله تعالى ان يبيّن متّبع محمّدٍ (ص) ممّن خالفه باتّباع القبلة الّتى كرهها ومحمّد(ص) يأمر بها ، ولمّا كان هوى أهل المدينة فى بيت المقدّس امرهم بمخالفتها والتّوجّه الى الكعبة لتبيّن انّ من يوافق محمّداً فيما يكرهه فهو مصدّقه و موافقه [وَإِنْ كٰانَتْ] القبلة الّتى كنت عليها او الصّلوة الى تلك القبلة فى ذلك الوقت [لَكَبِيرَةً إِلّٰا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ] لا على الّذين بايعوا محمّداً(ص) لأغراض نفسانيّةٍ من دون هداية من الله ، ولفظة ان مخفّفة من المثقّلة [وَمٰا كٰانَ اللّٰهُ لِيُضِيعَ إِيمٰانَكُمْ] اى صلوتكم سمّى الصّلوة ايماناً لأنّها أعظم آثاره و بدونها لم يكن الايمان

ايماناً [إِنَّ اللّٰهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ] تعليلٌ للسّابق والرّأفة كالرّحمة لفظاً و معنىً لكنّها هنا أشدّ الرّحمة اوأرقّها اوالاثرالظّاهر من الرّحمة وفى حديثٍ: قال المسلمون للنّبىّ بعد ما انصرف الى الكعبة ارأيت صلواتنا الّتى كنّا نصلّى الى بيت المقدّس ماحالنا فيها وحال من مضى من أمواتنا وهم يصلّون الى بيت المقدّس فأنزل وماكان الله ليضيع ايمانكم [قَدْ نَرٰى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمٰاءِ] ابتداء كلامٍ منه تعالى لابداء حكم و لذا لم يأت بأداة الوصل كأنّه (ص) بعد ما انزجر من اليهود وماقالوه فيه وفى توجّهه فى صلوته الى قبلتهم كان يسأل ربّه تحويل وجهه فى الصّلوة و من شأن السّائل المتضرّع ان يقلّب وجهه فى جهة المسؤل وكأنّه كان يريد الكعبة لأنّها كانت قبلة ابراهيم (ع) وبناءه ومولد علىّ (ع) وموطنه وموطن نفسه [فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضٰيهٰا] فى صلوتك وهى الكعبة وانّما يرضيها للميل الفطرىّ الّذى يكون للانسان بالنّسبة الى موطنه ومولده وموطن آبائه وآثار أجداده ولأنّها كانت مرجعاً للعرب والتّوجّه اليها يقتضى رغبتهم الى دين الاسلام [فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ] اى الحرام هتكه ، والحرام امّا مشترك بين المصدر والصّفة او فى الاصل مصدرٌ يستعمل فى معنى الصّفة والمسجد الحرام جزء من الحرم كما انّ الكعبة جزء من المسجد ، والكعبة قبلة اهل الحرم والحرم قبلة أهل العالم كما روى فالمراد بالمسجد الحرام امّا تمام الحرم من باب استعمال الجزء فى الكلّ اوالمسجد نفسه ، ولم يقل شطر الكعبة لأنّ المعتبر من القبلة للبعيد هو استقبال الجهة الّتى يكون البيت فيها لا استقبال عين البيت وهذا المعنى يستفاد من شطر المسجد مع انّ فيه تطبيقاً للتّنزيل على التّأويل والمعنى ولّ وجه بدنك شطر المسجد الحرام الصّورىّ و وجّه نفسك شطر المسجد الحرام الّذى هو الصّدر المنشرح بالاسلام الّذى فيه كعبة القلب فى حال الصّلوة البدنيّة وفى حال الصّلوة النّفسيّة الّتى هى كلّ الاحوال . وفى الخبر انّ النّبىّ (ص) بعد ما اغتمّ بقول اليهود انّ محمّداً (ص) تابع لقبلتنا خرج فى بعض اللّيل يقلّب وجهه فى السّماء فلمّا أصبح صلّى الغداة فلمّا صلّى من الظّهر ركعتين جاء جبرئيل فقال له : قد نرى تقلّب وجهك فى السّماء فلنولّينّك قبلةً ترضيها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام ثمّ أخذ بيد النّبىّ (ص) فحوّل وجهه الى الكعبة وحوّل من خلفه وجوههم حتّى قام الرّجال مقام النّساء و النّساء مقام الرّجال فكان أوّل صلوته الى بيت المقدّس وآخرها الى الكعبة فسمّى ذلك المسجد مسجد القبلتين [وَ حَيْثُ مٰا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ] خصّه (ص) اوّلاً بالخطاب تعظيماً لشأنه (ص) وتنبيهاً على اجابة مسؤله و على مراعاة رغبته و انّ الحكم له (ص) بالأصالة و لامّته بالتّابعيّة ثمّ عمّم الحكم والخطاب للأمّة والأمكنة كلّها ان كان الرّسول (ص) داخلاً فى المخاطبين اوصرف الخطاب عنه الى أمّته وخاطبهم للاشارة الى عموم الحكم وأنّه ليس له (ص) خاصّة ؛ وهذا الوجه هو الانسب ، لأنّه تعالى كرّر هذا الحكم وفى كلٍّ من مراتب التّكرار ذكر الرّسول (ص) وحده ثمّ ذكر الأمّة وعلّق الحكم حين ذكر الرّسول (ص) على ما يناسب شأنه وحين ذكر الامّة على ما يناسب شأنهم كما سنذكره [وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ] والمراد بالكتاب الشّريعة الآلهيّة من اىّ نبىٍّ كانت اوكتاب التّوراة والانجيل والجملة حال اوعطف باعتبار المعنى كأنّه قال: فانّه حقّ من ربّكم وانّ الّذين اوتوا الكتاب [لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ] اى التّحويل اوالتّوجّه اوشطر المسجد اوالمسجد من حيث التّوجّه [الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ] لأنّهم أهل شرائع آلهيّةٍ وكلّ من دخل فى شريعةٍ آلهيّةٍ يعلم انّ احكام كلّ شريعةٍ مغايرة لشريعةٍ أخرى ، وبعض ما فى شريعةٍ

ينسخ بشريعةٍ اخرى على انّ اهل الكتاب قرأوافى كتبهم وسمعوا من أحبارهم بأخبارأنبيائهم أنّ محمّداً(ص) يصلّى الى القبلتين [وَمَااللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ] وعد و وعيد للمقرّ والمنكر ، و قرئ يَعْمَلُونَ بالغيبة [وَلَئِنْ اَتَيْتَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتٰابَ بِكُلِّ آيَةٍ] معجزة مقترحةٍ لهم اوغيرمقترحةٍ [مٰاتَبِعُوا قِبْلَتَكَ] لأنّهم أصحاب النّفس والنّفس كالشّيطان من فطرتها عدم الانقياد، وطلب الآية ليس الّا للفرار من الانقياد ولواتيت بالآية المقترحة لما انقادت واعتذرت بعذر آخر واقترحت آيةً أخرى وهذا قطع لأطماع المؤمنين عن اتّباع أهل الكتاب لهم [وَمٰا اَنْتَ بِتٰابِعٍ قِبْلَتَهُمْ] قطع لأطماعهم عن متابعته(ص) قبلتهم فانّهم قالوا : لو كنت ثابتاً على قبلتنا لكنّا نرجو ان تكون صاحبنا الّذى ننتظره [وَمٰا بَعْضُهُمْ] كالنّصارى بتابعٍ [قِبْلَةَ بَعْضٍ] كاليهود فانّ اليهود كما قيل تستقبل الصّخرة والنّصارى مطلع الشّمس [وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ اَهْوٰاءَهُمْ] خطابٌ له(ص) والمقصود أمّته(ص) كسابقتها فانّ المؤمنين لرغبتهم فى اسلام اهل الكتاب كانوا يودّون لو كان رسول الله (ص) بقى على قبلتهم حتّى يسلموا [مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ اِنَّكَ اِذاً لَمِنَ الظّٰالِمِينَ] قطعٌ لاطماع المؤمنين عن بقائه(ص) على قبلتهم واتّباعه(ص) لأهواءهم [اَلَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ الْكِتٰابَ] جواب لسؤال مقدّرٍ ولذا لم يأت بأداة الوصل كأنّه قيل: الايعرف أحدٌ منهم محمّداً(ص) وقبلته؟ـ فقال الّذين آتينا هم الكتاب يعنى أحبارهم ولذا نسب الفعل الى نفسه تشريفاً لهم ونسب الكتمان الى فريق منهم [يَعْرِفُونَهُ] اى محمّداً(ص) اوتحويله الى قبلةٍ اخرى فى صلوته [كَمٰا يَعْرِفُونَ اَبْنٰاءَهُمْ] فى منازلهم بحيث لايمكن الشكّ والريبة لهم [وَاِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ] وهم الّذين عاندوا الحقّ عن علمٍ لمحض اللّجاج [لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ] الحقّ اوان محمّداً(ص) نبىّ، اوالمراد أنّهم علماء على ان يكون المفعول منسيّاً [اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ] مبتدأٌ و خبرٌ جواب لسؤالٍ مقدّر كأنّه(ص) قال فما أفعل؟ـ فقال تعالى: الحقّ من ربّك اى اثبت عليه ولاتغتمّ بكتمانه وقرئ الحقّ بالنّصب ؛ على ان يكون مفعول يعلمون [فَلاٰ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهٰا] الضّمير لله اولكلّ والتولية بمعنى الاقبال والادبار وبمعنى التّوجيه و قرئ لكلّ وجهةٍ بالاضافة وقرئ هُوَ مُوَلّٰيهٰا بالألف اسم مفعول ؛ والآية بتنزيلها ردّ على من أنكر التّوجّه الى الكعبة فى الصّلوة من أهل الكتاب ومن ضعفاء المسلمين والمعنى لكلّ أمّةٍ قبلة مخصوصة بها تلك الامّة ، والله مولّيها اليها ، فاستبقوا الخيرات ولا تشتغلوا بالقول فى أمر القبلة ، وبتأويلها ردّ على من أنكر الولاية و توجّه النّفوس الى القلب وصاحب القلب كالعامّة ، وترغيبٌ فى التّوجّه من الجهات النّفسانيّة الفانية الى الجهة القلبيّة الاخرويّة الولويّة الباقية والمعنى لكلّ صنفٍ اوفردٍ وجهةٌ يتوجّه اليها ولا ينفكّ احدٌ منكم عن التّوجّه الى جهة من الجهات فتوجّهوا الى ماينفعكم ويبقى معكم و هو جهة القلب الّتى لا يمكن التّوجّه اليها الّا بقبول الولاية فاستبقوا الولاية الّتى هى اصل جميع الخيرات ولذا فسّر الخيرات بالولاية فى الخبر، وسيأتى بيانٌ للخير وأنّ أصل الخير والحسن والحقّ والصلاح هى الولاية، وكلّ ماكان مرتبطاً بالولاية كان خيراً وحسناً كائناً ماكان ، وكلّما لم يرتبط بالولاية لم يكن خيراً كائناً ماكان.
[اَيْنَمٰا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللّٰهُ جَمِيعاً] استينافٌ فى مقام التّعليل يعنى اينما تكونوا من جهات النّفس ومقامات الانسان والشّيطان والسّباع والبهائم يأت بكم الله ؛ وهذا يقتضى استباق الخيرات او الأمر بالاستباق

حتّى تكونوا مرضيّين عنده ، وورد فى أخبارٍ كثيرة انّ المراد أصحاب القائم (ع) وأنّهم المفتقدون من فراشهم المصبحون بمكّة وهذا وجهٌ من وجوه تأويله [إِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ] فيقدر على جمعكم فى مكانٍ واحدٍ و مقامٍ واحدٍ ومحشرٍ واحدٍ مع اختلافكم فى المكان والمقام [وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ] للسّفر فى البلاد وللحركة فى الشّؤن والتّقلّب فى الاحوال [فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ وَإِنَّهُ] اى شطر المسجد اوالمسجد من حيث التّوجّه اليه اوالتّوجّه الى شطر المسجد [لَلْحَقُّ] اىّ الثّابت [مِنْ رَبِّكَ] اوالحقّ الّذى هو غير الباطل حالكونه من ربّك على ان لا يعتبر فيه معنى الوصفيّة والجملة حاليّة ، اومعطوفة على مقدّرٍ ، اوباعتبار المعنى والتّقدير فانّه فرضك وانّه للحقّ من ربّك وهذا المعنى مستفادٌ من السّابق [وَمَا اللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ] قرئ بالياء و بالتّاء [وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ وَحَيْثُ مٰا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ] و لمّا كان المقام مقام السّخط على أهل الكتاب الكاتمين لوصف محمّدٍ (ص) وموطنه ومهاجره وقبلتيه وكان ترك القبلة الّتى كانوا عليها مدّة أربع عشرة سنةً و أشهراً مظنّة الانكار من ضعفاء المسلمين و مورد الحجّة المرضيّة عند ضعفاء العقول من المعاندين والمسلمين ناسبه التّأكيد والتّكرار ووضع الظّاهر موضع المضمر كما فعل تعالى شأنه بتكرار الامر بالتّولية نحو المسجد الحرام وتكرار قوله من حيث خرجت ، وحيث ماكنتم ، وماالله بغافلٍ عمّا تعملون ، وعلم أهل الكتاب مع كتمانهم وأتى تعالى حين أمر الرّسول (ص) بتولية وجهه شطر المسجد بقوله : من حيث خرجت ، وحين أمر الأمّة بقوله: حيث ماكنتم للاشعار بأنّ محمّداً (ص) لامقام له فى مقامٍ وشأنٍ بل هو دائم السّير والحركة وأنّ أمّته (ص) بالنّسبة اليه كأنّه لاحركة لهم من مقامٍ الى مقام آخر، ومن هذا يعلم انّ الخطاب فى قوله : وحيث ماكنتم خاصّ بأمّته من غير مشاركته لهم [لِئَلّٰا يَكُونَ لِلنّٰاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ] تعليل للامر بالتّولية اوللتّولية والمعنى أمرناكم بالتّوجّه الى الكعبة لئلّا يرد عليكم من معانديكم حجّة صحيحة وهى انّ من علامات النّبىّ المبعوث فى آخر الزّمان الصّلوة الى الكعبة او الى القبلتين ، وحجّة كاسدة وهى انّه لو كان نبيّاً لما تبع قبلة الغير وانّه لو كان ديننا باطلاً كان قبلتنا باطلة [إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ] اى وضعوا الشّيء فى غير موضعه فانّهم يوردون عليك حجّة باطلة هى أنّه لو كان الصّلوه الى بيت المقدّس باطلة لكان صلوتهم فى المدّة الماضية باطلة ، ولو كان صحيحة لكانت صلوتهم الى الكعبة باطلة [فَلٰا تَخْشَوْهُمْ] فانّ حجّتهم داحضة و مطاعنهم غير ضارّة [وَاخْشَوْنِي] فانظروا الى أمرى ونهيى ولاتنظروا الى غيرى [وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ] باقبالكم الى الكعبة الّتى هى ظهور القلب و صورته كما سيأتى ان شاءالله والاقبال الى الكعبة منبّهٌ على الاقبال الى القلب ، و مؤدٍّ اليه وتمام النّعمة فى الاقبال الى القلب ولذا قال : [وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] الى القلب الّذى هو عرش الرّحمن من الاقبال الى الكعبة الّتى هى صورته [كَمٰا أَرْسَلْنٰا] يعنى أُتمّ نعمتى اتماماً مثل ارسال الرّسول ، اوتهتدون اهتداءً مثل الاهتداء بارسال الرّسول ، او هومتعلّق بقوله : فاذكرونى ، اواذكركم ، والفاء زائدة ، او متعلّق بمحذوفٍ يفسّره المذكور والمعنى اذكرونى ذكراً يوازى نعمة ارسال الرّسول المستتبع لجميع الخيرات، اواذكركم مثل ذكركم بارسالنا [فِيكُمْ] لا فى غيركم [رَسُولاً مِنْكُمْ] يشابهكم فى الجسد والبشريّة لا من غيركم

من أصناف الملائكة وغيرهم حتّى تستوحشوا منه يستتبع نعماً جليلة فانّه [يَتْلُوعَلَيْكُمْ آيَاتِنَا] التّدوينيّة فينبّهكم بها ويعلّمكم بهاآياتنا الآفاقيّة والانفسيّة اويتلوعليكم آياتناالتّدوينيّة والاحكام الشّرعيّة ويتلوعليكم ويذكّرلكم آياتنا الآفاقيّة والانفسيّة [وَيُزَكّيكُمْ] يطهّركم من الاخلاق الرّذيلة والنّقائص البشريّة اويحملكم على الطّهارة عن النّجاسات، الشّرعيّة والادناس العرفيّة بتأسيس آداب النّظافة اوينميكم فى ذاتكم وصفاتكم اويحملكم على تأدية زكوة أموالكم وأبدانكم، اويصلحكم ويجعلكم متنعّمين اويعطشكم لامور الآخرة [وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ] قد سبق بيان الكتاب والحكمة [وَيُعَلِّمُكُمْ] من الامور الغيبيّة [مَا لَمْ تَكُونُوا] بقوّتكم البشريّه [تَعْلَمُونَ] بالفكر والنّظر والتعلّم البشرىّ ممّا ذكر من اوصاف الجنّات الصّوريّة الّتى أنكرها أكثر الفلاسفة ومن دقائق الحكم المودعة فى الأحكام الشّرعيّة من العبادات والمعاملات ومن كيفيّة ارتباط الأعمال البدنيّة بالامور الغيبيّة والاخلاق النفسيّة فانّه لاطريق للبشر الى ادراك هذه الّا بطريق الوحى ولذا أنكر الفلاسفةالّذين يعدّون أنفسهم من العلماء أكثرالعوالم الغيبيّة وأكثرالاحكام الشّرعيّة وأنكر الدّهريّة والطبيعيّة كلّ الامور الشّرعيّة والعوالم الغيبيّة . وقدّم التّزكيّة على تعليم الكتاب والحكمة ههنا وفى سورة آل عمران فى قوله تعالى: لقد منّ الله على المؤمنين ؛ الآية ، وفى سورة الجمعة فى قوله تعالى: هوالّذى بعث فى الامّيّين؛ الآية بخلاف دعوة ابراهيم(ع) الّتى سبقت للاشعار باجابة دعاء ابراهيم(ع) والتفضّل عليه (ع) بالزيادة على مسؤله فانّ التعليم الّذى هو قبل التزكية ليس الّا بالعلم التّقليدىّ الّذى يكون عاديّة للعالم به بخلاف التّعليم الّذى هوبعد التّزكية فانّه يكون بالعلم التحقيقىّ بمراتبه من علم اليقين وعين اليقين وحقّ اليقين ولهذا أضاف على دعائه قوله تعالى: ما لم تكونوا تعلمون .

تحقيق الذّكرومراتبه و فضائله

[فَاذْكُرُونِي] باللّسان جهراً و دون الجهر و بالجنان سرّاً و عند الفعال بتذكّر الامر والنّهى وعندالنّعم بالشكر [أَذْكُرْكُمْ] الذّكر بالكسرحفظ الشّيء فى الخاطر ويستعمل فى اجرائه على اللّسان وفى الصّيت والشّرف وقوله و انّه لذكرٌ لك ولقومك يحتملهما واطلاقه على المعانى الثّلاثة بمناسبة التذكار فى الخاطر، والآيات والاخبار الدّالّة على فضيلة ذكر الله كثيرة وكفى فى فضله هذه الآية الدّالّة على ايراث ذكر العبد لله ذكر الله له ؛ ولا شرف أشرف منه ، وما ورد فى عدّة اخبار قدسيّة من قوله تعالى : انا جليس من ذكرنى ؛ يدلّ على أنّه لا شرف أشرف منه وروى عن الصّادق (ع) انّه قال: من كان ذاكراً لله على الحقيقة فهومطيع ، ومن كان غافلاً عنه فهو عاصٍ ، والطّاعة علامة الهداية والمعصية علامة الضّلالة ، وأصلهما من الذّكر والغفلة ، وهذا الخبر يدلّ على انّ الطّاعات بذكر الله طاعاتٌ واذا كانت خالية عن ذكر الله بان كان العابد غافلاً عن الله حين العبادة كانت معصية ، وروى عن الباقر(ع) انّه قال : لايزال المؤمن فى صلوة ماكان فى ذكر الله قائماً كان اوجالساً اومضطجعا ؛ انّ الله سبحانه يقول : الّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون فى خلق السّماوات والارض ربّنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النّار، وهذا يدلّ على انّ ذكر الله هو الصّلوة اوهوحقيقة الصّلوة وروحها ، والصّلوة قالبه ولذاكانت أكبر من الصّلوة ، والآيات الدّالّة على النّهى عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه والامر بالأكل اواباحة الأكل ممّا ذكر اسم الله عليه اذا عمّم الأكل والآكل والمأكول تدلّ على انّ ذكر الله هو المحلّل والمبيح للاشياء والافعال

وبدونه لايحلّ شيء منهما فذكرالله حقيقة الطاعات وغايتها ومصحّح العبادات ومحلّل الاشياء ومبيح الافعال ، وغاية الذّكرظهورالمذكور فى ملك الذّاكر وفناء الذّاكر بحيث لايبقى منه ذات وأثر وذكر ويبقى المذكور فى ملك الذّاكر قائلاً : لمن الملك اليوم؟ـ مجيباً : لله الواحد القهّار .

وللذّكربحسب القرب والبعد من تلك الغاية مراتب وامّهاتها اربع ولكلّ منها مراتب ودرجات :

واولى المراتب الاربع الذّكر اللّسانىّ وهواجراء المذكور باسمائه وأوصافه على اللّسان ومراتب هذا الذّكر اذا لم يكن غلافاً للشّيطان بحسب غفلة الذّاكر عن المذكور وتذكّره له بدرجات التّذكّر و حضور المذكور فى قلب الذّاكروحضور الذّاكر عند المذكور باستيلاء المذكور عليه بحيث يكون المذكور اصلاً والذّاكر تابعاً ، وبحسب اتّحاده مع المذكوروفنائه التّامّ فيه وبقاء المذكوروحده وبقاءالذّاكربعد الفناء ببقاء المذكور ، وكذا بحسب اقترانه بالذّكر القلبىّ كثيرة ، ودرجات كلّ مرتبة منها ايضاً كثيرة .

وثانيتها الذّكر القلبىّ الّذى هومصطلح الصوفيّة ويسمّونه بالذّكر الخفىّ ويسمّون الذّكر اللّسانىّ بالذّكر الجلىّ وله أيضاً مراتب و درجات بحسب اقترانه بالذكر اللّسانىّ و عدمه ، وتذكّر الذّاكر للمذكور وعدمه ، وبحسب الحضور والاتّحاد والفناء فى المذكور والبقاء بعد الفناء وعدمه .

وثالثتهاالذّكر النّفسىّ وهوتذكّرالمذكورفى النّفس وهو ايضاً له مراتب ودرجات بحسب الاقترانات المذكورة وعدمها .

ورابعتها تذكّرالمذكورعند كلّ فعلٍ ونعمةٍ بتذكّر أمره ونهيه وشكره وله ايضاً مراتب ودرجات.

والذكر اللّسانىّ والقلبىّ لمّا كانا من العبادات والعبادات لابدّ من أخذها من صاحب الاجازة الشّرعية اذا لم يكن العابد مجازاً والّا لم تكن مقبولة وافقت ام خالفت كما تقرّر فى الفقه اذا لم يؤخذا من صاحب الاجازة لم يكن لهما اثر بل نقول : انّ الشّيطان قد يترصّد العابد والذّاكر الغير الآخذ من صاحب الاجازة فيخلى الاسماء الآلهيّة الجارية على لسانه من معناها ويجعل نفسه فيها فيصير الذّاكر ذاكراً للشّيطان وهو يحسب أنّه ذاكرلله و يلوى لسانه بألفاظٍ يظنّها اسماءً لله وماهى بأسماءٍ لله بل هى أسماءٌ للشّيطان فيطرد بالذّكر من باب الرّحمن و هو يحسب انّه يحسن صنعاً ، فالّذى ينبغى للعابد الاهتمام بتصحيح تقليده اوّلاً ثمّ الاقبال على العبادة به وامّا الاحتياط فشروط صحّةالعمل به كثيرة، وسببيّة ذكر العبدلله لذكرالله للعبد كمايستفادمن الآية ومن الاخبار القدسيّة وغيرها مع أنّه ما لم يذكرالله العبد لايذكر العبدالله انّما هى باعتبار مرتبةٍ من ذكرالله للعبد نظير ما مضى فى توّابيّة تعالى فانّ ذكره تعالى للعبد بالتّوفيق سببٌ لذكر العبد لله ، وذكر العبد لله سببٌ لذكرالله له بالجزاء ، وذكرالله له بالجزاء سبب لاشتداد ذكره لله ، و اشتداد ذكره لله سبب لذكرٍ آخر من الله ، و هكذا ، وذكر العبد لله متقوّم بذكرالله للعبد فهو ذكرٌمن الله للعبد لكن فى مقام العبد وقد ذكر فى الاخبار وفى كلمات الابرار تفاضل فى الاذكار الخفيّة والجليّة فليعلم انّ التفاضل قد يعتبر بحسب اضافة الاذكار الى الاشخاص المختلفة والاحوال المختلفة لشخصٍ واحدٍ ، وقد يعتبر بينها بحسب اعتبارها فى أنفسها فقد يكون الذّكرالفاضل فى نفسه غير فاضل بالنّسبة الى شخصٍ ولمّا كان بناء الدّين وبناء السّلوك على التّبرّى والتولّى كان الذّكرالمشتمل على النّفى والاثبات أفضل من غيره فى نفسه ، وأفضل الاذكار المشتملة على النّفى والايجاب: لا اٰله الّا الله ؛ فانّه جامع للنّفى والاثبات وحافظ لجميع مراتب الوجود مع نفى الاستقلال عنها واثباتٌ للواحدالاحد بجميع صفاته وليس هذا الّا شأن النّبىّ الّذى هوخاتم الكلّ كماقال (ص) : اوتيت جوامع الكلم ؛ ونقل انّ لا اٰله الّا الله خاصّة بهذه الامّة **[وَاشْكُرُوا لِي]**

الشّكر ملاحظة انعام المنعم فى النّعمة وملاحظة حقّ المنعم فى الانعام ، ولذا فسّر بتعظيم المنعم لاجل الانعام ويلزم ملاحظة حقّ المنعم فى الانعام وفى النّعمة صرف النّعمة لما أنعمها لاجله ، ولهذا قد يفسّر بصرف النّعمة فيما خلقت لأجله [وَلاتَكْفُرُونِ] المراد بالكفر ههنا كفر النّعم و هو ستر الانعام و حقّ المنعم فى النّعمة ، وايراث الشّكر ازدياد النّعم وايجاب الكفر زوالها ممّا كثرت به الآيات والاخبار والحكايات والامثال فليداوم العاقل الشّكر وليحذر الكفران [يا اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا] تشريفٌ للمؤمنين بالخطاب لهم بعد اظهار الامتنان عليهم بنعمة الرّسول واستتباعه للنّعم الجليلة [اسْتَعينُوا] فى ذكرى وشكرى اوفى جملة ما ذكر من ترك القبلة المعتادة والانصراف الى غير المعتادة والثّبات على الحقّ واستباق الخيرات وعدم الخشية من النّاس والخشية من الله والاهتداء والذّكر والشّكر ، اوفى جملة ما يهمّكم من معاشكم ومعادكم و جملة ما يحزنكم ويجزعكم [بِالصَّبْرِ وَالصَّلوةِ] وقد مضى بيانٌ للآية عند قوله : واستعينوا بالصّبر ؛ الآية [اِنَّ اللهَ مَعَ الصّابِرينَ] معيّةً رحيميّةً خاصّةً بخواصّ المؤمنين لامعيّةً رحمانيّةً قيّوميّةً حاصلة لكلّ موجود ولامعيّة رحيميّة عامّة لكلّ مؤمنٍ بايع ولىّ أمره و لكلّ مسلمٍ بايع نبىّ وقته فانّ الانسان كلّما ازداد قربه من الله حصل لله معه معيّة أخرى غير معيّته الاولى وما قيل فى الفارسيّة :

بيزارم از آن كهنه خدائى كه تو دارى هر روز مرا تازه خداى دگر استى

اشارة الى تجدّد معيّته وتعدّدها وليس المراد تجدّد الآلهة روى عن الصّادق(ع) انّه قال فى كلام له: فمن صبر كُرهاً ولم يشك الى الخلق ولم يجزع بهتك ستره فهو من العامّ ؛ ونصيبه ما قال الله تعالى : وبشّر الصّابرين اى بالجنّة ، ومن استقبل البلايا بالرّحب وصبر على سكينةٍ ووقار فهو من الخاصّ ؛ ونصيبه ما قال الله تعالى: انّ الله مع الصّابرين [وَلاتَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فى سَبيلِ اللهِ] كلّ عمل ينتهى به الانسان الى الله تعالى فهو سبيل الله ، وكلّما ينتهى به الى الشّيطان فهو سبيل الشّيطان و سبيل الشّيطان سبيل الله بوجهٍ و بحسب التّنزيل فالمراد بالظّرف ظرفيّة مجازيّة اوظرفيّة حقيقيّة بتقدير مضاف اى فى زمان سبيل الله اومكانه ؛ نقل أنّ الآية نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ؛ ستّة من المهاجرين و ثمانية من الانصار وكانوا يقولون : مات فلانٌ وفلانٌ فأنزل الله الآية وبحسب التّأويل فالسبيل الى الله هو الولاية وطريق القلب والمعنى على هذا : ولا تقولوا لمن يقتل عن الحيوة الحيوانيّة حالكونه فى سبيل الله اولاتقولوا لمن يقتل عن الانانيّة والحيوة الشّيطانيّة فى سبيل الله على ان يكون ظرفاً لهذا القتل [اَمْواتٌ بَلْ اَحْياءٌ وَلكِنْ لاتَشْعُرُونَ] لانّ حيوتهم حيوة أخرويّة وشعوركم شعور دنيوىّ ولاسنخيّة بين المدارك الدّنيويّة والمدركات الاخرويّة [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ] لنختبرنّكم اولنصيبنّكم [بِشَىْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْاَمْوالِ وَالْاَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصّابِرينَ] نسب الى علىٍّ(ع) انّه قال : انّ الله يبتلى عباده عند الاعمال السّيّئة بنقصٍ من الثّمرات و حبس البركات واغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائبٌ و يقلع مقلعٌ ويتذكّر متذكّر ويزدجر مزدجرٌ . وعن الصّادق (ع) انّ هذه علامة قيام القائم(ع) تكون من الله تعالى عزّوجلّ للمؤمنين قال بشىءٍ من الخوف من ملوك بنى اميّة فى آخر سلطانهم والجوع بغلاء اسعارهم ونقصٍ من الاموال فساد التّجارات وقلّة الفضل ، ونقصٍ من الانفس الموت الذّريع ونقصٍ من الثّمرات بقلّة ريع مايزرع ، وبشّر الصّابرين عند ذلك بتعجيل خروج القائم(ع) ثمّ قال: هذا تأويلٌ

قال الله تعالى : ومايعلم تأويله الاّ الله والرّاسخون فى العلم [الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ] بشيء يؤذيه وأقلّه ان شأكته الشوكة خرجوا من انانيّتهم و استسلموا لخالقهم و [قَالُوا] بلسان أبدانهم وأحوالهم [إِنَّا لِلَّهِ] مبدءً وملكاً [وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ] فى المنتهى والاخبار فى فضل الصّبر على المصيبة والاسترجاع عندها كثيرة جدّاً ، ولمّا كان المصائب الواردة على الانسان لامداخلة لنفسه واختياره فيها حتّى يجعل مآربه النّفسانيّة غاية لها كان انموذج اجرها مشهوداً له من كسر انانيّته وكبريائه والتضرّع الى ربّه والالتجاء اليه والقرب منه بخلاف العبادات الّتى يعملها الانسان باختياره وينظر فيها الى أغراض نفسه فانّه لايجد فيها أجراً وقرباً ولذّة . [أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ] جمع الصّلوة بمعنى الثّناء من الله والتشريف والتعظيم منه بعنى تشريفات وتفضيلات وهذا لظاهره واجر قبوله الرّسالة [وَرَحْمَةٌ] وهذا لباطنه واجر قبول الولاية [وَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ] الى ما ينبغى ان يهتدى اليه اوالى تسهيل المصيبة بالتّسليم لأمرالله [إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ] ابتداء كلام منقطع بظاهره عن سابقه لبيان حكم من الأحكام التّكليفيّة ولذا قطعه من سابقه ، والصّفا والمروة جبلان بمكّة يسعى بينهمانحو الهرولة وهو من مناسك الحجّ ، والصّفا الحجر الاملس يذكّر ويؤنّث ويستعمل فى المفرد وفى الجمع ، والمرو الحجارة البيض البرّاقة اوأصلب الحجارة ، وفى الخبر انّما سمّى الصفا صفاً لأنّ آدم المصطفى هبط عليه فقطع للجبل اسم من اسم آدم(ع) وهبطت حوّاء على المروة فسميّت مروة لانّ المرأة هبطت عليها فقطع للجبل اسم من اسم المرأة ؛ وهذا يناسب التّأويل فانّ الصّفا كما سيجيء فى تفسير: انّ اوّل بيت وضع للنّاس ؛ فى سورة آل عمران الجهة العليا من النّفس ، والمروة الجهة السّفلى منها الّتى تلى الحيوانيّة والطّبع وهما باعتبار مهبط لآدم(ع) وحوّاء و باعتبار متّحدتان معهما و لهذا الاتّحاد اخذ اسم لهما من اسمهما ، وباعتبار هذا التّأويل يرتبط الآية بسابقها ، والسّعى فى المسعى كناية عن لزوم تردّد الانسان مضطرباً بين صفا النّفس الانسانيّة ومروة النّفس الحيوانيّة فانّه بالتردّد بينهما وقضاء وطر قواهما يبقى الانسان فى هذا البنيان وبذلك البقاء يستكمل فى ذاته وصفاته واتباعه ، وبهذا الاستكمال يستحقّ الحضور عند الرّحمن والخلّة والامامة فكما انّ الصّفا والمروة والسّعى بينهما من مناسك حجّ البيت المبنىّ من الاحجار كذلك الصّفا والمروة النّفسانيّتان والتّردّد بنحو الاضطراب بينهما لاصلاح حال أهلهما وقضاء وطرهم [مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ] الشّعائر جمع الشّعار بكسر الشين بمعنى العلامة، اوجمع الشّعار بالكسر والفتح بمعنى الثّوب الملزق بالبدن ؛ اوجمع شعار الحجّ بالكسر بمعنى مناسكه ، اوجمع الشّعيرة بمعنى معظم المناسك الّتى ندب الله اليها [فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ] الحجّ القصد والكفّ والقدوم والتردّد وقصد مكّة للنّسك ، وفى الشّرع اسم للنّسك المخصوصة المقرّرة الّتى هى فى مقابل العمرة ويناسبه كلّ من معانيه اللّغويّة ، والعمرة الزّيارة وفى الشّرع اسم للمناسك المخصوصة الّتى هى فى مقابل الحجّ [فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا] قيل كان على الصّفا والمروة صنمان لقريش كانوا فى الجاهليّة اذا سعوا بينهما مسحوا الصّنمين فلمّا جاء المسلمون وكسر الاصنام تحرّج المسلمون ان يطّوّفوا بهما لذلك فنزلت الآية ولا دلالة للآية على نفى الوجوب فانّها تفيد الجواز والجواز أعمّ من الوجوب و يستفاد الوجوب من الاخبار فالتّمسّك بالآية على نفى الوجوب كما تمسّك بها بعض العامّة ليس فى محلّه ، ونسب الى الصّادق (ع) انّه

سئل عن السّعى بين الصّفا والمروة فريضة ام سنّة؟ـ فقال(ع) : فريضة ، قيل: اوليس قال الله عزّوجلّ : فلاجناح عليه ان يطّوّف بهما ؟ـ قال :كان ذلك فى عمرة القضاء انّ رسول الله (ص) شرط عليهم ان يرفعوا الاصنام من الصّفا والمروة فتشاغل رجل عن السّعى حتّى انقضت الايّام وأعيدت الاصنام فجاؤا اليه فقالوا: يارسول الله (ص) انّ فلاناً لم يسع بين الصّفا والمروة وقد أعيدت الاصنام فأنزل الله عزّوجلّ انّ الصّفا والمروة الى قوله : فلاجناح عليه ان يطّوّف بهما اى وعليهما الاصنام ونسب اليه (ع) أيضاً انّ المسلمين كانوا يظنّون انّ السّعى بين الصّفا والمروة شيء صنعه المشركون فأنزل الله هذه الآية ولايبعد ان يقال: انّ السّعى بينهما بطريق الهرولة شيءٌ يستقبحه العقول الجزئيّة ويستنكف منه النّفوس الأبيّة فكان مظنّة للتّحرّج لمن لايدرك من الاشياء الّا ظواهرها فرفع ذلك التّحرّج [وَ مَنْ تَطَوَّعَ] تنفّل [خَيْراً] صفة مفعول مطلق محذوف ، اوالمعنى تطوّع بخيرٍ ، اوهومبنىّ على التّجريد اى من عملٍ خير ، او المراد بالخير الطّواف و السّعى ، او مطلق مناسك الحجّ و العمرة ، او مطلق الاعمال الحسنة فرضاً كان ام ندباً [فَإِنَّ اللَّهَ] يجزيه بالخير لأنّه [شٰاكِرٌ] لا يدع العمل الخير من العباد بلا جزاءٍ [عَلِيمٌ] لايعزب عنه عمل عاملٍ [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مٰا أَنْزَلْنٰا مِنَ الْبَيِّنٰاتِ] اعلم أنّ أمثال هذه الآيات ما مضى منها وما يأتى نازلة فى شأن علىٍّ (ع) وولايته سواء كان نزولها فى أهل الكتاب اوفى غيرهم فانّ المقصود منها التّعريض بولاية علىٍّ (ع) فالمعنى انّ الّذين يكتمون ما أنزلنا على محمّد (ص) من دلائل ولاية علىٍّ (ع) الّتى لم يخف على احدٍ بعد وفاة محمّد (ص) [وَالْهُدىٰ] المطلق الّذى هوولاية علىٍّ (ع) فانّه حقيقة الهدى ، وكلّما يدلّ على الولاية فهو هدىً باعتبار انتهائه الى الهدى المطلق [مِنْ بَعْدِ مٰا بَيَّنّٰاهُ] اى الهدى الّذى هوالولاية [لِلنّٰاسِ فِى الْكِتٰابِ] اى القرآن وأخبار الرّسول [أُولٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللّٰاعِنُونَ] اى الّذين يتأتّى منهم اللّعن من الملائكة والثقلين حتّى أنفسهم فانّهم يقولون : لعن الله الكافرين كما فى تفسير الامام (ع) اومن كلّ شيءٍ فانّ الكل باعتبارشعورهم بقدر وجودهم يلعنون الملعونين، وهذا لاينافى جريانه فى أهل الكتاب الكاتمين لامر محمّدٍ (ص) وعلىٍّ (ع) وفى سائر العلماء الكاتمين لمطلق الحقّ وفيمن علم شيئاً من الحقّ فكتمه ، ونسب الى ابى محمّدٍ (ع) انّه قال : قيل لامير المؤمنين (ع): من خير خلق الله بعد ائمّة الهدى ومصابيح الدّجى؟ـ قال: العلماء اذا صلحوا ، قيل: فمن شرّ خلق الله بعد ابليس وفرعون ونمرود وبعد المتسمّين بأسمائكم والمتلقّبين بألقابكم والآخذين لامكنتكم والمتأمّرين فى ممالككم ؟ـ قال : العلماء اذا فسدوا ؛ هم المظهرون للاباطيل الكاتمون للحقائق وفيهم قال الله عزّوجلّ : اولئك يلعنهم الله ويلعنهم الّلاعنون ، ونسب الى الباقر (ع) انّه قال : انّ رجلاً اتى سلمان الفارسىّ رحمه الله فقال: حدّثنى فسكت عنه ؛ ثمّ عاد فسكت ثمّ عاد فسكت فأدبر الرّجل وهويتلوهذه الآية : انّ الّذين يكتمون (الى آخره) فقال له : أقبل انّا لو وجدنا أميناً حدّثناه (الحديث) [إِلَّا الَّذِينَ تٰابُوا] عن الكتمان [وَأَصْلَحُوا] ما أفسدوه بالجبران [وَ بَيَّنُوا] ماكتموه [فَأُولٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوّٰابُ الرَّحِيمُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] استيناف فى مقام التّعليل ولذا قطعه عمّا قبله والمراد اصالة الكفربولاية علىٍّ (ع) [وَمٰاتُوا وَهُمْ كُفّٰارٌ] يعنى انّ الكفّار حين الموت وظهور علىٍّ (ع) عليهم يعرض عليهم الولاية فيقبل بعضهم ويردّ بعضهم فلا يعلم حال الكافر بعد الموت الّا المطّلع على خفايا الاحوال ، فلايجوز لعن الكاف بعد موته الّا لمن يعلم حاله ، والّا لمن سمع ممّن

يعلم حاله جوازلعنه ، ولمّا كان هذا الحكم تعليلاً للسّابق ومن متعلّقاته والمتكلّم فى مقام السّخط كلّماازداد ذمّه للمغضوب عليه اشتدّ غضبه ، وكلّما اشتدّ غضبه ازداد فى بسط الكلام وتغليظ الحكم وتأكيده بسط تعالى فى الكلام وأكّد فقال تعالى : [أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنّٰاسِ اَجْمَعِينَ خٰالِدِينَ فِيهٰا] فى اللّعنة اوفى نارجهنّم [لٰايُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذٰابُ] بعد دخولهم فى العذاب [وَلٰاهُمْ يُنْظَرُونَ] يمهلون قبل دخول العذاب اولايمهلون فى العذاب برفع العذاب اوتخفيفه ليعتذروا ، اولاينظر اليهم [وَاِلٰهُكُمْ اِلٰهٌ] جملة مستأنفة لابداء حكم آخرعلى مجيء الواو للاستيناف اوحاليّة والمعنى أنّهم مخلّدون فى العذاب لايخفّف عنهم ولا يمهلون و الحال ان لا اٰله سوى الاله المعذّب يدفع عنهم العذاب و يخلّصهم من الاله المعذّب ، والاله مأخوذ من اله بفتح العين بمعنى عبد فهو فعال بمعنى المفعول وجاء اله كفرح بمعنى تحيّر ، وعليه ؛ اشتدّ جزعه عليه، واليه ؛ فزع ولاذ، وآلهه أجاره وآمنه، ويصحّ جعله مشتقاً من الجميع ؛ ومعنى آلهكم اله أنّ ماجعلتموه معبوداً مستحقّ للعبادة لانّه غيرمستحقٍ للعبادة [وٰاحِدٌ] لامتعدّد [لٰا اِلٰهَ اِلّٰا هُوَ] يعنى لامستحقّ للعبادة سواه حتّى يكون معبوداً لغيركم اويدافعكم عن آلهكم [الرَّحْمٰنُ] المفيض لوجود الاشياء كلّها والمبقى لها والمعطى لما تحتاج هى اليه فى بقائها [الرَّحِيمُ] المفيض للكمالات الاختياريّة البشريّة فاثبت الالاهة للآله المضاف الى المخاطبين ثمّ التّوحيد ثمّ حصر الآلهة فيه وأثبت له المبدئيّة والمنتهائيّة والمالكيّة وهذه هى امّهات صفاته تعالى وأقام البرهان عليه بقوله : [اِنَّ فِى خَلْقِ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ] فهو استيناف فى مقام التّعليل و جمع السّماوات لتعدّدها حقيقة بخلاف الارض وآيات خلق السّماوات الدّالّة على صانعٍ حكيمٍ عليمٍ قادرٍ ذى عناية بالخلق رحمنٍ رحيمٍ كثيرة خارجة عن احصاء البشروما أحصوه منها لايحيط به البيان من وضع أفلاكها الكلّيّة والجزئيّة المحيطة و غير المحيطة و حركاتها الجزئيّة والكلّيّة المختلفة بالسّرعة والبطوء والاقامة والاستقامة والرجعة والشرقيّة والغربيّة المنضبطة فى اختلافها المنوط بها نظام مواليد الارض من توليدها وبقائها واستكمالها فى ذاتها وصفاتها ووضع كواكبها واختلافها بالقرب والبعد من الارض وشدّة النّوروضعفه وعظم الجرم وصغره والتّسخين والتّبريد وظهور آثارٍ منها فى الارضيّات وغيرذلك ممّا فصّل فى علم الهيئة والنّجوم وأحكام النّجوم وكذا آيات خلق الارض من تحيّزها حول المركز بحيث يمكن تأثير السّماويّات فيها من جوانبها و دورانها حولها و تحيّز الماء حواليها و خروج بعض سطوحها عن الماء لامكان توليد المواليد البرّيّة عليها وتوليد الماء فى جوفها ووضع الجبال عليها وانحدار سفوحها لامكان جريان العيون عليها وامكان اجراء القنوات فيها وجعلها غير ليّنة غامرة وغير صلبة صعبة البناء عليها متماسكة يتماسك البناء عليها وغير ذلك من المنافع الكثيرة الّتى لا يحصيها الّا الله والآيات المستنبطة من كيفيّة تعانقهما ومحبّتهما وتأثير كلٍّ وتأثّرها من الاخرى كثيرة ايضاً .

[وَاخْتِلاٰفِ اللَّيْلِ وَالنَّهٰارِ] اى تعاقبهما و مجيء كلّ خلف الآخر اواختلاف كلٍّ منهما فى ازمان السّنة بالزيادة والنّقصان او اختلافهما بزيادة أحدهما على الآخر فى أغلب الاوقات و باختلافهما فى الصّفات والآثار آيات عديدة دالّة على صانعٍ حكيمٍ قادرٍ رحمنٍ رحيمٍ [وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمٰا يَنْفَعُ النّٰاسَ] يعنى فى جعل الماء مائعة سائلة وجعل موادّ الفلك بحيث تطفو على وجه الماء وهدايتكم الى ترتيبها بحيث يجريها الرّياح على وجه الماء غير خارجة عن اختياركم و فى الآثار المترتّبة على الفلك وسرعة سيرها

مع عدم احتياجها الى مؤنة من حمل اثقال كثيرة الى بلاد بعيدة آيات عديدة دالّة على صانع حكيم قدير ذى عناية بالخلق [وَما اَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ] من جهة الفلك او من جهة العلو [مِنْ ماءٍ فَاَحْيابِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها] بتهييج قواها و انبات نباتها و توريق أشجارها [وَبَثَّ] عطف على أنزل الله اى فيما بثّ من الحشرات والانعام والسّباع وأصناف الانسان ، اوعطف على أحيا اى فيما أنزل من السّماء فأحيا بسببه الارض وبثّ بسببه [فيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ] ولفظة من على الاوّل بيانيّة ، وعلى الثّانى تبعيضيّة ووجه سببيّة المطر لبثّ الدّوابّ انّ توليد المتولّدات من الحشرات انّما يكون برطوبة الارض والهواء الممتزجة بحرارة الشّمس المختلطة بالاجزاء الارضيّة المتعفّنة بسبب الحرارة وبقائها وبقاء المتولّدات وتعيّشها انّمايكون بسبب كثرة نبات الارض الحاصلة من كثرة رطوبة الارض والهواء الحاصلة من كثرة المطر [وَتَصْريفِ الرِّياحِ] الّذى به تبديل الهواء حتّى لايركن فيتعفّن فيفسد أمزجة الحيوان والنّبات وحتّى يذهب بالهواء العفن ويبرد ابدان الحيوان و النّبات بتبديل الهواء المجاور المتسخّن بالمجاورة والرّكون، وتنتفعون به فى معايشكم باجراء الفلك واقلال السّحاب وتمييز الحبوب من الاتبان [وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالْاَرْضِ] بحيث يحمل الاجزاء الرّشيّة المائيّة ويستحيل اليها اجزاء هوائيّة فيذهب بها الى مواضع أمره الله بالامطار فيها فيمطر بحيث ينتفع الارض به من أنواع المطر لابحيث يفسد الارض وعماراتها ومواليدها وقد يأتى بالثّلج فى وقته او بالبرَد فى محلّ ينتفع به وقد يأتى بالمطر اوالثّلج اوالبرد بحيث يكون ضررها اكثر من نفعها اذا أراد الله بقوم ضرّاً [لَآياتٍ] دالّة على صانع عليم حكيم قادر لايشذّ عن علمه شيءٌ رحمن رحيم كما اشير اليها [لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] يدركون بالعقول لابالمدارك الحيوانيّة اولقوم صائرين عقلاء ، والاتيان بالمضارع للدّلالة على حدوث العقل بعد ان لم يكن لا لغير العقلاء ممّن كانوا كالانعام اوهم أضلّ فانّ العاقل يدرك من الاشياء دقائق الحكم المودعة فيها واسبابها ومسبّباتها لاغيره [وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ] عطف على جملة الهكم اله واحد ، اوحال [مِنْ دُونِ اللّهِ اَنْداداً] قد فسّر الآية الشّريفة فى الاخبار بمنافقى الأمّة والانداد برؤسائهم وعلى هذا فمعنى الآية من النّاس من يتّخذ انداداً لولىّ الامر حالكون الانداد بعضاً من غير الله تعالى فى مظهره اومن يتّخذ من غير اذن الله انداداً ، اومن غير اذن الله انداداً لله فى مظهره [يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذينَ آمَنُوا] بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة [اَشَدُّ حُبّاً لِلّهِ] فى مظهره الّذى هو علىّ (ع) من غيرهم انّ محبّتهم نفسانيّة عرضيّة لأنّ شأن النّفس العداوة والبغضاء ومحبّة المؤمنين عقلانيّة ذاتيّة [وَلَوْيَرَى الَّذينَ ظَلَمُوا] انفسهم بمنعها عن حقوقها الّتى هى التّسليم للولاية والقبول والتّأثّر منها و اتّباع ولىّ الامر والاستنارة بنوره ، و لفظ لو للشّرط و هو الظاهر اوللتمنّى [اِذْيَرَوْنَ الْعَذابَ] اذ ظرف اواسم خالص مفعول به ليرى وعلى الاوّل فقوله تعالى [اَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَميعاً] مفعول به ليرى اوبدل من العذاب على ان يكون مفعول يرى محذوفاً وعلى الثّانى يكون بدلاً من اذ يرون اومن العذاب ومعنى كون القوّة جميعاً لله انّ قدرة كلّ ذى قدرة رقيقة من القدرة المطلقة والرّقائق متقوّمة بالمطلق، ونسبتها الى الممكنات اعتباريّة لاحقيقة لها وقرىء ترى بالخطاب ويرون مبنيّاً للمفعول من ارى وانّ القوّة بكسر انّ وكذا قوله تعالى

[وَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا] اذ ظرف لشديدالعذاب، اولقوله‌لله ، اوليرون ، اوبدل من العذاب، اومن اذالاولى ؛ والمعنى لويرى الّذين ظلموا اذتبرّأ الّذين اتّبعوا المتبوعون، اوالاتباع على قرأة المجهول و المعلوم [مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا] الاتباع اوالمتبوعين على القراءتين [وَرَأَوُا الْعَذَابَ] حال بتقدير قد او عطف على تبرّأ اوعلى اتّبعوا الاوّل اوالثّانى [وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ] جمع السّبب وهوالحبل الّذى يشدّ به الشّيء ويجرّ والاسباب استعارة للوصلات الّتى بينهم من القرابات وصورالمبايعات الدّينيّة النّاشئة من مقام أنفسهم الشّيطانيّة والتّناسبات الدّنيويّة ، و لفظ بهم اماصلة تقطّعت على ان يكون الباء للتّعدية والمعنى شتّتهم الاسباب الّتى كانت بينهم وكانت سبباً لاجتماعهم وتؤلّفهم فى الدّنيا فانّها كانت لاغراض فانية وبين نفوس هالكة وكانت مانعة عن الالفة الرّوحانيّة الباقية فصارت اسباباً للفرقة فى الآخرة اولفظ بهم حال عن الاسباب تقدّم عليه والباء للالصاق [وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً] الى الدّنيا لوللتمنّى ولذا نصب الفعل بعد الفاء فى جوابه [فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ] هناك [كَمَا تَبَرَّؤُا مِنَّا] ههنا [كَذَٰلِكَ] اى مثل اراءة اتّباعهم للرّؤساء المضلّين حسرةً عليهم [يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ] جميعاً [حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ] يعنى كما انّ أصل اتّباعهم لرؤسائهم كان سبباً لبعدهم عن الله وقربهم الى دارالعذاب فتحسّروا عليه جميع أعمالهم الّتى عملوها كانت سبباً لبعدهم وحسرة وندامة عليهم ، ونسب الى الصّادق(ع) أنّه قال فى قوله عزّوجلّ : يريهم‌الله أعمالهم حسرات عليهم ، هوالرّجل يدع ما له لاينفقه فى طاعةالله بخلاً ثمّ يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله اومعصيةالله فان عمل به فى طاعةالله رآه فى ميزان غيره فرآه حسرةً وقدكان المال له ، وان كان عمل به فى معصيةالله قوّاه بذلك المال حتّى عمل به فى معصية الله عزّوجلّ ، وهذا اشعاربوجه من وجوه التّأويل فانّ الممسك بخلاً ليس الّا من اتّباع الجهل وان كان بحسب الظّاهر مؤمناً [وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ] حال عن فاعل قال اوفاعل اتّبعوا اومفعول يريهم وفيه ردٌّ لتمنّاهم وتشديد عليهم بذكر تأبيد عذابهم .

[يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ] من انواع المأكول والمشروب ولا بأس بتعميم الاكل والآكل والمأكول فانّ القوى كلّها لها أكل ومأكول خاصّان بها ، والمراد نفى البأس اوايجاب الاكل اواستحبابه بحسب الاشخاص بالنّسبة الى الاكل بالفم وسماع الاصوات الحسنة والنّظر الى الامورالمعجبة وشمّ الرّوائح الطيّبة ولمس الملموسات الشّهيّة وهوتعريض بمن يتحرّج عن اكل الطيّبات ولبس الملابس البهيّة وعن النّكاح وغيرها من حظوظ النّفس نعم صرف الهمّ اليها وجعلها غاية للخلقة اوترك اتّباع الخلفاء اواتّباع من لايستأهل للاتّباع والعداوة مع من يستأهل للاتّباع كلّها حرام وكلّما فعل هذاالتّارك للاتّباع كان حراماً، سواء اكل الجريش اوالشّهىّ ، و سواء لبس الخرق اوالجميل ، وسمع الصّوت المنكر اوالحسن وهكذا لكن ليس الحرمة بحسب ظاهر الشّريعة ، والتّابع للامام(ع) اذا وجد انّ ارتكاب شيءٍ من ملاذّ النّفس يقوّى دواعيه النّفسانيّة ويضعّف داعى العقل كان عليه الاجتناب منه وسنبيّن وجه اختلاف هذه الآية مع قوله تعالى يا ايّها الّذين آمنوا كلوا من طيّبات مارزقنا كم [حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ] فى ترك الأكل والتحرّج بالطيّبات الّتى لم يحظرها الشّريعة اوفى الاكل كما نبيّنه .

بيان خطوات الشّيطان

والخطوة اثر القدم او الفرجة بين القدمين والمراد بخطوات الشّيطان الخيالات والخطرات الفاسدة والاهوية الكاسدة الناشئة منها واتّباع خطواته فى المأكول تحصيله من غير وجهه و فى الاكل ان يؤكل المأكول حين كون الاكل تابعاً لائمّة الضّلالة اومعانداً لائمّة الهدى اوغافلاً عن الاتّباع لائمّة الهدى وائمّة الضّلالة او تابعاً لائمّة الهدى غافلاً عن التّبعيّة وعن ذكر الله آكلا لمحض تشهّى النّفس من غير ملاحظة أمر من الله وقوّة للبدن وابقاء لمركب الرّوح للعبادة وبالجملة الآكل اذا كان مسلماً حقيقة اومؤمناً بالايمان الخاصّ وكان متذكّراً لله وآكلا لامره تعالى واباحته تعالى لتقوية ظهره وبقاء بدنه للعبادة وتفريح نفسه بسبب الوصول الى حظوظها وكان المأكول ممّا أباح الشّريعة كان أكله من غير اتّباع لخطوات الشّيطان ، وان كان غير ذلك كان أكله باتّباع خطوات الشّيطان وكان غذاؤه مقوّياً للشّيطان المغوى ومضعّفاً للملك الزّاجر وقد ذكروا أنّ الاكل مع تشتّت البال يورث التفرقة فى الخاطر ومع جمعيّته يورث الاطمئنان وجمعيّة الخاطر، **فاحذروا اخوانى** من اتّباع خطوات الشّيطان فانّ اتّباعه يجعله متمكّناً منكم بحيث لا يمكنكم الفرار منه ، وقد يؤوّل خطوات الشّيطان بأئمّة الضّلالة فانّهم المتحقّقون بخطوات الشّيطان كأنّه ليس فى وجودهم الّا اثره [إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ] ظاهر عداوته اومظهرٌ لعداوته على من كان له جهة آلهيّة لاعلى غيره .

اعلم انّ الشّيطان من عالم الظّلمة و أنّ الظّلمة ضدٌّ للنّور ومفنيةٌ له كما انّ النّور ضدٌّ لها و مفنيها وانّ الانسان ببدنه ونفسه واقعٌ بين عالمى النّور والظّلمة وقابل لتصرّفها وانّ كلّ شيءٍ يقتضى بالفطرة ان يصير مجاورة سنخه و انّ كلّ ذيشعورٍ يقتضى بفطرته السّعة والاحاطة بما يمكن له الاحاطة به ولهذا كان كلّ عاقلٍ يطلب الاحاطة العلميّة بما لم يعلمه و انّ اللّطيفة السيّارة الانسانيّة طليعة من عالم النّور تنزّلت منه و أشرقت على النّفس الحيوانيّة والانسانيّة وهذه الطّليعة ما دامت باقيةً لايتيسّر للشّيطان التصرّف التامّ فى الانسان ، واذا انطفت صار ملك الانسان ملكاً للشّيطان من غير معارضٍ ، فاذا تحقّق ذلك علم انّ الشّيطان عداوته للانسان ذاتيّة ظاهرة على من كانت هذه اللّطيفة فيه باقية [إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ] جواب للسّؤال عن حاله مع الانسان اوعن علّة النهى عن اتّباع خطواته ، والسّوء كلّ ماعدّه الشّرع اوالعقل اوالعرف قبيحاً لكنّ المراد منه ههنا ما لم ينته فى القبح [وَالْفَحْشَاءِ] وهو ما انتهى من ذلك فى القبح [وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَاتَعْلَمُونَ] حقيقته اواثره النّافع اوالضارّ كان تنسبوا لحرمة اوالاباحة فى شيءٍ من الادوية اوالاغذية الى الله تعالى من غير ان تعلموا أنّه ضارّ اونافع .

تحقيق القول على الله بما لايعلمه

وعلى هذا اذا علم الانسان أنّ هذا الدّواء بحسب الاسباب الطبيعيّة مضرٌّ لشخص خاصّ اولعموم النّاس لامانع له من ان يقول : هذا حرام من الله لهذا الشخص اولعموم النّاس، وان كان هذا يرجع الى ماعلم حرمته من الشّريعة بالضّرورة ، اوان تقولوا وتفتروا على الله ما لا تعلمون انتسابه الى الله من الاحكام الشّرعيّة والاخلاق النّفسيّة والعقائد الدينيّة و علم ذلك امّا بالوحى اوبالاتّصال الى عالم الامر اوبالتّقليد من صاحب الوحى اوصاحب الاتّصال ؛ فصاحب الوحى لاينطق عن الهوى بل ينطق عن وحيٍ يوحى ، وصاحب الاتّصال هو الّذى علم حقيقة الامر وآثاره فلا ينطق عن الهوى افتمارونه على مايرى وصاحب التّقليد شأنه التسليم يقول: كلّ من عند ربّنا ، وامّا غير الثّلاثة فلايجوز له القول فى الضارّ والنّافع من الاشياء ولا القول بالحلّ والحرمة فيها والظّنّ لايقوم ههنا مقام العلم الّا ان يدلّ دليل على خروجه من القضيّة الكلّيّة القائلة بأنّ الظّنّ لا يغنى من الحقّ شيئاً و العامّة العمياء القائلة بالظّنّ والرّأى والقياس

والاستحسان قائلون على الله مالايعلمون واما الخاصّة فليس شأنهم الّا التسليم واتّباع صاحب الوحي والاتّصال وتقليدهم ، نعم ان خرجوا من التّسليم والتّقليد واتّبعوا الرّأى والقياس واجترؤا على الفتيا من غير اذنٍ واجازةٍ من صاحب الاجازة كانوا مثلهم من غير فرقٍ ولا يستعمل العلم فى الظّنّ حتّى يجوز ادّعاء الظّنّ من العلم ههنا وظنّيّة الطريق لايفيد الّا الظّنّ بالحكم ، والقطع بجواز العمل بالمظنون غير القطع بالحكم فنسبة المظنون الى الله قولٌ على الله بما لايعلم والتّصويب ليس من مذهب الشّيعة وقد صرّح بعض العامّة بأنّ فى هذه الآية منعاً من اتّباع الظّنّ فى المسائل الدّينيّة ولاحاجة لمن تأمّل فيها ادنى تأمّلٍ الى بيانٍ آخر ولكن لمزيد التّوضيح نذكر قليلاً ممّاورد من المعصومين(ع) فنقول : نسب الى الصّادق(ع) أنّه قال : ايّاك وخصلتين ففيهما هلك من هلك ؛ ايّاك ان تفتى النّاس برأيك اوتدين بما لاتعلم ، وعنه(ع) : أنهاك عن خصلتين فيهما هلك الرّجال ، أنهاك ان تدين الله بالباطل وتفتى النّاس بما لاتعلم ، وعنه (ع) انّ الله خصّ عباده بآيتين من كتابه ان لا يقولوا حتّى يعلموا ولايردّوا ما لم يعلموا ، قال الله تعالى : ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لايقولوا على الله الّا الحقّ وقال بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله ، وعن الباقر (ع) من أفتى الناس بغير علمٍ ولا هدى لعنته ملائكة الرّحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه ، وعنه(ع) انّه سئل ما حقّ الله على العباد ؟ ـ قال : ان يقولوا مايعلمون ويقفوا عند مالايعلمون ، وعن الصّادق(ع) انّه قال: قال رسول الله(ص) : من عمل بالمقائيس فقد هلك وأهلك ومن أفتى النّاس بغير علمٍ وهو لايعلم النّاسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك ، وأمثال هذه الاخبار كثيرة جدّاً [وَإِذٰا قِيلَ لَهُمُ] عطف على محذوف جواب لسؤالٍ مقدّر كأنّه قيل فما يفعل الّذين يأمرهم الشّيطان؟ـ فقال: يتّبعونه ، واذا قيل لهم [اتَّبِعُوا مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ] فى ولاية علىٍّ (ع) على ما هو المقصود من بيان حال المنافقين مع علىٍّ (ع) [قٰالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مٰا أَلْفَيْنٰا عَلَيْهِ آبٰاءَنٰا] ويجوز ان يكون عطفاً على محذوفٍ جواباً للسّؤال عن حال السّوء والفحشاء والقول على الله على ما سبق من التّأويل [أَوَلَوْ كٰانَ آبٰاؤُهُمْ لٰا يَعْقِلُونَ شَيْئاً] انكار وتوبيخٌ على تقليد من لا يميّزه الانسان ولا يعلم حاله بأنّه من أهل التّحقيق والعلم الّذين أغناهم الله بعلمهم من غيرهم ، اومن أهل التّقليد العاقلين الّذين لايستقبح تقليدهم لاتّباعهم للعاقل فانّ قوله تعالى [وَلٰا يَهْتَدُونَ] نفى للاهتداء الى العاقل ، وهذه الآية بيانٌ لحال النّاس من أهل كلّ مذهب الّا من شذّ ونَدر فانّ الكلّ ينادون بأعلى الاصوات بلسان الحال: انّا لانقدر على ترك اتّباع ماوجدنا عليه آباءنا ، لاتّكالهم على التّقليد وعلى مارأوه من آبائهم واقرانهم وممّن سمّوه عالماً من زمان صغرهم من غير اعمال رويّةٍ وتميزٍ ونعم ما قيل :

خلق را تقليدشان بر باد داد   اى دوصد لعنت براين تقليدباد

[وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا] عطف على جملة اذا قيل (الى آخرها) و وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بأنّ من كان هذا جوابه كان كافراً ، اوحال والمعنى انّهم قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا والحال أنّهم كالبهائم اوآبائهم كالبهائم فى عدم التّفطّن [كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمٰا لٰا يَسْمَعُ إِلّٰا دُعٰاءً وَنِدٰاءً] نعق بغنمه كمنع وضرب نعقاً ونعيقاً ونعاقاً ونعقاناً صاح بها وزجرها والمعنى مثل هؤلاء القائلين اوآبائهم فى عدم قصد المعنى من كلماتهم كمثل داعى البهائم اورادعهم فى عدم قصد المعنى من ألفاظه سوى الدّعاء اوالنّداء والزّجر

او مثل القائلين اوآبائهم فى عدم تفطّن المعنى من كلمات الغير كمثل بها ثمّ الّذى ينعق بالبهائم الّتى لا تسمع من الالفاظ الّا دعاءً وزجراً، والمقصود انّ مثل الكافرين بولاية علىّ (ع) فى دعائك لهم الى ولايته كمثل بهائم الدّاعى الّتى لاتسمع الادعاءً ونداءً، روى عن الباقر (ع) أنّه قال: اى مثلهم فى دعائك ايّاهم الى الايمان كمثل الناعق فى دعائه المنعوق به من البهائم الّتى لاتفهم وانّما تسمع الصّوت ولايلزم فى التشبيهات المركّبة ان يصحّ التشبية بين اجزاء الطّرفين فضلاً عن التطابق فى الترتيب [صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ] قد مضى بيان لهذه فى اوّل السّورة [فَهُمْ لٰايَعْقِلُونَ] لتنزّلهم الى مقام المدارك الحيوانيّة وسدّهم روازنها الى العقل [يٰاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبٰاتِ مٰا رَزَقْنٰاكُمْ] نادى المؤمنين خاصّةً بعد نداء النّاس اجمعين تشريفاً لهم كأنّ نداء النّاس كان تقدمة لندائهم و لذلك غيّر اسلوب الامر بالاكل بنسبة الرّزق الى نفسه وايقاعه عليهم كأنّهم المقصودون بايجاد المأكول وتقديم الطيّبات وافادة كون الامر بالاكل للوجوب اوالنّدب ههنا بافادة الاباحة من رزقناكم بخلاف سائر النّاس فانّه لايستفاد من امرهم الّا الاباحة وبالتّرغيب الى الشّكر بعد الامر بالأكل كأنّهم لاحاجة لهم الى التّحذير ولاخطوة للشّيطان فيهم ، والاتيان بالشّرط التّهييجىّ بعد الامر بالشّكر وتعيين المحرّمات كأنّه لاحاجة لهم الى التّحذير منها انّما الحاجة الى تشخيص مايحترز منه [وَاشْكُرُوا لِلّٰهِ] المراد بالشّكر ههنا صرف النّعمة فى وجهها لاستفادة ملاحظة المنعم والانعام فى النّعمة من رزقناكم ولذا التفت من التكلّم الى الغيبة كأنّه قال بعد ملاحظة انعامنا فى النّعمة ينبغى التّوجّه الى ما خلقت له بالانصراف من الحضور والتّوجّه الى ماخلقت لاجله [إِنْ كُنْتُمْ إِيّٰاهُ تَعْبُدُونَ] شرط تهييجىّ وتنبيه على أنّ المؤمن ينبغى ان يكون كون عبادته مقصورة على معبوده لاينظر فى عبادته الى غيره من الرّضا والقرب والنّعيم والخلاص من الجحيم والاغراض المباحة الفانية والاغراض الفاسدة المحرّمة من الرّيا والسمعة والمناصب والجاه والتحبّب الى النّاس وغير ذلك مسلّماً مفروغاً عنه [إِنَّمٰا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ] والحصر ههنا اضافىّ يعنى لاماحرّمتموه بأهوائكم من البحيرة والسّائبة والوصيلة والحام وغير ذلك ممّا لم يرد به نهى من الله [وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمٰا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّٰهِ] وما رفع الصّوت بسببه لغير الله يعنى ما ذكر اسم غير الله عليه وقوله لاتأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه اعمّ ممّا ذكر اسم غير الله عليه فالتّخصيص ههنا بما ذكر اسم غير الله عليه امّا للاهتمام بحرمة هذا القسم لشدّته اولأنّ عدم ذكر اسم الله لا ينفكّ عن ذكر اسم غير الله فانّ النّفس ان لم تكن مؤتمرةً بأمر الله كانت مؤتمرةً بأمر الشّيطان و اذا لم تكن متذكّرة بذكر الله كانت متذكّرة بذكر الشّيطان لعدم خلوّها من ايتمارٍ ما و ذكرٍ ما ، والتّفسير بذبيحة ذكر اسم غير الله عليها بيان لتنزيل الآية ، ولا يخفى على من استبصر اجمالاً بطريق التّأويل تعميم ما أهلّ به لكلّ ما يدخل تحت اليد ولكلّ فعلٍ من افعال القوى يعنى لا تأخذوا ولا تأكلوا ولا تنكحوا ولا تفعلوا صغيراً ولاكبيراً ذكر اسم غير الله اولم يذكر اسم الله عليه ، وفسّر بما ذكر اسم الله اواسم غير الله لأجل غير الله يعنى ما ذبح لأجل الاصنام اولأجل ما نصبوه للعبادة سوى الاصنام [فَمَنِ اضْطُرَّ] الى شيءٍ من هذه المحرّمات [غَيْرَ بٰاغٍ وَلٰاعٰادٍ] من البغية بمعنى الطلب اومن البغى بمعنى الفجور والزّنا ، أومن البغى بمعنى الاستطالة وفسّر فى الخبر بطالب الصّيد لهواً وبطالب اللّذّة وبالباغى المستطيل على الامام والعادى المتجاوز عن الحدّ سواء كان التّجاوز عن الحدّ فى الامامة بان يقول بامامة امامٍ باطلٍ اوبتشريك امامٍ باطلٍ للامام الحقّ

او بالغلوّ فى الامام الحقّ بان يقول فيه ما لم يقله هوفى حقّه اوفى سائر الحقوق الآلهيّة والخلقيّة ، اوفى جملة الافعال الصّادرة من المدارك والقوى العمّالة فانّ المفرط والمفرّط فيها متجاوزعن الحدّ وعاد ، وقدفسّر بكلّ منها فى الاخبار [فَلاٰ إِثْمَ عَلَيْهِ] فى الاكل عن هذه [إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ] يستر عليكم ما هو نقص و شين لكم [رَحِيمٌ] يرحمكم بالاذن فى المخمصة ان ترتكبوا ماحرّمه عليكم فى غيرها ، عن الصّادق(ع) : من اضطرّ الى الميتة والدّم ولحم الخنزير فلم يأكل شيئاً من ذلك حتّى يموت فهو كافرٌ [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مٰاأَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ الْكِتٰابِ] امّا المقصود منافقو الامّة و اسقاطهم من الكتاب مناقب علىّ (ع) و مثالب أحزابهم ولذا أتى بالمضارع اخباراً بما يقع بعد ، اوالمراد أعمّ من اهل الكتاب ومنافقى الامّة و «من الكتاب» صلة أنزل اى ماأنزل الله من اللّوح المحفوظ او من مقام النّبوّة و هو مقام القلب الى الصّدر و عالم الطّبع اوحال ممّا أنزل الله ، و من للتّبعيض على ان يكون المراد بالكتاب التّدوينىّ اواعمّ منه ومن احكام النّبوّة [وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً] قد مضى بيان مبسوط لاشتراء الثمن القليل بالآيات فى اوّل السّورة عند قوله ولا تشتروا بآ ياتى ثمناً قليلاً [أُولٰئِكَ مٰا يَأْكُلُونَ] اى مايدخلون بالأكل من الاعواض الّتى يأخذونها بماأنزل [فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا النّٰارَ] ومثل هذه قد تكرّر فى الكتاب والكلّ مبنىّ على التّضمين [وَلاٰ يُكَلِّمُهُمُ اللّٰهُ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ] كناية عن عدم الاعتدادبهم لشدّة الغضب [وَلاٰ يُزَكِّيهِمْ] لا يطهّرهم ، اولايثنى عليهم بأنّهم ازكياء ، او لا ينعم عليهم من زكى الرّجل اذاصلح وتنعّم [وَلَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلاٰلَةَ بِالْهُدىٰ] اى استبدلوا الضّلالة الّتى هى ملك الشّيطان بالهدى الّذى كان لهم ملكاً فى الدّنيا [وَ الْعَذٰابَ بِالْمَغْفِرَةِ] فى الآخرة [فَمٰا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النّٰارِ] فما أجرأهم على فعلٍ يدخلهم فى النّاروبيقيهم فيها فهوتعبيرعن الشّيء باللّازم ولذا اختلف الاخبار فى تفسيرها واختلف المفسّرون فى بيانها [ذٰلِكَ] المذكورمن الحكم على كاتمى ماانزل الله بادخال النّار و عدم تكليمهم الله وعدم تزكيتهم وثبوت العذاب الاليم لهم واستبدال الضّلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة [بِأَنَّ اللّٰهَ] بسبب أنّ الله فهوخبر لذلك لاحاجة له الى تقدير مبتدءٍ اوخبرٍ اوفعلٍ ناصبٍ [نَزَّلَ الْكِتٰابَ بِالْحَقِّ] بسبب الحقّ المخلوق به وهو المشيّة الّتى خلق الاشياء بها ، اومتلبّساً بالحقّ موصوفاً به ، اومع الحقّ مقارناً له فالكاتم له كاتم للحقّ ومستحقّ لما ذكر، والمراد بالكتاب أحكام النّبوّة والتّوراة والانجيل والقرآن صورتها [وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا] عطف على انّ الّذين يكتمون واختلف ضدّ اتّفق اوبمعنى تردّدوعلى الاوّل فالمعنى انّ الّذين اختلفوا معك او انّ الّذين وقع الاختلاف بينهم و على الثّانى فالمعنى انّ الّذين تردّدوا [فِى الْكِتٰابِ] لاستنباط الاحكام الشّرعيّة ولان يقيسوا ما لم يكن فيه بما يجدونه فيه والمراد بالكتاب أحكام النّبوّة والتّوراة والانجيل والقرآن صورتها [لَفِى شِقٰاقٍ] لفى ظرف منكم او من الله [بَعِيدٍ] او لفى عناد معكم وعداوة .

اعلم انّ من استسلم وانقاد لنبىٍّ (ص) اووصىٍّ ليس من شأنه ان يخالف امثاله فى حكمٍ من الاحكام لانّه ليس له رأى فى شىءٍ من نفسه وانّما هومنقاد لغيره بخلاف من لم يكن منقاداً لنبىٍّ (ص) اووصىٍّ فانّ

الشّيطان متمكّن منه لامحالة الّا ان يكون فى حكم المنقاد ، ومن تمكّن الشّيطان منه لايمكن له التّوافق مع احدٍ بل كان شأنه الاضطراب فى الآراء وعدم الثّبات على شيء منها والخلاف والعناد مع كلّ النّاس فالمؤمنون ان كان أحكامهم مختلفة كانوا متوافقين مترافقين متّحدين ، وغير المؤمنين ان كانوا متوافقين فى الاحكام كانوا متخالفين متعاندين غير خارجين من العناد ، وما نقل من اختلاف أصحاب الائمّة مع بعضٍ لاينافى مرافقتهم مع كلّ النّاس لأنّ المخالفة الّتى ظهرت فيهم لاستلزام المخالفة من طرف ظهورها فى طرف آخر .

[لَيْسَ الْبِرَّ] كلام مستأنف لابداء حكمٍ آخر اوجواب سؤال ناشٍ من السّابق كأنّه قيل : فما بالنا اختلفنا فى القبلة بالصّلٰوة الى بيت المقدّس تارةً والى مكّة أخرى وأمر القبلة من الكتاب؟ـ فقال : ليس الطّاعة [اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ] على انّ الاختلاف فى العمل من باب التّسليم لأمر الآمر الآلٰهىّ اتّفاق فى الاعتقاد والقول بخلاف الاختلاف من آراءٍ مختلفة، والبرّ بكسر الباء مصدر بمعنى الصّلة والخير والاتّساع فى الاحسان والصّدق والطّاعة ، والاحسان الى الغير ضدّ العقوق وفعله من باب علم وضرب وهذا ردّ على من خاض من اهل الكتاب فى أمر القبلة بعد تحوّل المسلمين الى الكعبة وعلى من خاض من المسلمين فى أمرها بعد صرف وجوههم الى الكعبة ، روى عن السّجّاد(ع) انّه قال: قالت اليهود قد صلّينا على قبلتنا هذه الصّلٰوات الكثيرة وفينا من يحيى اللّيل صلوةً اليها وهى قبلة موسى الّتى أمرنا بها ، وقالت النّصارى : قد صلّينا الى قبلتنا هذه الصّلٰوات الكثيرة وفينا من يحيى اللّيل صلوةً اليها وهى قبلة عيسى الّتى أمرنا بها ، وقال كلّ واحدٍ من الفريقين: اترى ربّنا يبطل اعمالنا هذه الكثيرة وصلٰوتنا الى قبلتنا لأنّا لانتّبع محمّداً(ص) على هواه فى نفسه وأخيه فأنزل الله يا محمّد(ص) قل : ليس البرّ والطّاعة الّتى تنالون بها الجنان وتستحقّون بها الغفران ان تولّوا وجوهكم قبل المشرق يا أيّها النّصارى وقبل المغرب يا أيّها اليهود وانتم لامر الله مخالفون وعلى ولىّ الله مغتاظون [وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ] حمل الذّات على المعنى مثل حمل المعنى على الذّات محتاج الى تصرّف فهو امّا بتقدير مضافٍ فى الاوّل اوفى الثّانى اوبجعل البرّ بمعنى البارّ اوبادّعاء الاتّحاد بين المعنى والذّات للمبالغة فى اتّصاف الذّات بالمعنى [بِاللّهِ] يعنى انّ البرّ الايمان والاذعان بالله والتّسليم له وهوروح العمل لا صورة العمل واعتبار الجهة فيه [وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] يعنى الاقرار بالمبدأ والمعاد [وَالْمَلاٰئِكَةِ وَالْكِتٰابِ] الّذى هو الشّريعة الآلٰهيّة [وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمٰالَ عَلٰى حُبِّهِ] اى مشتملاً على حبّ الله اوعلى حبّ المال اوعلى حبّ الايتاء وعلى الثّلاثة يجوزان يكون الضّمير المجرور فاعلاً راجعاً الى من آمن وواحد من هذه الثلاثة مفعولاً مقدّراً ، ويجوز ان يكون راجعاً الى واحدٍ من هذه الثلاثة مفعولاً والفاعل محذوفاً ، ويجوزان يكون راجعاً الى الله فاعلاً [ذَوِى الْقُرْبٰى] ذوى قرباه اوذوى قربى النّبىّ(ص) يعنى يعطى من ماله ندباً اومن الخمس فرضاً وامّا الزّكوة الفرض فانّها تذكر بعد [وَالْيَتٰامٰى] عطف على القربى على عدم جواز اعطاء الصّدقات المستحبّة للأيتام أنفسهم ، اوعلى تقدير كون المال من الحقوق الواجبة ، اوعطف على ذوى القربى و هو جمع اليتمان بمعنى اليتيم و يتم من باب ضرب وعلم بمعنى انفرد لانظير له وفقد الاب فى الاناسىّ والأمّ فى سائر الحيوان اذا لم يبلغ [وَالْمَسٰاكِينَ] المسكين أسوأ حالاً من الفقير لكن اذا افترقا اجتمعا [وَابْنَ السَّبِيلِ] اى المسافر الّذى انقطع نفقته وكان

من قرابات الرّسول ان كان المال مال الخمس اومطلقاً ان كان غيره والعرب يسمّى كلّ من يباشر أمراً أبا ذلك الامر وابنه [وَالسَّائِلِينَ] الّذين يتعفّفون عن السّؤال صريحاً و يسألون فى ضمن اظهار الحال كناية حتّى لاينافى الحقوق الواجبة على فرض عدم جواز اعطائها السّائل بالكفّ ، أوالمراد أعمّ من السّؤال بالكفّ ان اريد الايتاء ندباً [وَ] مالك الرّقاب اوالعبيد أنفسهم [فِي الرِّقَابِ] فى استخلاصها سواء كانوا مكاتبين اوتحت الشّدّة او لم يكونوا كذلك [وَأَقَامَ الصَّلٰوةَ وَآتَى الزَّكٰوةَ] يعنى انّ البرّ الايمان والاذعان بالله وترك مافيه خيره لخير الغير والتّوجّه التامّ الى الله والتّسليم والخروج من الانانيّة و لوازمها الّتى هى خلاف التّسليم من الخلاف والنّزاع والرّأى من النّفس وغير ذلك من دواعى الانانيّة لاتوجيه وجه البدن الى المشرق اوالمغرب والرّأى فيه والتّوقّف عليه . وقد مرّ بيان للصّلوة والزّكوة فى اوّل السّورة من أراد فليرجع اليه [وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ] عطف على من آمن وجعله خبر مبتدءٍ محذوفٍ اومبتدء خبرٍ محذوفٍ تقديرٌ من غير حاجة ، والعدول الى الاسم للاشعار بانّ الوفاء بالعهد امر يطلب فيه الاستمرار والثّبوت بخلاف الايمان فانّه يحدث سواء اريد به الاقرار اوالبيعة وبقاء الحالة الحاصلة منه ليس ايماناً انّما هو بقاء الايمان ، وبخلاف الزّكوة والصّلوة فانّهما لاتكونان الّا متجدّدتين ، وامّا الوفاء بالعهد فانّه ليس الّا البقاء على العهد ؛ وهكذا الحال فى الصّبر ، والمراد بالعهد العهد الحاصل فى ضمن البيعة اومطلق العهد [إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ] علم وجه العدول الى الاسم والعدول الى النّصب لقصد المدح بتقدير فعل [فِي الْبَأْسَاءِ] البأس العذاب والشّدّة فى الحرب بؤس ككرم فهو بئيس شجاع ، وبئس كسمع اشتدّت حاجته ، والبأساء الدّاهية والمناسب ههنا ان يفسّر بشدّة الحاجة والدّاهية فى المال [وَالضَّرَّاءِ] فى الانفس [وَحِينَ الْبَأْسِ] شدّة القتال [أُولٰئِكَ] العظماء المحصرون بتلك الاوصاف العظام [الَّذِينَ صَدَقُوا] لاصادق سواهم فى اقوالهم بتصديق أفعالهم لأقوالهم وفى أفعالهم وأحوالهم لتصديق آثار الافعال والاحوال صدقها [وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ] لامتّقى غيرهم وقد فسّر بعلىٍّ (ع) لانّ الجامع بين الاوصاف بحقائقها لايكون الّا محمّداً (ص) وعليّاً (ع) واولاده الطّاهرين وامّا غيرهم من الانبياء والاوصياء فانّ لهم حظّاً من هذه وبقدر حظّهم تصدق عليهم .

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ و قبول الدّعوة الظّاهرة و البيعة العامّة النّبويّة [كُتِبَ عَلَيْكُمْ] فى اللّوح المحفوظ اوفى صدر النّبىّ (ع) والمعنى فرض ولذلك وللاشعار بتضرّرهم عدّاه بعلى [الْقِصَاصُ] ان يفعل بالجانى مثل ما فعل بالمجنىّ عليه ، وكونه فرضاً على الحكّام بعد مطالبة ولىّ المجنىّ عليه لا ينافى كون الولىّ مخيّراً بين القصاص والدّية والعفو [فِي الْقَتْلَى] متعلّق بكتب [اَلْحُرُّ بِالْحُرِّ] اى يقتل الحرّ بالحرّ اوالحرّ مقتول بالحرّ اى اذا كان القتل عمداً لاخطاءً ولاشبهاً للخطاء والآية مثل سائر الآيات مجملة محتاجة الى البيان فلا يرد انّ المسئلة بخلاف مفهوم مخالفة القيد فان مفهوم القيد غير معتبرٍ قطعاً ههنا وتفصيل المسئلة موكول الى الفقه [وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثٰى بِالْأُنْثٰى] نقل انّه كان حيّان من العرب وكان لاحد هما طولٌ على الآخر وكان بالمواضعة بينهما ان يقتل ذوالطّول الحرّ بالعبد ، والذّكر بالانثى ، والرّجلين

بالرّجل فلمّا جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله (ص) فنزلت فأمرهم بالتكافؤ [فَمَنْ عُفِيَ لَهُ] اى الجانى الّذى عفى له [مِنْ] قبل [أَخِيهِ] الّذى هو ولىّ الدّم اومن دم اخيه المقتول وأدّاه بلفظ الاخوّة للاشعار بانّ العفو يقتضى ويقتضيه التّعاطف فالمناسب فى المقام اللّفظ الّذى يقتضى ويقتضيه التعاطف [شَيْءٌ] من العفو وهو العفو من القصاص دون الدّية اوشيء من العفو بان عفى وارث واحد [فَاتِّبَاعٌ] اى فليكن من العافى اتّباع اوفحكمه اتّباع اوفعليه اتّباع للعفو فى مطالبة الدّية [بِالْمَعْرُوفِ] بطريق يستحسنه العقلاء ويعرفونه بالحسن يعنى لا يكون فى مطالبة الدّية تعنّف ولا اضرار ولا زيادة على القدر المقرّر وليكن من الجانى [أَدَاءٌ] للدّية [إِلَيْهِ] الى العافى [بِإِحْسَانٍ] متلبّساً بنحو من الاحسان وصيّة للعافى بالمداراة وعدم التعنّف وعدم التعدّى وللجانى بعدم المماطلة وعدم الخدعة والبخس والاكراه [ذٰلِكَ] اى الاذن فى العفو مع الانتقال الى الدّية اوبدونه يعنى التّخيير بين الثلاثة فانّ العفو عن الدّية يستفاد بطريق اولى من العفو عن القصاص المستفاد من قوله فمن عفى له من اخيه (الى آخرها) [تَخْفِيفٌ] فيما فرضنا عليكم من المؤاخذة بالجناية [مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ] منه عليكم بتجويز العفو المستلزم لبقاء النّفوس وعدم تكليف ولىّ المقتول بالعفو بلاعوض ، نقل انّه كان لاهل التّوراة القصاص اوالعفو ، ولاهل الانجيل العفو اوالدّية ، ولهذه الامّة التخيير بين الثّلاثة ونسب الى الرّواية انّ القصاص كان فى شرع موسى (ع) والدّية كانت فى شرع عيسى (ع) فجاءت الحنيفيّة السمحة بتشريع الامرين [فَمَنِ اعْتَدَىٰ] تجاوز عمّا حدّ له من اولياء الدّم ومن الجانى [بَعْدَ ذٰلِكَ] المذكور من القصاص اوالعفو او الدّية [فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ] قدمضى وجه توصيف العذاب بالالم ، ولمّا جاز ان يتوهّم من تشريع القصاص انّ فيه افناء للنّفوس البشريّة وافناءُ النّفوس البشريّة خلاف الحكمة الآلهيّة كما عليه الملل الباطلة رفع ذلك لتوهّم بأنّ فى القصاص ابقاءً للنّفوس لاافناءً لها ؛لانّ فى تشريع القصاص ردعاً لجملة النّفوس عن التّجرّى على القتل ففيه افناء نفوس قليلة وابقاء نفوس كثيرة بخلاف تركه فقال : [وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ] وذكروا وجوهاً من التّرجيح لهذا الكلام على مقابله الّذى هو قول القائل القتل انفى للقتل [يَاأُولِي الْأَلْبَابِ] خصّ اولى الالباب بالنّداء تشريفاً لهم ، ولأنّهم يعرفون وجه كون الحيوة فى القتل ، ولأنّهم المخصوصون بتشريع الاحكام والمنظور اليهم فى خلق الاشياء المعتنى بهم للبقاء دون غيرهم [لَعَلَّكُمْ] يا اولى الالباب [تَتَّقُونَ] ترجّى ناش من ذكر القصاص اومن ايداع الحيوة فى القصاص ، اومن ذكر الحيوة ؛ فان كان الاوّلان فالمعنى شرع الله لكم القصاص اوجعل الحيوة فى القصاص لعلّكم تتّقون القتل اوتتّقون المعاصى اوتتّصفون بالتّقوى ، وان كان الثّالث كان المعنى استبقاءكم لعلّكم تتّقون المعاصى او تتّصفون بالتّقوى والتّرجّى من الله ليس على حقيقته لانّ التّرجّى لايكون الّا من جاهل مترقّب لحصول مرغوب خارج عن اختياره والحقّ ليس كذلك فهو منه تعالى بمعنى التّعليل اولجريه تعالى شأنه على شاكلة الملوك و الاكابر من الخلق حيث يعدون مواعيدهم الّتى ينجّزونها بليت ولعلّ وعسى حتّى لا يتّكل من يعدونه على الوعد ويكونوا بين الخوف والرّجاء ، اولملاحظة حال العباد وانّ شأنهم شأن الرّجاء والاطماع فالتّرجّى باعتبار حال المخاطب .

[كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ] استيناف لاظهار حكم آخر غير مرتبط بسابقه

ولذا قطعه عن سابقه ، وعامل اذا فعل الشرط كما هوقول المحققين فى جميع موارد اذا لاكتب كما قيل ؛لأنه للماضى واذا للمستقبل، ولاالوصيّة لعدم جوازتقدّم معمول المصدرالمعرّف باللام وان كان ظرفاً عليه ، وجوابه محذوف و هو جملة معترضة بين الفعل و مرفوعه اى اذا حضر أحدكم الموت فليوص ، او جوابه قوله تعالى [إِنْ تَرَكَ خَيْراً] على القول بعدم لزوم الفاء فى جواب اذا ، اوجوابه قوله تعالى [الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ] على هذا القول ، وعلى هذا فجملة اذا حضر احدكم الموت نائب فاعل كتب لانّ فيه معنى القول و جملة ان ترك خيراً معترضة كماكانت معترضة على تقدير حذف جواب اذا ؛ والمراد بالخير امّا مطلق المال اوالمال الكثير كما نسب الى اميرالمؤمنين (ع) انّه دخل على مولىً له فى مرضه وله سبعمائة درهم اوستّمائة فقال : الا اوصى ؟- قال : لا انّما قال الله تعالى ان ترك خيراً وليس لك كثير مال وروى هذا الخبر وغيره بهذا المضمون عن طريق العامّة أيضاً ، والوصيّة نائب فاعل لكتب وتذكير الفعل لكون الوصيّة مؤنّثاً مجازياً ، ويجوز ان يكون الوصيّة مبتدءً و للوالدين خبره والجملة نائب فاعل كتب [وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ] بوصيّة يعرفها العقل والعرف حسناً فانّ المعروف صار اسماً لما استحسنه العرف يعنى بوصيّة لايكون فيها حيفٌ واضرار بالوارث مثل ان كان له كثيرمال يستغنى وارثه ببعضه ويكون الوالدان والاقربون محتاجين ويوصى لهم بما لايحوج الوارث [حَقّاً] حقّ حقّاً مفعول مطلق مؤكّد لنفسه ان جعل مؤكّداً لمضمون كتب ، ومؤكّد لغيره ان جعل مؤكّداً لمضمون الوصيّة للوالدين [عَلَى الْمُتَّقِينَ] بدل من عليكم اومتعلّق بحقّاً وعلى اىّ تقدير فهو تنبيه على انّ المنظور فى تشريع الاحكام اولوالالباب وهم المؤمنون المبائعون بالبيعة الخاصّة وأمّا غيرهم فلانظر اليهم فى شيء من أحكام البشرومنافعه وايجاد الاشياء لاجله الّا تبعاً ، وماورد فى الاخبار من نسخ هذه الآية بآية المواريث يدلّ على أنّه كان المقصود من الكتب الفرض و أنّ المنسوخ هوالوجوب لا الجواز والّا ففى آية المواريث ذكر من بعد وصيّة وهويؤكّد ثبوت الوصيّة لا أنّها تنسخها ، ونسب الى اميرالمؤمنين (ع) انّه قال : من لم يوص عند موته لذوى قرابته ممّن لا يرث فقد ختم عمله بمعصية ، ونسب الى الصّادق (ع) انّه شيءٌ جعله الله تعالى لصاحب هذا الامر قيل : هل لذلك حدّ ؟- قال : ادنى مايكون ثلث الثّلث ، وعنه(ع) انّه حقّ جعله الله تعالى فى أموال النّاس لصاحب هذا الامر قيل : لذلك حدّ محدودٌ ؟- قال : نعم ، قيل :كم ؟- قال : أدناه السّدس وأكثره الثّلث [فَمَنْ بَدَّلَهُ] اى كتب الوصيّة بان لا يعمل به ويترك الايصاء للوالدين والاقربين اومن بدّل الوصيّة الثّابتة من المحتضر سواء كان المبدّل الوصىّ اوالوارث اوالشّهود اوالحاكم ، وتذكير الضّمير باعتبار الايصاء [بَعْدَ ما سَمِعَهُ] اى فرض الله وحكمه على الاوّل والايصاء على الثّانى والتّقييد به اشارة الى انّه مثل سائر التّكاليف لامؤاخذة عليه قبل العلم به [فَإِنَّما إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ] وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة الحكم وزيادة زجرٍ منه بتكريره والحصر ههنا حصر قلب ادّعائىّ فرضىّ فانّه تعالى جرى على طريقة المخاطبات العرفيّة واهل العرف اذا ارادوا المبالغة فى المنع عن شيء اوالتّرغيب فى شيء يقولون : لا تفعله فليس وباله الّا عليك ، اوافعله فليس أجره الّا لك كأنّ المتكلّم يدّعى انّ فاعل هذاالقبيح يعلم انّ على هذا الفعل عقوبة لكن يحسب أنّ عقوبته على غير الفاعل فيفعله فيقول : ليس كما زعمت ليس وباله الّا عليك وهكذا الحال فى التّرغيب [إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ] لما قاله الموصى حين الايصاء اوالمبدّلون حين التّبديل [عَلِيمٌ]

بأغراضهم فيجازى كلّا بحسب قوله وغرضه وهوتهديد للمبدّلين [فَمَنْ خافَ] الفاء للتّعقيب باعتبار لازم الحكم اى العلم بالحكم كأنّه قال بعد ما علم الاثم على مبدّل الوصيّة فاعلم انّه لااثم على مبدّل خاف [مِنْ مُوصٍ جَنَفاً] ميلا عن الحقّ خطأ كما فسّر فى الخبر [اَوْ إِثْماً] ميلاً عنه عمداً والمراد الزّيادة عن الثّلث ، اواضرار الوارث بان كان المال قليلاً والوارث محتاجاً اوحرمان بعض الوارث اوكلّهم [فَاَصْلَحَ بَيْنَهُمْ] بين الوارث والموصى له اوبين الموصى والورثة بان غيّر الوصيّة بعد وفاة الموصى اوبان منع الموصى عن الوصيّة بنحو الاضرار حال حيوته و منع الوارث عن ان يمنعوا الموصى عن الوصيّة الى الثّلث [فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ] فى التّبديل اوفى المنع المذكور [إِنَّ اللهَ غَفُورٌ] يغفرمايتوهّم من الاثم على التّبديل بعد التّسجيل بالاثم على المبدّل [رَحِيمٌ] يرحم ويتفضّل على المصلح رفع للحرج عن المصلح ووعده بالرّحمة ، والاشكال بأنّ الخوف من المحتمل الوقوع ، لاممّا وقع وتعلّق خاف ههنا بما وقع من الوصيّة والجنف فيه مدفوعٌ بأنّ المعنى: من خاف من موصٍ من حيث انّه موصٍ جنفاً او اثماً حين ارادة الوصيّة ، او المعنى : من علم من موصٍ فانّ استعمال الخوف فى العلم كثير ولاحاجة الى بعض التّكلّفات والاخبار تدلّ على المعنى الاخير، فعن الباقر(ع) أنّه سئل عن قول الله تعالى : فمن بدّله قال نسختها الآية الّتى بعدها فمن خاف من موصٍ جنفاً او اثماً فاصلح بينهم فلا اثم عليه قال(ع) يعنى الموصى اليه ان خاف جنفاً من الموصى فيما اوصى به اليه فيما لايرضى الله تعالى به من خلاف الحقّ فلا اثم على الموصى اليه ان يردّه الى الحقّ والى مايرضى الله تعالى به من سبيل الخير ويجوز حمل هذا الخبر على التّبديل حال الحيوة ، وعن الصّادق(ع) اذا اوصى الرّجل بوصيّة فلا يحلّ للوصى ان يغيّر وصيّته بل يمضيها على ما أوصى الّا ان يوصى بغير ما أمر الله تعالى فيعصى فى الوصيّة ويظلم ، فالموصى اليه جائز له ان يردّها الى الحقّ مثل رجل يكون له ورثة فيجعل المال كلّه لبعض ورثته و يحرم بعضها فالوصىّ جائز ان يردّها الى الحقّ فالجنف الميل الى بعض ورثتك دون بعضٍ ، والاثم ان تأمر بعمارة بيوت النّيران و اتّخاذ المسكر فيحلّ للوصىّ ان لايعمل بشيءٍ من ذلك .

[يٰا اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا] لمّا كان هذا الحكم نوعاً آخر من التّكليف غير التّكليف الاوّل الّذى كان فى المعاملات وكان من أشقّ العبادات صدّره بالنّداء ليتدارك كلفة التّكليف بلذّة المخاطبة، وعن الصّادق(ع) انّ لذّة النّداء ازال تعب العبادة والعناء وقد سبق مكرّراً انّ المراد بالايمان فى امثال المقام الايمان العامّ الحاصل بالبيعة العامّة وقبول الدّعوة الظّاهرة وعن الصّادق(ع) انّه سئل عن هذه الآية وعن قوله سبحانه : كتب عليكم القتال فقال(ع) : هذه كلّها تجمع الضّلال والمنافقين وكلّ من أقرّ بالدّعوة الظّاهرة [كُتِبَ] اى فى اللّوح المحفوظ اوفى صدر النّبىّ(ص) اوفى الكتاب التّدوينىّ الآلهىّ اوفرض [عَلَيْكُمُ الصِّيٰامُ] الصّوم والصّيام مصدر اصام يصوم صوماً بمعنى الامساك المطلق لغة وبمعنى الامساك المخصوص شرعاً [كَمٰا كُتِبَ عَلَى الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ] يعنى انّها عبادة قديمة كانت واجبة من لدن آدم(ع) فانّه لم يكن نبىٌّ الّا كان فى شريعته امساكٌ ما ، روى عن امير المؤمنين (ع) انّ اوّلهم آدم فالتّشبيه فى اصل الامساك المخصوص المشروع لا فى جميع مخصّصاته فانّه لم يكن صيامنا موافقاً لصيام اليهود والنّصارى فى الوقت وعدد الايّام والممسك عنه [لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ] تتّصفون بالتّقوى و تصيرون اتقياء او لعلّكم تتّقون المعاصى و دواعى النّفس لانّ امساك النّفس عن المأكول والمشروب مدّةً غير معتادة يضعّفها وفى ضعفها ضعف دواعيها و مقتضياتها وقوّة العقل واقتضائه للتّقوى عمّا هوشرّ للانسان، نسب الى النّبىّ(ص) انّه قال: خصاء امّتى الصّوم، وفى الخبر: من لم يستطع الباءة فليصم فانّ الصّوم له وجاء . وعن الصّادق (ع) انّه قال : انّما فرض الصّيام ليستوى به الغنىّ والفقير وذلك انّ الغنىّ لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير فأراد الله سبحانه ان يذيق الغنىّ مسّ الجوع ليرقّ على الضعيف ويرحم الجائع [أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ] قلائل فانّ العرف تكنّى عن القلّة بالمعدودات و هومتعلّق بتتّقون ومتعلّق الصّيام محذوف بقرينة هذا والمراد بها ايّام الدّنيا اوايّام الصّوم وامّا تعلّقه بكتب اوالصّيام فغير مستقيم لاخلال الاوّل بالمعنى والثّانى باللّفظ لوقوع الفصل بين المصدر ومعموله بالاجنبىّ الّذى هولعلّكم تتّقون و هو غير جائز لضعفه فى العمل [فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً] يعنى فى تلك الايّام المقرّرة للصوم [أَوْ عَلى سَفَرٍ] وقد بيّن الفقهاء رضوان الله عليهم حدّ السّفر فيه وشرائطه وشرائط القصر والافطار به وحدّ المرض والافطار به [فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ] فبدلها عدّة ايّام اوفعليه عدّة ايّام من ايّامٍ اخر وقرئ بالنّصب بتقدير فليصم عدّة من ايّام اخر وهذا بظاهره يدلّ على لزوم الافطار لكليهما والانتقال الى البدل فانّه تعالى اتى بالشّرطيّة وجعل لازم الشّرط الّذى هوالمرض اوالسّفر استبدال أيّام الصّوم بأيّام اُخرمن دون قيدٍ وافاد انّ هذا الجزاء لازم لهذا الشّرط المطلق . وعن طريق العامّة اخبار كثيرة دالّة على الافطار فى السّفر وتقدير شرط بان يقال فعدّة من ايّام اخران افطر خلاف الظّاهر ومع ذلك فنقول : ان لم يكن فيها حجّة لنا عليهم كانت من المجملات المحتاجة الى البيان و قد بيّنوها لنا مثل سائر مجملات القرآن فانّ اخذ الاحكام من محض الالفاظ خصوصاً مجملات القرآن ليس الّا محض التّفسير بالرّأى فان اصاب الحقّ فقد أخطأ و ليتبوّء مقعده من النّار [وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ] طاق الشّيء طوقاً واطاقه وعليه قدر ؛ وعلى هذه القراءة قيل : انّه كان النّاس فى بدو الاسلام لم يتعوّدوا الصّوم فخيّرهم الله تعالى بين الصّوم والفدية ثمّ نسخت ، او كان المراد على الّذين يطيقونه من المرضى والمسافرين ثمّ جاءت العزيمة بعد ، اوكان المراد على الّذين يطيقون الصّيام من المفطر المريض او المسافر عوضاً عمّا أفطر ثمّ نسخ التّخيير وبقى الصّوم فقط اوالفدية ان لم يصم الى شهر رمضان الّذى بعد هذا الشّهر الّذى أفطره ، اوالمراد على الّذين يطيقونه من امثال الشّيخ والشّيخة والمرضعة وذى العطاش فانّهم ان لم يطيقوه أفطروا وجوباً ، وان أطاقوه كانو مخيّرين بين الصّوم والفدية ، وأشير فى الاخبار الى اكثر هذه الوجوه ، وقرئ يطوّقونه من التّفعيل ويتطوّقونه من التفعّل ويطّوّقونه منه بادغام التّاء فى الطاء بعد الابدال وطيقونه ويطّيّقونه ملحقاً بالفعللة والتّفعلل اصلهما يُطَيْوقونه ويتَطيوقونه كلّ ذلك من الطّوق بمعنى القدرة ، اوبمعنى القلادة مع افادة معنى التكلّف والجهد وعلى هذه القراءة فالمعنى على الّذين يتكلّفون الصّوم ويتعبون بسببه مثل المشايخ و المراضع و ذوى العطاش ولا اشكال فيه بعد ذلك فالآية مجملة مثل سائر المجملات [طَعامُ مِسْكِينٍ] مدٌّ من الطّعام اومدّ ان كما قيل [فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً] اى عمل خيراً على التّجريد اومن عمل بطريق الطّاعة خيراً فى اداء الفدية بان يزيد فيها اوبان يجمع بين الصّوم والفدية ، اومن تطوّع خير من جملة الطّاعات الدّينيّة [فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا] ايّها النّاس المخيّرون بين الصّوم والفدية اوالمرضى والمسافرون اوالقاضون

المخيّرون اوالمعذورون اوالمتكلّفون بسبب الصّوم اوالمؤمنون على ان يكون كلاماً مستقلاً ترغيباً فى الصّوم من غير نظرٍ الى ماتقدّمة [خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] ان كنتم من اهل العلم اوان كنتم تعلمون أنّه أفضل اخترتموه.

تحقيق نزول الكتاب جملةً ونجوماً

[شَهْرُ رَمَضانَ] مبتدأٌ خبره [الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ] اوهوصفته وخبره محذوف اى هذه الايّام اوخبر مبتدءٍ محذوفٍ اى هذه الأيّام شهر رمضان ، او بدل من الصّيام بتقدير مضافٍ اى صيام شهر رمضان ووجه نزول القرآن فى شهر رمضان مع أنّه نزل فى طول ثلاثٍ وعشرين سنة انّ القرآن جملة نزل من مقام الجمع ومن عند الحكيم الخبير الى البيت المعمور الّذى هو فى السّماء الرّابعة بحذاء الكعبة ومقام قلب النّبىّ (ص) ومنه نزل مفصّلاً فى تلك المدّة على صدر النّبىّ(ص) وينزل فى كلّ سنةٍ من البيت المعمور على صدر النّبىّ(ص) اووصيّه من تأويل القرآن ومتشابهاته ماشاءالله من نسخ منسوخه واثبات مثبته ، واطلاق مطلقه وتقييد مقيّده ، وتعميم عامّه وتخصيص خاصّه ، وعلى ماروى نزل أكثر الصّحف السّماويّة فى شهر رمضان لانّه شهرحبس النّفس عن التّوجّه الى القوى والمدارك الظّاهرة وعن المشتهيات النّفسيّة وما لم يحبس النّفس المعبّرعنها بالصّدرعن التّوجّه الى الدّار الدّنيا لاتستعدّ للانتقاش بنقوش الغيب ولاللمشاهدة والسّماع منه وباعتبار التّأويل ، شهررمضان عبارة عن مقام ظهورالنّفس بالامساك عن غيرالله والتّوجّه الى الله ولذا سمّى بشهر رمضان فانّ رمضان اسم لله تعالى .

تحقيق كون القرآن بيّناتٍ من الهدى

[هُدىً لِلنّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَالْفُرْقانِ] من بيانيّة ، اعلم انّ الرّسل متفاضلون فى المقامات و الدّرجات فانّ مقامات لطائف الرّسالة و درجاتها غير متناهية و أمّهاتها قد تحدّ بمأة الف وقدتحدّ بمأة وعشرين الفاً وقد تحدّ بمأة أربعة وعشرين الفاً ، وتلك المقامات والدّرجات بعضها فوق بعض وكلّ عالٍ منها محيطٌ بمادونه بمعنى انّ مادونه يكون من جملة شؤنه ، و لكلّ مقام صاحب من الرّسل لانّ كلّ مقام يقتضى لطيفة خاصّة من لطائف الرّسالة وكلّ لطيفةٍ من تلك اللّطائف يظهر فى رسولٍ من الرّسل وكلّ رسولٍ بلغ الى مقامٍ عالٍ يكون محيطاً بمن دونه من الرّسل وهم يكونون من جملة شؤنه، وكلّ كتابٍ وشريعة من الرّسول العالى يكون محيطاً بالشّرائع والكتب الّتى دونه وانّهما ناشئان من آخر مقامات الرّسول الاتى بهما وأعلاها نازلان منه الى مقام صدره ، وانّ محمّداً(ص) آخرمقاماته المقام الّذى هوفوق الامكان وهو مقام الجمع المطلق الّذى لامقام فوقه بخلاف سائر المقامات فانّ فيها فرقاً بوجه ولوبالتّقييد بالامكان والامتياز من الوجوب ، ولهذا كانت الانبياء(ع) وكتبهم وشرائعهم تحت لوائه وكتابه و شريعته وكان حلاله حلالاً الى يوم القيامة وحرامه حراماً الى يوم القيامه ، ولم يتطرّق الاندراس والنّسخ الى كتابه وشريعته، وكان اسم القرآن خاصّاً بكتابه لانّه مصدرمأخوذ من قرأ قرآناً بمعنى جمع جمعاً، وان كان مأخوذاً من قرأ قرآناً بمعنى تلا تلاوة فانّه ايضاً مأخوذ من قرأ بمعنى جمع والنّاشى من مقام الجمع المطلق هو كتابه(ص) لاسائر الكتب ، فانّها نشأت من مقامات الامكان الّتى لايخلوشيءٌ منها من الفرق والكتاب الّذى نزل من مقام عالٍ الى مقام الصّدر، والطّبع له وجهان؛ وجه الى عالم المقام العالى ووجه الى عالم المقام الدّانى ، وباعتبار وجهه الى العالى يكون هادياً لاهل العالم النّازل الى ذلك المقام العالى وباعتبار وجهه الى المقام النّازل يكون مفصلاً بنحوتفصيل ذلك المقام وظاهراً بنحوظهور ذلك المقام وفارقاً بين اسناخ المقام العالى وأشباح العالم الانزل، فيكون بتفاصيله بيّناتٍ و اضحاتٍ هى عبارة عن الهدى باعتبار وجهه الى العالى وعن الفرقان باعتبار وجهه الى الدّانى

[فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ] تفريع على السّابق يعنى اذاكان شهر رمضان شهر نزول القرآن فيلزم عليكم فيه الامساك عن غيرالله و عن مشتهيات مقامكم الدّانى وهومقام النّفس حتّى يفتح عليكم مشتهى الرّوح و باب الغيب، فمن كان منكم حاضراً لامسافراً كما فسّره الصّادق(ع) ردّاً على من خيّر فى السّفربين الصّوم والافطار حيث قال: ما ابينها..! من شهد فليصمه ومن سافرفلايصمه، فاعتبر(ع) مفهوم المخالفة فانّ المفاهيم وان لم تكن حجّة لكنّها معتبرة فى مقام الخطابة [فَلْيَصُمْهُ] فليصم فيه [وَمَنْ كَانَ مَرِيْضاً] مرضاً يضرّ الصّوم بسببه [اَوْ عَلٰى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ اَيَّامٍ اُخَرَ] تصريحٌ بمفهوم المخالفة يعنى من لم يكن حاضراً فى الشّهرفلايصمه و عليه ان يصوم عدد الايّام الفائتة من الشّهر أيّاماً أخر من غيره ، وقد أكّد الامر بالافطار فى المرض والسّفر بالتّصريح اوّلاً والاشارة ثانياً وتأكيد مفهوم المخالفة ثالثاً [يُرِيدُاللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: مايريدالله من الامربالصّوم تارةً، ثمّ بالافطار و الصّوم بعد الافطار أخرى؟ـ فقال: يريد اليسرحالكونه ملصقاً بكم [وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ] وفى الصّوم فى المرض والسّفر عسرٌ شديدٌ و فى ترخيص الافطار فيهما تيسيرٌ لكم [وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ] عطفٌ باعتبار المعنى كأنّه قال لئلا يعسر الصّوم عليكم ولتكملوا العدّة وانّما عدل الى قوله يريدالله للتّصريح بارادةالله ذلك تشريفاً لهم وتلطّفاً بهم فالاوّل علّة التّرخيص فى الافطار وهذا علّة الامر بالصّوم فى ايّام أخر [وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلٰى مَا هَدٰيكُمْ] علّة للامر بالصّوم مطلقاً فانّ الصّوم صورة التبرّى وبالتبرّى يرتفع موانع القلب عن التّوجّه الى الله وعظمته ، وبالتّوجّه يظهر عظمةالله وكبرياؤه ، وبظهور عظمته و كبريائه يرتفع الغفلة والنّسيان فانّهما ليسا الّا من استتار عظمته كما قال المولوى قدّس سرّه :

لا تؤاخذ ان نسينا شد گواه	كه بودنسيان بوجهى هم گناه
زانكه استكمال تعظيم اونكرد	ورنه نسيان درنياوردى نبرد

وبعدم الغفلة و النّسيان عن المنعم فى النّعمة يحصل الشّكر ولذلك عقّبه بقوله [وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] يعنى تنظرون الى المنعم فى نعمة و هومن أجلّ مقامات الانسان ولمّا كان الصّوم موجباً لتكبيرالله وتعظيمه سنّ الله تعالى فى آخر الصّوم اعنى ليلة الفطربعد الصّلوة الى صلوة العيد التّكبير بالكيفيّة المخصوصة المذكورة فى الكتب الفقهيّة [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي] جملة مستأنفةٌ على مجيء الواوللاستيناف ولكن مجيء الواوللاستيناف المحض من غير ارتباطٍ ما بالسّابق بعيدٌ جداً فان شئت فسمّه استينافاً شبيهاً بالعطف اوعطفاً باعتبار المعنى كأنّه قيل ؛ اذا سألوا عن طاعتى فقل :كتب عليكم الصّيام ، و اذا سألوا عن نسبتى فانّ المراد بالسّؤال عنه السّؤال عن نسبته الى عباده بقرينة الجواب بنسبته الى خلقه .

تحقيق قربه تعالى

[فَإِنِّي قَرِيبٌ] يعنى فأجبهم بأنّه قريب لأنّى قريب فهومن اقامة السّبب مقام المسبّب و قربه تعالى ليس قرباً مكانيّاً ولا زمانيّاً ولا شرفيّاً ولا رتبيّاً بل قربه لا ماهيّة له حتّى يحدّ ولاكيف حتّى يعرف بالرّسم، وانّما هوقرب قيّوميٌّ نظيرقرب ما به قوام الاشياء من الاشياء بل نظيرقرب الوحدة من مراتب الاعداد فانّه اذا نظر الى مراتب الاعداد لا يوجد فيها الّا الوحدة الصّرفة من دون ضميمة ضمّت اليها مع أنّها غيرالوحدة وآثارها وخواصّها غيرآثارالوحدة وخواصّها فالوحدة أقرب الاشياء الى الاعداد مع أنّها أبعد الاشياء عنها حتّى قيل : انّها ضدّ لها ، فما أقربك يا من لك وحدانيّة العدد وأبعدنا موصوفين

بالكثرات ونعم ما قيل :

دوست نزديكتر از من بمن است   وين عجبتر كه من ازوى دورم

وللاشارة الى هذا القرب قال(ع): داخل فى الاشياء لاكدخول شيء فى شيء ؛ اشارة الى عدم تكيّفه ايضاً وهذا القرب نتيجة الرّحمة الرّحمانيّة الّتى يستوى فيها كلّ الأشياء ، وله قرب آخر هو نتيجة الرّحمة الرّحيميّة وبهذا القرب يتفاضل المتفاضلون وفيه تنافس المتنافسين وتسابق المتسابقين ، وبه يتجلّى الله على عباده كلّ يوم فى شأن جديد والى هذه القربات أشار بعض المطايبين لقوله :

بيزارم از آن كهنه خدائى كه تو دارى   هر روز مرا تازه خدائى دگر استى

وهذا القرب لمن اقرض الله من كثراته النفسانيّة باختياره شيئاً وجزاه الله من وحدته شيئاً ومن لم يكن له من هذا القرب شيء كان ملعوناً مطروداً مبغوضاً ومن كان له حظّ منه كان مرحوماً مدعوّاً مرضيّاً ، ولذّة هذا القرب واقتصاءه الاشتداد سهّلت على السّلاك الرّياضات والمجاهدات وسهر الليالى وظمأ الهواجر ولولا لذّة هذا القرب لماغلب أحدٌ النّفس وشهواتها ، روى أنّ اعرابيّاً سأل رسول الله(ص) أقريبٌ ربّنا فنناجيه ؟ ام بعيدٌ فنناديه ؟ فنزلت ، وقيل : انّ قوماً سألوا رسول الله(ص) كيف ندعوالله ؟ فنزلت .

تحقيق اجابته تعالى و عدم اجابته للعباد

[أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ] اجيب خبرٌ بعد خبرٍ اومستأنف جواب لسؤالٍ مقدّر، والدّعوة بمعناها المصدرىّ اوبمعنى المدعوّ له، والدّاع وصل بنيّة الوقف ، واسقاط الياء للاشعار بأنّ دعاء كلّ داعٍ قاصر عن البلوغ الى مقام الذّات بان يكون المدعوّ هو الذّات من غير عنوانٍ له ، واذا دعان شرط محذوف الجزاء بقرينة سابقه ، واسقاط ياء المتكلّم والاقتصار على نون الوقاية وكسرته للاشعار المذكور، وليس اذا ظرفاً للاجابة سواء كان متضمّناً لمعنى الشّرط بان يقدّر اجيب جواباً له اولم يكن بان يكون متعلّقاً بأجيب المذكور لكثرة الاخبار الدّالّة على تأخّر الاجابة عن وقت الدّعاء بل هو منصوبٌ بدعان اونقول: هو ظرفٌ للاجابة لكنّ المراد انّ الدّاعى اذا دعان لاغيرى سواء كان الغير من أسمائى اومن غير أسمائى اجبته بلامهلة لامحالة ، فانّ الانسان اذا كان مظهراً للشّيطان كان داعياً له سواء كان دعاؤه بلفظ الله والرّحمن والرّحيم اوغيرها ، واذا لم يكن مظهراً للشّيطان وكان متوجّهاً الى الرّحمن فان كان واقفاً فى مقامٍ و متحدّداً بحدّ فدعاؤه لايتجاوز عن ذلك الحدّ بل كان داعياً لله بعنوان ظهوره فى ذلك المقام وكان الاسم الّذى ظهرالله به عليه مسمّىّ فى ذلك المقام فكان داعياً للاسم لاالمسمّى ؛ وان لم يكن متحدّداً بحدٍّ و واقفاً فى مقامٍ لم يكن العنوان الّذى يدعوالله به مسمّى بل كان اسماً وكان الدّاعى داعياً للمسمّى بايقاع الاسماء عليه وحينئذٍ لايتأخّر اجابة الله عن وقت الدّعاء بل نقول : الدّاعى حينئذٍ هو الله حقيقة وفى حقّه قال المولوىّ قدّس سرّه:

چون خدا از خود سؤال وكد كند   پس دعاى خويش را چون رد كند

وشروط استجابة الدّعاء المستفادة من الاخبار الكثيرة تدلّ على هذا المعنى وانّه يجيب دعوة الدّاعى اذا دعا ذاته لاغير ذاته يعنى اذا صار الدّاعى الٰهيّاً لاشيطانيّاً اوواقفاً على حدّ فانّه روى عن الصّادق(ع): انّه قرأ ام من يجيب المضطرّ اذا دعاه ؛ فسئل مالنا ندعوولايستجاب لنا؟ فقال: لانّكم تدعون من لاتعرفون ، وتسألون مالاتفهمون، فالاضطرار عين الدّين ، وكثرة الدّعاء مع العمى عن الله من علامة الخذلان من لم يشدّ ذلّة نفسه وقلبه وسرّه تحت قدرة الله حكم على الله بالسّؤال وظنّ ان سؤاله دعاء والحكم على الله من الجرأة على الله ، فانّ قوله: من لاتعرفون ؛ اشارة الى الاحتجاب عن الله بالحدود ، وقوله : فالاضطرار عين الدّين ؛ اشارة الى انّ المتديّن

من انقطع وسائله واضطرّ في التّوسّل الى الله وليس ذلك الّا اذا خرج من انانيّته وحدوده تماماً وقوله: وكثرة الدّعاء مع العمى عن الله من علامة الخذلان؛ اشارة الى صيرورته مظهراً للشّيطان لامظهراً للرّحمن، وقوله : من لم يشدّ ذلّة نفسه (الى آخر الحديث) استشهد بذلك على انّ كثرة الدّعاء مع العمى عن الله علامة كونه مظهراً للشّيطان فانّ من لم يظهر سلطان قدرة الله عليه لم يخرج من انانيّته ، ومن لم يخرج من انانيّته كان مظهراً للشّيطان ويحكم على الله بحكم الشّيطان ، فالمعرفة وفهم المسؤل وانقطاع الوسائل الّذى هو الدّين وغلبة سلطان الله على انانيّة العبد من شروط الدّعاء المستفادة من هذا الخبر والكلّ يدلّ على انّ العبد اذا لم يخرج من انانيّته لم يدع الله بل يحكم على الله اويدعو غير الله ، وفي خبرٍ آخر عنه (ع): من أطاع الله عزّوجلّ فيما أمره ثمّ دعاه من جهة الدّعاء اجابه ، قيل : وماجهة الدّعاء؟ـ قال تبدأ فتحمد الله وتذكر نعمه عندك ، ثمّ تشكرّ ثمّ تصلّى على النّبيّ (ص) ، ثمّ تذكر ذنوبك فتقرّبها ، ثمّ تستعيذ منها؛ فهذه جهة الدّعاء . وفي خبرٍ آخر عنه (ع) انّه قال في جواب من سأل عن عدم الاستجابة : لأنّكم لاتوفون بعهده ، وفي خبرٍ عنه (ع) : من سرّه ان يستجاب له فليطيّب مكسبه ، وفي خبرٍ عنه (ع) فلييأس من النّاس كلّهم ولايكون له رجاء الّا عند الله عزّوجلّ ، وكلّ ذلك يدلّ على ان شرط الدّعاء الخروج من الانانيّة والتذلّل تحت قدرة الله حتّى يصير المدعوّ هو الله اونقول : هو ظرف للاجابة لكنّ المراد انّ الدّاعى اذا دعان بان يكون المطلوب بدعائى هو ذاتى لا امراً آخر من امور الدّنيا او الآخرة ، اوالمراد انّ الدّاعى اذا دعان لاغيرى بان يكون مظهراً للشّيطان وداعياً له بصورة دعائى اجبته في مدعوّه مدخّراً له اوواصلاً اليه ان كان في اجابته صلاحه ، وان لم يكن صلاحه فيها أجبته بشيءٍ آخر فيه صلاحه ، وفي خبرٍ انّ العبد ليدعو فيقول الله للملكين قد استجبت له ولكن احبسوه بحاجته ، وفي خبرٍ آخر ما يدعو أحدٌ الا استجاب له امّا الظّالم فدعاؤه مردود الى ان يتوب ، وامّا المحقّ فاذا دعاه استجاب له وصرف عنه البلاء من حيث لا يعلمه اوادّخر له ثواباً جزيلاً ليوم حاجته اليه ، وان لم يكن الامر الّذى سأل العبد خيراً له ان اعطاه أمسك [فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ] ولمّا ذكر انّه تعالى كتب الصّيام وليس الصّيام الّا الامساك عن مشهيّات الحيوان صار المقام مقام ان يسأل عن الجماع والاكل والشّرب هي حلالٌ ام حرام باللّيل كماأنّها حرام بالنّهار؟ـ فأجاب ذلك بقوله تعالى : [أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ] اى ليلة يوم الصّيام [الرَّفَثُ اِلٰى نِسَائِكُمْ] الرّفث الجماع والفحش وتعديته بالى لتضمين معنى التّقرّب اوالتوجّه [هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ] تعليل لاحلال الجماع والتّشبيه باللّباس للتّلازم بين النّساء والرّجال و شدّة الاحتياج بينهما والمقصود التّنبيه على قلّة الصّبر عنهنّ وصعوبة اجتنابهنّ [وَاَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ] وكون هذه الجملة جواباً لسؤالٍ مقدّر مبتن على ظاهر اللّفظ وامّا على ما روى انّ المضاجعة كانت حراماً في شهر الصّيام في اللّيل والنّهار وانّه كان من نام في اللّيل كان الاكل والشّرب حراماً عليه بعدُ اوكان الحكم انّ من كان ينام في اللّيل كان الاكل والشّرب والمقاربة حراماً عليه فالآية مستأنفة لابتداء حكمٍ آخر ناسخ للحرمة و قوله تعالى: [عَلِمَ اللّٰهُ اَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ اَنْفُسَكُمْ] يؤيّد هذا الوجه ، وخيانة الله ورسوله في عدم الوفاء بما شرط عليه في عهده خيانة لأنفسهم لتقوية عدوّها عليها [فَتَابَ عَلَيْكُمْ] بالتّرخيص فيما نهى عنه من الجماع في ليلة الصّيام والاكل والشّرب بعد النّوم [وَعَفٰى عَنْكُمْ] يعنى عمّا فعلتموه قبل التّرخيص [فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ] في ليلة الصّيام فلفظ الآن ظرفٌ للتّرخيص المستفاد

من هيئة الامر ، وليلة الصّيام ظرفٌ للمباشرة فانّه ليس المراد تقييد المباشرة بالآن الحاضر ولاتبتغوا بالمباشرة قضاء الشّهوة فقط [وَابْتَغُوا مٰا كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ] من الصّيام اى حفظه وامتثاله اوابتغوا ماكتب الله وجعله فى المضاجعة من المؤانسة والسّكون اليهنّ وفراغ القلب باستفراغ الشّهوة ، اوماكتب الله لكم من الولد فانّه فرض تكوينىّ لانّ ايداع الشّهوة فى الرّجال والنّساء بحيث لايطيقون الصّبرعنها فى الاغلب وجعل الآتها بحيث يتولّد الولد من قضائها أمرٌبالولد وفرضٌ له وعلى أىّ تقديرٍ فالمعنى لاتنسوا امرالله فى المضاجعة [وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتّٰى يَتَبَيَّنَ] يظهراشدّ ظهور [لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْاَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ] الظّاهر المتبادران يكون من الفجر تعليلاً اويكون من للابتداء و لذلك كانوا فى الصّدر الاوّل ينظرون الى الخيطين فيمسكون عن الاكل والشّرب حين تميّز الخيطين من الفجر ، ويحتمل ان يكون من تبعيضياً اوبيانياً والجارّوالمجرور حال من الخيط الابيض فالآية كسائرالآيات من المجملات وبيّنوها لنا بأنّ المراد البياض المعترض المكتنف به سواد اللّيل وهما فى اوّل ما يبد و ان كالحبلين الممتدّين لكنّه تعالى شبّههما بالخيطين للمبالغة فى الامساك فى اوّل ظهورهما وقدذكرعدّة اخبارٍ فى وجه نزول الآية فى التّفاسير ، وحتّى يتبيّن، غاية لباشروهن وكلواواشربوا جميعاً [ثُمَّ اَتِمُّوا الصِّيٰامَ] كأنّه قال : فصوموا ثم أتمّوا الصّيام واكتفى عن صوموا بمفهوم الغاية وبيّن آخروقت الصّيام [إِلَى اللَّيْلِ] واوّل اللّيل اوّل الغروب كما عليه أكثر الهيويّين والمنجّمين وأهل العرف اواوّل المغرب الشّرعىّ كما عليه أهل الشّرع من الشّيعة [وَلٰاتُبٰاشِرُوهُنَّ وَاَنْتُمْ عٰاكِفُونَ فِى الْمَسٰاجِدِ] بيان حدّ آخرمن حدود المضاجعة وهوالمحرّمة وقت الاعتكاف الشّرعى ليلاً ونهاراً واقتصر على هذا من بين محرّمات المضاجعة لمناسبة الاعتكاف للصّوم لكون الصّوم شرطاً له [تِلْكَ] الاحكام المذكورة من اوّل قوله تعالى: كتب عليكم الصّيام [حُدُودُاللّٰهِ] اى حدود جعلها الله لحماه لئلا يتجاوزعنها المؤمنون فيقعوا فى الهاوية والعذاب ، نسب الى النّبىّ(ص) انّه قال : انّ لكلّ ملكٍ حمى وانّ حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه [فَلٰاتَقْرَبُوهٰا] مبالغة فى النّهى عنها مثل نهى آدم (ع) عن قرب الشّجرة [كَذٰلِكَ] التّبيين لآيات الاحكام وحدود الحمى [يُبَيِّنُ اللّٰهُ آيٰاتِهِ] المطلقة من احكام القالب و القلب وآيات الآفاق والانفس وخصوصاً الآيات الكبرى الّتى هى ذوات الانبياء(ع) والاوصياء (ع) [لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] يتّصفون بالتّقوى اويتّقون الحدود والمحرّمات .

[وَلٰاتَأْكُلُوا اَمْوٰالَكُمْ] عطفٌ على السّابق وابداءٌ لحكم آخرحالكونها [بَيْنَكُمْ بِالْبٰاطِلِ] يعنى لاتأكلوا الأموال الّتى جعلها الله بينكم سواءً لا اختصاص بشيءٍ منها بشخص منكم بذاته بل الاختصاص ليس الّا بالاعتباروكلّ وجه اعتبره الشّارع للاختصاص فهوحقّ وكلّ وجه لم يعتبره الشّارع فهوباطل ضائع لعدم استناده الى اعتبارمعتبرحقّ ، فأخذ الاموال وأكلها بوجهٍ لم يعتبره الشّارع منهىّ عنه ، اولا تأكلوا الاموال المشتركة بينكم بالوجوه الحقّة بداعٍ باطلٍ وباعثٍ غير حقّ بان تبتغوا التصرّف فيها بما لم يأذن به الشّارع ويدخل فى الاموال المشتركة المائدة والقصعة والخبز والمياه والفواكه والمجالس المشتركة والوجه الرّاجح فى التصرّف فيها الايثار والمباح المواساة والمرجوح التّفاضل مع علم الشّريك ورضاه والمنهىّ الخدعة

فى التّفاضل وهكذا الحال فى سائر الاموال المشتركة ، او لاتأكلوا أموالكم بنيّةٍ باطلة وداعٍ شيطانىٍّ بأن تأكلوا أموال أنفسكم لان تتقوّوا على اضرار النّاس اولمحض تشهّى النّفس اولاتأكلوا أموال أنفسكم متلبّسين بالباطل الّذى هو ولاية غير ولىّ الامر او لا تأكلوها متلبّسين بالغفلة عن التذكّر أيّها المؤمنون ، او لاتأكلوها غافلين عن الولاية أيّها المسلمون ؛ اولاتأكلوها غافلين عن اتّباع النبوّة ايّها النّاس [وَتُدْلُوا بِهٰا إِلَى الْحُكّٰامِ] عطفٌ على المنهىّ او منصوب بتقدير ان وهذا من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ فانّ الادلاء بمعنى الالقاء ادلى بماله الى فلانٍ دفعه والقاه اليه ؛ والمراد لاتلقوا امر الاموال الى الحكّام الآلهيّة اوالغير الآلهيّة لتدلّسوا على الحكّام الآلهيّة وتستظهروا بسبب الرّشوة بالحكّام الغير الآلهيّة ؛فانّ الاخذ بالتّدليس على الحكّام الآلهيّة اشدّحرمة من السّرقة حيث جعل آلة الدّين شركاً للدّنيا ، والاستظهاربالحكّام الغيرالآلهيّة تحاكم الى الطّاغوت ومن تحاكم اليهم فأخذ بحقٍّ فقد أخذ سحتاً فكيف حال من أخذ بباطلٍ [لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوٰالِ النّٰاسِ بِالْإِثْمِ] الّذى هوالتّدليس والرّشوة [وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] اى انتم العلماء اوتعلمون قبح الباطل والاثم ولافرق بين كونه قيداً للنّهى اوالمنهىّ وقد أشير فى الاخبار الى الوجوه الّتى ذكرت فى الآية .

[يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ] مستأنفٌ مقطوع عن سابقه ولذلك لم يأت بأداةالوصل ، والقمر فى اوّل الشّهر الى ليلتين هلال ، وقيل : الى ثلاثة ، وقيل : الى سبعةٍ ، وكانوا يسألون عن الهلال ما باله يبد و فى اوّل الشّهر ضعيفاً ثمّ يتزايد حتّى يصيربدراً ثمّ يتناقص حتّى يصير ضعيفاً ومختفياً الى ان يظهرفى اوّل الشّهرالآخر هلالاً ، وكان مقصودهم الاستفسارعن سبب ذلك ولمّا لم يكونوا اهل نظرٍولم يقتدروا على ادراك دقائق اسباب ذلك ولم يكن علم ذلك نافعاً لهم فى دنياهم ولا فى آخرتهم أعرض تعالى شأنه عن الجواب المطابق للسؤال وامر نبيّه (ص) ان يجيب بالحكم والغايات المترتّبة عليه فقال : [قُلْ هِيَ مَوٰاقِيتُ] جمع الميقات و هو مايقدّر به الوقت ويعلم يعنى أنّ الاهلّة واختلافها سبب لمعرفة الاوقات ومعرفة مايعرف بالاوقات من الزّراعات و التّجارات والدّيون وعُدد النّساء و الحجّ و الصّوم و الفطر [لِلنّٰاسِ] اى لانتفاع النّاس [وَالْحَجِّ] اى لمناسكه خصّ هذا بالذّكر للاهتمام به لانّ اكثرمناسكه موقّت من الشّهر، ويعرف هذه الغايات المترتّبة على اختلاف الاهلّة بادنى تذكّرٍ، وفى معرفتها فوائدكثيرة من معرفة فاعلٍ حكيمٍ مدبّرٍعليمٍ قديرٍ معتنٍ بخلقه ولاسيّما بالانسان ومعرفة انعامه واحسانه المستلزم لتعظيمه وشكره والتوجّه اليه والتضرّع عليه فى الجليل واليسيروالقليل والكثير بخلاف ماسألوا عنه .

تحقيق اتيان البيوت من الابواب ومنع الاتيان من الظّهور

[وَلَيْسَ الْبِرُّ] عطف على هى مواقيت اوعلى يسألونك بطريق الالتفات من الغيبة الى الخطاب و وجه المناسبة بينهما حتّى أتى بأداة الوصل انّ السّؤال عن اختلاف الاهلّة من غير اطّلاع على هيئة الافلاك و مناطقها و مقادير حركاتها وحقيقة القمر و اكتسابه الضّوء من الشّمس دخول فى بيت طلب هذا العلم اوفى هذا العلم من ظهره لا من بابه فانّ باب العلم بما ذكر [بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ] لا اختصاص للبيوت بما يسمّيه العرف بيوتاً كما عرفت [مِنْ ظُهُورِهٰا وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقىٰ] الاتيان من الظّهور وقد مضى فى مثل الآية انّ حمل الذّات على المعنى امّا بتصرّفٍ فى الاوّل او فى الثّانى او فى النّسبة [وَأْتُوا] عطف على محذوفٍ مستفادٍ من قوله تعالى : ليس البرّ

(الى آخرها) اى فلا تأتوها من ظهورها وَأْتوا [الْبُيُوتَ مِنْ اَبْوابِها] كان الظّاهر ان يقول : وأْتِها من ابوابها لكنّه عدل الى صيغة الامر ووضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بأنّ اتيان البيوت اى امور المعاش والمعاد مأمورٌ به و منظورٌ اليه فى نفسه ولو قال : وأْتها من ابوابها لتوهّم انّ المنظور اليه فى النّفى والايجاب كليهما هو القيد وانّ المعنى لوأردتم اتيان البيوت فأْتوها من أبوابها لا من ظهورها يعنى انّ المقصود النّهى عن الدّخول من الظّهور لا الامر بالدّخول فى البيوت ، وباب الامور وجهة الاشياء كلّها هو الولاية ، نسب الى الباقر(ع) انّه قال: يعنى ان يأتى الامر من وجهه اىّ الامور كان ، فهو أمرٌ باتيان الامور الدّنيويّة والاخرويّة جميعاً من وجوهها مثل ان يأتى الحرف والصّناعات من وجوهها الّتى هى اخذ علمها من عالمها وتحصيل الاقتدار على عملها بالممارسة والتّكرار عند عاملها ، ومثل ان يأتى الصّناعات العلميّة من وجوهها الّتى هى الاخذ من عالمها والمدارسة عنده ، ومثل ان يأتى العلوم والاعمال الآلهيّة من وجوهها الّتى هى الاخذ من عالمٍ آلهىّ والمدارسة والممارسة عنده و باذنه وتعليمه فالعمدة فى طلب الامور طلب الوجوه المذكورة ، والعمدة فى طلب الآخرة والعلوم الآلهيّة طلب عالمٍ آلهىّ منصوبٍ مجازٍ من الله بلا واسطة او بواسطة او بوسائط و بعد معرفته التّسليم والانقياد له لا الاخذ من الاباء والاقران والمشاهدات والعمل بالرّسوم والعادات ، فقد ورد فى الاخبار والآيات ذمّ من قال: انّا وجدنا اباءنا على امّة وانّا على آثارهم مهتدون فمن لم يتأمّل فى علمه وعمله وفيمن أخذهما منه ولم يميّز العالم الا لهىّ بأدنى مرتبة التّمييز وهو كون فعله موافقاً لقوله كان مذموماً مطروداً مبغوضاً سواء عدّ عالماً مفتياً مقتدىً اوجاهلاً معدوداً من السّواقط ، نسب الى الباقر(ع) انّه قال فى نزول الآية : انّهم كانوا اذا أحرموا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ولكنّهم كانوا ينقبون فى ظهور بيوتهم اى فى مؤخّرها نقباً يدخلون ويخرجون منه فنهوا عن التّديّن بها [وَاتَّقُوا اللّهَ] فى الانحراف عن الأبواب والدّخول من الظّهور [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَقاتِلُوا فى سَبِيلِ اللّهِ] وسبيل الله هو الولاية ، وجميع الاعمال الشّرعيّة من حيث صدورها عن الولاية اوايصالها الى الولاية سبيل الله لأنّها سبل سبيل الله ، وطريق الكعبة لكونها بالمناسك المشروعة فيها سبيل الله ولكونها مظهراً للقلب الّذى هو سبيل الله حقيقةً سبيل الله فقوله: فى سبيل الله ظرف لقاتلوا حقيقةً اومجازاً اوحال عن فاعل قاتلوا ظرفاً حقيقياً اومجازياً والمعنى : قاتلوا فى حفظ سبل الله اوفى ترويجه واعلائه اوفى ارتكابه والاتّصاف به او فى طريق الكعبة [الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ] هذه الآية منسوخة بحسب مفهوم قيده الّذى هو عدم تجاوز المقاتلة عن المقاتلين بقوله : واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وناسخة بحسب الأمر بالمقاتلة لقوله تعالى : ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم ولقوله كفّوا أيديكم كما روى ، وكان النّبىّ (ص) قبل ذلك لايقاتل احداً ، و نقل انّه نزل هذه الآية بعد صلح الحديبية وذلك انّ رسول الله (ص) لمّا خرج هو واصحابه فى العام الّذى أرادوا فيه العمرة فساروا حتّى نزلوا الحديبية صدّهم المشركون عن البيت الحرام فنحروا الهدى بالحديبية ثمّ صالحهم المشركون على ان يرجع فى عامه ويعود فى العام القابل ويخلوا مكّة ثلاثة ايّامٍ فيطوف بالبيت و يفعل مايشاء فيرجع الى المدينة من فوره ، فلمّا كان العام المقبل تجهّز النّبىّ(ص) واصحابه لعمرة القضاء وخافوا ان لايفى لهم قريش بذلك وان يقاتلوهم وكره رسول الله(ص) قتالهم فى الشّهر الحرام وفى الحرم فأنزل الله تعالى هذه الآية [وَلا تَعْتَدُوا] بابتداء القتال وبالتّجاوز عمّن أمرتم بقتاله وبالتّعدّى عن القتل الى قطع الاطراف والتمثيل [إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ] نفى الحبّ وان كان أعمّ من البغض لكنّه فى أمثال المقام يستعمل فى البغض

[وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ] وجدتموهم و على ما ذكر من أنّه ناسخ للآية الاولى فنزوله كان بعدها بتراخ [وَاَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ اَخْرَجُوكُمْ] يعنى من مكّة كما كانوا أخرجوكم وقد فعل ذلك بمن لم يسلم [وَالْفِتْنَةُ اَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ] لمّا عاب بعض المؤمنين رجلاً من الصحابة قتل رجلاً من الكفّار فى الشّهر الحرام وكرهوا القتال فى الحرم والشّهر الحرام فى عمرة القضاء قال تعالى الفتنة اى الكفر بالله والافساد فى الارض الّتى ارتكبها المشركون أشدّ من القتال فارتكاب القتال لدفع محذور أشدّ ممدوح لا أنّه موجب للذّمّ والعقوبة ولكن احفظوا حرمة الحرم وحرمة الشّهر الحرام [وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتّٰى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَاِنْ قَاتَلُوكُمْ] تصريح بمفهوم الغاية [فَاقْتُلُوهُمْ] حتّى يكون القتل منكم دفاعاً والدّفاع فى الحرم حفظ لحرمته لاهتك لها [كَذٰلِكَ] القتل بعد المقاتلة [جَزٰاءُ الْكَافِرِينَ] بحرمة الحرم او بالله [فَاِنِ انْتَهَوْا] عن القتال فى الحرم فلا تتعرّضوا لهم فيه [فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ] يستر ما فرط منهم [رَحِيمٌ] يرحمهم بترك عقوبتهم على كفرهم فى الحرم [وَقَاتِلُوهُمْ] عطف على اقتلوهم يعنى فان قاتلوكم وبدؤكم بالقتال فى الحرم فاقتلوهم وقاتلوهم اوعطف على لاتقاتلوهم عند المسجد يعنى لا تقاتلوهم فى الحرم الّا ان يبدؤكم بالقتال فيه وقاتلوهم مطلقاً فى غيره بقرينة المقابلة [حَتّٰى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ] شرك وافساد [وَيَكُونَ الدِّينُ] اى سيرة الخلق وعبادتهم اوطاعتهم اوملّتهم [لِلّٰهِ فَاِنِ انْتَهَوْا] عن المقاتلة فى الحرم اوعن الشرك مطلقاً فانتهوا عن القتال [فَلَا عُدْوَانَ] اى لا عقوبة والعدوان مصدر عدا يعدو عدواً بمعنى الظّلم والعقوبة من غير استحقاق لكنّه جرّد ههنا عن قيد عدم الاستحقاق و استعمل للمشاكلة [اِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ] المقاتلين اوالمشركين [الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ] سمّى بالشّهر الحرام لحرمة القتال فيه حتّى لو انّ رجلاً لقى قاتل ابيه اواخيه فيه لم يتعرّض له بسوء ، و الاشهر الحرم كانت اربعة ؛ ثلاثة متوالية ؛ ذوالقعدة و ذوالحجّة والمحرّم ، وواحدٌ فردٌ و هو رجب ، وسمّى ذوالقعدة بذى القعدة لقعودهم عن القتال فيه ولمّا كانوا متحرّجين بالقتال فى عام عمرة القضاء وكان المشركون تعرّضوا لقتالهم فى العام السّابق فرفع التحرّج عنهم بأنّ قتال المشركين فى الشّهر الحرام بازاء قتالهم ايّاكم فى الشّهر الحرام ، اوالمراد تهنئة المؤمنين وتسليتهم بأنّ دخول مكّة فى ذى القعدة بازاء صدّ المشركين فى ذى القعدة فى العام السّابق فالتّقدير قتال الشّهر الحرام بقتال الشّهر الحرام اودخول مكّة فى الشّهر الحرام بازاء صدّهم عنها فى الشّهر الحرام [وَالْحُرُمَاتُ] جمع الحرمة بالضّمّ والسّكون وبضمّتين وكهمزة ما لا يحلّ انهتاكه والذّمّة والمهابة والنصيب [قِصَاصٌ] قيل :كان المشركون فخروا بردّهم رسول الله(ص) فى عام الحديبة فقال تعالى: تهكّماً بهم: والحرمات فيها قصاص ونسب هذا الى الباقر(ع)، وقيل: انّه ايضاً رفع لتحرّج المسلمين بالقتال فى عام القضاء ، يعنى انّ الحرمات يجب حفظها ولايجوز هتكها ولكن يجوز الاقتصاص فيها و جمع الحرمات باعتبار حرمة الشّهر و حرمة الاحرام و حرمة الحرم وقوله تعالى [فَمَنِ اعْتَدٰى عَلَيْكُمْ] يؤيّد هذا الوجه واعتدى وعدى وتعدّى بمعنى ظلم [فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ] يعنى فى الشّهر الحرام وفى الحرم او مطلقاً واستعمال الاعتداء مع أنّه ليس من المؤمنين اعتداء من باب المشاكلة والتّجريد

مثل ما مضى فى العدوان [بِمِثْلِ مَا اعْتَدٰى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللّٰهَ] فى الابتداء بالاعتداء وفى التّجاوز الى الزّيادة فى الانتصار ولمّا كان النّفوس غير واقفة على قدر ما يفعل بهم فى الاقتصاص بل هى طالبة لان تفعل بالجانى اضعاف ما جنى عليها خوفاً من اجتراء الجانى وغيره على التّعدّى عليها واطفاءً لاشتعال غضبها رفع ذلك الخوف واطفأ هذا الاشتعال بقوله [وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ] فلا تخافوا من تعدّى عليكم وتسلّوا بالله لا بامضاء الغضب.

اعلم انّ النّفوس فى مراتب التّسليم والانقياد مختلفة؛ فنفس لاتقوى على الانقياد اصلاً فلاتقبل من الله تعالى امراً ولا نهياً و تعتدى على الغير ابتداءً وتقتصّ من الجانى عليها بما تقدر عليه ولاكتاب معها ولا خطاب وامرها موكول الى وقت المماة ، ونفس تقدر على قبول الامر والنّهى لكنّها لاتقدر على ترك القصاص فرخّصها الله تعالى ونهاها عن التّجاوز عن قدر الجناية وقال لمثلها على سبيل التّلطّف : و ان تصبروا فهو خير لكم ، ونفس تقدر على ترك الاقتصاص لكن لا تقدر على الصّفح الّذى هو تطهير القلب عن الحقد على الجانى فأمرها تعالى بكظم الغيظ والعفو عن الجانى ، ونفس تقدر على الصّفح لكن لا تقدر على الاحسان الى الجانى فكلّفها تعالى الصّفح وآخر المراتب القدرة على الاحسان الى الجانى والله يحبّ المحسنين ، فتكليف الله تعالى على قدر وسع النّفوس لايكلّف الله نفساً الّا وسعها ، وماورد من المعصومين(ع) صريحاً واشارةً انّ للايمان درجات فلو حمل صاحب الدّرجة الاولى على الثّانية و صاحب الدّرجة الثّانية على الثّالثة وهكذا هلك؛ اشارةٌ الى هذا المعنى وانّ لكلّ نفسٍ تكليفاً من الله ، وانّ المفتى ينظر الى احوال الاشخاص ويكلّف بحسب احوالهم .

[وَاَنْفِقُوا فِى سَبِيلِ اللّٰهِ] قد مضى بيان مفصّل للانفاق فى اوّل السّورة وقد مرّ قبيل هذا بيان سبيل الله والظّرف لغواً وحال عن فاعل انفقوا ظرفاً مجازيّاً او حقيقيّاً والمعنى انفقوا من اموالكم الدّنيويّة و اعراضكم و اغراضكم و ابدانكم و قواكم وشهواتكم وغضباتكم وانانيّاتكم وبالجملة من كلّ ما ينسب الى انانيّاتكم فى الولاية وكلّما ينتسب الى الولاية من الاعمال القالبيّة والقلبيّة وسبيل الحجّ والجهاد [وَلَاتُلْقُوا بِاَيْدِيكُمْ] يعنى من غير سببٍ من الخارج فانّ قوله بأيديكم بمنزلة قولهم فلان فعل بنفسه يعنى من غير واسطة فانّه فى الحقيقة لنفى الواسطة لا لاثبات وساطة النّفس [اِلَى التَّهْلُكَةِ] يعنى فى الانفاق بان تنفقوا من كلّما ذكر ما لايتحمّله النّفس فهو فى الحقيقة امرٌ بالاقتصاد فى الانفاق [وَاَحْسِنُوا] امّا تأكيد للاقتصاد المستفاد من الجمع بين الامر بالانفاق والنّهى عن اهلاك المال رأساً ، اوامر باصلاح المال بعد الانتقاص بالانفاق كأنّه قال: انفقوا متدرّجين فى الانفاق حتّى لا يبقى لكم كثير ولا قليل ثمّ ارجعوا الى ماوراءكم و اصلحوا ماضاع منكم بان تأخذوا ممّا أنفقتم فى سبيله فيكون اشارة الى مقام البقاء بالله بعد الفناء فى الله [اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] ولمّا وقع هذا بعد آية التّرخيص فى القصاص جاز ان تخصّص الكلمات بالانفاق من القوّة المقتضية للاقتصاص والنّهى عن ترك القصاص المستلزم للحرج والاحسان الى المقتصّ منه بتخفيف القصاص والى النّفس بامضاء بعض من غضبها [وَاَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّٰهِ] باتمام مناسكهما وترك المحرّمات فيهما ، ونسب الى الباقر(ع) انّه قال تمام الحجّ لقاء الامام(ع)، وعن الصّادق(ع) اذا حجّ احدكم فليختم حجّه بزيارتنا لانّ ذلك من تمام الحجّ ، وعلى هذا فيجوز ان يقال : معنى قوله : وانفقوا فى سبيل الله أنفقوا ممّا ينسب الى انانيّاتكم فى سبيل الحجّ الصورىّ والحجّ المعنوىّ و اقتصدوا فى الانفاق حتّى لا تهلكوا انفسكم قبل استكمالها ، وأتمّوا الحجّ

الصوریّ بلقاء الامام بحسب الصّورة والحجّ المعنویّ بلقائه المعنویّ فیکون امراً بالفکر الّذی هو مصطلح الصّوفیّة وهوعبارة عن المجاهدة فی العبادة والاذکار القلبیّة واللّسانیّة حتّی یصفو النّفس من الکدورات فیتمثّل الامام علی الجاهد [فَاِنْ اُحْصِرْتُمْ] الحصر والاحصار الحبس والمنع لکنّه خصّص فی الحجّ بمن منعه غیرالعدوّ عن امضاء حجّه والصّدّ بمن منعه العدوّ و احکامهما موکولة الی الکتب الفقهیّة [فَمَا اسْتَیْسَرَ مِنَ الْهَدْیِ] ای فعلیکم ما استیسر من الهدی [وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُسَکُمْ حَتّٰی یَبْلُغَ الْهَدْیُ مَحِلَّهُ فَمَنْ کَانَ مِنْکُمْ مَرِیضاً] مرضاً یحوجه الی الحلق قبل وصول الهدی محلّه [اَوْبِهِ اَذیً مِنْ رَأْسِهِ] یحتاج بسببه الی حلقه [فَفِدْیَةٌ] ای فعلیه حلقه وفدیة [مِنْ صِیَامٍ اَوْصَدَقَةٍ اَوْنُسُکٍ] نسب الی الصّادق (ع) أنّه قال : اذا أحصر الرّجل بعث بهدیه فان اذاه رأسه قبل ان ینحر هدیه فانّه یذبح شاة فی المکان الّذی أحصر فیه او یصوم او یتصدّق و الصّوم ثلاثة ایّام و الصّدقة علی ستّة مساکین نصف صاع لکلّ مسکین [فَاِذَا اَمِنْتُمْ] ای اذاکنتم آمنین من الحصر والصّدّ [فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ] تلذّذ بالمحلّلات فی العمرة بان احلّ من احرامها اوبسبب احلال العمرة اوبنفس العمرة تلذّذاً روحانیاً فانّ العبادات ولاسیّما مناسک الحجّ الّتی هی صورمناسک بیت‌الله‌الحقیقیّ فیها لذّة روحانیّة لاتقاس باللّذات الجسمانیّة [اِلَی الْحَجِّ] ای احرام الحجّ اومنصرفاً الی الحجّ اومستمرّاً تمتّعه الی اتمام‌الحجّ [فَمَا اسْتَیْسَرَ مِنَ الْهَدْیِ] فعلیه ماتیسّرله من دمٍ وأقلّه شاة یعنی انّ من احرم بحجّ التّمتّع بان یقدّم العمرة علی‌الحجّ فاحرم من المیقات ودخل مکّة وطاف بالبیت وصلّی وسعی واحلّ ثمّ احرم بالحجّ من‌الحرم یجب علیه‌الهدی وهذاالنّوع من‌الحجّ فرض النّائی عن مکّه وهومن کان بین منزله وبین مکّة اثنا عشرمیلاً اوثمانیة واربعون میلاً اوثمانیة عشرمیلاً اوازید من‌تلک المقادیر علی خلاف فی الاخبار والفتاوی [فَمَنْ لَمْ یَجِدْ] الهدی ولا ثمنه [فَصِیَامُ ثَلٰثَةِ اَیّٰامٍ فِی الْحَجِّ] ای فعلیه ان یصوم ثلاثة ایّام فی‌ایّام الحجّ والافضل ان یصوم قبل العاشر بثلاثة ایّام والمجوّز من اوّل العشرة فان لم یصم قبل فبعد ایّام التّشریق [وَسَبْعَةٍ اِذٰا رَجَعْتُمْ] الی اهالیکم لا من منی کما قیل [تِلْکَ عَشَرَةٌ کٰامِلَةٌ] الاتیان بالفذلکة من عادة المحاسبین فجری تعالی علی عادتهم والتّوصیف بالکاملة امّا للاشارة الی انّهاکاملة کمال الاضحیّة لئلّا یتوهّم متوهّم انّ الصوم ینقص من الاضحیّة و هذا مرویّ عن الصّادق (ع) وعلی هذا فالتّعدیل بالاضحیّة وجهٌ آخر للاتیان بالفذلکة **وقیل:** الاتیان بالفذلکة والتّأکید بالکاملة لرفع توهّم کون الواو بمعنی اوللاباحة اوالتّخییر [ذٰلِکَ] التّمتّع بالعمرة الی الحجّ لا الصّیام بدل الاضحیّة ولاالهدی [لِمَنْ لَمْ یَکُنْ اَهْلُهُ حٰاضِرِی الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ] قدمضی انّه فرض النّائی [وَاتَّقُوا اللهَ] ای سخطه فی تغییر أحکامه ومخالفة أوامره ونواهیه [وَاعْلَمُوا اَنَّ اللهَ شَدِیدُ الْعِقٰابِ] فی موضع النّکال والنقمة ، [اَلْحَجُّ اَشْهُرٌ] مستأنفٌ لبیان حکم من احکام‌الحجّ کأنّه قیل: ایّ وقت وقت الحجّ ؟ـ فقال: وقت الحجّ اشهر [مَعْلُومٰاتٌ] وفی حمل الذّات علی المعنی مامرّ من انّه بالمجاز فی اللّفظ اوفی الحذف اوفی‌النّسبة والاشهر المعلومات شوّال وذوالقعدة وذوالحجّة الی التّاسع اوالی العاشر للمختار والمضطرّ [فَمَنْ فَرَضَ

فيهِنَّ الْحَجَّ] نسب الى الصّادق(ع) انّه قال: الفرض التّبلية والاشعار والتّقليد، واستعمال الفرض مع انّ الحكم جار في النّدب والفرض للاشعار بأنّ النّدب بعد الاحرام يصير كالفرض فى وجوب الاتمام والقضاء لواخلّ بالوطى قبل المشعر وقيل : من احرم لزمه الاتمام مطلقاً واجباً كان اوندباً شرط لنفسه العدول اولا [فَلاٰ رَفَثَ] لاجماع ولا نظر بشهوة ولا قبلة ولا مواعدة [وَلاٰ فُسُوقَ] الكذب والسّباب اومطلق مايخرج الانسان من الحقّ [وَلاٰ جِداٰلَ] لامخاصمة بحقّ اوباطل وفسّرت بالجماع وبالكذب والسّباب وبقول : لاوالله ، وبلى والله ، [فِى الْحَجِّ وَ ماٰ تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ] ترغيبٌ فى العمل لله والمقصود أنّه يجازيكم لأنّه عالم وعادل لايهملكم من غير مجازاة [وَتَزَوَّدُوا] كانوا لا يتزوّدون فى طريق الحجّ و يلقون كلّهم فى الطّريق على الغير فنهاهم الله تعالى عن ترك التّزوّد بالطّعام وقيمته والتّزوّد بالتوكّل والقاء الكلّ على الغير [فَاِنَّ خَيْرَ الزّاٰدِ التَّقْوٰى] عن السّؤال والقاء الكلّ على الغير لاالتوكّل على الله والتذلّل على النّاس اوالمراد تزوّدوا فى مناسك الحجّ لمعادكم بالتّقوى عمّا نهيتم عنه ظاهراً ممّا يترك فى الحجّ و باطناً من النيّات والاغراض سوى امرالله [وَاتَّقُونِ] اى سخطى وعذابى فى مخالفة أمرى ونهيى [ياٰ أُولِي الْاَلْباٰبِ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناٰحٌ] كانوا يتأثّمون بالتّجارة فى طريق الزّيارة كماكانوا لايتزوّدون لذلك وكما انّ المتزهّدين فى زماننا يتحرّجون بالتّجارات فى طريق الزّيارات وهكذا حال السّلاك فى طريق بيت الله الحقيقىّ يتحرّجون بالالتفات الى ماوراءهم وبالتّجارات الرّائجة فى حقّ حرثهم ونسلهم وقدكفلهم الله القيام بأمر النّسل وحفظ الحرث فنفى تعالى الجناح عنهم فى التّجارة بل أمرهم بها فانّ نفى التأثّم فى امثال المقام عن شيء يستعمل فى الامربه فقال: ليس عليكم جناح [اَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ] بالتّجارات الظاهرة والباطنة [فَاِذاٰ اَفَضْتُمْ] أفاض الماء أفرغه والنّاس [مِنْ عَرَفاٰتٍ] دفعوا أنفسهم او رجعوا و تفرّقوا او أسرعوا او اندفعوا من عرفات اسم لابعد مناسك الحجّ من مكّة سمّيت بعرفات لارتفاعها وارتفاع جبالها ، اولانّ ابراهيم(ع) عرفها بماوصفها به جبرئيل ، اولانّ جبرئيل قال لآدم(ع) فى هذا الموضع: اعترف بذنبك واعرف مناسكك ، اولانّ آدم(ع) وحوّاء التقيا فيها وعرف كلّ صاحبه ، اولانّ يوم الوقوف بها يوم عرفة وسمّى يوم عرفة بعرفة لانّ ابراهيم(ع) عرف فى هذا اليوم انّ رؤياء ذبح الولدكانت رحمانيّةً لا شيطانيّةً والاتيان بالفاء الدّالّة على التّعقيب وباذا الدّالّة على الوقوع بعد الامر بابتغاء الفضل يومى الى انّ الافاضة من عرفات الدّالّة على الوقوع فيها متحقّقة مسلّمة مفروغ عنها ولاحاجة الى ان يحكم بها وهذا يناسب التّأويل فانّ السّالك الى الله والحاجّ للبيت الحقيقىّ الّذى هو القلب يتحرّج بحمل الزّاد وبابتغاء الفضل ، واذا ابتغى الفضل بسبب أمره تعالى يتنزّل الى ابعد مراتب النّفس من القلب كما مرّ سابقاً واذا وقع الى انزل مراتبها لايمكنه القرار فيها بل يفيض منها كأنّه يدفعه دافع الى طريقه لكنّه لايصل الى البيت من دون وقوف فى الطّريق فيقف فى المزدلفة ثمّ فى منى ثمّ يفيض منه الى مكّة القلب فكان الوقوع فى عرفات والوقوف لازم لابتغاء الفضل والافاضة منها لازمة للوقوع فيها ، وهكذا الوقوف بالمزدلفة والمنى [فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَراٰمِ] بالوقوف فيه ليلة النّحر وباداء الصّلوة الفريضة والادعية والاذكار المأثورة وغير المأثورة، وفى تفسير الامام(ع) أنّه قال: بآلائه ونعمائه والصّلوة على سيّد انبيائه

وعلى سيّد اصفيائه [وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيكُمْ] اى مثل الذّكر الّذى هديكم اليه على لسان نبيّه (ص) او من اجازة نبيّه (ص)، وهذا يدلّ على ماقالته العلماء الاعلام وعرفاء الاسلام انّ العمل اذا لم يكن بتقليد عالمٍ حيّ لم يكن مقبولاً ولوكان مطابقاً . وقال الصوفيّة : انّ الذّكر اللسانىّ اوالقلبىّ اذا لم يكن مأخوذاً من عالمٍ مجازٍ من اهل الاجازة وعلماء اهل البيت لم يكن له أثر ولاينتفع صاحبه به ، ويحتمل ان يكون ما مصدريّة او كافّة والمعنى اذكروه ذكراً يوازى هدايته لكم وعلى اىّ تقديرٍ يستنبط التّعليل من اعتبار حيثيّة الهداية ولذلك قيل: انّ هذه العبارة للتّعليل [وَ إِنْ كُنْتُمْ] ان مخفّفة من المثقّلة [مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ] الجملة حالية [ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ] يعنى افيضوا من عرفات والافاضة منها مستلزمة للوقوع فيها فكأنّه قال : قفوا بعرفات ثمّ افيضوا منها ولاتقتصروا على الوقوف بالمزدلفة والافاضة منها ، فانّه كانت قريش لايرون للوقوف بعرفات فضلاً وكانوا يقفون بالمشعر الحرام وبه يفتخرون على النّاس فنهاهم الله عن ذلك و أمرهم بالوقوت بعرفات والافاضة منها ، وعلى هذا فالاتيان بثمّ للتّفاوت بين الامرين يعنى بعد ماعلمتم الوقوف بالمزدلفة ينبغى لكم الوقوف بعرفات مثل النّاس فلا تستنكفوا منه ولاتفتخروا بالوقوف بالمزدلفة ، وقيل : انّ الآية على التّقديم والتّأخير اى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلاً من ربّكم ثمّ افيضوا من حيث افاض النّاس فاذا افضتم من عرفات ، وروى عن الباقر (ع) أنّه قال :كأنت قريش وحلفاؤهم من الحمس[1] لايقفون مع النّاس بعرفات ولايفيضون منها ويقولون : نحن اهل حرم الله فلا نخرج من الحرم فيقفون بالمشعر ويفيضون منه فأمرهم الله ان يقفوا بعرفات ويفيضوا منها ، وعن الحسين (ع) انّه قال: فى حجّ النّبىّ (ص) ثمّ غداوالنّاس معه وكانت قريش تفيض من المزدلفة وهى جمع و يمنعون النّاس ان يفيضوا منها فأقبل رسول الله (ص) و قريش ترجوا ان تكون افاضته (ص) من حيث كانوا يفيضون، فأنزل الله، ثمّ أفيضوا من حيث أفاض النّاس يعنى ابراهيم (ع) واسماعيل (ع) واسحاق (ع) ، ويجوز بحسب اللّفظ ان يكون المراد بالافاضة ههنا الافاضة من المشعر الحرام بل لاتدلّ الآية بظاهرها الّا عليه و فى تفسير الامام (ع) ما يدلّ عليه فانّ فيه ثمّ افيضوا من حيث افاض النّاس اى ارجعوا من المشعر الحرام من حيث رجع النّاس من جمع ، قال والنّاس فى هذا الموضع الحاجّ غير الحمس فانّ الحمس كانوا لا يفيضون من جمع ، و فيه دلالة على انّ جمعاً اسم لموضع خاصّ من المشعر و انّ المراد من الافاضة من حيث افاض النّاس الافاضة من موضع خاصّ من المشعر الحرام لكنّه مخالف لما روته العامّة و الخاصّة من انّهم كانوا لايفيضون من عرفات فأمرهم الله ان يقفوا بعرفات ثمّ يفيضوا منها [وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ] ممّا فعلتم بآرائكم الزّائغة و أهوائكم الباطلة من تغيير المناسك والاستنكاف من الوقوف بعرفات مثل النّاس [إِنَّ اللهَ غَفُورٌ] يغفر بعد الاستغفار والاعتراف والدّخول تحت طاعة خليفته الذّنوب والنّقائص اللّازمة لكم من انانيّتكم [رَحِيمٌ] يرحمكم بعد مغفرتكم بفتح باب القلب وادخالكم فى دار رحمته [فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ] جملة افعال الحجّ الى الثّالث عشر من ذى الحجّة [فَاذْكُرُوا اللهَ] حيثما كنتم اومناسككم بعرفات والمزدلفة فاذكروا الله بمنى ومكّة اواذا قضيتم مناسككم فيهما وفى منى بالحلق اوالتّقصير فاذكروا الله بمكّة اواذا قضيتم فى هذه المواضع وفى مكّة فاذكروا الله فى ايّام منى، ويؤيّده تفسير الذّكر بالتكبيرات فى ايّام منى [كَذِكْرِكُمْ

١ـ الحمس بالضم و السكون لقّب به قريش وكنانة وجديلة و من تابعهم فى الجاهلية لتحمّسهم فى دينهم وتصليهم .

آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً]نسب الى الباقر(ع) انّه قال :كانوا اذا فرغوا من الحجّ يجتمعون هناك و يعدّون مفاخرآبائهم ومآثرهم فأمرالله سبحانه ان يذكروه مكان ذكرآبائهم فى هذاالموضع اواشدّ ذكراً [فَمِنَ النّاسِ] عطف نحو عطف التّفصيل على الاجمال باعتبار المعنى كأنّه قيل النّاس فى ذكرالله أصناف اوقائم مقام جزاء شرط محذوف كأنّه قال : واذا ذكرتم الله فأخلصوا نيّاتكم عن طلب الدّنيا لأنّ من النّاس [مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا] ولم يذكر المسؤل للاشعار بأنّه من جنس الدّنيا فلا حاجة الى ذكره بخلاف المؤمن فانّه لايطلب فى الدّنيا الّا ماهو مطلوب للآخرة ولذلك ذكر مطلوبه .

اعلم انّ الدّنيا معبرالكلّ لاوقوف لاحد فيها قدوكّل الله على كلّ نفس جنوداً كثيرة يعنفونه السّلوك الى الآخرة لا يدعونه يقف آناً واحداً فى مقام ، فالاحمق من يظنّ المقام فيها ويطلب من القادر الغنىّ ما يتركه ويذهب هوعنه فالطّلب للدّنيا من غاية العمى عنها وعن الآخرة ، ولمّا كان النّاظر الى الدّنيا اعمى عنها وعن ذهابها عنه وكان لايطلب فيها للآخرة شيئاً ومايطلب للدّنيا لايبقى معه فيخرج من الدّنيا صفر اليد من متاع الدّنيا والآخرة قال تعالى [وَ مالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ] نصيب من الخيرفانّه يستعمل فى الخير [وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً] قد فسّرت الحسنة فى الدّنيا بنعيمها ، وبسعة الرّزق ، والمعاش ، وبحسن الخلق ، وبالعلم ، والعبادة ، وبالمرأة الصّالحة ، و باللّسان الشّاكر والقلب الذّاكر والزّوجة المؤمنة ، بل روى انّ من اوتى تلك الثلاثة فقد اوتى حسنة الدّنيا والآخرة ، والوجه فى ذلك انّ المراد بحسنة الدّنيا ما يرجع الى القوى النّفسانيّة وحظوظها بحيث لايعاوقها عن سلوكها الى ربّها ؛ ونعم ماقال المولوىّ قدّس سرّه :

آتنا فى دار دنيانا حسن	آتنا فى دار عقبانا حسن
راه رابرما چوبستان كن لطيف	مقصد ماباش هم تواى شريف

[وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً] يعلم حسنة الآخرة بمقايسة ما ذكر فى حسنة الدّنيا [وَقِنا عَذابَ النّارِ] لمّا كان كلّ ما يسوء الانسان من حيث انسانيّته من مظاهر الجحيم وآلامها سواء كانت من ملايمات الحيوانيّة اولا فسّر عذاب النّار بالمرأة السوء والشّهوات والذّنوب وبالحمى وسائر الالام [أُولٰئِكَ] العظام [لَهُمْ نَصِيبٌ مِمّا كَسَبُوا] يعنى من جملة ماكسبوا ومنها سؤالهم حسنة الدّنيا والآخرة يعنى لا يضاع عمل عامل منهم ، والمعنى لهم نصيب ناشٍ ممّا كسبوا اونصيب هوبعض ممّا كسبوا وهذاالمعنى يشعربصحّة تجسّم الاعمال كماعليه اهل المذهب وهوحقّ مثبت بالاخبار الكثيرة ويشعربه الآيات ويحكم به العقل ، فانّ التّحقيق ؛ انّ العلم ليس بصورة عرضيّة هى كيف للنّفس كما عليه المشّاؤن ، ولاباضافة بين العالم والمعلوم كما قيل ، ولابمحض مشاهدة ربّ النّوع اوصورة المعلوم فى عالم المثال ، بل هوشأن من النّفس به يحصل سعتها والنّفس وشؤنها من عالم المتقدّرات والاجسام النّوريّة باعتبار مركبها المثالىّ وكلّ عمل يعمله الانسان لابدّ ان يتصوّره فى مقامه المجرّد اجمالاً و يُصَدِّق بالغاية النّافعة المترتّبة عليه ثمّ ينزله من مقامه العالى الى مقامه الخيالىّ فيتصوّره بنحو التّفصيل والجزئيّة ويصدّق فى ذلك المقام بغايته ثمّ يحدث له ميل اليه ثمّ عزم ثمّ اراده فتهيج الارادة القوّة الشّوقيّة وهى تبعث القوّة المحرّكة وهى تحرّك الاعصاب ثمّ الاوتارثمّ العضلات ثمّ الاعضاء ثمّ يتدرّج العمل فى الوجود ثمّ يعود متدرّجاً كما يحدث متدرّجاً من طريق الباصرة او السّامعة الى الحسّ المشترك ثمّ

الى الخيال والواهمة ثمّ الى العاقلة فيعود الى ما منه بدأ ، فكلّ عملٍ يحصل صورته في المقامات العلميّة للانسان نزولاً وصعوداً و قد عرفت انّ بعض مقاماته العلميّة غير خارج عن التقدّر والتّجسّم فالعمل يتصوّر في مقام تجسّم النّفس فيصحّ ان يقال انّ العمل تجسّم ولتجسّم الاعمال وجه آخر وهو انّ الله تعالى يوجد بعمل العبد من الاجسام الاخرويّة مايشاء من الانهار والاشجار والاثمار والحور والقصور، بمعنى انّ الاعمال تكون مادّة هذه يعني انّ الاعمال تتجسّم في عالمه الصّغير و ينشأ في الكبير امثال صورها في العالم الصّغير فانّ العالم الكبير كالمرآة للعالم الصّغير [وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ] عطف فيه دفع توهّم فانّه قد يتوهّم انّ اعمال العباد كثيرة متدرّجة لايمكن ضبطها حتّى يجزى بها العباد فقال تعالى دفعاً لهذا الوهم: انّ الله يحاسب على الجليل والحقير والقليل والكثير ولايعزب عنه شيء لانّه سريع الحساب ومن سرعة حسابه انّه ينظر الى حساب الكلّ دفعة واحدة وكما انّ الكلّ منظور اليه دفعة واحدة كلّ الاعمال من صغيرها وكبيرها يقع في نظره دفعةً واحدةً فلا يفوته حساب احدٍ ولا يعزب عنه شيء من عمل احدٍ، وانموذج محاسبة الله ومكافاته ومجازاته يكون مع العباد من اوّل التّكليف ولا يشذّ من اعمالهم حقير ولا جليل الّا يظهر شيءٌ من مجازاته عليهم لو كانوا متنبّهين لا غافلين ولمعرفة هذا الامر أمروا العباد بالمحاسبة قبل محاسبة الله فانّ العبد اذا حاسب نفسه بان يكون مراقباً لها ومحاسباً لاعمالها يظهر عليه انّ كلّ فعل من الخير والشّرّ يستعقب فعلاً آخر او عرضاً من اعراض النّفس او خلقاً من اخلاقها، فحاسبوا عباد الله قبل ان تحاسبوا حتّى تعلموا انّ الله لايدع شيئاً من اعمال العباد الّا يجازيه ولايشغله عمل عامل منكم عن عامل آخر، ولايشذّ عنه حقير لحقارته [وَاذْكُرُوا اللَّهَ] عطف على قوله واذكروا الله كذكركم آباءكم [فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ] فسّرت الايّام المعدودات بايّام التّشريق وهي ثلاثة ايّام بعد النّحر والذّكر بالمأثور من التّكبيرات عقيب الصّلوات الخمس عشرة من ظهر يوم النّحر الى صبح الثّالث عشر لمن كان بمنى ولغيره الى عشر صلوات الى صبح الثّاني عشر والتكبيرات المأثورات: الله اكبر، الله اكبر، لااله الّا الله والله اكبر، الله اكبر ولله الحمد ، الله اكبر، على ماهدينا، الله اكبر على مارزقنا من بهيمة الانعام. وقوله تعالى [فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ] يدلّ على هذا التّفسير للايّام المعدودات فلا يعبأ بغيره والمراد التّعجيل في النّفر في اليوم الثّاني عشر والتّأخير الى الثّالث عشر سواء قدّر من تعجّل في النّفر اوفي الذّكر، والمراد بتعجيل الذّكر تعجيل اتمامه في منى في الثّاني عشر و بتأخيره تأخير اتمامه الى الثّالث عشر [فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ] ردّ على من اثّم المتعجّل من اهل الجاهليّة فانّ بعضهم كانوا يؤثّمون المتعجّل [وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ] ردّ على جماعة اخرى كانوا يؤثّمون المتأخّر [لِمَنِ اتَّقَى] اى هذا الحكم والتّخيير في النّفر بين الثّاني عشر والثّالث عشر لمن اتّقى الصّيد في احرامه فان اصابه لم يكن له ان ينفر في النّفر الاوّل وهذا مدلول بعض الاخبار، وفي بعض الاخبار لمن اتّقى منهم الصّيد واتّقى الرّفث والفسوق والجدال و ما حرّم الله عليه في احرامه ، وفي بعض الاخبار ليس هو على ان ذلك واسع ان شاء صنع ذا وان شاء صنع ذا؛ لكنّه يرجع مغفوراً له لااثم عليه ولاذنب له يعني ليس المقصود بيان التّخيير فقط بل بيان تطهيره من الذّنوب كيوم ولدته امّه ان اتّقى ان يواقع الموبقات فانّه ان واقعها كان عليه اثمها ولم يغفر له تلك الذّنوب السّالفة بتوبة قد أبطلها بموبقاته بعدها وانّما تغفر بتوبة يجدّدها ، وفي بعض الاخبار: من مات قبل ان يمضي الى أهله فلا اثم عليه ومن تأخّر فلا اثم عليه لمن اتّقى الكبائر اولمن اتّقى الكبر وهو ان يجهل الحقّ ويطعن على أهله ، ونسب الى الصّادق(ع) انّه قال: انّما هي لكم والنّاس سواء وانتم الحاجّ وفي خبرٍ انتم والله هم انّ

رسول‌الله(ص) قال لايثبت على ولاية علىّ(ع) الّاالمتّقون [وَاتَّقُوا اللّهَ] بعد تلك الايّام ان تواقعوا الموبقات حتّى لاتحملوا اثقال ذنوبكم السّالفة مع ثقل الذّنب الّذى اتيتموه ولاتحتاجوا الى توبة اخرى اوالامر بالتّقوى مطلق اى اتّقوا سخط الله فى ترك المأمورات و ارتكاب المنهيّات [وَاعْلَمُوا اَنَّكُمْ اِلَيْهِ تُحْشَرُونَ] فيجازى كلّاً على حسب عمله ترغيب و تهديد [وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ] تخلّل الاجنبىّ يمنع من عطفه على قوله من النّاس من يقول: ربّنا آتنا (الى آخرها)، وانشائيّة الجمل السّابقة تمنع من عطفه عليها، وكون الواو للاستيناف ممّا يمنع منه السّليقة المستقيمة فبقى ان يكون عطفاً على محذوف مستفاد من السّابق فكأنّه قال: فمن النّاس من يذكر الله من غير نفاق لمحض الدّنيا، ومنهم من يذكره للدّنيا والآخرة، ومنهم منافق لايذكر الله الّا للتّدليس وهوبحيث يعجبك قوله [فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيا] حال عن مفعول يعجبك اومتعلّق بقوله اوحال عنه اوعن الضّمير فى قوله يعنى اذا تنزلّت فى مقام الحيوة الدّنيا ونظرت من ذلك المقام الى مقاله تعجّبت منه اوهو اذا تكلّم فى امر الحيوة الدّنيا اوحفظها تعجّبت منه لااذا كنت فى مقام الحيوة الاخرى، او لا اذا تكلّم فى الحيوة الاخرى [وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلٰى ما فِى قَلْبِهِ] ادّعاء بادّعاء انّ ما فى قلبه هو الحقّ الموافق لقوله لا على مافى قلبه حقيقة فانّه يدلّس باظهار ما لم يكن فى قلبه والمراد بالاشهاد جعله متحمّلاً للشّهادة اومؤدّياً لها وهذا ديدن الكذّاب فانّه لمّا لم يجد من يصدّقه ولاما يحتجّ به يحلف بالله ويشهد بالله وصار قولهم: الكذّاب حلّاف مثلاً، وقد اشار تعالى بقوله: ولا تطع كلّ حلّاف مهين الى انّه كذّاب [وَهُوَ اَلَدُّ الْخِصامِ] الدُّ افعل مثل احمر وليس للتّفضيل مثل افضل بمعنى الخصم الشّحيح الّذى لايزيغ الى الحقّ، والخصام مصدرٌ، اوجمعٌ لخصم والآية عامّة لجملة المنافقين وان ورد فى نزولها انّها فى معاوية ومن وافقه [وَاِذا تَوَلّٰى] ادبر عنك اوتولّى امراً من امورك اوامور الدّنيا اوصار والياً على الخلق [سَعٰى] اى اسرع فى السّير [فِى الْاَرْضِ] ارض العالم الصّغير اوالعالم الكبير، اوارض القرآن، اوالاخبار، اوالسّير الماضية من الانبياء(ع) وخلفائهم(ع) [لِيُفْسِدَ] ليوقع الفساد [فيها] والافساد تغيير الشّيء عن الكمال الّذى هو عليه، اومنعه عن الوصول الى كماله، واللّام لام الغاية اولام العاقبة فانّ المنافقين يظنّون انّهم يصلحون، واذا قيل لهم: لا تفسدوا فى الارض قالوا: انّما نحن مصلحون الا انّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون [وَيُهْلِكَ] اى يفنى اصلاً [الْحَرْثَ] مايزرعه النّاس من نبات الارض اوماأنبته الله من مطلق نبات الارض [وَالنَّسْلَ] الولد الصّغير من المتوالدات اومن الانسان.

تحقيق الافساد فى الارض واهلاك الحرث والنّسل

اعلم انّ عالم الطّبع بسماواته وسماويّاته وارضه وارضيّاته متجدّد ذاتاً وصفةً وفى كلّ آن له فناءٌ من قبل نفسه وبقاءٌ من قبل موجده، وحاله بالنّسبة الى موجده حال شعاع الشّمس بالنّسبة الى الشّمس فانّ الشّعاع الواقع على السّطح لابقاء له فى آنين بدليل انّه اذا وقع الشّعاع من روزنة بعيدة على سطح ينعدم عنه بمحض سدّ الرّوزنة ولا يبقى بعد سدّها آنين والمبقى للاشياء على سبيل الاتّصال بحيث يختفى تجدّدها هو المشيّة بوجه كونها رحمة رحمانيّة عامّة، وانّ الكائنات لها قوّة واستعداد وبحسب تفاوت الاستعدادات تتدرّج فى الخروج من القوّة الى الفعل سريعاً او بطيئاً، وتجدّد الفعليّات عليها ليس الّا بالمشيّة بوجه كونها رحمة رحيميّة والمتحقّق بالمشيّة بوجه كونها رحمة رحمانيّة

محمّد(ص) من حيث رسالته والمتحقّق بها بوجه كونها رحمة رحيميّة هو(ص) من حيث ولايته فبقاء الاشياء بالرّسالة واستكمالها بالولاية فكلّ شيء بلغ الى آخر كمالات نوعه كان قابلاً للولاية على ما ينبغى له وما لم يبلغ انتقص من قبوله الولاية بحسبه، وكلّما لم يستكمل فى نوعه بشيء من كمالاته لم يكن يقبل شيئاً من الولاية كما ورد عنهم(ع) فى الاراضى السّبخة والمياه المرّة اوالمالحة والبطيخة انّها لم تقبل ولايتنا اهل البيت، هذا بحسب التّكوين ولو انقطع هذه الرّحمة الرّحيميّة التكوينيّة عن الاشياء لم يستكمل شيء منها فى شيء من مراتب كمال نوعه كما انّه لو انقطع الرّحمة الرّحمانيّة عن الاشياء لما بقي شيء آنين، والى هذا الانقطاع اشاروا(ع) بقولهم: لو ارتفع الحجّة من الارض لساخت الارض بأهلها، وامّا بحسب التّكليف فالنّاس مكلّفون بالاقبال والتّوجّه على الولاية كما انّ صاحب الولاية متوجّه اليهم وبهذا الاقبال وذلك التوجّه يستكمل الحرث والنّسل فى العالم الصّغير ويزرع ما لم يكن يزرع بدون قبول الولاية والبيعة والمعاهدة ويتولّد ما لم يكن يولد بدونها، وكلّما ازداد التّوجّه من الخلق ازداد التّوجّه من صاحب الامر وبازدياد التّوجّهين يزداد الحرث والنّسل واستكمالهما فى العالم الصّغير و بازديادهما و ازدياد استكمالهما فى الصّغير يزداد وجودهما و استكمالهما فى العالم الكبير فكلّ من جاهد فى استرضاء صاحبه ازداد بحسب جهاده توجّه صاحب الوقت و رضاه عنه، وبحسب ازدياد توجّهه ورضاه يزداد البركة فى الحرث والنّسل فى العالم الصّغير والكبير؛ واليه اشار بقوله تعالى: **ولو انّ اهل القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السّماء** فى العالم الصّغير والارض فى العالم الكبير؛ اومن كليهما فى كليهما، وبقوله تعالى: ولو انّهم اقاموا التّوراة والانجيل ومآانزل اليهم من ربّهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم يعنى فى الصّغير وفى الكبير؛ ونعم ما قال المولوى قدّس سرّه:

تا توانى در رضاى قطب كوش	تا قوى گردد كند در صيد جوش
چون برنجد بينوا گردند خلق	كز كف عقل است چندين رزق خلق
او چو عقل وخلق چون اجزاى تن	بستهٔ عقل است تدبير بدن
ضعف قطب از تن بود از روح نى	ضعف در كشتى بود در نوح نى
يارئى ده در مرمّهٔ كشتيش	گر غلام خاص و بنده گشتيش
ياريت در تو فزايد نى در او	گفت حق: ان تنصرو الله ينصرو

ومن هذا يعلم انّ التّوجّه التّكليفىّ وازدياده مورث لقوّة الولاية التكوينيّة، وازدياد الحرث والنّسل وازدياد استكمالهما فى الصّغير والكبير، والاعراض عن الولاية التكليفيّة مورث لافسادهما واهلاكهما فى الصّغير والكبير، وكلّما ازداد الاعراض ازداد الافساد والاهلاك واذا انجرّ الاعراض الى منع الغير ازداد اشدّ ازدياد واذا انجرّ الى التّكذيب والاستهزاء كان غاية الافساد والاهلاك؛ وقوله تعالى: **ثمّ كان عاقبة الّذين اساؤا السّوءى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن** اشارة الى هذا؛ وعلى هذا يجوز ان يقال: واذا تولّى عن الولاية سعى فى الارض ولكن غاية سعيه الافساد فيها واهلاك الحرث والنّسل ولا يشعر هو به **[وَاللهُ لاٰ يُحِبُّ الْفَسٰادَ]** ومثله يستعمل فى معنى يبغض الفساد وان كان بحسب مفهومه اعمّ منه **[وَ إِذٰا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ]** اتّق سخط الله فى الافساد والاهلاك استنكف من نصح النّاصح لانّه لا يظنّ من نفسه سوى الاصلاح يعنى **[أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ]** اى المناعة والاستنكاف **[بِالْإِثْمِ]** اى بسبب الاثم الّذى اكتسبه قبل او اخذته العزّة بقيد الاثم الّذى ينهى عنه اى حملته العزّة على

ازدياد الافساد والاهلاك للجاجته [فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهٰادُ] المهاد ككتاب الفراش والموضع الّذى يهيّئ للسكون عليه [وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ يَشْرِى] يبيع [نَفْسَهُ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللّٰهِ] يعنى لالنفسه اولنفسه ولكن من غير استشعارٍ بالابتغاء فانّه ان كان ابتغاء مرضات الله لنفسه بالاستشعار كان مناقضاً لقوله يشرى نفسه، ونزول هذه الآية فى علىّ(ع) وبيتوتته على فراش النّبىّ(ص) ليلة فراره(ص) كما روى بطريق العامّة والخاصّة وتجرى الآية الاولى فى كلّ منافقٍ لايتوسّل الى ربّه والثّانية فى كلّ من قام عن نفسه وطرح انانيّته وفنى فى ربّه وبينهما مراتب و درجات ادرجها تعالى فى صنفين الاوّل من توسّل بالله لتعمير دنياه بمراتبه والثّانى من توسّل بالله لدنياه وآخرته واشار اليهما بقوله: فمن النّاس من يقول الى آخر الآية [وَاللّٰهُ رَؤُفٌ بِالْعِبٰادِ] فبرأفته يمهل المنافق ويحفظ الفانى ويجزى طالب الدّنيا والآخرة والرّأفة والرّحمة متقاربتان اذاجتمعتا فانّ الرّحمة امر نفسانىّ والرّأفة ما يشاهد من آثارها على الاعضاء [يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بعد ما بيّن اصناف النّاس نادى المؤمنين اى الدّاعين لله للدّنيا او للدّنيا والآخرة او لذاته تهييجاً لهم بلذّة النّداء ثمّ امرهم بالدّخول فى مرتبة الصّنف الاخير فقال [ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ] بالكسر والفتح الصلح وقرئ بهما والمراد بالايمان هو الاسلام الحاصل بالبيعة العامّة وقبول الدّعوة الظاهرة، والمراد بالسّلم الولاية والبيعة الخاصّة وقبول الدّعوة الباطنة سمّيت بالسّلم لانّ الدّاخل فى الايمان الحقيقىّ بقبول الدّعوة الباطنة و قبول الولاية يحصل له تدريجاً الصلح الكلّىّ مع كلّ الموجودات ولا ينازع شيئاً منها فى شيءٍ من الامور [كٰافَّةً] جميعاً حال عن فاعل ادخلوا اوعن السّلم بمعنى الدّخول فى جميع مراتب السّلم، ويجوز ان يكون اسم فاعل من كفّ بمعنى منع ويكون التاء للمبالغة ويكون حالاً من السّلم اى ادخلوا فى السّلم حال كونه مانعاً لكم عن الخروج او عن الشين والنّقص [وَلٰا تَتَّبِعُوا خُطُوٰاتِ الشَّيْطٰانِ] عن الصّادق(ع) السّلم ولاية علىّ(ع) والائمّة(ع) والاوصياء من بعده، وخطوات الشّيطان ولاية اعدائهم. وعن تفسير الامام(ع) يعنى فى السّلم والمسالمة الى دين الاسلام كافّة جماعة ادخلوا فيه فى جميع الاسلام فاقبلوه واعملوا فيه ولا تكونوا كمن يقبل بعضه ويعمل به ويأبى بعضه ويهجره، قال(ع) ومنه الدّخول فى قبول ولاية علىٍّ(ع) كالدّخول فى قبول نبوّة محمّد(ص) فانّه لايكون مسلماً من قال: انّ محمّد(ص) رسول الله فاعترف به ولم يعترف بانّ عليّاً(ع) وصيّه وخليفته وخيرامّته، وقد مضى بيان لخطوات الشّيطان واتّباعها عند قوله تعالى: كلوا ممّا فى الارض حلالاً طيّباً ولاتتّبعوا خطوات الشّيطان [اِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ] قد مضى بيانه هنا لك [فَاِنْ زَلَلْتُمْ] عن الدّخول فى السّلم [مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْكُمُ الْبَيِّنٰاتُ] الحجج الواضحات على مادعيتم اليه [فَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ] لا يمنعه عن الانتقام مانع [حَكِيمٌ] فى علمه يدرك دقائق ماصدرمنكم، وحكيم فى عمله لايدع شيئاً منها بلامكافاة، ولاسبب للعفو عنكم حتّى يعفو عن بعض أعمالكم، او المراد فان زللتم من بعد دخولكم فى السّلم و من بعد ماجاءتكم البيّنات اى الواردات و الحالات الآلهيّة المشهودة لكم فاعلموا انّ الله عزيزٌ لايمنعه من العفو او لا يمنعه من الانتقام مانع حكيم يجعل السّلم بحكمته سبباً للعفو، اويكافئ القليل والكثير [هَلْ يَنْظُرُونَ] ثمّ صرف الكلام الى المنافقين بعد نداء الفرق الثّلاث من المسلمين فقال تعالى: هل ينظر هؤلاء المنافقون المتزيّنون فى ظاهر حالهم [اِلّٰا اَنْ يَأْتِيَهُمُ اللّٰهُ] اى امر الله

او بأسه او يأتيهم الله بحسب مظاهره فانّ اتيان المظاهر اتيان الله بوجه كما قال ولكنّ الله قتلهم ، ولكنّ الله رمى، ويعذّبهم الله بأيديكم وقد قال عليّ(ع) : ياحار همدان من يمت يرني ؛ والمراد من وقت اتيان الله وقت نزع الرّوح [فِي ظُلَلٍ] جمع الظلّة وهى ما اظلّك [مِنَ الْغَمَامِ] على التّشبيه فانّ الاهوال عند الموت ترى كالغمام وسمّى الحساب غماماً لايرائه الغمّ فيناسبه الاهوال [وَالْمَلَائِكَةُ] قرئ بالرّفع والجرّ عطفاً على الله او الظّلل او الغمام . وعن الرّضا(ع) الّا ان يأتيهم الله بالملائكة فى ظلل من الغمام قال : وهكذا نزلت [وَقُضِيَ الْأَمْرُ] امرا هلاكهم وهو عطف على ان يأتيهم واتى بالماضى تأكيداً فى تحقّق وقوعه ، ويجوز ان يكون حالاً بتقدير قد، ويجوز ان يراد بالآية المحاسبة يوم القيامة او الرّجعة ، وقد اشير فى الاخبار الى الكلّ.

تحقيق معنى الرّجوع الامور الى الله تعالى

[وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ] يعنى بعد انقضاء الحياة وارتفاع الحجب يظهر انّ الامور كانت بيد الله ولم يكن لاحد يدٌ عليها وانّما كانت أيدى الغير اكماماً ليده تعالى ، ولضعف الابصار فى الدّنيا كانوا لايشاهدون الّا الاكمام ، وبعد ارتفاع الحجب عن الابصار وقوّتها تشاهد انّ الكلّ كانت اكماماً والفاعل كان يده تعالى وان لاامر بيد غيره تعالى، واستعمال الرّجوع الّذى هو الانتهاء الى الابتداء تدريجاً للاشارة الى هذا المعنى يعنى كلّما ارتفع حجاب عن ابصارهم شاهدوا فاعلاً آخر للامور حتّى ارتفع الحجب تماماً فيشاهدوا ان لا فاعل سواه و ان لا امر من غيره [سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ] تهديد آخر للامّة على طريق التّعريض فانّ الكناية والتّعريض ابلغ من التّصريح .

خوشتر آن باشد كه سرّ دلبران   گفته آيد در حديث ديگران

[كَمْ آتَيْنَاهُمْ] على ايدى انبيائهم او مطلقاً [مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ] حجّة واضحة على صحّة نبوّة انبيائهم(ع) كما آتينا امّتك آيات بيّنات دالّات على صدق نبوّتك وخلافة خليفتك او كم آتيناهم من آية تدوينيّة فى كتبهم دالّة على صحّة نبوّة انبيائهم وصحّة نبوّتك وخلافة وصيّك كما آتينا امّتك آيات دالّة على ذلك فكأنّه قال : سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية دالّة على ولاية عليّ(ع) فانّها النتيجة حتّى تذكر امّتك بالآيات التكوينيّة و التدوينيّة و اخبارك الدّالّة على ولايته ، ثمّ هدّدهم بانّ من بدّل ولاية عليٍّ (ع) بالكفران فله العقوبة فلا تبدّلوا ولايته كما بدّل بنو اسرائيل [وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ] الآيات الهاديات بتبديل حيثيّة هدايتها بحيثيّة اضلالها ، ولمّا كان اصل النّعمة وحقيقتها وفرعها ومنبعها ولاية عليّ (ع) جاز ان يقال : ومن يبدّل مدلول الآيات الّذى هو ولاية عليّ(ع) وهى النّعمة بحقيقتها بالكفران [مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ] فلا يأمن من عذاب الله [فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] فهو من اقامة السّبب مقام الجزاء [زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا] بالولاية بعد وضوح الحجّة استيناف جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: لم كفروا وبدّلوا مع مجيء الآيات وعقوبة المبدّل؟ فقال : لانّه زيّن للّذين كفروا [الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا] و بتزيّنها صرف انظارهم عن الآخرة و عمّا يؤدّى اليها فاحتجبوا عن الآيات مع كمال وضوحها مثل من توغّل فى امرٍ فانّه لايستشعر بمن رآه وما رآه مع كمال ظهور المرئىّ فيستغرب من زيّن له الحيوة الدّنيا الانصراف عنها والتّوجّه الى غيرها ويعدّون من اشتغل بمدلول الآيات وآمن بالولاية مجنوناً [وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة الخاصّة و قبول الولاية عطف على جملة زيّن

والاتيان بالمضارع مع انّ توافق المتعاطفين اولى من تخالفهما للاشعار بأنّ التّزيين وقع و بقى اثره فى انظارهم و امّا السّخريّة فهى أمر متجدّد على سبيل الاستمرار [وَالَّذِينَ اتَّقَوْا] اى المؤمنون بالولاية فانّ التّقوى الحقيقيّة ليست الا لمن قَبِل الولاية ودخل فى الطّريق الى الله كما حقّق فى اوّل السّورة ووضع الظّاهر موضع المضمر لذكرهم بوصف آخر والتّعريض بالمنافقين والاشعار بعلّة الحكم وهى جملة حاليّة او معطوفة على يسخرون. والتّخالف للتّأكيد والثّبات فى الثّانية، اوالّذين اتّقوا عطف على الّذين آمنوا عطف المفرد، وقوله تعالى [فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ] حال منه يعنى ان كانوا فى الدّنيا تحت حكمهم فى بعض الاوقات فهم فى الآخرة فوق المنافقين حكماً وشرفاً و منزلاً [وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشٰاءُ بِغَيْرِ حِسٰابٍ] اى يرزقهم فانّ الاتيان به فى هذا المقام اظهار للامتنان على المؤمنين بانّ الفوقيّة بالنّسبة الى المنافقين ادنى شأن لهم فانّ الله يرزقهم من موائد الآخرة ما لايقدر على حسابه المحاسبون ، وعلى هذا فوضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بتشريفهم بكونهم مرضيّين لله، وقيل: فيه اشياء اُخر [كٰانَ النّٰاسُ أُمَّةً وٰاحِدَةً] جواب لسؤال ناش من السّابق كأنّه قيل: هل كان النّاس متّفقين؟- ومن اين وقع هذا الاختلاف؟- فقال تعالى : كان النّاس أمّةً واحدةً تابعة لمشتهياتهم محكومة لأهويتهم غافلة عن ربّهم ومبدئهم ومعادهم كما يشاهد من حال الاطفال فى اتّباع الشّهوات من غير زاجر عنها ، وكما يشاهد من حال اهل العالم الصّغير قبل ايجاد آدم (ع) واسكانه جنّة النّفس فانّهم يكونون امّة واحدة محكومة بحكم الشّياطين [فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيّينَ] فى العالم الكبير والصّغير [مُبَشِّرِينَ] للمنقادين بجهة ولايتهم [وَمُنْذِرِينَ] للكافرين بجهة رسالتهم فاختلفوا بالانكار والاقرار ، واختلف المنكرون بحسب مراتب الانكار، والمقرّون بحسب مراتب الاقرار [وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتٰابَ] يعنى الاحكام الا ٰلهيّة الّلازمة للرّسالة، اوالكتاب التّدوينىّ المشتمل على الاحكام فانّه لا يصدق الرّسالة الّا اذا كان مع الرّسول احكام ارسل بها [بِالْحَقِّ] بسبب الحقّ المخلوق به الّذى هو علويّة علىّ (ع) وولايته المطلقة ، اومع الحقّ اوالباء للآلة وعلى اىّ تقدير فالجارّ والمجرور ظرف لغو متعلّق بأنزل وجعله حالاً محتاجاً الى تقدير عامل مستغنىً عنه بعيد جدّاً [لِيَحْكُمَ] الله على لسان النّبيّين اوليحكم الكتاب على طريق المجاز العقلىّ وقرئ ليحكم مبنيّاً للمفعول [بَيْنَ النّٰاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ] يعنى بعد بعث النّبيّين اختلفوا فأنزل الكتاب لرفع الاختلاف وهو دليل تقدير ، فاختلفوا بعد قوله تعالى منذرين فانّ عدم انفكاك الاحكام عن الرّسالة مع كونها لرفع الاختلاف وكون النّاس قبل الرّسالة امّة واحدة دليل حدوث الاختلاف بالرّسالة والمراد بما اختلفوا فيه هو الحقّ الّذى انزل الكتاب به و هو النّبأ العظيم الّذى هم فيه مختلفون [وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ] فى الحقّ او الكتاب الّذى انزل بالحقّ [إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ] وامّا غيرهم فحالهم فى الغفلة وكونهم امّة واحدةً حال النّاس قبل البعثة [مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ الْبَيِّنٰاتُ] الحجج الواضحات لاقبل اتمام الحجّة فليس اختلاف المنكر مع المقرّ الّا عن عناد ولجاج لاعن شبهة واحتجاج ولذا قال تعالى [بَغْياً] ظلماً واستطالة واقعة [بَيْنَهُمْ] يعنى انّ المنكرين لم ينكروا الحقّ بشبهة سبقت الى قلوبهم ولالعنادهم للحقّ بل الانكار انّما هو للاستطالة والتّعدّيات الّتى بينهم فاقرار المقرّ صار سبباً لانكار المنكر [فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا] بعد الهداية اوكان فيهم قوّة الاذعان والموافقة لاالّذين كان فيهم قوّة الاستطالة

والطّغيان والمخالفة [لِمَا اخْتَلَفُوا فيهِ مِنَ الْحَقِّ] من بيانيّة والظرف مستقرّ حال من ما اومن ضمير فيه والعامل فيه عامل ذى الحال [بِـاِذْنِهِ] بترخيصه واباحته التّكوينيّة ظرف لغو متعلّق باختلفوا اوبآمنوا اوبهدى و تفسيره بالاباحة و التّرخيص اولى من تفسيره بالعلم كما فسّره بعض [وَاللهُ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ اِلٰى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ] تأكيد لماسبق ودفع لتوهّم التّشريك لهتعالى فى الهداية فانّ تقديم المسند اليه يفيدالحصروالتّأكيد، وتنبيه على انّ مناط هدايته تعالى ليس من قبل العبد بل هومشيّته تعالى حتّى يخرج العباد من مشيّتهم ولاينظروا الى أعمالهم و تصريح بكون المؤمنين مرضيّين كماكانوا مهديّين وكون ما اختلفوا فيه هو الصّراط المستقيم [اَمْ حَسِبْتُمْ] ام منقطعة متضمّنة للاستفهام الانكارى اومجرّدة عن الاستفهام والاضراب عن انزجارهم بسبب الاختلاف وعن انكارهم جواز الاختلاف بعد بعث الرّسل كأنّه قيل: لاينبغى الانزجار من الاختلاف والانزعاج من اذى المختلفين وانكارجوازالاختلاف بسبب بعث الرّسل فكأنّه قال: هل ضجرتم من الاختلاف وانكرتموه بعد بعث الرّسل ؟! بل ظننتم [اَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ] يعنى لا ينبغى لكم مثل هذا الظّنّ فانّ الرّاحة بدون العناء لا تكون الّا نادراً فوطّنوا أنفسكم على الاختلاف الشّديد والاذى الكثير من المخالفين حتّى تفازوا بالجنّة [وَلَمّا يَأْتِكُمْ] جملة حاليّة [مَثَلُ الَّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ] مستأنفة جواب لسؤال مقدّر اوحال بتقدير قد [وَالضَّرّاءُ] البأساء الضّرر الّذى يكون من قبل الخلق على سبيل العداوة نفسيّاً كان ام ماليّاً ، والضّرّاء مايكون من قبل الله، اومن قبل الخلق لاعلى سبيل اعلان العداوة، ويستعمل كلّ فى كلّ وفى الاعمّ [وَزُلْزِلُوا] اضطربوا اضطراباً شديداً فى معاشهم ودنياهم من اذى المخالفين اوفى دينهم ايضاً من مشاهدة غلبة المخالفين ومغلوبيّتهم [حَتّٰى يَقُولَ الرَّسُولُ] قرئ بالنّصب بتصوير الحال الماضية حاضرة بتصوير الزّلزال حاضراً و القول بالنّسبة اليه مستقبلاً ،وبالرّفع بتصوير القول حاضراً اوماضياً [وَالَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتٰى نَصْرُ اللهِ] استبطاء لنصره تعالى و هذا بالنّسبة الى المؤمنين جائز الوقوع فانّ الاضطراب فى الدّين او الدّنيا قد يقع منهم لضعفهم وعدم تمكينهم وامّا بالنّسبة الى الرّسول فيكون على سبيل المشاكلة ، اوهذا الكلام منه ومنهم على سبيل المسئلة لاالاستبطاء والانزجار [اَلا اِنَّ نَصْرَ اللهِ قَريبٌ] كلام من الله جواب لسؤال مقدّرتقديره هل يكون النّصر بطيئاً؟- فقال : الا انّ نصر الله قريب ، اوالتّقدير فما قال الله لهم ؟- فأجيب: قال الله: الا انّ نصر الله قريبٌ، فحذف قال او كلام منهم كأنّه قيل: أفما قالوا غير ذلك؟- فقيل: قالوا بعد ماتأمّلوا فيما شاهدوا من فضل الله عليهم: الا انّ نصر الله قريب، اوالكلام من قبيل قالوا كونوا هوداً اونصارى بان يكون القول الاوّل من الامّة وهذا من الرّسول [يَسْأَلُونَكَ] مستأنف منقطع عمّا قبله [ماذا] اىّ شيءٍ او ما الّذى [يُنْفِقُونَ] وعلى الاوّل فماذا فى موضع نصب مفعول لينفقون [قُلْ ما اَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ] مايصدق عليه اسم الخير من المال كائناً ماكان قليلاً او كثيراً جيّداً اوغير جيّد، ولايصدق اسم الخير على المال الّا اذاكان كسبه بقلب صاف ونيّة صادقة والتّصرّف فيه كذلك ومامفعول أنفقتم ولاحاجة الى جعله مبتدءً حتّى يحتاج الى تقدير العائد [فَلِلْوالِدَيْنِ] كأنّ سؤالهم عن المنفق فأجاب تعالى بالمصرف تنبيهاً على انّ الاهتمام فى الانفاق بان يقع فى موقعه ويصدر عن قلب صاف ونيّة صادقة كما اشير اليه بعنوان الخير لابعين المنفق فانّه قد يقع التمرة فى موقعه فيفضل القنطار [وَالْاَقْرَبينَ

وَالْيَتَامٰى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ] بيّن المصرف بالتّرتيب الاولى فالاولى [وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَاِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ] ترغيب فى الانفاق بانّ مطلق فعل الخير معلوم له تعالى ولايدعه من غير مجازاة ؛ ومامفعول تفعلوا [كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ] مستأنف منقطع عمّا قبله مثل سابقه ولا حاجة الى تكلّف الارتباط بينهما فانّ كلاً من هذه بيان لحكم من احكام الرّسالة غير الحكم الآخر [وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَ عَسٰى اَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسٰى اَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ] اعلم انّ ملائمات النّفس كلّها مطلوبة محبوبة للانسان فى مرتبته البشريّة ومولمات النّفس كائنة ماكانت مكروهة له فى مرتبته البشريّة ، وكثيراً مايكون الانسان جاهلاً بانّ ملائمات النّفس ومكروهاتها ملائمة لقوّته العاقلة او غير ملائمة ، والقتال من حيث احتمال النّفس تلفها وتلف اعضائها وتعبها فى الطّريق وحين البأس والخوف من العدوّ وسماع المكروه من المقاتلين وغير ذلك مكروه لها ، لكنّه من حيث تقوية القلب و الاتّصاف بالشّجاعة و التوكّل على الله و التوسّل به وتحصيل قوّة السّخاء وقطع النّظر عن الآمال وغير ذلك من المحامد الحاصلة بسببه خيرٌ للانسان ، وهكذا الحال فى سائر ملائمات النّفس ومولماتها ؛ ولذلك قال تعالى : [وَاللّهُ يَعْلَمُ] انّ فى القتال و فى سائر ماكرهتموه الّذى أمركم الله به خيراً لكم ولذلك يأمركم بها [وَاَنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ] ولذلك تكرهون [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ] قد مضى الاشهر الحرم والتّوصيف بالحرام لحرمة القتال فيه و لذا ابدل عنه بدل الاشتمال قوله تعالى [قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ] ارادة الجنس و التّوصيف بالظّرف مسوّغ للابتداء بقتال [وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ] مبتدء خبره اكبر والجملة عطفٌ على مقول القول اوهو عطف على كبير اوعلى قتال عطف المفرد [وَكُفْرٌ بِهِ] عطف على صدّ [وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ] عطف على سبيل الله وليس عطفاً على المجرور بالباء لعدم اعادة الجارّ اوعطف عليه على قول من اجازه [وَاِخْرَاجُ اَهْلِهِ مِنْهُ] عطف على صدّ ان جعل مبتدءً و الّا فمبتدءٌ خبره [اَكْبَرُ عِنْدَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ اَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ] وهو رفع لتحرّج المسلمين بالقتال فى الاشهر الحرم [وَلَايَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ] فى الاشهر الحرم وغيرها هو من كلامه تعالى عطف على يسألونك اومقول قوله تعالى عطف على جملة قتال فيه كبير [حَتّٰى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ اِنِ اسْتَطَاعُوا] فقاتلوهم مااستطعتم فى الاشهر الحرم وغيرها فانّه لا يجوز التّوانى فى المقاتلة اذاكانت مدافعة عن النّفس والمال والعيال فكيف اذاكانت مدافعةً عن الدّين فلا يمنع منها شهر حرام ولامكان محترم [وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ] من كلامه تعالى وعطف على لا يزالون اوعلى يسألونك اومقول قول الرّسول (ص) اوجملة حاليّة [فَيَمُتْ] عطف على يرتدد [وَهُوَ كَافِرٌ] تقييد الموت بالكفر فى ترتّب العقوبة للاشعار بانّ من مات وكان كافراً قبل الاحتضار لايحكم عليه بالعقوبة لجواز ان يقبل الولاية حين الاحتضار وظهور علىّ (ع) عليه فان ظهر عليه علىّ (ع) حين الاحتضار وأنكرهو ؛ كان موته على الكفر والّا فلا ، ومن لايعلم حال المحتضر من القبول و الرّدّ لايجوز له الحكم عليه باسلام ولاكفر ، ولاينبغى التّفوّه باللّعن عليه [فَاُولٰئِكَ] تكرار المبتدء باسم الاشارة البعيدة لاحضارهم ثانياً باوصافهم

الذّميمة ولتحقيرهم حتّى يكون ابلغ فى الزّجروالرّدع [حَبِطَتْ اَعْمالُهُمْ] قد مضى قبيل هذا انّ الاعمال القالبيّة الّتى هى عبارة عن الحركات والهيئات والاذكار المتجدّدة الّتى لا يجتمع جزء منها مع جزء ولا يبقى جزء منها آنين لايحكم عليها بالثّبات ولابالتّجسّم ، وامّا حقائقها الدّاعية الى تلك الاعمال والمكتسبة منها فهى شؤن النّفس الجوهريّة وهى ثابتة متّصفة بالتقدّر والتجسّم والحبط ، وحبط العمل عبارة عن بطلانه وزواله عن صفحة النّفس ، ولمّا كان النّفس ذات جهتين جهة دنيويّة وهى جهة اضافتها الى الكثرات وجهة أخرويّة وهى جهة اضافتها الى عالم التّوحيد والارواح واذا صدر عنها عمل جسمانىّ اونفسانىّ تتكيّف النّفس بجهتيها ؛ وثمرة كيفيّة جهتها الدّنيويّة الخلاص من عذاب الاوصاف الرّذيلة ، وثمرة كيفيّتها الاخرويّة الفراغ من الخلق والتلذّذ بمناجاةالله ، فمن ارتدّ حبطت اعمالهم [فِى الدُّنْيا وَ] من يمت وهو كافر حبطت اعمالهم فى [الْآخِرَةِ] هذا على ان يكون الظّرف ظرفاً للحبط ، ويجوز ان يكون حالاً من اعمالهم والمعنى من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر حبطت اعمالهم حال كونها ثابتة فى جهاتهم الدّنيويّة وثابتة فى جهاتهم الاخرويّة ، ومن يرتدد منكم عن دينه و يمت على الايمان ثبتت اعماله فيهما [وَأُولٰئِكَ] كرّر اسم الاشارة البعيدة لما ذكر [اَصْحابُ النّارِ هُمْ فيها خالِدُونَ] قيل فى نزول الآية انّ المسلمين قتلوا فى اوّل غزاة غزوها مع المشركين قبل البدر ومن المشركين فى اوّل رجب فسأل المشركون محمّداً(ص) عن الشهر الحرام ، وقيل سأل المسلمون عن ذلك [اِنَّ الَّذينَ آمَنُوا] كلام مستأنف لتشريف المؤمنين ورفع الجناح عن المسلمين المقاتلين فانّه كما قيل: نزل فى السريّة الّتى قاتلوا وقتلوا فى اوّل رجب ، وكثر القول فيه وعاب المشركون والمسلمون ذلك كأنّه بعد مانزل الآية الاولى سأل سائل : هل يكون اجر لهؤلاء المقاتلين فى رجب؟ـ فقال مؤكّداً لكون المخاطبين فى الشّكّ من ذلك: انّ الّذين آمنوا اى اسلموا فانّ المراد بالايمان فى أمثال المقام هو احد معانى الاسلام وقد مرّ فى اوّل السّورة معانى الاسلام والايمان مفصّلة [وَالَّذينَ هاجَرُوا] كرّر الموصول اهتماماً بشأن الهجرة كأنّها اصل برأسه مثل الايمان ولاسيّما الهجرة عن مقام النّفس الّذى هو دار الشّرك حقيقة الى مقام القلب الّذى هو دار الايمان حقيقة [وَجاهَدُوا] لم يأت بالموصول للاشارة الى التّلازم بين الهجرة والجهاد كأنّهما شيء واحد فانّ الانسان بعد الاسلام مالم يهجر الوطن لم يظهر مغايرته للمشركين ومالم يظهر مغايرته لم يكن قتال ومخالفة [فى سَبيلِ اللهِ] قد مضى نظيره وأنّه ظرف لغو ظرفيّة مجازيّة اوحقيقيّة، اوظرف مستقرّ كذلك [اُولٰئِكَ] كرّر المبتدأ باسم الاشارة البعيدة للاحضار والتّفخيم [يَرْجُونَ] قد مضى انّ عادة الملوك تأدية الوعد بأدوات التّرجّى و انّ وعد الملوك لايتخلّف ولو كان بلفظ التّرجّى ووعيدهم كثيراً مايتخلّف ولو كان بنحو الجزم [رَحْمَتَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ] يغفر مساويهم [رَحيمٌ] يغشيهم برحمته بعد الغفران [يَسْأَلُونَكَ عَنَ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ] استيناف لابداء حكم آخر من احكام الرّسالة [قُلْ فيهِما اِثْمٌ كَبيرٌ] و قرئ كثير بالثاء المثلّثة [وَمَنافِعُ لِلنّاسِ] لمّا اتى بالاثم مفرداً و بالمنافع جمعاً توهّم انّ نفعهما غالب على اثمهما فرفع ذلك التوهّم بقوله تعالى : [وَاِثْمُهُما اَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما] .

تحقيق مراتب كمال الانسان

اعلم انّ الانسان قبل هبوط آدم(ع) فى العالم الصّغير وبعث الرّسول الباطنىّ كافر محض لايعرف مبدءً ولا معاداً و بعد بعث الرّسول الباطنىّ يظهر له اقرار فطرىّ بأنّ له مبدءً مسخّراً له لكنّه امّا لا يستشعر بهذا الاقرار اصلاً ويحتاج الى منبّهٍ خارجىٍّ ينبّهه على فطرته ، اويستشعر استشعاراً ضعيفاً مغلوباً فى غفلاته وهذا فى قليل من النّاس وقد يستشعر استشعاراً قويّاً يحمله على الطّلب ولايدعه حتّى يوصله الى مطلوبه ، مثل الكبريتيّة تكاد تشتعل ولو لم تمسسها نارٌ وهذا فى غاية النّدرة ؛ والقسمان الاوّلان امّا يبقون فى كفرهم الصّراح ولا يتنبّهون من المنبّهات الخارجيّة والرّسل الآلهيّة و ليس لهم همٌّ الّا قضاء شهواتهم ومقتضيات نفوسهم ، وهؤلاء عامّة النّاس سواء دعاهم رسول خارجىّ اونوّابهم الى الله اولاً وسواء قبلوا الدّعوة الظّاهرة وبايعوا البيعة العامّة اولا ؛ غاية الامر انّ من قبل الدّعوة الظّاهرة ودخل فى الاسلام ان مات فى حال حيوة الرّسول اونائبه الّذى بايعه كان ناجياً نجاةً ماوكلّ هؤلاء مرجون لامر الله، لكنّ البايعين ليسوا مرجين لأمر الله بحسب اوّل درجات النّجاة بل بحسب كمال درجات النّجاة اويتنبّهون فيطلبون من يدلّهم على مبدئهم فامّا لايصلون اويصلون ، والواصل الى الدّليل امّا يعمل بمقتضى دلالة الدّليل اولايعمل، والعامل امّا يبقى فى الكفر بحسب الحال اويتجاوز الى الشّرك الحالىّ او الى الشّرك الشّهودىّ اويتجاوز الى التّوحيد الشّهودىّ والتحقّقىّ وفى هذا الحال ان لم يبق له اشارة الى التّوحيد ولا توحيد كان عبداً لله وهو آخر مقامات العبوديّة وتماميّة الفقر وحينئذٍ يحصل له بداية مقامات الرّبوبيّة ان ابقاه الله تعالى بعنايته وان بقى على هذه الحالة ولم يبقه الله بعد فنائه لم يكن له عين ولا اثر فلم يكن له اسم ولا رسم ولاحكم ؛وهذا احد مصاديق الحديث القدسىّ : انّ اوليائى تحت قبابى لايعرفهم غيرى ، واحد مصاديق الولىّ والامام(ع) كما نبيّنه .

تحقيق الولىّ والنّبىّ والرّسول والامام

وان ابقاه الله بعنايته بعد فنائه وتفضّل عليه بالصّحو بعد المحو صار وليّاً لله وهذه الولاية روح النّبوّة والرّسالة ومقدّمة عليهما وهى الامامة الّتى تكون قبل النّبوّة والرّسالة ، فان تفضّل عليه و أرجعه الى مملكته و أحيى له اهل مملكته بالحيوة الثّانية الاخرويّة وهذه هى الرّجعة الّتى لابدّ منها لكلّ احد اختياراً فى حال الحيوة اواضطراراً بعد المماة وهى الرّجعة فى العالم الصّغير صار نبيّاً اوخليفةً للنّبىّ، وللنبوّة وخلافتها مراتب ودرجات لايحصيها الّا الله، وتطلق الامامة عليهما اوعلى خلافة النّبوّة وهى النّبوّة الّتى هى روح الرّسالة ومقدّمة عليها فان وجده الله اهلاً لاصلاح مملكته بان لم يكن مفرطاً ولا مفرّطاً فى الحقوق وأرجعه الى الخلق لاصلاحهم صار رسولاً اوخليفته و تطلق الامامة عليهما اوعلى خلافة الرّسالة ومراتب الرّسالة وخلافتها ايضاً لاتحصى **وهذه الاربعة أمّهات مراتب الكمال** ولكلّ من هذه حكم واسم غير ماللاخرى . **فانّ الاولى** تسمّى بالعبوديّة لخروج السّالك فى تلك المرتبة من انانيّته ومالكيّته وحرّيّته من اسر نفسه ، وبالولاية لظهور ولاية الله وسلطانه هنالك الولاية لله مولاهم الحقّ ومحبّته الخالصة ونصرة الله له وقربه منه، وبالامامة لوقوعه امام السّالكين، وبالفقر لظهور افتقاره الذّاتىّ حينئذٍ وغير ذلك من الاوصاف **والثّانية** تسمّى بالامامة لوقوع العبد فيها امام الكلّ ايضاً . ولكونها امام النّبوّة و الرّسالة وبمقام التّحديث والتّكليم لتحديث الملائكة للعبد فيها من غير رؤيتهم نوماً ويقظة ، وبالولاية لماذكر فى المقام الاوّل وغير ذلك من الاسماء كالصّحو بعد المحو والبقاء بعد الفناء والبقاء بالله ، **والثّالثة** تسمّى بالنّبوّة لكون العبد فيها خبيراً من الله ومخبراً عنه والعبد فى تلك المرتبة يسمع صوت الملك فى النّوم واليقظة ويرى فى المنام شخصه ولايرى فى اليقظة ويسمّى فى تلك المرتبة اخبار الملائكة وتلقّى العلوم من دون اخبار الملائكة بالوحى والالهام لابالتّحديث والتّكليم للفرق بينها وبين سابقتها، بانّه ليس فى السّابقة الّا التّحديث من دون مشاهدة الملك المحدّث من الله، **والرّابعة** تسمّى بالرّسالة

لرسالةالعبد فيها من‌الله الى‌الخلق وفيها يرى العبد ويسمع من‌الملائكة يقظة ونوماً ويسمّى ما به رسالته الى‌الخلق شريعة وسنّة ومن‌ههنا يعلم‌وجه ماوردفى‌اخبار كثيرة من‌الفرق بين‌الرّسول والنّبىّ(ص)والمحدّث‌اوالامام: بأنّ الرّسول يسمع من الملك و يرى شخصه فى المنام و يعاينه فى‌اليقظة ، والنّبىّ يسمع ويرى فى‌المنام ولا يعاين والمحدّث اوالامام يسمع ولايرى ولايعاين ، فانّ‌المحدّث كماعلمت هوالّذى يبقى بعد فنائه من‌غيررجوع الى مملكته ومن غيراحياء لاهل‌مملكته بالحيوة الملكيّة الاخرويّة حتّى يصيراهل مملكته اسناخاً للملائكة فلم يكن له مدرك ملكى حتّى يدرك شيئاً منهم لكنّ السّامعة لقوّة تجرّدها و موافقتها لذات الانسان كأنّها لاتنفكّ عنه فاذا استشعربذاته بعد صحوه استشعربالسّامعة ايضاً وحييت بحيوته الاخرويّة ، واذا استشعربالسّامعة سمع بقدر استشعاره من‌الملك والنّبىّ هوالّذى رجع بعد حيوته الى‌مملكته واحيى‌الله تعالى له اهل مملكته بالحيوة الثّانية الاخرويّة المناسبة لاهل الآخرة من‌الملائكة من وجهتهم الاخرويّة لامن وجهتهم الدّنيويّة فيرى فى‌المنام يعنى بالوجهة‌الاخرويّة‌للباصرة ويسمع فى‌النّوم واليقظة لقوّة تجرّدالسّامعة ومناسبتهالاهل‌الآخرة ولايعاين ولايلامس، و الرّسول هوالّذى رجع بعد رجوعه الى مملكته الى خارج مملكته لاصلاح اهل العالم الكبير ولابدّ ان يكون اهل مملكته مناسبين‌لاهل‌الآخرة من‌الوجهة الاخرويّة والوجهة الدّنيويّة حتّى يتمّ له الدّعوة بالوجهة الدّنيويّة فيسمع ويرى و يشمّ ويذوق ويلامس فى‌النّوم واليقظة ، ولا يذهب عليك انّ المراد بالرّسالة أعمّ من‌الرّسالة وخلافتها ، والمراد بالنّبوّة أعمّ من‌النّبوّة وخلافتها حتّى‌يشكل‌عليك ماورد من‌الائمّة(ع)انّ الملائكة يطأون بسطنا ، ويلاعبون اطفالنا ، ويصافحوننا ، ونلتقط زغب الملائكة ، وانّهم يزورون فى ليلة القدر ولىّ الامر، بل نقول : انّ السّالك النّاقص قد يطرءعليه تلك الحالات من‌الافاقة والرّجوع الى مملكته والى مملكة الخارج بل‌التّكميل لا يتمّ الّا بطروّ تلك الاحوال ، فالنّبىّ والرّسول لابدّ لهما من حفظ مراتب كلّ من اهل الملك الصّغير او الكبير و مراعاة حقوقهم و ابقاء كلّ بحيث يرجع الى‌الله والنّهى عن تضييع الحقوق و تعطيلها وافناء اهلها ومنعهم عن السّير الى الله والامر بما يوجب حفظ الحقوق و مايعين على السّير المزبور . والانسان خلق ذامراتب عديدة وفى كلّ مرتبة منها له جنود وكلّ منها فى بقائه محتاج الى اشياء ففى مرتبته النباتيّة والحيوانيّة يحتاج قواه النباتيّة والحيوانيّة و بقاء بدنه وبقاء نفسه النباتيّة والحيوانيّة والانسانيّة الى المأكول والمشروب والملبوس والمسكن والمركوب والمنكوح ، وفى‌التّوانى فى كلّ منها تضييع لحقّ ذى حقّ اوافناء لذى حقّ، وفى‌الافراط فيها تعطيل لحقّها ولحقّ المراتب الاخرايضاً فالرّسول لابدّ ان ينهى عن‌الطرفين ويأمربالوسط فيها مثل قوله تعالى: كلوا فانّه امربالأكل ونهى عن تركه ، ولاتسرفوا فانّه نهى عن‌الافراط ، وهكذا الحال فى‌الجميع ولمّا كان الانسان بالفطرة جاذباً لما يحتاج اليه دافعاً لمن منعه عنه فلولم يكن قانون يرجع الكلّ اليه فى‌الجذب والدّفع وقع التّدافع بينهم بحيث يكون تضييع الحقوق وافناء ذوى الحقوق اكثرمن ترك الجذب والدّفع فلابدّ ان يؤسّس الرّسول(ص)قانوناً يكون ميزاناً للجذب والدّفع ، وان يؤسّس لتأديب من خرج من ذلك القانون قانوناً و ان يمنع عن جذب ما فى يد الغير بلاعوض وبما فيه خديعة النّاس فانّها من رذائل النّفس المانعة عن سيرها الى‌الله ، وبما فيه ذلّة النّفس مثل التملّق والسّؤال والسّرقة وغيرذلك ممّا فيه رذيلة من‌الرّذائل ، وبما فيه تعطيل الارض عن التعمير وبما فيه افناء المال رأساً ، والقمار فيه خديعة النّاس وتعطيل‌الارض وافناء المال من احدالطّرفين رأساً بلاعوض ، وفى‌مرتبة الانسانيّة خلق ذاقوّة عاقلة مدبّرة لاموراهل مملكته مسخّرة‌للواهمة المسخّرة للخيال المسخّرللمدارك والقوى الشّوقيّة المسخّرة للقوى المحرّكة المسخّرة للاعصاب والاوتار والعضلات والاعضاء فهومحتاج الى بقاء العاقلة بهذه الكيفيّة حتّى يحفظ الحقوق فالرّسول (ع) لابدّ ان يأمر

بما يحفظ هذه الكيفيّة بحيث يؤدّى بالانسان الى السّلوك الى الله وينهى عمّا يزيل تلك الكيفيّة ، والمسكرات تماماً لمّا كانت مزيلة لتسخير العاقلة كان شأن الرّسول (ع) النّهى عنها كما ورد : انّه لم يكن شريعة من لدن آدم (ع) الّا كانت ناهيةً عن الخمر ، وفى زوال تدبير العاقلة و تسخيرها مفاسد عديدة ولذا سمّيت الخمر بأمّ الخبائث ولكن فيها منافع عديدة من تسمين البدن و تحليل الغذاء وجلاء الاعضاء وتفتيح السّدد و تشحيذ الذّهن وصفاء القلب وتهييج الحبّ والشّوق وتشجيع النّفس ومنع الشّحّ عنها وغير ذلك .

بيان حرمة شرب دخان الافيون

و امّا شرب دخان الافيون الّذى شاع فى زماننا فانّ فيه ازالة التدبير العاقلة و تسخيرها تدريجاً بحيث لا يعود ان ، بخلاف ازالة الخمر فانّ عاقلة السّكران بالخمر بعد الافاقة فى غاية التّدبير وسائر القوى فيه فى غاية القوّة والسّرعة فى امتثال امر العاقلة ، وبشرب دخان الافيون ينبو العاقلة عن التّدبير ذاتاً و ينبو الواهمة الّتى خلقت مدركة للمعانى الجزئيّة لان تدرك الالام واللّذّات الاخرويّة لتحرّك الشّوقيّة للتحريك الى الآخرة عن ادراك المعانى ، والمتخيّلة الّتى خلقت متصرّفة فى المعانى والصور بضمّ بعضها الى بعض لاستتمام الجذب والدّفع فى معاشه ومعاده والخيال الّذى خلق حافظاً للصّور لحسن تدبير المعاش وتحصيل المعاد وحسن المعاملة مع العباد، والشوقيّة الّتى هى مركب سيره الى الآخرة ومعينة امره فى الدّنيا والمحرّكة الّتى هى مركب الشوقيّة والاعصاب الّتى هى مركب المحرّكة وفى نُبُوّ كلٍّ تعطيل لحقوق كثيرة؛ على انّ فيه اضراراً بالبدن واتلافاً للمال ، واضرار البدن محسوس لكلّ احد بحيث يعرفون بسيماهم لايحتاجون الى معرّف وسببه انّ دخان الافيون بكيفيّته ضدّ للحيوة وانّه مطفىءٌ للحرارة الغريزيّة مجفّف للرطوبة الغريزيّة مسدّد لمسامّ الاعضاء الّتى تنشف الرّطوبات الغريبة والرطوبة الغريزيّة معينة ومبقية للحرارة الغريزيّة الّتى هى معينة للحيوة ومبقية لها والرطوبة الغريبة مفنية للحرارة الغريزيّة وانّ الله تعالى بحكمته جعل جرم الرية جسماً متخلخلاً ذا مسامّ لينشف الرّطوبات الحاصلة فى فضاء الصّدر من الابخرة المتصاعدة من المعدة والكبد والقلب حتّى لاتجتمع تلك الرّطوبات فتتعفّن فتصير سبباً للبرسام والخراج وذات الجنب وذات الصّدر وذات الكبد وذات الرّية ، ودخان الافيون يجعل الرّية متكاثفة ومسامّها ضيّقة فلا تنشف الرّطوبات كما ينبغى فيحدث الامراض المذكورة ، ولقد شاهدنا كثيراً من المبتلين به قد ابتلوا بهذه الامراض وهلكوا ، ففى دخان التّرياق مفاسد الخمر موجودة وفيه مضارّ اُخر عوض المنافع الّتى ذكرت فى الخمر فهو أشدّ حرمة بوجوه عديدة من الخمر فلعنة الله عليه وعلى شاربه . والاثم قد يطلق على ارتكاب المنهىّ و هو الاثم الشرعىّ وقد يطلق على ما فيه منقصة النّفس وهو المراد ههنا لانّ الآية من مقدّمات النّهى لا انّها نزلت بعد النّهى عن الخمر والميسر وقد بيّنّا وجه منقصة النّفس الانسانيّة بارتكابهما ، وشأن نزول الآية والاخبار الواردة فيها مذكورة فى المفصّلات من أرادها فليرجع اليها .

[وَيَسْأَلُونَكَ] اتى باداة الوصل لمناسبته مع سابقه بخلاف يسألونك عن الخمر والميسر [مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ] والعفو ترك تعرّض المسيء بالسّوء ، اوالصّفح وتطهير القلب من الحقد عليه ، وأطيب المال وخياره، وفضله وزيادته عن الحاجة، والمعروف والوسط بين الاقتار والاسراف، والميسور لا المجهود، وما يفضل عن قوت السّنة ، والكلّ مناسب يجوز ارادته ههنا [كَذٰلِكَ] التّبيين للمنفق بحيث لايفسد مال المنفق ولانفسه [يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] متعلّق بقوله تتفكّرون اى فى امر الدّنيا وشأنها فانّ فى مثل هذه الآيات والاحكام الشرعيّة حفظاً للدّنيا من وجهٍ وطرحاً لها من وجهٍ وتوجّهاً

الى الدّنيا بوجهٍ والى الآخرة بوجهٍ ولكن يستفاد من كلّ ماورد فى امر الدّنيا وتحصيلها وحفظها انّ المراد منه ليس الّاالاستكمال الآخرة باستبقاء الدّنيا فشرع لكم الاحكام القالبيّة بحيث اعتبرفيها الدّنيا تقدمة للآخرة واخذها تقدمة لطرحها والآخرة اصلاً ومقصودة لعلّكم تتفكّرون فى امرهما فلا تتعلّقون بالدّنيا ولاتغفلون عن الآخرة، اولعلّكم تتفكّرون فى دنيا الاحكام وآخرتها يعنى فى جهتها الدّنيويّة وجهتها الاخرويّة حتّى تعلموا انّ جهتها الدّنيويّة ليست منظوراً اليها الّا مقدّمة لجهتها الاخرويّة ، اوالظرف متعلّق بقوله يبيّن ولعلّكم تتفكّرون جملة معترضة اى يبيّن الله لكم الآيات والاحكام فى امر الدّنيا وفى امرالآخرة .

[وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامٰى] اى عن امر اليتامى والقيام بأمرهم و أموالهم و مخالطتهم فانّه ليس المقصود السّؤال عن ذوات اليتامى فانّه كما قيل وروى بعد نزول قوله : انّ الّذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، وقوله تعالى : ولا تقربوا مال اليتيم الّا بالّتى هى أحسن اشتدّ ذلك على من كان عنده يتيمٌ فسألوا رسول الله (ص) عن ذلك فقال الله تعالى له (ص) [قُلْ] يا محمّد [إِصْلَاحٌ لَهُمْ] بحفظ نفوسهم وتربيتهم وتكميلهم وحفظ أموالهم وتنميتها وتوفيرها [خَيْرٌ] من الاهمال والاعراض حتّى يهلك نفوسهم ويتلف اموالهم [وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ] فى المسكن والمعاشرة اوفى المأكول والمشروب اوفى الاموال [فَإِخْوَانُكُمْ] فى الدّين اى فهم اخوانكم ومن حقّ الاخ على الاخ المخالطة وعدم الفرق بينه وبين نفسه بل ترجيحه على نفسه فى حفظ النّفس والمال والأكل والشّرب ، فاحذروا من الخيانة وترجيح أنفسكم عليهم وافسادهم فى أنفسهم وأموالهم فان خنتم اوأصلحتم فلكم الجزاء على حسبه [وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ] فلايعزب شيءٌ عن علمه حتّى لم تجزوا بحسبه و قد ورد السّؤال كثيراً عن امر الايتام و مخالطتهم والدّخول على من عنده ايتام و اكل الغذاء معهم وخدمة خادم الايتام لهم وغيرذلك وكانوا يجيبون بما حاصله انّه ان كان فيه صلاح الايتام فلابأس والّا فلا ، بل الانسان على نفسه بصيرةٌ فيعلم قصده ونيّته من المخالطة والدّخول والأكل وغيرذلك [وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ] فى امر الايتام بعدم التّرخيص فى المخالطة والامربحفظ اموالهم وأنفسهم مع المداقّة فى امرهما [إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ] لايمنعه مانع ممّا يشاء وممّا يحكم [حَكِيمٌ] لايفعل الّا مااقتضته الحكمة واستعداد النّفوس واستحقاقها والجملة استيناف بيانىّ تعليل لتلازم الجزاء للشّرط ولرفع المقدم كأنّه قال: لوشاءالله لاعنتكم لأنّه عزيزٌ لايمنع من مراده ولكنّه لم يشأ لانّه حكيم لايفعل ما فيه مشقّة الانفس من غيراستحقاقٍ [وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ] عطف باعتبار المعنى فانّ قوله تعالى : قل اصلاح لهم خيرٌ وقوله تعالى : و ان تخالطوهم فاخوانكم معناه : أصلحوا لهم و خالطوهم نحو مخالطة الاخوة و وجه المناسبة أنّهم كانوا يتكفّلون اليتيمة و يخالطونها فى بيوتهم للنّكاح ان كانت ذات مالٍ ، وان لم تكن ذات مالٍ أعرضوا عنها ، وربّما كانت تجتمع عند الرّجل عدّة نساءٍ من اليتامى لم يكن يقوم بحقوقهنّ فقال تعالى بطريق العموم : ولا تنكحوا المشركات من اليتامى وغيرهنّ [حَتَّى يُؤْمِنَّ] ولا منافاة بين هذه الآية و بين آية احلال الكتابيّات حتّى يكون احداهما ناسخة للاخرى [وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ] بجمالها اومالها او حسبها او نسبها [وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولٰئِكَ]

المشركون والمشركات [يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ] اى الى الشّرك المؤدّى الى النّار فحقّهم عدم المخالطة والمصاهرة [وَاللهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ] حقّ العبارة ان يقول : والمؤمنون والمؤمنات يدعون الى الجنّة لكنّه عدل عنه اشعاراً بانّ دعاء المؤمنين دعاءالله .

تحقيق تكيّف النّفوس من مجاورها

اعلم انّ نفس الانسان قبل ان تستكمل و تتمكّن فى شيءٍ من السّعادة و الشّقاوة قابلة محضة تتأثّر من كلّ ما تجاوره كالمرآة الصّافية الّتى ينطبع فيها كلّ مايواجهها والمسلم والمسلمة والمؤمن والمؤمنة بواسطة الاتّصال بالنّبىّ (ص) والولىّ (ع) بالبيعة العامّة اوالخاصّة ينطبع فى نفس كلّ منهم فعليّة ما من النّبىّ(ص) اوالولىّ(ع) وكلّ من يجاوره يتأثّر ممّا انطبع فيه والمشرك والمشركة سواء كان الشّرك بالله اوبالرّسالة او بالولاية ينطبع من الشّيطان فعليّة ما فى نفس كلّ منهما وكلّ من يجاوره يتأثّر ممّا انطبع فيه وينطبع فيه شيءٌ ما منه ، ومنه يعلم وجه خيريّة العبد المسلم والامة المسلمة من المشرك والمشركة فانّهما مظهران للنّبىّ(ص) وهما مظهران للشّيطان ، ويعلم ايضاً وجه العدول الى قوله تعالى: الله يدعو الى الجنّة فانّ فعليّة النّبىّ (ص) بما هو نبىٌّ فعليّة من الله و يظهر وجه نسبة الدّعوة الى المشركين بطريق العموم وتأدية الفعل بالمضارع الدّالّ على الاستمرار مع انّ اكثر المشركين لا يدعون احداً و من يدعو لايدعو مستمرّاً ، وهكذا الحال فى جانب المسلمين لانّ هذا التأثّر والانطباع لايكون باللّسان والاستماع بل قد يكون اللّسان والسّماع معدّين له [بِإِذْنِهِ] اى باباحته وترخيصه وهو متعلّق بيدعو وبه وبيدعون على سبيل التّنازع والمقصود انّ دعاء المشركين والمسلمين ليس بدون اذن الله تعالى و ترخيصه لانّ جعله تعالى النّفوس بحيث تنطبع فيها فعليّة مجاورها وفعليّة الشّيء بحيث تؤثّر فيما تجاوره انّما هو بجعله تعالى وجعله اذنه التّكوينىّ [وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ] عطف على يدعو يعنى انّ هذه الدّعوة التّكوينيّة من آيات حكمته وقدرته تعالى وتأثّر المجاور وظهور تلك الدّعوة فيه بيان للآيات ، اوالمراد انّه يبيّن احكامه الشرعيّة بلسان أنبيائه (ص) وأوصيائهم (ع) [لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] بدقائق الحكم المودعة فى الآيات بسبب ظهور آية الشّرك من المشرك والمشركة وآية الاسلام من المسلم والمسلمة فيهم اوبسماع الآيات والاحكام من الانبياء عليهم السّلام .

[وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ] من حيث المجامعة بقرينة الجواب ؛ كانوا يجتنبون النّساء فى الشّرائع السّابقة حال الحيض أشدّ اجتناباً من هذه الشّريعة على مانقل، والانسانيّة تكره مضاجعتهنّ فى تلك الحالة فكانوا يسألون بعد بعثته (ص) عن ذلك [قُلْ هُوَ أَذًى] للانسانيّة من حيث استقذاره ولنفس الانسان من حيث تأثّرها وغلبة الحيوانيّة عليها حتّى تستلذّ المضاجعة ولا تكرهها حينئذ ، ولبدن الرّجال من حيث تأثّر الالة من اثر الدّم وكيفيّته حتّى يورث بعض الامراض ولبدن النّساء بوجهٍ [فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ] كناية عن ترك المجامعة كما انّ المجامعة والمضاجعة والمقاربة كلّها كنايات عن النّكاح [وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ] من الدّم بالانقطاع وقرئ يطّهّرن بالتّشديد من التّطهّر فيكون المراد التطهّر بالاغتسال اوالوضوء اوغسل الفرج [فَإِذَا تَطَهَّرْنَ] ان قرئ الاوّل بالتّخفيف كان حكم حالة الدّم و حكم ما بعد الاغتسال او الوضوء اوغسل الفرج منصوصاً وحكمهنّ بعد انقطاع الدّم وقبل ذلك مجملاً ، وان قرئ الاوّل بالتّشديد كان حكم مابعد ذلك

اباحة المقاربة وحكم ما قبله الاعتزال وجوباً اواستحباباً وكيف كان فالآية مجملة محتاجة الى البيان [فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ اَمَرَكُمُ اللهُ] اى من مكانٍ وثقبةٍ أمركم الله بالاتيان منه ولاتأتوهنّ من مكانٍ لم يأمركم الله بالاتيان منه ، فعلى هذا كانت الآية دالّة بمنطوقها على اباحة الاتيان من الفروج وبمفهومها على عدم اباحة الاتيان من غير الفروج ، اوالمعنى فأتوهنّ من حيثيّة امره تعالى لامن حيثيّة محض الشبق اونهيه ، اومن حيث أمره يعنى غاية امره مثل الاستيلاد واستفراغ البدن و فراغ البال من الخطرات الناشئة من امتلاء الاوعية و الاستيناس و سكون النّفس والمقصود من هذاالقيد ان يكون النّظر فى المضاجعة الى نفس أمره اوغاية أمره من دون غفلةٍ عنه تعالى فانّ المضاجعة مع الغفلة لاتكون الّا بشركة الشّيطان اواستقلاله ؛ وعلى هذا فالآية تدلّ بمفهومها على النّهى عن اتيان المحرّمات بالذّات اوبالعرض وعن الاتيان من الادبار وعن الاتيان مع الغفلة عن الامر وغاياته ، وقوله تعالى [اِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوّابينَ] يدلّ على هذا فانّ التوّاب من كان كثير المراجعة الى الله فى الكثرات فكأنّه قال : كونوا كثيرى النّظر الى الامر وكثيرى الرّجوع فى جميع أحوالكم اليه تعالى والى أمره حتّى فى أخسّ أحوالكم الّذى هو اتيان النّساء لانّ الله يحبّ كثيرى الرّجوع الى الله والى امره [وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرينَ] من الاقذار الجسمانيّة بالماء فانّ الطّهارة الكاملة من الاقذار لا تحصل الّا بالماء و من الادناس النّفسانيّة و الفضلات الشّيطانيّة بماء الامر الالٓهيّ ، نسب الى الصّادق (ع) انّه قال : كان النّاس يستنجون بالكرسف والاحجار ثمّ احدث الوضوء وهوخلق كريم فأمر به رسول الله (ص) وصنعه فأنزل الله فى كتابه انّ الله يحبّ التوّابين و يحبّ المتطهّرين ، وعنه(ع) انّ الآية نزلت فى رجل من الانصار اكل الدّبّاء فلان بطنه فتطهّر بالماء ولم يكن ديدنهم قبل ذلك التّطهير بالماء [نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ] الحرث له معانٍ لكنّ المناسب ههنا معنى الزّرع ، وحمل المعنى على الذّات بأحد الوجوه الّتى ذكرت فى حمل المعنى على الذّات ، والمقصود المبالغة فى كونهنّ محلّ الزّراعة بحيث كأنهنّ لا شأن لهنّ الّا الزّرع [فَأْتُوا حَرْثَكُمْ] من حيث كونهنّ حرثاً لكم وبعدماذكرعند قوله تعالى: فأتوهنّ من حيث أمركم الله من مفهوم المخالفة واعتبار حيثيّة وصف العنوان ههنا لايبقى شكّ لاحدٍ فى عدم اباحة الادبار اوكون حكمه من المجملات لانّ اباحته مستنبطة من الآية [اَنّى شِئْتُمْ] كيف شئتم، اوفى ايّ ساعةٍ شئتم ، اوفى ايّ مكانٍ شئتم ، وامّا معنى من ايّ مكانٍ شئتم و ارادة الثّقبتين منه فيجوز استعمال انّى شئتم فيه لكن ينافيه تعليق الاتيان على عنوان الحرث ولوسلّم عدم المنافاة بسبب عدم اعتبار حيثيّة العنوان فى الحكم كانت الآية بالنّسبة الى الادبار مجملةً متشابهة فالاستدلال على الاحلال بهذه الآية ليس فى محلّه ، نسب الى الرّضا(ع) انّه قال : انّ اليهود كانت تقول: اذا اتى الرّجل المرأة من خلفها خرج ولده احول فأنزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انّى شئتم من خلف وقدّام خلافاً لقول اليهود ولم يعن فى ادبارهنّ ، فقوله من خلف وقدّام اشارة الى جعله(ع) انّى شئتم بمعنى من انّى شئتم لكن نفى ارادة الادبار، وقيل أنكرت اليهود الوطى اذاكانت المرأة قائمة اوقاعدة فردّ الله عليهم [وَقَدِّمُوا] امر الله على امر الشّيطان اوعلى امر النّفس اوعلى العمل فى اتيان النّساء اوفى كلّ عمل [لِاَنْفُسِكُمْ] اى لانتفاع أنفسكم الّتى هى مقابلة عقولكم و طبائعكم والمقصود انّكم اذاقدّمتم فى اتيان النّساء الامرالالٓهيّ واتيتموهنّ من جهة الامر كان انتفاعه للانفس المقتضية لمخالفة الامروالغفلة عنه اولانتفاع ذواتكم فانّه اذاكان الفاعل والمفعول واحداً فى غيرباب علم يتخلّل الانفس

بين الفعل ومفعوله اوالمعنى قدّموا أنفسكم بزيادة لام التّقوية يعنى قدّموا ذواتكم على الشّيطان اوعلى النّفوس المقتضية لمخالفة الرّحمن فى الاعمال ولا سيّما الاعمال الموافقة للنّفوس كاتيان النّساء حتّى لا تغلب عليكم فتلهيكم عن أمره اويكون قدّموا بمعنى تقدّموا اى تقدّموا على الشّيطان اوعلى الانفس لانتفاع انفسكم اوذواتكم [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] فى تقديم أمر الشّيطان او امر النّفس او تقدّم واحد منها عليكم [وَاعْلَمُوا اَنَّكُمْ مُلاٰقُوهُ] فى الآخرة او فى الحال الحاضر ولذا أتى باسم الفاعل المتبادر منه الزّمان الحاضر يعنى اذا علمتم انّكم فى حال العمل ملاقوالله او فى حال الجزاء ملاقوه اجتنبتم القبيح و تقديم الشّيطان وهوى النّفس [وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ] صرف الخطاب منهم اليه (ص) لانّه اهل التّبشير اوالخطاب عامّ وهذا الكلام أمر ونهى ووعد ووعيد [وَلاٰ تَجْعَلُوا اللّٰهَ عُرْضَةً] معرضاً [لِاَيْمٰانِكُمْ] جمع اليمين بمعنى الحلف يعنى لاتكثروا الحلف بالله صادقاً اوكاذباً اولغواً تأكيداً للكلام اولاتجعلوا الله حاجزاً عن أعمال الخير لاجل ايمانكم على تركها وكلاهما مرويّان [اَنْ تَبَرُّوا] لان لاتبرّوا اوكراهة ان تبرّوا اوارادة ان تبرّوا اولان تبرّوا اوعلى ان تبرّوا او فى ان تبرّوا اى فى حقّ البرّ، اوهو بدل عن الايمان على ان يكون المراد بها الامور المحلوف عليها [وَ تَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النّٰاسِ وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] يسمع ما تتفوّهون به من الايمان بالله يعلم سرائركم فيؤاخذكم ان كان ايمانكم كاذبةً ونيّاتكم غيرصادقة [لاٰ يُؤٰاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِي اَيْمٰانِكُمْ] اى بالاتيان بكلامٍ غير معتدٍ به فى الايمان او بالخطاء فى الايمان وعلى ايّ تقدير فالظّرف لغو متعلّق باللّغو لكونه مصدراً مقتضياً لهذا الظّرف ولا حاجة الى جعله ظرفاً مستقرّاً حالاً من اللّغو والمراد به الايمان التّأكيديّة الّتى ليست مرادفة للنذروالعهد ولامثبتة لحقّ اومبطلة لحقّ، وقيل: المراد باللّغو فى الايمان الخطاء فيها بان يحلف صادقاً ثمّ تبيّن انّه اخطأ وكان كاذباً فلا اثم عليه ولاكفّارة، وقيل: المراد اليمين الّتى يحلف بها الغضبان فلم يكن فيها كفّارة ان حنث، وقيل كلّ يمين ليس له الوفاء بها ولايكون فى حقّ ولاكفّارة فيها فهى لغو [وَلٰكِنْ يُؤٰاخِذُكُمْ بِمٰا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ] بالّذى كسبته اوبكسب قلوبكم.

اعلم انّ العمل فعلاً كان اوقولاً اذا لم يكن عن نيّة قلبيّة واعتقاد جازم بالغاية المترتّبة عليه كان لغواً ولا يثبت منه أثر معتدٌّ به فى القلب ولايصدق عليه انّه كسب القلب منه شيئاً واذا كان من نيّة قلبيّة واعتقاد جازم بالغاية منه حصل صورة ذلك العمل فى مقام اجمال النّفس اوّلاً ثمّ فى مقام تفصيلها ثمّ حرّك الشوقيّة ميلاً و عزماً و ارادة ثمّ حرّكت الارادة القوّة المحرّكة ثمّ حرّكت المحرّكة الاعصاب ثمّ الاوتار و العضلات والاعضاء ثمّ يحدث الفعل ثمّ ينتقل ذلك العمل من طريق الباصرة اوالسّامعة الى الحسّ المشترك ثمّ الى الخيال والواهمة ثمّ الى مقام اجمال النّفس، فبانتقاش الفعل مرّتين فى النّفس وآلاته يحصل اثرثابت فيها فيصدق عليها انّها كسبت من العمل شيئاً، فمعنى قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم يؤاخذ على يمين تورث اثراً فى قلوبكم بسبب العزم عليها من قلوبكم وانتقاشها فيها وفى آلاتها مرّتين [وَاللّٰهُ غَفُورٌ] يغفر لغو الايمان ولا يؤاخذكم به [حَلِيمٌ] لايعجل بمؤاخذة مايؤاخذكم عليه ثمّ ذكر تعالى قسماً واحداً من اقسام الايمان الّتى يؤاخذ بها فقال [لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ] يبعدون بالحلف [مِنْ نِسٰائِهِمْ] بان يحلفوا ان لايجامعوهنّ [تَرَبُّصُ اَرْبَعَةِ اَشْهُرٍ] من النّساء وأهلهنّ ومن حكّام الشّرع فلايطالبوهم بشيءٍ من المضاجعة والطّلاق [فَاِنْ فٰاؤُا] فى تلك

المدّة بحنث ايمانهم وكفّارتها فلا شيء عليهم [فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ] يغفر مافرط منهم بعد الكفّارة [رَحِيمٌ] يرحمهم بترخيص المراجعة بعد الحلف [وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ] لطلاقهم [عَلِيمٌ] بنيّاتهم واراداتهم من انّها افساد اواصلاح .

اعلم انّه تعالى كرّر ههنا ذكر الجلالة بأوصاف مختلفة في اربعة مواضع ؛ والوجه العامّ كمامرّ اقتضاء محبّة المخاطب والتذاذه تكرار ذكر المحبوب واقتضاء محبّة المتكلّم للمخاطب تطويل الكلام بالبسط والتّكرار واختلاف الاوصاف انّما هو باقتضاء خصوصيّة المقام ، فانّ النهى عن جعله تعالى عرضة للايمان يقتضى التّهديد بانّه تعالى يسمع كلّما ينطق به الانسان ومن جملتها كثرة الايمان وابتذال اسم الله يجعله مقدّمة لهوى النّفس ويعلم مافى الجنان من الحقّ والباطل والكذب والصدق ومقام الامتنان بترك المؤاخذة باللّغو فى الايمان ، والمؤاخذة على ماكسبت القلوب تقتضى ذكر المغفرة بالنّسبة الى ترك المؤاخذة والحلم بالنّسبة الى المؤاخذة وترك العجلة والفيء بعد النّظر الى مساوى المرأة والغضب عليها والحلف على اضرارها الى الاحسان اليها ، وغضّ البصر عن ذنوبها يقتضى ذكر مغفرة الله ورحمته تعالى وعزم الطّلاق ببقاء الغضب عليها والنّظر الى ذنوبها ، والتّفوّة بصيغة الطّلاق يقتضى ذكر السّماع والعلم بنيّة المطلّق وغضبه والعلم بمساويه لعلّه يتنبّه ويغفر طلباً لغفران الله ونسب الى الصّادقين (ع) انّهما قالا : اذا الى الرّجل ان لايقرب امرأتة فليس لها قول ولاحقّ فى الاربعة أشهر ولا اثم عليه فى كفّه عنها فى الاربعة أشهر فان مضت الاربعة اشهر قبل ان يمسّها فسكتت ورضيت فهوفى حلٍّ وسعةٍ وان رفعت امرها قيل له امّا ان تفيءَ فتمسّها ، وامّا ان تطلّق وعزم الطّلاق ان يخلّى عنها فاذا حاضت وطهرت طلّقها و هو أحقّ برجعتها ما لم تمض ثلاثة قروء فهذا الايلاء أنزل الله تبارك و تعالى فى كتابه وسنّته [وَالْمُطَلَّقَاتُ] لمّا انجرّ الكلام الى ذكر الطّلاق ذكر تعالى بعض أحكامه و لفظ المطلّقات يشمل جميع اقسام الطّلاق وجميع المطلّقات المدخول بهنّ يائسات وغيريائسات حاملات وغيرحاملات ذوات اقراءٍ وغير ذوات الاقراءٍ وهنّ فى سنّ ذوات الاقراء ، والغير المدخول بهنّ لكنّ المراد ذوات الاقراء المدخول بهنّ الغير الحوامل فالآية مثل سائر الآيات من المجملات المحتاجة الى البيان [يَتَرَبَّصْنَ] اخبار فى معنى الامر واشعار بانّ هذا ديدنهنّ لاحاجة لهنّ الى الامر به ولا يمكنهنّ غيره و المقصود التّأكيد فى التّربّص [بِأَنْفُسِهِنَّ] الباء للتّعدية اى يحملن انفسهنّ على انتظار رجوع الازواج اوللسببيّة مثل ضرب الاميربنفسه يعنى[1] لابواسطة غلامه فانّه ليس للدّلالة على وساطة النّفس بل على نفى وساطة الغير وكلاهما يدّلان على المبالغة وانّ النّساء كان انفسهنّ لاتطيعهنّ فى التّربّص اولفظ الباء مثله فى قولهم ربص بفلان وتربّص به خيراً اوشرّاً يعنى انتظر الخيراوالشرّ له فهوللالصاق كأنّ التّربّص من المتربّص ملصق بالمتربّص به والمعنى انّ المطلّقات يتربّصن رجوع ازواجهنّ [ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ] القرء من الاضداد للطّهر والحيض والمشهور من الاخبار والفتوى انّ المراد به ههنا الطّهر [وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ] يعنى انهنّ مصدّقات فى كونهنّ طاهرات و فى انقضاء العدّة وفى الحمل وعدمه ولايحلّ لهنّ ان يكتمن مافى ارحامهنّ من الدّم والحمل لتعجيل العدّة او لتعجيل الطّلاق او لعدم ردّ الولد على والده [إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] شرط تهييج

١- يعنى انهن يحتجن ان يتكلفن ويحملن أنفسهن على التربص بعدم طاعة الانفس اويحتجن لهن ان يعاون بانفسهن لتربص انفسهن وان يتكلفن فى ذلك لعدم طاعة انفسهن للتربص .

[وَبُعُولَتُهُنّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ] بارجاعهنّ الى النّكاح من غير عقد كما بيّن لنا [فِي ذٰلِكَ] الزّمان وامّا بعد ذلك الزّمان يعنى زمان العدّة فالبعولة وغيرهم سواء بحسب الحكم الشّرعىّ وان كانوا بحسب بعض الدّواعى اولى بنكاحهنّ بعقد جديد مثل ان يكون بينهما اولاد صغار لم يكن احد يتكفّل تربيتهم وغير ذلك [إِنْ أَرَادُوا إِصْلاٰحاً] اشارة الى انّ من لم يرد اصلاحاً لم يكن اولى فى نفس الامر ولم يكن له رجوع فى نفس الامر وان كان الحكم كلّياً فى ظاهر الشّرع وكان له الرّجوع ولا يخفى انّ هذه الآية مثل سابقتها مطلقة مجملة و لكنّ المراد المعتدّة بالعدّة الرجعيّة لاالبائنة [وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ] يعنى فى مدّة العدّة كما هوالظّاهر يعنى كما انّ للزوج حقّ الرجوع فى العدّة من غير رضىً منها فلها عليه النفقة والمسكن فى تلك المدّة ، اوالمراد انّ للنّساء حين بقاء الزوجيّة وعدم الطّلاق مثل الحق الّذى عليهنّ من الرّجال فيكون بياناً لحقوق الطرفين فى زمن الزّوجيّة يعنى انّ حقّ الزوج على المرأة ان تطيعه ولاتمنعه من تمتّعاته ولا تخرج من بيتها ولا تدخل فى بيتها احداً ولاتتصرّف فى ماله ولاتتصدّق من بيته ولاتصوم تطوّعاً ولا تزور حيّاً اوميّتاً الّا باذنه ، وتحفظه فى نفسها و ماله كذلك لها عليه ان ينفق عليها و يكسوها ويسكنها ويوفى حقّ قسامتها كلّ ذلك بحسب حالها واستطاعته [بِالْمَعْرُوفِ] بما لم يكن فيه ضرر واضرار يمنعه الشّرع [وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ] بما فضّلهم الله بزيادة العقل وبما كفّلهم الله القيام بامرهنّ ، عن الباقر (ع) انّها جاءت امرأة الى رسول الله (ص) فقالت: يارسول الله ما حقّ الزّوج على المرأة ؟ـ فقال لها ان تطيعه ولاتعصيه ولاتتصدّق من بيته بشيء الّا باذنه ولاتصوم تطوّعاً الّا باذنه ولا تمنعه نفسها وان كانت على ظهر قتب ولا تخرج من بيتها الّا باذنه فان خرجت بغير اذنه لعنتها ملائكة السّماء وملائكة الارض وملائكة الغضب وملائكة الرّحمة حتّى ترجع الى بيتها ، فقالت : يارسول الله من أعظم النّاس حقّاً على الرجل؟ـ قال : والداه ، قالت: فمن أعظم النّاس حقّاً على المرأة؟ـ قال: زوجها قالت: فمالى من الحقّ عليه مثل ماله علىّ؟ـ قال: ولا من كلّ مائة واحد، فقالت: والّذى بعثك بالحقّ نبيّاً لايملك رقبتى رجل ابداً [وَاللّٰهُ عَزِيزٌ] يعنى لاينبغى للرّجال ان يؤاخذوا النّساء بجهالاتهنّ وقصورهنّ فى الافعال بعد ان فضّلهم الله على النّساء فانّ الله عزيز لايمنعه مانع من ارادته ولايؤاخذكم بقصوركم وتقصيركم [حَكِيمٌ] لايجعل فى جبلّة الرجال الفضيلة على النّساء ولا يأمر بقيامهم بأمرهنّ ولافى جبلّتهنّ المحكوميّة الّا لحكم ومصالح فلاتخرج المحكومات عن طريق محكوميتهنّ ولا يتعدّ الحاكمون فى حكومتهم [اَلطَّلاٰقُ مَرَّتٰانِ] هذه العبارة من المتشابهات المحتاجة الى البيان فانّها بظاهرها تدلّ على انّها لاتحلّ للزّوج بعد الطّلقتين اولايجوز طلاقها بعد الطّلقتين بل يجب امساكها اولايقع الطّلاق دفعةً الّا مرّتين ولوقال : زوجتى طالق ثلاثاً اوكرّر الصّيغة ثلاثاً وليس شيءٌ منها مقصوداً والمقصود انّ الطّلاق الجارى على سنّة الطّلاق وهى ان يكون للزّوج رجعة فى العدّة مرّتين [فَإِمْسٰاكٌ بِمَعْرُوفٍ] بعد هما بان لايطلّق ويمسك المرأة بشيء من المعروف لابجهة الاضرار [أَوْ] تطليق [وَتَسْرِيحٌ بِإِحْسٰانٍ] اى متلبّس بشيء من الاحسان وهذا الّذى فسّر الآية فى الاخبار به [وَلاٰ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمّٰا آتَيْتُمُوهُنَّ] من المهر وغيره [شَيْئاً] حقّ العبارة ان يقول: لايحلّ لهم اى لبعولتهنّ المذكورين سابقاً لكن لمّا كان الغالب انّ اخذ المهر او ازيد او اقلّ من النّساء لايكون الّا بمعونة المصلحين

او الحكّام اتى بخطاب الجمع لئلا يتوهّم من ضمير الغائب انّ المراد البعولة فقط و انّ الحرمة خاصّة بهم وليجبر كراهة ترك المهر بلذّة المخاطبة و نسبة الايتاء الى الجميع مع انّ المؤتى الزّوج فقط من باب التّغليب و لانّ الايتاء ايضاً فى الاغلب يكون بمعونة الغير و اصلاحه [إِلَّآ أَنْ يَخَافَا] اى الزّوجان وللاشارة الى انّ المخاطبين الازواج والحكّام والمصلحون لاالنّساء والبعولة ، نسب الخوف الى الزّوجين ههنا بطريق الغيبة ولانّ الاصل فى ظنّ عدم اقامة الحدود الزّوجان وامّا الحكّام والمصلحون فانّهم يظنّون ذلك بعد ماظنّاه [أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ] بالنّشوز من الطّرفين وعدم امتثال الزّوج الامر بالقيام بحقوقها و قسامتها والزّوجة الامر بتحصّنها وتمكينه وحفظه فى غيبته فى نفسها وماله [فَإِنْ خِفْتُمْ] خاطب الجماعة دون الزّوجين لانّ المصلحين والحكّام يظنّون ذلك ايضاً ولانّ خطاب الحرمة كان معهم فخطاب نفى الحرج ينبغى ان يكون معهم [أَلَّا يُقِيمَا] نسب عدم الاقامة ههنا الى الزّوجين بطريق الغيبة بعد نسبة الخوف الى الجماعة بطريق الخطاب اشعاراً بانّ الخوف وان كان يشمل الحكّام والمصلحين تبعاً للازواج لكن اقامة حدود الزوجيّة ليست الّا من الازواج [حُدُودَ اللهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا] حقّ العبارة بعد نسبة عدم الاحلال الى الجماعة و نسبة الخوف اليهم بطريق الخطاب ان يقول : فلاجناح عليكم حتّى ينفى الحرج عمّن نسب عدم الاحلال اليهم لكنّه نفى الحرج عن الزّوجين للاشارة الى انّ المتحرّج بالاصالة هماالزّوجان وحرج غيرهما انّما هوتابع لحرجهما [فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ] الاحكام المذكورة من احكام القصاص ومابعده او ما قبله ومابعده اومن احكام الزوجيّة فقط [حُدُودُ اللهِ] حدود حمى الله [فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] لا ظلم خارجاً من التعدّى فانّ الظّلم الّذى هو منع الحقّ عن المستحقّ و اعطاؤه لغير المستحقّ تجاوز عن حدّ الله كما انّ التّجاوز عن كلّ حدّ منع عن الحقّ واعطاء لغير المستحقّ [فَإِنْ طَلَّقَهَا] هذا ايضاً من المجملات لكنّ المراد ان طلّقها بعد الثانية [فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ] اى بعد الطّلاق الثّالث [حَتّٰى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا] الزّوج الثّانى [فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا] اى على الزّوج الاوّل والزّوجة [أَنْ يَتَرَاجَعَا] بالزّواج [إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ وَ تِلْكَ] الاحكام المذكورة من الحرمة بعد الطّلاق الثّالث وحلّيّتها بعد نكاح الغير لها بشرط ظنّ اقامة الحدود [حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] اى يعدّون من العلماء لامن البهائم وغير العقلاء و تفصيل الطّلاق الموجب للحرمة بعد الثّالثة و شروطه مذكورة فى الكتب الفقهيّة [وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ] اى آخر عدّتهنّ بحيث ماخرجن من العدّة ولذا فسّره المفسّرون بقرب آخر المدّة [فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ] بشيءٍ مايعرفه الشّرع والعقل حسناً يعنى راجعوهنّ وامسكوهنّ بنحو امساك الازواج واداء حقوق الزوجيّة [أَوْسَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ] والتّسريح بالمعروف ان يخلّى سبيلهنّ ولايمنعن عمّا يفعلن فى انفسهنّ ويعطين مايسرّون به [وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً] لمضارّتهنّ اوامساك ضراراومضارّين اومضارّات بان تراجعوهنّ لان تحسبوهنّ ان ينكحن ولاتقوموا بحقوقهنّ [لِتَعْتَدُوا] عليهنّ بمنعهنّ عن نكاح الغير وعن حقوق الزوجيّة

او الجائهنّ الى الافتداء كماهو ديدن اهل الزّمان اذا كرهوا الازواج ، عن الصّادق (ع) انّه سئل عن هذه الآية فقال: الرّجل يطلّق حتّى اذا كادت ان يخلو اجلها راجعها ثمّ طلّقها يفعل ذلك ثلاث مرّات فنهى الله عن ذلك [وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ] فانّ ظلمه للمرأة يضرّ المرأة فى دنياها والاغلب انّه ينفعها فى عقباها لكن هذا الظّالم يضرّ بدنيا نفسه و عقباها ولا ينتفع فى شيءٍ منهما فهو من الاخسرين اعمالاً [وَلَا تَتَّخِذُوا آيٰاتِ اللهِ] احكامه الشّرعيّة القالبيّة وآياته التدوينيّة وآياته الآفاقيّة والانفسيّة و خصوصاً الآيات الكبرى [هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ] النّعمة امّا مصدر بمعنى الانعام اى انعام الله عليكم فعليكم متعلّق بها اواسم مصدر بمعنى ماينعم به والمعنى واذكروا نعمة الله واردة عليكم من الله فالظرف حال وعلى ايّ تقدير فالمعنى لاتنظروا الى الآيات من حيث انفسها حتّى تتّخذوها هزواً واذكروا انعام الله بها عليكم وكونها آيات الله حتّى تشكروا وجودها ، اوالمعنى واذكروا نعم الله عليكم من غير التفات الى النّهى السّابق ومن غير اختصاص للنّعم بالآيات والنّعمة مايوافق الانسان ويريده لاما لايوافقه ويكرهه ، ولمّا كان الانسان ذامراتب وقد يكون مايوافق مرتبة منه منافراً لمرتبة اخرى منه كان تحقيق النّعمة حقيقاً بالبيان فنقول :

تحقيق النّعمة ومراتبها بحسب مراتب الانسان

انّ الانسان بما هوانسان عبارة عن اللّطيفة السيّارة الانسانيّة المتّحدة فى كلّ مرتبة مع تلك المرتبة بوجهٍ والمغايرة لها بحسب الذّات والآثار بوجهٍ ،فانّ كلّ مرتبة منه محدودة بحدود خاصّة موقوفة على تعيّن خاصّ بخلاف تلك اللّطيفة فانّها غير محدودة وغير واقفة على شأن من الشّؤن ، بل لها السّير الى مالانهاية له من الولاية المطلقة فموافقات المراتب ان كانت موافقة لتلك اللّطيفة كانت نعماً للانسان بما هوانسان والّا كانت نقماً له فجعل الشّهوة فى الرّجل والمرأة وخلق آلات التّناسل بالوضع المخصوص و تقاضى الشّهوة للابوين و تحريكها لهما و تقاربهما و ايصال النّطفة الى المقرّ المخصوص وامتزاج النّطفتين وجعل الرّحم عاشقاً لها حافظاً ايّاها ممسكاً لها ، وجعل الدّم فى الرّحم غذاءً لها وتوجّه نفس الامّ الى حفظها وتربيتها وايصال الغذاء اليها وجعله سبباً لنمّوها نعم من الله على الانسان ؛ وهكذا جميع ما ينفعه ويلزمه الى او ان البلوغ وبعد البلوغ كلّما يعينه فى سيره الى الله من القرناء والنّاصحين والانبياء والزّاجرين و بالجملة كلّما ينفعه فى سيره الى الله سواء كان نافعاً فى مقام بشريّته او غير نافع ، وسواء عدّ نعمة اونقمة نعم من الله تعالى عليه فتوفير الاموال وتصحيح الانفس وانذار الانبياء وتبشير الاولياء(ع) نعمة من الله تعالى كما انّ الابتلاء فى الاموال والانفس و زجر الاشقياء واذاهم للمؤمنين كان نعمة منه تعالى ولذا قال تعالى : لتبلوُن فى أموالكم و أنفسكم ولتسمعنّ من الّذين او توا الكتاب من قبلكم و من الّذين اشركوا اذىً كثيراً ، وان تصبروا و تتّقوا فانّ ذلك من عزم الامور بطريق التّوكيد والقسم، فموسى (ع) ودعوته ولطفه كانت نعمة كما انّ فرعون وقهره وشدّته كانت ايضاً نعمة للمؤمنين ، ونعم ماقال المولويّ قدّس سرّه مشيراً الى انّ اللطف والقهر كليهما نعمة للمؤمنين :

چونكه بى رنگى اسير رنگ شد	موسيئى با موسيئى در جنگ شد
چون بيرنگى رسى كان داشتى	موسى و فرعون دارند آشتى
يا نه جنگست اين براى حكمتست	همچو جنگ خرفروشان صنعت است
يا نه اينست و نه آن حيرانى است	گنج بايد گنج در ويرانى است

فكلّما اعان الانسان بحسب التّكوين اوبحسب التّكليف على السّير الى مقامه الّذى هو الولاية المطلقة الّتى لاحدّ لها كان نعمة له ، و اذا وصل الانسان الى ذلك المقام تمّ النّعمة عليه بل صار بنفسه نعمة تامّة فانّ الولاية هى النّعمة لاغير الولاية ، وماكان متّصلاً بالولاية بان كان ناشئاً منها اوراجعاً اليها كان نعمة بسبب اتّصاله بها ، وما لم يكن كذلك لم يكن نعمة كائناً ماكان ، والمراد بالنّعمة ههنا امّا نعمة الآيات اومطلق مايعين الانسان فى انسانيّته فيكون قوله تعالى : [وَمٰا اَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتٰابِ وَالْحِكْمَةِ] من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ او خصوص الانبياء و الاولياء فيكون قوله : و ما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من قبيل عطف المغاير والمراد بالكتاب النّبوّة والرّسالة واحكامهما والكتاب التّدوينىّ من آثارهما وبالحكمة الولاية وآثارها [يَعِظُكُمْ بِهِ] مستأنفٌ جواب لسؤال عن حال ما انزل او عن علّة النّزول او حال عن ما او عن فاعل انزل [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] اى سخطه فى الغفلة عن حيثيّة النّعمة وفى عدم الاتّعاظ [وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ] فيعلم استهزاءكم وغفلتكم واتّعاظكم وعدمها وعدو وعيد ، ولمّا كان النّفوس ضنينة بتخلية النّساء بعد الطّلاق وانقضاء العدّة وبتزويجهنّ قدّم النّهى عن الاستهزاء بالاحكام وعدم الاعتداد بها والامر بتذكّر النّعم وأحكام الشّريعه و حكمها و مصالحها حتّى يكون معيناً على امتثال الاوامر والنّواهى ثمّ عقّبه بالامر بالتّقوى والوعد و الايعاد بذكر احاطة علمه بالجليل و الحقير ثمّ قال : [وَاِذٰا طَلَّقْتُمُ النِّسٰاءَ فَبَلَغْنَ اَجَلَهُنَّ] اى وصلن الى آخر العدّة من غير انقضاء لها اوبلغن اخرها بحيث انقضت العدّة [فَلاٰ تَعْضُلُوهُنَّ] اى لاتمنعوهنّ ايّها الازواج [اَنْ يَنْكِحْنَ اَزْوٰاجَهُنَّ] الّذين خطبوهنّ وكانوا غيركم او لاتعضلوا ايّها الاولياء على ان يكون الخطاب الثّانى غير الاوّل ، او على ان يكون الخطاب الاوّل للاولياء أيضاً باعتبار انّهم كانوا معينين للطّلاق ان ينكحن ازواجهنّ الّذين كانوا ازواجهم قبل الطّلاق [اِذٰا تَرٰاضَوْا] اى الخطّاب والنّساء اوالازواج السّابقة والنّساء [بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذٰلِكَ] المذكور من الاحكام والآيات السّابقة المذكورة جملةً اومن منع عضل النّساء [يُوعَظُ بِهِ مَنْ كٰانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] فانّ من لم يذعن بالله حالاً ولا باليوم الآخر كانت الآيات فى الوعد والوعيد اسماراً له [ذٰلِكُمْ] اتى بأداة خطاب الجمع ههنا بخلاف سابقه لكون الحكم متوجّهاً ههنا الى جميع المخاطبين بخلاف السّابق يعنى انّ تخلية النّساء وعدم منعهنّ عن الازواج كان خاصّاً بالازواج اوالاولياء اوكان الخطاب خاصّاً بمحمّد(ص) [اَزْكىٰ لَكُمْ] من الزّكوة بمعنى النّمو والتنعّم اوالصّلاح [وَاَطْهَرُ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ]ماينفعكم ممّا يضرّكم ولذا يأمركم بما تكرهونه وينهاكم عمّا تحبّونه لنفع ذلك ومضرّة هذا [وَاَنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ] ولذا تحبّون الضارّ وتكرهون النّافع [وَالْوٰالِدٰاتُ يُرْضِعْنَ اَوْلاٰدَهُنَّ] بعد ذكر النّكاح وذكر انّ النّساء حرث للولد وانجراره الى ذكر الطّلاق ذكر تعالى الاولاد وكيفيّة ارضاع الوالدات والجملة خبرٌ فى معنى الأمر اواخبارٌ عن مدّة الارضاع واشعارٌ بعدم وجوب الارضاع عليهنّ فكأنّه تعالى قال: والوالدات ان اردن ان يرضعن اولادهنّ يرضعنهم [حَوْلَيْنِ كٰامِلَيْنِ] التّأكيد به لانّ كثيراً مايتسامح فيقال: حولين لحول كامل وجزءٍ من الحول الثّانى ، روى انّها لاتجبر الحرّة على ارضاع الولد وتجبر

امّ الولد ، وروى انّه ليس للصبيّ لبن خيرٌ من لبن امّه [لِمَنْ اَرٰادَ اَنْ يُتِمَّ الرَّضٰاعَةَ] يعنى هذا الحكم لمن اراد من النّساء اوالرّجال ان يتمّ الرضاعة والّا جاز الاقتصار على اقلّ من ذلك اويرضعن للآباء الّذين ارادوا ان يتموّا الرضاعة [وَعَلَى الْمَوْلُودِلَهُ] اى الاباء والتأدية بهذه العبارة للاشارة الى انّ الاولاد للآباء ولاشركة للامّهات فيهم وللاشارة الى علّة الحكم [رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ] بالنّسبة الى المعطى بان لايكون بنحو يضرّه وبالنّسبة الى المنفق عليها بان لايكون غيرموافق لما يقتضيه شأن امثالها ، ظاهر الآية وجوب الارضاع على الامّهات كنّ فى بيوت الآباء اولاً ، ووجوب الانفاق على الآباء كنّ فى بيوتهم او فى بيوت ازواج غيرهم ولكنّ الاخبار والفتاوى غير ذلك [لاٰتُكَلَّفُ نَفْسٌ اِلاّٰ وُسْعَهٰا] قدفسّر الوسع بالجدّة وبالطّاقة لكنّ المراد به فى القرآن كلّما استعمل هو ما تسعه النّفس سواء كان من الاموال اومن الافعال فهواسم مصدر بمعنى ما تسعه النّفس اى مال يسعه مال النّفس بمعنى انّه لايظهر بالانفاق النّقصان فيه اوفعل تسعه النّفس بمعنى انّه لايظهر على النّفس منه كلفة فوسع النّفس دون طاقتها فى الفعال ، ودون التضرّر به فى الاموال ، و هو تعليل للتّقييد بالمعروف كما انّ قوله تعالىٰ [لاٰتُضٰارَّ وٰالِدَةٌ بِوَلَدِهٰا] بدل تفصيليّ من قوله لا تكلّف نفس الّا وسعها على قراءة رفع لاتضارّ وامّا على قراءة فتحها فهى منقطعة عمّا قبلها مستأنفة [وَلاٰمَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ] و يجوز جعل لاتضارّ مبنيّاً للفاعل ومبنيّاً للمفعول ولافرق فيهما بحسب المعنى، والمضارّة بالولد اعمّ من التمانع عن حقوق الزوجيّة خوفاً على الولد ، اوالتقتير فى الانفاق عليها بحسب ماله اوبحسب حالها ، والاجحاف فى ماله كذلك ، اومنعها من ارضاع الولد مع ميلها ذلك، اواباتها عنه مع ان لم يوجد بدلها، اولم يألف الولد بغيرها، عن الصّادق (ع) : اذا طلّق الرّجل المرأة وهى حبلى أنفق عليها حتّى تضع حملها فاذا وضعته اعطاها اجرها ولايضارّها الّا ان يجد من هو أرخص اجراً منها فان هى رضيت بذلك الاجر فهى احقّ بابنها حتّى تفطمه [وَعَلَى الْوٰارِثِ مِثْلُ ذٰلِكَ] وهذا من المجملات المحتاجة الى البيان يعنى على وارث المولود له الانفاق والكسوة للمرضعة بعد موت المولود له لكن بقدر اجرة الرّضاع من مال الولد ان كان له ارثٌ [فَاِنْ اَرٰادٰا فِصٰالاً] اى قبل الحولين و الّا فبعد الحولين لاحاجة الى التّقييد بقوله تعالى [عَنْ تَرٰاضٍ مِنْهُمٰا] يستفاد من هذا القيد انّ رضى الامّ شرط فى فطام الولد وهو كذلك قبل الحولين لانّ لها الحضانة فى الحولين وهى تقتضى ان يكون الفطام قبلهما برضاها [وَتَشٰاوُرٍ] منهما طلباً لماهو صلاح الولد ، والامر بمشورة الامّ ههنا مع كراهة مشورة النّساء لكونها ابصر بحال الولد [فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِمٰا] فى الفطام قبلهما و هذا توسعة فى الرّضاع بعد تحديده بالحولين و التّضييق فيه ، ولمّا قال والوالدات يرضعن اولادهنّ و على المولود له رزقهنّ وكسوتهنّ توهّم من ظاهره وجوب ارضاع الوالدات ووجوب انفاق الآباء فأراد رفع ذلك التّوهّم وانّ هذا أمر غيرواجب الّا بعوارض فقال : [وَاِنْ اَرَدْتُمْ اَنْ تَسْتَرْضِعُوا] تطلبوا من يرضع [اَوْلاٰدَكُمْ] غير الامّهات [فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ] وهذا ايضاً من المجملات فانّه بظاهره يدلّ على جواز الاسترضاع من غير الامّهات مع وجودهنّ و ارضاعهنّ بلا اجرة او باجرة مثل اجرة الغير وكفاية لبنهنّ لهم وليس كذلك لانّه ينافى حضانتهنّ الواجبة على القول به [اِذٰا سَلَّمْتُمْ مٰا آتَيْتُمْ] ما اردتم او ينبغى ايتاؤه المراضع او الامّهات على حسب الشّرط اوعلى حسب امرالله تعالى يعنى انّ للامّهات

حقّاً عليكم من النّفقة والكسوة اذا كنّ ازواجكم ومن التّسريح باحسان اذا كنّ مطلّقات وللمرضعات غير الامّهات حقّاً عليكم بسبب ارضاع اولادكم فاذا آتيتم كلّ ذات حقّ حقّها بحيث يكنّ راضيات منكم فلاجناح عليكم وللاشارة الى استرضائهنّ اضاف قوله تعالى [بِالْمَعْرُوفِ] والاخبار فى انّ المرضعة كيف ينبغى ان تكون وانّ اللّبن يؤثّر فى نفس الرّضيع وانّ لبن الامّهات خير الالبان للاولاد كثيرة [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] تحذير للآباء عن التّعدّى على الامّهات اوالاولاد بسبب اللّجاج اوشحّ النّفوس اوالخطاب للآباء والامّهات جميعاً [وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] فأطيعوه ولاتخالفوا أمره ونهيه ترغيب وتهديد [وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ] توفّى الشّيء اخذه بتمام اجزائه و توفّى الانسان اخذ روحه بتمام فعليّاتها ، واستعمال التّوفّى فى قبض الرّوح للاشعار بأنّه لا يبقى بعد الموت فى الدّنيا من الانسان الّا مادّة قابلة لا مدخليّة لها فى الانسان لا فى حقيقته ولا فى تشخّصه [وَيَذَرُونَ اَزْوٰاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِاَنْفُسِهِنَّ] قد مضى بيان التّربّص بالأنفس عند قوله تعالى والمطلّقات يتربّصن بأنفسهنّ [اَرْبَعَةَ اَشْهُرٍ وَعَشْراً] اى عشرة ايّام لكنّه انّث العشر لتقدير اللّيالى جمع اللّيلة تميزاً .

بيان حكمة عدّة النّساء

اعلم انّ الحكمة فى العدّة ، عدّة اشياء: الاوّل حفظ حرمة المؤمن، والثّانى ترقّب حصول الرّغبة من الطّرفين بمضىّ مدّة لم يتضاجعا و حصول المراجعة و المواصلة بينهما فانّ الطّلاق والفرقة مبغوضان لله ، والوصال والالفة محبوبان له ، والثّالث تبرئة الرّحم من الحمل، والرّابع مراعاة تعلّق قلب المرأة بالزّوج وقطعه فانّها تسكن حرقة المرأة بعد الطّلاق فى ثلاثة اشهر وحرقة المتوفّى عنها زوجها لاتسكن الّا فى اربعة اشهر وعشراً كما فى الخبر، والخامس مراعاة صبر المرأة عن الجماع وطاقتها فانّ المرأة تصبر عنه اربعة اشهر و لذلك تقرّر ذلك فى القسم والايلاء و هذا ايضاً مذكور فى الخبر و قد يتخلّف بعض ذلك فى بعض الموارد فانّ المطلّقة الغير المدخولة والمطلّقة اليائسة لاعدّة لهما ، والامة والمتعة تعتدّ ان فى الطّلاق وفى انقضاء المدّة اوهبتها نصف الحرّة الدّائمة وفى الوفاة كالحرّة الدّائمة على خلاف، وذات الاقراء تعتدّ بالاقراء ، وذات الاشهر بالاشهر بعد التربّص قبل الطّلاق بثلاثة اشهر، وتعتدّ من طلاق الغائب من حين الطّلاق ومن وفاته من حين وصول الخبر، روى عن الباقر (ع) انّه قال: كلّ النّكاح اذا مات الزّوج فعلى المرأة حرّة كانت اوامة وعلى اىّ وجه كان النّكاح منه متعة او تزويجاً اوملك يمين فالعدّة اربعة اشهر و عشراً وقد اشرنا الى انّ فى بعض هذه خلافاً [فَاِذٰا بَلَغْنَ اَجَلَهُنَّ] اى آخر مدّة عدّتهنّ يعنى اذا انقضت العدّة [فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ] ايّها الاولياء اوالازواج اوالاولياء والازواج جميعاً [فِيمٰا فَعَلْنَ فِي اَنْفُسِهِنَّ] من النّكاح واجابة الخطاب والتّعرّض لهم [بِالْمَعْرُوفِ وَاللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] فاحذروا ولا تمنعوا النّساء بعد انقضاء العدّة من التزويج ولمّا علّق تعالى نفى الحرج بسبب الخطبة والنّكاح على انقضاء العدّة توهّم من مفهوم المخالفة انّه قبل انقضاء العدّة يكون الحرج ثابتاً على الرّجال المذكورين ولايكون الّا بسبب اثم النّساء فى التّعرّض للخطاب حينئذٍ واثمهنّ فى ذلك يلزمه اثم الخُطّاب فى ذلك فرفع ذلك التّوهّم بقوله تعالى [وَلاٰجُنٰاحَ عَلَيْكُمْ فِيمٰا عَرَّضْتُمْ] ايّها الخُطّاب [بِهِ] لا فيما صرّحتم به [مِنْ خِطْبَةِ النِّسٰاءِ] واكتفى بنفى الجناح عن الخطّاب عن ذكر انتفاعه عن النّساء والرّجال المذكورين، والتّعريض ان يذكر شيئاً للمرأة ويشير الى ارادة نكاحها بعد انقضاء عدّتها والرّغبة فيها حتّى لاتجيب غيره وتحبس نفسها له [اَوْ اَكْنَنْتُمْ فِي

اَنْفُسِكُمْ] من غير اظهار بألسنتكم لاتصريحاً ولاتلويحاً [عَلِمَ اللهُ اَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ] فأباح لكم التّعريض بخطبتهنّ لاالتّصريح بهافاتّه خلاف حفظ حرمة المؤمن [وَلٰكِنْ لاتُواعِدُوهُنَّ سِرّاً] استدراك عن محذوف مستفاد من قوله علم الله أنّكم ستذكرونهنّ اى فاذكروهنّ ولكن لاتواعدوهنّ سرّاً اى فى مكان خال اومواعدة مكان خال ، اوهو بنفسه مفعول مطلق نوعىّ من غير لفظ الفعل فانّ الخلوة مع الاجنبيّة المرغوبة تدعو الى ما لا يرضيه الشّرع ، اولاتواعدوهنّ جماعاً وفعلاً يستتربه فانّه كثيراً ما يكنّى عن الجماع وما يستقبح بالسرّ اى لاتواعدوهنّ المضاجعة والملاعبة، اولاتواعدوهنّ العقد قبل انقضاء العدّة، اوكثرة المضاجعة معهنّ بعد النّكاح حتّى لايملن الى غيركم بان تصفوا أنفسكم بكثرة المضاجعة ، اولاتواعدوهنّ خلوة بان تقول قبل انقضاء العدّة للمرأة الّتى تريد نكاحها: موعدك بيت آل فلان وقد أشير اشارة ماالى الكلّ فى الاخبار [اِلّاٰ اَنْ تَقُولُوا] استثناء متّصل فى كلام تامّ بدل من السرّ اواستثناء مفرّغ اى لاتواعدوهنّ سرّاً بشيء اولشيء اوفى حال اومواعدة شيء الّا ان تقولوا [قَوْلاً مَعْرُوفاً] من التّعريض المرخّص فيه [وَلاٰتَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكاٰحِ] اى عقده والفرق بينهما كالفرق بين المصدر واسمه، والنّهى عن العزم عليها مبالغة فى النّهى عنها [حَتّٰى يَبْلُغَ الْكِتاٰبُ] اى المفروض من العدّة [اَجَلَهُ وَاعْلَمُوا اَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ماٰفى اَنْفُسِكُمْ] من العزم على العقد اوالرّفث اوالفسوق [فَاحْذَرُوهُ] اى الله، اومافى أنفسكم من العزم المذكور، اووعد السرّ [وَاعْلَمُوا اَنَّ اللهَ غَفُورٌ] يغفر مافى نفوسكم اذا لم تفعلوا [حَليمٌ] لايعاجل عقوبة من برتكب ما نهى عنه فلاتغترّوا بعدم المؤاخذة سريعاً [لاٰجُناٰحَ عَلَيْكُمْ] استينافٌ جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل بعد ذكر الطّلاق و ذكر احكام المطلّقات: ماللمطلّقة على المطلّق؟ـ فقال تعالى: لاتبعة عليكم من المهر وغيره [اِنْ طَلَّقْتُمُ النِّساٰءَ ماٰ لَمْ تَمَسُّوهُنَّ] كناية عن الجماع [اَوْ تَفْرِضُوا] الّا ان تفرضوا اوحتّى تفرضوا، اولفظة او بمعنى الواو [لَهُنَّ فَريضَةً] فعيل بمعنى المفعول والتّاء للنقل اومصدر فذكر تعالى حكم المطلّقات بالمنطوق والمفهوم تفصيلاً واجمالاً من حيث المهر فنفى الحرج و غرامة المهر عمّن طلّق زوجته الغير الممسوسة و الغير المفروض لها بمنطوق الآية و اثبت غرامة ما لمن طلّق الممسوسة اوالمفروض لها والمفروض لها الغير المدخول بها لها نصف مافرض لها كماسيأتى، والممسوسة الغير المفروض لها ، لها مهر امثالها والممسوسة المفروض لها لها ما فرض لها [وَمَتِّعُوهُنَّ] اى فطلّقوهن ومتّعوهنّ استحباباً او وجوباً [عَلَى الْمُوسِعِ] اى الّذى كان ذاسعة فى ماله فانّ همزة الافعال فى مثله للصيرورة [قَدَرُهُ] ما يقدر عليه و يطيقه ، او ما يقدّر على حسب سعته [وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ] و يستفاد من الاخبار انّ مناط تقدير المتعة ليس حال المطلّق فقط بل ينظر الى حال المطلّق وشأن المطلّقة ويقدّر المتعة بحسب حالهما جميعاً فانّ تمتيع الّتى لها حسبٌ و نسبٌ و شرفٌ ليس كتمتيع من ليس لها ذلك و ان كان المطلّق واحداً [مَتاٰعاً] مصدر من غير لفظ الفعل او مفعول به اى تمتيعاً [بِالْمَعْرُوفِ] على الاوّل ، او جنساً متلبّساً بالمعروف على الثّانى ، او يكون الظّرف حينئذٍ متعلّقاً بقوله متّعوهن و التّقييد بالمعروف يدلّ على مراعاة حال الطّرفين [حَقّاً] صفة متاعاً او مصدر مؤكّد لغيره [عَلَى الْمُحْسِنينَ] اى لمريدى الاحسان الى النّاس ، و مطلّقاتهم اولى باحسانهم اوعلى من ديدنهم الاحسان الى النّاس ، او على المحسنين فى فعالهم واتى بهذا الاسم الظّاهر مع انّ

حقّ العبارة ان يقول حقّاً عليكم ترغيباً لهم فى التّمتيع ، اوالمقصود انّه حقّ على المحسنين منكم وانّه شأنهم فينبغى لكم ان تطلبوا هذا الشّأن ولاتحديد فى الاخبار لمتعة المطلّقة المذكورة كما فى الآية و فى بعض الاخبار ذكروجوبها، وقيل: يقدّربقدرنصف مهر امثالها [وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً] فعليكم [نِصْفُ مٰافَرَضْتُمْ] وهذا بيان لاحد شقوق مفهوم المخالفة من الآية السّابقة وبقى شقّ طلاقهنّ بعد المسيس مع الفرض وحكمه ظاهر فانّه بالعقد يثبت الفريضة وبفرض والمسقط للنّصف هو الطّلاق قبل المسيس وقدفرض الطّلاق بعدالمسيس وشقّ طلاقهنّ بعدالمسيس مع عدم الفرض [إِلّآ اَنْ يَعْفُونَ] اى المطلّقات عن النّصف الّذى هو حقّهنّ [اَوْيَعْفُوَالَّذى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكٰاحِ] اى الاب او الجدّ او الوكيل المطلق لهنّ، اوالوكيل فى امرنكاحهنّ وطلاقهنّ، اوالمراد من الّذى بيده عقدة النّكاح الازواج والمعنى الّا ان يعفو الازواج عن النّصف الّذى كان حقّ النّساء وصار بالطّلاق قبل المسيس حقّاً لهم وقد أشيرفى الاخبار الى الكلّ ويؤيّدالمعنى الاخير قوله تعالى [وَاَنْ تَعْفُوا] خطاباً للازواج بظاهره، ويحتمل ان يكون خطاباً للمطلّقين والمطلّقات تغليباً، اوالأولياء النّكاح، اوللجميع [اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى] عن الظّلم فانّ مطالبة الحقّ الثّابت قلّما تنفكّ عن انكسارٍ مالقلب المطلوب منه [وَلاٰتَنْسَوُا الْفَضْلَ] اى الفضل الّذى أنعم الله به على بعضكم فيكون خطاباً للازواج فانّهم فضّلهم الله على النّساء ، ومعنى عدم نسيان الفضل تذكّر الفضل الّذى فضّلهم به على النّساء حتّى يكون ذلك التذكّر داعياً لهم الى العفو فانّ ذا الفضل اولى بالعفو والاعطاء ، اوالمعنى لاتنسوا تحصيل الفضل دائراً [بَيْنَكُمْ] فانّ العفو والاعطاء سبب لحصول الفضل و زيادة الدّرجات فليكن كلّ من الازواج والنّساء والاولياء متذكّراً للفضل طالباً له فالآية ترغيب فى العفو للازواج فقط على المعنى الاوّل وللجميع على المعنى الثّانى ، روى عن علىّ(ع) انّه قال: سيأتى على النّاس زمان عضوض يعضّ المؤمن على ما فى يده ولم يؤمربذلك قال الله تعالى : ولاتنسوا الفضل بينكم [اِنَّ اللّٰهَ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] فما يفوتكم بالعفو لايفوته فيجازيكم بعشرة امثاله الى سبعمائة الف .

[حٰافِظُوا] ابتداء كلامٍ للتّرغيب فى الصّلوة والتّوجّه الى الله بعد ذكر النّساء واحكامهنّ والطّلاق و احكامه كأنّه قال : هذه احكام الكثرات لكن لا ينبغى لكم الغفلة عن جهة الوحدة والتّوجّه الى الله فواظبوا [عَلَى الصَّلَوٰاتِ] بالمحافظة على مواقيتها وحدودها و أركانها و قد مضى فى اوّل السّورة بيان للصّلوة ومراتبها وانّها ذات مراتب كمراتب الانسان والصّلوات القالبيّة لكون كلّ فى عرض الاخرى لافى طولها الاتفاضل بينها و انّ مراتب الصّلوة الطوليّة كلّ عالية منها محيطة بالدانية و مقوّمة لها و حكمها بالنّسبة الى دانيتها حكم الرّوح بالنّسبة الى الجسد وهى متوسّطة معتدلة كما انّ الرّوح بالنّسبة الى الجسد متوسّطة معتدلة فقوله تعالى:

بيان الصّلوة الوسطى

[وَالصَّلوٰةِ الْوُسْطٰى] اى الفضلى اوالمتوسّطة اوالمعتدلة اشارة الى المراتب العالية من الصّلوات لاالى شيءٍ من الصّلوات العرضيّة ، وتفسيرها بصلوة الظّهر كما فى الاخبار الواردة من طريق الشّيعة لكونها مظهراً للصّلوة الوسطى بوجهٍ كما انّ ليلة القدر والاسم الاعظم عبارة عن ليلة هى روح بالنّسبة الى اللّيالى العرضيّة وعن اسم كذلك وقد فسّروهما بشيءٍ من اللّيالى

والاسماء العرضيّة لكونهما مظهرين لهما مظهريّة خاصّة غير المظهريّة العامّة المشترك فيها جميع اللّيالى والاسماء وقد فسّروها بصلوة العصر او المغرب او العشاء او الصّبح ، وقد نقل انّها مختفية فى الصّلوات الخمس لم يعيّنها الله وأخفاها فى جملة الخمس ليحافظوا على جميعها كما انّه اختفى ليلة القدر فى ليالى شهر رمضان اوفى ليالى السّنة والاسم الاعظم فى جميع الاسماء ، وساعة الاستجابة فى ساعات يوم الجمعة [وَقُومُوا] فى الصّلوة [لِلّٰهِ قانِتِينَ] اى داعين بوضع قنوت الصّلوة او خاشعين او طائعين او ساكتين عن هواجس النّفس او عن كلام غير ذكر الله اوقوموا اى اعتدلوا لله اوقوموا بامور الكثرات واكفوا مهمّات اهليكم، ولفظ لله امّا متعلّق بقوموا اوبقانتين وكان التّقديم للحصر والاهتمام [فَإِنْ خِفْتُمْ] من عدوّ ولصّ وسبع [فَ] حافظوا عليها [رِجالاً] جمع راجل اورجيل اورجلان او رجل بكسر الجيم اوضمّه يعنى لا يلزم القيام والتّوقّف فى الصّلوة وقت الخوف [أَوْ رُكْباناً] جمع راكب ولا اختصاص له بركوب الجمل وغيره وعن الصّادق(ع) انّه قال : اذا خاف من سبعٍ اولصٍّ يكبّر ويومى ايماء [فَإِذا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللّٰهَ] فصلّوا ، اوالمراد مطلق الذّكر ، اوالمراد الذّكر القلبىّ الّذى هوصلوة الصّدر [كَما عَلَّمَكُمْ] ذكراً يكون مثل تعليمه ايّاكم يعنى يوازى تعليمه ايّاكم ، اوكذكر علّمكم بلسان خلفائه ، اوكالذّكر الّذى علّمكم بلسان خلفائه على ان يكون ما مصدريّةً اوموصوفةً اوموصولةً وعلى الاخيرين فقوله تعالى [ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ] يكون بدلا [وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ] اى يظنّون التّوفّى بظهور آثاره اويعلمون التّوفّى فى المستقبل [مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً] قرء بالنّصب بتقدير يوصون خبراً للّذين و بالرّفع بتقدير عليهم وصيّة [لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً] مصدر لمحذوف جواب لسؤالٍ مقدّر كأنّه قيل : مايفعلون بالوصيّة فقال: يمتّعون ازواجهم متاعاً [إِلَى الْحَوْلِ] اوبدل عن وصيّة نحو بدل الاشتمال، اومنصوب بنزع الخافض اى يوصون وصيّة بمتاع [غَيْرَ إِخْراجٍ] بدل نحو بدل البعض من الكلّ ، اوحال عن الازواج مؤوّلاً باسم المفعول ، اوعن فاعل يذرون مؤوّلا باسم الفاعل ، وقيل فى اعراب اجزاء الآية اشياء اُخر اجودها ماذكرنا ، وفى الاخبار: انّ الآية منسوخة بآية عدّة الوفاة وآية ميراثهنّ فانّه كان الحكم فى اوّل الاسلام ان ينفق الوارث على المرأة الى الحول ثمّ تخرج من غير ميراثٍ؛ فنسختها بكلا حكميها آية العدّة وآية ميراثهنّ ؛ وان كانت آية العدّة متقدّمة فى النظم فانّها كانت متأخّرةً فى النّزول [فَإِنْ خَرَجْنَ] من منازل الازواج يعنى بعد الحول على ان يكون الحكم بعدم الاخراج فى الحول واجباً اوقبل الحول على ان يكون غير واجب [فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ] ايّها الورّاث اوالخطّاب لاولياء النّساء اوللحكّام [فِيما فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ] كالتّزيين والتعرّض للخطّاب واجابة خطبتهم والنّكاح لهم [وَاللّٰهُ عَزِيزٌ] لا يمنع ممّا يريد فاحذروا انتقامه فى مخالفته واحذروا الظّلم على من تحت ايديكم [حَكِيمٌ] لا يأمر ولا ينهى الّا بما فيه صلاحكم [وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ] تعميم بُعد تخصيصٍ وبيان حكم ندب بعد الحكم الفرض فانّ حكم التّمتيع فيماسبق كان للمطلّقات الغير الممسوسات الغير المفروض لهنّ ، وفى الخبر : متعة النّساء واجبة دخل اولم يدخل ؛ وتمتّع قبل ان تطلق ؛ وفى بيان هذه الآية عن الصّادق(ع) : متاعها بعد ما تنقضى عدّتها على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ، قال: وكيف يمتّعها وهى فى عدّتها ترجوه ويرجوها ويحدث الله بينهما ما يشاء [حَقّاً] مفعول مطلق مؤكّدٌ لغيره اوحال [عَلَى الْمُتَّقِينَ]

كَذٰلِكَ] التّبيين لاحكام النّساء فى توفّى ازواجهنّ و فى طلاقهنّ [يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ] الثّابتة فى حقّ أنفسكم وفى حقّ مخالطيكم ومخالطاتكم [لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] تصيرون عقلاء اوتدركون بعقولكم كونهاآيات وأحكام لله وتدركون مصالحها وحكمها [أَلَمْ تَرَ] استفهام انكارىّ وكان حقّ العبارة ان يقول الم تذكرلكنّه اتى بالرّؤية الدّالّة على جواز الرّؤية لهم للاشعار بأنّهم وان كانوا قد مضوا ولايراهم المقيّدون بالزّمان لكنّهم بالنّسبة اليه (ص) حاضرون فانّ الازمان بالنّسبة اليه (ص) منطوية ولا فرق عنده (ص) بين الماضى والمستقبل والحال لكونه (ص) محيطاً بالزّمان والزّمانيّات [إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ] قولاً مناسباً لشأنه لابنداء يُسمع ولابصوت يُقرع بل بارادة هى ظهورفعله [لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ] روى انّ هؤلاء كانوا اهل مدينة من مدائن الشّام وكانوا سبعين الف بيت وكان الطّاعون يقع فيهم فى كلّ او ان فكانوا اذا أحسّوا به خرج من المدينة الاغنياء اقوتهم و بقى فيها الفقراء لضعفهم فكان الموت يكثر فى الّذين اقاموا ويقلّ فى الّذين خرجوا، فيقول الّذين خرجوا: لو كنّا اقمنا لكثر فينا الموت، ويقول الّذين اقاموا: لو كنّا خرجنا لقلّ فينا الموت ، قال : فاجتمع رأيهم جميعاً انّه اذا وقع الطّاعون وأحسّوا به خرجوا كلّهم من المدينة فلمّا أحسّوا بالطّاعون خرجوا جميعاً و تنحّوا عن الطّاعون حذر الموت فسافروا فى البلاد ماشاءالله ثمّ انّهم مرّوا بمدينة خربة قد جلا اهلها عنها وأفناهم الطّاعون فنزلوا بها ، فلمّا حطّوا رحالهم واطمأنّوا قال لهم الله: موتوا جميعاً فماتوا من ساعتهم وصاروا رميماً يلوح وكانوا على طريق المارّة فكنستهم المارّة فنحوّهم وجمعوهم فى موضع فمرّبهم نبىّ من انبياء بنى اسرائيل يقال له حزقيل فلمّا رأى تلك العظام بكى واستعبر و قال : يا ربّ لوشئت لأحييتهم السّاعة كما أمتّهم فعمروا بلادك وولدوا عبادك وعبدوك مع من يعبدك من خلقك، فأوحى الله اليه افتحبّ ذلك؟ـ قال: نعم يارب ؛ فأحياهم الله ، قال: فأوحى الله عزّوجلّ ان قل كذا وكذا ؛ فقال الّذى أمره الله عزّوجلّ ان يقوله قال ، قال ابو عبدالله (ع): وهو الاسم الاعظم ؛ فلمّا قال حزقيل ذلك نظر الى العظام يطير بعضها الى بعض فعادوا احياء ينظر بعضهم الى بعض يسبّحون الله عزّوجلّ ويكبّرونه ويهلّلونه ، فقال حزقيل عند ذلك: اشهد انّ الله على كلّ شيء قدير ، و ذكر فى نيروز الفرس انّ النّبىّ (ع) أمره الله ان صبّ الماء عليهم فصبّ عليهم الماء فى هذا اليوم فصار صبّ الماء فى يوم النّيروز سنّة ماضية لايعرف سببها الّا الرّاسخون فى العلم ، و روى انّ الله ردّهم الى الدّنيا حتّى سكنوا الدّور و اكلوا الطّعام ونكحوا النّساء و مكثوا بذلك ماشاءالله ثمّ ماتوا بآجالهم [إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ] تعليل للاحياء بعد الاماتة اولمجموع الاماتة والاحياء بعدها اى أماتهم ثمّ أحياهم ليستكملوا بذلك لانّ الله ذوفضل على النّاس اوليعتبر غيرهم بهم لانّ الله ذوفضل على النّاس فيجعل بعضهم عبرة للآخرين [وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ] فضله عليهم فلاينظرون الى انعامه ولا يصرفون نعمته فيما خلقت لاجله [وَقَاتِلُوا] عطف على مقدّر مستفاد ممّا سبق كأنّه قال: فلاتحذروا الموت وكلوا أمركم الى القدر فانّه لا ينجى الحذر من القدر و قاتلوا [فِي سَبِيلِ اللهِ] قد مضى بيان سبيل الله وانّ الظّرف لغو اومستقرّ والظرفيّة حقيقيّة اومجازيّة وانّ المعنى قاتلوا حال كونكم فى سبيل الله اوفى حفظ سبيل الله واعلانه وانّ سبيل الله الحقيقىّ هو الولاية وطريق القلب وكلّ عمل يكون معيناً على ذلك اوصادراً منه فهو سبيل الله [وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ] لما يقوله المجاهدون والقاعدون والمثبّطون والمرغّبون [عَلِيمٌ] بالمتخلّف

ونيّته والمجاهد ومراده؛ ترغيب وتهديد ووعدو وعيد.

بيان قرض الله و تحقيقه

[مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً] القرض ماتعطيه لتقاضاه ، وأقرضه أعطاه قرضاً ، والاقراض لايكون الّا ممّا كان مملوكاً للمقرض فلو كان شيء عارية ووديعة عند الشّخص فان ردّه الى صاحبه لم يكن ذلك الردّ قرضاً وان اعطاه غيرصاحبه كان حراماً و تصرّفاً غصبيّاً لااقراضاً ، و ما للانسان من الاموال العرضيّة الدّنيويّة و القوى النباتيّة و الحيوانيّة و الآلات والاعضاء الجسمانيّة والمدارك والشّؤن الانسانيّة كلّها ممّا أعارها الله ايّاه فان ردّ شيئاً منها الى الله كان ذلك ردّ العارية الى صاحبها لا اقراضاً وان أعطى شيئاً منها غير صاحبها كان حراماً وتصرّفاً فی مال الغير من دون اذن صاحبه ، والله تعالى من كمال تلطّفه بعباده ورحمته عليهم يستقرض منهم ماأعاره ايّاهم ليشيربمادّة القرض الى اعطاء العوض ولااختصاص لمااستقرضه الله بالمال الدّنيوىّ بل يجرى فی جميع ماللانسان بحسب نشأته الدّنيويّة والاخرويّة من الاموال والقوى والاعضاء؛ ونعم ماقال المولوى قدّس سرّه فی بيان عموم ما استقرضه الله تعالى :

تن چو بابرگ است روز و شب از آن	شاخ جان در برگ ريز است و خزان
برگ تن بی برگی جانست زود	زين بايد كاستن وانرا فزود
أقرضوا الله قرض ده زين برگ تن	تا برويد در عوض در دل چمن
قرض ده كم كن ازين لقمه تنت	تا نمايد وجه لاعينٌ رأت
تن ز سرگين خويش چون خالی كند	پر ز گوهر های اجلالی كند
قرض ده زين دولتت در اقرضوا	تا كه صد دولت ببينی پيش رو

وحسن الاقراض ان لا يطلب به عوضاً ولو كان قربه تعالى [فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً] الاضعاف جمع الضعف بكسر الضّاد واقلّ معناه مثلی مايضاف اليه وأكثره لاحدّ له، وهو مفعول ثان ليضاعفه اوحال اومصدر عددىّ على ان يكون الضعف اسم مصدر ، ويصدق الاضعاف الكثيرة على عشرة امثاله الى ما لايعلمه الّا الله ، وعن الصّادق(ع) انّه قال : لمّا نزلت هذه الآية من جاء بالحسنة فله خير منها قال رسول الله (ص) ربّ زدنی فأنزل الله سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها، فقال رسول الله(ص) : ربّ زدنی فأنزل الله سبحانه: من ذا الّذی يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً كثيرة فعلم رسول الله(ص) انّ الكثير من الله لايحصى وليس له المنتهى، و منه يستفاد انّ كلّ طاعة لله اقراض لله سواء كانت فعلاً او تركاً و هو كذلك فانّ الطاعة ليست الّا بتحريك القوى المحرّكة وامساك القوى الشهويّة والغضبيّة وكسر سورتهما فطاعة الله اقراض من القوى [وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ] جملة حاليّة وترغيب فی الاقراض لانّ المعنى من ذا الّذی يقرض الله فيضاعفه له فأقرضوا ولاتمسكوا خوف الفقر والافناء لانّ الله لاغيره يقبض الرّزق من اقوام ويبسط على اقوام ، اويقبض فی حالٍ ويبسط فی حالٍ ولايكون الامساك سبباً للبسط ولا الانفاق سبباً للقبض ، اوالمراد فيضاعفه له فأقرضوا ولاتمسكوا لانّ الامساك حينئذٍ امّا لخوف عدم اطّلاع الله اولخوف عدم الوصول الى الله والحال انّ الله تعالى هو يقبض القرض لاغير الله ويبسط الجزاء [وَإِلَيْهِ] لاالى غيره [تُرْجَعُونَ] فتستحقّون رضاه عنكم وقربكم له زيادة على مضاعفة العوض.
وقيل : المعنى انّ الله يقبض بعضاً بالموت ويبسط من ارثه على وارثه؛ وهو بعيد جدّاً ، وروى انّ الآية نزلت فی صلة الامام ، وروى: ما من شيءٍ احبّ الى الله من اخراج الدّراهم الى الامام وانّ الله ليجعل له الدّرهم فی الجنّة مثل جبل احدٍ؛ وعلى هذا فقوله تعالى والله يقبض ويبسط بطريق الحصر يكون مثل قوله انّ الله هو يقبل التّوبة عن عباده

ويأخذ الصّدقات فانّ معناه هو يقبل التّوبة فى مظاهر خلفائه فيكون معنى والله يقبض ويبسط انّ الله لاغيره فى مظاهر خلفائه يقبض القرض و يبسط الجزاء [أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ] اى اشرافهم و متكلّميهم قد مضى قبيل هذا وجه الاتيان بالرّؤية مع انّ حقّ العبارة ان يقال الم تذكر [مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا] اذ اسم خالص بدل من الملأ بدل الاشتمال اوظرف للرّؤية [لِنَبِيٍّ لَهُمُ] اسمه شمعون بن صفيّة من ولد لاوى ، اواسمه يوشع بن نون من ولد يوسف (ع)، اواسمه اشموئيل وهو بالعربيّة اسماعيل و هوالمرويّ عن الصّادق (ع) وعليه اكثر المفسّرين [ابْعَثْ] ارسل واجعل [لَنَا مَلِكًا] اميراً [نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ] روى انّه كان الملك فى ذلك الزّمان هو الّذى يسير بالجنود والنّبىّ يقيم له امره وينبئه بالخبر من عند ربّه [قَالَ] النّبىّ [هَلْ عَسَيْتُمْ] هل ترقّبتم عسى يستعمل فى ترقّب المرغوب واستعماله ههنا مع طلبهم للقتال ورغبتهم فيه اشارة الى انّهم كانوا اصحاب نفوس كارهة للقتال راغبة فى ترك الجهاد ولم يكن لهم عقول راغبة فى الجهاد ومقصوده من الاستفهام تذكيرهم بكراهة القتال وتثبيتهم عليه بتعاهدهم على القتال [إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَنْ لَا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ] وضع الظاهر موضع المضمر للاشارة الى انّهم فى ذلك التّولّى ظالمون [وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ] كانت النبوّة فى ولد لاوى والملك فى ولد يوسف ولم يجتمع النبوّة والملك فى بيت واحد وطالوت كان من ولد بن يامين وسمّى طالوت لطول قامته بحيث اذا قام الرّجل وبسط يده رافعاً لها نال رأسه قيل: كان سقّاءً، وقيل: كان دبّاغاً، وكان سبب سؤالهم ان يبعث الله لهم ملكاً انّ بنى اسرائيل بعد موسى عملوا بالمعاصى وغيّروا دين الله وعتوا عن امر ربّهم وكان فيهم نبىّ يأمرهم وينهاهم فلم يطيعوه ، وروى انّه كان ارميا النّبىّ (ع) فسلّط الله عليهم جالوت وهو من القبط فآذاهم وقتل رجالهم وأخرجهم من ديارهم واخذ اموالهم واستعبد نساءهم ففزعوا الى نبيّهم وقالوا: اسئل الله ان يبعث لنا ملكاً، فلمّا قال انّ الله بعث لكم طالوت ملكاً انكروا وقالوا: هو من ولد بنيامين وليس من بيت النبوّة ولا من بيت الملك، فلايجوز ان يكون له السّلطنة علينا لانّا من بيت النبوّة والملك، [وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ] وشرط السّلطنة السّعة فى المال حتّى يتيسّر له القيام بلوازم السّلطنة ، تعريض بوجه آخر لاستحقاقهم الملك دونه وهو كثرة مالهم [قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ] جواب اجمالىّ يعنى ليس الملك بقياسكم وتدبيركم بل هو فضل من الله يؤتيه من يشاء وامّا الجواب التّفصيلىّ فانّ السّلطان ينبغى ان يكون عظيم الجثّة يهابه النّاس، وكثير العلم ينظر عاقبة الامور ؛ وتفضّل الله بهما عليه [وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ] و ليس الايتاء موقوفاً على بيتٍ دون بيتٍ كما زعمتم فالمقتضى لاعطاء الملك موجود من قبل طالوت وهو اصطفاؤه بالبسط فى العلم والجسم والمانع للمعطى مفقود فانّه امّا خارجىّ اوكون طالوت من غير بيت الملك اوكونه غير ذى سعة فى المال اوجهله تعالى بأهليّته للملك وليس كذلك فانّه يؤتى ملكه من يشاء من غير مانع لا من الخارج ولا من قبل المعطى له [وَاللَّهُ وَاسِعٌ] يجبر قلّة سعة طالوت بسعته [عَلِيمٌ]

يعلم من يستأهل للملك ليس جاهلاً يكون فعله وحكمه عن قياس ظنيّ وحجّة تخمينية فقوله: والله يؤتى ملكه من يشاء امّا عطف على معمولى انّ، اوعلى مجموع انّ الله اصطفاه، اوحال .

بيان التّابوت والسّكينة

[وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ] لالزامهم بعد ما رأى انكارهم بقياسهم الفاسد [إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ] امّافعلوت من تاب اذا رجع فانّه كان سبباً لكثرة مراجعة صاحبه الى الله ولكثرة مراجعة الله عليه، اوفلعوت مثل طاغوت من تبى يتبوا ذاغزا اوغنم فانّه كان سبب الغلبة والغنيمة فى الغزاء، ويجوزان يكون وزنه فاعولاً وان كان نحوسلس وقلق قليلاً فان بتّوتاً مثل تنّور بمعنى التّابوت يدلّ على انّه فاعول وكان ذلك التّابوت هو الصّندوق الّذى انزله الله على امّ موسى فوضعته فيه وألقته فى اليمّ وكان فى بنى اسرائيل يتبرّكون به فلمّا حضر موسى (ع) الوفاة وضع فيه الالواح ودرعه وماكان عنده من آيات النبوّة وأودعه يوشع وصيّه فلم يزل التّابوت بينهم حتّى استخفّوا به وكان الصّبيان يلعبون به فى الطّرقات فلم يزل بنواسرائيل فى عزّ وشرف مادام التّابوت بينهم فلمّا عملوا بالمعاصى واستخفّوا بالتّابوت رفعه الله تعالى عنهم فلمّا سألوا النّبىّ وبعث الله تعالى طالوت اليهم ملكاً يقاتل ردّ الله عليهم التّابوت كما قال الله تعالى انّ آية ملكه ان يأتيكم التّابوت [فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ] قد اختلف الاخبار فى بيان السّكينة وفى خبر انّها ريح من الجنّة لها وجه كوجه الانسان وكان اذا وضع التّابوت بين ايدى المسلمين والكفّار فان تقدّم التّابوت رجل لا يرجع حتّى يقتل اويغلب، ومن رجع عن التّابوت كفر وقتله الامام، وفى خبر، السّكينة روح الله يتكلّم كانوا اذا اختلفوا فى شيء كلمّهم واخبرهم ببيان ما يريدون، وفى خبر انّ السّكينة الّتى كانت فيه كانت ريحاً هفّافة من الجنّة لها وجه كوجه الانسان، وفى خبر انّها ريح تخرج من الجنّة لها صورة كصورة الانسان ورائحة طيّبة وهى الّتى نزلت على ابراهيم (ع) فأقبلت تدور حول أركان البيت وهو يضع الاساطين، وفى خبر انّ السّكينة لها جناحان ورأس كرأس الهرّة من الزّبرجد [وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ] يعنى موسى (ع) و هارون (ع) وآلهما فانّه يراد كثيراً باضافة شيء الى امر ذلك الامر والمضاف جميعاً خصوصاً اذا كان حيثيّة الاضافة منظوراً اليها، واختلف الاخبار فى تفسير تلك البقيّة ففى بعض الاخبار انّها ذرّيّة الانبياء، وفى بعض ذرّيّة الانبياء ورضراض الالواح فيها العلم والحكمة، وفى بعض الاقوال العلم جاء من السّماء فكتب فى الالواح وجعل فى التّابوت، وفى بعض: فيه الواح موسى الّتى تكسّرت والطّست الّتى يغسل فيها قلوب الانبياء، وفى بعض كان فيه عصا موسى (ع)، وفى بعض الاقوال كان التّابوت هو الّذى أنزل الله على آدم (ع) فيه صور الانبياء فتوارثه اولاد آدم (ع) [تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ] قيل: انّ الملائكة كانوا يحملونه بين السّماء والارض، و فى الخبر كان التّابوت فى ايدى اعداء بنى اسرائيل من العمالقة غلبوهم لمّا برح امر بنى اسرائيل وحدث فيهم الاحداث ثمّ انتزعه الله من ايديهم وردّه على بنى اسرائيل، و **قيل**: لمّا غلب الاعداء على التّابوت ادخلوه بيت الاصنام فأصبحت اصنامهم منكبّة فاخرجوه و وضعوه ناحية من المدينة فأخذهم وجع فى أعناقهم وكلّ موضع وضعوه فيه ظهر فيه بلاء وموت ووباء؛ فتشأموا به فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت، وفى خبر سئل (ع): كم كان سعته؟ - قال: ثلاثة اذرع فى ذراعين. ويستفاد من جملة الاخبار وبيان السّكينة والبقيّة انّه كان المراد بالتّابوت الصّدر المستنير بنور الامام (ع) الظّاهر فيه صورة غيبيّة من الجنّة و الصّدر الظّاهر فيه صورة غيبيّة مصاحب للنّصرة والظّفر وتحمله الملائكة وفيه الطست الّتى يغسل فيها قلوب الانبياء وفيه ذرارى الانبياء وصورهم وبقيّة آل موسى (ع)

وهارون(ع) ، وفيه العلوم والحكمة وهذه الصورة كانت مع ابراهيم(ع) وتدور حول اركان البيت ، وظهور هذه الصورة بشارة من الله بالنبوّة والولاية لو تمكّنت فى الانسان فانّها ريح تفوح من الجنّة وتبشّر بالعناية من الله وهذه سبب استجابة الدّعاء ونزول النّصرة والتّأييد من الله ولذلك ذكرت السّكينة فى القرآن قرينة للنّصر والتّأييد بجنود لم تروها وقد اصطلح الصوفيّة على تسمية هذه الصّورة بالسّكينة فانّها سبب سكون النّفس واطمئنانها، وبها يرتفع كلفة التكليف ويتبدّل الكلفة باللذّة، ويحصل الاحسان الّذى هو العبادة؛ بحيث كان العابد يرى الله فانّ رؤيتها كرؤية الله، وقول الصّادق(ع): الست تراه فى مجلسك؟ اشارة الى هذه الرّؤية، وقوله تعالى كونوا مع الصّادقين، وابتغوا اليه الوسيلة، وجاهدوا فى سبيله، واهدنا الصّراط المستقيم وقوله (ع) : انا الصّراط المستقيم ، وقول المولوى(قدّه) :

روز و شب سيّارى و در كشتيئى	چونكه با شيخى تو دور از زشتيئى
دامن آن نفس كش را سخت گير	و قوله : هيچ نكشد نفس را جز ظلّ پير

وامثال ذلك كلّها اشارة الى هذا الظّهور وتلك المعيّة ولمّا كان المعانى تقتضى الظّهور فى المظاهر الدّانية جاز ان يكون التّابوت فى الظّاهر صندوقاً من خشب الشّمشاد مموّهاً بالذّهب محسوساً للكلّ دار معه الملك اوالنّبوّة كلّما دار وكأنّه كان كثير من بنى اسرائيل يظهر التّابوت والسّكينة وبقيّة آل موسى (ع) وهارون(ع) بحسب المعنى والتّأويل على صدورهم لتأثير قوّة نفوس آبائهم فيهم وتفضّل الله عليهم بسبب آبائهم ولذلك كان فيهم انبياء كثيرون بحيث قتلوا منهم فى يوم واحد الى الضّحى جماعة كثيرة ولم يتغيّر حالهم كأنّهم لم يفعلوا شيئاً ، ولمّا عملوا بالمعاصى ارتفع ذلك الفضل عنهم وحرموا التشرّف بالتّابوت والسّكينة وبعد ما اضطرّوا والتجاؤا الى نبيّهم تفضّل الله عليهم به وجعله الله آية ملك طالوت وقال [إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ] ويجوز ان يكون هذا من تتمّة كلام نبيّهم [إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ] شرط تهييجىّ و بعد ظهور التّابوت و الاقرار بطالوت جمعوا له الجنود وخرجوا الى قتال جالوت [فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ] يعنى لمّا أخرجهم من مواطنهم قيل كان الجنود ثمانين الفاً و قيل سبعين وذلك أنّهم لمّا رأوا التّابوت وآثار النّصر تبادروا الى الجهاد [قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ] كما هو عادته فى حقّ المؤمنين و ابتلاؤهم لتثبيتهم على الايمان [فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي] اى من أتباعى [وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ] الطّعم عامّ فى المشروب والمأكول [فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ] وقرئ غرفة بفتح الغين والفرق بينهما انّ مضموم الفاء اسم للمصدر ومفتوحها مصدر عددىّ وهو استثناء من من شرب منه و تقديم الجملة المعطوفة عليه للاهتمام بها [فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ] الّا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من جملة الثمانين الفاً منهم من اغترف و منهم من لم يطعمه و من لم يطعمه استغنى عنه و من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودّت شفته ولم يقدر ان يمضى ، وملكهم كان علم ذلك الابتلاء بالوحى والالهام او باخبار نبيّهم ، وكان ذلك صورة الدّنيا تمثّلت لهم لتنبّههم انّ الدّنيا هكذا كان حالها لمن اجتنبها ولمن ارادها [فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ] يعنى الّذين لم يشربوا او اغترفوا غرفة و رأوا كثرة جنود جالوت و قلّة عددهم [قَالُوا] اى الّذين اغترفوا [لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ] اى يعلمون و قد مرّ انّ العلوم الحصوليّة لمغايرة معلومها لها حكمها حكم

الظّنون وكثيراً ما يطلق عليها الظّنون وانّ علوم النّفوس لتغيّرها وعدم ثباتها كالظّنون [أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللهِ] وهم الّذين لم يغترفوا [كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ] اى بترخيصه وامداده فانّ الاذن فى امثال المقام ليس معناه التّرخيص فقط [وَاللهُ مَعَ الصّابِرِينَ] قد مضى انّ هذه المعيّة ليست مثل المعيّة فى قوله تعالى: هو معكم اينما كنتم ، ومثلها فى قوله (ع) مع كلّ شيءٍ لابالممازجة فانّ هذه معيّة رحيميّة وتلك معيّة رحمانيّة وعن الرّضا(ع): أوحى الله تعالى الى نبيّهم انّ جالوت يقتله من يسوّى عليه درع موسى(ع) وهو رجل من ولد لاوى بن يعقوب(ع) اسمه داود بن آسى وكان آسى راعياً وكان له عشرة بنين أصغرهم داود فلمّا بعث طالوت الى بنى اسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث الى آسى ان احضر واحضر ولدك فلمّا حضروا دعا واحداً واحداً من ولده فألبسه الدّرع درع موسى(ع) فمنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه فقال لآسى هل خلّفت من ولدك احداً؟ - قال : نعم أصغرهم تركته فى الغنم راعياً فبعث اليه فجاء به فلمّا دعى أقبل و معه مقلاع قال : فناداه ثلاث صخرات فى طريقه فقالت : ياداود خذنا فأخذها فى مخلاته وكان شديد البطش قويّاً فى بدنه شجاعاً فلمّا جاء الى طالوت البسه درع موسى(ع) فاستوت عليه ففصل طالوت بالجنود وقال لهم نبيّهم: يابنى اسرائيل انّ الله مبتليكم بنهر فى هذه المفازة فمن شرب منه فليس من حزب الله ومن لم يشرب فهو من حزب الله الّا من اغترف غرفة بيده فلمّا وردوا النّهر اطلق الله لهم ان يغترف كلّ واحد منهم غرفة فشربوا منه الّا قليلاً منهم فالّذين شربوا منه كانوا ستّين الفاً وكان هذا امتحاناً امتحنوا به كما قال الله عزّوجلّ [وَلَمّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وَجُنُودِهِ قالُوا] ملتجئين الى الله مستنصرين به كما هو ديدن كلّ من وقع فى شدّة واضطرار [رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً] افرغ الماء صبّه وكأنّهم طلبوا اكثرة الصّبر لشدّة خوفهم وتوحّشهم ولذلك استعملوا الافراغ [وَثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ] فى خبر عن الصّادق(ع): انّ داود جاء فوقف بحذاء جالوت وكان جالوت على الفيل وعلى رأسه التّاج وفى جبهته ياقوتة يلمع نورها وجنوده بين يديه فأخذ داود من تلك الاحجار حجراً فرمى به ميمنة جالوت فمرّ فى الهواء ووقع عليهم فانهزموا ، وأخذ حجراً آخر فرمى به ميسرة جالوت فانهزموا ، ورمى جالوت بحجر فصكّت الياقوتة فى جبهته ووصلت الى دماغه ووقع على الارض ميتاً [وَآتاهُ اللهُ الْمُلْكَ] اى السّلطنة الصوريّة اوالرّسالة [وَالْحِكْمَةَ] النظريّة و العمليّة فتكون اعمّ من الرّسالة و احكامها و النّبوّة و الولاية وآثارهما ، او المراد بالحكمة الولاية وآثارها ان كان المراد بالملك الرّسالة ويكون المراد بتعليم مايشاء تعميم حكمته ، او المراد بالحكمة الحكمة العمليّة وقوله تعالى [وَعَلَّمَهُ مِمّا يَشاءُ] كان اشارة الى الحكمة النّظريّة اوبالعكس [وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ] بعضهم بدل من النّاس بدل البعض والمعنى لولادفع الله البلاء عن النّاس عن البعض ببعض آخر يعنى عن الكفّار بالمؤمنين، اوعن بعض المؤمنين القاصرين بالبعض الكاملين فى الاعمال، اولولادفع الله النّاس أنفسهم بعضهم بالبعض الآخر من الكفّار اوبالمسلمين ، اولولادفع الله النّاس بعضهم ببعض آخر كالحكّام والسّلاطين فانّ اصلاح النّاس ودفع الاشرار عن العباد بالسّلطان اكثر من الاصلاح بالرّسل ، والى الكلّ اشير فى الاخبار [لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلٰكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ] حيث جعل صلاح الصّالح سبباً لعدم

هلاك الفاسد بل مصلحاً لفساده او دفع شرّالاشرار بالاخيار او بالاشرار [تِلْكَ] الّتى ذكرت من اماتة الالوف ووقوعهم على ما فرّوا منه و احياءهم بعد اماتتهم واستقراضه ممّن اعاده ما اعاده أيّاهم ومضاعفة العوض لهم وتسليط طالوت الفقير على الاغنياء والاشراف وابتلاء بنى اسرائيل بالنّهر وشرب الكثير وعدم شرب القليل وغلبتهم مع قلّتهم على جنود جالوت الكثيرة وقتل داود(ع) جالوت وايتائه الملك مع كونه راعياً والحكمة والعلم ، وجعل دفع النّاس بعضهم ببعض الّذى هو سبب فسادالارض سبباً لصلاحها [آيَاتُ اللهِ] التّكوينيّة الدّالّة على كمال قدرته وحكمته وانّه لا ينظر فى عطائه الى شرفٍ وحسبٍ ونسبٍ المبنيّة بآياته التّدوينيّة [نَتْلُوهَا] من التلاوة [عَلَيْكَ] خبر بعد خبر اوخبر ابتداء وآيات الله بدل من تلك اوحال اومستأنف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ [بِالْحَقِّ] ظرف مستقرّ حال عن الفاعل او المفعول اى حالكوننا ظاهرين بالحقّ اوحالكوننا متلبّسين بالحقّ اى الصّدق او ظرف لغو متعلّق بنتلوا اى نتلوها بسبب الحقّ المخلوق به فانّ افعال الله تعالى لا تصدر الّا بتوسّط الحقّ الّذى هو المشيّة [وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ] عطف على قوله تلك آيات الله اوحال عن الآيات او عن مفعول نتلوها اوعن الضّمير المجرور والمقصود انّا نتلو الآيات عليك والحال انّك من المرسلين فبلّغها حتّى يعلموا انّك صادق فى دعواك حيث تخبر بالمسطورات فى كتبهم من غير تعلّمٍ وتعرّفٍ .

[الجزء الثّالث]

[تِلْكَ الرُّسُلُ] جواب لسؤال مقدّر عن حال الرّسل وتساويهم وتفاضلهم وتمهيد لبيان تفضيله(ص) على الآخرين [فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ] فى منقبة دون منقبة كأكثر الانبياء الّذين لم يكونوا اولى العزم اوفى اكثر المناقب كاولى العزم وغيرهم من ذوى الدّرجات منهم اوفى الكلّ كخاتم الانبياء(ص) [مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ] خبر بعد خبر ان جعل تلك الرّسل مبتدءً ،اوتلك مبتدء والرّسل خبره ، اوهو خبر ابتداء ان جعل فضّلنا حالاً اومعترضاً، اوهومستأنف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ او بيان لفضّلنا بعضهم على بعضٍ نظير عطف البيان فى المفردات و هذا بيان للتّفضيل بمنقبةٍ خاصّةٍ [وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ] بيان للتّفضيل فى مناقب عديده ، ودرجات تميز محوّل عن المفعول و ليس حالاً ولا قائماً مقام المصدر كما قيل للاحتياج الى كلفة التّأويل حينئذٍ ، عن النّبىّ (ص) انّه قال ماخلق الله خلقاً افضل منّى ولا اكرم عليه منّى ،قال علىّ(ع) فقلت: يارسول الله افأنت افضل ام جبرئيل؟- فقال: انّ الله فضّل انبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين وفضّلنى على جميع النّبيّين والمرسلين، والفضل بعدى لك ياعلىّ وللائمّة من بعدك وانّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا [وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ] المعجزات الظّاهرة المذكورة فى الكتاب [وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ] تأييداً خاصّاً غير التّأييد الّذى كان لسائر الانبياء وقد التفت فى الكلام من الغيبة الى التّكلّم ثمّ منه الى الغيبة ثمّ منها الى التّكلّم ثمّ منه الى الغيبة فيما يأتى ، والوجه العامّ فى الالتفات ايقاظ المخاطب للتّوجّه الى الكلام توجّهاً اتمّ من التّوجّه السّابق وتجديد نشاطه ، ويوجد فى خصوص الموارد بعض الدّواعى الخاصّة [وَلَوْ شَاءَ اللهُ] عدم الاقتتال عطف على محذوفٍ جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل فمافعل النّاس بعد مجيء الرّسل؟- فقال: اختلفوا واقتتلوا ، ولوشاء الله [مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ]

اى الّذين كانوا موجودين من بعد مجيئهم اومن بعد وفاتهم فيكون تعريضاً بالاختلاف والقتال الواقع فى زمان محمّد (ص) او بعد وفاته (ص) وتسلية له (ص) : ولأوصيائه [مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ الْبَيِّنٰاتُ] اى المعجزات او الدّلائل الواضحات او الموضحات [وَلٰكِنِ اخْتَلَفُوا] قياس استثنائىّ مشير الى رفع التّالى المستلزم لرفع المقدّم اعنى مشيّة عدم الاقتتال و هو بمفهومه اعمّ من مشيّة الاقتتال لكنّه بحسب الواقع مستلزم له [فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ] الفاء سببيّة او عاطفة للتّفصيل على الاجمال و المراد الايمان العامّ الحاصل بالبيعة العامّة [وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مَا اقْتَتَلُوا] لمّا نسب الاختلاف اليهم وكذا الايمان والكفر توهّم منها انّهم هم الفاعلون لافعالهم من دون فاعليّة الله تعالى وسببيّة مشيّته فكرّر الشّرطيّة السّابقة دفعاً لهذا التّوهّم وتأكيداً لنسبة الافعال الى المشيّة بل حصراً لنسبة الافعال اليه تعالى من دون استقلال الغير بها اومشاركته ولذلك أتى باستثناء التّالى بحيث يفيد نسبة الافعال اليه تعالى بطريق الحصر فقال :

تحقيق الجبر والقدر و الامر بين الامرين و تحقيق بعض المطالب

[وَلٰكِنَّ اللّٰهَ] لاغيره [يَفْعَلُ مٰا يُرِيدُ] وهذا فى موضع لكن اختلفوا فكأنّه قال ولكن اختلفوا وليس الاختلاف منهم ولابمشاركتهم بل الله فعل الاختلاف فى مظاهرهم وقد اشار تعالى الى كبرى قياس من الشّكل الاوّل مستنبط صغراه من المقدّمات المسلّمة المشهورة وهى كلّ شيءٍ من افعال العباد وصفاتهم وغيرها ممّا له سمة الامكان فهو مراده تعالى لتسليم كلّ من اقرّ بالمبدء الاوّل ان لاشيء فى عالم الامكان الّا بعلمه ومشيّته وارادته ، وكلّ مراده فهو مفعول له لالغيره لابالاستقلال ولابالشّراكة فكلّ شيءٍ من الذّوات والاعراض وافعال العباد مفعول له تعالى لالغيره فعلى هذا يكون افعال العباد فعل الله لكن فى مظاهر العباد .

وتحقيق افعال العباد بحيث لايلزم من نسبتها الى الله جبرٌ للعباد ولامن نسبتها الى العباد تفويضٌ اليهم ولاتعدّد فى النّسبة يستدعى ذكر مقدّماتٍ :

الاولى ـ انّ الوجود كما تكرّر سابقاً حقيقة واحدة ذات مراتب كثيرة متفاوتة بالشدّة والضّعف والتقدّم والتأخّر بحيث لاينثلم بكثرتها وحدة تلك الحقيقة كالنّور العرضىّ فانّه حقيقة واحدة متكثّرة بحسب المراتب القريبة والبعيدة من منبعه وبحسب السّطوح المستنيرة به ، فانّ النّور يتكثّر بكثرة السّطوح بالعرض فاذا ارتفع السّطوح وحدود المراتب واعتبارها لم يبق الّا حقيقة واحدة من دون اعتبار كثرةٍ فيها .

والثّانية ـ أنّ تلك الحقيقة بذاتها تقتضى الوجوب لضرورة اتّصاف الشّيء بذاته وامتناع سلبه عن ذاته.

والثّالثة ـ انّ الوجوب بالذّات يقتضى الاحاطة بجميع انحاء الوجودات ومراتبها بحيث لو كان شيء منها مغايراً للواجب وخارجاً منه تلك الحقيقة لزم تحدّد الحقيقة الواجبة بذلك الشّيء ولزم من التحدّد الامكان فلم يكن حقيقة الوجود حقيقة الوجود بل نحواً من انحائها ، ولا الواجب واجباً بل كان ممكناً .

والرّابعة ـ أنّ تلك الحقيقة كما تقتضى الوجوب بذاتها تقتضى الاصالة فى التّحقّق وفى منشأيّة الآثار لاقتضاء الوجوب الاصالة ، واقتضاء الاصالة منشأيّة الآثار وكون غيرها من التعيّنات اعتباريّاً .

والخامسة ـ انّ مراتب الوجود وانحاءه بحكم المقدّمة الثّالثة عبارة عن تلك الحقيقة متحدّدة بحدودٍ وتعيّناتٍ وبتلك الحدود وقع التّميز بينها وليست تلك الحقيقة جنساً لها ولانوعاً .

والسّادسة ـ أنّ الآثار الصّادرة من انحاء تلك الحقيقة صادرة من تلك الحقيقة مقيّدة بحدود تلك

الانحاء بحيث يكون التّقييد داخلاً والقيود خارجة وليست صادرة من تلك الحقيقة مطلقة ؛ والّا لاتّحدت ولا من الحدود لأنّها اعدام والعدم لاحكم له الّا بتبعيّة الوجود فلامنشأيّة له لاللوجوديّ ولاللعدميّ ولا من المجموع المركّب من تلك الحقيقة والحدود ، لانّ الحدود كما لا تكون منشأً للآثار منفردة لاتكون منشأً منضمّة لانّ اعتبار الانضمام لايفيدها شيئاً لم يكن لها قبل ذلك ومايقال: انّ عدم العلّة علّة لعدم المعلول كلام على سبيل المشاكلة و الّا فالعدم ليس معلولاً و مجعولاً حتّى يحتاج الى علّة و ما يتراءى من انّ حدود الآثار و اعدامها المنتزعة منها ناشئة من حدود المؤثّرات واعدامها المنتزعة منها وقد تفوّه به بعض الفلاسفة خالٍ عن التّحصيل لانّ حدود الآثار من جملة لوازم وجوداتها وليست من حيث هي مجعولة ومن حيث الجهات المنتزعة هي منها فهي مجعولة بمجعوليّة وجود الآثار وبتبعيّتها لا بجعل آخر حتّى تستدعي علّة اخرى ، واذا عرفت ذلك فاعلم انّ افعال العباد الاختياريّة صادرة عنهم بعد تصوّرها والتّصديق بغاياتها النّافعة لهم ، و بعد الميل والعزم والارادة والقدرة منهم وهذا معنى كون الفعل اختياريّاً وامّا كون الاختيار بالاختيار والارادة بالارادة فليس معتبراً في كون الفعل اختياريّاً والفاعل مختاراً ، لكن نقول على ماسبق من المقدّمات افعال العباد آثار حقيقة الوجود المحدودة بحدود العباد من غير اعتبار الحدود فيها ، والعباد عبارة عن تلك الحقيقة معتبراً معها تلك الحدود فهي منسوبة الى حقيقة الوجود اوّلاً وبالذّات والى العباد ثانياً و بالعرض من غير تعدّدٍ في النّسبة بالذّات انّما التعدّد والتغاير الاعتباريّ في المنسوب اليه وليست الافعال مفوّضة الى العباد كما قالته المعتزلة المدعوّة بمجوس هذه الأمّة لانّ التفويض يستدعي استقلالاً بالفاعليّة في المفوّض اليه وقد علمت انّ اسم العبد يطلق على حقيقة الوجود بأعتبار انضمام حدٍّ عدميٍّ اليها غير موجود فضلاً عن استقلاله بالوجود و الفاعليّة لكن عامّة النّاس و ان لم يكونوا مقرّين بالتفويض لساناً قائلون به حالاً مشاركون للمعتزلة فعلاً فانّ المحجوبين عن الوحدة المبتلين بالكثرة المشاهدين للكثرات المتباينة المتضادّة لايمكنهم تصوّر مبدء واحد لافعال العباد وآثار غيرهم فلا يدركون الّا استقلال العباد بافعالهم بل لا يتصوّرون تفويضاً و مفوّضاً في الافعال وهذا من عمدة اغلاط الحواسّ والخيال ولكون الخيال مخطئاً في ادراكه كان الاولياء العظام يأمرون العباد بالذّكر اللسانيّ اوالقلبيّ المؤدّى الى الفكر المخصوص المخرج عن دار الكثرة والغيبة والخطاء الى دار الوحدة والشّهود والصّواب ، وليس العباد مجبورين في الفعال لانّ الجبر يقتضي جابراً مغايراً للمجبور ومجبوراً مستقّلاً في الوجود مريداً مختاراً مسلوباً عنه الاختيار متحرّكاً على حسب ارادة الجابر المخالفة لارادة المجبور وليس هناك جابر مغاير للمجبور ولا مجبور مستقلّ في الوجود ولا في الفعال ولاسلب الارادة المجبور ولاارادة مستقلّة مغايرة لارادة الجابر فالجبر يقتضي مفاسد التّفويض مع شيءٍ آخر من المفاسد ولذا قيل (مولوى) :

در خرد جبر از قدر رسوا تراست زانكه جبرى حسّ خود را منكراست

علاوة على نسبة الاستقلال الى العباد وليس الافعال بتسخير الله ايضاً لما ذكر فانّه لافرق بين التّسخير والجبر الّا بسلب الارادة و عدمه فانّ المسخّر ارادته باقية تابعة لارادة المسخّر بخلاف المجبور فانّ ارادته تكون مسلوبةً وحركته تكون بارادة الجابر المخالفة لارادة المجبور بل الامر أدقّ وألطف من الجبر والتّسخير ومعنى الامرين الامرين أنّ نسبة الافعال الى العباد امراجلّ واعظم من ان يكون بطريق التفويض ، وادقّ واخفى من ان يكون بطريق الجبر والتّسخير ، واعلى واسنى من ان يكون بطريق التشريك في الفاعل كما يظنّ ، وأشرف من ان يكون بطريق توسّط العباد بين الفعل والفاعل كتوسّط الآلات بين الافعال والفاعلين كما يترائى بل الفاعل حقيقة الوجود الظّاهرة بحدود العباد و توجّه اللّوم والتّعزير والحدّ والامر و النّهى ان كان ذلك ممّا يعاتب

به العوامّ فلتخليص الانسانيّة اى تلك الحقيقة عن الحدود المخالفة لحدود الانسانيّة ، وان كان ممّا يخاطب به الانبياء(ع) والاولياء(ع) فلتخليص الانسانيّة عن الحدود جملة وايصالها الى الظّهور من غير حدّ ، ومن هذا يعلم انّ اللّوم واجراء الحدود والامر والنّهى لايجوز الّا ممّن له شأنيّة التّخليص بان يكون ممّن خلص نفسه اوّلاً من حدّ يريد تخليص الغير منه وأبصر ذلك الحدّ وقوى على التخليص ولوفاته شيءٌ من هذه لم يجز منه ذلك ، و لمّا لم يكن الانسان يدرك بنفسه انّ له هذا المقام احتاج الى اجازة البصير المحيط به على انّ الاجازة بها ينعقد قلب المأمور على أمر الآمر ولولا الاجازة لاينعقد ، ولمّا كان الافعال منسوبة الى الله تعالى اوّلاً وبالذّات والى انحاء الوجودات ثانياً وبا لعرض صحّ سلب أفعال العباد عنهم واسنادها الى الله مثل قوله تعالى: فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم، حيث نفى القتل الصّادر منهم عنهم وأثبته لله بطريق حصر القلب اوالافراد، وهكذا قوله تعالى: ومارميت اذرميت ولـكنّ الله رمى ، و لمّا كان اقرار اللّسان من دون موافقة الجنان كذباً و مذموماً انكر تعالى على من تفوّه بمثل هذا من غير تحصيل بقوله سيقول الّذين اشركوا لوشاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولاحرّمنا من شيءٍ كذلك كذّب الّذين من قبلهم حتّى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتّبعون الّا الظنّ وان انتم الا تخرصون على أنّهم ارادوا بذلك دفع اللّوم عن أنفسهم بتعليق الاشراك و التّحريم على المشيّة وقد علم ممّا سبق انّ التعليق على المشيّة لايوجب الجبر ولا يدفع اللّوم عن الفاعل ان كان الفعل ممّا يلام عليه ولذا اثبت تعالى بعد الانكار عليهم ماقالوه فقال: قل فللّه الحجّة البالغة فلوشاء لهداكم اجمعين.

واعلم انّ للآثار ثلاثة اعتبارات : اعتبار الاطلاق ؛ وبهذا الاعتبار اسنادها الى الحقيقة المطلقة اولى ، واعتبار التقييد بالحدود من دون اعتبار الحدود معها ؛ وبهذا الاعتبار اسنادها الى الحقيقة المقيّدة اولى ، واعتبار التّقييد بالحدود و اعتبار الحدود معها ؛ و بهذا الاعتبار اسنادها الى الحقيقة المقيّدة المعتبر معها التعيّنات والحدود الّتى هى الموجودات اولى ، و لمّا كان الانسان فى طاعاته منسلخاً من انانيّته و حدودها متوجّهاً الى مولاه و امره كان اسناد طاعاته الى الله اولى ، ولمّا كان فى معصيته متحدّداً بحدود انانيّته كان نسبة معاصيه الى نفسه اولى كما اشير اليه فى الحديث القدسى ، و من هذا يعلم انّ العابد لو كان غرضه من العبادة انتفاع نفسه ولو بالقرب من الله لم يكن طاعته طاعة حقيقة لانّ قصد انتفاع النّفس ليس الا باقتضاء الانانيّة .

[يٰاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاكُمْ] بعد حصر الافعال فى الله تعالى كأنّه قيل: فمالنا لانرى الافعال الّا من العباد؟ ومن اين يعلم انّ الفاعل هو الله؟ فناداهم وقال: ان اردتم ان تعلموا انّ الافعال منحصرة فى الله فأنفقوا ممّا رزقناكم من الاموال والقوى والاعراض و بالجملة كلّما يزيد فى انانيّاتكم و حدودها الّتى تحجبكم عن مشاهدة الموجودات كما هى ، و لمّا كان الانفاق من اصعب العبادات جبر كلفته بلذّة النّداء [مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لٰا بَيْعٌ فِيهِ] يعنى لامال فيه يفتدى به من العذاب [وَلٰا خُلَّةٌ] نافعة فانّ يوم الموت وهو المراد ههنا لا ينفع فيه خليل خليلاً ، ويوم القيامة يكون الاخلّاء فيه بعضهم لبعض عدوّ الّا الخليل فى الله ، ولا يكون الّا بعد انفاق الحدود و الحجب [وَلٰا شَفٰاعَةٌ] وهذا يدلّ على انّ المراد به يوم الموت والّا فيوم القيامة تنفع فيه شفاعة الشّافعين [وَالْكٰافِرُونَ هُمُ الظّٰالِمُونَ] امّا عطف على لابيع فيه بتقدير العائد اى من قبل ان يأتى يوم يظهر فيه انّ الظلم منحصر بالكافرين المحجوبين عن مشاهدة نسبة الافعال الى الله ، اوحال بهذا

المعنى [اَللهُ لا اِلٰهَ اِلّا هُوَ] ابتداء كلام منقطع عمّا قبله لابداء توحيده فى معبوديّته او فى مرجعيّته ان اخذ الآله من اله بمعنى عبد او التجأ او فى خالقيّته ان اخذ من لاه يلوه بمعنى خلق ولاثبات بعض صفاته الاُخر الثبوتيّة والسلبيّة والحقيقيّة والاضافيّة ، اوجواب لسؤالٍ ناشٍ عن قوله لكنّ الله يفعل ما يريد كأنّه قيل اذا لم يكن فاعل سواه فما حاله ؟ اوقيل: لم لم يكن سواه فاعل؟ وماورد فى فضل قراءة آية الكرسىّ يشعر بكونه مقطوعاً عمّا قبله وفى فضل آية الكرسىّ وقراءتها دبر الصّلوات الفريضة اخبار كثيرة فعن رسول الله(ص) انّه قال: اىّ آية فى كتاب الله أعظم؟ـ قال الرّاوى : فقلت: الله لا اله الّا هو الحىّ القيّوم قال : فضرب(ص) فى صدرى ثمّ قال : لهناك العلم ؛ والّذى نفس محمّدٍ(ص) بيده انّ لهذه الآية لساناً وشفتين يقدّس الملك عند ساق العرش. وفى المجمع باسناده قال النّبىّ(ص) : من قرأ آية الكرسىّ فى دبر كلّ صلوة مكتوبة كان الّذى يتولّى قبض نفسه ذاالجلال والاكرام، وكان كمن قاتل مع انبيائه حتّى استشهد ، وعن علىّ(ع) انّه قال : سمعت نبيّكم على اعواد المنبر وهويقول : من قرأ آية الكرسىّ فى دبر كلّ صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنّة الّا الموت ، ولايواظب عليها الّا صدّيق اوعابد، ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجارجاره، وعنه(ع) انّه قال: سمعت رسول الله(ص) يا علىّ سيّد البشر آدم(ع) الى ان قال : وسيّد الكلام القرآن وسيّد القرآن البقرة ، وسيّد البقرة آية الكرسىّ ، يا علىّ انّ فيها لخمسين كلمةً و فى كلّ كلمة خمسون بركةً ، وعن ابى جعفرٍ(ع) : من قرأ آية الكرسىّ مرّة صرف الله عنه الف مكروهٍ من مكاره الدّنيا ، والف مكروه من مكاره الآخرة ؛ أيسر مكروه الدّنيا الفقر، وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر ، و عن ابى عبدالله (ع) : انّ لكلّ شيءٍ ذروة وذورة القرآن آية الكرسىّ ، والسرّ فى ذلك انّ فيها اصول الصّفات الآلهيّة وامّهات الاضافات الربوبيّة [اَلْحَىُّ] خبرٌ بعد خبر اوخبر مبتدءٍ محذوف اومبتدءٌ خبره القيّوم ، اوما بعد القيّوم اوخبر ابتداءٍ ، ولا اله جملة حاليّة اومعترضة مدحيّة كالجمل الدّعائيّة المعترضة ، والحيوة صفة مستلزمة للادراك والمشيّة والارادة والقدرة والاختيار والفاعليّة الاراديّة فهى مشيرة الى كثير من الصّفات الآلهيّة [اَلْقَيُّومُ] صفة اوخبر اوخبر بعد خبر وهو من قام المرأة وعليها مأنها وكفى أمورها، وهو من أسمائه الخاصّة به تعالى ومعنى قيّوميّته تعالى للاشياء ايجاده لها وكفايتها فى جميع مالها الحاجة اليه من جميع ما به اضافاته اليها واضافاتها اليه فهى جامعة لجميع صفاته الاضافيّة، ولمّا كان القائم بأمر غيره كثيراً مايختلّ امره بالغفلة عن أمره وكان عمدة اسباب الغفلة السّنة والنّوم نفى هذين عنه تعالى فقال [لاتَأْخُذُهُ سِنَةٌ] السنة كعدة والوسن محرّكةً والوسنة ثقل النّوم اواوّله اوالنّعاس والجملة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ اوخبر اوخبر بعد خبر اوحال اومعترضة مدحيّة [وَلانَوْمٌ] وهوردّ على اليهود وغيرهم الّذين قالوا: انّ الرّبّ فرغ من الامر واستراح اواستلقى على ظهره كما اشير اليه فى الاخبار [لَهُ ما فِى السَّمٰواتِ وَما فِى الْاَرْضِ] وهذه كسابقتها فى وجوه الاعراب والّلام فى مثل المقام يستعمل فى المبدئيّة و المرجعيّة و المالكيّة والمراد منه معنى عامّ للثّلاثة فهو تصريح بما استفيد اجمالاً من القيّوم وكثيراً ما يقال لزيد ما فى الصّندوق و يراد به الصّندوق و ما فيه خصوصاً اذاكان ما فى الصّندوق غالياً [مَنْ ذَا الَّذى يَشْفَعُ عِنْدَهُ] تأكيد لقيّوميّته تعالى ولها الوجوه السّابقة مقطوعة ومرتبطة ويجوز تقدير القول بالوجوه السّابقة [اِلّا بِاِذْنِهِ يَعْلَمُ ما بَيْنَ اَيْديهِمْ] هذه ايضاً كسوابقها فى الوجوه المذكورة وهو ايضاً تأكيد لما استفيد التزاماً من القيّوم، والمراد بما بين ايديهم طولاً الدّنيا والآخرة، وعرضاً

ما يأتي او ما مضى كما مضى الاشارة اليه عند قوله فجعلناها نكالاً لما بين يديها وماخلفها [وَمٰاخَلْفَهُمْ] يعلم بالمقايسة [وَلٰايُحيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ اِلّٰا بِمٰاشٰاءَ] .

بيان الاحاطة بما شاءالله من علمه

اعلم انّ العلم بمعنى ظهور الشّيء عند شيء آخر له معنى مصدريّ هو من المفاهيم العامّة ومعنى ينتزع ذلك الظّهور منه وهو صورة المعلوم الّتي حصلت عند العالم هذا في العلوم الحصوليّة وامّا العلم الحضوريّ فليس هناك ما به الظّهور غير الظّاهر، بل المعلوم بذاته حاضر عند العالم لا بصورة ينتزع منها المعنى المصدريّ للعلم فالعلم والمعلوم فيه متّحد ان و اذاكان المعلوم بالعلم الحضوريّ ذات العالم كان العلم والمعلوم والعالم متّحدة وعلى ما قيل وهو الحقّ؛ انّ العلوم الصوريّة شؤن للعالمين وليست كيفيّاتٍ نفسانيّة ولا اضافاتٍ كما قيل كان العلم و العالم فيها متّحدين ، و اذاكان العلوم الحضوريّة شؤن العالمين كما قيل وهو الحقّ كان العلم الحضوريّ والعالم والمعلوم متّحدة مطلقا ، ولمّاكان علم الله بالاشياء عالياتها ودانياتها بحضور وجوداتها عنده لابحصول صورها فيه او في لوح حاضر عنده كما قيل كان جملة ما سوى الله علومه تعالى كما انّها معلوماتٌ له لاتّحاد العلم و المعلوم كما علمت و الصّور الحاصلة في النّفوس و الحاضرة عندها من جملة معلوماته تعالى وعلومه تعالى ، وعلى ما ذكر انّ العلم شأن من النّفس الانسانيّة كان الانسان محيطاً بعلمه حضوريّاً كان امحصوليّاً ولماكان العلوم حادثة وكلّ حادث مسبوق بمشيّته تعالى لم يكن يحدث علم الّا بمشيّته تعالى فتبيّن معنى قوله تعالى لايحيطون بشيءٍ من علمه الّا بماشاء وانّ المعنى لايحدث لاحد شيء من علم الله الّا بمشيّته تعالى [وَسِعَ] هذه كالجمل السّابقة في الوجوه المحتملة [كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ] المشيّة بوجهها الى الله عرش وبوجهها الى الخلق كرسيّ ، ويسمّى الفلك الثامن لكونه مظهراً للكرسيّ بالكرسيّ كما يسمّى الفلك المحيط بالعرش ، ولمّاكانت المشيّة فعله تعالى وهو لابشرط شيءٍ ويجتمع مع كلّ شرطٍ وفيها جميع صفاته واسمائه بوجود واحدٍ جمعيٍّ جاز تفسير الكرسيّ بالعلم وتفسير العرش بجملة الخلق وصحّ ورود الاخبار بالاختلاف في تفسيرهما؛ فعن النّبيّ(ص) : ما السّموات السّبع والارضون السّبع مع الكرسيّ الّا كحلقةٍ ملقاةٍ في فلاةٍ ، وفضل العرش على الكرسيّ كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ، وعن الصّادق(ع) انّه قال : حين سئل عن العرش والكرسيّ ماهما ؟ـ العرش في وجهٍ هو جملة الخلق والكرسيّ وعاؤه ، وفي وجهٍ آخر: العرش هو العلم الّذي اطّلع الله عليه الانبياء(ع) ورسله (ع) وحججه (ع) والكرسيّ هو العلم الّذي لم يطّلع عليه احداً من انبيائه (ع) ورسله (ع) وحججه (ع) [وَلٰايَؤُدُهُ حِفْظُهُمٰا] لا يثقله حفظه لهما [وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظيمُ] حال بمنزلة التّعليل [لٰا اِكْرٰاهَ فِي الدّينِ] استيناف منقطعٌ عن سابقه والدّين الجزاء والاسلام والعادة والعبادة والطّاعة والغلبة والسّلطان والملك والحكم والسّيرة والتّوحيد واسم لجميع مايتعبّد الله به والملّة والعزّة والذّلّة والمراد به ههنا الاسلام الحقيقيّ الّذي هو الطّريق الى الايمان الّذي هو طريق الآخرة، اوالمراد الايمان الحقيقيّ الّذي هو البيعة الخاصّة الولويّة الّتي يعبّر عنها بالولاية ، اوالمراد السّلوك الى الآخرة بالايمان ، ولذلك نفى الاكراه عنه والّا فالدّين بمعنى مطلق الاسلام اوالعبادة اوالطّاعة اوالسّيرة اوالملّة كثيراًما كان يحصل بالسّيف كما قال (ص) : انا نبيّ السّيف ، و امّا الاسلام الحقيقيّ و الايمان الحقيقيّ والسّلوك الى الآخرة فلايمكن الاكراه فيها لأنّها امر معنويّ لايتصوّر الاكراه الجسمانيّ فيها ، اونقول: ليس الدّين الّا الولاية الّتي هي البيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة ، وماسواها يسمّى بالدّين لكونه مقدّمة لها ، اومسبباً عنها،

او مشاكلاً لها ، ولااكراه فی الولاية ، اوالمعنی لااكراه فی الدّين بعد تماميّة الحجّة بقبول الرّسالة و تنصيص الرّسول (ص) علی صاحب الدّين [قَدْتَبَيَّنَ] ای تميّز [الرُّشْدُمِنَ الْغَيِّ] استيناف فی مقام التّعليل او حال والمعنی لايكره أحد فی الدّين بالنّفی او لايكره بالنّهی علی ان يكون الاخبارفی معنی النّهی لتميّز الرّشد اوحالة تميّز الرّشد من الغیّ وفی الاخبار اشارات الی انّ المراد لااكراه فی ولاية علیٍّ (ع) [فَمَنْ يَكْفُرْ] عطف علی سابقه والفاء للتّرتيب فی الاخبار ای فنقول : من يكفر اوجزاء لشرطٍ مقدّروالتّقدير اذا تبيّن الرّشد فمن يكفر [بِالطّاغُوتِ] فقد توسّل بالرّشد المعلوم له فلايزول ولا ينفصم توسّله لعلمه التّحقيقیّ الّذی لا زوال له ، والطّاغوت فی الاصل طغيوت من الطّغيان فقلب فصار فلعوت والتّاء زائدة لغير التّأنيث فيه و فی نظائره ولذا تكتب بالتّاء وتثبت فی الجمع فيقال طواغيت وطواغت وقد تكتب بالهاء مثل جبروة وطاغوة وتسقط من الجمع مثل طواغٍ وحينئذٍ تكون للتّأنيث ويجری علی الفاظها احكام التّأنيث وهذه الهيئة للمبالغة فی معنی المصدر سواء جعلت مصدراً مثل رحموت و رهبوت ورغبوت و جبروت او اسم مصدر ، وسواء استعملت فی معنی الحدث او فی معنی الوصف مثل الطّاغوت ، وفسّر الطّاغوت بالشّيطان والكاهن والسّاحروالمارد من الجنّ والانس والصّنم وكلّ ماعبد من دون الله تعالی والحقّ انّ الطّاغوت يشمل النّفس الامّارة الانسانيّة وكلّما يتبعه تلك النّفس من الشّيطان والاصنام والجنّة والكهنة والسّحرة ورؤساء الضّلالة جميعاً والآية فی شأن ولاية علیٍّ (ع) والمقصود من قوله تعالی [وَيُؤْمِنْ بِاللهِ] الايمان الخاصّ الّذی لايحصل الّا بالبيعة علی يد علیٍّ (ع) فانّ الايمان العامّ الّذی يحصل بالبيعة العامّة النّبويّة لا يدخل به شیءٌ فی القلب فلا يتوسّل بشیءٍ حتّی يصحّ ان يترتّب عليه قوله تعالی [فَقَدِاسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقىٰ لَاانْفِصٰامَ لَهٰا] جملة حاليّة اوجواب لسؤالٍ مقدّرٍ.

تحقيق الاستمساك بالعروة الوثقی وبيان العروة الوثقی

اعلم انّ امر الولاية الّتی هی عبارة عن البيعة الخاصّة الولويّة والاتّصال بولیّ الامر بعقد اليمين اجلّ وارفع من ان يوصف لانّ صورتها وان كانت من الاعمال الجسمانيّة المحسوسة لكنّ الاتّصال الرّوحانیّ الحاصل بها امر غيبیّ لا يدرك بالابصار ولا يتوهّم بالامثال ولا يتعقّل بالعقول لأنّه لاحدّ له ولا رسم ولاكيف له ولاكمّ بل هو كما قال المولویّ قدّس سرّه :

اتّصالی بی تكيّف بی قياس هست ربّ النّاس راباجان ناس

وللاشارة الی انّ هذا الاتّصال ليس الّا لمن قبل الولاية بالبيعة الخاصّة الولويّة قال المولوی :

ليک گفتم ناس من نسناس نی ناس غير جان جان اشناس نی

فلا بدّ من التّمثيل و التّشبيه اذا اريد التّنبيه عليه فنقول : انّ الانسان يزداد فی جوهر ذاته من اوّل تولّده و ليس استكماله بمحض الازدياد فی كيفيّاته كما قيل وكلّما ازداد فی ذاته وحصل له فعليّة من فعليّات طريقه المؤدّی الی فعليّات انسانيّته صار اسم الانسانيّة و اسم شخصه اسماً لتلك الفعليّة و صارت الفعليّات السّابقة فانية ومغلوبة لتلك الفعليّة فاذا بلغ الی مقام عقله الّذی هومناط التّكليف والتّدبير صارقابلاً لتصرّف الشّيطان وتصرّف الملك والرّحمن ولاينعقد قلبه علی شیءٍ منهما بمعنی انّه لا يتمكّن الشّيطان من التصرّف فيه ولاالملك ما لم يرد الولاية فتنعقد فعليّاته بتصرّف الشّيطان اولم يقبلها فتنعقد فعليّاته بولیّ امره فهوحينئذٍ كالنّخلة الّتی لاتثمر الّا بالتّأبير وكشجرة الفستق الّذی لايصير فستقه ذالبّ الّا بالتلقيح، اوكاللّبن الّذی لاينعقد

الّا بالانفحة فاذا انعقد قلبه على الولاية صار كلّ فعل وفعليّة له منعقداً بالولاية وجميع فعليّاته مغلوباً ومحكوماً بحكم فعليّة الولاية وصار اسم الانسانيّة واسم شخصه اسماً لفعليّة الولاية وفعليّة الولاية كما سبق تحقيقها عند قوله : و بالوالدين احساناً ؛ نازلة وليّ الامر ، وبتلك النّازلة يتحقّق نسبة الابوّة والبنوّة بين التّابع والمتبوع ، ونسبة الاخوّة بين الاتباع ، وبهذه النّسبة قال عيسى(ع): اناابن الله ، وقال: كلّ من حصل له تعميد التّوبة على يدى اوايدى خلفائى فهوابن الله ، ولذلك قالت النّصارى: نحن ابناء الله ولولا تنزّل وليّ الامرفى وجودالمولّى عليه لم يتحقّق شيء لتصحيح تلك النّسبة وقد اشار المولويّ الى حصول تلك وتصحيحها بقوله :

هست اشارات محمّد المراد | كل گشاداندرگشاد اندر گشاد
صد هزاران آفرين برجان او | بر قدوم و دور فرزندان او
آن خليفه زادگان مقبلش | زاده اند از عنصر جان و دلش
گر ز بغداد و هرى يا از ريند | بى مزاج آب و گل نسل ويند
عيب‌جويان‌را ازاين دم كوردار | هم بستّارى خود اى كردگار

ولكون الفعليّات والافعال بدون الولاية قشوراً خالية من الالباب وردلوانّ عبداً عبدالله تحت الميزاب سبعين خريفاً قائماً ليله صائماً نهاره ولم يكن له ولاية وليّ امره اوولاية علىّ بن ابى طالب(ع) لأكبّه الله على منخريه فى النّار وغير ذلك من الاخبار المفيدة لهذا المضمون ، ولكون تلك الولاية عبارة عن الاعمال البدنيّة جعلت قرين الصّلوة والزّكوة والحجّ والصّوم فى الاخبار الدّالّة على انّ الاسلام بنى على خمس ، ولكونها اصل الكلّ و اصل جميع الخيرات كما عرفت ورد فى بعض الاخبار انّها افضل وانّها مفتاحهنّ والوالى هوالدّليل عليهنّ ، وفى بعضها : لم يناد بشيءٍ مانودى بالولاية ؛ فاخذ النّاس بأربع وتركوا هذه يعنى الولاية ، وفى بعضها: من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة الجاهليّة ، وأحوج ما يكون الى معرفته اذا بلغت نفسه ههنا ؛ و أهوى بيده الى صدره ، و فى بعضها : انّ الله فرض على خلقه خمساً فرخّص فى اربعٍ ولم يرخّص فى واحدة ، وفى بعضها: حبّ علىٍّ حسنة لايضرّ معها سيّئة ، وفى بعضها : اذا عرفت فاعمل ماشئت من قليل الخير وكثيره ، وغير ذلك من الاخبار الدّالّة على فضائل الولاية ، و نقل عن ابن أبى يعفور فى بيان آخر الآية انّه قال : قلت لأبى ـ عبدالله(ع) انّى اخالط النّاس فيكثر عجبى من اقوامٍ لايتولّونكم ويتولّون فلاناً وفلاناً لهم امانة وصدق ووفاء ، واقوام يتولّونكم ليست لهم تلك الامانة ولا الوفاء ولا الصّدق قال: فاستوى ابوعبدالله جالساً فأقبل علىّ كالغضبان ثمّ قال: لادين لمن دان الله بولاية امام جائرٍ ليس من الله ، ولاعتب على من دان الله بولاية امام عادلٍ من الله، قلت: لادين لاولئك ولا عتب على هؤلآء ؟ـ قال : نعم ، ثمّ قال(ع) : الا تسمع لقول الله : **عزّوجلّ الله ولى الّذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات الى النّور** يعنى من ظلمات الذّنوب الى نور التّوبة والمغفرة لولايتهم كلّ امام عادل من الله عزّوجلّ وقال **والّذين كفروا اولياؤهم الطّاغوت يخرجونهم من النّور الى الظّلمات** انّما عنى بهذا انّهم كانوا على نور الاسلام فلمّا ان تولّوا كلّ امام جائرٍ ليس من الله خرجوا بولايتهم من نور الاسلام الى ظلمات الكفر فأوجب لهم النّار مع الكفّار و فى خبر : فأعداء علىٍّ (ع) امير المؤمنين هم الخالدون فى النّار وان كانوا فى اديانهم على غاية الورع والزّهد والعبادة ، والحاصل انّ ولىّ علىٍّ لايأكل الّا الحلال وعدوّ علىٍّ (ع) لايأكل الّا الحرام ، ومن لم يكن ذاولاية وعداوة لايحكم عليه بحلّيّة ولا حرمة ؛ وكان مرجىٍ لأمر الله ، وقوله تعالى : **اوفوا بالعقود احلّت لكم بهيمة الانعام** بتعليق احلال البهيمة على الوفاء بالعقود اشارة الى البيعة مع علىّ بالخلافة فى غدير خمّ وجمع العقود لانّهم عقدوا البيعة فى ذلك اليوم فى ثلاثة مواطن وورد فى عشرة مواطن للتّأكيد

المطلوب فی هذا الامر وقوله تعالی : اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم ، واليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتی ورضيت لكم الاسلام ديناً ، واليوم احلّ لكم الطّيبات والمحصنات من النّساء بتعليق يأس الكفّار واكمال الدّين واتمام النّعمة والرّضا بالاسلام ديناً واحلال الطّيّبات والمحصنات من النّساء علی يوم البيعة مع علیّ(ع) فی غدير خمّ يدلّ علی ان لا حليّة لشیء بدون الولاية ، وقد مرّ مراراً انّه كلّما ذكر عهد وعقد وميثاق ويمين فالنّظر اوّلاً الی عقد البيعة وخصوصاً البيعة الخاصّة الولويّة ، وكلّما ذكر نقض عقد وعهد وميثاق فالمقصود عقد البيعة ولاسيّما الولاية ؛ والحاصل انّ الانسان بمنزلة المادّة للولاية ، والولاية صورته وفعليّته فما لم ينعقد بالولاية لم يكن له فعليّة الانسانيّة ، واذا انعقد بالولاية حصل له الانسانيّة وتمّ له الفعليّة فكأنّه قبل الولاية لم ينفخ فيه روح الحيوة وكان ميتاً افمن كان ميتاً فأحييناه يعنی بالولاية اشارة الی ما ذكر ، وقوله(ع): النّاس موتی واهل العلم أحياء؛ اشارة اليه فانّ اهليّة العلم منحصرة بهم وبشيعتهم كما قالوا : شيعتنا العلماء بطريق الحصر فكلّ نعمةٍ وخيرٍ وصلاحٍ نعمة وخير وصلاح بالولاية ، والّا كان نقمة وشرّاً وفساداً كائناً ماكان ، و بالولاية احياء النّسل والحرث و اصلاح الارض وعمارتها ، و بردّها اهلاك النّسل والحرث وافساد الارض وخرابها ، وهی ذروة الامر وسنامه ومفتاح الاشياء وباب الابواب ورضی الرّحمن وجنّة الرضوان واصل الخيرات و اساس الحسنات ، وهی الحكمة الّتی من اوتيها فقد اوتی خيراً كثيراً ، وهی رحمة الله و بها يكون فضل الله وقوام النّبوّة والرّسالة ، ومن عرف من امّة محمّد (ص) واجب حقّ ولايته وجد طعم حلاوة ايمانه وعلم فضل طلاوة اسلامه ، بها دين العباد و بنورها استهلال البلاد ، و ببركتها نموّ التلاد ، وهی حيوة الانام ، ومصباح الظلام ، ومفتاح الكلام ، ودعامة الاسلام ، وبالجملة الانسان غاية خلق العالم والولاية غاية خلق الانسان [وَاللهُ سَمِيعٌ] جملة حاليّة للتّرغيب فی الايمان بالله كأنّه قال: فقد استمسك بالعروة الوثقی مع انّ الله الّذی آمن به سميعٌ لاقواله [عَلِيمٌ] بافعاله فيجزيه بها [اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا] جملة حاليّة مكتفية عن الرّابط بتكرار ذی الحال اومستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّر كأنّه قيل : ماشأن الله مع من آمن به وما يفعل بهم؟ـ فقال تعالی : هو وليّهم وقدّم الله ههنا بخلاف القرين الاتی حيث اخّر الطّاغوت لشرافته والالتذاذ والتبجّح بذكره والدّلالة علی انّه ليس فی قلبه (ص) سواه [يُخْرِجُهُمْ] خبر بعد خبر ، اوحال عن المستتر فی الخبر ، او عن الموصول اوعنهما ، او مستأنفٌ جواب لسؤالٍ عن حاله معهم ، اوعن علّة اثبات ولايته ، و أتی بالخبر الاوّل وصفاً لعدم التجدّد و الحدوث فی الولاية بعد ثبوته بالبيعة الولويّة بخلاف اخراجه تعالی للمؤمنين من الظّلمات فانّه امر يتطرّق التجدّد والحدوث فيه آناً فاناً [مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ] .

اعلم انّ اللّطيفة السيّارة الانسانيّة المعبّر عنها بالانسان ليست فی بدو حصول مادّتها واستقرارها فی الرّحم الّا قوّة محضة وعدماً شأنياً ثمّ تتدرّج فی الخروج من القوّة والعدم الی الفعليّة والوجود الی زمان بلوغها مبلغ الرّجال فيصير الانسان انساناً بالفعل واقعاً بين دار النّور ودار الظّلمة مختلطاً فيه نور الانسانيّة بظلمة الحيوانيّة والطّبع والمادّة والشّيطنة ، وظلمة الحيوانيّة تنشعب الی شعبٍ كثيرةٍ فان ادركته العناية الآلهيّة وبلغ الی من دعاه الی الاسلام وأسلم بالتّسليم والانقياد للنّبیّ(ص) ونوّابه وبايع البيعة الاسلاميّة وحصل له الحالة الحاصلة بالبيعة ازداد نوريّته واشتدّت بواسطة نور الاسلام و اخرجه الله قليلاً من الظّلمات المذكورة الی النّور ، فان ادركته العناية مرّة أخری ودخل فی الايمان بقبول الولاية والبيعة الخاصّة الولويّة وحصل له الحالة الحاصلة بالبيعة الخاصّة

أخرجه‌الله من قواه واعدامه متدرّجاً الى نور الايمان ، ثمّ يتفضّل الله عليه بدوام الاخراج التجدّدىّ و يتدرّج هو فى الخروج الى ان يخرج من تمام القوى والاعدام والحدود الى تمام الفعليّة والنّور ، و لمّاكان النّور حقيقة واحدة ليس اختلافها الّابالشدّة والضّعف الّذى يؤكّد الوحدة وسعتها اوباختلاف الحدود والمهيّات ولايؤثّر اختلاف الحدود فى‌ذاته وكانت الظّلمات اى القوى والحدود والاعدام‌الشأنيّة متكثّرة مختلفة بذواتها ومورثة للكثرة فى‌النّورانى بالنّور مفرداً وبالظّلمات جمعاً [وَالَّذينَ كَفَرُوا اَوْلِياؤُهُمُ الطّاغُوتُ] قد مضى بيان الطّاغوت قبيل هذا ، وتأخير الطّاغوت عن‌الاولياء مع انّه مبتدء بقرينة حمل الولىّ‌على‌الله فى‌قرينه لعدم الاعتداد به ، وجمع الاولياء مع‌افراد الطّاغوت امّا لارادة الجنس من‌الطّاغوت والاشعاربتعدّد الطّواغيت كالظّلمات ، او للاشارة الى تعدّد جهات ولاية كلّ طاغوتٍ كأنّه مع وحدته اولياء للكافر [يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ اِلَى الظُّلُماتِ] فسّر فى اخبارنا النّور فى الفقرتين بنور الاسلام والظّلمات بظلمات الكفر وبآل محمّد (ص) وأعدائهم‌وبنور التّوبة وظلمات‌الذّنوب [اُولئِكَ] الكافرون اوالطّواغيت‌اوالمجموع [اَصْحابُ النّارِ هُمْ فيها خالِدُونَ] الاتيان بـاسم الاشارة واسميّة الجملة و تأكيد الخلود المستفاد من صحابة النّار بالتّصريح به للتّغليظ و التّطويل و التّأكيد المطلوب فى مقام الذّم [اَلَمْ تَرَ] الـم ينته رؤيتك [اِلَى الَّذى حاجَّ اِبْراهيمَ فى رَبِّهِ] التّعدية بالى للتّضمين المذكور المشعر ببعد المفعول عن الرّؤية و الادراك و الجملة جواب لسؤالٍ مقدّر كأنّه قيل : ما الشّاهد على الاخراجين ؟- فقال تعالى اخراج نمرود حين المحاجّة فى‌الله من نور التّسليم لربوبيّة الله الى‌ظلمات انكارالرّبّ والمغالطة فى‌المحاجّة والتّحيّرحين‌المغلوبيّة واخراج النّبىّ الّذى مرّعلى القرية من‌ظلمة الشّكّ والحيرة وحجاب‌العلم الى‌نورالشّهود والعيان لكنّه أخرجه فى‌صورة الاستفهام التعجيبىّ تفضّلاً فى‌الجواب بالمبالغة فى استغراب القضيّتين ، ونمرود حاجّ ابراهيم (ع) قبل‌القائه فى‌النّار كماقيل اوبعد القائه و خروجه سالماً من النّار كما نسب الى الصّادق (ع) [اَنْ آتيهُ] اى‌ابراهيم [اللهُ الْمُلْكَ] ملك النّبوّة والطّاعة او نمرود الملك الصورىّ و هو بتقدير لام التّعليل [اِذْقالَ اِبْراهيمُ] بدلٌ من الّذى حاجّ نحو بدل الاشتمال ، اوظرف لحاجّ والمقصود اذقال ابراهيم بعد ما قال نمرود له من ربّك يا ابراهيم ؟- [رَبِّىَ الَّذى يُحْيى وَيُميتُ] اتى بوصف الاحياء الّذى يعجزعنه غيرالله وذكرالاماتة ليس للتّعجيز بل‌لمناسبة التضادّ اوهى ايضاً للتعجيز فانّ الاماتة ازهاق‌الرّوح من دون فعلٍ من‌المميت بالنّسبة الى بدن الميّت اوروحه ، وهذا خاصّ بالله فان‌كان الازهاق بسبب فعل‌فاعلٍ كان قتلاً لااماتة [قالَ] مثل هذا يكون جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ [اَنَا اُحْيى] بان لااقتل من وجب القتل عليه و انجيه من الحبس [وَاُميتُ] بقتل من اردت قتله ، وهذا مغلطة منه فى‌الجواب تمويهاً على العوامّ لانّ ابقاء الحيوة الحاصلة من الله ليس احياءً على انّه ليس ابقاءً للحيوة بل هو ترك لفعلٍ يؤدّى الى ازهاق الرّوح ؛ وهكذا الحال فى الاماتة ، ولمّاكان الزامه ببيان مغلطته فى‌الجواب لم يكن يظهرعلى العوامّ عدل عن الالزام ببيان المغلطة الى التّعجيز بوصف آخر، روى عن‌الصّادق(ع) : انّ ابراهيم (ع) قال له فأحى من قتلته ان‌كنت صادقاً و [قالَ اِبْراهيمُ فَاِنَّ اللهَ يَأْتى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ] لمّا ادّعى الرّبوبيّة لنفسه بالاشارة الى قياسٍ مستفادٍ من ادّعاء حصر الاحياء و الاماتة فى نفسه بتقديم المسند اليه فى قوله انا احيى واميت تصويره هكذا ربّك‌الّذى يحيى ويميت وكلّ محيىٍ ومميتٍ انا فانا ربّك ، وموّه ذلك على‌العوامّ

عدل عن اسم الرّبّ وقال : فانّ الله يأتى ؛ باسم الجلالة حتّى لايتأتّى له التّمويه بوصف المسند اليه ولابوصف المسند [فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ] البهت كالنّصر الانقطاع و التحيّر و فعلهما كعلم ونصر وكرم و عنى والوصف مبهوت لاباهت و قرء مبنيّاً للفاعل و مبنيّاً للمفعول والمعنى فانقطع حجّته او تحيّر [الَّذِى كَفَرَ] اى نمرود [وَاللهُ لَا يَهْدِى] جملة حاليّة والمعنى فانقطع حجّته والحال انّه لم يكن له معين يعينه فانّ المعين ليس الّا الله والله لايهدى [الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] على أنفسهم ثمّ على الخلق ثمّ على خلفاءالله [أَوْ كَالَّذِى] عطف على صلة الموصول اى الم تر الى الّذى كالّذى [مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ] وقيل فى اعرابه وجوه ٌاخر والمارّ كان عزير النّبىّ (ع) اوارمياء (ع) وهما مذكوران فى الاخبار، **وقيل** :كان خضراً والقرية بيت المقدّس حين خرابه بجنود بختنصّر، **وقيل:** الارض المقدّسة اى الشام ، **وقيل:** القرية الّتى خرج منها الالوف فقال لهم الله: موتوا [وَهِيَ خَاوِيَةٌ] خالية اوخربة وعليهما فقوله تعالى : [عَلَىٰ عُرُوشِهَا] حال او ساقطة على سقوفها بمعنى انّ سقوفها سقطت ثمّ سقطت جدرانها على سقوفها ، [قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ] اى اهل هذه القرية او انّى يعمر هذه القرية [اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا] اى موت اهلها اوخرابها وانّما قال ذلك استعظاماً لأمرها لاانكاراً لقدرةالله عليها [فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ] يعنى انظر الى قدرة الله وعجيب صنعه فى انّ طعامك و شرابك [لَمْ يَتَسَنَّهْ] فى طول هذه المدّة ، والهاء للسّكت والمعنى لم يتغيّر [وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ] كيف صار رميماً و تفرّقت عظامه مع بقاء طعامك وشرابك [وَ] فعلنا ذلك بك [لِنَجْعَلَكَ] اوفعلنا ذلك بك لتصير موقناً مشاهداً ولنجعلك [آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ] عظام بدنك و عظام حمارك [كَيْفَ نُنشِزُهَا] نرفعها و نركّب بعضها على بعضٍ وقرء بالرّاء المهملة من باب الافعال ومن الثلاثىّ المجرّد [ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ] و شاهد ما علمه سابقاً بعد اماتته مائة عامٍ [قَالَ] النّبىّ [أَعْلَمُ] على قرائة المضارع اوقال الله اعلم على قراءة الامر وقد ذكر فى الاخبار وجوه لاماتة هذا النّبىّ (ع) وتفاصيل لكيفيّتها من أراد فليرجع الى المفصّلات [أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] ومنه الاحياء بعد الاماتة [وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ] عطف على مجموع الى الّذى حاجّ ابراهيم اوعلى الموصول المجرور بالى واشارة الى وجهٍ آخر لاخراج المؤمن من ظلمات حجاب العلم الى نورالعيان ، او عطف على قوله اذقال ابراهيم على ما نقل انّه قال بعد قول نمرود انا أحيى وأميت انّ احياءالله بردّ الرّوح الى بدن الميّت فقال نمرود : وهل عاينته ؟ ـ فلم يقدر ان يقول : نعم ، فسأل الله بعد ذلك فى الخلوة و قال [رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ] حتّى أجيب به نمرود [قَالَ] الله [أَوَلَمْ تُؤْمِن] اولم تذعن بانّى اقدر على ذلك وافعل ذلك فى الآخرة؟ـ [قَالَ بَلَىٰ] اذعنت بذلك وايقنته [وَلَٰكِن] اسأل ذلك [لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي] بالعيان بعدالبيان ، اعلم انّ الظّنّ كما سبق يطلب العلم بالمظنون والعلم يطلب الشهود والعيان ، والعيان يجذب التّحقّق ويحرّك كلّ صاحبه ولايدعه يسكن عن الطّلب حتّى يوصله الى ما فوقه ، فقال : ابراهيم (ع) بعد العلم بذلك : انّ علمى يهيّجنى ويجعل قلبى مضطرباً فى طلب العيان فأطلب العيان ليطمئنّ قلبى [قَالَ فَخُذْ] الفاء

جزائيّة لشرط مقدّر يعنى ان اردت ذلك فخذ [أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ] جمع الطّائر او اسم جمع له كصحب وصاحب [فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ] حتّى لا يلتبس عليك قرئ بضمّ الصّاد وكسرها من صار يصور وصار يصير بمعنى أمال وبضمّ الصّاد وكسرها وشدّ الرّاء من صرّ مشدّد الرّاء من باب نصر وضرب، وبفتح الصّاد وشدّ الرّاء وكسرها من التصرية والجميع بمعنى الجمع فاقتلهنّ وقطّعهنّ ومزّجهنّ وجزّئهنّ [ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ] من الجبال العشرة، وقيل: كانت الجبال اربعة وقيل كانت سبعة [مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا] اتيان سعى او هو مفعول مطلق من غير لفظ الفعل او هو حال بمعنى ساعيات.

اعلم انّه قد اختلف الاخبار فى سبب سؤال ابراهيم (ع) ذلك؛ ففى بعضها انّه لمّا رأى ملكوت السّماوات والارض رأى جيفة على ساحل البحر نصفها فى البحر ونصفها فى البرّ تأكلها سباع البحر وسباع البرّ ثمّ يحمل بعض السّباع على بعض فيأكل بعضها بعضاً فتعجّب ابراهيم (ع) وسأل ذلك، وفى بعض انّ الله أوحى الى ابراهيم (ع) انّى متّخذ من عبادى خليلاً ان سألنى احياء الموتى أجبته فوقع فى نفسه أنّه ذلك الخليل فسأل ذلك ليطمئنّ انّه ذلك الخليل، وقد مضى وجه آخر انّ نمرود قال: هل رأيت احياء الميّت بردّ الرّوح الى بدنه؟- فسأل ذلك من الله، واختلف الاخبار فى تعيين الطّيور؛ ففى بعضها أخذ ابراهيم نسراً وبطّاً وطاووساً وديكاً، وفى بعض انّه اخذ الهدهد والصّرد والطّاووس والغراب، وفى بعضها الدّيك والحمامة والطّاووس والغراب، وفى بعضها: الدّيك والطّاووس والوزّة والنّعامة، وقد اختلف الاخبار ايضاً فى كيفيّة مزجها وتجزيتها؛ وفى بعض الاخبار: هذا تفسيره فى الظّاهر وتفسيره فى الباطن: خذ اربعة ممّن يحتمل الكلام فاستودعهنّ علمك ثمّ ابعثهنّ فى اطراف الارضين حججاً على النّاس، واذا اردت ان يأتوك دعوتهم بالاسم الاكبر يأتونك سعياً باذن الله، واختلاف الاخبار فى تعيين الطّيور وكيفيّة قتلها ومزجها وتجزيتها ودعوتها واحيائها، واختلافها فى عدد الجبال و اشارتها الى بعض وجوه التّأويل يدلّ على انّ ليس المراد من هذه الحكاية ظاهر القصّة فقط بل كان ظاهرها مراداً للتّنبيه على باطنها وانّ المقصود من الطّيور الاربعة الشّيطنة والشّهوة؛ والغضب والحرص المتولّد منهما، او طول الامل المتولّد منها فانّهما متلازمان فانّها امّهات جنود النّفس والجهل، والمراد بقتلها اماتتها عن الحيوة النّفسانيّة وباحيائها احياؤها بالحيوة العقلانيّة حتّى تصير من جنود العقل فانّ الطّاووس مظهر للشيطنة المقتضية للانانيّة الباعثة للتجلّى كلّ آن بلون على نفسه وعلى غيره والدّاعية لتعجيب نفسه وغيره، والدّيك للغضب، والحمام للشّهوة، والبطّ للحرص، ولمّا كانت هذه الصّفات تظهر من طيور اُخر ايضاً اختلف الاخبار فى تعيين الطّيور وقد ذكر فى تعيين الصّفات وتأويل الطّيور نظماً ونثراً وجوه غير هذا، والتّعبير بالطّيور مع انّ فى الدّوابّ ما هو مظاهر الصّفات بل هى اشدّ ظهوراً فى بعض الدّوابّ من الطّيور لانّ النّفس وجنودها لكونها كشجرة خبيثة اجتثّت من فوق الارض مالها من قرار لاثبات لها على شيء بل هى كالطّير كلّ آن على غصن فبالشّيطنة تعرض نفسها على نفسها وعلى غيرها كلّ ساعة بلون وصفة، وبالشّهوة تتمنّى كلّ آن مشتهى، وبالغضب يعضّ كلّ حين على سليم، وبالحرص والامل يتبع كلّ آن مأمولاً، وبعد القتل يتبدّل الاوصاف وتصير من جنود العقل منقادة مطيعة كلّما دعاها العقل يسرعن فى الاجابة.

[وَاعْلَمْ] من قبيل عطف المسبّب على السّبب كأنّه قال حتّى تعلم بعد احياء الموتى [أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ] لايمنعه شيء من مراده [حَكِيمٌ] لا يفعل شيئاً من الاماتة والاحياء الّا لحكم ومصالح ولايعطى شيئاً من القوى

والاعضاء جنداً للجهل اوللعقل الّا لمصالح عديدة ، اوالمعنى واعلم انّ الله عزيزٌ حكيم حتّى لاتقول : لم امر بقتل الحيوان وايذائه؟! [مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ] جوابٌ لسؤالٍ ناشٍ من السّابق كأنّه قيل: مالمن قتل الطّير الّتى هى من جنود الجهل سوى احيائها بحيوة العقل؟ـ فقال : مثل الّذين يقتلون جنود الجهل فى ابتغاء العقل وينفقون [اَمْوالَهُمْ] الحقيقيّة الّتى هى قواهم [فِى سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ اَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ] اى ما لاحدّ له والتّفاضل فى عوض الانفاق واجره انّما هو بالتّفاوت فى حال المنفق ونيّته وشأنه والمال المنفق وحال المنفق عليه ، وفى الخبر اذا احسن العبد المؤمن عمله ضاعف الله له عمله بكلّ حسنة سبعمائة ضعف ، وذلك قول الله تعالى والله يضاعف لمن يشاء ، وفى هذا الخبر دلالة على انّ المراد بالاموال فى الآية اعمّ من الاعراض الدّنيويّة والقوى والاعضاء البدنيّة حيث اشهد بها على تضعيف اجر الاعمال من الله وليست الاعمال الّا انفاق القوى البدنيّة والحركات العضويّة والاعضاء البدنيّة وانّ المراد بقوله: والله يضاعف لمن يشاء ، حصر تضعيف الاجر الى سبعمائة فى الله لاتكثير الضعف فوق السّبعمائة ولاتقييد التّضعيف بمن يشاء وهووجه من وجوه الآية [وَاللّهُ واسِعٌ] عطف فى معنى التّعليل ان كان المراد بقوله والله يضاعف لمن يشاء تكثير التّضعيف فوق السّبعمائة، اوالمراد به تكثير التّضعيف فوق السّبعمائة ان كان المراد بذلك حصر التّضعيف فى الله اوتقييده بمن يشاء [عَلِيمٌ] بانفاقكم وقدر المنفق ونيّة المنفق وحال المنفق عليه فيضاعف بقدر استعدادكم و استحقاقكم ليس فعله و ارادته جزافاً من دون نظرٍ الى استحقاقكم فربّ منفقٍ يبطل انفاقه اويعذّبه الله عليه، وربّ منفق يجازيه بالاحسن الى العشرة، الى السّبعين، الى السّبعمائة، الى السّبعة الآلاف، الى السّبعين الفاً، الى ماشاء الله، الى مالانهاية له [اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ] جواب سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل : هذا لكلّ من أنفق اولبعض دون بعض؟ـ فقال تعالى تفصيلاً للمنفقين : الّذين ينفقون [اَمْوالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لايُتْبِعُونَ ما اَنْفَقُوا مَنّاً] العطف بثمّ للتّفاوت بين الاخبارين ، والمنّ ان تنظر الى المنفق عليه معتدّاً بانفاقك [وَلا اَذىً] وهو ان تتطاول عليه و تستحقره و تستقدمه و تستقبله بكلامٍ خشنٍ و تعدّ احسانك عليه ، و من اقبح الخصال الاعتداد باحسانك الى الغير وباساءة الغير اليك ونسيان احسان الغير اليك ونسيان اساءتك الى الغير، ومن اجمل الخصال كمال الاعتداد باحسان الغير اليك والتندّم على اساءتك اليه ونسيان احسانك الى الغير ونسيان اساءته اليك ، والاعتداد بالاحسان يورث الانانيّة المخالفة للانفاق والوبال للنّفس مع ابطال الاحسان ، وفى الاخبار: انّ المراد المنّ والاذى لمحمّدٍ (ص) وآله (ع) [لَهُمْ اَجْرُهُمْ] لم يأت بالفاء ههنا وأتى به فى قوله : الّذين ينفقون اموالهم باللّيل والنّهار سرّاً وعلانية فلهم اجرهم؛ الآية لانّ المقصود ههنا بيان بطلان الصّدقة بالمنّ والاذى و لذلك بسط بعداً فى الانفاقات الباطلة ولم يكن المقصود ترتّب الاجر على الانفاق حتّى يأتى بالفاء المؤكّد للترتّب بخلاف ما يأتى فانّ المقصود هناك بيان ترتّب الاجر وناسبه الاتيان بمؤكّدات التلازم واضافة الاجر اليهم لتفخيم الاجر و للاشارة الى اختلاف الاجر بحسب اختلاف المنفقين بحيث لا يمكن تحديد حدّ له الّا بالاضافة الى المنفقين [عِنْدَ رَبِّهِمْ] تشريف آخر لهم بانّ امر اجرهم غير موكول الى غيرهم [وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ] قد مضى وجه اختلاف القرينتين فى اوّل السّورة [قَوْلٌ مَعْرُوفٌ] جواب سؤالٍ

مقدّر كأنّه قيل : ما يفعل من لايقدر على ترك المنّ والاذى فى انفاقه ؟ ـ فقال : قول معروف يعنى ما لا ينكره العرف والعقل مع عدم اجابة السّائل وعدم الاحسان اليه [وَمَغْفِرَةٌ] يعنى اغماض المسؤل عن قبائح السّائل وقبائح الحاجة اوسترعلى السّائل وسؤاله ، اوادراك مغفرةالله بازاء القول المعروف [خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا اَذىً] اكتفى عن المنّ بذكرالاذى فانّه نحواذى، وأتى باداة التّفضيل بناء على مخاطبات العرف والّا فلا فضيلة للصّدقة الّتى يتبعها اذى بل لها وبال كمامضى [وَاللّٰهُ غَنِيٌّ] عن صدقاتكم ليس امره بها لاجل حاجة له الى انفاقكم على عياله وانّما افقر بعض عباده لابتلاء بعض آخر لا لعدم قدرته على اغنائه [حَلِيمٌ] لايعجل بعقوبة من يمنّ ويوذى فى انفاقه وهويدلّ على وبال المانّ بالانفاق [يٰاَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] اى اسلموا بالبيعة العامّة وقبول الدّعوة الظّاهرة بعد ما مدح الانفاق و ذمّ المنّ والاذى عليه نادى المؤمنين خاصّة تلطّفاً بهم و اعتناءً بشأنهم ثمّ نهاهم عن الانفاق المذموم كأنّ غيرهم ليسوا مكلّفين حتّى يتوجّه النّهى اليهم فقال: [لَاتُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْاَذٰى] اعلم انّ الانفاق اذاكان الدّاعى اليه صدق المنفق فى امتثال الامر الآلهىّ من دون شراكة أغراض النّفس كان صدقة ، وابطالها من حيث انّها صدقة بان لم يكن هذا الصّدق فى الانفاق اوكان لكن يذهب به بعده فقوله : لاتبطلوا صدقاتكم معناه: لاتذهبوا بصدقكم فى انفاقكم، والاتيان بعنوان الصّدقات مقام الانفاق للتّنبيه على انّ المؤمن ينبغى ان يكون انفاقه قريناً للصّدق لكن قد يطروعليه ما يذهب بصدقه [كَالَّذِى يُنْفِقُ مٰالَهُ رِئٰاءَ النّٰاسِ] مفعول له اوحال. اعلم انّ العبادات اذاكان الدّاعى اليها قرب العابد من الله بمعنى انّ القرب المستلزم لشدّة الحبّ المستلزم لخدمة المحبوب صار سبباً للعبادة والقيام بخدمة المعبود وامتثال أمر المحبوب كانت عبادة ، واذاكان الدّاعى انتفاع النّفس من الله ولوبقرب الله لم تكن عبادة حقيقة ، واذاكان الدّاعى انتفاع النّفس من الغير لم تكن عبادة لاحقيقة ولاصورة بل كانت محرّمة ووبالاً ولذلك قالوا : انّ المراءاة فى الصّلوة مبطلةٌ لها بل المرائى اشرّ من تارك الصّلوة بمراتب فانّه مستهزء بالله ومنافق ومشرك اوكافر ويحسب انّه محسن ويعجب بنفسه بخلاف التّارك فانّه متوان فى أمره تعالى ويعلم انّه تارك؛ وكثيراً مايتبنّه ويلوم نفسه [وَلَايُؤْمِنُ] لا يذعن [بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ] حين المراءاة او مطلقاً [فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوٰانٍ] اعلم انّ التشبيهات التمثيليّة المركّبة لايلزم ان يكون جميع اجزاء المشبّه والمشبّه به مذكورةً ولايلزم التّرتيب بين اجزائهما فى الذّكر ولا ذكر تمام اجزائهما فقوله فمثله يحتمل ان يكون المراد به مثل المنفق المرائى فى صلابة قلبه وقساوته وعدم انبات النّبات فيه واستتار قلبه تحت صورة الانفاق الّذى هومن وجوه الخير الّذى يدلّ على صلاح قلبه وصلاحيته لبذر الآخرة وانباته ونموّه كمثل صفوان [عَلَيْهِ تُرٰابٌ] صالح للزّرع ونموّه وابطال المراءاة الصلاحية المترائاة من ظاهر الانفاق كابطال المطر العظيم القطر الصلاحية المترائاة من ظاهر تراب الصّفوان و ان يكون المراد به مثل المال المنفق فى ذهابه عن المنفق وعدم الانتفاع به بشيءٍ من وجوه الانتفاع لابطال الرّياء له مع انّه بحسب صورة الانفاق يترائى انّ المنفق ينتفع به كمثل بذرٍ وقع على صفوانٍ عليه تراب [فَاَصٰابَهُ وٰابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً] عن التّراب والبذر جميعاً [لٰايَقْدِرُونَ] حال عن فاعل ينفق اوعن الضّمير المضاف اليه للمثل فانّ المثل يصحّ حذفه وجمع الضّمير مع افراد الضّمير الّذى هوذوالحال باعتبار لفظ ، الّذى ، ومعناه فانّ معناه

الجنس العامّ الشامل لكلّ فرد ، اوجواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: ماحال المنفق المرائى فى انفاقه؟- اولم قلت كمثل صفوان ؟- اوكأنّه قيل: ماحال المبطل انفاقه بالمنّ والمرائى فى انفاقه ؟- فقال : لايقدرون [عَلٰى شَىْءٍ مِمّا كَسَبُوا] فلا اشكال حينئذ فى جمع الضّمير وهذا يدلّ على انّ المراد بالانفاق مطلق الاعمال فانّ الكسب اعمّ ممّا يكسب بالانفاق [وَاللهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكافِرِينَ] عطف على لايقدرون والاهتمام بالله منع من مراعاة التّناسب بين المتعاطفين اوحال والمعنى انّهم بأنفسهم لايقدرون ولامعين لهم سوى الله والله لا يهديهم ووضع الظّاهر موضع المضمر للتصريح بانّهم كافرون ولتعليل الحكم .

بيان ابتغاء مرضات الله بحيث لا يخلّ باخلاص العمل

[وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ اَنْفُسِهِمْ] لفظة من لابتداء الغاية داخلة على الفاعل مثل زعماً منهم وعدم توافق المفعول له والعامل فى المسند اليه مغتفر ههنا لانّه تابع و يغتفر فى الثوانى ما لا يغتفر فى الاوائل ، او داخلة على المفعول بتضمين التّثبيت معنى الطّلب اى طلباً للثّبات من أنفسهم ، اومن للتّبعيض قائمة مقام المفعول به اى تثبيتاً لبعض أنفسهم كأنّ أنفسهم موزّعة على المال والرّوح ومن يجاهد بالمال يثبّت بعض نفسه على الطّاعة اوعلى الانفاق ، ومن يجاهد بنفسه يثبّت البعض الآخر. اعلم انّ الانفاق مثل سائر الطّاعات اذاكان الدّاعى عليه امراً زائداً على شاكلة الانسان مقصوداً انتفاعه به سواء كان قرباً من الله او رضاه او نعيمه او الخلاص من جحيمه او غير ذلك من الدّواعى الرّاجحة والمباحة المأذون فيها والغير المأذون فيها لم يكن طاعة بل معاوضة وابتجاراً ، واذاكان شاكلة الانسان غير آلهيّة كان اعماله غير آلهيّة سواء قصد منها أمراً اخرويّاً اوغير اخرويّ ؛ اولم يقصد أمراً سوى شاكلته وكان الدّاعى نفس شاكلته ، واذاكان شاكلته أمراً آلهيّاً قرباً من الله اوابتغاء مرضاته او التذاذاً بأمره و امتثاله اوالتشأّن بحبّه و ابتغاء خدمته اوغير ذلك من الشّؤن الآلهيّة وكان تلك الشّاكلة داعية على العمل من غير قصد لامر زائد وكانت الغاية اشتداد الدّاعى فانّ كلّ هذه بذاتها تقتضى الاشتداد وتقتضى القيام بأمره تعالى كان العمل طاعة وعبادة وخالصاً لوجه الله ، فعلى هذا يكون معنى الآية مثل الّذين ينفقون أموالهم لحصول ابتغاء مرضاة الله الّذى هوشاكلتهم ولحصول تثبيت أنفسهم الّذى هوشاكلتهم وتمكينها فى شاكلتها يعنى لاقتضاء ابتغاء المرضاة الحاصل لهم اولتحصيل الابتغاء الّذى هواشتداد شاكلتهم لكن من غير قصد زائد على اقتضاء الابتغاء الاشتداد ، بل بقصد بسيط حاصل فى نفس الاقتضاء الاشتداد فانّه اذاكان الانفاق لتحصيل اشتداد الابتغاء بقصد مركّب عن شعور تركيبيّ وقصد زائد لحصول امر للنّفس نافع لها لم يكن حاصلاً كان المقصود به انتفاع النّفس الّذى يفسد العبادة [كَمَثَلِ جَنَّةٍ] اى كمثل غارس جنّة وقدمضى انّ التّشبيهات المركّبة لايلزمها ان يكون ترتيب اجزاء المشبّه به مثل اجزاء المشبّه ولا ان يكون التّالى للمثل اولاداة التّشبيه نفس المشبّه به ، ولا ان يصحّ التّشبيه بين اجزاء الطّرفين [بِرَبْوَةٍ] الرّبوه بتثليث الرّاء، المكان المرتفع ؛ وقرئ بالتثليث ، شبّه المنفق فى زرع القلب بزراعة الآخرة بغارس جنّة واقعة فى مكان مرتفع فى انّها محفوظة عن الاغبرة الكثيرة الواردة على الامكنة المنخفضة وعن صدمة السيل وعن ضياع ثمرها باحتباس الهواء ، وفى نضارتها وطراوتها بمجاورة الهواء الصّافى ورطوبة الهواء المرتفع، وفى تضعيف ثمرها بذلك [اَصابَها وابِلٌ] لاالسّيل [فَآتَتْ اُكُلَها] اى ثمرها [ضِعْفَيْنِ] بما ذكر من اسباب حسنها [فَاِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ] بواسطة

مجاورة الهواء المرتفع الرّطب ، والطّل ما يقع في اللّيل على النّبات شبه الثّلج [وَاللهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصيرٌ] تحذير عن ابطال الانفاق بالمنّ والرّياء وترغيب في اخلاص الانفاق لله [اَيَوَدُّ اَحَدُكُمْ] تمثيل آخر لمن انفق ثمّ ابطل انفاقه بالمنّ والاذى بعده كما انّ المثال السّابق كان لمن كان ابطاله مع الانفاق فانّه شبّه الانفاق الّذى هو غرس في جنّة القلب للآخرة بجنّة كذا وصاحبه بصاحب الجنّة في حال شدّة الاحتياج من اصابة الكبر وكونه معيلاً وعياله ذرّيّة ضعفاء ومنّه واذاه بنار أتت فاحترقت جنّته حال كونه لا يرجو غيرها لكنّه ادّاه بالاستفهام الانكارىّ تجديداً للاسلوب لتنشيط السّامع وتهييجه للاستماع وتأكيداً في التحذير عن المنّ والاذى [اَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخيلٍ وَاَعْنٰابٍ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰارُ لَهُ فيهٰا مِنْ كُلِّ الثَّمَرٰاتِ] يعنى تكون الجنّة منهما لكن كان في خلالهما سائر انواع الاشجار، ويجوز ان يراد بالثّمرات مطلق المنافع من الثّمرات والحبوب وغيرها [وَاَصٰابَهُ الْكِبَرُ] حتّى يضعف عن القيام بأمر ذرّيّته ويكون كفاية ذرّيّته من تلك الجنّة [وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفٰاءُ] عجزة عن الاكتساب [فَاَصٰابَهٰا اِعْصٰارٌ] الاعصار الرّيح المثيرة للسّحاب، اوالّتى فيها نار، اوالّتى تهبّ من الارض كالعمود نحو السّماء مستديرة ، اوالّتى فيها العصار اى الغبار الشّديد [فيهِ نٰارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذٰلِكَ] اى مثل بيان هذه الامثال للانفاق الخالص ولابطاله [يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيٰاتِ] الانفسيّة و غيرها [لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ] و تنتقلون من ظاهر الامثال الّتى هى الآيات الآفاقيّة الى الممثّل لها الّتى هى الآيات الانفسيّة [يٰا اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا] اراد ان يذكر حال المنفق بعد ما ذكر الاخلاص في الانفاق وانّ المنفق ينبغى ان يكون جيّداً محبوباً للنّفس لا خبيثاً مكروهاً لها ، فنادى المؤمنين تهييجاً لهم بلذّة المخاطبة والنّداء وقال: [اَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبٰاتِ مٰا كَسَبْتُمْ] حلاله وجياده [وَمِمّٰا اَخْرَجْنٰا لَكُمْ مِنَ الْاَرْضِ] اى من طيّبات حبوبكم واثماركم والمستخرجات من معادنكم ، عن الصّادق(ع) كان القوم قد كسبوا مكاسب سوء في الجاهليّة فلمّا اسلموا ارادوا ان يخرجوها من اموالهم ليتصدّقوا بها فأبى الله تبارك وتعالى الّا ان يخرجوا من طيّبات ماكسبوا [وَلٰا تَيَمَّمُوا الْخَبيثَ] تيمّمه قصده وكأنّه مبدل الياء من الهمزة و قرء تؤمّموا وتيمّموا من باب التفعيل والخبيث الردىّ [مِنْهُ] ممّا كسبتم اوممّا اخرجنا لكم اومن كلّ واحدٍ على ان يكون متعلّقاً بتيمّموا اومن الخبيث على ان يكون متعلّقاً بقوله تعالى [تُنْفِقُونَ] والجملة حال اومستأنفة [وَلَسْتُمْ بِآخِذيهِ اِلّٰا اَنْ تُغْمِضُوا فيهِ] نزلت في اقوام لهم اموال من ربوا الجاهليّة وكانوا يتصدّقون منها، وفي خبرٍ آخر انّها نزلت في اقوام كانوا يجيئون بالحشف فيدخلونه في تمر الصّدقة ، وفي خبرٍ آخر اذا امر رسول الله(ص) بالنّخل ان يزكّى يجيىٔ قوم بألوان من التّمر هو من اردى التّمر يؤدّونه من زكوتهم تمرة ، يقال له الجعرور والمعافارة قليلة اللّحا عظيمة النّوى وكان بعضهم يجيء بها عن التّمر الجيّد فقال رسول الله(ص) لاتخرصوا هاتين التّمرتين ولاتجيئوا منهما بشيءٍ وفي خبر آخر انّها نزلت في صدقة الفطر كانوا يأتون بها الى مسجد رسول الله (ص) وفيها أردى التّمر ويستفاد من مجموع الاخبار انّه لااختصاص للطيّب بالحلال ولاللخبيث بالحرام ولاللصّدقة بالواجبة ولاللواجبة بزكوة المال [وَاعْلَمُوا اَنَّ اللهَ غَنِىٌّ] يعنى انّ المحتاج قد يقبل الردىّ لحاجته والله غنىّ لا يقبل الردىّ اصلاً [حَميدٌ]

يعنى الغنىّ الذميم قد يقبل الردىّ بخلاف الحميد فهما كناية عن عدم قبول الردىّ اصلاً [الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل : ما بالنا لانقدر على انفاق الطيّب وترك تيمّم الخبيث فى الانفاق ؟- فقال : لانّ الشّيطان يعدكم [الْفَقْرَ] اى يوعدكم و يخوّفكم [وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ] اى البخل بالطيّب فانّ البخيل يسمّى بالفاحش فى لغة العرب وحينئذ لم يكن مابعده جزءاً من الجواب اوالتّقدير لم أمرنا الله بالانفاق من الطيّب ونهانا عن تيمّم الخبيث؟- فقال: لانّ الانفاق من الطيّب ليس الّا بالخروج من انانيّة النفس وحكومته والدّخول فى حكومة الله و امره ، والانفاق من الخبيث بدل الطيّب ليس الّا من حكومة الشّيطان والدّخول تحت امره والشّيطان يخوّفكم بالفقر ثمّ يأمركم بالفحشاء [وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً] كان مقتضى المطابقة بين الفقرتين ان يقول والله يعدكم الغنى و يأمركم بالمعروف لكنّه عدل الى ما ذكر لاستنباط الامر بالمعروف من الامر بانفاق الطيّب، وللاشارة الى انّ وعد الله يعمّ الدّنيا والآخرة بخلاف ايعاد الشّيطان فانّه لايتجاوز عن الدّنيا، وقدّم المغفرة لانّها وعد اخروىّ بخلاف الفضل ، ونكرّهما للتفخيم ، واتى بالفضل مقام الغنى للاشعار بانّ الغنى الموعود ليس كالغنى الموهوم الّذى ليس الّا الفقر والحاجة والعناء بل هو من فضل الله الّذى لافقر فيه ولانصب ولانفاد ، وقدّم ايعاد الشّيطان لكون المقام لذمّ الّذين تيمّموا الخبيث فاقتضى المقام الاهتمام بايعاد الشّيطان ولان يختم الآية بالخير كما بدئت به ولارادة انجرار وعد الله الى ايتاء الحكمة و الخروج عن مقام ذكر الوعد والايعاد [وَاللَّهُ وَاسِعٌ] لايخاف الضيق والفقر فلاخلف فى وعده [عَلِيمٌ] بمصالحكم فلا يأمركم الّا بما فيه صلاحكم ، ولاينهاكم الّا عمّا فيه فسادكم .

بيان الحكمة ومراتبها

[يُؤْتِي الْحِكْمَةَ] جواب لسؤال مقدّر كأنّ الرّسول(ص) بعد ما أيقن وشاهد المفاسد المترتّبة على طاعة الشّيطان و المصالح الّلازمة لطاعة الله قال : ما للنّاس لا يتأمّلون ولاينظرون الى تلك المفاسد والمصالح؟! ولايرتدعون عن تلك ولا يرغبون فى هذه ؟- فقال : لانّ النّظر فى دقائق هذه والعمل بمقتضاها من شعبتى الحكمة النّظريّة و العمليّة ولا يؤتى الله الحكمة لكلّ احد بل يؤتيها [مَنْ يَشَاءُ] ويجوز ان تكون الجملة حاليّة اوخبراً بعد خبر مفيدة لهذا المعنى ، والحكمة كمامرّ عبارة عن ادراك دقائق المصنوع الآلهىّ وغاياته المترتّبة عليه؛ وهى الحكمة النّظريّة ، وعن القدرة على صنع مصنوع مشتمل على دقائق الصّنع والغايات المترتّبة الى غاية هى أشرف الغايات بالنّسبة الى مقام الصّانع ؛ وهى الحكمة العمليّة ، وتطلق الحكمة على كلّ واحد منهما وعلى المجموع ، ولمّا كان ادراك الدّقائق المودعة فى المصنوعات و اعمال الدّقائق المتصوّرة لها خاصّين بالله فالحكيم على الاطلاق هو الله تعالى و سائر النّاس حكماء بقدر ادراكهم وقدرتهم على الصّنع ، وتلك الحكمة اى ادراك دقائق المصنوع الآلهىّ والغايات المترتّبة عليه والقدرة على صنع مصنوع مشتمل على غايات منتهية الى غاية هى اشرف الغايات لايمكن حصولها الّا بعد فتح باب القلب بالولاية لانّه مالم يفتح باب القلب لم يفتح عين القلب ، ومالم يفتح عين القلب لم يمكن الادراك الّا بعين الخيال ، والخيال مخطئ فى ادراكه و غير متجاوز عن الغايات الدّنيويّة ، واذا فتح باب القلب بالولاية يدرك الانسان اوّلا دقائق الصّنع المودعة فى نفسه وعالمه الصّغير ، و يدرك حيل الشّيطان فى اغوائه ، و لطائف الملك فى تصرّفه ، و يقدر على دفع حيل الشّيطان و تقوية تصرّف الملك ، فاذا استقام فى ذلك وخلص من تصرّف الشّيطان تمكّن من ادراك دقائق الصّنع فى العالم الكبير والغايات المترتّبة على مصنوعاته تعالى ، ويقدر

على التصرّف فيها بقدر قوّته قليلاً او كثيراً، وادراك الدّقائق فى عالمه الصّغير والقدرة فيه عبارة عن النّبوّة وخلافتها، وذلك الادراك والقدرة فى العالم الكبير عبارة عن الرّسالة وخلافتها واساس ذلك هى الولاية كما عرفت فيجوز تفسير الحكمة بكلٍّ من الولاية والنّبوّة والرّسالة وبمعرفة الامام وطاعته وبمعرفة الامام واجتناب الكبائر وبالكتاب وبالثّبات عند اوائل الامور والوقوف عند عواقبها وبهداية الخلق الى الله وبمعرفة الامام والفقه فى الدّين، والحكمة سبب عمارة البيوت فما من بيتٍ ليس فيه شيءٌ من الحكمة الّا كان خراباً، وقد فسّرت بالتشبّه بالآله علماً وعملاً وهى غاية خلق الانسان بل غاية عالم الامكان ولذلك قال تعالى : [وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ] بالحكمة او باستلزامها للخير الكثير [إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ] اعلم انّ الانسان بتمام عباداته و عظيم طاعاته ما لم ينعقد قلبه بالولاية كان كشجرة اللّوز والفستق الّتى كانت كثيرة اللّوز والفستق اللّذين لم يكن لهما لبٌّ وينبغى ان يوقد فى النّار ولا يبصر شيئاً من دقائق المصنوع ولا من دقائق حيل الشّيطان فلا يقدر على دفع شيءٍ من حيله ، واذا انعقد قلبه بالولاية صار اثمار أعماله ذوات ألباب وأبصر من الدّقائق والحيل بقدره فما لم ينعقد قلبه بالولاية لا يتذكّر ذلك واذا انعقد تذكّر [وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ] ممّا يطلق عليه اسم النّفقة قليلاً كان ام كثيراً فى حقّ ام باطل صحيحاً اوفاسداً مبطلاً اومبقىً سرّاً اوعلانيةً [أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ] كذلك تجزوا به [فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ] و يقدر على المجازاة ولا مانع من مجازاته [وَمَا لِلظَّالِمِينَ] اى مانعى الحقوق من اهاليها ومعطيها لغير اهاليها فى الانفاق والنّذر اوفى مطلق الموارد ومنها الانفاق والنّذر [مِنْ أَنْصَارٍ] يدفعون عقوبة الله عنهم [إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل : ابداء الانفاق خير اواسراره؟- فقال: ان تبدوها [فَنِعِمَّا هِيَ] اى فنعم شيئاً اونعم الشّيء الصّدقات المبدءات وجعل المخصوص ههنا الصّدقات للاشعار بأنّ مدح الابداء انّما هو لمدح الصّدقات بخلاف اخفائها فانّه ممدوح فى نفسه و ممدوح لمدح الصّدقات ايضاً [وَإِنْ تُخْفُوهَا وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ] اى الاخفاء [خَيْرٌ لَكُمْ] كما انّ نفس الصّدقة خير لكم ، وجعل المخصوص بالمدح فى الفقرة الاولى ابداء الصّدقات كما قدّروا يذهب باللّطف المندرج فى العبارة . فى الخبر: انّ كلّما فرض الله عليك فاعلانه أفضل من اسراره ، وماكان تطوّعاً فاسراره أفضل من اعلانه ، ولو انّ رجلاً حمل زكوة ماله على عاتقه فقسمها علانية كان ذلك حسناً جميلاً ، وفى خبر، انّهم يعنى اصحاب الرّسول (ص) كانوا يستحبّون اظهار الفرائض وكتمان النّوافل، والوجه فى ذلك انّ الفرائض بعيدة عن المراءاة فيها والعجب والانانيّة بخلاف النّوافل، لكن نقول: هذا كسائر الاحكام يختلف باختلاف الاشخاص والاحوال فربّ صدقةٍ نفل يكون اعلانها افضل بمراتب من اعلان الزّكوة الفرض ، وربّ زكوة فرض يكون اسرارها افضل من اسرار النفل [وَيُكَفِّرُ] اى الله او الاخفاء قرئ بالرّفع عطفاً على مجموع جملة الشّرط والجزاء ، اوعلى الجزاء ولم يجزم لكون المعطوف عليه جملة اسميّة غير ظاهر فيها الجزم ، اولتقدير مبتدءٍ حتّى يصير المعطوف على الجزاء جملة اسميّة ، وقرئ بالنّون وبالتّاء المثنّاة من فوق على ان يكون الفعل للصّدقات مرفوعاً ومجزوماً [عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] ترغيب فى الاسرار بعد التّنبيه على انّه افضل بجعله محكوماً عليه بالخير دون الابداء [لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ] كان النّبىّ (ص) بعد مااظهر الله تعالى ابطال الصّدقة بالمنّ والاذى وابطالها بالرّياء وان لاناصر لمن ظلم فى الانفاق والنّذر تحرّج (ص) من عدم اهتداء امّته وقومه الى وجوه الخير فى الانفاق

والى مافي البخل وابطال الانفاق من الوبال والحرمان حتّى لم يهتدوا بسببه الى الاسلام والايمان وقال: فما أصنع حتّى يهتدوا الى ذلك؟ـ فقال تعالى: ليس عليك هداهم حتّى تتحرّج من عدم هداهم [وَلٰكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ وَمٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ] [فَ] هو نافع [لِأَنْفُسِكُمْ] فما بالكم تمنّون به على غيركم اوتؤذون به من تنفقون عليه او غيره [وَمٰا تُنْفِقُونَ] اى لاينبغى لكم ان تنفقوا [إِلَّا ابْتِغٰاءَ وَجْهِ اللّهِ] لكنّه ادّاه بصورة الاخبار عن الانفاق لوجه الله تهييجاً لهم على ذلك [وَمٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ] اى من مالٍ حلالٍ مكتسبٍ من جهة حلّيّته الّتى هى الولاية فانّها جهة حلّيّة المحلّلات كما سبق وكما يأتى عند قوله تعالى: اليوم أكملت لكم دينكم فانّ خيريّة المال ان يكون مكتسباً من الحلال، وخيريّة النّفقة ان تكون خالصة لوجه الله كما اشير اليه بقوله تعالى: وما تنفقون الّا ابتغاء وجه الله يعنى نفقة غير مشوبة بالمنّ والاذى والرّياء وغير مدنّسة بالاغراض النّفسانيّة وان تكون سرّاً كما اطلق الخير فى السّابق عليه [يُوَفَّ إِلَيْكُمْ] التوفية تكون باداء تمام ماينبغى ان يؤدّى [وَأَنْتُمْ لاٰ تُظْلَمُونَ] بنقص فيما يؤدّى اليكم جزاء انفاقكم [لِلْفُقَرٰاءِ] جواب لسؤالٍ تقديره قد علم فضل الانفاق وكيفيّته فلمن الانفاق؟ـ فقال: الانفاق للفقراء [الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ] اى حبسهم الله فى السّبيل بحيث لايمكنهم السّير والترقّى اواحصرهم الله بالامراض البدنيّة والشّئون النّفسانيّة عن المكاسب، اوأحصرهم الرّسول (ص) اوأنفسهم عن المكاسب، اوالمعنى احصروا حالكونهم فى سبيل الله بالتعلّم والعبادة والتهيّوء للجهاد، فى الخبر: انّها نزلت فى اصحاب الصّفّة وقيل: انّ اصحاب الصّفّة كانوا نحواً من اربعمائةٍ كانوا فى صفّة المسجد لم يكن لهم فى المدينة مأوىً ولاعشائر، اشتغلوا بالتعلّم والعبادة وكانوا يخرجون فى كلّ سريّة يبعثها رسول الله (ص) فحثّ الله النّاس على الانفاق عليهم و للاهتمام بهم و الحثّ عليهم اقتصر فى بيان مصارف الصّدقة عليهم [لاٰ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ] للسّلوك الى الآخرة اوللمكاسب [يَحْسَبُهُمُ الْجٰاهِلُ] بحالهم اومطلقاً [أَغْنِيٰاءَ مِنَ] اجل [التَّعَفُّفِ] عن السّؤال [تَعْرِفُهُمْ] الخطاب للرّسول (ص) اوعامّ لكلّ من يتأتّى منه الخطاب [بِسِيمٰاهُمْ] السّومة بالضمّ والسّيمة والسّيما بالقصر والسّيماء بالمدّ والسّيمياء بزيادة الياء والمدّ، وبالكسر فى الاربعة بمعنى العلامة يعنى انّ علامة الفقر عليهم ظاهرة من رثاثة الحال وصفرة الوجه واغبرار اللّون [لاٰ يَسْئَلُونَ النّٰاسَ إِلْحٰافاً] سؤال الحاح اومفعول مطلق من غير لفظ الفعل اوحال [وَمٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ] كرّره لتأكيد الشّرطيّة السّابقة فانّ توفية تمام المنفق تقتضى العلم بتمامه و للاهتمام و التّأكيد فى حقّ هؤلاء الفقراء كأنّه قال: وماتنفقوا من خيرٍ عليهم [فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ] فيجازيكم عليه [الَّذِينَ يُنْفِقُونَ] جواب لسؤالٍ ناش من قوله: ان تبدوا الصّدقات؛ تقديره: ماحال من جمع بين السّرّ والعلانية فى الانفاق؟ـ فقال: الّذين ينفقون [أَمْوٰالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهٰارِ] وهذا من قبيل الفصل فى الجواب اوعلى امكان منشأيّة السّابق للسّؤال عن الجمع بين السّرّ والعلانية فى الانفاق وعن استغراق الانفاق لجميع الاوقات [سِرًّا وَعَلاٰنِيَةً] لم يعطفه للاشارة الى عدم مغايرة السّرّ والعلانية لما فى اللّيل والنّهار [فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ] اشار الى تفخيم الاجر باضافته اليهم كما مضى [عِنْدَ رَبِّهِمْ] اشارة اخرى الى تفخيم الاجر [وَلاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ] فى المجمع انّ الآية

نزلت فی علیّ (ع) کانت معه اربعة دراهم فتصدّق بدرهم لیلاً ، وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سرّاً ، وبدرهم علانیةً . ولیس المراد من مثل هذا الخبر تعیین درهم واحد للّیل ، و درهم واحد للنّهار حتّی یغایر درهم السّرّ درهم العلانیة بل المراد انّه (ع) تصدّق بشیءٍ فی اللّیل وبشیءٍ فی النّهار وبشیءٍ فی السّرّ لیلاً اونهاراً وبشیءٍ فی العلانیة لیلاً اونهاراً ، وقیل: انّ الآیة اذا نزلت فی شیءٍ فهی منزلة فی کلّ ماتجری فیه ، والاعتقاد فی تفسیرها انّها نزلت فی أمیر المؤمنین (ع) وجرت فی النّفقة علی الخیل وأشباه ذلک ، وفی خبر: انّها لیست من الزّکوة .

[الَّذِینَ یَأْکُلُونَ الرِّبٰوا] منقطعة عن السّابق لابداء حکمٍ آخر او جواب سؤالٍ ناشٍ عن سابقه کأنّه قیل : قد علم حال المنفق فماحال آخذ مال الغیر؟ـ اوفما حال آخذ الرّبوا ؟ـ فقال: الّذین یأکلون الرّبوا والأکل ههنا و فی کثیرٍ من الآیات بمعنی الاخذ و التّصرّف سواء کان التّصرّف بالأکل اللّغویّ ام لا ، وذکر الأکل لأنّه عمدة منافع المال وعمدة مقاصدهم منه ، والرّبوا بالکسر الزّیادة علی رأس المال ورسم ان یکتب بالواو والالف اشعاراً بمادّته وتشبیهاً لواوه بواو الجمع وسیجیء بیانه ووجه حرمته [لَا یَقُومُونَ] عن قبورهم او عن قعودٍ او بامور معاشهم [إِلَّا کَمَا یَقُومُ الَّذِی یَتَخَبَّطُهُ الشَّیْطَانُ] تخبّط الشّیطان فلاناً مسّه بأذیً اوأفسده اوأفسدعقله [مِنَ الْمَسِّ] من اجل مسیسه ایّاه وقدیکون المسّ بمعنی الجنون لکنّ المناسب هناماذکرنا.

بیان الخبط من مسّ الشّیطان

اعلم انّ الانسان واقع بین عالم الجنّة والشّیاطین وعالم الملائکة وقابل لتصرّف الارواح الخبیثة والارواح الطّیّبة فیه ، وقوله (ع): لکلّ انسانٍ شیطان یغویه وملکٌ یزجره ؛ یشیر الیه فاذا بلغ مبلغ الرّجال و حصل له العقل الّذی هومناط التّکلیف والتّدبیر وقع فی تصرّف الملک والشّیطان ، واسباب غلبة کلّ منهما داخلة وخارجة کثیرةٌ مثل اختلاف الاستعدادات بالذّات وتخیّل المتخیّلات الممدّة لکلّ ومدد مرکب النّفس بالاغذیة المباحة اوالمشتبهة والاغذیة المأکولة علی تذکّر وجمعیّة البال ، اوعلی غفلةٍ وتفرقة ، ومثل ادراک مدرکٍ موافقٍ لکلّ بالمدارک الظّاهرة ، والمجالسة مع الاخیار والاشرار والاشتغال بأعمال الابرار والفجّار وغیر ذلک وتصرّف الشّیطان فی اغلب النّاس بالغلبة علیهم بحیث یصدر افعالهم من الشّیطان اوبمشارکته من غیر استشعارٍ لهم بذلک مع بقاء العقل الّذی هومناط تدبیرهم وکونه خادماً للشّیطان ، وقد یغلب علی بعض بحیث یذهب العقل منه فان کان فی قلبه و مدارکه قویّاً یبقی الشّعور له والّا یغشی علیه ، وقد یظهر صورة الجنّ علیه فی حال ذهاب العقل شاعراً اومغشیّاً علیه وقد لایظهر اولایستشعر، وقد یخبر بالامور الغائبة ابتداءً وقد یستنطق عن المغیبات ویستخبر فی خبر شاعراً اوغیر شاعرٍ، وقد یقع المناسبة بینه وبین الارواح الخبیثة بحیث یشاهد عالمها ویشاهد صور عالم الطّبع فیه من دون زوال عقله فیخبر بالمغیبات والآتیات ، اویظهر علیه بعض من الشّیاطین والجنّة فیخبره بخبر السّماء والارض فیغترّ بأنّه من عالم الارواح الطّیّبة وقد زعم المغترّون بهذا العالم وأهله انّ عالم الارواح واحد وانّ طریق الوصول الیه متعدّد وانّ اقرب الطّرق للوصول الیه طریق الرّیاضات الغیر الشّرعیّة وارتکاب منافیات الشّرائع الالٓهیّة من سفک الدّماء المحرّمة وخصوصاً دم الانسان وشربها والزّنا لا سیّما مع المحارم وانهتاک حرمة الکتب السّماویّة ، وما اشتهر منهم من تعلیق القرآن وسائر الکتب السّماویّة فی المزابل صحیح، وقد یظهر أنواع الخوارق والاخبار بالمغیبات والآتیات منهم ، وعن الباقر(ع) فی بیان ما ذکر انّه لیس من یوم ولا لیلةٍ الّا وجمیع الجنّ والشّیاطین تزور ائمّة الضّلالة ویزور امام الهدی عددهم من الملائکه حتّی اذا اتت لیلة القدر فیهبط فیها من الملائکة الی ولیّ الامر خلق الله او قال قیّض الله عزّ و جلّ من الشّیاطین بعددهم ثمّ زاروا ولیّ الضّلالة فأتوه بالافک والکذب حتّی یصبح

فيقول : رأيت كذا وكذا فلوسأل ولىّ الامر عن ذلك لقال رأيت شيطاناً اخبرك بكذا وكذا حتّى يفسّر له تفسيراً ويعلمه الضّلالة الّتى هو عليها ، وهؤلاء لايدخلون فى طريقهم من ارادوا ادخاله الّا بعد أخذ الميثاق عنه بماهو مقرّر عندهم ، وهكذا الحال فى انواع تصرّف الملائكة وغلبتهم ، وقد قال المولوىّ قدّس سرّه فى بيان غلبة الشّياطين والملائكة :

عقل خود شحنه است چون سلطان رسيد	شحنهٔ بيچاره در كنجى خزيد
چون پرى غالب شود بر مردمى	گم شود از مرد وصف مردمى
هرچه گويد او پرى گفته بود	زين سرى نه زان سرى گفته بود
چون پرى را اين دم و قانون بود	كردگار آن پرى خود چون بود

وانكار الفلاسفة لذوات الجنّة والشّياطين وتأويلهم لهاغيرمسموع فى مقابل المشهود ، وعن الصّادق (ع) انّ رسول الله (ص) قال لمّا اسرى بى الى السّماء رأيت قوماً يريد احدهم ان يقوم فلايقدر ان يقوم من عظم بطنه فقلت : من هؤلاء يا جبرئيل ؟ ـ قال : هؤلاء الّذين يأكلون الرّبوا لا يقومون الّا كما يقوم الّذى يتخبّطه الشّيطان من المسّ واذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النّار غدوّاً وعشيّاً يقولون ربّنا متى تقوم السّاعة ، وفى خبر : آكل الرّبوا لايخرج من الدّنيا حتّى يتخبّطه الشّيطان ، اوالمقصود انّ آكل الرّبوا لايكون فى الدّنيا الّا كالمجنون فانّ المجنون أفعاله وأقواله خارجة عن ميزان عقل المعاش و هو خارج عن ميزان عقل المعاد ، فلا فرق بينهما الّا بشيءٍ غير معتدٍّ به [ذٰلِكَ] الأكل منهم بواسطة مغلطةٍ وقعت منهم او ذلك العقاب لهم [بِأَنَّهُمْ] قاسوا الربوا بالبيع حيث رأوا جوازالبيع بضعفى القيمة السوقيّة للسّلعة فقاسوا هذا البيع فى زيادة الثّمن عن قيمة السّلعة بالبيع الرّبوىّ فى زيادة العوض عن اصل المال و [قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ] بزيادة الثّمن [مِثْلُ الرِّبٰوا] فى الزّيادة فيصحّ الرّبوا كما يصحّ هذا البيع فالتّشبيه انّما وقع فى زيادة العوض والاصل فى ذلك هوالرّبوا لا فى الصّحة حتّى يرد انّ الاصل فى الصّحة هوالبيع فينبغى ان يقول انّما الرّبوا مثل البيع وانّما شبّه البيع بالزّيادة عن القيمة بالرّبوا كناية عن تشبيه الرّبوا بالبيع فى الصّحة ليكون ابلغ فأبطل تعالى قياسهم بقوله تعالى [وَأَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ] حال بتقدير قداوعطف [وَحَرَّمَ الرِّبٰوا] يعنى انّ الصّحة والفساد ليسا بالتماثل فى الصّورة انّماهما بأمرالله ونهيه ، قيل: كان الرّجل منهم اذاحلّ دينه على غريمه فطالبه به قال المطلوب منه : زدنى فى الاجل وازيدك فى المال فيتراضيان عليه ويعملان به ، فاذا قيل لهم: هذا ربواً قالوا: هما سواءٌ يعنون بذلك انّ الزيادة فى الثّمن حال البيع و الزّيادة فيه بسبب الاجل عند محلّ الدّين سواء . اعلم انّهم كانوا فى الجاهليّة يتّجرون و يستربحون بان يدينوا مالاً الى اجل بربحٍ معلومٍ كما هو ديدن اهل زماننا وكانوا يقولون : هذا الرّبح عوض تعطيل مالنا عن التّجارة ، اويدينوا جنساً من مثل الحنطة والشّعير الى اوان بلوغه بازيد من ذلك الجنس وكانوا يقولون ان كان قيمته عشرة معجّلاً صحّ ان نبيعه بخمسةعشر مؤجّلاً فصحّ ان نقرضه عشرةً بخمسةعشر مؤجّلاً ، ولمّا كان فى ذلك الاتّكال على الرّبح وترك التّوكّل على الله و تعطيل الاعضاء والقوى عن الحركة فى طلب المعاش الّتى هى اعظم اقسام العبادات وتعطيل النّفس عن التّضرّع والالتجاء الى الله والمسئلة منه واضرار المدين بأخذ ماله بلاعوضٍ وترك اصطناع المعروف بالقرض الحسن وكلّ ذلك كان مخالفاً لما اراده تعالى من عباده نهى الله تعالى عنه وشدّد على فاعله، وفى الخبر درهم ربوا اشدّ عندالله من سبعين زنيةً كلّها بذات محرمٍ ، وفى خبرٍ زيد : فى بيت الله الحرام ، وعن اميرالمؤمنين (ع): لعن رسول الله (ص) الرّبوا و آكله و بائعه و مشتريه وكاتبه

وشاهديه ، وقد ذكر فى الاخبار طريق الفرار من الرّبوا وماتداولوه من المبايعة على شيءٍ وجعل الرّبح اجرة ذلك الشّيء او نقله بصلحٍ و نحوه نحو فرار صحيح ، وماقالوا : انّ العقود تابعة للقصود و ليس المقصود من ذلك الّا تصحيح الرّبوا فليست المبايعة صحيحة غير صحيح لانّ قصد الفرار من الرّبوا بالعقد قصد صحيح للعقد مأذون فى الشّريعة نعم اذا كانت المرابحة خارجة عن قانون الانصاف كانت من هذه الجهة مذمومةً و ممحوقةً ومايشاهد من محق اموال المرابحين انّما هولعدم مبالاتهم بالمبايعة وقولهم: انّما البيع مثل الرّبوا ، اولخروجهم عن قانون الانصاف [فَمَنْ جٰاءَهُ مَوْعِظَةٌ] الموعظة التّذكير بمايلين القلب والزّجر عمّا يقسى القلب [مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهىٰ] عمّا نهى عنه [فَلَهُ مٰاسَلَفَ] ممّا أخذ من الرّبوا يعنى انّ الانتهاء عند بلوغ نهى الله اليه محلّل لما أخذه قبل ذلك ، ولايستردّ منه شيء وهذا يدلّ على انّ من لم يعلم التّحريم وأخذ فاذا علم كان المأخوذ حلالاً وفى الخبر عنهما (ع): انّ الموعظة التّوبة لكنّ المراد بها التّوبة عمّا فعل بجهالة لا التّوبة عمّا فعل عن علم، فانّه لايكون التّوبة محلّلاً لما أكله من مال الغير محرّماً [وَاَمْرُهُ اِلَى اللّٰهِ] لا الى الحكّام حتّى يحكموا عليه بردّ ما اخذه قبل الموعظة [وَمَنْ عٰادَ] الى الرّبوا بعد ماجاءه الموعظة [فَاُولٰئِكَ اَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فيهٰا خٰالِدُونَ] وفى الخبر: الرّبوا كبيرة بعد البيان، والاستخفاف بذلك دخول فى الكفر. **قيل :** آكل الرّبوا اسوء حالاً من جميع مرتكبى الكبائر لانّه معتمد فى رزقه على نفسه وتعيينه ، محجوب عن ربّه ، غير متوكّل عليه ، ومع ذلك يرى انّه محسن فى فعله مع انّه مخالف لربّه ويوكّله الله فى الدّنيا الى نفسه وتعيينه ، ولذا ترى اموالهم ممحوقةً فى حيوتهم اوبعد مماتهم [يَمْحَقُ اللّٰهُ الرِّبٰوا] يمحوه يعنى المال الحاصل من نفس الرّبوا ، اوالمال الّذى فيه الرّبوا ، وافناء المال الرّبوىّ مشهود و ان خذل الله واحداً من النّاس ولم يمحق ماله الرّبوىّ يمحق دينه ثمّ يمحق بعده ماله ، و نسب الى الصّادق (ع) انّه قيل له : قد رأى من يأكل الرّبوا يربو ماله فقال : فأىّ محق امحق من درهم ربوا يمحق الدّين وان تاب منه ذهب ماله وافتقر [وَيُرْبِى الصَّدَقٰاتِ] يعنى فى الآخرة اويربى عوضها فيما اخرجت منه ، وفى الاخبار اشارة اليهما ففى خبرٍ انّ الله يأخذه يعنى مال الصّدقة بيده ويربيه كما يربى احدكم ولده حتّى تلقاه يوم القيامة وهى مثل اُحدٍ ، وفى خبر آخر: مانقص مال من صدقةٍ [وَاللّٰهُ لايُحِبُّ كُلَّ كَفّٰارٍ] بأمر الله ونهيه والقيد الواقع فى سياق النّفى قد يعتبر قيداً للنّفى وقد يعتبر قيداً للمنفىّ وارداً عليه النّفى والتّقييد بالكلّ ههنا من قبيل الاوّل [اَثيمٍ] منهمك فى ارتكاب مناهيه [اِنَّ الَّذينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة فيكون قوله تعالى [وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] اشارة الى الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة فانّ الولاية الّتى هى البيعة الخاصّة اصل جميع الصّالحات ولاصالح الّا بها ولافاسد معها ، ومنها الايتمار بالاوامر والانتهاء عن المنهيّات [وَاَقٰامُوا الصَّلٰوةَ وَآتَوُا الزَّكٰوةَ لَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاهُمْ يَحْزَنُونَ] قد مضى الآية بتمام اجزائها فى اوّل السّورة [يٰااَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا] بعد ما ذمّ الرّبوا واهله و مدح الايتمار بالاوامر و الانتهاء عن المناهى نادى المؤمنين تلطّفاً بهم حتّى يجبر كلفة النّهى بلذّة المخاطبة [اتَّقُوا اللّٰهَ] اى سخطه فى مخالفة جميع اوامره ونواهيه خصوصاً فى الرّبوا [وَذَرُوا مٰابَقِىَ مِنَ الرِّبٰوا] يعنى لاتردّوا ما أخذتم منه ولكن مابقى منه على المديتين فلاتطالبوه [اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ] شرط تهييجىّ، فى الخبر: انّ الوليد بن المغيرة كان يربى فى الجاهليّة

وقد بقى له بقايا على ثقيف فأراد خالد بن الوليد المطالبة بعد ان أسلم فنزلت [فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا] ترك مابقى من الرّبوا [فَأْذَنُوا] اى اعلموا [بِحَرْبٍ] عظيمة [مِنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ] و هذا غاية التهديد قلّما يهدّد بمثله [وَإِنْ تُبْتُمْ] بعد ماعلمتم بالحرب من مطالبة مابقى من الرّبوا واعتقاد حلّه [فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ] ليس للمدينين ان يحاسبوا رؤس الاموال فيما أخذتموه من الرّبوا قبل البيّنة [لَا تَظْلِمُونَ] بأخذ الزّيادة على رأس المال [وَلَا تُظْلَمُونَ] بنقصان رأس المال [وَإِنْ كَانَ] اى وجد [ذُو عُسْرَةٍ] فى غرمائكم [فَنَظِرَةٌ] فله امهال [إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ] قرئ بكسر السّين و ضمّها وبتاء التّأنيث و قرئ بضمّ السّين واضافتها الى الهاء [وَأَنْ تَصَدَّقُوا] على الغريم مليّاً كان اوذاعسرةٍ اوعلى ذى العسرة بابرائه من الدّين [خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] شرط تهييجىّ اوتقييد لخيريّة التصدّق فانّ الجاهل مطالبته وتصدّقه كلاهما وبال عليه ، اوالمعنى ان كنتم تعلمون انّ التصدّق خيرلكم تصدّقتم ، والاخبار فى فضل انظار المعسر وفضل التّصدّق عليه كثيرة [وَاتَّقُوا] عطف على نظرة فانّها بمعنى أنظروه ، والمقصود التّقوى عن المداقّة فى المحاسبة والتعنيف فى المطالبة خوفاً من مداقّة الله فى المحاسبة يوم يكون النّاس اشدّ اعساراً من كلّ معسر كأنّه قال: تساهلوا فى المحاسبة مع المعسر واتّقوا بذلك مداقّة الله معكم [يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّٰهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ] بنقص الجزاء او تضعيف العقاب ، نقل انّها آخر آيةٍ نزل بها جبرئيل [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ والبيعة النّبويّة وقبول الدّعوة الظّاهرة فانّ الاحكام الشرعيّة القالبيّة كلّها متوجّهة الى المسلمين بالبيعة العامّة [إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ] تداين القوم دان بعض واستدان آخر ، اودان كلّ من الآخر ، اوتعاملوا بنسيئةٍ يعنى اذا دان بعض منكم واستدان آخر، اواذا وقع منكم معاملة بنسيئة وعلى هذا فالامر بالكتابة عامّ للداين والمدين ولغيرهم ، امّا للدّاين والمدين فلرفع التّخالف والاشتباه ، وامّا لغيرهم فللاعانة على البرّ والتّقوى ، وذكر الدّين امّا للامتياز عن التّداين بمعنى المجازاة، او لكون التّداين بمعنى مطلق المعاملة ، اولابتناء الكلام على التّجريد والدّين خاصّ بالقرض المؤجّل او هو بمعنى مطلق القرض فقوله تعالى [إِلَىٰ أَجَلٍ] امّا للتّأكيد ، او مبتنٍ على التّجريد، او على اعتبار كون الدّين بمعنى مطلق القرض [مُسَمًّى] معيّن [فَاكْتُبُوهُ] ليكون ابعد من الاشتباه والاختلاف واضبط لقدر الدّين ومدّته [وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ] الباء للآلة و العدل صفة للقلم المقدّر اى بالقلم العدل فانّه ينسب الاعوجاج والاستقامة الى القلم والظّرف متعلّق بكاتب او بليكتب ، اوالباء للآلة ، والعدل بمعنى استواء الميل الى الطّرفين اوبمعنى حفظ الحقوق ، اوالباء للملابسة ، والظّرف مستقرّ صفة لكاتب [وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ] احد من الكاتبين [أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّٰهُ] اى كتابة مثل كتابة علّمها الله وهى الكتابة بالعدل اوكتابة تماثل تعليم الله الكتابة له ، اومطلق تعليم الله له يعنى يكون تعليم الله نصب العين فى الكتابة حتّى يكون الكتابة شكراً لتعليمه وهذا المعنى يفيد التعليل فيكون المعنى : ولا يأب كاتب ان يكتب لاجل تعليم الله [فَلْيَكْتُبْ] و للاهتمام بالكتابة أكّدها بالامربها اربع مرّات [وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ] لانّه المقرّ المشهود عليه [وَلْيَتَّقِ اللّٰهَ رَبَّهُ] فى تلقين ما يضرّ بصاحب الحقّ [وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ] لا ينقص من الحقّ او ممّا املى [شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِى

عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً] محجوراً عليه [اَوْضَعِيفاً] غير محجور عليه لكن لا يميز بين الالفاظ الّتى هى عليه وله كما ينبغى [اَوْلا يَسْتَطِيعُ اَنْ يُمِلَّ هُوَ] تأكيد للمستتر وفائدته نفى الاستطاعة عنه نفسه لا عمّن يقوم مقامه [فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ] اى ولىّ الّذى عليه الحقّ اوولىّ الحقّ [بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا] ادب آخر للمعاشرة والمعاملة فانّه اذاكانت المعاملة والمداينة بالاستشهاد ، لم يقع اشتباه واختلاف بين المعاملين [شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ] بالغين مسلمين حرّين ، امّا البلوغ فيستفاد من مفهوم الرّجل ، و امّا الاسلام فيستفاد من اضافة الرّجل ، وكذا الحرّيّة هكذا فسّر الآية ، ونسب الى تفسيرالامام(ع) : لكن اذا تحمّل العبد الشّهادة فشهادته مسموعة اذاكان مسلماً [فَاِنْ لَمْ يَكُونا] اى الشّاهدان [رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ] اى فليكن رجل [وَامْرَاَتانِ] شهداءاوفليشهد رجل اوفالشّاهد رجل وامرأتان [مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ] يعنى ممّن ترضون دينه بان يكون على دينكم، وصلاحه بان يكون عادلاً مأموناً، وبصيرته بالاموربان لايكون ممّن يخدع [اَنْ تَضِلَّ اِحْديهُما] علّة لاعتبار امرأتين مقام رجل واحد [فَتُذَكِّرَ اِحْديهُمَا الْاُخْرى] وكيفيّة شهادات الرّجال والنّساء بالانفراداوبالانضمام ومحلّها و مقبولها ومردودها واعتبار عدد الشّهود مذكورة فى الكتب الفقهيّة [وَلا يَاْبَ الشُّهَداءُ] اى من كان اهلاً لحمل الشّهادة [اِذا ما دُعُوا] لتحملها اومن كان متحمّلاً اذادعوا لادائها ، اوالمراد بالشّهداء معنى اعمّ منهما، وقد اشيرفى الاخبارالى كلّ منهما ، وفى بعضها انّ المراد اذا دعوا للتحمّل، وامّا حرمة الاباء عن الاداء فتستفاد من قوله : ومن يكتمها فانّه آثم قلبه [وَلا تَسْأَمُوا] ايّها المتداينون و الشّهداء والكتّاب [اَنْ تَكْتُبُوهُ] اى الدّين اوالحقّ اوالكتاب نهى المتداينين عن السّأمة لانّ الكتابة حقّهم، ونهى الشّهداء والكتّاب لانّ الكتابة من المعاونة على البرّ و التّقوى [صَغِيراً] كان [اَوْ كَبِيراً اِلى اَجَلِهِ] متعلّق بمحذوف حال عن الحقّ اى موقّتاً الى اجله فيكون اشارة الى تعيين الحقّ ومدّته فى الكتابة ، اومتعلّق بقوله تكتبوه اى لاتسأموا ان تكتبوه من جميع علاماته ومعيّناته الى اجله او متعلّق بلا تسأموا اى لا تسأموا من اوّل وقوعه الى اجله من الكتابة [ذلِكُمْ اَقْسَطُ عِنْدَاللّهِ] اى ابعد من الافراط بأخذ الوثيقة باضعاف الحقّ مع الكتاب ومن التّفريط باهمال الكتابة والاشهاد [وَاَقْوَمُ] من قام المرأة بمعنى كفى امورها اى اكفى [لِلشَّهادَةِ] من تذكّر دقائقها وقدر الحقّ ومدّته وغير ذلك [وَاَدْنى اَلّا تَرْتابُوا اِلّا اَنْ تَكُونَ تِجارَةً] استثناء مفرّغ من قوله تعالى : فاكتبوه اى فاكتبوا الدّين فى كلّ حال الّا ان تكون التّجارة تجارة [حاضِرَةً] على قراءة نصب تجارة وتقدير اسم تكون ضميراً راجعاً الى التّجارة المذكورة بالتضمّن ، اوالّا ان تكون تجارة حاضرة [تُدِيرُونَها] على قراءة الرّفع و تقدير تجارة فاعل تكون تامّاً او اسمه ناقصاً وكون تديرونها خبره ، و يجوز ان يكون عامل المستثنى محذوفاً جواباً لسؤال تقديره كلّ تجارة تكتب الّا ان تكون التّجارة تجارة حاضرة تديرونها [بَيْنَكُمْ] وتوصيف التّجارة بالحضور وبالادارة من قبيل الوصف بحال المتعلّق اى حاضراً مابه التّجارة وتديرون مابه التّجارة ، اوالمراد بالتّجارة مابه التّجارة و معنى الادارة ان يأخذ البائع الثّمن من المشترى و المشترى المبيع من البائع [فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ اَنْ لا تَكْتُبُوها] وهذا يدلّ على انّ الاوامر السّابقة كانت للوجوب [وَاَشْهِدُوا اِذا تَبايَعْتُمْ] فانّه ادفع للنّزاع

وامنع لمكر الماكرين [وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ] نهى محتمل لبناء الفاعل ولبناء المفعول والمعنى لايضرّ الكاتب ولا الشّهيد بالدّائن ولا بالمديون اولا يضرّ الدّائن ولا المديون بالكاتب و الشّهيد حين الدّعاء للكتابة اوتحمّل الشّهادة اوادائها بتعطيل وقت الكتاب والشّهود عن معيشتهم من غيرجعل وعلى هذا لم يكن الجعالة على الكتابة والشّهادة اذاكانتا ممّا يستحقّا عليهما جعالة حراماً ، اوبتعطيل ايديهم عن اشغالهم الّتى يتضرّرون بتركها [وَإِنْ تَفْعَلُوا] المضارّةعوقبتم [فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ] فى المضارّة اوفى جملة أوامره ونواهيه [وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ] امثال هذه الواو ممّا لايمكن جعلها واوالعطف لعدم ماتعطف عليه فى الكلام؛ اولعدم ارادة معنى العطف منها ، ولاجعلها بمعنى مع لعدم انتصاب المضارع بعدها جعلوها واوالاستيناف مثل لنبيّن لكم و نقرّ فى الارحام ، ومثل لاتأكل السّمك وتشرب اللّبن، على رفع تشرب والمقصود من جعلها للاستيناف انّها ليست من حيث اللّفظ مرتبطة بسابقتها لانّها من حيث المعنى منقطعة عمّا قبلها فانّ المعنى فى مثل لاتأكل السّمك وتشرب اللّبن على النّهى عن الجمع بين أكل السّمك وشرب اللّبن سواء كان تشرب بالرّفع اوبالنّصب وهذا المعنى لايستفاد الّا اذاكانت الواو بمعنى مع لكن لم يقدّر بعدها ان اذاكان مابعدها مرفوعاً كما يقدّر فى صورة النّصب و مثلها الواو ههنا فانّ هذه العبارة تفيد ترتّب العلم على التّقوى سواء قيل اتّقوا الله يعلّمكم الله ام و يعلّمكم الله بالنّصب او بالرّفع فالواو تفيد ههنا معنى المعيّة الّتى هى نحو معيّة الغاية للمغيّا ، ولمّا لم يكن ما بعدها منصوباً على نحو الواو الّتى بمعنى مع قالوا انّها للاستيناف مثل حتّى الدّاخلة على المضارع المرفوع فانّه يقال انّها للاستيناف مع انّها مربوطة بما قبلها ، و لمّا كان التّقوى بجميع مراتبها ادباراً عن النّفس الّتى هى معدن الجهل و اقبالاً على العقل الّذى هو باب العلم كانت مستلزمة للعلم و ازدياده كما فى قوله تعالى : ان تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً وقوله : ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب [وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] فيعلم منكم المضارّة والتّقوى؛ ترهيب وترغيب ، قيل فى سورة البقرة خمسمائة حكم، وفى هذه الآية خاصّة خمسة عشر حكماً [وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ] يعنى حين التّداين [وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا] يكتب لكم وثيقة [فَرِهَانٌ] فالوثيقة رهان اويقدّر مايناسب المقام مثل المأخوذ و مثله وقرئ رهن بضمّتين و رهن بضمّ الرّاء و اسكان العين و الجميع جمع الرهن [مَقْبُوضَةٌ] وقد اتّفق الاماميّون على انّ شرط اللّزوم فى الرّهن القبض [فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا] فى السّفر اومطلقاً فى التّداين بترك الكتابة وترك الرّهان اوفى اعطاء الرّهان او فى مطلق الامانات [فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ] اى المديون او مطلق الامين [أَمَانَتَهُ] دينه سمّاه امانة لائتمان الدّائن المديون عليه او مطلق الامانة [وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ] فى الخيانة و الخديعة [وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ] خاطب الشّهود [وَمَنْ يَكْتُمْهَا] من غير داعٍ شرعىٍّ مبيح لكتمانها [فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ] وفى نسبة الاثم الى القلب مبالغة فى الاثم فانّ الاثم من النّفس يظهر على الاعضاء و امّا القلب المقابل للنّفس فانّه برىءٌ من الاثم ، والقلب بمعنى النّفس وان كان منشأً للاثم لكن لاينسب الاثم اليه بل الى الشّخص اوالى اعضائه ، وفى نسبته الى القلب ايهام انّ الاثم سرى من اعضائه الى نفسه ، ومنها الى قلبه البرىء من الاثم ، وعن النّبىّ(ص) انّه نهى عن كتمان الشّهادة وقال: من كتمها اطعمه الله لحمه على رؤس الخلائق وهو قول الله عزّوجلّ : ولا تكتموا الشّهادة ومن

يكتمهافانّه آثم ٌ قلبه [وَاللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ] من اداء الامانة والخيانة فيها واداء الشّهادة وكتمانها [عَلِيمٌ] وعد ووعيد [لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِي الْأَرْضِ] مستأنف فى مقام التّعليل لاحاطة علمه [وَإِنْ تُبْدُوا مٰا فِي أَنْفُسِكُمْ] ومنه ابداء الشّهادة ولكن لااختصاص له بها بل يجرى فى كلّ ما فى النّفوس من العقائد والنيّات والارادات بل يجرى بوجه فى مكمونات النّفوس الّتى لاشعور لصاحبها بها وابداء تلك المكمونات بظهورها على صاحبها وشعورهم بها [أَوْ تُخْفُوهُ] ومنه كتمان الشّهادة ويجرى فى كلّ خطرة وخيال ونيّة وارادة وشأن بل فى المكمونات الّتى لاشعور لصاحبيها بها ممّا بقى فى النّفوس قواها واستعداداتها ولم تصر بالفعل بعدُ حتّى يستشعر بها صاحبوها فانّها بمضمون اخرجت الارض اثقالها و يومئذ تحدّث اخبارها يوم القيامة يظهر جميع المكمونات ولايعزب عنه تعالى شيء ٌ منها [يُحٰاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ] وماورد فى الاخبار من عدم المؤاخذة على عزم المعاصى اوعلى الخطرات اوعلى الوسوسة انّما هو بحسب المؤاخذة الدّنيويّة والعقوبات الاخرويّة ولاينافى ذلك المحاسبة وعدم ارتفاع الدّرجة ، وماورد فى جواب من ذكر الخطرات من عدم استواء ريح الطيّب وريح المنتن يدلّ على انّ فيها محاسبة ما ، وعن رسول الله(ص): وضع عن امّتى تسع خصال : الخطاء ، والنّسيان، وما لايعلمون ، ومايطيقون، وما اضطرّوا اليه، وما استكرهوا عليه، والطّيرة، والوسوسة فى التفكّر فى الخلق، والحسد ما لم يظهر بلسانٍ اويدٍ [فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشٰاءُ] قرئ بالرّفع وبالجزم مع الفاء و بدونه [وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آمَنَ الرَّسُولُ] ابتداء كلامٍ بل ابتداء آيةٍ منقطعةٍ عمّا قبلها كما سيجيء [بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ] وهذا تبجيل وتنصيص من الله على محمّد (ص) بايمانه [وَالْمُؤْمِنُونَ] عطف على الرّسول اوابتداء كلام كما سيجيء [كُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلاٰئِكَتِهِ] من المقرّبين والصّافّات صفاً والمدبّرات امراً واولى الاجنحة والركّع والسجّد ارضيّين كانوا ام سماويّين [وَكُتُبِهِ] من الكتاب المبين والكتاب المحفوظ وكتاب المحو والاثبات العلميّ والعينيّ [وَرُسُلِهِ] من الملائكة ومن البشر فى الكبير والصّغير [لاٰ نُفَرِّقُ] اى قائلين و قرئ لايفرّق بالياء حملاً على لفظ كلّ ولايفرّقون حملاً على معناه [بَيْنَ أَحَدٍ] اضافة بين الى احدٍ امّا لعمومه لوقوعه فى سياق النّفى اولتقدير غيره معه اى بين احدٍ وغيره [مِنْ رُسُلِهِ] والمقصود عدم التّفريق فى التّصديق لا فى التّفصيل [وَقٰالُوا سَمِعْنٰا وَأَطَعْنٰا غُفْرٰانَكَ] اغفر اونطلب غفرانك [رَبَّنٰا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ] اظهار لاقرارهم بالمعاد بعد اظهار اقرارهم بالمبدأ [لاٰ يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً] بشيءٍ من تكاليف المعاد والمعاش والجملة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هل يخرجون من عهدة التّكليف بعد ماقالوا سمعنا وأطعنا؟- فقال: لايكلّف الله نفساً [إِلاّٰ وُسْعَهٰا] حتّى لايخرجوا من عهدته ويجوز ان تكون الجملة حالاً مفيدة لهذا المعنى والمراد بالوسع مايسعه قدرتهم وتفضل هى عنه [لَهٰا مٰا كَسَبَتْ] حال او جواب لسؤالٍ مقدّرٍ [وَعَلَيْهٰا مَا اكْتَسَبَتْ] يعنى انّ نفع حسناتها عائدةٌ اليها لاالى غيرها وكذا ضرّ سيّئاتها ، وكسب المال بمعنى اصابه من غير اعتبار تعمّل فى تحصيله بخلاف اكتسب فانّ المعتبر فيه التعمّل والاجتهاد واستعمال الكسب فى الطّاعات والمعاصى للاشارة الى انّ الحركات الصّادرة من الانسان بوفاق الامر الالهيّ و بخلافه مورثة لحصول شؤن نورانيّة او ظلمانيّة للنّفس

هى كالاموال الحاصلة بالحركات المعاشيّة و استعمال الكسب فى جانب الخير للاشعار بانّ الانسان لمّا كانت فطرته فطرة الخير كان كلّما يحصل له من طريق الخير يبقى للنّفس والنّفس اذا خليّت وطبعها لاتتعمّل فى كسب الخير بخلاف الشّرّ فانّه اذا لم يتعمّل الانسان فى تحصيله لم يبق اثره لنفسه و انّ النّفس اذا خليّت و طبعها لاتحصل الشّرّ الّا بالتعمّل [رَبَّنٰا لٰا تُؤٰاخِذْنٰا] جزء مقول المؤمنين وقوله تعالى: لايكلّف الله؛ كانت معترضة [إِنْ نَسِينٰا] شيئاً من المأمور بها [أَوْ أَخْطَأْنٰا] فى شيء من المنهيّات، والخطاء كالنّسيان يكون فى الفعل الّذى لم يكن الفاعل على عزيمة فيه [رَبَّنٰا وَلٰا تَحْمِلْ عَلَيْنٰا إِصْراً] الاصر بالكسر العهد والذنب والثقل وقد يضمّ ويفتح فى الكلّ والمراد به هنا الثّقل اوالحمل الثّقيل وحمل الاصر من الله عبارة عن التّكاليف الشاقّة التّى كانت فى الامم السّالفة كما سيأتى وعن الواردات الّتى كان تحمّلها شاقّاً مثل الواردات الّتى كانت فى بنى اسرائيل على ما روى انّ القبطى كانوا يقيّدونهم بالاغلال ثمّ يكلّفونهم نقل الطّين واللّبن على السّلاليم ، وعن الواردات النّفسانيّة الّتى كان تحمّلها شاقّاً قبل الاسلام والايمان من مهيّجات الغضب والشّهوة ومن المصائب الواردة [كَمٰا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنٰا] من الامم السّالفة والجنود النّفسانيّة [رَبَّنٰا وَلٰا تُحَمِّلْنٰا مٰا لٰا طٰاقَةَ لَنٰا بِهِ] من التّكاليف والبلايا الّتى هى فوق الطّاقة ، ووجه استعمال التّحميل الدّالّ على المبالغة ههنا والحمل الدّالّ على مطلق الحمل هناك يستفاد من مفعولهما [وَاعْفُ عَنّٰا] عفى عنه ذنبه ترك العقوبة عليه اوطهّر القلب من الحقد عليه، وقد يستعمل العفو فى المحو والامحاء [وَاغْفِرْ لَنٰا] واستر ذنوبنا عن خلقك اوعن انفسنا لانتفاعنا [وَارْحَمْنٰا أَنْتَ مَوْلٰانٰا] تعليل و استعطاف [فَانْصُرْنٰا عَلَى الْقَوْمِ الْكٰافِرِينَ] من الشّياطين الانسيّة والجنيّة فى خارج وجودنا اوداخله فانّه حقيق على المولى ان ينصر مواليه على اعدائه . وفى الاخبار انّ هذه الآية مشافهة الله لنبيّه (ص) حين أسرى به الى السّماء فأوحى الى عبده ما اوحى فكان فيما اوحى اليه هذه الآية : لله ما فى السّموات وما فى الارض وان تبدوا مافى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء و يعذّب من يشاء والله على كلّ شيءٍ قدير وكانت الآية قد عرضت على الانبياء من لدن آدم(ع) الى ان بعث الله تبارك اسمه محمّداً(ص) وعرضت على الامم فأبوا ان يقبلوها من ثقلها وقبلها رسول الله(ص) وعرضها على امّته فقبلوها فلمّا رأى الله عزّوجلّ منهم القبول على انّهم لايطيقونها فلمّا ان سار الى ساق العرش كرّر عليه الكلام ليفهمه فقال آمن الرّسول بما انزل اليه فأجاب مجيباً عنه وعن امّته فقال: والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرّق بين احد من رسله ، فقال جلّ ذكره لهم الجنّة والمغفرة على ان فعلوا ذلك، فقال النّبىّ(ص) امّا اذا فعلت ذلك بنا فغفرانك ربّنا واليك المصير يعنى المرجع فى الآخرة ، قال فأجابه الله عزّوجلّ وقد فعلت ذلك بك وبامّتك، ثمّ قال عزّوجلّ امّا اذا قبلت الآية بتشديدها وعظم مافيها وقد عرضتها على الامم فأبوا ان يقبلوها وقبلها امّتك فحقّ علىّ ان ارفعها عن امّتك، وقال: لا يكلّف الله نفساً الّا وسعها لها ما كسبت من خير و عليها ما اكتسبت من شرّ فقال النّبىّ(ص) لمّا سمع ذلك امّا اذا فعلت ذلك بى وبأمّتى فزدنى، قال: سل، قال: ربّنا لاتؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا، قال الله تعالى: لست اؤاخذ امّتك بالنّسيان والخطاء لكرامة منك علىّ، وكانت الامم السّالفة اذا نسوا ما ذكّروا به فتحت عليهم ابواب العذاب وقد رفعت ذلك عن امّتك ، وكانت الامم السّالفة اذا أخطأوا اخذوا بالخطاء وعوقبوا عليه؛ وقد رفعت ذلك عن امّتك لكرامتك علىّ فقال النّبىّ(ص):

اللّهم اذا اعطيتني ذلك فزدني فقال الله تعالى له سل ، قال: ربّنا و لا تحمل علينا اصراً كما حملته على الّذين من قبلنا يعني بالاصر الشّدائد الّتي كانت على من كان قبلنا فأجابه الله تعالى الى ذلك فقال تبارك اسمه: قد رفعت عن امّتك الآصار الّتي كانت على الامم السّالفة كنت لااقبل صلوتهم الّا في بقاع من الارض معلومة اخترتها لهم وان بعدت وقد جعلت الارض كلّها لامّتك مسجداً وطهوراً؛ فهذه من الآصار الّتي كانت على الامم قبلك فرفعتها عن امّتك ، وكانت الامم السّالفة اذا اصابهم اذى من نجاسة قرضوها من اجسادهم وقد جعلت الماء طهوراً لامّتك؛ فهذه من الآصار الّتي كانت عليهم فرفعتها عن امّتك ، وكانت الامم السّالفة تحمل قرابينها على أعناقها الى بيت المقدّس فمن قبلت ذلك منه ارسلت اليه ناراً فأكلته فرجع مسروراً ، ومن لم اقبل ذلك منه رجع مثبوراً و قد جعلت قربان امّتك في بطون فقرائها و مساكينها فمن قبلت ذلك منه اضعفت ذلك له اضعافاً مضاعفة ، ومن لم اقبل ذلك منه رفعت عنه عقوبات الدّنيا وقد رفعت ذلك عن امّتك؛ وهي من الآصار الّتي كانت على الامم قبلك ، وكانت الامم السّالفة صلوتها مفروضة عليها في ظلم اللّيل وأنصاف النّهار وهي من الشّدائد الّتي كانت عليهم فرفعتها عن امّتك ، وفرضت عليهم صلوتهم في أطراف اللّيل والنّهار وفي اوقات نشاطهم (الى ان قال) وكانت الامم السّالفة حسنتهم بحسنة وسيّئتهم بسيّئة وهي من الآصار الّتي كانت عليهم فرفعتها عن امّتك و جعلت الحسنة بعشر و السيّئة بواحدة ، وكانت الامم السّالفة اذا نوى احدهم حسنة ثمّ لم يعملها لم تكتب له و ان عملها كتبت له حسنة و انّ امّتك اذا همّ احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشر (الى ان قال) وكانت الامم السّالفة اذاهمّ احدهم بسيّئة ثمّ لم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيّئة ، وانّ امّتك اذاهمّ احدهم بسيّئة ثمّ لم يعملها كتبت له حسنة (الى ان قال) وكانت الامم السّالفة اذا اذنبوا كتبت ذنوبهم على ابوابهم و جعلت توبتهم من الذّنوب ان حرّمت عليهم بعد التّوبة احبّ الطّعام اليهم وقد رفعت ذلك عن امّتك وجعلت ذنوبهم فيما بيني وبينهم و جعلت عليهم ستوراً كثيفة وقبلت توبتهم بلاعقوبة ، ولا اعاقبهم بان احرّم عليهم احبّ الطّعام اليهم ، وكانت الامم السّالفة يتوب احدهم من الذّنب الواحد مائة سنة او ثمانين سنة اوخمسين سنة ثمّ لا اقبل توبته دون ان اعاقبه في الدّنيا بعقوبة (الى ان قال) وانّ الرّجل من امّتك ليذنب عشرين سنة اوثلاثين سنة اواربعين اومائة سنة ثمّ يتوب ويندم طرفة عين فأغفر ذلك كلّه، فقال النّبيّ (ص) : اللّهمّ اذا اعطيتني ذلك كلّه فزدني، قال: سل، قال: ربّنا ولا تحمّلنا مالاطاقة لنابه قال تبارك اسمه : قد فعلت ذلك بك وبامّتك وقد رفعت عنهم عظيم بلايا الامم وذلك حكمي في جميع الامم ان لااكلّف خلقاً فوق طاقتهم، قال: واعف عنّا واغفرلنا وارحمنا انت مولينا ، قال الله عزّوجلّ: قد فعلت ذلك بتائبي امّتك، قال: فانصرنا على القوم الكافرين قال الله جلّ اسمه انّ امّتك في الارض كالشّامة البيضاء في الثّور الاسود ، هم القادرون وهم القاهرون ويستخدمون ولايستخدمون لكرامتك عليّ وحقّ عليّ ان اظهر دينك على الاديان حتّى لايبقى في شرق الارض وغربها دين الّا دينك اويؤدّون الى اهل دينك الجزية .

والاخبار في فضل هذه الآية والّتي قبلها وانّهما من كنوز العرش كثيرة ، **وروى** انزل الله آيتين من كنوز الجنّة كتبهما الرّحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بألفي سنة من قرأهما بعد عشاء الآخرة اجزئتاه عن قيام اللّيل ، و في رواية : من قرء الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه .

سورة آل عمران

وهى مدنيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

[الٓمٓ اللّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ] قد مضى اوّله فى اوّل سورة البقرة مفصّلاً و ما بعده فى آية الكرسىّ [نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ] من الكتب والشّرائع [وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ] هو اسم لكتاب موسى(ع) اعجمىّ ودخول اللّام عليه لتعريبه ، اوهو عربىّ من ورى الزند اذا ظهرت ناره، اومن واراه اذا ستره؛ واصله وورية مثل دحرجة مصدر الفعل الملحق بدحرج فأبدلت الواو تاء والياء الفاً [وَالإِنْجِيلَ] بكسر الهمزة وفتحها وهو ايضاً عجمىّ ودخول اللّام لتعريبه اوعربىّ مأخوذ من النّجل بمعنى الولد اوالوالد او الرّمى بالشّيء ، اوالعمل، اوالجمع الكثير، اوالسّير الشّديد ، اوالمحجّة اومحو الصبىّ لوحه اومن النّجل بالتّحريك بمعنى سعة العين [مِن قَبْلُ] اى قبل القرآن اوهذا الزّمان [هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ] اى القرآن،ويعلم من هذا انّ المراد بالكتاب فى اوّل الآية جملة الكتاب الّتى نزلت على قلبه(ص) فى ليلة القدر، اوجملة احكام الرّسالة ، اوآثار الولاية الّتى فصّلت بالتّنزيل على مقام صدره وبالتّعبير بالعبارات النّفسيّة واللّفظيّة بالفاظ الكتاب الآلهىّ و الاخبار القدسيّة والنّبويّة فعلى هذا يكون الفرقان مصدراً بمعنى المفروق المفصّل او بمعنى الفارق المفصّل و قد فسّر فى اخبار كثيرة القرآن بجملة الكتاب ، والفرقان بالمحكم الواجب العمل به؛وهو يشعر بماذكرنا وقدمضى بيانٌ للقرآن والفرقان ويستنبط ممّا ذكروجه التّعبير بالتّنزيل فى تنزيل الكتاب وبالانزال فى انزال التّوراة و الانجيل والفرقان؛فانّ نزول الكتاب كان من مقام الاطلاق الى مقام التّقييد وكان محتاجاً الى كثير تعمّل من جانب القابل المستعدّ لنزوله بخلاف نزول التّوراة والانجيل والفرقان فانّها نزلت من مقام التّقييدالاجمالىّ الى مقام التّقييد التّفصيلىّ فلم تكن محتاجة الى كثير تعمّل ولذلك لم يأت فيها بالتّنزيل الدّالّ على المبالغة ولمّا صار المقام مقام السّؤال عن حال من كفر بالكتب اجاب تعالى بقوله [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ] مؤكّداً بالتّأكيدات ، والآيات اعمّ من الآيات الانفسيّة والآفاقيّة والتّدوينيّة فانّ شؤنات النّفوس وارداتها الجسمانيّة والنّفسانيّة وموجودات العالم الكبير كلّها آيات جماله وجلاله تعالى، و المراد بالكفر بالآيات الكفر بها من حيث كونها آيات لا من حيث ذواتها فى انفسها فانّ كثيراً من الكافرين بالآيات مشاهدون لذواتها غير ساترين لها مع انّهم كافرون بها من حيث انّها آيات [وَاللّهُ عَزِيزٌ] جملة حاليّة

اومعطوفة فى مقام التّعليل والتّأكيد ومعنى عزّته تعالى انّه لايمنعه مانع من مراده [ذُو انْتِقَامٍ] من شأنه الانتقام ممّن خالفه وعصاه [إِنَّ اللّٰهَ لَا يَخْفٰى] استيناف فى مقام التّعليل اوجواب للسّؤال عن علمه تعالى بهم وبكفرهم كأنّه قيل: هل يعلم كفرهم؟ـ فقال انّه لايخفى [عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ] اى فى جملة ماسوى الله لانّ الارض تعمّ العوالم الثّلاثة : عالم الاقدار النّورانيّة والاقدار الظّلمانيّة والاجساد الطّبيعيّة ، والسّماء تعمّ الارواح المدبّرة والارواح المجرّدة [هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ] حال اومستأنف جواب لسؤال تقديره؛ هل يعلم بواطن الاشياء فيهما ؟ـ اوجواب لسؤال عن علّة اثبات الحكم يعنى انّه يعلم ظواهر ما فى العالم لانّه هوالّذى يصوّركم [فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ] فهو يعلم بواطن الاشياء وما لم يوجد بعد فكيف لايعلم ظواهرها الّتى وجدت فى العالم ، ولا اختصاص للارحام بأرحام الامّهات الجسمانيّة فانّ النّفوس الحيوانيّة والبشريّه ارحام للّطيفة السيّارة الانسانيّة الّتى يكون خطاب الله متوجّهاً اليها بل الموادّ البعيدة من الحبوب واللّحوم والبقول والفواكه الّتى تصير اغذية الاناسيّ والكيلوس والكيموس والدّماء الجارية فى العروق والاعضاء والدّماء المتشبّهة بالاعضاء ارحام للنّطف الّتى هى فى المراتب الجنينيّة ارحام للنّفوس الحيوانيّة والبشريّة واللّطيفة الانسانيّة والمراتب العالية للنّفس الانسانيّة كلّ بوجه رحم للاعلى منها ولذلك فسّر البطن فيماورد من ، انّ السّعيد سعيد فى بطن امّه؛ بالولاية ، فانّ الانسان ما لم يدخل تحت الولاية التّكليفيّة بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة حاله حال النّطفة فى صلب الرّجل و بعد الدّخول فى الولاية بالبيعة الخاصّة حاله حال النّطفة المستقرّة فى الرّحم ولايظهر السّعادة والشّقاوة الّا بعد الدّخول فى الولاية ، ولذلك كان علىّ(ع) قسيم الجنّة والنّار، ومن لم يدخل فى الولاية لايخرج من الدّنيا الّا بعد عرض الولاية عليه وظهور علىّ (ع) لديه حتّى ينكر اويقبل؛ فيشقى اويسعد ، روى عن الصّادق(ع): انّ الله اذا اراد ان يخلق خلقاً جمع كلّ صورة بينه وبين آدم(ع) ثمّ خلقه على صورة احديٰهنّ فلايقولنّ احدهذا لايشبهنى ولايشبه شيئاً من آبائى، وفى حديث خلق الانسان وتصويره فى الرّحم؛ ثمّ يبعث الله ملكين خلّاقين يخلقان فى الارحام مايشاء الله يقتحمان فى بطن المرأة من فم المرأة فيصلان الى الرّحم وفيها يعنى فى النّطفة الرّوح القديمة المنقولة فى اصلاب الرّجال وارحام النّساء فينفخان فيها روح الحيوة والبقاء ويشقّان له السّمع والبصر وجميع الجوارح وجميع ما فى البطن باذن الله تعالى ثمّ يوحى الله الى الملكين : اكتبا عليه قضائى وقدرى ونافذا أمرى واشترطا لى البداء فيما تكتبان، فيقولان: يا ربّ مانكتب؟ـ قال: فيوحى الله عزّوجلّ اليهما: ان ارفعا رؤسكما الى رأس أمّه فيرفعان رؤسهما فاذا اللّوح يقرع جبهة امّه فينظران فيه فيجدان فى اللّوح صورته وزينته واجله وميثاقه شقيّاً اوسعيداً وجميع شأنه ، قال: فيملى احدهما على صاحبه فيكتبان جميع مافى اللّوح ويشترطان فيه البداء فيما يكتبان ثمّ يختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه ثمّ يقيمانه قائماً فى بطن امّه قال: فربّما عتا فانقلب ولا يكون ذلك الّا فى كلّ عاتٍ اومارد ، واذا بلغ اوان خروج الولد (الى ان قال) فيزجره الملك زجرة فيفزع منها الولد فينقلب فيصير رجلاه فوق رأسه ورأسه فى اسفل البطن ليسهّل الله على المرأة وعلى الولد الخروج ؛ الى آخر الحديث . واقتحام الملكين من فم المرأة كناية عن دخولهما عن الجهة الّتى بها بقاء الامّ وهى الجهة الغيبيّة والّا فلاجهة لدخول الملك وخروجه فى عالم الطّبع لانّه خارج عن الجهات فلايتحدّد بالجهات، وكتابة القضاء و القدر من اللّوح القارع جبهة الامّ كناية عن استنباط احوال ما بالقوّة عن المحلّ الّذى تلك القوّة فيه وتأثّر ما بالقوّة عن المحلّ بآثاره ، واشتراط البداء لكون ما بالقوّة قد يتأثّر من الاسباب الخارجة عن

المحلّ [لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ] حال او مستأنف فی موضع التّعليل [الْعَزِيزُ] الّذی لا يمنعه مانعٌ عن تصوير ما يشاء فی الرّحم [الْحَكِيمُ] الّذی لايصوّره الّا بصورة اقتضاها استعداده وتستعقب مصالح عائدة اليها او الی العالم [هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ] حال اومستأنف وبيان لحكمته ، والكتاب ههنا عبارة عن جملة ماسوی الله فانّ ماسواه كتابه كما مضی فی اوّل الكتاب ، ونزوله عبارة عن ظهوره علی مقام محمّد(ص) مقامه النّازل بصورٍ مناسبةٍ له فی ذلك المقام ، اوظهوره علی مقام رسالته (ص) بماأرسل به من الاحكام، اوظهوره بالالفاظ والعبارات والنّقوش والكتابات الّتی هی كتابه التّدوينیّ منه .

بيان المحكم و المتشابه

[مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ] احكم الامر والبناء اتقنه بحيث لا يتطرّق الانثلام و الزّوال اليه ، و احكم الحكم اتقنه بحيث لا يتطرّق المحو والنّسخ اليه ، و احكم اللّفظ اتقنه بحيث لايتطرّق الاحتمال اليه ، والمتشابه فی كلّ من هذه مقابل المحكم و كلّما ورد من المعصومين(ع) ونقل من غيرهم فی بيان المحكم والمتشابه راجع الی هذه المعانی ، والكتاب التّكوينیّ الكبير آياته العقلانيّة و النّفسانيّة من حيث وجوهها العقلانيّة محكماتها و اصول متشابهاتها وآياته العينيّة الطّبيعيّة و العلميّة الملكوتيّة العالية و السّافلة من حيث تطرّق المحو و الزّوال اليها متشابهاتها ، و الكتاب التّكوينیّ الانسانیّ المختصر من الكتاب الكبير ؛ آياته الرّوحيّة والعقليّة محكماته ، وآياته النّفسيّة والطّبيعيّة متشابهاته ، و من حيث نشأته العلميّة علومه العقلانيّة محكماته لعدم تطرّق الزّوال اليها وعدم تخلّف معلوماتها عنها ؛لانّ معلوماتها من حيث انموذجاتها نفس تلك العلوم و علومه النّفسانيّة كلّيّاتها و جزئيّاتها تصديقاتها و تصوّراتها يقينيّاتها وظنيّاتها متشابهاته لانمحائها عن النّفس و مغايرتها لمعلوماتها و جواز تخلّف معلوماتها عنها ولذلك سمّيت بالظّنون ، ومن حيث افعاله الاراديّة جميع افعاله واقواله وخطراته ولمّاته متشابهاته لزوالها وعدم بقائها ، ومن جهةٍ اخری ماكان صدورها عن الله تعالی ورجوعها اليه تعالی معلوماً محكماته ، و ماكان صدورها من الله غيرمعلوم اوصدورها من الشّيطان معلوماً متشابهاته ، وهكذا حال ماكان رجوعه الی الله معلوماً ؛ وحال ما لم يكن رجوعه الی الله معلوماً ، ومن الاحكام التّكليفيّة ما لم يتطرّق النّسخ اليه كان محكماً ، وماكان منسوخاً اويتطرّق النّسخ اليه كان متشابهاً ، و ماكان عامّاً جارياً علی كلّ مكلّفٍ كان محكماً ، و ماكان خاصّاً غير جار علی كلّ مكلّف كان متشابهاً ، ومن الكتاب التّدوينیّ ماكان واضح الدّلالة غيرمحتمل غيرمدلوله اوماكان ناسخاً اوماكان حكمه عامّاً اوماكان ثابتاً غيرمنسوخ اوماكان متعيّن التّأويل بعد تعيّن تنزيله كان محكماً ، وماكان خلاف ذلك كان متشابهاً ، ولمّا كان علیّ(ع) بجميع اجزائه محكوماً بحكم الرّوح وراجعاً الی الله ومتحقّقاً بالارواح العالية ومخالفوه بعكس ذلك صحّ تفسير المحكمات بعلیٍّ (ع) والائمّة(ع)، وتفسير المتشابهات بمخالفيهم كماورد عن ابی عبدالله (ع) فی قوله تعالی : منه آيات محكمات ، و لمّا كان المحكمات اصلاً و عماداً للكتاب قال : [هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ] ولم يقل امّهات الكتاب مع انّ قياس الحمل علی الآيات يقتضی الجمع لانّه تعالی فرض المجموع المسمّی بالكتاب امراً وحدانيّاً وهذا الفرض يقتضی الوحدة فيماينسب اليه لاالجمعيّة ، ولانّ مجموع المحكمات من حيث الاجتماع يكون اصلاً واحداً للكتاب وليس كلّ واحد منها اصلاً برأسه [وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ] ميل عن الحقّ وانحراف عن جهة القلب والآخرة [فَيَتَّبِعُونَ] من العالم الكبير متشابهاته الّتی هی موجودات دار الدّنيا وزينتها الزّائلة الفانية بسرعةٍ ، والّتی هی موجودات الملكوت السّفلی

وتمويهاتها ، ومن العالم الصّغير متشابهاته الّتى هى الشّهوات الفانية الممزوجة بالآلام والادراكات الشّيطانيّة و الافعال و الاقوال الزّائغة اوالمشتبهة بالزّائغة ، ومن الاحكام مشتبهاتها الموافقة لآرائهم الكاسدة ، اوالسّائغة التّأويل اليها ، و من القرآن المتشابهات الموافقة لاوهامهم او الجائزة التّأويل اليها فهم يدعون المحكمات من الكتاب و يتّبعون [مٰاتَشٰابَهَ مِنْهُ ابْتِغٰاءَ الْفِتْنَةِ] شاعرين بالابتغاء اوغير شاعرين ؛ فانّ ابتغاء الفتنة كابتغاء مرضاة الله قد يكون من قصد اليه وقد يكون من غير قصد لانّ الواقعين فى دار النّفس و جهنّام الطّبع لا يكون منهم الّا افساد ارض العالم الصّغير اوالكبير واهلاك حرثها ونسلها وبكلّ فعل اوقول منهم يشتدّ ذلك الافساد ، وذلك الاشتداد هوالابتغاء للافساد سواء لم يكونوا شاعرين باصلاح وافساد اوكانوا عالمين بانّه افساد قاصدين له ، اوكانوا ظانّين انّهم مصلحون غير مفسدين كما تفوّهوا و قال : انّما نحن مصلحون [وَابْتِغٰاءَ تَأْوِيلِهِ] الى مايوافق آرائهم [وَمٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ] جملة حاليّة على جواز دخول الواو على المضارع المنفىّ بما ، اومعطوفة والتّأويل امّا بمعنى المأوّل اليه او بمعناه المصدرىّ يعنى لا يعلم ما هو تأويله فى نفس الامر [إِلَّا اللّٰهُ] اعلم أنّ تأويل الشّيء بمعنى ارجاعه لايصدق الّا اذا اعيد الى ما منه بدئ ، ولمّا كان مبدأ الكلمات الآلهيّة التّكوينيّة والتّدوينيّة مقام ظهوره تعالى الّذى هومقام المشيّة لم يكن يعلم تأويلها بنحوالاطلاق الّاالله [وَالرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ] رسوخاً تامّاً وهم الّذين بلغوا الى مقام المشيّة وارتقوا عن مقام الامكان وهم محمّد(ص) واوصياؤه الاثنا عشر لا غيرهم كما بلغ الينا ، وامّا غيرهم من الانبياء والاولياء فلمّا لم يرتقوا عن مقام الامكان لم يعلموا تأويلها التّامّ بل بقدر مقامهم وشأنهم ، ولمّا كانت الكلمات بوجه ناشئة عن مقام الغيب صحّ ان يقال : لايعلم تأويلها التّامّ الّا الله ، و امّا الرّاسخون فى العلم فلا يعلمونه و [يَقُولُونَ] من باب التّسليم [آمَنّٰا بِهِ] وعلى هذا فالوقف على الّاالله وقوله الرّاسخون فى العلم ابتداء جملة اخرى فصحّ ان يقال: لايعلم تأويل القرآن الّاالله، اويقال: علم تأويل القرآن منحصر فى النّبىّ (ص) والائمّة (ع) ولا يعلمه غيرهم ، اويقال : علمه منحصر فيهم وفى خواصّ شيعتهم، وقد اشير الى كلّ من هذه فى الاخبار [كُلٌّ] من المحكم والمتشابه [مِنْ عِنْدِ رَبِّنٰا] فى خبر نحن الرّاسخون فى العلم ، وفى رواية : فرسول الله (ص) افضل الرّاسخين ، و فى خبر : انّ الرّاسخين فى العلم من لايختلف فى علمه ، وفى خبر، ثمّ انّ الله جلّ ذكره بسعة رحمته و رأفته بخلقه و علمه بما يحدثه المبدّلون من تغيير كلامه قسّم كلامه ثلاثة اقسام: فجعل قسماً منه يعرف العالم والجاهل ، وقسماً لايعرفه الّا من صفا ذهنه ولطف حسّه وصحّ تميزه ممّن شرح الله صدره للاسلام ، وقسماً لايعرفه الّا الله وانبياؤه والرّاسخون فى العلم ، وانّما فعل ذلك لئلّا يدّعى اهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله (ص) من علم الكتاب ما لم يجعله لهم ، وليقودهم الاضطرار الى الايتمار عن ولاة امرهم فاستكبروا عن طاعته تعزّزاً و افتراء على الله عزّوجلّ واغتراراً بكثرة من ظاهرهم وعاونهم وعاند الله جلّ اسمه ورسوله [وَمٰا يَذَّكَّرُ] انّ فى الكتاب محكماً ومتشابهاً، وانّ المتشابه لايعلمه الّاالله اومن كان خليفة لله ، وانّ الكتاب لايتصوّر ايجاده وانزاله الّا بالاشتمال على المتشابه.

بيان صيرورة الانسان ذالبّ

[إِلّٰا أُولُوا الْأَلْبٰابِ] الّذين صارت اعمالهم وعلومهم ذوات الباب بتعقيد قلوبهم على الولاية على ايدى اولياء الامر كما مضى وهو معطوف من الله الحاكى على المحكىّ من قولهم ، او هو من المؤمنين القائلين ، و الاشكال بأنّ الاتيان بالكلام المتشابه المحتمل

الوجوه غير ظاهرالمرام ليس من دأب الحكيم ليس فى محلّه ؛لانّ المعنى ان كان من جنس المحسوسات وممّا يدركه العوامّ يمكن الاتيان بالكلام نصّاً فى المرام و ما يمكن الاتيان به غير محتمل لغيره قد يؤتى به لاغراض صحيحة عقلانيّة محتمل الوجوه العديدة و قد عدّوا الاتيان بالكلام محتمل الوجهين او الوجوه من محسّنات الكلام وان كان من الامور الغيبيّة الّتى لاشبيه لها فى هذا العالم فانّها بمقدّراتها ومجرّداتها نورانيّة وما فى هذا العالم بجملتها ظلمانيّة ولامناسبة بوجه من الوجوه بين النورانىّ والظلمانىّ بل النورانىّ اذا ظهر افنى الظلمانىّ ولذلك قال تعالى: ولوانزلنا ملكاً لقضى الامر لانّ الموجودات النّورانيّة اذا ظهرت فى هذاالعالم بوجوداتها افنت ما فيها لايمكن التعبيرعنها الّا بالامثال ، والتّصويربالامثال لايمكن الّا بالعبارات المتشابهة المحتاجة الى التّأويل كالرّؤيا المحتاجة الى التّعبير فانّها تصوير ما فى ذلك العالم عند المدارك الاخرويّة بالامثال وليست الّا محتاجة الى التّعبيرولايجوزذلك التّأويل وهذاالتّعبيرالّامن بصيرناقد بوجوه المناسبة بين الامثال والممثّل لها نسب الى امير المؤمنين(ع)انّه قال: اعلم انّ الرّاسخين فى العلم هم الّذين اغناهم الله عن الاقتحام فى السّدد المضروبة دون الغيوب فلزموا الاقراربجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فقالوا : آمنّا به كلٌّ من عند ربّنا ؛ فمدح الله عزّوجلّ اعترافهم بالعجزعن تناول ما لم يحيطوا به علماً وسمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عنه منهم رسوخاً فاقتصرعلى ذلك ولاتقدّر عظمةالله على قدرعقلك فتكون من الهالكين [رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا] عن الاستقامة على طريق الاعتراف بالعجز فيما لانعلم وترك التّصرّف فى المتشابه الّذى لانعلم تأويله والاقراربأنّه من عندالله الى التّصرّف فيما لانعلم والتفوّه بالآراء وتأويل المتشابه من عند انفسنا واتّباع مايوافق منه اهواءنا [بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا] الى التّسليم وترك الاستبداد بالاراء بقبول الولاية والبيعة الخاصّة [وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ] سألوا الابقاء على التّبرّى وازدياد التولّى ، والهبة الاعطاء من غيرعوضٍ وهذا المعنى على التّحقيق خاصّ بالله اومن تخلّق باخلاقه ، عن الكاظم(ع)انّ الله قد حكى عن قوم صالحين انّهم قالوا ربّنا لاتزغ قلوبنا بعد اذهديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انّك انت الوهّاب ،حين علموا انّ القلوب تزيغ وتعود الى عماها ورداها انّه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها و يجد حقيقتها فى قلبه ، ولا يكون احدكذلك الّا من كان قوله لفعله مصدّقاً و سرّه لعلانيته موافقاً لانّ الله لم يدلّ على الباطن الخفىّ من العقل الّا بظاهر منه وناطق عنه [رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ] اى فى يوم اولحساب يوم [لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ] تعليل لقوله تعالى : لاريب فيه اولقوله تعالى انّك جامع النّاس ، والميعاد وقت الوعد اومحلّه [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] ابتداء كلام من الله منقطع عن سابقه ، ويجوز ان يكون من جملة مقول المؤمنين تعليلاً للسّابق والمراد بالكفرالكفربالولاية فانّ الآية تعريضٌ بالامّة ويدلّ عليه قوله تعالى كذّبوا بآياتنا [لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ] اغنى زيداً عن عمروجعله غنيّاً عن الاحتياج الى عمرو، واغنى العذاب عن زيد جعل العذاب غنيّاً عن الاحتياج الى زيدكأنّ العذاب محتاج اليه فى وروده فجعله غنيّاً عنه كناية عن دفعه عنه فالمعنى لن تدفع عنهم [أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ] حال عن قوله تعالى [شَيْئًا] اى لن تدفع شيئاً حالكونه نازلاً من الله [وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ] فى الجحيم كماانّهم فى الدّنيا وقودنارالغضب والحرص والحسد وغيرها [كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ] اى شأنهم و ديدنهم و هو متعلّق بلن تغنى ، اوبوقود النّار ،

او خبر لمحذوف [وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا] بالرّسل و اوصيائهم وسائر الآيات [فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ] التفات من التكلّم الى الغيبة لانّ المؤاخذة لاتكون الّا فى المظاهر الدّانية لله بخلاف الآيات فانّها منسوبة اليه تعالى باعتبار المقام العالى [بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ قُلْ] يامحمّد(ص) [لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ] فى الدّنيا وحال الموت وفى البرازخ وفى المحشر [وَتُحْشَرُونَ] بعد الانتهاء الى المحشر [إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ] نسب الى الرّواية انّه لمّا اصاب رسول الله(ص) قريشاً ببدرٍ وقدم المدينة جمع اليهود فى سوق قينقاع فقال : يامعشر اليهود احذروا من الله مثل مانزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل ان ينزل بكم مانزل بهم فقد عرفتم انّى نبىّ مرسل تجدون ذلك فى كتابكم فقالوا : يامحمّد(ص) لا يغرّنك انّك لقيت قوماً اغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة امّا والله لوقاتلتنا لعرفت انّا نحن النّاس فأنزل الله هذه الآية وقد فعل الله ذلك بهم وصدق وعده بقتل بنى قريظة واجلاء بنى النّضير وفتح خيبر ووضع الجزية على من بقى منهم وغلب المشركين وهو من دلائل النّبوّة [قَدْ كَانَ لَكُمْ] ايّها اليهود اومطلق الكفّار اومطلق النّاس من المسلمين والكفّار [آيَةٌ] علامة دالّة على صدق محمّد(ص) فى رسالته [فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا] ببدرٍ [فِئَةٌ] قليلة عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر [تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ] كثيرة عددهم قريب من الالف وهم مشركوا مكّة [يَرَوْنَهُمْ] الفاعل راجع الى الفئة المسلمة اوالكافرة والمفعول امّا راجع الى مرجع الفاعل اوالى مقابله وهكذا ضمير قوله تعالى [مِثْلَيْهِمْ] راجع الى مرجع الفاعل او مقابله و الكلّ صحيح بحسب المعنى و بحسب اللّفظ فانّ المسلمين رأوا المشركين قليلين ليجترؤا عليهم ولعلّهم رأوهم قبل الغزو كثيرين ليلتجئوا الى الله ولا يتّكلوا على عددهم وقوّتهم ، والمشركين رأوا المسلمين قليلين قبل الغزو ليقدموا على المقاتلة ثمّ رأوهم كثيرين حين الغزو ليجبنوا ويهزموا [رَأْيَ الْعَيْنِ] لارأى الخيال [وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ] التّقليل والتّكثير والغلبة من القليل على الكثير [لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ] المدركة من الاشياء مايعتبرون به ولمّا صار المقام مقام ان يسأل ماكان سبب توقّف النّاس عن القبول بعد وضوح الآيات اجاب بانّه [زُيِّنَ لِلنَّاسِ] اى ذوى النسيان لاالانسان [حُبُّ الشَّهَوَاتِ] الشّهوة هى المحبّة النفسانيّة والحبّ اعمّ منها ، وتزيين الشّيء اراءته بحيث يكون مرغوباً فيه للرّائى وتعليق التّزيين على الحبّ للاشارة الى انّ تزيّن الشّيء وتزيينه ليس الّا من حيث نفس الحبّ لامن حيث شيء آخر ولا من حيث خصوصيّات المحبّة من كونها شهوة اوحبّاً آلهيّاً اوعشقاً اوشوقاً ، واضافة الحبّ الى الشّهوات للاشارة الى انّ المانع من الاعتبار هو الحبّ الحاصل فى ضمن الشّهوة وعلى هذا فالحبّ والشّهوة على معانيهما المصدريّة وقوله تعالى [مِنَ النِّسَاءِ] حال من الشّهوات ولفظة من ابتدائيّة وتقديم النّساء لكونهنّ اتمّ فى الاشتهاء من سائر المشتهيات [وَالْبَنِينَ] بل مطلق الاولاد لكن لكراهة بعض النّفوس للبنات على الاطلاق وكراهة بعضها لهنّ قبل وجودهنّ ونموّهنّ لم يذكرهنّ فى المشتهيات [وَالْقَنَاطِيرِ] جمع القنطار وهو اربعون وُقيّة[1] من الذهب، اوالف ومائتا دينار، اوثمانون الف درهم، اومأة رطل من ذهب، اوفضّة، اوالف ومائتا اُقيّة[2] اوسبعون الف دينار اوملء مسك ثور ذهباً اوفضّة [الْمُقَنْطَرَةِ] التامّة المكمّلة [مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ] المرعاة او المعلمة او الحسنة من السّيماء [وَالْأَنْعَامِ] الثّلاثة البقر والغنم والابل [وَالْحَرْثِ]

---

۱ و ۲- الاقيّة بضم الالف وكسر القاف وتشديد الياء المفتوحة وكذا الوقيّة عبارة عن سبعة مثاقيل، جمع اواق واواقى ووقايا.

الكسب اوجمع المال اوالزّرع [ذٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] جواب لسؤال مقدّرٍ كأنّه قيل : ماحالها؟ـ ومتى يكون التّمتّع بها؟ـ وما لمن تركها ؟ـ [وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ] لمن تركها [قُلْ] يامحمّد(ص) للتّرغيب عنها والتّحريص فيما عندالله [اَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ] للّذين اتّقوا خبر مقدّم والجملة بيان للخير مع الزّيادة ولذا لم يأت باداة الوصل اوهو مثل سابقه متعلّق بخير و [جَنّٰاتٌ] مرتفع خبراً لمبتدءٍ محذوف [تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰارُ] اى من تحت عماراتها اومن تحت اشجارها اومن تحت طبقاتها فانّ الجنّة اذاكانت ذات طبقات و يجرى تحت كلّ طبقةٍ نهر كانت احسن منظراً [خٰالِدِينَ فِيهٰا] فانّ تمام النّعمة بان لاتزول [وَاَزْوٰاجٌ مُطَهَّرَةٌ] ممّا يستقذر من النّساء من الاحداث والاخباث وكثافات الاخلاط وممّا يستكره من رذائل الاخلاق [وَرِضْوٰانٌ مِنَ اللهِ] الرّضوان بالكسر والضّمّ مصدر و رضوان الله آخر مقامات النّعم لانعمة فوقه وهو يستلزم رضى العبد عن الله ، و فى تقدّم رضاالله عن العبد على رضا العبد عن الله اوتأخّره مثل سائرصفات الله الظّاهرة فى العباد اشكالٌ وقد تقدّم فى اوّل سورة البقرة فى بيان توابيّته تعالى بيان لذلك وقداشار تعالى الى مراتب النّعم ؛ اوليها اصناف متاع الحيوة الدّنيا ، وثانيتها الجنّات الصوريّة ، وثالثتها الازواج المطهّرة ، و رابعتها رضوان الله و ليس فوقه مقام [وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبٰادِ] فيبصر مقام كلٍّ و درجات شقاوته اوسعادته فيجزى كلّاً بحسبها [الَّذِينَ يَقُولُونَ] بلسان حالهم اولسان قالهم فانّ المتّقى لتعلّقه بالله بسبب قبوله الولاية يضطرّ الى قول ربّنا حالاً وقالاً ولذلك جعله بياناً للّذين اتّقوا ، ويجوزان يكون مقطوعاً بالرّفع اوالنّصب للمدح فعلى هذا كان شأن الّذين اتّقوا ان يقولوا [رَبَّنٰا اِنَّنٰا آمَنّٰا] كأنّ مقصودهم من اظهار الايمان عرض حالهم عليه تعالى لاالمنّة بايمانهم فانّ عرض الحال من العباد مرغوب كما انّ المنّة بالاعمال مكروهة وتمهيد لسؤال المغفرة والحفظ من النّار [فَاغْفِرْ لَنٰا ذُنُوبَنٰا] فانّ ظهورالذّنوب علينا شين لنا وشين لصاحبنا [وَقِنٰا عَذٰابَ النّٰارِ] لانّ ايلامنا ايلام صاحبنا [اَلصّٰابِرِينَ] وصف آخر للمتّقين [وَالصّٰادِقِينَ وَالْقٰانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْاَسْحٰارِ] توسيط العاطف بين الاوصاف لتعدّد مباديها، وللاشارة الى استقلال كلّ وانفراده بالمدح اوالذّمّ اوغير ذلك من الاغراض ، والصّبر أقدم صفات الايمان ولذا ورد انّه من الايمان كالرّأس من الجسد ، وبه يحصل الصّدق الّذى هو الاستقامة فى الاقوال والافعال والاحوال، وبالاستقامة المذكورة يتمّ الطّاعة الّتى هى القنوت وبتمام الطّاعة يسهل الانفاق الّذى هو بذل فعليّات النّفس ، وبه يحصل القرب من يوم الدّين والدّخول فى سحر يوم الدّين وسترمساوى ليل الطّبع ، ولمّا كان التّكليف مطابقاً للتّكوين والظّاهر عنواناً للباطن كلّف الله العباد بالاستغفار اللّسانىّ فى اسحار ليالى الطّبع منفرداً اوفى مطلق الصّلوة اوفى صلوة الوتر.

كيفيّة شهادة الله بانّه لااله الّاهو

[شَهِدَ اللهُ] كلام منقطع عمّا قبله و الشّهادة حفظ القضيّة المشهودة او ما فى حكمها اوالاخبار بها واخبار الله بالتّوحيد لجملة الاشياء عبارة عن خلقها مفطورة على التّوحّد واقتضاء التّوحّد مع مايجاورها وهذا اخبار من الله لها عن توحّد صانعها ووحدته واحديّته واخباره تعالى بالتّوحيد لذوى العقول فى مقام العلم بخلق الآيات الآفاقيّة وجعلها بحيث يدركها العقول الصّافية دالّة على وحدة خالقها و خصوصاً الآيات الكبرى الدّالّة بالسنة اقوالهم و احوالهم على التّوحيد المشار اليه

بقوله تعالى : سنريهم آ ياتنافي الافاق وبانشاء الآيات الانفسيّة وجعلهادالّةعلىوجود الحقّ وصفاته المشاراليه بقوله تعالى : و في انفسهم حتّى يتبيّن لهم انّه الحقّ و في مقام المشاهدة بظهوره تعالى في كلّ شيء و في ء المشاراليه بقوله تعالى او لم يكف بربّك انّه على كلّ شيءٍ شهيد [أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ] بذواتهم والسنة احوالهم ، واقوالهم و يجوزان يكون عطفاً على المستثنى بحيث لايكون منافياً للتّوحيد ولامستلزماً لتعدّد الآلهة، وقوله تعالى: [قَائِماً بِالْقِسْطِ] قائم بالمجموع اوبالله معنىً وهوبحسب الاعراب صفة لاسم لا اوحال عن المستثنى او المستثنى منه و المعنى شهدالله كافياً للخلق بسبب القسط او مقيماً للقسط و قول الباقر(ع) انّ اولى العلم الانبياء(ع) والاوصياء(ع) وهم قيام بالقسط يؤيّد قيامه بالمجموع، ولرفع توهّم تعدّد الآلهة على احتمال عطف الملائكة على المستثنى اكّد التّوحيد بقوله تعالى [لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ] من دون عطف كأنّه قيل : يلزم من ذلك تعدّد الآلهة المنافي للتّوحيد فقال : لاآله الّا هو لانّ آلهة الملائكة و اولى العلم ليست الّا ظهوراً لهة الله وليست آلهتهم مغايرةً حتّى يلزم تعدّد الآلهة [الْعَزِيزُ] الغالب الّذى لامجال لآلهة غيره معه [الْحَكِيمُ] الّذى لايجعل احداً مظهراً لآلهيّته الّا بحكم ومصالح [إِنَّ الدِّينَ] له معان والمراد به ههناالطّريق الى الآخرة والى الله [عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ] يعنى بعد ظهور الاسلام انحصر الطّريق الى الله في الاسلام وانقطع ماكان حقّاًمن سائر الاديان وقد مضى بيان للاسلام والايمان في اوّل سورة البقرة [وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ] من اليهود والنّصارى في حقّيّته اوفي انحصار الدّين فيه [إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ] بظهوره وبعثة محمّد(ص) الاتى به يعنى كانوا متّفقين على حقّيّة محمّد(ص) ودينه وانحصار الدّين في دينه قبل مبعثه الى ان بعث وايقنوا انّه النبيّ الموعود فاختلفوا في حقّيّته بان اقرّ بعض وانكربعض بعد يقينهم ببعثته [بَغْياً بَيْنَهُمْ] استطالة وطلباً للرّياسة في اهل ملّتهم اوطلباً للمآكل المقرّرة لهم في اهل ملّتهم [وَمَنْ يَكْفُرْ] حال اوعطف [بِآيَاتِ اللهِ] التّدوينيّة والتّكوينيّة كآيات التّوراة والانجيل النّاطقة بحقّيّة دين الاسلام وصدق محمّد(ص) وآيات القرآن الدّالّة على حقّيّته وحقّيّة وصيّه وكمحمّد(ص) وعليّ(ع) واولادهما(ع) فانّ الله يعذّبه على كفره لانّه لايدع عملاً بلاجزاء ولا يفوته كفر الكافر [فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ] وعيد لمن كفر منهم ومن يكفر بعليّ (ع) بعد محمّد (ص) من امّته [فَإِنْ حَاجُّوكَ] في حقّيّة الاسلام او في انحصار الدّين فيه [فَقُلْ] الاسلام اخلاص الوجه لله و [أَسْلَمْتُ] اى اخلصت عن الشّرك والخديعة اوسلّمت [وَجْهِيَ لِلّٰهِ] بسبب الاسلام و هذا وصف لاينكره احد فلا وجه لمحاجّتكم لي في دين الاسلام والمراد بالوجه الذّات فانّ شيئيّة الشّيء بصورته لابمادّته وصورة كلّ شيء فعليّته الاخيرة ، وفعليّته الاخيرة ما به توجّهه كما انّ وجه البدن ما به توجّهه [وَمَنِ اتَّبَعَنِ] عطف على الضّمير المرفوع ولم يؤكّد بالضّمير المنفصل للفصل بينه وبين المعطوف عليه او عطف على الله اى أخلصت وجهى لله ولمن اتّبعن ، اوسلّمت وجهى الى الله والى من اتّبعن ، فانّ المسلم والمؤمن له وجهان وجه الى الله ووجه الى الخلق، والاسلام كما يقتضي اخلاص الوجه لله وتسليمه اليه يقتضى اخلاص الوجه لخلق الله وتسليمه اليهم [وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ] الّذين لاكتاب لهم ولانبيّ يعنى الّذين ما حصل لهم من الكمالات الانسانيّة شيء سوى الانتساب الى الام [أَأَسْلَمْتُمْ] يعنى بعد ماذكرت لهم انّ الاسلام يقتضى

اخلاص الوجه لله وهو وصف مطلوب لكلّ عاقل صار المقام مقام السّؤال عن اتّصافهم بالاسلام والمعنى اصرتم مسلمين اومخلصين وجوهكم لله [فَإِنْ أَسْلَمُوا] صاروا مسلمين اومخلصين وهوتهييج لهم على الاسلام [فَقَدِ اهْتَدَوا] لانّ الاسلام اهتداء ووصول الى طريق الايمان ، واخلاص الوجه لله اهتداء الى الكمالات الانسانيّة [وَإِنْ تَوَلَّوْا] عن الاسلام اواخلاص الوجه فليس عليك وباله [فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ] اى التبليغ وقد بلّغت و ليس عليك قبولهم حتّى يكون وبال عدم قبولهم عليك ، والبلاغ اسم مصدر من الابلاغ اوالتّبليغ [وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ] فيجازى كلّاً بعمله ؛ وعدووعيد [إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ] استيناف بيانىّ جواب لسؤال مقدّر [وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ] للتّبيين لا للتّقييد [وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ] اى اتّباع الانبياء والمبتاعين بالبيعة الخاصّة فانّ البائع بالبيعة الخاصّة يأمر بالقسط البتّه ولوفى مملكة وجوده [فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ] نزلت فى بنى اسرائيل الّذين قتلوا ثلاثة واربعين نبيّاً من اوّل النّهار فى ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشررجلاً من عبّاد بنى اسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً فى آخر النّهار فى ذلك اليوم ، هكذا روى عن رسول الله(ص) لكنّ الآية جارية فى كلّ من كان مثلهم و سنخهم وكلّ من قتل نبيّه الباطنىّ و اتباعه و ان لم يقتل نبيّاً فى الخارج ولا تابعاً لنبىٍّ ، و تعريض بمن تعرّض لقتل الائمّة واتباعهم بعد وفاة الرّسول(ص) [أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ] بطلت وذهبت [أَعْمَالُهُمْ] .

اعلم انّ العمل مقابل العلم عبارة عمّا يظهر على الاعضاء مسبوقاً بقصد من العامل قولاً كان اوفعلاً اومايصدر من النّفس فى الباطن من المجاهدات الباطنيّة ، وكلٌّ منهما لايبقى بنفسه لكنّ النّفس تتجوهر بكيفيّة تكون مصدراً لهما ثمّ تتزايد تلك الكيفيّة منهما و تكون تلك الكيفيّة باقية معها فى الدّنيا و الآخرة و ثمرتها فى الدّنيا الخلاص من عذاب الاوصاف الرّذيلة وفى الآخرة التلذّذ بالامور الاخرويّة وبمناجاة الله ، وبعبارة اخرى النّفس تتكيّف منهما بجهتيها ، جهتها الدّنيويّة الّتى يحصل بها للانسان الاضافة الى الخلق وجهتها الاخرويّة الّتى بها يحصل الاضافة الى عالم الارواح، وثمرة كيفيّة جهتها الدّنيويّة الفراغ من رذائل تلك الاضافة ومتاعبها، و ثمرة كيفيّة جهتها الاخرويّة التلذّذ بالامور الاخرويّة و بمناجاة الله ؛ و على هذا فقوله تعالى : [فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] حال من اعمالهم اوظرف للحبط [وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ] يدفعون عنهم العذاب الّذى تبشّرهم به [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ] الم تر الى كذا كلمة تعجّب وتعجيب، والرّؤية اعمّ من رؤية البصر ورؤية القلب ، ونزول الآية ان كان فى احبار اليهود فهى جارية فى كلّ من أقرّ بشريعة وكتاب ثمّ اعرض عن شريعته وكتابه فانّ الكتاب عبارة عن احكام الرّسالة والنّبوّة ، والكتب التّدوينيّة السّماويّة صورة تلك الاحكام وظهورها ، والمنظور منافقوا الامّة حيث أقرّوا بمحمّد(ص) وشريعته وكتابه واعرضوا عن كتابه بعد وفاته [يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ] حال او جواب لسؤال مقدّر ، و ان كان المراد به التّوراة فالتّعريض بالامّة والقرآن [لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ] قرئ بفتح الياء و ضمّها و فتح الكاف [ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ] عن كتاب الله عطف على يدعون والاتيان باداة التّراخى اشارة الى انّ التولّى وقع منهم بعد الدّعاء الى الكتاب بمهلة فانّه(ص) على ماقيل دخل مدرسهم ودعاهم الى الاسلام فقالوا: على اىّ دين انت ؟ ـ قال : على ملّة ابراهيم(ع) فقالوا :

انّ ابراهيم كان يهوديّاً ، فقال: انّ بيننا وبينكم التّوراة فأبوا من الرّجوع اليها بعد محاجّات وقعت بينهم، ونسب فى مجمع البيان الى ابن عبّاس انّه قال : ان رجلاً وامرأة من اهل خيبر زنيا وكانا ذوى شرف فيهم وكان فى كتابهم الرّجم فكرهوا رجمهما لشرفهما ورجوا ان يكون عند رسول الله(ص) رخصة فى امرهما، فرفعوا أمرهما الى رسول الله(ص) فحكم عليهما بالرّجم فقالوا جرت يا محمّد ليس عليهما الرّجم فقال (ص) : بينى وبينكم التّوراة ، قالوا قد أنصفتنا قال : فمن أعلمكم بالتّوراة؟ـ قالوا : ابن صوريا ساكن فدك فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبرئيل قد وصفه لرسول الله (ص) الى ان قال فدعا رسول الله(ص) بشيء من التّوراة فيها الرّجم مكتوب فقال له : اقرء فلمّا اتى على آية الرّجم وضع كفّه عليها وقرأ مابعدها فقال ابن سلام يارسول الله قد جاوزها وقام الى ابن صوريا ورفع كفّه عنها ثمّ قرأ على رسول الله(ص) وعلى اليهود بانّ المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البيّنة رجما ، فأمر رسول الله(ص) باليهوديّين فرجما ، فغضب اليهود وأنكروا على ابن صوريا فأنزل الله هذه الآية [وَهُمْ مُعْرِضُونَ] و الحال انّ سجيّتهم الاعراض عن الحقّ مطلقاً [ذٰلِكَ] التولّى و الاعراض [بِأَنَّهُمْ] سهّلوا على أنفسهم عقوبة الآخرة و [قٰالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النّٰارُ إِلّٰا أَيّٰاماً مَعْدُودٰاتٍ] قيل يعنى عدد ايّام عبادة اسلافهم العجل اربعين يوماً اوسبعة ايّام وقيل ايّاماً منقطعة [وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ] من انقطاع العذاب اوقولهم : نحن ابناء الله واحبّاؤه ، او ان ابآئهم الانبياء يشفعون لهم ، او انّ الله وعد يعقوب ان لايعذّب اولاده [فَكَيْفَ] حالهم تهويل لهم وتفخيم لعذابهم [إِذٰا جَمَعْنٰاهُمْ لِيَوْمٍ] فى يوم اولمجازاة يوم [لٰا رَيْبَ فِيهِ] لاينبغى الرّيب فيه روى انّ اوّل راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفّار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثمّ يأمر بهم الى النّار [وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مٰا كَسَبَتْ] اديّت اليها تمام ماكسبت على تجسّم الاعمال اوتمام جزاء ماكسبت [وَهُمْ لٰا يُظْلَمُونَ] بنقص ثواب اوزيادة عقاب .

اعلم انّ النفوس البشريّة تكسب فعلية من الاعمال البدنيّة والرّياضات النّفسيّة وتلك الفعليّة ليست كيفيّة عرضيّة كما يظنّ بل هى شأن جوهرىّ من شؤن النّفس على ما حقّق فى الفلسفة من الحركات الجوهريّة و ذلك الشّأن ان يبق للنّفس بعد رفع حجب الطّبع بالموت الاختيارىّ او الاضطرارىّ يتمثّل بصورة موافقة له مملوكة للنّفس و هذا معنى تجسّم الاعمال و يتفضّل الله على صاحبها بمثل تلك الصورة او يضعف عذابها بمثلها على اختلاف الكسب وهذا احد وجوه الجنّتين فى قوله تعالى : ولمن خاف مقام ربّه جنّتان واحد وجوه قوله لكلّ ضعف ولكن لاتعلمون و التّوفية تأدية تمام ما ينبغى ان يؤدّى و على هذا جاز ان يقال أعطاه الله نفس ماكسبت وان يقال أعطاه الله جزاء ماكسبت وحبط الاعمال ومحو السيّئات عبارة عن بطلان تلك الفعليّة وانمحاؤها عن صفحة النّفس ، وتبديل السيّئات حسنات عبارة عن تسخير تلك الفعليّة للعاقلة بعد ان كانت مسخرة للشّيطان والعفو عن السيّئات و غفرانها عبارة عن بقاء تلك الفعليّة مع سترها عن الانظار و عدم تمثّلها وعدم ظهورها بصورة مناسبة لها .

[قُلِ اللّٰهُمَّ] اصله ياالله حذف اداة النداء واتى بالميم المشدّدة فى الآخر عوضاً عنها تعظيماً لاسمه الشّريف ان يؤتى بصورة النّداء وتفخيماً للفظه واشعاراً باشتداد المحبّة فانّ شدّة الحبّ كشدّة الغضب تقتضى التّشديد فى اللّفظ وقيل اصله ياالله أُمّ بخير فخفّف بحذف حرف النّداء وهمزة القطع وعدم التفوّه بهذا الاصل

و عدم اجتماع الميم مع حرف النّداء دليل الاوّل [مٰالِكَ الْمُلْكِ] صفة اللّهمّ اومنادى بحذف حرف النّداء والاتيان به قبل الحكم للبراعة، وليكون مشعراً بعلّة الحكم، والمرادبالملك عالم الملك المقابل للملكوت ويقال لعالم الطّبع عالم الملك لانّه ليس فيه الّا حيثيّة المملوكيّة بخلاف الملكوت والجبروت لانّ فيهما حيثيّة المالكيّة اظهر من حيثيّة المملوكيّة والملك بتثليث الميم وبالفتحتين وبالضّمّتين ما تملكه وتستبدّ بالتصرّف فيه ، اوالمراد به مطلق عالم الامكان من الملك والملكوت والجبروت ، اومطلق مراتب العالم الصّغيروالكبير حتّى يشمل ملك القلوب و دولة الرّسالة والنّبوّة وخلافتهما [تُؤْتِي الْمُلْكَ] حال اومستأنف جواب لسؤال مقدّرٍ اومستأنف للمدح و المراد بالملك الثّانى امّا عين الاوّل كما هو المتبادر من تكرار المعرفة ، او المراد به بعض معانى الاوّل [مَنْ تَشٰاءُ] ان تؤتيه من غير مانع وعجز [وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشٰاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشٰاءُ] اعزازه و العزّة ههنا مقابل الذّلّة والمراد به امّا عزّ الملك فيكون تأكيداً لمفهوم الاوّل ، اوغيرالعزّة اللازمة للملك فيكون تأسيساً [وَتُذِلُّ مَنْ تَشٰاءُ بِيَدِكَ] لابيدغيرك جنس [الْخَيْرُ] اوجميع انواعه وافراده وهذه الجملة حال او مستأنف جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ او للمدح و تخصيص الخير بالذّكر امّا لكون المقام للتّرغيب فيما عنده والمناسب له ذكرالخير ، اولانّ الشّر عدمىّ راجع الى العدم والعدم لاشيء محض لا يجرى عليه حكم الشّيء [إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] تعميم بعد تخصيص والجملة كالجمل السّابقة فى الاعراب [تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهٰارِ] وهذه كالجمل السّابقة فى الاعراب والمراد بايلاج اللّيل فى النّهار ايلاج بعضه بنقصان اللّيل والزّيادة فى النّهار ، او المراد تعقيبه للنّهار فيكون المراد ايلاج اللّيل مكان النّهار ولا اختصاص للّيل بليل الزّمان بل يشمله و يشمل عالم الارواح الخبيثة وعالم الطّبع و مادّة الانسان وطبيعته ومرضه وغمّه وألمه و رذائله وكفره وجهله ، وذكرهذه بعد تعميم القدرة للاشارة الى صعوبتها كأنّها معدودة من الممتنعات الغيرالمقدورعليها فانّها جمع بين الاضداد [وَتُولِجُ النَّهٰارَ فِي اللَّيْلِ] هذه تعلم بالمقايسة [وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ] الحيوان من الجماد ، اوالمؤمن من الكافر ، اوالعالم من الجاهل ، اوالنّفس الانسانيّة من النّفس الحيوانيّة ، اوالنّفس الحيّة من الطّبع الميّت ، اوالباقى من الفانى ، فانّ فناء الانسان موت حقيقىّ له وبقاءه بعد الفناء حيوة حقيقيّة بحيوة الله تعالى ، او المراد تميّز الحىّ من الميّت بالمعانى السّابقة [وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ] تعلم هذه بالمقايسة [وَتَرْزُقُ مَنْ تَشٰاءُ بِغَيْرِ حِسٰابٍ] ذكر هذه بعد تعميم القدرة لاقتضاء مقام التّرغيب فيما عنده التّكرير و التّأكيد بامثاله [لاٰ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰافِرِينَ أَوْلِيٰاءَ] اى اولياء المودّة او اولياء التصرّف [مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ] قد مضى بيان معنى من دون فى اوّل البقرة عند قوله وادعوا شهداءكم من دون الله وانّ دون بمعنى الغير ولفظة من للتّبعيض والظّرف مستقرّ حال والمعنى حالكون الكافرين بعضاً من غيرالمؤمنين والتّقييد به للاشعاربعلّة الحكم ولتحريك الغيرة فى المؤمنين ، وقيل فى مثله اشياء اخر [وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ] اى اتّخاذ الكافرين اولياء [فَلَيْسَ مِنَ اللّٰهِ فِي شَيْءٍ] اى ليس فى شيءٍ من النّسب والولايات حالكونها ناشئة من الله اوليس فى شيءٍ من المراتب و المعارج حالكونها بعضاً من الله لانّ الله ذوالمعارج [إِلاّٰ أَنْ تَتَّقُوا] استثناء مفرّغ من قوله: لايتّخذالمؤمنون، اومن قوله: ومن يفعل ذلك اى الّالاان تتّقوا، اوفى ان تتّقوا، وفى الكلام التفات من الغيبة

الى الخطاب [مِنْهُمْ] اى من شرّهم واضرارهم [تُقيةً] قرئ بكسر القاف والياء المشدّدة وبفتح القاف والالف وهومفعول مطلق اومفعول به فى معنى اسم المفعول يعنى ان خاف احد من الكافرين على نفسه او ماله او عياله أوعرضه اواخوانه المؤمنين جاز له اظهار الموالاة مع الكافرين مخالفة لما فى قلبه لا انّه يجوز موالاتهم حقيقة فانّ التقيّة المشروعة المأمور بها ان تكون على خوف من معاشرك ان اطّلع على ما فى قلبك فتظهر الموافقة له بماهوخلاف ما فى قلبك ولااختصاص لها بالكافرفانّه ذكر فى حديث انّه ذكر التقيّة عند علىّ بن الحسين (ع) فقال : لوعلم ابوذرّ ما فى قلب سلمان لكفّره [وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ] فلا تتجاوزوا فى موالاتهم عن موضع الرّخصة [وَإِلَى اللهِ] لا الى غيره [الْمَصِيرُ] فلا ينبغى الموالاة لغيره ولا الحذر من غيره الّا باذنه [قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ] من المودّة للكافرين وغيرها [أَوْتُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ] تعميم بعد تخصيص [وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] فيقدرعلى اعزازكم من دون موالاة الكافرين واذلالكم بموالاتهم فلا تتعرّضوا لمانهاكم عنه ظنّاً منكم انّ عزّتكم تحصل منه [يَوْمَ تَجِدُ] ظرف لتودّ اولقدير على معنى ظهور قدرته فى ذلك اليوم ، اوليعلم ما فى السّماوات ، اوليعلمه الله على هذا المعنى ، اولاذكرمقدّراً [كُلُّ نَفْسٍ] خيّره وشرّيره [مَا عَمِلَتْ] صورة ماعملت على تجسّم الاعمال كما سبق تحقيقه اوجزاء ماعملت اوصحيفة ما عملت [مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ] عطف على ما عملت من خير او لفظة ما شرطيّة وجمله [تَوَدُّ] جزاؤهاوارتفاعه لكون الشّرط ماضياً غير ظاهر فيه الجزم، اولفظة ماموصولة متضمّنة لمعنى الشّرط مبتدء خبره جملة تودّ [لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً] غاية [بَعِيداً] ولفظة لوهذه مصدريّة محذوفة الفعل اوشرطيّة محذوفة الفعل والجواب اى لوثبت انّ بينها وبينه امداً بعيداً تودّ ذلك [وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ] كرّره للتوكيد والتّذكير والتّطويل فى مقام التّهديد [وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ] ولذا لايعجّل العقوبة للمسيئين ويحذّرهم رأفةً بهم جمع بين صفتى اللّطف و القهر للتّرهيب و التّرغيب [قُلْ] ابتداء خطاب للهداية الى حقّ وصواب [إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ] جملة شرطيّة وفعل الشّرط محبّة العباد مقيّدة بالانتساب الى الله والتّمكين فيها المستفاد من تخلّل قوله كنتم فانّ الاتيان بلفظ كان فى امثال المقام للاشارة الى الاستمرار وكون الفعل كالسجيّة ومفهوم مخالفته انتفاء المحبّة المتعلّقة بالله الصائرة كالسجيّة و انتفاؤها امّا بانتفاء المقيّد او بانتفاء كلّ من القيدين [فَاتَّبِعُونِي] جزاء للشّرط المذكور [يُحْبِبْكُمُ اللهُ] جزاء للشّرط المقدّر المستنبط من الاتّباع اللّازم للمحبّة المقيّدة المذكورة والمقصود انّ محبوبيّتكم لله لازمة لاتّباع الرّسول (ص) بعد المحبّة الثّابتة الرّاسخة لله فمن لم يكن له محبّة كأكثر اهل الجبال والرّساتيق والاكراد والأعراب وغيرهم ممّن لايعرفون من المحبّة الّا حبّ المأكول والمشروب والوقاع ، اوكان له محبّة ما؛ لكن كان محبّته للارواح الخبيثة فقط اوللارواح الخبيثة و الطيّبة شاعراً بانّ محبّته للارواح الخبيثة كالابليسيّة و الكهنة و الثنويّة يعنى المحقّقين المكاشفين منهم اوغير شاعر كالهنود المرتاضين بالمخالفات الشّرعيّة الظّانّين انّ عالم الارواح واحد وقالوا: انّ طريق الوصول اليه امّا طريق التأسيسات الشّرعيّة و هذا أبعد الطريقين ، او طريق مخالفة النّواميس الشّرعيّة و هذا اقرب الطريقين ، وكالمبايعين بالبيعة الخاصّة مع من لم يكن اهلاً للبيعة مثل اهل السّلاسل الباطلة الباقية آثارهم

الحقّة فى ايدى المبطلين المتشبّهين بالمحقّين فانّ المبايعين لهؤلاء المبطلين كانت لهم محبّة صادقة وبعد انحرافهم الى المبطلين صارت محبّتهم محبّة شيطانيّة وكلّ هؤلاء الفرق محبّتهم للارواح الخبيثة ولمظاهرها الانسيّة شديدة وليست محبّة آلهيّة وهؤلاء ومن لم يكن لهم محبّة اصلاً لا يصيرون محبوبين لله سواء اتّبعوا الرّسول (ص) ظاهراً اولم يتّبعوا ، ومن كان له محبّة آلهيّة لكن لم يكن محبّته راسخة كأكثر افراد الانسان الّذين لم يستهلك فطرتهم تحت البهيميّة والسبعيّة والشّيطنة فانّهم قد يتشأنون بشأن المحبّة الآلهيّة ويتألّمون من بعدهم عن الحضرة الآلهيّة ويتحسّرون على تضييع أعمارهم فى غير الطّلب لتلك الحضرة لم يفوزوا بالمحبوبيّة ما لم ـ يتمكّنوا فى تلك المحبّة باتّباع رسول حقّ من الله ، نعم ان تمكّنوا فيها بسبب اتّباع رسول حقّ فازوا بالمحبوبيّة لله تعالى ومن كان متمكّناً فى المحبّة الآلهيّة كالمجذوبين والمبتاعين بالبيعة الخاصّة مع من كان اهلاً للبيعة لكن لم يكونوا ذوى عناية بالشّريعة و اتّباع من كان اهلاً لبيان احكام الكثرة لم يكن محبوباً لله تعالى و ان لم يكن مبغوضاً له ايضاً ، ومن كان متمكّناً فى المحبّة الآلهيّة ثابتاً فى اتّباع الشّريعة كان محبوباً لله تعالى مغبوطاً لجملة المقرّبين وهذا تأديب من الله تعالى لاكثر السّلاك البائعين بالبيعة الخاصّة مع من كان اهلاً للبيعة المغترّين بالآيات و الاخبار المثيرة للغرور مثل آية ثمّ اورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا (الى آخر الآية) ومثل آية : الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات الى النّور ومثل: حبّ عليّ حسنة لايضرّ معها سيّئة ، ومثل وليّ عليّ (ع) لايأكل الّا الحلال ، ومثل : اذا عرفت فاعمل ماشئت من قليل الخير وكثيره ، ومثل : لادين لمن دان الله بولاية امام جائر ليس من الله ، ولاعتب على من دان الله بولاية امام عادل ، ومثل قوله (ع) : قال الله تعالى : لأعذّبنّ كلّ رعيّة فى الاسلام دانت بولاية كلّ امام جائر ليس من الله وان كانت الرّعيّة فى اعمالها برّة تقيّة ولا عفونّ عن كلّ رعيّة فى الاسلام دانت بولاية كلّ امام عادل من الله وان كانت الرعيّة فى انفسها ظالمة مسيئة وغير ذلك من امثال ما فيه شبهة غرور فانّ هؤلاء وان فرض انّهم لم يكونوا مبغوضين لكن اين هؤلاء من المحبوبين فالسّالك ينبغى له ان يكون تمام اهتمامه باتّباع الشّريعة المطهّرة بحيث لايشذّ عنه ادب من آدابه المستحبّة ولا يقنع بعدم المبغوضيّة حتّى فاز بدرجات المحبوبيّة [وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ] .

اعلم انّ اقتضاء المحبوبيّة ان لايبقى فى نظر المحبّ نقص وشين من المحبوب بل كلّ مافعل الحبيب كان حبيباً عنده ولذلك كان تعالى يجزيهم بأحسن ماكانوا يعملون لانّ تمام افعال الحبيب وجميع اوصافه واخلاقه تظهر فى نظر المحبّ مثل احسن افعاله و اوصافه و هذا احد وجوه تبديل السيّئات حسنات ، و هذا احد معانى غفران الذّنوب فمن اراد ان يكون بجميع اعماله واوصافه محبوباً لله فليتّبع الرّسول بشرائط المتابعة ومواثيق المبايعة بعد ما نكت فى قلبه نقطة المحبّة وليحذر من مخالفة دقيقة من دقائق الشّريعة [وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] جملة حاليّة مؤكّدة مشعرة بعلّة غفرانه لمحبوبه و المعنى انّه من شيمته المغفرة والرّحمة بالنّسبة الى كلّ احد فكيف يكون مغفرته لمن يكون محبوبه [قُلْ أَطِيعُوا اللهَ] يعنى بعد ماقلت لهم انّ محبوبيّة الله فى متابعتك بعد محبّة الله قل لهم اطيعوا الله [وَالرَّسُولَ] لم يكرّر اطيعوا اشعاراً بانّ اطاعة الله تكليفاً ليس الّا طاعة الرّسول لاانّ طاعة كلّ مستقلة مغايرة لطاعة الآخر [فَإِنْ تَوَلَّوْا] لفظ تولّوا هذا مشترك بين المضىّ والمضارعة [فَإِنَّ اللهَ لَايُحِبُّ الْكَافِرِينَ] بطاعة الله وطاعة الرّسول (ص) لانّ المراد به الكفر بالطّاعة ههنا والمعنى انّه يبغضهم

وان كان نفى الحبّ اعمّ من البغض فانّه يستعمل فى امثال المقام فى احد فرديه ووضع الظّاهر موضع المضمر للاشارة الى علّة الحكم والى انّ التولّى عن الطّاعة كفر [إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ] فى موضع تعليل للامر بطاعة الرّسول وسببيّة اتّباعه(ص) للمحبوبيّة كأنّه قال(ص): فاتّبعونى واطيعونى لانّى نبىّ من ذرّيّة ابراهيم ومن آله وانّ الله اصطفى [آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ] لنبوّتهم [عَلَى الْعَالَمِينَ] وقد ورد فى اخبار كثيرة انّهم قرؤا آل ابراهيم وآل عمران وآل محمّد على العالمين، وفى بعض آل ابراهيم وآل محمّد(ص) بدل آل عمران وقال(ع) فوضعوا اسماً مكان اسم والمراد بآل عمران موسى(ع) وهارون(ع) واولادهما ، اوعيسى(ع) ومريم ابنة عمران، ولعلّ هذا هو المراد كما سيجيء اوالمجموع لصدق آل عمران على المجموع ، وقيل بين العمرانين كان الف وثمانمائة سنة والمراد بآل ابراهيم ، ابراهيم وآله كما سبق الاشارة اليه ، والعدول من ابراهيم الى آل ابراهيم ليعمّ الانبياء(ع) والاوصياء(ع) بعده بلفظ واحد فانّ الكلّ منسوبون اليه بالنّسب الجسمانيّة كما انّهم منسوبون اليه بالنّسب الرّوحانيّة و ذكر آل عمران وآل محمّد (ص) بعده من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ للاهتمام بالخاصّ كأنّه قال: انّ الله اصطفى آل ابراهيم واصطفى منهم آل عمران وآل محمّد(ص) [ذُرِّيَّةً] حال من نوح وآل ابراهيم ومابعده، اومنصوب بفعل محذوف للمدح ، اوبدل من ماقبله، والذّرّيّة بالضمّ والكسر ولد الرّجل للواحد والجمع [بَعْضُهَا] ناش [مِنْ بَعْضٍ] ولا ينافى كون بعضها من بعض تشعّبها من ابراهيم بشعبتين [وَاللَّهُ سَمِيعٌ] لاقوال عباده بلسان استعدادهم و لسان قالهم فيعطى كلّاً من المصطفى و غيره بحسب استعداده [عَلِيمٌ] بمكمونات العباد من القوى البعيدة من الاستعدادات القريبة من الفعل فينظر منهم الى قواهم البعيدة من الفعل ولايعطى جزافاً كما لايمنع جزافاً فاصطفى هؤلاء باستحقاقهم واستعدادهم والجملة حال اوعطف على جملة انّ الله اصطفى اوعلى معمولى انّ فى مقام التّعليل لاصطفاء هؤلاء ، اوهى فى مقام التّعليل لاصطفاء آل عمران كأنّه كان وجه اصطفاء آدم ونوح وآل ابراهيم معلوماً بخلاف اصطفاء آل عمران فقال فى بيان وجهه: انّ الله اصطفى آل عمران لانّه كان سميعاً لاقوال امرأة عمران عليماً باستحقاقها [إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ] فعلى هذا لفظ اذ كان ظرفاً لسميع وعليم اومفعولاً به لهما باعتبار المضاف اليه نظير الوصف بحال المتعلّق ، اوظرف لاصطفى المقدّر قبل آل عمران وعلى الوجه الاوّل قوله والله سميع عليم كان مفعولاً لاذ كر مقدّراً وكان منقطعاً عمّا قبله واسم امرأة عمران كان حنّة وكانتا اختين احداهما عند عمران بن اشهم من ولد سليمان(ع) بن داود(ع) وقيل عمران بن ماثان وكان بنوماثان رؤساء بنى اسرائيل ، والاخرى عند زكريّا وكان اسمها اشياع، وفى اخبارنا انّ زوجة زكريّا كانت اخت مريم لااخت امّها وكانت حنّة قد امسك عنها الولد حتّى اسنّت فبينا هى تحت شجرة اذ رأت طائراً يزقّ فرخاً له فتحرّكت نفسها للولد فدعت الله ان يرزقها ولداً فحملت بمريم ونذرت ولدها لخدمة بيت المقدّس وروى انّ الله اوحى الى عمران انّى واهب لك ذكراً سويّاً مباركاً يبرء الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذن الله وجاعله رسولاً الى بنى اسرائيل فحدّث امرأته حنّة فلمّا حملت بها كان حملها عند نفسها غلاماً فلمّا وضعتها قالت ربّ انّى وضعتها انثى وليس الذّكر كالانثى لايكون البنت رسولاً يقول الله تعالى والله اعلم بما وضعت فلمّا وهب الله لمريم عيسى(ع) كان هو الّذى بشّر به عمران و وعده ايّاه فاذا قلنا فى الرّجل منّا شيئاً وكان فى ولده اوولد ولده فلا تنكروا ذلك، ولمّا ظنّت انّ حملها الذّكر الموعود نذرته لخدمة بيت المقدّس وقالت [رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً] معتقاً من خدمتنا لخدمة المتعبّدات او مختاراً

اومهذّباً مقوّماً من الحريّة مقابل الرقيّة اوبمعنى كون الشّيء مختاراً اومن تحرير الكتاب بمعنى تقويمه وذكروا انّ المحرّر اذاحرّر جعل فى الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها لايبرح حتّى يبلغ الحلم ثمّ يخيّر فان احبّ ان يقيم فيه اقام وان احبّ أن يذهب ذهب حيث شاء [فَتَقَبَّلْ مِنِّي] نذرى [إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ] لقولى ونذرى [الْعَلِيمُ] بنيّتى وانّى لااريد بنذرى سواء رضاك [فَلَمَّا وَضَعَتْهَا] وكانت ترجوا ان تضع ذكراً ورأتها انثى خجلت واستحيت و [قَالَتْ] منكّسة رأسها مظهرة لخجلتها [رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى] او لمّا وضعتها انثى وكانت ترجو انّ الولد ذكر وخابت عن متمنّاها قالت اظهاراً لخيبتها ربّ انّى وضعتها انثى او لمّا وضعتها ورأت انّها انثى و علمت انّ الانثى تكون ضعيفة فى عقلها قالت تقدمة لسؤال استعاذتها ربّ انّى وضعتها انثى والانثى تكون ضعيفة فأعيذها بك من الشّيطان ، اوقالت ربّ انّى وضعتها انثى تقدمة لعدولها عن نذرها يعنى انّ الانثى لاتصلح لخدمة المعابد فلااقدر على الوفاء بنذرى قيل: مات عمران حين حملها ووضعتها بعد وفات عمران [وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ] جملة معترضة من الله لتبجيل ما وضعت يعنى هو اعلم بشأن ماوضعت ومقامها العالى وتحسّرها على كونها انثى كان لجهلها بمقامها وقرئ بضمّ التّاء على ان يكون من كلامها تسلية لنفسها وبكسر التّاء على ان يكون من كلامها خطاباً لنفسها تسلية لها وعلى ان يكون من كلام الله تعالى خطاباً لها وتسلية لها وقوله تعالى [وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى] من كلامه تعالى تسلية لها يعنى ليس الذّكر المتمنّى مثل هذه الانثى المولودة فى الشّرف والمقام او هو من كلامها تعليلاً لتمنّيها وتحسّرها على الانثى اى ليس جنس الذّكر مثل جنس الانثى فى الخسّة والممنوعيّة من الرّسالة والمعابد بواسطة الانوثة والحيض ، اوليس الذّكر الموعود مثل هذه الانثى فى الخسّة والممنوعيّة وقيل فيه غير هذا [وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ] تفؤّلاً فانّ مريم كانت بمعنى العابدة [وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ] نسب الى النّبىّ (ص) انّه ما من مولود الّا والشّيطان يمسّه حين ولد فيستهلّ صارخاً من مسّ الشّيطان ايّاه الّا مريم وابنها [فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا] مع انوثتها من المنذور لخدمة بيت المقدّس ولم يقبل قبلها انثى فى ذلك او المعنى تقبّلها و تكفّل امرها بحيث ما عرتها علّة ساعة من ليل اونهار اوتقبّلها بتكفيل نبيّه لها [بِقَبُولٍ حَسَنٍ] الباء فيه مثل الباء فى قوله فتستجيبون بحمده فالباء فيه للمصاحبة اوللآلة وحسن قبولها اخذها مقام الذّكر وحفظها من الآفات وتسلّمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للخدمة وتكفيلها زكريّا نسب الى الرّواية انّ حنّة لمّا ولدتها لفّتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت : دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانّها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فانّ بنى ماثان كانوا رؤس بنى اسرائيل و ملوكهم فقال زكريّا : انا احقّ بها عندى خالتها فأبوا الّا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفى قلم زكريّا و رسبت اقلامهم فتكفّلها [وَأَنْبَتَهَا] من حنّة او انماها فى نفسها [نَبَاتاً] امّا مصدر من غير لفظ الفعل اوحال موطّئة للتّوصيف يعنى انبتها حالكونها نباتاً [حَسَناً] بان سوّى خلقها اوبان جعلها بحيث كانت تنمو فى يوم ما ينمو غيرها فى عام ، اوجعلها بحيث صامت نهارها وقامت ليلها وتبتّلت الى الله حين بلغت حتّى فاقت الاحبار [وَكَفَّلَهَا] الله [زَكَرِيَّا] كماسبق وقرئ بتخفيف الفاء وزكريّا كان من ولد سليمان و فيه ثلاث لغات المدّ والقصر وتشديد الياء بدون الالف و لمّا كفّل زكريّا مريم بنى لها بيتاً و استرضع لها اوضمّها الى خالتها امّ يحيى حتّى اذا شبّت و بلغت مبلغ النّساء بنى لها محراباً فى المسجد

و جعل بابه فى وسطه لا يرقى اليها الّا بسلّم مثل باب الكعبة ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها و شرابها ودهنها كلّ يوم [كُلَّمٰا دَخَلَ عَلَيْهٰا زَكَرِيّٰا الْمِحْرٰابَ] اى بيتها سمّى محراباً لكونه معبدها ومحلّ محاربتها للشيطان [وَجَدَ عِنْدَهٰا رِزْقاً] فاكهة فى غير حينها غضاً طرياً والجملة جواب كلّما [قٰالَ] جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل : ما قال لها كلّما وجد عندها رزقاً ؟ـ فقال تعالى: قال [يٰا مَرْيَمُ أَنّٰى لَكِ هٰذٰا] كيف لك او من اىّ مكان لك هذا الرّزق وهو للتعجّب [قٰالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشٰاءُ بِغَيْرِ حِسٰابٍ] استيناف فى مقام التّعليل [هُنٰالِكَ] فى ذلك المكان او فى ذلك الزّمان [دَعٰا زَكَرِيّٰا رَبَّهُ] يعنى بعد ماشاهد من مريم ماشاهد من اكرام الله لها حنّ الى ولد كريم على الله مثلها فدعا ربّه [قٰالَ رَبِّ هَبْ لِي] لانتفاعى [مِنْ لَدُنْكَ] لامن لدن غيرك من الملائكة اوالشّياطين حتّى يكون عوده الى حضرتك [ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعٰاءِ] اى مجيبه فانّ السّماع فى امثال المقام يستعمل فى الاجابة والجملة مستأنفة لبيان علّة الدّعاء اولبيان حاله تعالى فى مقام الدّعاء [فَ] أجاب الله تعالى دعاءه و [نٰادَتْهُ الْمَلٰائِكَةُ وَهُوَ قٰائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرٰابِ] فى مصلّاه [إِنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيىٰ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللّٰهِ] هذا اجابة منه تعالى لدعائه(ع) فانّ التصديق بكلمة الله دليل الطيبوبة و المراد بكلمة الله هو المسيح فانّه لفنائه فى نفسه و بقائه بربّه صار كالكلمة الغير القارّة الغير المستقلّة بنفسها القائمة بالمتكلّم [وَسَيِّداً] للخلق فى الشّرف ولقومه فى الطّاعة [وَحَصُوراً] مبالغاً فى منع النّفس عن الشّهوات و لذلك فسّر بمن لايأتيه النّساء [وَنَبِيّاً مِنَ الصّٰالِحِينَ] واتّصافه بالاوصاف الثّلاثة من الفضل فى الاجابة [قٰالَ] قد مضى مكرّراً انّ امثال هذا جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: ماقال بعد البشارة من الله بالولد؟ـ قال قال [رَبِّ أَنّٰى] كيف [يَكُونُ لِي غُلاٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ] والكبير لايصلح نطفته لانعقاد الولد كان الظّاهر ان يقول وقد بلغت الكبر لكنّه نسب البلوغ الى الكبر للاشعار بانّ الهرم كالطّالب الاتى الى الانسان [وَامْرَأَتِي عٰاقِرٌ] ماكان يصلح رحمها لانعقاد الولد قبل الكبر فكيف بعد الكبر وهذا تعجّب واستبعاد منه للولد بحسب الاسباب الطبيعيّة ولذلك اتى بعده بانقطاع الاسباب الطبيعيّة وتبجّح منه بافضال الله و اكرامه مع عدم الاسباب لا انّه انكار منه لفعل الله بدون الاسباب حتّى يكون مخالفاً لمقام الانبياء(ع) قيل كان زكريّا يوم بشّر بالولد ابن عشرين ومائة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة [قٰالَ] الله اوالملك المنادى [كَذٰلِكَ] خبر مبتدء محذوف اى الامر كما بشّرت به اومتعلّق بيفعل يعنى مثل اعطاء الولد من غير وجود الاسباب الطبيعيّة [اللّٰهُ يَفْعَلُ مٰا يَشٰاءُ] كانت اسبابه موجودة اولم تكن ، وقيل: كان استفهامه على سبيل التعرّف ايعطيهما الولد على حال الشّيخوخة ام يجعلهما شابّين ثمّ يعطيهما ، وقيل: يحتمل ان يكون اشتبه الامر عليه ايعطيه من امرأته العجوز العاقر ام من امرأة أخرى شابّة صالحة للولد ، وقيل: انّما سأل ذلك ليعرف انّ البشارة كانت حقّة وكانت من الملك ام كانت من الشّيطان ولذلك [قٰالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً] و قيل انّما قال ذلك ليتعرّف بها وقت الحمل ليزيد فى العبادة و الشّكر اوليتعجّل السّرور به [قٰالَ آيَتُكَ أَلاّٰ تُكَلِّمَ النّٰاسَ] لا تقدر على التكلّم [ثَلاٰثَةَ أَيّٰامٍ إِلاّٰ رَمْزاً] استثناء مفرّغ منقطع اى لكن ترمز اليهم رمزاً ، اوالمراد بالتكلّم الافهام والاستثناء متّصل والمعنى آيتك ان لاتفهم النّاس

ما فی ضمیرك نحواً من الافهام الّا افهام رمزا وفی حال من الاحوال الّا رامزاً اورامزین وانّما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصّة ً دون ذكرالله لیخلص فی تلك المدّة لشكره وذكره قضاء لحقّ النّعمة ، و هذا دلیل علی انّ طلب الآیة كان لمعرفة وقت الحمل طلباً لازدیاد الشّكر والذّكر .

[وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً] یعنی فی تلك الایّام عرّفه انّ حبس لسانه عن الكلام بغیرذكرالله لاعن ذكرالله لیكثرذكرالله فی تلك المدّة [وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ] قیل من الزّوال الی الغروب ، وقیل من العصر الی ذهاب صدر اللّیل و هذا هوالمتبادر ، وقیل : من الغروب الی ذهاب صدر اللّیل [وَالْإِبْكَارِ] من طلوع الفجر الی الضّحی والتّسبیح بمعنی التّنزیه والتّطهیر لكنّه اذا نسب الی الله یراد به تنزیهه من النّقائص مع عدم اعتبار تنزّهه عن النّسب والاضافات ، او مع اعتبار النّسب والاضافات الی الكثرات كما سبق تحقیقه وتحقیق الفرق بینه وبین التّقدیس فی اوّل سورة البقرة عند قوله ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك .

تحقیق تسبیح الرّبّ و تسبیح اسم الرّبّ

اعلم انّ فی كلّ فرد من افراد بنی آدم بل فی كلّ جزء من اجزاء العالم لطیفة آلهیّة هی تربیّه وتحرّكه الی كمالاته الثّانویّة وتخرجه من القوی والاستعدادات المودعة فیه الی فعلیّاته ، و تلك اللّطیفة بوجهٍ ربّه وبوجهٍ اسم ربّه وقول الشّاعر :

دل هر ذرّه را كه بشكافی　　آفتابیش در میان بینی

وقول الآخر :

یكی میل است با هر ذرّه رقّاص　　كشاند ذرّه را تا مقصد خاصّ
رساند گلشنی را تا بگاشن　　دواند گلخنی را تا بگلخن

اشارة الی هذه اللّطیفة وهذه محتجبة تحت اعدام الطّبع ورذائل النّفس ، وتنزیهها عبارة عن تطهیرها عن الاعدام والنّقائص والرّذائل ولا یمكن ذلك الّا بكثرة الذّكر المأخوذ ممّن كان مجازاً من الله بلا واسطة اوبواسطة اوبوسائط ، ولذا أمربه بعد الامر بالذّكر الكثیر وكلّما ذكر تسبیح مطلقاً اومقیّداً باسم الرّبّ اوبالرّبّ اوبالله واقعاً علیها بنفسه او متعلّقاً بها باللّام او بالباء فالمراد تنزیه تلك اللّطیفة لانّها اسم للرّبّ وربّ و نازلة من الله والمراد بالعشیّ والابكار امّا تمام الاوقات فانّه قد یراد بذكر طرفی النّهار استغراق جمیع الاوقات فی العرف ، او خصوص طرفی النّهار فانّهما وقت نشاط النّفس و اشتداد شوقها الی اصلها بخلاف جوف اللّیل ووسط النّهار فانّهما وقت كلال النّفس وفتور القوی ولاتقربوا الصّلوة وانتم كسالی [وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ] عطف علی قوله اذقالت امرأة عمران اومستأنف بتقدیر اذكر اوذكّر اذقالت الملائكة لمریم شفاهاً سواء كانت رأتهم اولم تراشخاصهم لانّها كانت محدّثة والمحدّث قدیری وقد لایری كما سبق الاشارة الیه عند قوله واثمهما اكبر من نفعهما [يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ] من ذرّیّة الانبیاء [وَطَهَّرَكِ] من السّفاح [وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ] ای عالمی زمانك لولادة عیسی (ع) وهذا مضمون مافی الخبر وقیل فیه اشیاء أخر ، ولعلّ المراد بالاصطفاء الاوّل اصطفاؤها بالنّظر الی نفسها واستعدادها واستحقاقها وبالاصطفاء الثّانی اصطفاؤها بالنّسبة الی نساء عالمها ولذا جاء بالتّطهیر بینهما یعنی یامریم انّ الله نظر الیك ووجدك اهلاً لخدمته وقربه فاصطفاك لخدمته وطهّرك من نقائص الكثرات وقرّبك الیه وافناك ممّا ینبغی ان یفنی عنه ثمّ ابقاك ببقائه وأحیاك بحیوته واحیاك بما یحیی الباقون بعد الفناء حتّی تفضّلت علی نساء العالمین فاصطفاك علیهنّ [يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي] اطیعی اوادیمی

القيام فى العبادة اوادعى اواسكتى [لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى] اخضعى اوانحنى [وَارْكَعِى] صلّى او كبّى على وجهك وامّا معنى القنوت والسّجود والرّكوع الشرعيّة فغير مراد قطعاً اذالحقائق الشرعيّة على فرض ثبوتها انّما هى فى شريعتنا لا فى الشّرائع السّابقة على انّ قنوت صلوة شريعتنا وسجودها وركوعها غير ثابتة فى شريعتها وعلى هذا فلا حاجة الى بعض التّوجيهات ولا الى القول بانّ الآية ممّا قدّم وأخّر بعض اجزائها [مَعَ الرَّاكِعِينَ] اى المصلّين الاتيان باسم الفاعل الدالّ على دوام الفعل وثباته دون الّذين ركعوا للاشارة الى انّ الامر امربدوام الرّكوع فانّ المصاحب بفعله لدائم الفعل لابدّ ان يكون دائم الفعل، والاتيان بجمع المذكّر للاشارة الى تشريفها بجعلها فى عداد الرّجال [ذٰلِكَ] الاخبار باخبار امّ مريم (ع) وزكريّا (ع) ومريم (ع) [مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ] اى من الانباء الّتى كانت فى غيب منك اومن انباء الغائبين والغائبات منك [نُوحِيهِ إِلَيْكَ] خبربعد خبر اوحال اوخبر ابتداء او مستأنف جواب لسؤال مقدّر [وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ] قد مضى حكاية القرعة فى كفالة مريم [وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ] فى كفالة مريم حين لفتّها امّها فى خرقة واتت بها الى الاحبار اوحين كبرها وعجز زكريّا عن تربيتها كما قيل ، ويجوز ان يراد اذيختصمون عند ولادة عيسى (ع) [إِذْ قَالَتِ] بدل من قوله اذيختصمون اومن قوله اذقالت الملائكة يامريم انّ الله اصطفيك وقوله وما كنت لديهم اذيلقون اقلامهم وما كنت لديهم اذيختصمون اذقالت [الْمَلَائِكَةُ] تعليل لكون الاخبار فى غيب منه [يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ] قد مضى وجه تسمية عيسى (ع) لكلمة الله [اسْمُهُ الْمَسِيحُ] وهوبالعربيّة بمعنى المبارك وله معان اخرتناسب التّسمية بها وقيل هومعرّب مشيحا بالسّريانية بمعنى المبارك [عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ] خبربعد خبر اوخبرمبتدء محذوف [وَجِيهاً] حال مقدّرة من كلمة والجاه والوجاهة رفعة المنزلة [فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ] من الله [وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ] هومايمهد لمضجع الصبىّ [وَكَهْلاً] يعنى يكلّم النّاس فى طفوليّة كما تكلّم حين الشّهادة لنفسه ولأمّه بالطّهارة عن السّفاح بقوله انّى عبدالله اتانى الكتاب اويكلّم النّاس فى طفوليّته بالرّسالة والمحاجّة عليها فانّه بعث فى ابن خمس اوابن سبع و فى زمان بلوغه مبلغ الكمال لا الكهولة العرفيّة على ما قيل انّه رفع فى شبابه و قيل : انّ المراد بتكلّمه كهلاً تكلّمه حين نزوله من السّماء [وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ] مثل زكريّا (ع) مستغربة بحسب الاسباب الطبيعيّة [رَبِّ أَنَّى] كيف [يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ] ويجوز ان يكون استفهاماً وسؤالاً لتعلم انّ الولد يكون بلازوج او يكون بعد تزوّجها [قَالَ كَذٰلِكِ] الولد من غيرمسيس البشر [اللّٰهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً] استيناف جواب سؤال مقدّر عن كيفيّة خلقه مايشاء [فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] من غير اسباب كما جرى سنّته بان يخلق الاشياء الطبيعيّة تدريجاً بالاسباب [وَيُعَلِّمُهُ] قرئ بالنون وبياء الغيبة وهوعطف على يخلق اوعلى الله يخلق اوعلى كذلك الله يخلق مايشاء ، ويجوز ان يكون عطفاً على ما قبل قوله تعالى: قالت ربّ انّى يكون لى ولد ويكون هذا القول معترضاً حتّى يكون تعليمه الكتاب ممّا بشّرت به والمعنى انّ الله يبشّرك بكلمة يعلّمه [الْكِتَابَ] قد مضى تحقيق الكتاب فى اوّل الكتاب ويجوز ان يراد به الكتابة هنا فانّه قيل انّ الله

أعطى عيسى (ع) تسعة اجزاء من الخطّ و سائر النّاس جزءاً و احداً [وَالْحِكْمَةَ] آثار الولاية [وَالتَّوْرٰيةَ وَالْإِنْجِيلَ] خصّ الكتابين لشرفهما بالنّسبة الى سائر الكتب السّالفة [وَرَسُولاً] عطف على يعلّمه الكتاب على ان يكون هو عطفاً على ما قبل قالت ربّ انّى يكون لى ولد اوعطف عليه بتقدير يرسله او يكلّم رسولاً [إِلىٰ بَنِي إِسْرٰائِيلَ] خصّ بنى اسرائيل لانّه كان رسولاً اليهم، اولانّهم كانوا اشرف المرسل اليهم ، اولانّ المراد بينى اسرائيل من لم ينقطع نسبته الفطريّة الى الانبياء فانّهم المنتفعون بهم والمرسل اليهم حقيقة [أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ] بانّى قد جئتكم على تقدير التكلّم والنّطق قبل رسولاً اوتضمين رسولاً معنى النّطق [بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ] حجّة لاتشكّون انّها ليست من قوّة البشر على صحّة نبوّتى [أَنِّي أَخْلُقُ] بدل من آية من ربّكم اوبدل من انّى قدجئتكم او خبر مبتدءٍ محذوف اى هى انّى اخلق [لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ] اى فى هذا الطّين اوفى المخلوق من الطّين اوممائل هيئة الطّير على ان يكون الكاف اسماً [فَيَكُونُ طَيْراً] اى حيّاً ذا لحم وعظم وجناح وطيران ولمّا كان صيرورة الطّين لحماً و عظماً و جناحاً وذاحيوة ممّا يخرج من قدرة البشر قيّده بقوله تعالى [بِإِذْنِ اللّٰهِ] لئلا يتوهّم متوهّم ماتوهّمه النّصارى فى حقّه والمعروف انّه الخفّاش المعروف [وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ] الاعمى اوالّذى ولد اعمى اوالممسوح العين [وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتىٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ] تكرار باذن الله للاهتمام بدفع ذلك التوهّم ، ولمّا كان الغالب فى زمان عيسى (ع) والمعتبر فى انظار اهله الطّبابة والمعالجات الغريبة الّتى يعجز عن امثالها اكثر اطبّاء الامصار اعطى الله تعالى عيسى (ع) آية من سنخ ماكان معتبراً عندهم خارجة عن قدرة البشر حتّى يعترفوا بعد ما عرفوا بحذاقتهم انّها خارجة عن قدرتهم بأنّها من الله [وَأُنَبِّئُكُمْ بِمٰا تَأْكُلُونَ وَمٰا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ] يعنى اخبركم بأحوالكم الّتى هى معلومة لكم و غائبة عنّى حتّى تعلموا انّى اعلم المغيبات [إِنَّ فِي ذٰلِكَ] المذكور من خلق الطّير من الطّين الى قوله وما تدّخرون اوفى ذلك الانباء [لَآيَةً] عظيمة [لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] اى ان كان سجيّتكم الاذعان والتّصديق بما يذعن به او ان كنتم مؤمنين بالانبياء السّلف ، نسب الى الباقر (ع) انّه قال: انّ عيسى (ع) كان يقول لبنى اسرائيل: انّى رسول الله اليكم وانّى اخلق لكم من الطّين كهيئة الطّير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وابرئ الاكمه والابرص ، والاكمه هو الاعمى قالوا : ما نرى الّذى تصنع الّا سحراً فأرنا آيةً نعلم انّك صادق قال : أرأيتكم ان اخبرتكم بما تأكلون وماتدّخرون فى بيوتكم يقول ما أكلتم فى بيوتكم قبل ان تخرجوا وماادّخرتم باللّيل تعلمون انّى صادق؟ـ قالوا : نعم وكان يقول : انت اكلت كذا وكذا ، و شربت كذا وكذا ، و رفعت كذا وكذا ، فمنهم من يقبل منه فيؤمن ، و منهم من يكفر ، وكان لهم فى ذلك آية ان كانوا مؤمنين [وَمُصَدِّقاً] عطف على رسولاً او على قد جئتكم بتقدير جئت او عطف على اخلق بتقدير كنت او جئت بان جعل تصديقه للتّورية آية صدقة والمعنى انّى قد جئتكم بآية من ربّكم انّى كنت مصدّقاً [لِمٰا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرٰيةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ] عطف على مصدّقاً باعتبار المعنى فانّ المقصود منه التّعليل اوعطف على جئت مصدّقاً بتقدير جئت اوعطف على قد جئت بآية من ربّكم بتقدير جئت لاحلّ لكم [بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ] ببغيكم مثل كلّ ذى ظفر و شحوم البقر و الغنم

وبعض الاعمال فی یوم السّبت وغیرذلک، نسب الی الصّادق(ع)انّه قال کان بین داود(ع)وعیسی بن مریم(ع) اربعمائة وکانت شریعةعیسی (ع)انّه بعث بالتّوحید والاخلاص وبمااوصی به نوح (ع)وابراهیم (ع)وموسی(ع) وأنزل علیه الانجیل وأخذ علیه المیثاق الّذی أخذ علی النّبیّین وشرع له فی الکتاب اقام الصّلوة مع الدّین والامر بالمعروف والنّهی عن المنکر وتحریم الحرام وتحلیل الحلال وانزل علیه فی الانجیل مواعظ وامثال وحدود ولیس فیها قصاص ولا احکام حدود ولا فرض مواریث وأنزل علیه تخفیف ماکان علی موسی فی التّوراة وهو قول الله عزّوجلّ فی الّذی قال عیسی بن مریم (ع) لبنی اسرائیل ولاحلّ لکم بعض الّذی حرّم علیکم و امر عیسی (ع)من معه ممّن اتّبعه من المؤمنین ان یؤمنوا بشریعة التّوراة والانجیل [وَجِئْتُکُمْ بِآیَةٍ مِنْ رَبِّکُمْ] لمّاکان احلال المحرّمات فی شریعة ثابتة مصدّقة محلّاً للانکار وموهماً لکذب المحلّل واراد ان یأمربطاعته بعد ما اتی بما هوموهم لکذبه کرّرقوله جئتکم بآیةٍ من ربّکم لیکونوا علی ذکرمن معجزاته فلاینکروه ولاینکروا امره [فَاتَّقُوا اللَّهَ] یعنی اذاکنت جئتکم بآیةٍ من ربّکم دالّة علی رسالتی منه فاتّقوا سخطه فی مخالفتی [وَأَطِیعُونِ] فیما أدعوکم الیه وفیما أمرتکم به ونهیتکم عنه .

تحقیق کون الانسان فطریّ التعلّق واقتضاء ذلک الایتمام بامرٍ

اعلم انّ اللّطیفة السیّارة الانسانیّة خلقت مفطورة التعلّق بمعنی انّ التعلّق ذاتیٌّ لها لا انّه عرضیّ لهاکسائر الاعراض بل نقول : ذاتها لیست الّا التعلّق وکلّماکان سواها فهو لیس ذاتاً ولا ذاتیاً لها بل هو عرضیٌّ مانع لها من ظهورها بذاتها وعائق لها عن قربها من اصلها وکمالها بطرح ماسوی التعلّق وظهورالتعلّق بدون قید من القیود ولذلک قال تعالی حین تمامیّة کمال محمّد (ص) وکمال قربه من مبدئه دنا فتدلّی یعنی انتهی فی دنوّه حتّی لم یبق له الّاالتدلّی الّذی هوذاته والّا فالتدلّی کان له من اوّل وجوده ، وقولهم : القیدکفرولوبالله؛ اشارة الی انّ ذات الانسان تعلّق محض من دون ضمیمة قیدٍ الیها وکلّما ضمّ الیه قید من القیود ولوکان تقیّداً بالله اقتضی ذلک القیدالاثنینیّة والاستقلال فی الوجود وحجبه عن ذاته وعن مشاهدة ربّه ، وهذا بخلاف سائر الموجودات الامکانیّة فانّهاکلّها متحدّدات بحدود مخصوصة یکون کمالها ببلوغها الی تلک الحدود و وقوفها فی تلک المواقف واستقلالها بحدودها فهی وان کان مقتضیة للتعلّق لکنّ التعلّق فیهامختفیة تحت التحدّد والاستبداد وکانت ارباب انواعهاتحت ربّ نوع الانسان لتحدّدها واطلاقه ولمّاکانت تلک اللّطیفة بذاتها مقتضیة للتعلّق وکان التّکلیف مطابقاً للتّکوین امروا العباد بالاقتداء و التعلّم والایتمام و الطّاعة و ذکروا انّ طاعة الامام اصل کلّ الخیرات فانّه نسب الی ابی جعفر(ع) انّه قال: زروة الامر وسنامه ومفتاحه وباب الاشیاء ورضی الرّحمن تبارک وتعالی الطّاعة للامام بعد معرفته ثمّ قال : انّ الله تبارک وتعالی یقول : من یطع الرّسول فقد أطاع الله؛ وفی هذا المعنی اخبارکثیرة . ونسب الی علیّ (ع) انّه قال : اعلموا انّ صحبة العالم واتّباعه دین یدان الله به ، وطاعته مکسبة للحسنات ، ممحاة للسیّئات ، وذخیرة للمؤمنین ، ورفعة فیهم فی حیوتهم ، وحبل بعد مماتهم ، بل ورد فی اخبار کثیرة صراحة واشارة الی انْ لا خیر ولاحسنة لغیرالمطیع ، ولاذنب للمطیع ، وان اتی غیرالعارف المطیع للامام بجمیع اعمال الخیر والعارف المطیع بجمیع اعمال الشّر ، والاخبار الدّالّة علی انّ من مات ولم یکن له امام مات میتة الجاهلیّته اومیتة کفر ؛تدلّ علی فضل الطّاعة للامام ، ولذلک امرالانبیاء اممهم اوّل دعوتهم بالتّقوی الّتی هی قبل الاسلام ثمّ بالطّاعة لهم وقال الکبار من المشایخ(ره) : ان کنت تحت طاعة عبدٍ حبشیّ کان خیراً لک من ان تکون تحت طاعة نفسک ، وقال الفقهاء رضوان الله علیهم : من عمل من المقلّدین بطاعة ربّه من

غير تقليدٍ لعالم وقته وكان عمله مطابقاً لحكم‌الله كان باطلاً غير مقبول ان كان مقصّراً في ترك التقليد ، والاخبار الدّالّة على وجوب طلب العلم مثل : طلب العلم فريضة على كلّ مسلم و مسلمة ، و مثل : لويعلم النّاس ما في طلب‌العلم لطلبوه ولوبسفك المهج وخوض‌اللّجج والاخبار الدّالّة على انّ اصناف النّاس ثلاثة: عالم ومتعلّم وغثاء ، اوهمج، اوسواقط ،كلّها تدلّ على‌وجوب الطّاعة فانّ العلم‌على‌التّحقيق ليس بمحض انتقاش النّفوس بنقوش المحسوسات و المظنونات و المعلومات ، بل هو من شؤن النّفوس و فعليّاتها في طريق الانسان لانّ انتقاش النّفوس بنقوش المدركات وفعليّاتها وشؤنها اذا لم تكن في‌طريق الانسان بل‌كانت في‌طريق‌الشّيطان اوالحيوان لم‌يكن‌علماً بل يسمّى جهلاً عند اهل‌الله ، والحقّ انّه لايحصل‌فعليّة في طريق‌الانسان بعدبلوغ‌الانسان مبلغ‌الرّجال الّا باتّباع صاحب‌الطّريق‌وطاعته، فانّ‌الانسان لاتوجّه له اختياراً من‌اوّل طفوليّته الّا الى البهيميّة والسّبعيّة، واذا بلغ‌اوان التّكليف يزدادعليهما الشّيطنة وان‌كان يحصل له حينئذٍ زاجرٌ الٓهيٌّ ايضاً لكنّ الزّاجر الالٓهيّ يكون في‌غاية‌الضعف وهذه الثّلاثة في‌غاية القوّة ولايمكنه الخلاص من حكومة هذه والسّيرعلى‌الطريق المستقيم الانسانيّ الّا بالتمسّك بولاية صاحب الولاية الّتي هي‌العروة الوثقى الّتي لاانفصام لها ، وقوله تعالى ضربت عليهم‌الذلّة اينما ثقفوا الّا بحبل من‌الله وحبل من‌النّاس اشارة الى الزّاجرالالٓهيّ اعني‌الولاية التكوينيّة والى الولاية التكليفيّة يعني لايكفي الحبل من‌الله الّا بضميمة الحبل من النّاس الّذي هوالولاية والطّاعة لوليّ الامر، ولعدم‌حصول العلوم والفعليّات في‌طريق‌الانسان الّا باتّباع‌الامام اومن‌اجازه للاقتداء قالوا بطريق‌الحصر: نحن العلماء و شيعتنا المتعلّمون و سائر النّاس غثاء ، ولعلّ بعضهم لم يتعلّموا ساعة بطريق المعروف بل‌كان جمّالاً اوراعياً اومحترفاً ، ولمّا كان حصول الفعليّات والعلوم في‌طريق‌الانسان بسبب الاتّصال المعنويّ الّذي عبّر عنه بالحبل وكان الاتّصال الصوريّ سبباً للاتّصال المعنويّ وقنطرةً له‌كان الانبياء(ع) واوصياؤهم (ع) من لدن آدم (ع) الى الخاتم (ص) مهتمّين بأمر البيعة وعقد الايمان و معانين فيها ولم يكونوا ليدعوا احداً من تابعيهم بدون اخذ البيعة والميثاق عنه [إِنَّ اللّٰهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ] جواب‌لسؤالٍ مقدّرٍ في‌مقام‌التّعليل للامربتقوى‌الله و لمّا اراد تعليل الامر بالتّقوى بالالٓهة و بالمرسليّة و بربوبيّتهم اتى بهذه العبارة فكأنّه قال : جئتكم بآية من ربّكم‌دالّة على‌صدقي في‌ادّعائي‌الرّسالة فاتّقوا الله في‌مخالفتي لالٓهته وربوبيّته لكم وارساله ايّاي لانّ صاحب الالٓهة هو ربّكم و ربّكم مرسلي اليكم [فَاعْبُدُوهُ] اي اذاكان الله ربّكم فاعملوا له اعمال العبيد او صيروا عبيداً له خارجين من عبوديّة أنفسكم [هٰذٰا] المذكورمن‌العبادة واعتقاد الربوبيّة اومن‌التّقوى والطّاعة للنّبيّ [صِرٰاطٌ مُسْتَقِيمٌ] فانّ العبادة والخروج من‌الانانيّة والدّخول تحت امرالآمرالالٓهيّ صراط مستقيم انسانيّ كما سبق وكذا التّقوى الّتي هي الخروج من الانانيّة والاستقلال بالرّأي والطّاعة اي الدّخول تحت امرالآمر الالٓهيّ‌صراط مستقيم‌انسانيّ [فَلَمّٰا أَحَسَّ عِيسىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ] بعد مادعاهم الى‌الله وأتمّ لهم‌الحجّة‌والمراد باحساس الكفر ادراكه اوّل الادراك ولذا فسّر في‌الخبر بقوله(ع) لمّاسمع ورأى انّهم يكفرون [قٰالَ] معرضاً عنهم مقبلاً على‌الله داعياً لمن يريد الموافقة له [مَنْ أَنْصٰارِي] حمل الجمع على لفظ من باعتبار معناه اي من الّذين يذهبون معي بالاعانة لي [إِلَى اللّٰهِ] اومن‌انصاري مع‌الله لاظهارالدّين واعلانه؟ اومن انصاري مع‌الله على معاداة الكفّارومقاتلتهم ؟ ويجوز ان يكون معيّة‌الله مع الانصارومع المنصور ؛ هكذا فسّرت الآية ، لكنّ الاوّل هو المراد لانّه كما نقل‌كان كلّما احسّ من قوم كفراً و معاداةً اعرض عنهم و فرّ منهم الى قوم آخر [قٰالَ

الْحَوٰارِيُّونَ] سمّوا به لأنّهم كانوا قصّارين يبيّضون الثّياب روى انّهم اتّبعوا عيسى (ع) وكانوا اثنى عشر وكانوا اذا جاعوا قالوا : يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الارض سهلاً كان اوجبلاً فيخرج لكلّ انسان منهم رغيفين يأكلهما ، واذا عطشوا قالوا: ياروح الله عطشنا فيضرب بيده على الارض سهلاً كان اوجبلاً فيخرج ماءً فيشربون ؛ قالوا : يا روح الله من افضل منّا اذا شئنا اطعمتنا ، واذا شئنا سقيتنا ، وقدآمنّا بك واتّبعنا قال: افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه ، فصاروا يغسلون الثّياب بالكرى اولانّهم كانوا مبيّضى الثّياب ، اولانّهم كانوا انصاراً له فانّ الحواريّ يطلق على النّاصر وعلى ناصر الانبياء ، اولانّهم كانوا مبيّضى القلوب مخلصين فى أنفسهم ومخلصين غيرهم من دنس الذّنوب واصله الحوار اتّصل به الياء المشدّدة للمبالغة وكأنّه لم يستعمل فى هذه المعانى بدون الياء [نَحْنُ أَنْصٰارُ اللّٰهِ] كان اقتضاء التّوافق فى الجواب ان يقولوا : نحن انصارك الى الله لكنّهم عدلوا الى هذا للاشعار بانّ نصرته نصرة الله من غير فرق [آمَنّٰا بِاللّٰهِ] استيناف بيانيّ فى مقام التّعليل او لبيان حالهم [وَاشْهَدْ بِأَنّٰا مُسْلِمُونَ] منقادون مطيعون ، اوالمراد بالايمان الاذعان وبالاسلام البيعة العامّة، اوالمراد بالايمان والاسلام كليهما البيعة العامّة النبويّة وقبول دعوة الظّاهرة ثمّ صرفوا الخطاب عن عيسى (ع) وخاطبوا الله بقولهم [رَبَّنٰا آمَنّٰا بِمٰا أَنْزَلْتَ] على عيسى (ع) او بجملة ما انزلت [وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ] يعنى عيسى (ع) [فَاكْتُبْنٰا مَعَ الشّٰاهِدِينَ] بوحدانيّتك ورسالة رسولك اومع محمّد (ص) وامّته فانّهم الشّهداء على النّاس بقوله تعالى، لتكونوا شهداء على النّاس و يكون الرّسول عليكم شهيداً [وَمَكَرُوا] اى اليهود الّذين احسّ عيسى (ع) منهم الكفر مكروا لقتله بما سيجيء والمكر اخفاء المقصود واظهار غيره للعجز عن امضاء المقصود جهاراً وبهذا المعنى لايجوز اطلاقه على الله الّا من باب المشاكلة [وَمَكَرَ اللّٰهُ وَاللّٰهُ خَيْرُ الْمٰاكِرِينَ] من حيث المكر لكون الاخفاء والاعلان بيده وفى حكمه بخلاف غيره من الماكرين ، اولكون المكر منه عدلاً ومن غيره ظلماً ، اولكون مكره واستدراجه ماضياً لامحالة دون غيره .

تفصيل حال عيسى و اخذه وصلبه

نقل انّ عيسى (ع) بعد اخراج قومه ايّاه من بين اظهرهم عاد اليهم مع الحواريّين وصاح فيهم بالدّعوة فهمّوا بقتله وتواطؤوا على القتل فذلك مكرهم به ، ومكر الله بهم القاؤه شبهه على صاحبه الّذى اراد قتل عيسى (ع) حتّى قتل وصلب ورفع عيسى (ع) الى السّماء وقيل : لمّا اراد ملك بنى اسرائيل قتل عيسى (ع) دخل خوخته وفيها كوّة فرفعه جبرئيل من الكوّة الى السّماء وقال الملك لرجل منهم خبيث: ادخل عليه فاقتله فدخل الخوخة فألقى الله عليه شبه عيسى (ع) فخرج الى اصحابه يخبرهم انّه ليس فى البيت فقتلوه وصلبوه وظنّوا انّه عيسى (ع) وقيل اسرّوه ونصبوا له خشبة ليصلبوه فأظلمت الارض وارسل الله الملائكة فحالوا بينه وبينهم فأخذوا رجلاً يقال له يهودا وهوالّذى دلّهم على المسيح وذلك انّ عيسى (ع) جمع الحواريّين تلك اللّيلة وأوصاهم ثمّ قال: ليكفرنّ بى احدكم قبل ان يصيح الدّيك بدراهم يسيرة ؛ فخرجوا و تفرّقوا ، وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريّين اليهم فقال: ما تجعلون لى ان ادلّكم عليه؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً فاخذها ودلّهم عليه فالقى الله عليه شبه عيسى (ع) لمّا دخل البيت ورفع عيسى (ع) فأخذ فقال: انا الّذى دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه وهم يظنّون انّه عيسى (ع) فلمّا صلب شبه عيسى (ع) واتى على ذلك سبعة ايّام قال الله عزّوجلّ لعيسى (ع) : اهبط على مريم لتجمع لك الحواريّين فهبط واشتعل الجبل نوراً فجمعت له الحواريّين فبثّهم فى الارض دعاةً ثمّ رفعه الله سبحانه و تلك اللّيلة هى اللّيلة الّتى

يدّخر فيها النّصارى فلمّا اصبح الحواريّون حدّث كلّ واحد منهم بلغة من ارسله عيسى(ع) اليهم فذلك قوله عزّوجلّ، ومكروا و مكرالله والله خيرالماكرين ، وذكر فى الانجيل انّ يهودا الّذى دلّهم على عيسى(ع)ندم على فعله والقى الدّراهم اليسيرة وكانت ثلاثين قطعة من الفضّة فى معبدهم وقتل نفسه . وورد فى اخبارنا انّه القى شبه عيسى (ع) على شابّ من تابعيه ليكون معه فى درجته . وفى الانجيل انّ الّذى كفر به اللّيلة الّتى أخذ فيها ثلاث مرّات قبل ان يصبح الدّيك كان شمعون وانّه كفر به ، وانكره ثلاث مرّات، وفى الانجيل انّ اليهود صلبوا عيسى(ع) والتمس رجل من تابعيه من الملك ان يدفن جثّته فأذن له ودفنه فى قبر نحته من الحجر لنفسه والقى على بابه حجراً عظيماً ثمّ رفع من القبر بعد الموت واجتمع له الحواريّون وعلّم كلّ بلغة من ارسل اليهم، وروى عن النّبىّ(ص) انّه قال بعث الله عيسى بن مريم(ع) واستودعه النّور والعلم والحكم وجميع علوم الانبياء قبله وزاده الانجيل وبعثه الى بيت المقدّس الى بنى اسرائيل يدعوهم الى كتابه وحكمته و الى الايمان بالله و رسوله فابى اكثرهم الّا طغياناً وكفراً فلمّا لم يؤمنوا دعا ربّه وعزم عليه فمسخ منهم شياطين ليريهم آية فيعتبروا فلم يزدهم ذلك الّا طغياناً وكفراً فاتى بيت المقدّس فمكث يدعوهم ويرغّبهم فيماعندالله ثلاثة وثلاثين سنة حتّى طلبته اليهود وادّعت انّها عذّبته ودفنته فى الارض حيّاً ، وادّعى بعضهم انّهم قتلوه وصلبوه وماكان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه وانّما شبّه لهم ، وروى عن الباقر (ع) انّ عيسى (ع) وعد اصحابه ليلة رفعه الله اليه فاجتمعوا اليه عند المساء وهم اثنا عشر رجلاً فأدخلهم بيتاً ثمّ خرج عليهم من عين فى زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء فقال انّ الله اوحى الىّ انّه رافعى اليه السّاعة ومطهّرى من اليهود فايّكم يلقى عليه شبحى فيقتل ويصلب فيكون معى فى درجتى؟ـ فقال شابّ منهم : انا ياروح الله قال فأنت هو فقال لهم عيسى(ع) اما انّ منكم من يكفر بى قبل ان يصبح اثنتى عشرة كفرة فقال له رجل منهم انا هو يا نبىّ الله فقال عيسى(ع) اتحسّ بذلك فى نفسك فلتكن هو ثمّ قال لهم عيسى(ع) اما انّكم ستفرقون بعدى على ثلاث فرق ، فرقتين مفتريتين على الله فى النّار و فرقة تتّبع شمعون صادقة على الله فى الجنّة ، ثمّ رفع الله عيسى(ع) اليه من زاوية البيت وهم ينظرون اليه ثمّ قال انّ اليهود جائت فى طلب عيسى(ع) من ليلتهم فأخذوا الرّجل الّذى قال له عيسى(ع): انّ منكم لمن يكفر بى قبل ان يصبح اثنتى عشرة كفرة ، وأخذوا الشابّ الّذى القى عليه شبه عيسى (ع) فقتل وصلب وكفر الّذى قال له عيسى(ع) يكفر بى قبل ان يصبح اثنتى عشرة كفرةً .

[إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ] اى قابضك من الارض بحيث لم ينالوا منك شيئاً من غير قبض روحك من توفّيت مالى بمعنى أخذته بتمامه اومتوفّيك توفّى منامٍ على ما روى انّه رفع نائماً نظيره قوله هو الّذى يتوفّاكم باللّيل اى ينيمكم اومتوفّيك توفّى مماةٍ ؛ على ما نقل انّه اماته ثلاث ساعاتٍ او على ما نقل فى الانجيل انّه صلب وقتل ودفن اوهو على التّقديم والتّأخير معنى بناء على انّ الواو لايفيد ترتيباً اى انّى رافعك ثمّ متوفّيك [وَرَافِعُكَ إِلَيَّ] اى الى سمائى وسمّى رفعه الى السّماء رفعاً الى نفسه تشريفاً للسّماء لانّها بمنزلة حضرته [وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا] من لوث مجاورتهم و معاشرتهم او من منقصة قصدهم و قتلهم ايّاك [وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بك من اليهود المكذّبين و غيرهم وامّا المسلمون فانّهم غير مكذّبين له وغير كافرين به بل هم الّذين اتّبعوه حقيقة فى اخباره ببعثة محمّد (ص) فهم ايضاً فوق الّذين كفروا بالحجّة والغلبة فى الدّنيا والآخرة ، واتى باسم الفاعل فى الاوصاف المذكورة الدالّ على الثّبات والاستمرار

للاشارة الى انّها واقعة منه من حين التكلّم وعلى هذا يجوز ان يكون [إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ] متعلقاً بالجميع على سبيل التّنازع لا بجاعل الّذين اتّبعوك فقط [ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ] الخطاب لعيسى (ع) وتابعيه ومكذّبيه [فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ] ثمّ بيّن الحكم بينهم بقوله تعالى [فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا] كون هذه الجملة تفصيلاً لقوله تعالى فاحكم بينكم وترتّب قوله فاحكم بينكم على قوله تعالى ثمّ الىّ مرجعكم وتعقيبه لقوله تعالى وجاعل الّذين اتّبعوك فوق الّذين كفروا الى يوم القيامة يدلّ على انّ الرّجوع الى الله بعد اتمام جعلهم فوق الكفّار بالوصول الى يوم القيامة والتّعذيب فى الدّنيا يكون بعد رجوعهم الى الله و هو يدلّ على انّ الرّجوع الى الله يجوز ان يقع حين كونهم فى الحيوة الدّنيا كما عليه محقّقوا العلماء والعرفاء يعنى اذا تمّ فوقيّة المؤمنين على الكفّار بوصولهم الى يوم القيامة حال كونهم فى الحيوة الدّنيا انقلب ابصارهم و رأوا رجوع الكلّ الى الله و انّه فى المحاكمة بينهم بتعذيب الكفّار فى الدّنيا برذائل النّفوس و وارداتها و مخوفاتها بحيث يحسبون كلّ صيحةٍ عليهم و بالواردات الغير الملائمة من القتل والاسر والنّهب وغير ذلك [وَالْآخِرَةِ] بأنواع عذاب الجحيم اوفى الدّنيا بالواردات الغير الملائمة البدنيّة وفى الآخرة بالاوصاف والواردات الغير الملائمة النّفسانيّة [وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ] لا فى الدّنيا ولا فى الآخرة [وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ] فى الدّنيا والآخرة بقرينة المقابلة [وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ] اى يبغض كما مرّ مراراً [الظَّالِمِينَ] ابدل الظّالمين من الكافرين للاشعار بذمّ آخر لهم [ذَٰلِكَ] المذكور من قوله انّ الله اصطفى آدم ونوحاً الى قوله والله لا يحبّ الظّالمين واتى باسم الاشارة البعيدة مقدّماً للاشعار بتعظيمه [نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ] من بيانيّة والمراد بالآيات الآيات التّدوينيّة اوالآيات العظام من الانبياء المذكورين وامّ مريم ومريم وزكريّا ويحيى (ع) وعيسى (ع) وابناؤهم المذكورة [وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ] تعبير عن الآيات بوصف آخر فانّها كلّها ذكر لله لانفسها ولغيرها بحيث لا يتطرّق النّسيان والغفلة ولا الابطال والافساد اليها ، اومن فى قوله من الآيات ابتدائيّة اى نأخذها من الآيات العظام الّتى هى الذّكر الحكيم والكتاب المبين واللّوح المحفوظ والقلم الاعلى ولمّا كان خلق عيسى (ع) بلا ابٍ محلّاً للتّشكّك و الانكار وموهماً للريبة والبهتان كما وقع ذلك لليهود والنّصارى فقال بعضهم انّه من السّفاح وبعضهم انّه من يوسف النّجّار الّذى كانت مريم (ع) فى خطبته كما كان موهماً للغلوّ و الآلهة حتّى قالوا : انّه آله وكان مورثاً للسّؤال عن حاله هل له مثال ردّ الله تعالى هذا الوهم واجاب عن هذا السّؤال فقال : [إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ] فلا غروفى خلقه بلا ابٍ لانّ آدم (ع) خلق بلا ابٍ وامّ وهم يقرّون به مع انّه اغرب [خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ] مستأنف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ اوحال بتقدير قد وبيان لوجه الشّبه يعنى خلق عيسى (ع) من الرّيح مثل خلق آدم من التّراب ، ونكّر التّراب للاشعار بأنّه كان تراباً خاصّاً لا يمكن تعريفه [ثُمَّ قَالَ لَهُ] اى لآدم والاتيان بثمّ للتفاوت بين الاخبارين فانّ التّفصيل مرتبة بعد الاجمال اوالمعنى قدّر خلقه من تراب ثمّ قال له [كُنْ] اوصوّر صورته من تراب ثمّ قال له كن بشراً تامّاً [فَيَكُونُ] و قد مرّ هذه الكلمة وبيانها عند قوله بديع السّماوات والارض واذا قضى امراً فانّما يقول له كن فيكون من سورة البقرة [الْحَقُّ] اى هذا المذكور من خلق عيسى (ع) بلا ابٍ وعدم كونه من سفاحٍ ، اومن

اب و كونه مخلوقاً لله لا آلهاً هو الحق [مِنْ رَبِّكَ] اوالحق مبتدء ومن ربّك خبرعنه والمعنى انّ جنس الحقّ اوجميع افراده من ربّك فلاحقّ من غيره و كلّما كان مغايراً لما هو من ربّك فهو باطل [فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ] فى توحيدالله بسبب قولهم انّه ثالث ثلاثة ، ولافى رسالتك بانكارهم رسالتك ، ولافى امرعيسى (ع) بقولهم انّه ولد من اب اومن سفاح او انّه ربّ او انّه ابن الله [فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ] اى فى عيسى (ع) اوفى الحقّ الّذى من ربّك من التّوحيد ورسالتك وخلق عيسى (ع) وكونه بنفخ من الله من غير سفاح و من غير اب و فى كونه عبداً غيررب [مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ] من بيانيّة اوتبعيضيّة ولم يقل من بعد مااخذت اوتعلّمت العلم للاشعار بانّ العلم اجلّ وارفع من ان يحصل بالكسب وانّما هونوريقذفه الله فى قلب من يشاء والتّفسيربمجيء البيّنات الموجبة للعلم كما عن العامّة تفسير مستغنى عنه [فَقُلْ] لهم بعد ان لم ينجع فيهم الحجّة ولم يرتدعوا بالبيان والبرهان [تَعَالَوْا] الينا اوالى مجتمع النّاس حتّى نجيء نحن للحجّة الفارقة الّتى لايشكّ احد عند مشاهدتها فى الغالب والمغلوب والمحقّ والمبطل وتلك الحجّة هى الابتهال الّذى هوالاجتهاد فى الدّعاء بخير اوبشرّ ليلحق لعن الحقّ تعالى وعقوبته للمبطل منّا ويظهربطلانه ، ودعاء الخصم الى مثل هذا الامرلايكون الّا من العلم بصدق نفس الدّاعى وبطلان خصمه واليقين باجابة الله له ، فانّ الشاكّ فى امره لايجترئ على مثل هذا الامر، والشاكّ فى الاجابة يتخوّف من بطلان الدّعوى بعدم الاجابة ، ولكونه على يقين من أمره أمربدعاء أعزّة آهالهم فانّ الانسان لايقدم على اهلاك اهله معه بل يخاطربنفسه دونهم ويجعل نفسه غرضاً للبلايا والقتل لحفظهم ولذلك قدّم الاهمّ فالاهمّ فانّ الابناء اعزّ الانفس على الرّجل ثمّ النّساء لانّ غيرة النّاموس تقتضى الدّخول فى المهالك لحفظهنّ ومن ثمّ كانوا يسوقون الظّعائن فى الحروب معهم لتمنعهم من الهرب وقال : تعالوا .

تحقيق شرافة من كان مع محمّد فى المباهلة

[نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ] هذا من قبيل قالواكونوا هوداً اونصارى [وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ] يجتهدكلّ منّا فى الدّعاء على الآخر [فَنَجْعَلْ] بدعائنا [لَعْنَةَ اللَّهِ] طرد الله وابعاده من رحمته وهوكناية عن العقوبة [عَلَى الْكَاذِبِينَ] هذه الآية من أدلّ الدّلائل على صدقه فى نبوّته ، وعلى شرافة من أتى بهم للمباهلة وكونهم أعزّة اهله واصحابه، ولاخلاف بين الفريقين انّه (ص) لم يأت بأحد معه للمباهلة سوى الحسنين (ع) وفاطمة (ع) وعلىّ (ع) .

روى عن الصّادق (ع) انّ نصارى نجران لمّا وفدوا على رسول الله (ص) وكان سيّدهم الاهتم والعاقب والسيّد وحضرت صلوتهم فأقبلوا يضربون بالنّاقوس وصلّوا فقال اصحاب رسول الله (ص) : يارسول الله (ص) هذا فى مسجدك؟ـ فقال : دعوهم ، فلمّا فرغوا دنوا من رسول الله (ص) فقالوا الى ماتدعو؟ـ فقال: الى شهادة ان لا آله الّا الله وانّى رسول الله وانّ عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث ، قالوا : فمن ابوه ؟ـ فنزل الوحى على رسول الله (ص) فقال : قل لهم ماتقولون فى آدم (ع) اكان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب ويحدث وينكح ؟ـ فسألهم النّبىّ (ص)، فقالوا : نعم ، قال: فمن أبوه ؟ـ فبهتوا فأنزل الله : انّ مثل عيسى عندالله كمثل آدم الى قوله فنجعل لعنة الله على الكاذبين، فقال رسول الله (ص) : فباهلونى فان كنتُ صادقاً انزلت اللعنة عليكم وان كنتُ كاذباً انزلت علىّ ، فقالوا: انصفت فتواعدوا للمباهلة فلمّا رجعوا الى منازلهم قال رؤساؤهم: ان باهلنا بقومه باهلناه فانّه ليس نبيّاً و ان باهلنا بأهل بيته خاصّة فلا نباهله فانّه لا يقدم الى اهل بيته الّا و هو صادق ، فلمّا أصبحوا جاؤا الى

رسول الله(ص) ومعه أمير المؤمنين (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) فقال النّصارى : من هؤلاء ؟ـ فقيل لهم: انّ هذا ابن عمّه ووصيّه وختنه علىّ بن ابى طالب (ع) وهذه بنته فاطمة (ع) وهذان ابناه الحسن (ع) والحسين (ع) ففرقوا وقالوا الرّسول الله (ص) : نعطيك الرّضا فاعفنا عن المباهلة فصالحهم رسول الله (ص) على الجزية وانصرفوا، وفى الكشّاف روى : انّه(ص) لمّا دعاهم الى المباهلة قالوا: نرجع وننظر فلمّا تخلّوا قالوا العاقب وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح ما ترى ؟ ـ فقال : والله لقد عرفتم يا معشر النّصارى انّ محمّداً (ص) نبىٌّ مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيّاً قطّ فعاش كبيرهم ولانبت صغيرهم ولئن فعلتم لنهلكنّ فان ابيتم الّا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرّجل وانصرفوا الى بلادكم ، فأتوا رسول الله(ص) وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلىّ(ع) خلفها وهو يقول : اذا انا دعوت فأمّنوا ، فقال اسقف نجران : يا معشر النّصارى انّى لأرى وجوهاً لو سألوا الله ان يزيل جبلاً من مكانه لازاله بها ، فلاتباهلوا فتهلكوا ولايبقى على وجه الارض نصرانىّ الى يوم القيامة ، فقالوا : ياابا القاسم رأينا ان لانباهلك وان نقرّك على دينك و نثبت على ديننا ، قال: فاذا ابيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم ، فأبوا قال: فانّى اناجزكم ، فقالوا : مالنا بحرب العرب من طاقة ولكن نصالحك على ان لاتغزونا ولاتردّنا عن ديننا على ان نؤدّى اليك كلّ عام ألفى حلّة الف فى صفر والف فى رجب وثلاثين درعاً من حديد؛ فصالحهم على ذلك، وقال : والّذى نفسى بيده انّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران ولولاعنوا لمسخوا قردةً وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادى ناراً ولا استأصل الله نجران وأهله حتّى الطير على رؤس الشّجر. وعن عائشة رضى الله عنها انّ رسول الله(ص) خرج وعليه مرط مرحّل من شعر اسود فجاء الحسن (ع) فأدخله ثمّ جاء الحسين (ع) فأدخله ثمّ فاطمة (ع) ثمّ علىّ(ع) ثمّ قال : انّما يريدالله ليذهب عنكم الرّجس اهل البيت ، فان قلت: ماكان دعاؤه الى المباهلة الّا لتبيين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختصّ به وبمن يكاذبه فما معنى ضمّ الابناء والنّساء ؟ـ قلت: ذلك اكد فى الدّلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزّته وافلاذ كبده واحبّ النّاس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتّى يهلك خصمه مع احبّته واعزّته هلاك الاستيصال ان تمّت المباهلة وخصّ الابناء والنّساء لانّهم أعزّ الاهل وألصقهم بالقلوب و ربّما فداهم الرّجل بنفسه وحارب دونهم حتّى يقتل ومن ثمّ كانوا يسوقون مع أنفسهم الظّعائن فى الحروب لتمنعم من الهرب وقدّمهم فى الذّكر على الانفس لينبّه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بأنّهم مقدّمون على الانفس مفدون بها ، وفيه دليل لاشىء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء(ع)، وفيه برهان واضح على صحّة نبوّة النّبىّ(ص). ثمّ مانقل من الكشّاف ، وقد نقلناه بطوله ليعلم انّهم مقرّون بفضل اصحاب الكساء وانّهم علىّ(ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين (ع)، وانّه لم يكن احد اعزّ عليه من هؤلاء و انّ من منعهم حقّهم اوآذاهم كان اشدّ على نفسه ممّن منع حقّه وآذاه والحمدلله [إِنَّ هٰذَا] المذكور من بناء عيسى (ع) وحمل مريم (ع) به و تولّده الى آخر ماذكر فى حقّه [لَهُوَ الْقَصَصُ] مصدر قصصت الحديث واقتصصته رويته على جهته وهو بمعناه المصدرىّ اى بمعنى المقصوص و هذا يفيد الحصر سواء كان الضّمير للفصل او اسماً مبتدءً ثانياً والمراد الحصر الاضافىّ بالنّسبة الى ما قالوه فى حقّ عيسى (ع) فانّه لايخلو من شوب باطل بخلافه فانّه القصص [الْحَقُّ] الّذى لايشوبه باطل [وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللّٰهُ] تصريح ببعض ما يستفاد من الحصر السّابق يعنى هذا هو الحقّ لاماقالوه فى حقّه ومن جملة ماقالوه انّه آله وانّه ثالث ثلاثة وما من آله الّا الله [وَإِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ] الغالب الّذى لايمنع من مراده

[الْحَكِيمُ] فی علمه وعمله وهو عطف فی معنی التّعلیل یعنی انّ الآله ینبغی ان یکون عزیزاً وحکیماً حتّی یعلم غایات الامور علی ماینبغی، ویتمکّن من العمل علی ماینبغی ، وحتّی لایغلب فی مراده ؛ وهذه الاوصاف منحصرة فی الله فما من آله الّا الله لاعیسی (ع) متفرّداً اومشارکاً [فَإِنْ تَوَلَّوْا] یعنی هؤلاء المحاجّون عنک اوعن دینک اوعن قصص عیسی (ع) علی ما ذکر فلیحذروا [فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ] ای بهم ووضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بأنّهم فی التّولّی مفسدون فی عالمهم الصّغیر والکبیر [قُلْ] یا محمّد (ص) بعد ما اتممت لهم الحجّة بتقریر حال عیسی (ع) واثبات المخلوقیّة والعبدیّة له من بیان احواله ثمّ بالزامهم بالمباهلة بعد ان لم تنجع فیهم الحجّة البیانیّة و انقیادهم شیئاً من الانقیاد مع بقائهم علی دینهم لعموم اهل الکتاب من الیهود والنّصاری بطریق اللّطف فی المحاجّة والمداراة فیها [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا] من الخلاف والشّقاق [إِلَى] الاتّفاق والاجتماع فی [كَلِمَةٍ] واحدة هی توحید الله فی العبادة وفی الآلهة وفی الطّاعة [سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ] یعنی حتّی تصیر تلک الکلمة متساویة النّسبة فی القبول بیننا وبینکم فلفظ سواء مصدر بمعنی اسم الفاعل للزّمان الاتی [أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ] بخلاف عبدة عزیر باعتقاد انّه ابن الله من الیهود ، وعبدة المسیح باعتقاد انّه الله اوانّه ابن الله من النّصاری وهوخبر مبتدءٍ محذوفٍ اوبدل من کلمة [وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا] فی الآلهة بخلاف من قال من النّصاری انّ الله ثالث ثلاثةٍ [وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ] فی الطّاعة بخلاف من اتّخذ الاحبار والرّهبان والرّؤساء ارباباً فی الانقیاد والطّاعة ثابتین بعضاً من غیر الله ، اوناشئة ربوبیّتهم من غیر الله، اومن غیر اذن الله فلفظ من للتّبعیض والظّرف مستقرّ وصف لارباباً ، اولفظ من للابتداء والظّرف لغو، اومستقرّ وصفة لارباباً ، وطاعة المخلوق فی الدّین من غیر اذن الله وأمره به نحو عبادة للمطاع من حیث لایشعر ؛ ولذلک قال فی سورة التّوبة: اتّخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسیح بن مریم وما امروا الّا لیعبدوا آلهاً واحداً یعنی انّ طاعتهم للاحبار من غیر نظرٍ الی اذن الله وأمره عبادة لهم و ما أمروا الّا بالعبادة للآله الواحد وروی انّه لمّا نزلت آیة اتّخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله قال عدیّ بن حاتم : ماکنّا نعبدهم یا رسول الله (ص) ؟- قال : الیس کانوا یحلّون لکم ویحرّمون فتأخذون بقولهم ؟- قال : نعم ، قال : هو ذاک [فَإِنْ تَوَلَّوْا] عن الاتّفاق فی الکلمة معکم مع انّ الانبیاء و اممهم کانوا متّفقین فی تلک الکلمة [فَقُولُوا] جمع الامّة معه(ص) فی الخطاب لانّ هذا الکلام امر بالموادعة معهم بعد اتمام الحجّة والزامهم ، وهذا الجمیع الامّة بخلاف الکلمات السّابقة فانّها کانت دعوة واحتجاجاً ولیسا الّا شأنه (ص) و لذلک خصّه فی السّابق بالخطاب [اشْهَدُوا] یعنی تبجّحوا و تفاخروا بالانقیاد لتلک الکلمة و قولوا لمن تولّوا عن الانقیاد : اشهدوا علینا [بِأَنَّا مُسْلِمُونَ] منقادون لتلک الکلمة [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ] نداء من محمّد (ص) وامّته لهم علی سبیل التبجّح وما بعده من کلامهم اومستأنف من الله تعالی اوالنّداء من الله لهم وعلی ایّ تقدیر یدلّ الاتیان باداة نداء البعید علی کمال غفلتهم وحاجتهم الی نداء البعید [لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ] ای فی شریعته وملّته وانّه علی ایّ ملّة کان علی ما قیل انّ احبار الیهود ونصاری نجران اجتمعوا عند رسول الله(ص) فتنازعوا فی ابراهیم (ع) فقالت الیهود : ماکان الّا یهودیّاً ، وقالت النّصاری : ماکان الّا نصرانیّاً فأنزل الله هذه الآیة [وَمَا أُنْزِلَتِ

التَّوْرٰيَةُ وَالْاِنْجِيلُ اِلَّا مِنْ بَعْدِهِ] يعنى انّ ملّة التهوّد و شريعته كانت من التّوراة و شريعة التّنصر كانت من الانجيل ونزلت التّوراة بعد ابراهيم نحواً من الف سنة ونزل الانجيل بعده نحواً من الفين [اَفَلاٰ تَعْقِلُونَ] انّ هذه دعوى برهان بطلانها معها ولايدّعى مثلها العاقل [هٰاَنْتُمْ هٰؤُلاٰءِ] منادى اوبدل اوخبر والاتيان به وبأداتى التّنبيه للاشعار بانّهم من حمقهم وبلادتهم لا يتنبّهون بدون التّأكيد فى التّنبيه وبدون النّداء ، واذاكان هؤلاء بدلاً او خبراً كان كالتّصريح ببلادتهم فانّ المعنى انتم هؤلاء الحمقى الّذين ادّعوا دعوى برهان بطلانها معها [حٰاجَجْتُمْ فِيمٰا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ] من امر موسى (ع) وشريعته وامر عيسى (ع) وشريعته يعنى كان فى ذلك علم اجمالىّ لكم وشأنكم ان يكون ذلك معلوماً لكم فحاججتم وصرتم مغلوبين فى المحاجّة [فَلِمَ تُحٰاجُّونَ فِيمٰا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ] من امر ابراهيم وشريعته يعنى انّ العاقل اذا صار مغلوباً حين المحاجّة فى امر يكون معلوماً له اومن شأنه ان يكون معلوماً له ينبغى ان يتحرّز عن المحاجّة فيما ليس له به علم ، ومن لم يتحرّز عن المحاجّة فيما ليس من شأنه العلم به كان سفيهاً غير عاقل [وَاللّٰهُ يَعْلَمُ] فيعلّم نبيّه [وَاَنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ] فمحاجّتكم مع الرّسول محاجّة الجاهل مع العالم وليست وصف العاقل [مٰا كٰانَ] متعلّق بيعلم ولا تعلمون على سبيل التّنازع وعلّقهما لفظ ما عن العمل ، اوابتداء كلام من الله للردّ على اليهود والنّصارى والمشركين فى دعاويهم الباطلة فانّه بعد ماسفّههم تلويحاً وتصريحاً صرّح بالمدّعى وابطال دعواهم فقال: ماكان [اِبْرٰهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاٰ نَصْرٰانِيّاً وَلٰكِنْ كٰانَ حَنِيفاً] مستقيماً اومائلاً الى الدّين الحقّ من الاديان الباطلة ولمناسبة احد المعنيين فسّر بالخالص وهو تعريض بهم [مُسْلِماً] منقاداً لله اوصابراً ذاسلامة من عيوب النّفس وبهذا المعنى فسّر بالمخلَص وهو ايضاً تعريض بهم [وَمٰا كٰانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] ردّ على المشركين لانّه ادّعى مشركوا مكّة انّ ملّتهم ملّة ابراهيم (ع) ولمّا كان نفى الاشراك خارجاً ممّا كان البحث والمحاجّة فيه كرّر النّفى والفعل للاشعار بكونه نفياً آخر، نسب الى اميرالمؤمنين (ع) انّه قال : لا يهوديّاً يصلّى الى المغرب ولا نصرانيّاً يصلّى الى المشرق ولكن كان حنيفاً مسلماً على دين محمّد (ص) [اِنَّ اَوْلَى النّٰاسِ] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: اذا لم يكن اليهوديّة والنّصرانيّة وملّة الشّرك منسوبة الى ابراهيم فمن كان اقرب الخلق اليه؟ـ فقال: انّ اقرب النّاس واحقّهم [بِاِبْرٰهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ] فى زمانه وبعده الى بقاء امّته [وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا] اى اسلموا بالبيعة العامّة على يده تعريض بهم ونفى لاولويّتهم به فانّهم ادّعوا اولويّتهم به كلّ بوجه فقال تعالى: انّ الاولى به فى زمانه امّته ، وفى هذا الزّمان محمّد (ص) وامّته لانّهم احيوا ملّته وما خالفوه فى اصول العقائد ، واولى النّاس بالانبياء اعلمهم بما جاؤا به ، عن الصّادق (ع) هم الائمّة ومن اتّبعهم يعنى الّذين آمنوا فأراد من الايمان ، الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة المورثة دخول الايمان فى القلب والباعثة لمعرفة هذا الامر والدّخول فى أمرهم وعن عمر بن يزيد عنه قال : انتم والله من آل محمّد (ص) فقلت : من أنفسهم جعلت فداك ؟ـ قال : نعم والله من أنفسهم ثلاثاً ثمّ نظر الىّ ونظرت اليه ، فقال : يا عمر انّ الله يقول فى كتابه : انّ اولى النّاس ، الآية ، وعن اميرالمؤمنين (ع) انّ اولى النّاس بالانبياء أعلمهم بما جاؤا به ، ثمّ تلا هذه الآية : قال : انّ ولىّ محمّد (ص) من أطاع الله وان بعدت لحمته ، وانّ عدوّ محمّد (ص) من عصى الله وان قربت قرابته [وَاللّٰهُ وَلِيُّ

[الْمُؤْمِنِينَ] تشريف آخر لهم وتعريض بأهل الكتاب حيث قالوا: نحن ابناء الله واحبّاؤه [وَدَّتْ] كلام منقطع عن سابقه كأنّه اراد بعد تسفيه اهل الكتاب وتشريف المؤمنين ان يهيّجهم لئلّا يغترّوا باضلال اهل الكتاب فقالت: ودّت [طَائِفَةٌ] قليلة لانّ أكثرهم كالبهائم لايتنبّهون بضلال واضلال وهداية [مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ] اى اضلالكم [وَمَا يُضِلُّونَ] بارادة اضلال المؤمنين [إِلَّا أَنْفُسَهُمْ] فانّ الضّالّ اذا اراد اضلال الغير اشتدّ ضلال نفسه فهو باضلال الغير يضلّ نفسه [وَمَا يَشْعُرُونَ] انّهم فى اضلال الغير ومنعه عن الخير يضلّون أنفسهم ويمنعونها عن خيرها ، اوما يضلّون من المؤمنين الّا أسناخهم فانّ من لم يكن من سنخهم من المؤمنين لايضلّ باضلالهم ، ومن يضلّ باضلالهم كان من سنخهم لانّه كان كافراً مثلهم وكان الايمان عرضاً معاراً لهم ، اومايضلّون و ما يزيدون بارادة اضلال المؤمنين الّا فى ضلال امثالهم من الكفّار فانّ الكافر اذا رأى و سمع اضلال قرينه للمؤمنين اشتدّ ضلاله [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ] ناداهم بنداء البعيد تحقيراً وتبعيداً لهم عن ساحة الحضور وتنبيهاً على كمال غفلتهم [لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ] التّدوينيّة الثّابتة فى التّوراة والانجيل والقرآن فى نعت محمّد(ص) ووصيّه(ع) و فى الاحكام المشروعة لكم فيها ، اوالتّكوينيّة الثّابتة فى العالم الكبير من موسى(ع) وعيسى(ع) ومحمّد(ص)، اوالثّابتة فى العالم الصّغير من العقول الزاجرة عن اتّباع الهوى والواردات الزاجرة والمرغّبة [وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ] تعلمون آيات الله اوحاملون للشّهادة لآيات الله ، والكفر والكتمان بعد العلم اشدّ ، اوانتم تؤدّون الشّهادة بصدق الآيات اذا خلوتم مع امثالكم ، اوانتم تشاهدون وتعاينون الآيات من حيث انّها آيات ، وهذه الآية مثل الآية الآتية تعريض بأمّة محمّد وكفرهم بآيات الله التّدوينيّة والتّكوينيّة مع تحمّلهم للشّهادة على خلافة علىّ(ع) [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ] كرّر النّداء لما ذكر من وجه الاتيان بنداء البعيد [لِمَ تَلْبِسُونَ] تخلطون [الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ] والمراد به ما كانوا يفعلونه من تحريف التوراة والانجيل وكتمان ما فيهما من نعت محمّد(ص) ووصيّه(ع) ومن اظهار الاسلام صدر النّهار والرّجوع منه آخره تدليساً على المؤمنين وتشكيكاً لهم ، ومن اظهار الكفر بمحمّد(ص) وابطان التّصديق به ومن اظهار تصديق موسى(ع) وعيسى(ع) ، وابطان انكار ماورد منهما فى نعت محمّد (ص) ويجرى ذلك الخلط والكتمان فى اهل الكتاب ممّن اسلم على يد محمّد (ص) بالبيعة العامّة اوآمن بالبيعة الخاصّة فانّه يقال لهم : لم تلبسون العقائد الحقّة المأخوذة بالآراء الكاسدة النّفسانيّة ، واللّمّات الآلهيّة باللّمّات الشّيطانيّة ، والزاجرات الملكيّة بالشّهوات الحيوانيّة، والعبادات القالبيّة والقلبيّة بالاغراض الفاسدة ، ولو كانت قرباً من الله اورضاه من العابد اوانعامه عليه [وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] الحقّ او اللّبس والكتمان ، او انتم العلماء وكون الآية تعريضاً بالامّة ظاهر [وَقَالَتْ طَائِفَةٌ] قليلة لما ذكر فى السّابق من انّ اكثرهم كالبهائم لايهتدون الى الحيل الشّيطانيّة [مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا] اى اظهروا ايمانكم [بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ] لتتمكّنوا من الانكار و القاء الشّبه فى قلوب الّذين آمنوا فانّ المقرّ بشيءٍ اذا انكره كان انكاره اوقع واشدّ تأثيراً من انكار من لايعرف ذلك الشّيء لانّ السّامع يظنّ انّه ابصر خللاً فيه وانكره [وَاكْفُرُوا آخِرَهُ] اى آخر النّهار [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] روى فى نزول الآية انّ رسول الله(ص) لمّا قدم المدينة وهو يصلّى نحو بيت المقدّس اعجب ذلك القوم فلمّا صرفه الله عن بيت المقدّس

الى بيت‌الله الحرام وجدت اليهود من ذلك وكان صرف القبلة صلوة الظّهر فقالوا : صلّى محمّد(ص) الغداة و استقبل قبلتنا فآمنوا بالّذى انزل على محمّد (ص) وجه النّهار و اكفروا آخره ، يعنون القبلة حين استقبل رسول‌الله (ص) المسجدالحرام لعلّهم يرجعون الى قبلتنا [وَلَا تُؤْمِنُوا] من كلام تلك الطّائفة وعطف على آمنوا والمعنى لا تظهروا ايمانكم اللّسانىّ مع ابطان التّهوّد اوالتّنصّر [إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ] اى الّا لمن كان على دينكم قبل اسلامه فانّهم اقرب الى قبول قولكم ولايكون رجوعهم الّا الى دينكم فيتقوّى به دينكم واهل دينكم بخلاف غيرهم فانّهم لاينجع فيهم قبولكم وانكاركم ، ولونجع لاتنتفعون برجوعهم عن دين‌الاسلام لعدم دخولهم فى دينكم ، اوالمعنى لاتصدّقوا الّا لمن تبع دينكم ، او لاتظهروا اقراركم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الّا لمن تبع دينكم ، او قوله تعالى و لا تؤمنوا خطاب من الله للمؤمنين يعنى لا تغترّوا ايّها المؤمنون بقول اهل الكتاب بمحض اظهارالايمان ولاتصدّقوا لاحد الّا لمن تبع دينكم حتّى يظهر صدق قوله بآثارفعله وعلى اىّ تقدير فقوله تعالى : [قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ] معترضة وقوله تعالى [أَنْ يُؤْتَىٰ] متعلّق بلاتؤمنوا والمعنى لاتؤمنوا بان يؤتى، اوقوله قل انّ الهدى ابتداء كلام من الله وهدى الله بدل من الهدى ، اوخبر له وان يؤتى خبر له على الاوّل وخبر بعدخبر على الثّانى والمعنى انّ الهدى اعتقادان يؤتى [أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ] من الكتاب والشّريعة [أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ] بان يحاجّوكم اوحتّى يحاجّوكم وضمير يحاجّوكم راجع الى احد لعمومه معنى وقرئ ان يؤتى بالمدّ بهمزة الاستفهام وتخفيف همزة ان على معنى اتذكرون ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتّى يحاجّوكم عند ربّكم وقرئ بكسر همزة ان على معنى النّفى [قُلْ] لاهل الكتاب ليس فضل الله بأيديكم حتّى تؤتوه وتمنعوه بحيلكم [إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ] والمراد بالفضل اعمّ من الكتاب و الحكمة و الرّسالة والنّبوّة و الهداية والسّعة فى الصّدر والدّنيا [يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ] لانفاد فى فضله بايتائه لموسى (ع) وعيسى (ع) وامّتهما حتّى لا يؤتيه غيرهما كما زعمتم و ادّعيتم [عَلِيمٌ] بمن كان اهلاً لايتائه فكلّما وجد أهلاً له اعطاه ولو كرهتموه [يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ] اى يميز برحمته من يشاء من غيره ولمّا كان الفضل عبارة عن الرّسالة وعن قبولها بالبيعة العامّة النبويّة وقبول الدّعوة الظّاهرة وكان الرّحمة عبارة عن الولاية وعن قبولها بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة اتى فى جانب الفضل بالايتاء الدالّ على مطلق الاعطاء لعموم دعوة الرّسالة وعموم قبولها وفى جانب الرّحمة بالاختصاص المشعر بالامتياز والاختيار [وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ] بحيث لانفاد فى فضله ولاضنّة له فى اعطائه [وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ] عطف باعتبار المعنى كأنّه قال: من اهل الكتاب من يحتال بالحيل الشّيطانيّة ومنهم من يكون سالماً من الحيل، ومن اهل الكتاب فى مقام الامانة والخيانة [مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ] الباء للتّعدية والقنطار اربعون وقيّة من الذّهب اوالف ومأتا دينار اوثمانون الف درهم ، اومائة رطل من الذّهب اوالفضّة ، اوالف دينار اوملء مسك ثور ذهباً اوفضّة ، اوالف ومأتا وقيّة ، اوسبعون الف دينار والمراد مدح بعضهم بأنّك ان تأمنه بكثيرٍ من المال لا يخنه و [يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ] قيل : المراد بهذا البعض النّصارى [وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ] اصله دنّار بدليل دنانير والمقصود المال القليل يخنه و [لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا] اى الّا ما لم تغب عن نظره وقيل: المراد بهذا البعض اليهود والحقّ انّه لااختصاص لشيءٍ منهما

بفرقة منهما [ذٰلِكَ] المذكور من عدم الاداء [بِاَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِى] حق [الْاُمِّيّينَ سَبِيلٌ] يعنى ليس علينا عقوبة فى التّقصير فى حقوق من ليسوا من اهل الكتاب والمراد بالاميّين امّا اهل مكّة اواهل الاسلام لانتسابهم الى محمّد(ص) المبعوث من مكّة ، اومحمّد(ص) الّذى لم يقرأ ولم يكتب ، اوالمراد كلّ من لم يكن له كتاب وشريعة وملّة آلهيّة و ذلك انّهم استحلّوا ظلم من خالفهم و قالوا : لم يجعل لهم فى التّوراة حرمة وعن النّبىّ(ص) انّه لمّا قرأ هذه الآية قال :كذب اعداء الله ما من شيء كان فى الجاهليّة الّا وهو تحت قدمى الّاالامانة فانّها مؤدّاة الى البرّ والفاجر [وَيَقُولُونَ] اى يعلّقون بقولهم هذا [عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ] انّه كذب وهذا تعريض بالامّة وما أحدثوه بعد وفاة الرّسول (ص) من الاختلاف وانكار كلّ فرقةٍ حرمة الاخرى كما هو واقع فى زماننا بين المنتحلين للتّشيّع و المقرّين بالائمّة الاثنى عشر حيث يكفّر و يلعن بعضهم بعضاً ويستحلّون أموالهم ودماءهم وفروج المحصنات من نسائهم بادّعاء كلٍّ انّ المخالف لمذهبنا لاحرمة له فى نفسه وماله وعرضه [بَلٰى] عليهم سبيل فانّ الله لايدع ظلامة العباد [مَنْ اَوْفٰى] ابتداء كلام تعليل لجملة تضمّنتها بلى يعنى عليهم سبيل لانّ كلّ من اوفى [بِعَهْدِهِ] الّذى عاهده مع نبىّ(ص) اووصىّ نبىّ(ع) بالبيعة العامّة اوالخاصّة والوفاء بسائر العهود من الوفاء بهذا العهد فانّه مأخوذ فيه [وَاتَّقٰى] من مخالفة ماعاهدبه فى بيعته والامانة جزء ما عاهد به سواء كان اميّاً او من اهل الكتاب [فَاِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بعلّة الحكم فكأنّه قال: فانّ الله يحبّه والمحبّ ينتقم ممّن ظلم محبوبه ويجوز ان يكون بلى تقريراً لسابقه على مرجوحيّة و يكون المعنى : بلى لا سبيل على المؤمن المعاهد بشرط الوفاء بالعهد واتّقاء مخالفة ما وصف فى عهده لانّ من او فى بعهده واتّقى المخالفة صار محبوباً لله والمحبوب لايناله مكروه من المحبّ ولايؤاخذه المحبّ على ما فرط منه بالنّسبة الى عدوّه [اِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ] كان اقتضاء المقابلة ان يقال : ومن لم يوف بعهده ولم يتّق فانّ الله يبغضهم لكنّه ابرزه فى صورة الجواب لسؤالٍ مقدّرٍ ليكون اوقع ، واكّده بمؤكّدات و بسط فى الكلام لاقتضاء مقام السّخط ذلك فكأنّه قيل : قد علم حال الوافى بالعهد المتّقى فما حال هؤلاء النّاقضين النّاكثين ؟ـ فقال: انّ الّذين يشترون [بِعَهْدِ اللهِ] الّذى عاهدوه فى البيعة [وَاَيْمَانِهِمْ] جمع اليمين بمعنى القسم و انّما سمّى يميناً لانّهم كانوا حين الحلف يعقدونه بايمانهم ، او المراد عقود البيعة فانّ البيعة لاتعقد الّا بالايمان [ثَمَناً قَلِيلاً] من اعراض الدّنيا واغراضها فانّ الدّنيا برمّتها ثمن بخس عند من يرتضيها، وامّا من كان متوجّهاً الى الآخرة متلذّذاً بلذائذها فهو نافر منها كلّ النفرة منزجر عنها كلّ الانزجار ، وان توقّف عليها بأمر من الله كان كمن حبس فى مزبلة كثيرة الحشرات خبيثة الموذيات [اُولٰئِكَ] تكرار المبتدأ باسم الاشارة البعيدة للتّأكيد وللاحضار بالاوصاف الذّميمة وللتبعيد عن ساحة الحضور [لَاخَلَاقَ لَهُمْ] لانصيب لهم [فِى الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ اِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ] عدم التّكليم و عدم النّظر كناية عن سخطه تعالى عليهم [وَلَا يُزَكِّيهِمْ] لايثنى عليهم ولايذكرهم بخير، اولايطهّرهم من ذنوبهم [وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ] اثبت العذاب الاليم بعد ما نفى الاوصاف الّتى فيها تشريف بترتيب الاشرف فالادون عنهم ، نسب الى النّبىّ(ص) انّه من حلف على يمين يقطع بها مال اخيه لقى الله عزّوجلّ وهو عليه غضبان فأنزل الله تصديقه فى كتابه، انّ الّذين

يشترون ؛ الآية [وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ] عطف على قوله : من اهل الكتاب من ان تأمنه و اتى بأداتى التّأكيد فى المعطوف لأنّه ابلغ فى الذمّ و يتطرّق الشكّ والانكارفيه ، ولواه فتله وثناه ، ويشبه ان يكون الكلام على القلب والتّقدير يلوون الكتاب بألسنتهم و مثل هذا القلب كثيرٌ ، او هو على الاصل بناء على تشبيه اللّسان بالمفتول و الكتاب بآلة الفتل ، او على كون المعنى يحرّكون السنتهم بالكتاب ، والمقصود انّهم يحرّفون الكتاب بحسب اللّفظ بالزّيادة والنّقيصة والتّبديل ، وبحسب المعنى بالتّغيير عن معناه والحمل على المعنى الغير المراد ، اوالمعنى يفتلون الكتاب بالسنتهم لابلسان الله اويحرّكون السنتهم لا لسان الله بالكتاب [لِتَحْسَبُوهُ] اى الّذى جرى على ألسنتهم [مِنَ الْكِتَابِ] لتشابهه صورة بما فى الكتاب يعنى أنّهم بارائهم وانانيّاتهم يقرؤن شيئاً من التّوراة والانجيل ، اويذكرون شيئاً من أحكام شريعة موسى(ع) وعيسى(ع) بناءً على عدم اختصاص الكتاب بصورة التّوراة والانجيل لتحسبوا المقروّ اوالمذكور ايّها السّامعون من التّوراة والانجيل ، اومن الشّريعتين .

تحقيق التواء الكتاب باللّسان المضاف الى النّفس

[وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ] لانّ الكتاب هو الّذى يجرى على لسان صار لسان الله لخلوّ صاحبه من نسبة الوجود الى نفسه وصيرورته وصيرورة اعضائه الات الله ، وهذا المقرّو وان كان بصورة الكتاب لكنّه جار على لسان لانسبة بينه وبين الله ، ونقوش الكتاب وحروفه وان كانت كليّة لا اختصاص لها بنقش كتاب مخصوص ولا بحرف لسان مخصوص لكن شرط صدق الكتاب عليها ان تكون صادرة عن يد منتسبة الى الله، اولسان منسوب اليه كأيدى الانبياء(ع) وألسنتهم، غاية الامر ان يكون نسبة التّابع اضعف من نسبة النّبىّ(ص) المتبوع، ونظير هذه الآية قوله تعالى: فويل للّذين يكتبون الكتاب بأيديهم يعنى لابيدالله ثمّ يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمناً قليلاً ؛ الآية ، وللاشارة الى انّه ينبغى ان يكون لسان العبد حين القراءة وكذلك يده حين الكتابة لسان الله ويده امر الله تعالى عباده بتلاوة القرآن وامر المعصومون انيقولوا: لبّيك اللّهمّ لبّيك؛ عند قولهم: ياايّها الّذين آمنوا، وان يقولوا كذلك الله ربّى؛ عند قرأة التّوحيد، وان يسبّحوا ويحمدوا ويستغفروا الله؛ عند قراءة اذاجاء نصر الله، وامثال ذلك ممّا يدل على انّه ينبغى ان يفرض لسان القارى لسان الله ثمّ عومل مع المقروّ نحو معاملة مقرّوالله كثيرة [وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ] بل هو من عند أنفسهم ومن عند الشّيطان [وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ] بهذا القول [وَهُمْ يَعْلَمُونَ] انّه كذب ، اوهم المعدودون من العلماء ، او المعنى يقولون على الله الكذب غير مايفتلونه بالسنتهم وهم يعلمون انّه كذب [مَا كَانَ] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: هل يجوز لنبىّ(ص) انيدعو النّاس الى نفسه ؟ـ اوهو جواب لسؤال كان مذكوراً ولم يحك لنا على ما قيل : انّ ابا رافع القرظىّ والسيّد النجرانىّ قالا : يا محمّد(ص) أتريد ان نعبدك ونتّخذك ربّاً ؟ ـ فقال : معاذالله ان نعبد غيرالله وان نأمر بعبادة غيرالله فما بذلك بعثنى ، ولابذلك أمرنى ، فنزل ماكان اى ماصحّ [لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ] والمراد بالكتاب الرّسالة و احكامها والكتاب التّدوينىّ صورتها وبالحكم الولاية وآثارها و النّبوّة برزخ بينهما و لذلك أخّرها [ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي] لانّه ما لم يخرج من انانيّته ولم يحي بانانيّة الله ولم يبق بالله لم يؤت الكتاب ، واذا خرج من انانيّته لم يكن له نفسيّة حتّى يقول :كونوا عباداً لى

[مِنْ دُونِ اللّٰهِ] بل ان قال كونوا عباداً لى كان قوله متحداً مع قوله كونوا عباداً لله فانّه ان قال انا كان اناه من الحق جارياً على لسانه لامن نفسه كما اشار اليه المولوىّ قدّس سرّه :

گفت فرعونى انَاالحق گشت پست	گفت منصورى انَاالحق و برست
اين انَاهو بود در سرّاى فضول	ز اتّحاد نور نز راه حلول
بود انا الحق درلب منصور نور	بود انَا الله در لب فرعون زور
آن انَا بى وقت گفتن لعنت است	وين انَا دروقت گفتن رحمت است

وكما انّه لايجوز الدّعوة الى نفسه لمن بقى عليه من انانيّته شيءٌ كذلك لايجوز ذلك اذا كان المدعوّ محجوباً عن مشاهدة الحقّ تعالى فى المظاهر فانّ المحجوب اذا دعى الى المظاهر كان اضلالاً ودعوة الى عبادة الاسم دون المعنى ، ولهذا طرد الصّادق(ع) ابا الخطّاب بعد ماكان يدعو المريدين ممّن لايرى الله فى المظاهر الى آلهة الصّادق(ع)، واذا خرج الدّاعى من انانيّته وبقى بانانيّة الله كان الدّاعى هوالله لانّ الدّعوة كانت من الله بآلة لسان الدّاعى واذا كان المدعوّ ايضاً لايرى فى مظهر النّبىّ(ص) الّا الله كان النّبىّ اسماً محضاً من غير شوب كونه مسمّى ، فاذا دعا هذا الدّاعى الى نفسه كان دعاؤه الى الله واذا لم ير المدعوّ فى مظهر الدّاعى الّا الله لم يكن توجّهه الّا الى المسمّى لاالاسم فلم يكن عبادته الّا للمسمّى بايقاع الاسم عليه ، وبهذا الوجه قيل بالفارسيّة:

اگر كافر ز بت آگاه بودى	چرا در دين خود گمراه بودى
اگر مؤمن بدانستى كه بت چيست	يقين كردى كه دين در بت‌پرستى‌ست

[وَلٰكِنْ] يقول [كُونُوا رَبّانِيّينَ] هومنسوب الى الرّبّ بزياده الالف والنّون وهذه الزّيادة تدلّ على المبالغة فى النّسبة الى الرّبّ ، والمبالغ فى الانتساب الى الربّ من لايرى فى المظاهر الّا الربّ وخصوصاً فى المظاهر الفانية من أنفسهم فلا يرى للدّاعى نفسيّة حتّى يكون دعوة الى نفسه فيقول النّبىّ (ص) :كونوا خارجين عن حجب انانيّاتكم حتّى تروا الله فى كلّ المظاهر [بِمٰا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتٰابَ] يعنى كونوا تعلّمون الكتاب وتدرسونه حتّى تكونوا ربّانيّين بماكنتم تعلّمون الكتاب امثالكم على قراءة تشديد اللّام [وَبِمٰا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ] اى تقرؤن الكتاب على قراءة تخفيف الرّاء لانّ الاشتغال بالكتب السّماويّة والتّدبّر فى الشّرائع الآلهيّة وتذكّرها يخرجكم تدريجاً من ظلمات انانيّاتكم ويدخلكم فى نورظهورعبوديّتكم وبروزربوبيّتكم و قرء تعلمون بتخفيف اللام و تدرسون من باب التّفعيل اوالافعال [وَلاٰ يَأْمُرُكُمْ] ايّها النّاقصون المؤتمّون قرء بالرّفع وحينئذٍ فالفاعل امّا راجع الى الله والجملة عطف على ماكان لبشرٍ فانّه فى معنى لا يأمر الله بشراً ان يدعو النّاس الى عبادته ، اوحال بتقدير مبتدءٍ لعدم جواز الواو فى المضارع المنفىّ بلا ، اوراجع الى بشر بالوجهين السّابقين فى اعرابه ، وقرئ بالنّصب والفاعل ايضاً امّا راجع الى الله فيكون الواو بمعنى مع ، اوالى بشرٍ فيكون الفعل عطفاً على يقول ، ولفظة لازائدة لتأكيد النفى السّابق ، اويكون الواو بمعنى مع اى مع ان لايأمركم والمقصود انّ الله لا يأمر الانبياء ان يدعوا النّاس بعبادتهم ولا يأمر العباد ان يعبدوا الانبياء والملائكة تعريضاً بالنّصارى واليهود فى عبادة عيسى (ع) وعزيرٍ وبعبادة الملائكة فلايأمركم [اَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلاٰئِكَةَ وَالنَّبِيّينَ اَرْبٰاباً] لمّاكان الخطاب للامم النّاقصين الّذين لايرون من المظاهر الّا المظاهر ولا يتمكّنون من رؤية الله فى المظاهر لم يأت بقيد من دون الله لعدم الاحتياج الى ذكره ، اوترك ذكره بقرينة السّابق وبقرينة قوله تعالى : [اَيَأْمُرُكُمْ

بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] بقبول النبوّة من الانبياء والبيعة معهم بالبيعة العامّة النبويّة [وَإِذْ أَخَذَ اللهُ] اذكر اوذكّرهم ويجوز ان يكون اذهذه عطفاً على اذ فى قوله بعد اذ انتم مسلمون والمعنى ايأمركم بالكفر بعد اذانتم مسلمون منقادون وبعد اذ اخذالله [مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ] ميثاق كلّ على يد النّبى السّابق اووصيّه اوفى عالم الّذرّ على ايمان كلّ بالآخر او على ايمان الكلّ بمحمّد (ص) او بعد اذ اخذ الله ميثاق امم النّبيّين على ايدى انبيائهم اوفى عالم الّذرّ على ان يؤمن كلّ امّة بالنّبىّ الّذى يأتى بعد نبيّهم اوبمحمّد(ص) ان ادركوا زمانه(ص) يعنى انّه اخذ ميثاق كلٍّ من الانبياء على الايمان والنّصرة لمن يأتى بعده اولمحمّد(ص) وكذلك اممهم فكيف يأمر الانبياء بالاستقلال و الرّبوبيّة و الامم باتّخاذهم ارباباً و قد اشير الى كلّ من المعانى فى الاخبار و **قيل :** اذ اخذالله عطف على قوله اذقالت الملائكة وهو فى غاية البعد ولوقال هوعطف على قوله اذقال الله ياعيسى كان اقرب ، والميثاق العهدالّذى يثق المتعاهد به شبه العهد بالرّهن ثمّ استعمل الاخذ استعارة تخييليّة وترشيحاً للاستعارة [لَمَا آتَيْتُكُمْ] كان حقّه ان يقول : لما آتاهم لكنّه اتى بالتكلّم والخطاب حكاية لحال الخطاب [مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ] قرئ بكسر اللّام صلة للاخذ و ما مصدريّة او موصولة و اذاكانت موصولة فالعائد محذوف من الصّلة والعائد فى الجملة المعطوفة تكرار الموصول اعنى لما معكم ، ولفظة من تبعيضيّة على تقدير كون مامصدريّة ، وبيانيّة على تقدير كونها موصولةً ، وقرئ بفتح اللّام فاللّام تكون موطّئة وماشرطيّة اوموصولة ، واذاكانت موصولة فالعائد مثل السّابق ، والمراد بالكتاب أحكام الرّسالة والكتاب التّدوينىّ صورتها وبالحكمة آثارالولاية [ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ] من الكتاب والاحكام القالبيّة والحكمة الّتى هى العقائد الحقّة الدّقيقة الّتى لاتدرك الّا بالمشاهدة بعين البصيرة [لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ] اللّام للقسم والجملة منقطعة عن سابقها على قراءة كسر لام لما آتيتكم وتكون بمنزلة جواب القسم لقوله: اذاخذالله ميثاق النّبيّين فانّه بمنزلة القسم وهى خبر لما على قراءة فتح اللّام وكون ماموصولة وجواب للقسم والشّرط على تقدير كون ماشرطيّة ، والضّمير المجرور راجع الى ما فيما آتيتكم ، اوالى محمّد(ص) اوالى نبىّ يأتى بعدالنّبىّ الاوّل يعنى اخذالله ميثاق كلّ نبىّ لمن يأتى بعده اوالى نبىّ كلّ امّةٍ على ان يكون التّقدير اخذالله ميثاق امم النّبيّين من كلّ امّة لنبيّها وقدنسب الى اميرالمؤمنين(ع) انّ الله اخذ الميثاق على الانبياء(ع) قبل نبيّنا(ص) ان يخبروا اممهم بمبعثه ونعته ويبشّروهم به ويأمروهم بتصديقه **ونقل** : انّ الله اخذ الميثاق على الانبياء على الاوّل والآخر فأخذ الله ميثاق الاوّل لتؤمننّ بما جاء به الآخر، وعن الصّادق(ع) انّه قال تقديره: اذاخذالله ميثاق امم النّبيّين كلّ امّة بتصديق نبيّها والعمل بماجاءهم به وانّهم خالفوهم ممّا بعد وماوفوا به وتركوا كثيراً من شريعته وحرّفوا كثيراً منها [وَلَتَنْصُرُنَّهُ] الضّمير المفعول راجع الى مرجع الضّمير المجرور السّابق ، او الى اميرالمؤمنين(ع) على ما روى عنهم فانّه نسب الى الصّادق(ع) انّه قال: مابعث الله نبيّاً من لدن آدم فهلمّ جرّاً الّا ويرجع الى الدّنيا وينصر اميرالمؤمنين(ع) وهو قوله لتؤمننّ به ولتنصرنّه يعنى اميرالمؤمنين(ع) ، وعن الباقر(ع) عن اميرالمؤمنين(ع) فى حديث طويلٍ يبيّن كيفيّة خلقهم انّه قال: واخذ ميثاق الانبياء بالايمان والنّصرة لنا وذلك قوله عزّوجلّ: **واذاخذالله ميثاق النّبيّين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثمّ جاءكم رسولٌ مصدّق لمامعكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه يعنى لتؤمننّ**

بمحمّد(ص) ولتنصرنّ وصيّه وسينصرونه جميعاً وانّ الله اخذ ميثاقی مع ميثاق محمّد(ص) بنصرة بعضنا لبعض فقد نصرت محمّداً و جاهدت بين يديه و قتلت عدوّه و وفيت لله بما أخذ علیّ من الميثاق و العهد و النّصرة لمحمّد (ص) ولم ينصرنی احد من انبياء الله ورسله و ذلک لما قبضهم الله اليه وسوف ينصروننی و يكون لی ما بين مشرقها الی مغربها وليبعثهم الله احياءً من آدم (ع) الی محمّد (ص) كلّ نبیّ مرسل يضربون بين يدیّ بالسّيف هام الاموات والاحياء والثّقلين جميعاً (الی آخر الحديث بطوله) [قالَ] الله [أَأَقْرَرْتُمْ] ايّها الانبياء او ايّها الانبياء مع الامم او ايّتها الامم [وَاَخَذْتُمْ عَلٰى ذٰلِكُمْ إِصْرِى] الاصر بالكسر وقد يضمّ ويفتح العهد و الذّنب والثّقل والمراد به العهد [قالُوا] ای الانبياء او الانبياء واممهم اوالامم [اَقْرَرْنا قالَ] الله للملائكة [فَاشْهَدُوا] علی الانبياء و اممهم او قال الله للانبياء فاشهدوا علی اممكم [وَاَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشّاهِدِينَ] عن الصّادق(ع) قال لهم فی الذّرّ: اقررتم واخذتم علی ذلكم اصری ای عهدی؟- قالوا اقررنا، قال الله للملائكة فاشهدوا ، وعن امير المؤمنين (ع) قال الله للانبياء فاشهدوا علی اممكم [فَمَنْ تَوَلّٰى بَعْدَ ذٰلِكَ] الميثاق عن نبيّه وشريعته ووصيّته فی حقّ محمّد(ص) ووصيّه اوفمن تولّی منكم ايّها الحاضرون عن الايمان بمحمّد (ص) بعد ذلک الميثاق اوبعد ما ذكر من ميثاق الانبياء علی الايمان بمحمّد (ص) وهو عطف علی فاشهدوا ليكون محكيّاً بالقول ، اوعطف علی قال ليكون ابتداء كلام مع الموجودين ، اوهوجزاء شرط محذوف ای اذا علمتم ذلک فمن تولّی بعد ذلک [فَاُولٰئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ] الخارجون عن عهد الله وميثاقه [أ] لايؤمنون بمحمّد(ص) بعد ما تذكّروا انّ الله اخذ ميثاق جميع الانبياء علی الايمان به واخذ الانبياء ميثاق اممهم عليه وبعد ماعلموا انّ دين الله هوالايمان بمحمّد(ص) [فَغَيْرَ دِينِ اللّٰهِ يَبْغُونَ وَ] الحال انّه [لَه] ای لله اولمحمّد (ص) [اَسْلَمَ] انقاد [مَنْ فِى السَّمٰواتِ وَالْاَرْضِ] فی عالم الذّرّ او بحسب التّكوين او له اسلم بحسب التّكليف من فی السّماوات تماماً ومن فی الارض صفوتهم وخلاصتهم الّذين هم المقصودون العاقلون ، وامّا غيرهم فسواقط معدودون فی عداد البهائم ، اوله اسلم من فی الارض تماماً حين ظهور الدّولة الحقّة بظهور القائم عجّل الله فرجه، اوله أسلم من فی الارض فی الدّنيا قبل الموت ، اوحين الموت والتّعبير بالماضی لتحقّق وقوعه [طَوْعاً وَكَرْهاً] الاسلام طوعاً وكرهاً فرقاً من السّيف بحسب التّكليف ظاهر ، و امّا بحسب التّكوين فانقياد اجسام المواليد واتّحادها مع طبائعها و نفوسها ليس الاقسراً وكرهاً والكره فی عالم الذّرّ يكون بحسبه ، عن الصّادق (ع) انّ اسلامهم هو توحيدهم الله عزّوجلّ وهو اشارة الی اسلامهم التّكوينیّ اواقرارهم فی عالم الذّرّ و فی خبر آخر عنه(ع) انّ معناه أكرم اقوام علی الاسلام وجاء اقوام طائعين قال كرهاً ای فرقاً من السّيف وهواشارة الی الاسلام التّكليفیّ وعنه (ع) انّها نزلت فی القائم وفی رواية تلاها فقال : اذا قام القائم لايبقی ارض الّا نودی فيها شهادة ان لا اله الّا الله ، وانّ محمّداً (ص) رسول الله [وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ] يعنی انّ اسلامهم عبارة عن اقرارهم بأنّه تعالی خالقهم و مبدئهم و رجوع الكلّ يكون اليه فلا ينبغی ان يبغوا غير دين من يكون مبدئهم ومعادهم [قُلْ] يا محمّد(ص) علی سبيل المتاركة بعد ما اتممت لهم الحجّة من قبل نفسک وامّتک نحن : [آمَنّا بِاللّٰهِ وَما اُنْزِلَ عَلَيْنا وَما اُنْزِلَ عَلٰى إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰاعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْاَسْباطِ وَما اُوتِيَ مُوسٰى وَعِيسٰى

وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَانُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] يعنى نحن آمنّا واسلمنا فانتم ان شئتم اسلمتم وان شئتم لم تسلموا [وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْاِسْلَامِ] المذكور فيكون اللّام للعهد الذّكرىّ اوغير دين الاسلام فيكون اللّام للعهد الذّهنىّ [دِيناً] ملّة اوطريقاً الى آخرته [فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ] ابتغاؤه وجهده [وَهُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ] حيث انفق بضاعته من القوى والمدارك وانفد عمره فى طلب ما لاينفعه بل يضرّه .

تحقيق اصناف النّاس بحسب طلب الدّين و البقاء عليه و الارتداد منه

اعلم انّه تعالى اشار فى هذه الآيات الى اقسام النّاس التسعة بالمنطوق و المفهوم لانّ الانسان امّا طالب لدين او غير طالب ، و الطّالب امّا يبتغى الاسلام ديناً فجهده مقبول وهو من الرّابحين و هو مفهوم مخالفة من يبتغ غير الاسلام ديناً و امّا يبتغى غير الاسلام ديناً و هو منطوقه ، و غير الطّالب امّا داخل فى الاسلام او غير داخل سواء كان داخلاً فى دين وملّة اخرى اوكان واقفاً فى جهنّام الطّبع ، وغير الدّاخل فى دين الاسلام كافر وهو امّا يموت على الاسلام حين ظهور الولاية عليه حال الاحتضار اوعلى الكفر وقد اشار اليهما بمنطوق قوله انّ الّذين كفروا وماتوا وهم كفّار وبمفهومه، والدّاخل فى الاسلام امّا يرتدّ عن ملّة الاسلام اويبقى عليها من غير ازدياد فيها ، و المرتدّ الملىّ امّا يتوب او يبقى على ارتداده من غير ازدياد فيه و من غير انجراره الى الارتداد الفطرىّ ، و قد اشار الى هذه الثّلاثة بمنطوق قوله كيف يهدى الله قوماً الى قوله الّا الّذين تابوا و مفهومه و قد اشار الى الباقى على الارتداد مع انجراره الى الارتداد الفطرىّ الّذى لا توبة له ، و الى الباقى على الاسلام مع ازدياده وانجراره الى الايمان بمراتبه بقوله تعالى: انّ الّذين كفروا بعد ايمانهم الى آخر الآية بمنطوقه ومفهومه.

واعلم ايضاً انّ الانسان له اتّصال بالارواح الطيّبة وابائه العلويّة بحسب الفطرة والخلقة وهذا الاتّصال يورث استعداده للارتقاء الى اوائل علله و هذا هو الحبل من الله المذكور فى الكتاب و هو الفطرة الّتى فطر الله النّاس عليها فان اتّصل مع ذلك بخلفاء الله بالبيعة العامّة او الخاصّة صار مسلماً اومؤمناً ويعبّر عن هذا الاتّصال والدّخول تحت الاحكام الآلهيّة القالبيّة اوالقلبيّة بالاسلام والايمان والملّة والدّين ، وهذا الاتّصال هو الحبل من النّاس المذكور فى الكتاب ، والمتّصل بهذا الاتّصال ان ارتدّ عن هذا الاتّصال وقطع هذا الاتّصال بانكار الله او خلفائه او احكامه ولم يؤدّ ارتداده الى قطع الفطرة صار مرتدّاً ملّيّاً بمعنى انّه ارتدّ عن الملّة و قطع الحبل من النّاس لا عن الفطرة و هذا المرتدّ لبقاء الحبل من الله و عدم قطع الفطرة ان تاب يقبل توبته لبقاء استعداده للاتّصال ثانياً والارتقاء الى الارواح وهذا هو المرتدّ الملّىّ، وان ارتدّ وزاد فى ارتداده حتّى ينجرّ الى قطع الفطرة وابطالها وقطع الحبل من الله صار مرتدّاً فطريّاً لارتداده عن الاتّصال الفطرىّ، وهذا المرتدّ لبطلان فطرته واتّصاله الّذى كان سبب استعداده للاتّصال التّكليفىّ لايقبل توبته ولذاقيل بالفارسيّة: «مردود شيخى را اگر تمام مشايخ عالم جمع شوند و خواهند اصلاح نمايند نتوانند» ، وما ورد فى الاخبار وأفتى الفقهاء رضوان الله عليهم به من الاشارة الى انّ المرتدّ الملّىّ من ولد على الكفر ونشأ عليه ثمّ دخل فى الاسلام ثمّ ارتدّ منه ، والمرتدّ الفطرىّ من ولد على الاسلام ونشأ عليه ثمّ دخل فيه ثمّ ارتدّ منه ، اشارة الى انّهما كاشفان من الارتدادين فانّ المتولّد على الاسلام والناشئ عليه الدّاخل فيه لكون اسلامه كالذاتيّات قلّما يخرج منه ما لم يقطع الفطرة ، والمتولّد على الكفر النّاشئ عليه الدّاخل فى الاسلام لكون اسلامه مثل العرضيّات كثيراً ما يخرج من الاسلام من غير ابطال الفطرة وحينئذٍ لاحاجة لنا الى تكلّف قبول توبة المرتدّ الفطرىّ باطناً وعدم قبوله ظاهراً؛ اذا عرفت ذلك فقوله

[كَيْفَ يَهْدِي اللّٰهُ] اشارة الى المرتدّ الملّيّ اى لا يهدى الله الى الايمان فانّ الاسلام طريق الايمان و هداية اليه او الى الآخرة و الجنان [قَوْماً كَفَرُوا] بالله او بالرّسول او بما جاء به من الاحكام او بقوله فى حقّ خليفته [بَعْدَ ايمانِهِمْ] ايماناً عاماً بالبيعة العامّة او ايماناً خاصاً بالبيعة الخاصّة [وَشَهِدُوا اَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ] عطف على ايمانهم بتقدير اداة المصدر اوعلى كفروا او حال بتقدير قد [وَجاءَهُمُ الْبَيِّناتُ] المعجزات او الادلّة الواضحات على حقيّة الرّسول [وَاللّٰهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ] جملة حاليّة فى مقام التّعليل والمعنى لا يهديهم لانّهم ظلموا أنفسهم و قواهم وظلموا الاسلام وصاحب الاسلام بخروجهم عنه والله لا يهدى القوم الظّالمين فهو اشارة الى قياس اقترانىّ من الشّكل الاوّل هكذا : انّهم ظالمون وكلّ ظالم لا يهديه الله فانّهم لايهديهم الله [اُولٰئِكَ جَزاؤُهُمْ اَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّٰهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنّاسِ اَجْمَعِينَ] يعنى تبعيدالله اودعاءالله باللّعنة عليهم [خالِدِينَ فِيها] فى اللّعنة اوفى الجحيم المستفادة بالالتزام [لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ] بتأخيرالعذاب عنهم مدّة ولاقتضاء مقام الغضب البسط والتّغليظ والتّشديد بسط الله تعالى فى الكلام وشدّد عليهم [اِلَّا الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ] الكفر بعد الاسلام [وَاَصْلَحُوا] ما افسدوه حين الكفر و هو استثناء من قوماً او من اولئك لا عن فاعل خالدين ولا عن المجرور فى قوله عنهم ولا عن مرفوع ينظرون لايهام الكلّ خلاف المقصود والمعنى اولئك عليهم لعنةالله الّا الّذين تابوا منهم لانّهم كما سبق ماقطعواالحبل من الله المقتضى لاستعداد التّوبة ويقبل الله توبتهم [فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ] يغفر مساويهم بعد رجوعهم اليه [رَحِيمٌ] يتفضّل عليهم ويرحمهم بعد مغفرتهم. روى انّ نزول الآية فى رجل من الانصار ارتدّ بواسطة قتل وقع منه ولحق بمكّة ثمّ ندم وارسل الى قومه ان سألوا رسول الله(ص) فنزلت فرجع الى المدينة وحسن اسلامه ، لكنّها تجرى فى كلّ من ارتدّ بانكارالله اوالرّسول او بعض احكامه او بعض اقواله [اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] بيان للمرتدّ الفطرىّ [بَعْدَ ايمانِهِمْ] العامّ او الخاصّ [ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً] بحيث يؤدّى الى ابطال الفطرة و قطع حبل الله [لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ] الاتيان باداة نفى التّأبيد للاشعار بأنّهم ما بقى لهم استحقاق التّوبة وقبولها لقطع ما به الاستعداد والاستحقاق [وَاُولٰئِكَ هُمُ الضّالُّونَ] يعنى انّ الضّلال على الاطلاق منحصر بمن قطع الفطرة وامّا من لم- يقطع الفطرة وان ارتدّ عن الاسلام لم يكن ضالّاً على الاطلاق لبقاء الهداية التّكوينيّة له [اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] بيان لحال من بقى على الكفر [وَماتُوا وَهُمْ كُفّارٌ] التّقييد بهذا القيد للاشعار بانّ الكافر يمكن ان يموت على الاسلام فلايجوز بغض الكافر من حيث ذاته فى حال كفره وحيوته ، ولا لعنه بعد مماته الّا لمن علم حاله فى حيوته وانّه يموت على الكفر، اومن سمع من صادق بصير بحاله انّه مات اويموت على الكفر، وللاشارة اليه قال المولوىّ قدّس سرّه :

هيچ كافر را بخوارى منگريد	كه مسلمان مردنش باشد اميد
چه خبر دارى زختم عمر او	تا بگردانى از او يكباره رو

لكن ان ماتوا على الكفر [فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ اَحَدِهِمْ مِلْءُ الْاَرْضِ ذَهَباً] تميز محوّل عن الفاعل او منصوب بنزع الخافض اى ملء الارض من ذهب [وَلَوِ افْتَدىٰ بِهِ] نفسه اى ولو بالغ فى الافتداء به فانّ

الافتعال اذا لم يفد المطاوعة يدلّ على المبالغة وعلى هذا فلا حاجة الى التكلّف فى توجيه صحّة الاتيان به ههنا لانّ ما بعد لوهذه يكون اخفى افرادالشّرط [أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ وَمٰا لَهُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ] واتى فى هذه بالفاء فى خبر الموصول تأكيداً للزوم الجزاء للشّرط . وترك الفاء فى خبر الموصول فى القرين السّابق مع انّه كان اولى بالتّأكيد و البسط و التّغليظ لانّ المرتدّ الّذى ازداد فى كفره لوضوح عقابه و شدّة عذابه كأنّ عذابه كان من المسلّميّات فلاحاجة له الى التّأكيد والتّغليظ والبسط ولذلك اقتصرفيه على ذكر عدم قبول التّوبة و كونهم من الضّالّين من دون ذكر عذاب و كيفيّة عقاب لهم بخلاف السّابق عليه واللاحق به ، ولذلك ولكون الضّلالة من اوصافهم لابياناً لعقابهم اتى بالعاطف فى قوله و اولئك هم الضّالّون بخلاف قوله فى السّابق اولئك جزاؤهم انّ عليهم ، الآية، وبخلاف قوله فى اللاحق: اولئك لهم عذابٌ اليمٌ فانّ الاتيان بالعاطف اشارة الى انّه معطوف ومعدود من اوصافهم المعلومة وليس المقام مقام سؤالٍ حتّى يجعل جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ بخلاف الفقرتين الاخريين.

[الجزء الرّابع]

[لَنْ تَنٰالُوا الْبِرَّ] منقطع عن سابقه لفظاً و معنى اوجواب لسؤالٍ ناشٍ عن سابقه كأنّه بعد ما ذكر الاصناف الاربعة من المنحرفين والمرتدّين والكافرين سأل سائل: بم ننال الايمان والثّبات فيه ومقام الاحسان؟ـ فقال : لن تنالوا البرّ اى الجنّة اوالخير اوالاتّساع فى الاحسان اوالصّدق اوالطّاعة اوخصلة الاحسان الى الغير فانّ الكلّ معانى البرّ والكلّ مناسب لمقام السّؤال [حَتّٰى تُنْفِقُوا] قد مضى معنى الانفاق فى اوّل سورة البقرة [مِمّٰا تُحِبُّونَ] اى بعض ماتحبّون فانّ الاحسان والمحبوبيّة للانسان لايحصل الّا بالتّوسّط فى الاخلاق ولمّا كان محبوب الانسان فى كلّ مرتبة شيئاً غير ما فى المرتبة الاخرى ولعلّ محبوبه فى مرتبة يكون مبغوضاً له بحسب مرتبةٍ اخرى ومحبوب كلّ مرتبة لايكون بالنّسبة الى جميع الافراد محبوباً بل قد يكون محبوباً لبعض ومبغوضاً لبعضٍ آخر، وقد يكون محبوباً لشخص فى حالٍ مبغوضاً له فى حالٍ آخر فلايكون الانفاق ولا المنفق مخصوصاً بشيءٍ ولا واقفاً على حدّ بل نقول : محبوب الانسان فى كلّ مرتبة نفسه ولوازم نفسه وموافقاتها فى تلك المرتبة و الاصل فى كلّ انفاق ان يكون ناشئاً او مورثاً لانفاق شيءٍ من انانيّته حتّى يكون مقبولاً فانّ المنفق اذا انفق لابقاء انانيّته اولازدياد انانيّته مثل المرائى والمعجب بنفسه والمنفق لابقاء الباطل اوابطال الحقّ لم يكن انفاقه مقبولاً ولا مورثاً للبرّ والاحسان بل يكون مردوداً ومورثاً للبعد من البرّ [وَمٰا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ] احقر ما يكون فلا يفوت عن الله [فَإِنَّ اللّٰهَ بِهِ عَلِيمٌ] فيجازيكم باضعافه فلا تخافوا من فوته و افنائه [كُلُّ الطَّعٰامِ] الطّعام المطعوم بالفعل او بالقوّة كالبرّ و الشّعير والمراد تعميم الطّعام بالاضافة الى ما قالت اليهود انّه كان حراماً على الانبياء السّابقة لا بالنّسبة الى كلّما يمكن ان يطعم ، و هذا ردّ على اليهود وجواب لانكارهم تحريم الطّيّبات عليهم ببغيهم فانّ اليهود بعد ما نزل وسمعوا قوله تعالى فبظلمٍ من الّذين هادوا حرّمنا عليهم طيّباتٍ احلّت لهم و قوله تعالى : وعلى الّذين هادوا حرّمنا كلّ ذى ظفرٍ و من البقر و الغنم حرّمنا عليهم شحومهما الّا ماحملت ظهورهما اوالحوايا اوما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم و انّا لصادقون ، قالوا: لسنا باوّل من حرّمت عليه وقدكانت محرّمة على نوحٍ (ع) وأبراهيم (ع) و من بعده من بنى اسرائيل الى ان انتهى التّحريم

الينا فكذّبهم الله واجابهم بقوله : كلّ الطّعام [كَانَ حِلّاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ] وليس كما قالت اليهود انّ الطيّبات كانت محرّمة من زمن نوح [إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ] بسبب مرضه [عَلَى نَفْسِهِ] من لحوم الابل فانّه كما روى كان به وجع الخاصرة اوعرق النّساء وكان اذا اكل لحم الجمل هيّج الوجع به فحرّم على نفسه لحم الابل [مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ] متعلّق بقوله حلّاً اوبحرّم اوبكليهما على سبيل التّنازع يعنى كلّ المطاعم كان حلّاً لبنى اسرائيل سوى لحم الابل الّذى حرّمه اسرائيل على نفسه قبل نزول التّوراة وبعد نزول التّوراة حرّم الطيّبات عليهم ببغيهم [قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] حاجّهم بكتابهم حتّى يتبيّن كذبهم فى ادّعائهم وصدقه (ص) فيما نزل عليه من كتابهم ، وقيل: لم يجسروا على اتيان التّوراة وبهتوا ، وهذا دليل صدقه فى نبوّته حيث تمسّك بكتاب خصمه فى صدقه [فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ] بادّعاء انّ المحرّمات كانت محرّمة من زمن نوح [مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ] المذكور من المحاجّة والزام الحجّة [فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] تأكيد وحصر ادّعاء مبالغة ، وظلمهم عبارة عن وضع الانكار موضع التّصديق والاقرار [قُلْ صَدَقَ اللهُ] كأنّ المقصود ان يقول : ظهر صدقى فاتّبعوا ملّتى لكن لمّا كان نسبة الصّدق الى الله فى المقام مستلزماً لصدقه (ص) لانّه مدّع انّ اقواله ملقاة من الله تعالى اليه فاذا كان الاقوال الملقاة من الله صادقة كان هو صادقاً وكان الكناية بصدق الله عن صدقه ابلغ من التّصريح و أبعد من الشغب واللّجاج واقرب الى الانصاف كنى به عنه ، وهكذا الحال فى الامر باتّباع ملّة ابراهيم فانّه (ع) لمّا كان معلناً بانّ ملّته ملّة ابراهيم وملّة ابراهيم ملّته كنى باتّباع ملّة ابراهيم (ع) عن اتّباع ملّته (ص) فقال [فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] قد مضت هذه العبارة قبيل هذا .

تحقيق كون البيت اوّل بيت وضع وكونه مأمناً

[إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ] بالزّمان كما فى الخبر انّ موضع البيت اوّل بقعة خلقت من الارض على اختلاف فى مضمونها ثمّ دحيت الارض من تحتها ، وكما فى الاخبار انّ الله أنزله لآدم من الجنّة وكانت درّة بيضاء فرفعه الله الى السّماء وبقى اسّه ، اوبالشّرف كما فى الخبر: انّ الله اختار من كلّ شيء شيئاً؛ اختار من الارض موضع الكعبة ، او للعبادة على ما قيل انّه لم يكن قبله موضع مخصوص للعبادة [وُضِعَ] خلق اوبنى [لِلنَّاسِ] لانتفاعهم بالمكاسب فيه للكاسبين، اوبغفرانهم لقاصديه ، اوبراحتهم وامنهم عن القاصدين لملتجئيه ، اوبهدايتهم لناظريه وناظرى آياته ، اوبكفايتهم وقيامه بأمر معاشهم لساكنيه ومجاوريه ولو كانوا كافرين ، او ببقائهم وعدم هلاكهم على ما روى من انّه لوهدم البيت وتركوا الحجّ لهلك اهل العالم [لَلَّذِي] للبيت الّذى [بِبَكَّةَ] بكّة ومكّة مترادفتان ، اوبكّة موضع البيت و مكّة تمام البلد وسمّيت بكّة لانّ النّاس يبكّون فيها يعنى يزدحمون اولبكاء النّاس حولها و فيها ، اولانّها تبكّ اعناق الجابرة اي تدقّها واشير الى ذلك فى الاخبار ، وروى انّما سمّيت مكّة بكّة لانّه يبكّ بها الرّجال والنّساء والمرأة تصلّى بين يديك وعن يمينك وعن شمالك وعن يسارك و معك ولابأس بذلك لأنّه انّما يكره فى سائر البلدان [مُبَارَكاً] ذابركة لمجاوريه حيث يرزقون من ثمرات الاشجار تماماً مع انّه لا ثمرة فى مكّة و يجلب الحبوب و الاثمار اليه ولزائريه حيث يغفر الله لهم كيوم ولدتهم امّهم ، و ينظر اليهم

بالرّحمة ، ويقبل توبتهم ، ويخلف ما أنفقوا فى سبيله ، وللطّيور وسائر الحيوان حيث انّها مأمونة من الاصطياد ولطيور المسجد لكونها مأمونة و مرزوقة ، و للاشجار والنّبات فى ارض الحرم حيث انّها مأمونة عن القطع فى الجملة ، ولاهل العالم حيث انّهم باقون مرزوقون به كما سبق الاشارة اليه [وَهُدىً لِلْعالَمِينَ] فى حمل المعنى على الّذات مامرّمراراً ، وهدايته امّابكون وجوده سبباً لهيجان النّفوس للتّوجّه والسّلوك اليه ، اوبكونه سبباً لقرب زائريه الى الله ، اوبكونه قبلة ومتعبّداً لهم من زمن ابراهيم(ع) اومن زمن آدم(ع)، اوبكونه ذاآياتٍ دالّاتٍ على تشريف الله ايّاه وعلى كونه فى حماية الله ، وعلى صدق الانبياء(ع) الّذين امروا بتعظيمه والطّواف حوله والنّسك لديه ، وصدقهم فى ذلك يدلّ على صدق رسالتهم وليس رسالتهم الّا بالاقرار بالمبدأ والمعاد وتوحيد المبدأ وتوحيد العبادة ، وتلك الآيات مثل اهلاك من قصد خرابه مثل ابرهة صاحب الفيل وجنوده ، ومثل شيوع الموت فى قبائل اخذوا الحجر الاسود حتّى ردّوه اليه ، ومثل تنطّق الحجر الاسود كماروى عند محاجّة محمّد الحنفيّة مع علىّ بن الحسين(ع)، ومثل انحراف الطّيور من محاذاته فى طيرانهم ، وبكونه ذاآياتٍ باقيةٍ من آثار الانبياء ومعجزاتهم(ع) مثل مقام ابراهيم فانّ غوص القدم فى الحجر الصّلب آيةٌ دالّةٌ على انّ صاحبه ذوقوّةٍ خارجةٍ عن طوق البشر آلهيّة ، وكذا كونه محفوظاً على مدى الاعصار مع كثرة اعدائه الّذين كانوا بصدد محو مثل تلك الآثار و لذلك علّله بقوله تعالى [فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ] جملة مستأنفة جواب للسّؤال عن علّة الهداية ، اوحال مترادفة ، اومتداخلة للتّعليل ، اوصفة كذلك ، اوخبر بعد خبر وقد سبق الاشارة الى الآيات والى ظهورها [مَقامُ إِبْراهِيمَ] بدل من الآيات بدل البعض من الكلّ او مبتدأ خبر محذوف او خبر مبتدءٍ محذوف اى هى مقام ابراهيم(ع) فانّه باعتبار غوص القدم فى الحجر وبقاء اثر القدم ومحفوظيّته فى دهور طويلة آيات عديدة وحكاية مقام ابراهيم(ع) قد اختلف الاخبار فى بيانها من اراد فليرجع الى الاخبار وكتب التّفاسير [وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً] عطف على مقام ابراهيم(ع) اوعلى جملة فيه آيات بيّنات ، اوعلى جملة انّ اوّل بيتٍ وضع للنّاس لَلّذى ببكّة ، اوحال ولفظة من موصولة اوشرطيّة والدّاخل فيه آمنٌ من عذاب يوم القيامة بشرط الايمان والدّاخل فى الحرم آمنٌ بالمواضعة الآلهيّة عن المؤاخذة بجناية يؤاخذ عليها والضّمير راجع الى البيت ، اوالى مقام ابراهيم ، والمراد بمقام ابراهيم(ع) هو الحجر الّذى فيه اثر قدم ابراهيم(ع) اوالموضع الّذى فيه ذلك الحجر الان ، او الموضع الّذى بينه و بين البيت ، اوالمسجد ، اوالحرم تماماً كما قيل ، وكون امن من دخله من جملة الآيات ان كان المراد به امنهم من تعرّض الجبابرة مع كثرتهم وهلاك من تعرّض له ولهم مثل اصحاب الفيل فواضح ، وان كان المراد به امنهم بالمواضعة الآلهيّة ، اوامنهم من عذاب يوم القيامة ، اوامن من دفن فيه من العذاب ففيه خفاء .

اعلم انّ جميع الاعمال الشّرعيّة الفرعيّة والمناسك الظّاهرة القالبيّة صور لاعمال اللّطيفة الانسانيّة السّالكة الى الله والمناسك الباطنة القلبيّة وجميع المساجد وبيوت الله الصوريّة صور للمعابد الباطنة الانسانيّة من مواقف السّالك فى سلوكه وصور لبيوت الله الحقيقيّة الّتى هى قلوب السّالكين الى الله الدّاخل فيها الايمان الممتازة من الصّدور المنشرحة بالاسلام بدخول الايمان فيها، وانّ الكعبة لمّاكانت بناء ابراهيم الّذى كان متحقّقاً بالقلب وكان بيت الله حقيقة كانت مظهراً للقلب بجميع مناسكه و معابده و لذلك اجرى عليها جميع ما للقلب من الاوصاف والآثار فانّ القلب اللّحمانىّ لمّاكان اوّل نقطة خلقت من بدن الانسان لكونه مظهراً للقلب المعنوىّ

الّذى خلق قبل جملة العوالم الرّوحانيّة باعتبار ربّ النّوع الّذى خلق قبل كلّ المخلوقات أجرى الله حكمه على الكعبة وقال: اوّل بيت وضع للنّاس للّذى ببكّة ومن قال انّ الكبد اوّل نقطة خلقت من بدن الانسان لانّه منبت النّفس النّباتيّة واحتياج بدن الحيوان ليس اوّلاً الّا الى القوى النّباتيّة غفل عن انّ الجنين من اوّل استقراره فى الرّحم قد استفاد ضعيفاً من كلّ من القوى النّباتيّة الّتى لنفس الامّ وانّه من اوّل استقراره فى الرّحم يغتذى وينمو بتدبير النّفس النّباتيّة الّتى فى الأمّ، وتصوير الاعضاء ايضاً ليس الّا باعانة نفس الامّ لأنّها حريصة على ايجاد مثلها وبقائه وهى لاتصوّر اوّلاً الّا ماكان مظهراً لمثلها لالجنودها وهو القلب، ولمّا كان القلب قبل تنزّله الى ارض العالم الصّغير كالدّرّة البيضاء و بعد تنزّله و اختلاطه باهل العالم الصّغير صار متلوّناً وكان دحوارض العالم الصّغير من تحته وكان فى وسط هذا العالم من حيث لحمته الصّنوبريّة ومن حيث روحانيّته باعتبار استواء نسبته الى جميع اجزاء البدن وكان مولد الولاية و متوجّهاً اليه لجميع اهل العالم الصّغير فى مناسكهم ومآربهم وكان مأمناً لمن دخله و دخل حريمه وكان قائماً بامور اهل مملكته و مقوّماً لهم وكان بركة و رازقاً من جميع الثّمرات من كان من اهله ومن لم يكن من اهله، وكان مثابة ومرجعاً لهم، وكان اصل جميع القرى فى مملكته، وكان على الجميع الرّجوع اليه والتجرّد من ثياب الانانيّة لديه، والطّواف حوله والتردّد عنده والوقوف فى حريمه وقتل انانيّته وقربانها قبل الوصول اليه، اخبروا عن الكعبة بمثل ذلك وجعل الله لها من المناسك مثل ذلك ولعلّك تتفطّن اجمالاً بحكم جميع احكام الحجّ و مناسكه بعد التفطّن بما ذكر، و قد أشرنا الى بعضها فيما سبق و نشير الى بعض منها فيما يأتى والغافل عمّا ذكرنا النّاظر الى ظاهر ما ورد فى الاخبار من اوصاف البيت والرّائى صور ما جعل له من المناسك لايرى لهاصحّة وحكمة عقلانيّة بل يريها كذباً ولغواً، ولولم يخف من الله او من اهل الاسلام يطعن فيها كما يطعن الكفّار فيما ورد فيها [وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ] قرئ بالفتح وبالكسر وهمامصدرا حجّ بمعنى قصد مطلقاً، اوبمعنى قصد مكّة للمناسك المخصوصة، اوبالفتح مصدر وبالكسر اسمه، ولمّا كان اهل العالم الصّغير مفطورين على قصد بيت القلب وكان ذلك حقّاً من حقوق الله عليهم وكان رجوعهم الى القلب رجوعاً الى الله كلّف الله النّاس بزيارة الكعبة الّتى هى مظهر ذلك البيت، وادّى هذا التّكليف بصورة الخبر تأكيداً واشعاراً بانّ هذا كان فى فطرتهم وحقّاً لله عليهم وليس كسائر الحقوق الخلقيّة اوالالهيّة ففيه تأكيد الوجوب من وجوه عديدة: اداء الامر بصورة الخبر، وانّه من الامور الّتى تقع لا محالة ولا حاجة الى الامر به، وتأكيده باسميّة الجملة، وكونه حقّاً على النّاس وكونه حقّاً لله، لاكسائر الحقوق الرّاجعة الى الخلق، وحصر ذلك الحقّ فى الله من غير شراكة الغير فيه [مَنِ اسْتَطَاعَ] بدل من النّاس و فى هذا الابدال تأكيد آخر للحكم من حيث التّخصيص بعد التعميم والتّوضيح بعد الاجمال فكأنّه كرّره وقال: لله على النّاس حجّ البيت لله على من استطاع [إِلَيْهِ سَبِيلاً] حجّه وهل الاستطاعة بالبدن او بالبدن والمال اوالكسب بحيث يكفى لنفقته ونفقة من كان واجباً نفقته عليه ذهاباً واياباً، اوبحيث يكفى لذلك ويرجع الى مايكفى بعده، وتحقيقه موكول الى الكتب الفقهيّة [وَمَنْ كَفَرَ] بالحجّ اوبالله فى ترك الحجّ اوباحكام الله فى تركه، وفى تسمية تركه كفراً تأكيد آخر لوجوبه فكأنّه قال: تارك الحجّ على حدّ الكفر والشّرك بالله فكما أنّه لايغفر ان يشرك به لا يغفر ان يترك الحجّ و يغفر ما دون ذلك فمن ترك الحجّ لايعبأ الله به [فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ] عنه و ذكر الغنى فى مثل المقام يدلّ على المقت والخذلان وقال غنىّ [عَنِ الْعَالَمِينَ] بدل غنىّ عنه مبالغة فى الاستغناء ليدلّ على المبالغة فى المقت

والخذلان ولمّاكان حجّ بيت‌الله عبادة جامعة بين اتعاب البدن وكسرانانيّة النّفس وقطع علاقتها عن متمنّياتها و تجرّدها عن مشتهياتها مع بذل المال وانفاقه ولم يكن سائر العبادات كذلك ندب الله تعالى اليه واكّده بأنواع التأكيدات ثمّ أمر نبيّه ان يخاطب اهل الكتاب بالتّقريع على الكفر بالآيات تعريضاً بامّته في ترك الحجّ والكفر بعليّ(ع) فقال [قُلْ] يا محمّد(ص) [يٰاأَهْلَ الْكِتٰابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيٰاتِ اللهِ] التّدوينيّة من آيات القرآن والتّوراة و الانجيل و التّكوينيّة و الاحكام الآلهيّة الثّابتة في الشّرائع الثّلاث [وَاللهُ شَهِيدٌ] حاضر او حافظ [عَلىٰ مٰا تَعْمَلُونَ] فيجازيكم على كفركم بالآيات ولاينفعكم التّحريف والاستسرار [قُلْ يٰاأَهْلَ الْكِتٰابِ] تكرار الخطاب والنّداء للتأكيد في التّقريع وللاشارة الى انّ كلّاً يكفي في التّقريع [لِمَ تَصُدُّونَ] تمنعون [عَنْ سَبِيلِ اللهِ] عن الحجّ او الجهاد اومطلق الخير او الولاية او الاسلام [مَنْ آمَنَ] حصل له الاسلام اومن ارادالاسلام ، قيل كانوا يمنعون المسلمين عن الايتلاف والاتّفاق وكانوا يحرّشون بينهم حتّى اتوا الاوس والخزرج فذكّروهم مابينهم في الجاهليّة من التّعادي والتقاتل ليعودوا لمثله ، اوالمعنى لم تمنعون من آمن بتحريف الكتب وتغيير صفة النّبيّ (ص) وكتمان ما دلّ صريحاً على حقّيّة الاسلام [تَبْغُونَهٰا] حال عن فاعل تصدّون اوعن سبيل الله اوعن كليهما او مستأنفٌ جواب لسؤال مقدّرٍ و المعنى تبغون لها [عِوَجاً] او تبغونها معوّجة او تبغون عوجها على ان يكون مفعولاً به اوحالاً اوتميزاً يعني تتجسّسون الاختلاف والمناقضات المترائاة فيها لتوهنوها على اهلها اوترغبون فيها ان كانت معوّجة لانّكم ذووعوج ولا تطلبونها حالكونها مستقيمة ، والعوج بالفتحتين والعوج بكسر العين مصدر اعوج كفرح ، اوالاوّل مصدر والثّاني اسم مصدر، اوالاوّل في المنتصبات مثل الجدار والعصا والثّاني في غيرها مثل الارض والدّين ، والعوج في كلّ شيءٍ بحسبه فالعوج في الدّين ان يكون في احكامه اختلاف وتناقض بحيث يشمئزّ منه الطّبائع السّليمة ، اويكون موصلاً الى ضدّ ما يكون مطلوباً منه ، اولايكون موصلاً الى المطلوب منه ، فانّ المطلوب من سبيل الله والتديّن بدين الله ان توصل المتوسّل بها الى الله والى دار نعيمه ، فان توصل الى الشّيطان ودار جحيمه اولم توصل الى الله كانت معوّجة [وَأَنْتُمْ شُهَدٰاءُ] جمع الشّهيد بمعنى الحامل للشّهادة اوالمؤدّي لها او الامين فيها ، اوبمعنى العالم ، و على ايّ تقدير فهو امّا منسيّ المفعول او منويّه اى انتم الّذين يستشهد بكم اهل ملّتكم في قضاياهم ، اوانتم الامناء في شهاداتهم وعليكم اعتمادهم ، اوانتم علماء ملّتكم، اوانتم تشهدون بانّ السّبيل سبيل‌الله، اوتشهدون انّكم تصدّون عن سبيل الله [وَمَا اللهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ] وعيد لهم ولمّاكان القبيح في الآية الاولى الكفر الّذى كانوا يجهرون به وفي هذه الآية حيلتهم في صدّ المسلمين عن الاسلام وكانوا يخفونه اتى في الاولى بقوله والله شهيد على ما تعملون و في هذه الآية بقوله ومالله بغافل لانّ اخفاء القبيح كان مظنّة للغفلة عنه .

تفسير حجّة الوداع وغدير خم

وهذه الآية كسابقتها تعريض بالامّة وبكفرهم بعليّ(ع) وما جاء الرّسول به من عندالله في حقّه وماقاله لهم في حجّة الوداع في مسجد الخيف وغدير خمّ من الوصيّة في حقّه ومامرهم به من البيعة معه في عشرة مواطن اوثلاثة مواطن وبصدّهم المسلمين عن البيعة معه والطّاعة له ، ولمّاكان الخطاب في الآيتين الاوليين مع اهل الكتاب امر نبيّه ان يخاطبهم توهيناً وتبعيداً لهم عن تشريف الخطاب ولمّاكان الخطاب في الآية الآتية مع المؤمنين خاطبهم بنفسه تشريفاً لهم فقال [يٰاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] اى اسلموا بالبيعة العامّة النبويّة وقبول الدّعوة الظّاهرة [إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ]

وهم الّذين يصدّونكم عن سبيل الله ويبغونها عوجاً بالاستماع اليهم وقبول مفترياتهم [يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ اِيمانِكُمْ] عن ايمانكم وعن السّبيل الموصل الى الله [كافِرِينَ] بعد تقريع اهل الكتاب على حيلتهم وخدعتهم للمؤمنين نبّه المؤمنين حتّى لايغترّوا بهم وباقوالهم المموّهة قيل : نزلت فى نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوساً يتحدّثون فمرّبهم واحد من كبار اليهود فغاظه تألّفهم واجتماعهم فأمرشابّاً من اليهود ان يجلس اليهم ويذكّرهم ما بينهم من القتال وينشد لهم بعض ما قيل فيه ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا : السّلاح السّلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجّه اليهم رسول الله (ص) و اصحابه فقال : اتدّعون الجاهلية و انابين اظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام و قطع به عنكم امر الجاهليّة والّف بين قلوبكم ، فعلموا انّها نزعة من الشّيطان وكيد من عدوّهم فألقوا السّلاح و استغفروا و عانق بعضهم بعضاً [وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ] لاينبغى لكم ذلك [وَاَنْتُمْ تُتْلى عَلَيْكُمْ آياتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ] يعنى انّ الكفر فى جميع الاحوال قبيح خصوصاً فى تلك الحالة فانّ تلاوة الآيات ووجود الرّسول كليهما يميتان الكفر ويحييان فطرة الايمان ولا يكفر فى مثل تلك الحال الّا من بلغ فى الشّقاوة منتهاها [وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ اِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ] ومن اهتدى الى الصّراط المستقيم الموصل له الى مطلوبه الّذى لامطلوب له سواه لايرجع منه البتّة؛ وهذا وجهٌ آخر لاستغراب الرّجوع الى الكفر يعنى انّكم اعتصمتم بالله بالبيعة مع رسوله (ص) فانّ البيعة تورث التمسّك بمن قبل البيعة والتمسّك بالرّسول (ص) تمسّك بالله لكونه مظهراً تامّاً له ، ومن اعتصم بالرّسول (ص) يهتد الى الصّراط المستقيم الموصل الى الله لانّ الرّسول (ص) هو الصّراط المستقيم ومن اهتدى لايرجع الّا اذا كان بالغاً فى العمى غايته [يااَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] كرّر النّداء لتشريفهم وتهييجهم على الثّبات على الايمان والارتداع عن الكفر ولان يجبر كلفة التكليف بالتّقوى بلذّة النّداء [اتَّقُوا اللهَ] اتّقوا سخطه [حَقَّ تُقاتِهِ] قد مضى تحقيق معنى التّقوى ومراتبها فى اوّل سورة البقرة وحقّ التّقوى على الاطلاق ان لايبقى من المتّقى عين ولا اثر بطىّ جميع مراتب التّقوى والانتهاء الى التّقوى عن ذاته وعن تقواه فى جنب ذات الله ولمّا كان التّقوى بهذا المعنى لاتتيسّر الّا لقليل قالوا: انّ هذه الآية منسوخة بقوله تعالى فى سورة التغابن فاتّقوا الله ما استطعتم لكنّ الحقّ انّ حقّ التّقوى تختلف بحسب اختلاف الاشخاص وبحسب اختلاف مراتب الشّخص الواحد فانّ حقّ التّقوى بالنّسبة الى اصحاب النّفوس الامّارة وبالنّسبة الى من لم يدخل بعد فى دين ولم يبايع البيعة العامّة مع نبىٍّ اوخليفته ان يحتاط فى عمله ويطلب من يأخذ منه دينه ويترك ما ينافى طلبه وحقّ التّقوى بالنّسبة الى من دخل فى دين ان يمتثل ما أمربه ، ويترك مانهى عنه ، ويطلب من يدلّه على حقّ دينه وروح اعماله ، ويترك ماينافى هذا الطّلب، وحقّ التّقوى بالنّسبة الى من دخل فى الايمان و دخل بذر الايمان فى قلبه ان يمتثل ما امر به و ينتهى عمّا نهى عنه بحسب ايمانه ، ومراتب التّقوى للدّاخل فى الايمان كثيرة بحسب مراتب المؤمنين ودرجاتهم كما سبق مفصّلاً ، وهكذا الحال فى التّقوى بحسب مراتب الشخص الواحد من بشريّته الى فنائه فانّ حقّ التّقوى بحسب البشريّة غيرها بحسب الصّدر و القلب والرّوح وهكذا ؛ فالآية على هذا امر للجميع بالاتيان بحقّ التّقوى وكانت موافقة لقوله تعالى: فاتّقوا الله ما استطعتم؛ لانّ حقّ التّقوى من كلّ احد ما استطاعه لانّ الله لا يكلّف نفساً الّا وسعها ، وعن الصّادق (ع) انّه سئل عن هذه الآية فقال: يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر، ولعلّك تفطّنت بصحّة تعميم الطّاعة

والـذكروالـشكر والعصيان والنسيان والكفربحسب مراتب المؤمنين [وَلَاتَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] يعنى اديموا الاسلام الى حال الموت فالنّهى وارد على القيد لاالمقيّد ولاالمجموع وقرء فى قراءة اهل البيت مسلّمون بالتّشديد يعنى لاتموتنّ الّا وانتم مسلّمون لرسول‌الله(ص) ثمّ للامام من بعده ، ونسب الى الكاظم(ع) انّه قال لبعض اصحابه :كيف تقرأ هذه الآية : يا ايّها الّذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ الّا وانتم ماذا ؟ ـ قال : مسلمون يعنى بتخفيف الّلام فقال: سبحان الله يوقع عليهم الايمان فيسمّيهم مؤمنين ثمّ يسألهم الاسلام؛ والايمان فوق الاسلام ؟! قال : هكذا يقرأ فى قراءة زيد قال: انّما فى قراءة علىّ(ع) وهوالتّنزيل الّذى نزل به جبرئيل على محمّد(ص) الّا وانتم مسلّمون لرسول‌الله(ص) ثمّ الامام من بعده .

تحقيق حبل الله و حبل النّاس

[وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ] يطلق حبل الله على القرآن لانّه كالحبل المحسوس الممدود من الله الى الخلق طرفه الّذى هومقام المشيّة وعلويّة علىّ (ع) بيدالله ، و طرفه الآخر بيد النّاس وهونقشه وكتابته ولفظه وعبارته ويطلق على الكامل من النّبىّ(ص) اوالولىّ(ع) فانّه ايضاً حبل ممدود من الله الى الخلق طرفه المشيّة كالقرآن وطرفه الآخربشريّته ، ويطلق على الولاية التكوينيّة والولاية التّكليفيّة فانّها ايضاً حبل ممدود طرفه المشيّة لانّ الكلّ متّحدة فى المقامات العالية ، والتّفرقة انّما هى فى عالم الفرق وطرفه الآخربشريّة الكامل وصدرقابل الولاية وبشريّته ، وهكذا الحال فى النّبوّة والرّسالة والشّريعة المقرّرة منهما وقوله تعالى بعُيد هذا: ضربت عليهم الذّلّة اينما ثقفوا الّا بحبل من الله وحبل من النّاس اشارة الى الولايتين اوالى القرآن والولاية التّكليفيّة كما فى الخبر انّ الحبل من الله القرآن والحبل من النّاس علىّ بن ابيطالب(ع)، ونسب الى النّبىّ (ص) انّه قال فى مقام وصف الكتاب والعترة : حبلين ممدودين طرف منهما بيدالله وطرف بايديكم وانّهما لن يفترقا ؛ لكن بعد ما سبق فى اوّل سورة البقرة من تحقيق معنى الكتاب و تعميمه يعلم انّ الولاية التّكوينيّة كتاب من الله كما انّ الولاية التّكليفيّة ايضاً كتاب من الله و المراد به ههنا محمّد(ص) بنبوّته اورسالته اوولايته ، اوالمراد شريعته ودينه الّذى هوالاسلام ، اوالمراد علىّ(ع) بولايته ؛ فانّ المقصود من تلك الآيات التّعريض بالامّة فى اتّباع الولاية ، وعلى تعميم الامر بالاعتصام يراد جميع معانى الحبل بالنّسبة الى مراتب الخلق فكأنّه قال: اعتصموا ايّها المسلمون بمحمّد(ص) وشريعته وكتابه واعتصموا ايّها المؤمنون بعلىّ(ع) وولايته [جَمِيعاً] اى مجتمعين على الاعتصام [وَلَاتَفَرَّقُوا] فى الاعتصام بان تمسّك بعضكم بحبل الله وبعضكم بحبل الشّيطان من الاديان المنسوخة والباطلة ومن ولاية المنافقين، نسب الى الباقر(ع) انّه قال فى بيان انّ الآية تعريض بالامّة واختلافهم فى الولاية بعد نبيّهم(ص) انّ الله تبارك وتعالى علم انّهم سيفترقون بعد نبيّهم و يختلفون فنهاهم عن التفرّق كما نهى من كان قبلهم فامرهم ان يجتمعوا على ولاية آل محمّد(ص) ولايتفرّقوا [وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ] بالاسلام [فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً] فى الدّين متحابّين متّفقين، لمّاكان العداوة بين النّاس بلاء عظيماً لهم والالفة نعمة عظيمة فى الدّنيا ومورثاً للنّعمة فى الآخرة ذكر من بين النّعم الّتى انعم الله تعالى بها عليهم دفع هذاالبلاء و اعطاء هذه النّعمة ، **قيل:** كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهم العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتّى أطفأهاالله بالاسلام والّف بينهم، **وقيل :** افتخر رجلان من الاوس والخزرج فقال الاوسىّ: منّا خزيمة بن ثابت ذوالشّهادتين ، ومنّا حنظلة غسيل الملائكة ، ومنّا عاصم بن ثابت حمىّ الدّين ، ومنّا سعدبن

معاذالّذى اهتزّعرش الرّحمن له ورضى‌الله بحكمه فى‌بنى‌قريظة ، وقال الخزرجىّ : منّا اربعة احكموا القرآن؛ ابىّ‌بن‌كعب ومعاذبن جبل وزيدبن ثابت وابوزيدٍ ، ومنّا سعدبن عبادة خطيب‌الانصارورئيسهم ؛ فجرى الحديث بينهما فغضباوتفاخرا ونادیا فجاء الاوس الى الاوسىّ والخزرج الى الخزرجىّ ومعهم السّلاح فبلغ ذلك‌النّبىّ(ص) فركب حماراً وأتاهم فأنزل‌الله الآيات فقرأ عليهم فاصطلحوا [وَكُنْتُمْ عَلٰى شَفٰا حُفْرَةٍ مِنَ النّٰارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهٰا] ذكر نعمة اخرى اخرويّة هى دفع بلاء الوقوع فى النّار والنّجاة منها و بيان لما يورثه العداوة و الالفة [كَذٰلِكَ] التّبيين لآياته المودعة فى البيت و المقام و احكامه المقرّرة فى باب حجّ البيت وآياته المذكورة فى مواعظكم [يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ آيٰاتِهِ] الاخر التّكليفيّة والوعظيّة والتّكوينيّة [لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] الى مصالحكم ومضارّكم اوالى ولاية ولىّ امركم فانّهاغاية كلّ هداية وتلويح كلّ آية كما انّ قوله تعالى [وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ] تعريض بالامر بطلب الولاية وبالاجابة لولىّ الامر فانّ المقصود انّ كون امّة منكم داعية الى الخيرامرحتم فاطلبوهم واجيبوا دعوتهم، وقرء فى‌قراءة اهل‌البيت ائمّة، وعن‌الباقر(ع)فى هذه الآية قال: فهذه لآل محمّد(ص)ومن تابعهم يدعون‌الى‌الخيرويأمرون بالمعروف وينهون‌عن‌المنكر [وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] الكاملون فى الفلاح فانّ كمال الفلاح بالبقاء بعدالفناء فى‌الله وهومقام‌الدّعوة الى الخيروالامربالمعروف والنّهى‌عن‌المنكر،وعن‌الصّادق(ع):الامربالمعروف والنّهى عن المنكر خلقان من خلق‌الله تعالى‌فمن نصرهما أعزّه‌الله ومن خذلهما خذله الله ، وعن النّبىّ(ص)انّه قال : لايزال النّاس بخير ما أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر و تعاونوا على البرّ فاذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلّط بعضهم على بعضٍ ولم يكن لهم ناصر فى‌الارض ولا فى‌السّماء ، ونسب الى الباقر(ع) انّه قال : يكون فى آخر الزّمان قومٌ يُتّبع فيهم قوم مراؤن يتقرّؤن و يتنسّكون حدثاء سفهاء لا يوجبون امراً بمعروف ولا نهياً عن منكراً لا اذا امنوا الضّرريطلبون لأنفسهم الرّخص والمعاذيريتّبعون زلّات العلماء وفساد علمهم يقبلون على الصّلوة والصّيام ومالايكلّهم فى نفس ولامال ، ولواضرّت الصّلوة بسائرمايعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا اسمى الفرائض واشرفها؛انّ الامربالمعروف والنّهى عن‌المنكرفريضة عظيمة بها تقام الفرائض هنا لك يتمّ غضب الله عليهم فيعمّهم بعقابه فيهلك الابرار فى دارالفجّار والصّغار فى دار الكبار ، انّ الامربالمعروف والنّهى عن‌المنكرسبيل الانبياء ومنهاج‌الصّالحين ، فريضةعظيمة بها تقام‌الفرائض و تؤمن المذاهب و تحلّ المكاسب و تردّ المظالم و تعمر الارض وينتصف من الاعداء و يستقيم الامر فأنكروا بقلوبكم والفظوا بالسنتكم وصكّوا بهاجباهھم ولاتخافوا فى‌الله لومة لائم فان اتّعظوااوالى‌الحق رجعوا فلاسبيل عليهم انّما السّبيل على الّذين يظلمون النّاس و يبغون فى الارض بغيرالحق اولئك لهم عذاب اليم هنالك فجاهدوهم بابدانكم وابغضوهم بقلوبكم غيرطالبين سلطاناً ولاباغين مالاً ولا مريدين بالظّلم ظفراً حتّى يفيئوا الى‌امرالله ويمضوا الى‌طاعته . وقد مضى‌تحقيق واف فى اوّل البقرة عند قوله تعالى: اتأمرون‌النّاس بالبرّوتنسون انفسكم للامر بالمعروف والنّهى‌عن‌المنكر [وَلاٰ تَكُونُوا] يعنى‌فاجتمعواعلى‌التّمسّك بتلك‌الامّة ولاتكونوا [كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا] كاليهود والنّصارى‌تركواالتّمسّك باوصياء موسى(ع)وعيسى(ع)وتفرّقوا غاية التفرّق واختلفوا غاية الاختلاف [مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَهُمُ الْبَيِّنٰاتُ] كما جاءتكم البيّنات والحجج الدّالّات

على وجوب التّمسّك وعلى معرفة من تتمسّكون به [وَأُولٰئِكَ لَهُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ] توعيد للمتفرّقين و تهديد بليغ للمتشبّهين بهم من هذه الامّة و لهذا التهديد البليغ أكّد عذابهم باسميّة الجملة والاتيان بها ذات وجهين فانّه فى قوّة تكرار النّسبة والاتيان باسم الاشارة البعيدة و تأكيد العذاب بالعظيم [يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ] بياض الوجه و سواده كنايتان عن بشاشة السّرور و نضارته وكابة الحزن والخوف وكدورته ، او يظهر البياض حقيقة فى وجوه والسّواد فى وجوه لانّ يوم القيامة يوم ظهور الباطن فيظهر نور هؤلاء وظلمة اولئك على ظاهرهم [فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ] فيقال لهم [أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمٰانِكُمْ] فحذف فاء جواب امّا مع القول ، ونزول الآية كما عن علىّ(ع) وغيره من الخاصّة والعامّة فى منافقى الامّة الّذين ارتدّوا على ادبارهم بعد ايمانهم بمحمّد(ص) اوعلىّ(ع) فانّه روى انّهم اهل البدع والاهواء من هذه الامّة وهذا التفسير يناسب الآيات السّابقة بحسب تعريضها [فَذُوقُوا الْعَذٰابَ بِمٰا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ] بعد ايمانكم [وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّٰهِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ] لم يقل ففى رحمة الله خالدون لتأكيد دخولهم فى الرّحمة وللبسط فى مقام المحبّة وانّما لم يأت بالنّشر مطابقاً للّف لان يكون فتح الآية وختمها بالرّحمة واهلها وخالف بين الفقرتين فانّ التوفيق بينهما ان يقول وامّا الّذين ابيضّت وجوههم ابقيتم على ايمانكم فادخلوا الرّحمة بماكنتم تؤمنون لكن لمّا كان التقريع على السيّئة اسوء عقوبة للمسيء اراد ان يبيّن انّهم يقرّعون اوّلاً ثمّ يدخلون العذاب ولمّا كان العذاب لايحسّون به الّا فى الآخرة وان كانت جهنّم محيطة بهم لكنّهم لايدخلونها ولايحسّون بالمها الّا فى الآخرة لكون اعضائهم خدرة فى الدّنيا ولبقائهم فى ابواب الرّحمة خارج جهنّم رحمة بهم لعلّهم يتنبّهون ويرجعون ما لم يبطلوا فطرتهم الانسانيّة ولذلك يقال لهم فى الآخرة : ادخلوا ابواب جهنّم لانّهم لم يدخلوا ابوابها بعدُ قال تعالى فى حقّهم تفريعاً على تقريعهم فى الآخرة : فذوقوا العذاب ؛ بخلاف المؤمنين لانّ التهنئة على البقاء على الايمان ليست تشبه الجزاء لهم وانّهم داخلون فى الرّحمة من حين كونهم فى الدّنيا فاسقط التّذكرة بالبقاء على الايمان فى جزائهم وأتى بالرّحمة مشعراً بدخولهم فيها من غير انتظار الآخرة ولم يقل بماكنتم تؤمنون لانّ دخول الرّحمة ليس الّا بمحض الفضل بخلاف دخول العذاب فانّه بفعل العباد ، وروى عن النّبىّ (ص) ما يدلّ على انّ المراد بهم مخالفو علىّ (ع) ومتّبعوه فانّه (ص) قال : يرد علىّ امّتى يوم القيامة على خمس رايات ؛ فراية مع عجل هذه الامّة فأسألهم ما فعلتم بالثّقلين من بعدى ؟ ـ فيقولون : أمّا الاكبر فحرّفناه و نبذناه وراء ظهورنا ، وامّا الاصغر فعاديناه وابغضناه وظلمناه ، فاقول : ردوا النّار ظماءً مظمئين مسوّدةً وجوهكم ، ثمّ يرد علىّ راية مع فرعون هذه الامّة فاقول لهم : مافعلتم بالثّقلين من بعدى ؟ـ فيقولون: امّا الاكبر فحرّفناه ومزّقناه وخالفناه ؛ وامّا الاصغر فعاديناه و قاتلناه فاقول: ردوا النّار ظماءً مظمئين مسوّدة وجوهكم ، ثمّ يرد علىّ راية مع سامرىّ هذه الامّة فاقول لهم : مافعلتم بالثّقلين من بعدى؟ـ فيقولون : امّا الاكبر فعصينا وتركنا ؛ وامّا الاصغر فخذلنا و ضيّعنا ، فاقول : ردوا النّار ظماءً مظمئين مسوّدة وجوهكم ، ثمّ يرد علىّ راية ذى الثديّة مع اوّل الخوارج واخرهم فاسألهم : ما فعلتم بالثّقلين من بعدى ؟ـ فيقولون : امّا الاكبر فمزّقناه وبرئنا منه ، وامّا الاصغر فقاتلنا وقتلنا ، فاقول: ردوا النار ظماءً مظمئين مسوّدةً وجوهكم ، ثمّ يرد علىّ راية امام المتّقين وسيّد المسلمين وقائد الغرّ المحجّلين ووصىّ رسول ربّ العالمين فاقول لهم: ماذا فعلتم بالثّقلين من بعدى؟ـ فيقولون: امّا الاكبر فاتّبعناه واطعناه ؛ وامّا الاصغر فاحببناه وواليناه ونصرناه حتّى اهريقت فيه دمائنا ، فاقول: ردوا الجنّة رواءً

مرويّين مبيضّة وجوهكم ثمّ تلا رسول الله (ص). يوم تبيضّ وجوه الى قوله خالدون [تِلْكَ] المذكورات من كون البيت اوّل بيت وضع للنّاس الى انجرار التفرّق فى الاعتصام والاختلاف الى اسوداد الوجوه وظهور الظّلمة من الباطن فى الظّاهر والى دخول العذاب و انجرار الاجتماع فى الاعتصام بحبل الله و ولىّ الامر الى ابيضاض الوجوه ودخول الرّحمة [آيَاتُ اللهِ] الدّالّة على حقّيّته ومجازاته على الاعمال [نَتْلُوهَا] فى الآيات التّدوينيّة [عَلَيْكَ] او تلك الآيات المقروّة آيات كتاب الله نتلوها عليك [بِالْحَقِّ] متلبّسة بالحقّ او بواسطة الحقّ المخلوق به [وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ] باسوداد الوجوه و ذوق العذاب بل هو نتيجة أعمالهم المنجرّة اليهم، ولمّا كان تقديم الفاعل وادخال النّفى عليه مفيداً لنفى الفعل عن الفاعل مع اثباته لغيره فهو فى قوّة ان يقال : ولكنّهم يريدون الظّلم للعالمين [وَلِلّٰهِ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ] جملة حاليّة اومعطوفة لرفع ماتوهّم من نسبة الافعال السّابقة الى العباد من استقلالهم فى الوجود و فى الافعال ولتعليل نفى الظّلم عنه فانّ الظّلم امّا لجهل الظّالم بقبح الظّلم اولكون المظلوم ومايملكه ممّا يظلم به خارجاً عن ملك الظّالم واراد ادخاله فى ملكه، واللّام فى مثله يدخل على الفاعل مثل ان يقال: هذا البناء للبنّاء الفلانى ، ويدخل على المالك مثل ان يقال : هذا البستان لفلان اى ملكه، وعلى الغاية مثل ان يقال: هذا البناء للعبادة [وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ] لانّه غاية الغايات ونهاية الطّلبات لانّ كلّ فعل يستعقب فعليّة وكلّ فعليّة تنتهى الى فعليّة اخرى حتّى تنتهى الى فعليّة لا فعليّة فوقها وهى الرّبوبيّة سواء تنتهى الفعليّات على طريق المظاهر اللّطفيّة اوعلى طريق المظاهر القهريّة الى الفعليّة الاخيرة وغاية الخلقة لجميع الموجودات الانسان ، وغاية الانسان الرّبوبيّة كما فى الحديث القدسىّ: خلقت الاشياء لاجلك وخلقتك لاجلى، وهذا رجوع بطريق العود فى نفس الامر، اواليه ترجع الامور لانّه مبدء المبادى ومصدر المصادر وكلّ موجود جوهر اوعرض مخلوق وكلّ مخلوق ذومصدر، وكلّ مصدر ذومصدر آخر الى ان ينتهى الى المصدر الاخير كحركة القلم فانّ مصدرها حركة اليد ، ومصدرها حركة الاعصاب والرّباطات ، ومصدرها حركة القوّة المحرّكة، ومصدرها حركة القوّة الفكريّة، ومصدرها النّفس، ومصدرها العقل، ومصدره المشيّة، ومصدرها الرّبوبيّة ، وهذا انتهاء ورجوع بطريق النّظر، وهذا الرّجوع اشارة الى مبدئيّته تعالى وذلك يدلّ على منتهائيّته [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ] استيناف جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل من المبيّض الوجوه ؟- فقال: كنتم مبيّضى الوجوه ، وقال: خير امّة للاشارة الى وصف آخرلهم ، ولفظ كان لمحض التّأكيد منسلخ عن الزّمان اوالمقصود انّكم كنتم فى النّشئات السّابقة خير امّة [أُخْرِجَتْ] من العدم الى الوجود او من العوالم العالية و الحجب الغيبيّة الى عالم الشّهادة [لِلنَّاسِ] لانتفاعهم [تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ] جواب لسؤال مقدّر او صفة او حال اوخبر بعد خبر وعلى اىّ تقدير فالمقصود تعليل كونهم خير امّة ويجوز ان يكون مستأنفاً لقصد المدح [وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ] و لمّا كان المخاطبون الائمّة المعصومين (ع) كما روى عنهم بطرق كثيرة و الفاظ متخالفة ومتوافقة وكانوا من اوّل تميزهم واوان طفوليّتهم معصومين وآمرين قواهم وجنودهم فطرةً بالمعروف وناهين لها عن المنكر الى زمان تعلّق التّكليف بهم بحسب الظّاهر واوان بيعتهم ودخولهم فى الايمان ثمّ صاروا باقتضاء العصمة وظهور الولاية آمرين وناهين لاهل مملكتهم ولمن خرج عن مملكتهم بحسب التّكليف الا لهىّ والامر والنّهى الشّرعيّين اخبر عنهم بالمضارع الدّالّ على الاستمرار مسبوقاً بكان الدّالّ على انّه كان شأنهم وشغلهم

الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر قديماً ، و قدّمهما على الايمان لانّ حدوث الايمان المذكور كان بعد الامر والنّهى المذكورين ، اولانّ الامربالمعروف والنّهى عن المنكر يدلّان على الايمان فطريّهما على فطريّة وتكليفيّهما على تكليفيّه [وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ] و لمّا كان للايمان بالله درجات و المؤمن السّالك الى الله يحصل له كلّ يوم درجة من الايمان غير ما فى السّابق اتى بالايمان ايضاً مضارعاً دالّاً على التجدّد ، **وما قيل** : انّما اخّر الايمان مع انّه حقّه ان يقدّم لانّه قصد بذكره الدّلالة على انّهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايماناً بالله وتصديقاً به و اظهاراً لدينه **ليس فى محلّه** لانّ هذا المعنى يستفاد من التّقديم ايضاً بل مقتضى التّرتيب الذّكرىّ الدّلالة على انّهم آمنوا بالله لكونهم آمرين بالمعروف و ناهين عن المنكر كما بيّنّاه خصوصاً مع ملاحظة ما ورد عنهم انّ الواو فى القرآن يفيد التّرتيب مع انّ الاغلب انّ التّرتيب الذّكرىّ يكون للترتيب المعنوىّ. وعن الصّادق (ع) انّه قرء عليه كنتم خير امّة فقال : خير امّة يقتلون امير المؤمنين (ع) والحسن (ع) والحسين بن علىّ (ع) فقال القارى: جعلت فداك كيف نزلت ؟ـ فقال: نزلت كنتم خير ائمّة اخرجت للنّاس الاترى مدح الله لهم: تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله و الاخبار فى انّ النازل من الله خير ائمّة و انّ المراد بهم محمّد (ص) واوصياؤه كثيرة ، ولمّا كانت الامّة تطلق على من يؤتمّ به وعلى من يأتمّ بغيره يجوز ان يراد بالامّة معنى الائمّة ، و يجوز ان يكون مرادهم من خير ائمّة انّ الآية بهذا المعنى نزلت لا بالمعنى الّذى توهّموه [وَلَوْ آمَنَ اَهْلُ الْكِتابِ] عطف على قوله كنتم خير امّة اوعلى قوله تأمرون على ان يكون مستأنفاً وكان المناسب ان يقول ولوامر اهل الكتاب بالمعروف ونهوا عن المنكر وآمنوا [لَكانَ خَيْراً لَهُمْ] لكن لمّا لم يكن فطرتهم فطرة الامربالمعروف قبل الايمان ولاتكليفهم الامربالمعروف بعد الايمان الّا بعدالكمال فى الايمان وارادتعالى ان يقول: لوحصل لهم اصل الايمان من دون التفات الى الاستكمال فيه اقتصر على الايمان [مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ] كأنّه قيل : اما آمن منهم احد ؟ـ فقال جواباً له : منهم المؤمنون الّذين آمنوا بمحمّد (ص) قبل مبعثه و بعد بعثته مثل الانصار من يهود مدينة ومثل بعض النّصارى من اهل الحبشة واهل اليمن [وَاَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ] الخارجون من مقتضى دينهم و كتابهم ووصيّة نبيّهم و للاشارة الى هذا المعنى لم يقل اكثرهم الكافرون [لَنْ يَضُرُّوكُمْ] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل : هل يضرّ الفاسقون منهم بنا ؟ ـ فقال : لن يضرّوكم [اِلّا اَذىً] الّا ضرراً يسيراً هوالاذى فالاذى مفعول مطلق نوعىّ من غير لفظ الفعل و الاستثناء مفرّغ [وَاِنْ يُقاتِلُوكُمْ] يعنى ان فرض ضررالمقاتلة فالعاقبة لكم لانّهم ان يقاتلوكم [يُوَلُّوكُمُ الْاَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ] عطف على مجموع لن يضرّوكم (الى آخره) اوعلى جملة الشّرط والجزاء يعنى بعد الضّرر اليسير والمقاتلة لا ينصرون ، اوبعد المقاتلة لاينصرون ، ويجوز ان يكون ثمّ للترتيب فى الاخبار وقرئ لاينصروا مجزوماً معطوفاً على الجزاء والآية من الاخبار الآتية وتدلّ على نبوّة النّبىّ (ص) لوقوع المخبرعنه بعد الاخبار كما اخبر [ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ] المحيطة بهم كالبيت المضروب عليهم فى الدّنيا بالصّغار و الجزية كاليهود و النّصارى الّذين رضوا بالجزية او فى الانظار كاليهود الّذين لايوجدون الّا ذليلين فى الدّنيا فى الامصار والانظار اوبالمغلوبيّة بالحجّة ، او فى الآخرة و الاتيان بالماضى لتحقّق وقوعه [اَيْنَما ثُقِفُوا] وجدوا [اِلّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ] هوالفطرة الّتى

فطرالله النّاس عليها الّتى يعبّرعنها بالولاية التّكوينيّة الّتى هى الكتاب التّكوينىّ الا لهىّ الّذى كتابه التّدوينىّ ظهوره وبيانه [وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ] هوالاتّصال بالنّبىّ(ص) بالبيعة العامّة اوبالولىّ(ع) بالبيعة الخاصّة الولويّة ويعبّرعنه بالولاية التّكليفيّة ، نسب الى الصّادق(ع) انّه قال: الحبل من الله كتاب الله والحبل من النّاس علىّ بن ابى طالب(ع) [وَبَاۤؤُا] اى يرجعون الى الآخرة والتّأدية بالماضى للمشاكلة مع الافعال السّابقة والآتية ولتحقّق وقوعه [بِغَضَبٍ] عظيم [مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ] مشتقّ جعلىّ من المسكين وهو الّذى أسكنه الفقر من الحركة فى معاشه وهو اسوء حالاً من الفقير الّذى لايكون له ما يكفيه لمؤنته وتلك الاوصاف جارية على اليهود من زمن النّبىّ(ص) الى زماننا هذا فى جميع البلاد فانّه قلّما يوجد يهودىّ الّا وهوذليل ، والآيات نازلة فى اهل الكتاب لكنّها تعريض بالامّة المعرضة عن علىّ(ع) [ذٰلِكَ] المذكور من ضرب الذّلّة والمسكنة والبوء بالغضب [بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ] التّدوينيّة و الاحكام الا لٰهيّة الّتى كانت فى كتبهم وشرائعهم وبآيات الله التّكوينيّة من محمّدٍ (ص) وعلىّ(ع) ومعجزاتهما وانبيائهم فانّ كفرهم باقوال أنبيائهم فى محمّد(ص) وعلىّ(ع) كفر بهم والاتيان بالمضارع مع تخلّل كانوا للاشعار بانّ هذه كانت سجيّتهم وانّهم مستمرّون عليها لايمكنهم الانفكاك عنها [وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاۤءَ بِغَيْرِ حَقٍّ] التّقييد به للتّبيين اوللتّقييد باعتقادهم يعنى يتيقّنون انّ قتلهم كان بغير حقّ لا انّهم كانوا يشكّون اويظنّون اويوقنون انّه بحقّ [ذٰلِكَ] الكفر والقتل [بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ] اى بسبب عصيانهم و كونهم معتدين لانّ الاصرار على الصّغائر يفضى الى الكبائر و الكبائر تؤدّى الى الاكبر [لَيْسُوا سَوَاۤءً] اى ليس اهل الكتاب الّذين آمنوا و الفاسقون سواء فى احوالهم واعمالهم [مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ] مستأنفة جواباً لسؤالٍ مقدّر مثل الجمل السّابقة والآتية كأنّه قيل : ما حالهم المختلفة الغير المتساوية؟ اولم قلت: ليسوا سواء؟ـ فقال: منهم [أُمَّةٌ قَاۤئِمَةٌ] معتدلة فى احوالهم واخلاقهم واعمالهم او قائمة للعبادة و يكون حينئذٍ آناء اللّيل متنازعاً فيه [يَتْلُونَ] صفة بعد صفة اوحال اومستأنف [آيَاتِ اللهِ] يعنى يرغبون فى آيات الله وينظرون اليها ويتدبّرون فيها من كتبهم ومن القرآن [آنَاۤءَ اللَّيْلِ] جمع الانى بفتح الهمزة اوكسرها وسكون النّون او جمع الانو بالكسر و السّكون بمعنى السّاعة من اللّيل [وَهُمْ يَسْجُدُونَ] يخضعون لله وللخلق اوتلاوة الآيات ، والسّجود كناية عن صلوة العتمة اوصلوة اللّيل وقوله تعالى [يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] جملة مستأنفة اوصفة بعد صفة أوحال فى مقام التّعليل ، ويجوز ان يكون تأخيره عن التّلاوة والسّجود للاشعار بأنّه مسبّب عنهما والمعنى يؤمنون بالله على يد محمّدٍ (ص) بسبب تلاوة الآيات والسّجود [وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ] وللاشارة الى انّهم ليسوا معصومين ومفطورين على الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر بل هما يحصلان لهم بعد الايمان التّكليفىّ بالله اخّرهما ههنا عن الايمان بالله بخلاف الآية السّابقة فانّها كانت فى وصف الائمّة المفطورين على الامر بالمعروف قبل الايمان [وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ] من العبادات والاحسان الى العباد [وَأُولٰئِكَ] العظماء الموصوفون بتلك الاوصاف [مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ] يعنى فى الآخرة و الّا فالمؤمن مكفّر و ذلك انّ معروفه يصعد الى السّماء

فلا ينتشر فى النّاس ، والكافر مشكور وذلك أنّ معروفه للنّاس ينتشر فى النّاس ولا يصعد الى السّماء و تعدية يكفروه الى المفعولين امّا لتضمين معنى الحرمان اولتشبيه المنصوب الثّانى بالمفعول مثل زيد حسن الوجه بنصب الوجه وقرء تفعلوا ويكفروه بالخطاب والغيبة [وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بمدح آخرلهم و للاشارة الى انّ فعل الخير لايكون الّا عن التّقوى و هو بشارة للمؤمنين بانّ افعالهم الحسنة لاتعزب عن علم الله تعالى فيجازى لامحالة عليها [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] مستأنف جواب للسّؤال عن حال الصّنف الآخر من اهل الكتاب كأنّه قيل : قد عرفنا حال الامّة القائمة المؤمنة من اهل الكتاب فما حال الامّة الكافرة منهم؟! وانّما اخرج الكلام بصورة الجواب للسّؤال المقدّر مع انّ حقّه ان يقول: ومنهم امّة معوّجة يكفرون بالله حتّى يتمّ التعديل مع قوله من اهل الكتاب امّة قائمة اكتفاءً ببيان حالهم عن التّصريح بالتقسيم وتعميماً للحكم لجميع الكفّار مع الايجاز [لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ] اى لن تجاوز عنهم بالاغناء بتضمين مثل معنى المجاوزة [أَمْوالُهُمْ وَلاَ أَوْلادُهُمْ] اقتصر ممّا يغترّ به الانسان فيكفر بالله عليهما لانّهما اعزّ الاشياء عليه ولانّ اعتماده واستظهاره بهما اقوى واشدّ من غيرهما [مِنَ اللهِ] اى من سخط الله [شَيْئاً] من الله حال مقدّم ان كان شيئاً مفعولاً به ، اوقائم مقام الموصوف الّذى هو مفعول به ان كان شيئاً مفعولاً مطلقاً ولفظة من للتبعيض [وَأُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ] بمناسبة مقام السّخط بسط فى الكلام وغلّظ واكّد بمؤكّدات عديدة [مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ] اى الكفرة جواب لسؤال مقدّر والمعنى مثل القوى والمدارك والاعمار والاموال الّتى ينفقها هؤلاء الكفرة لان تكون ذخيرة وزرعاً لآخرتهم فى انفاقها فى غير مواقعها وفى جعلها فى محلّ لايصل نفعها اليهم، وفى هلاكها وفنائها قبل بلوغها مبلغ الانتفاع [فِي] زمان [هذِهِ الْحَيوةِ الدُّنْيا] اوفى حفظها اوابقائها [كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ] برد شديد [أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ] بجعل الزّرع فى موضع يهلك ويفنى قبل بلوغه ولايصل نفعه اليهم ، اوبزرعه فى غير وقته حتّى يدركه البرد فيهلكه والمعنى كمثل حرثٍ اصابته ريحٌ وقد مضى مكرّراً انّ التشبيه التمثيلىّ لايلزم التّرتيب بين اجزاء المشبّه والمشبّه به ولادخول اداة التّشبيه على المشبّه به اوالمعنى مثل ما ينفقون من اموالهم و اعمارهم وقواهم فى زمان الحيوة الدّنيا او فى حفظها فى اهلاك الحرث الاخروىّ التّكوينىّ الّذى زرع الله بذره فى وجودهم كمثل ريحٍ فيها برد شديد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالمعاصى عقوبة لهم، اوبوضع الحرث فى غير محلّه اوفى غير وقته [فَأَهْلَكَتْهُ] وافنته [وَما ظَلَمَهُمُ اللهُ] اى ماظلم الكفّار فى فناء منفقاتهم بلا منفعة لهم [وَلكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] بانفاقهم فى محلّ اوعلى وجهٍ اوبنيّةٍ لايصل منفعته اليهم ، اوالمعنى وماظلم الله قوماً اهلك الرّيح حرثهم ولكنّهم ظلموا انفسهم بزرع الحرث فى غيرمحلّه اوفى غير وقته اومع اسخاط الله بمعصيتهم لامع ارضائه بطاعتهم، وكان حقّ العبارة ان يقول: وماالله ظلمهم ولكنّهم يظلمون لانّه اذا اريد نفى الفعل عن فاعل مع اثباته لغيره ينبغى ان يقع الفاعل المنفىّ عنه عقيب اداة النّفى والفاعل مثبت له عقيب اداة الاستدراك لكنّه اراد ان يقول انّه لاظلم فى ابطال الانفاق ولا فى اهلاك هذا الحرث فأدخل النّفى على الفعل دون الفاعل افادة لهذا المعنى ، واثبت ظلماً لهم باعتبار منع انفسهم وقواهم عن حقوقها ، وحصر وقوع الظّلم على انفسهم اشعاراً بهذا المعنى [يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ والبيعة العامّة النبويّة وقبول الدّعوة الظّاهرة [لاتَتَّخِذُوا بِطانَةً] البطانة بكسر الباء خاصّة الرّجل من الرّجال اومن يتّخذه معتمداً عليه من

غير اهله يستوى فيه المذكّر والمؤنّث والواحد وغيره [مِنْ دُونِكُمْ] متعلّق بلاتتّخذوا ، ولفظة من ابتدائيّة ، اوصفة لبطانة ولفظة من تبعيضيّة ؛ والمعنى لاتتّخذوا خليلاً بعضاً من غيركم [لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً] اى لايقصرون الخبال و الفساد فيكم اولايتوانون فى الخبال فيكم و على اىّ تقدير فخبالاً تميز وضمير الخطاب مفعول به على الاوّل ومنصوب بنزع الخافض على الثّانى ، اوهما مفعولان بتضمين معنى المنع ومثله [وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ] اى عنتكم وهوشدّة الضرّ والمشقّة [قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ اَفْوَاهِهِمْ] فى ضمن كلامهم لعدم تمالكهم من شدّة البغض مع انّهم بنفاقهم يريدون ان يظهروا التّودّد لكم والجمل الثلاث اوصاف لبطانة اواحوال مترادفة اومتداخلة عنه لتخصّصه بقوله من دونكم اوعن فاعل لاتتّخذوا اوعن كليهما اومستأنفة فى مقام التّعليل [وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ] من البغضاء عليكم [اَكْبَرُ] ممّا يظهر من افواههم [قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ] والعلامات الدّالّة على بغضائهم لكم و شدّة عداوتهم فما لكم تتّخذونهم بطانة [إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ] ذوى عقول او تدركون بعقولكم تلك العلامات اجتنبتم موالاتهم [هَا اَنْتُمْ اُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ] انتم مبتدأ واولاء خبره وتحبّونهم حينئذٍ خبربعد خبر اوحال او مستأنفٌ اوانتم مبتدأ واولاء مفعول من باب الاشتغال وخبره الفعل المقدّر و تحبّونهم مفسّرٌ او انتم مبتدأ وتحبّونهم خبره واولاء بدل اومنادى، اواولاء بمعنى الّذين خبره وتحبّونهم صلة اولاء [وَلَا يُحِبُّونَكُمْ] تقريع لهم على موالاتهم [وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ] اى الكتاب المنزل عليكم ولستم كمن آمن ببعض وكفر ببعض وقد تكرّر فى الكتاب الآلهىّ النّهى عن اتّخاذ الكافرين اولياء لانّ من يتولّاهم فهومنهم والامر باتّخاذ المؤمنين اولياء فما لكم تؤمنون بالكتاب كلّه ولا تتّبعون هذا النّهى والامر فهوتهييج لهم على ترك موالاتهم، و ما قاله مفسّروا العامّة من انّ المعنى تؤمنون بكتابهم و كتابكم وهم لايؤمنون بكتابكم بعيد من سياق اللّفظ [وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا] وجهٌ آخر لردعهم عن موالاة الكفّار المخالطين لهم بانّهم يعاشرونهم على النّفاق ولا ينبغى للمؤمنين ان يوالى المنافق الّذى يكون ذالسانين [وَإِذَا خَلَوْا] عنكم [عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْاَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ] لعصبيّتهم لدينهم [قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ] الخطاب لمحمّد(ص) اولكلّ من يتأتّى منه الخطاب وهو دعاء عليهم بزيادة الغيظ و شدّته حتّى يهلكوا به ، اوبدوام الغيظ لقوّة الاسلام الى آخر اعمارهم ، او زجر لهم على غيظهم [إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] بما صحب الصّدور ولزمها فكيف لايعلم ما يظهر على الاعضاء فى الخلوات من مثل عضّ الانامل وهومن جملة مقول القول فى مقام تعليل الموت بالغيظ اوهو من الله وجواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: كيف يعلم الله عضّهم الانامل؟- فقال: انّ الله يعلم ماهو اخفى منه، اوقيل: كيف علمت يامحمّد(ص)؟- فقال: انّ الله يعلم ماهو اخفى منه فيخبرنى به [إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ] وجه آخر لردعهم عن موالاتهم [وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا] وهذه حالة العدوّ وحقّه العداوة لاالموالاة [وَإِنْ تَصْبِرُوا] عن موالاتهم مع خوفكم عن ايذائهم وعلى ايذائهم ان آذوكم [وَتَتَّقُوا] الله فى موالاتهم اوتتّقوا عنهم بان تكونوا على حذرٍ منهم حتّى لايصل اليكم اثر احتيالهم [لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً] فثقوا بالله ولا تكلوا على موالاتهم فى دفع مضرّاتهم [إِنَّ اللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ] فى موضع التّعليل قرء بالخطاب و بالغيبة [وَإِذْ غَدَوْتَ] عطف على

لا تتّخذوا اى و اذكروا يا محمّد (ص) ويا امّة محمّد (ص) اوذكّرهم يا محمّد(ص) بنصرة الله وتأييده فى مواطن عديدة حتّى تقوّيهم فلايخافون من الكفّار ولايولّوهم الادبار خوفاً منهم اذخرجت بالغداة [مِنْ اَهْلِكَ] الى جبل احدٍ [تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ] تنزل كلّاً فى مقامه اللائق به [مَقَاعِدَ] امكنة مناسبة [لِلْقِتَالِ] فانّ المقعد وان كان مأخوذاً من القعود يستعمل فى معنى الموقف والمقام من غير اعتبار قعود فيه كاستعمال المقام فى مطلق الموقف والمكان من غير اعتبار قيام فيه [وَاللهُ سَمِيعٌ] والحال انّ الله كان سميعاً لاقوالكم حين التّشاور [عَلِيمٌ] بنيّاتكم حين ترجيح بعضكم القتال فى المدينة وسككها وبعضكم الخروج الى خارج المدينة ، اوالمعنى انّ الله سميع لاقوالكم حين الفشل و الفرار عليم باحوالكم و نيّاتكم وهووعيد للمنافقين ووعد للصّادقين . نسب الى الصّادق(ع) انّه قال سبب غزوة احد انّ قريشاً لمّا رجعت من بدر الى مكّة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والاسر لانّه قتل منهم سبعون واسرمنهم سبعون قال ابوسفيان : يامعشر قريش لاتدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم فانّ الدّمعة اذا خرجت اذهبت الحزن والعداوة لمحمّد (ص)، وخرجوا من مكّة فى ثلاثة آلاف فارس والفى راجل واخرجوا معهم النّساء فلمّا بلغ رسول الله(ص) ذلك جمع اصحابه وحثّهم على الجهاد فقال عبدالله بن أبىّ: يا رسول الله لاتخرج من المدينة حتّى نقاتل فى ازقّتها فليقاتل الرّجل الضّعيف والمرأة والعبد والامة على افواه السّكك وعلى السّطوح فما ارادنا قوم قطّ فظفروا بنا ونحن فى حصوننا و دورنا وما خرجنا على عدوّ لنا قطّ الّا كان لهم الظّفر علينا ، فقام سعدبن معاذ وغيره من الاوس فقال : يا رسول الله ماطمع فينا احد من العرب ونحن مشركون نعبد الاصنام فكيف يظفرون بنا وانت فينا؟! لاحتّى نخرج اليهم نقاتلهم؛ فمن قتل منّا كان شهيداً ومن نجا منّا كان مجاهداً فى سبيل الله ، فقبل رسول الله(ص) رأيه وخرج مع نفرٍ من اصحابه يتبوّؤن موضع القتال كما قال سبحانه: واذغدوت من اهلك وقعد عنهم عبدالله بن ابىّ وجماعة من الخزرج اتّبعوا رأيه، ووافت قريش الى احد وكان رسول الله (ص) عبّأ اصحابه وكانوا سبعمائة رجل فوضع عبدالله بن جبير فى خمسين من الرّماة على باب الشّعب واشفق ان يأتيهم كمينهم من ذلك الشّعب فقال رسول الله(ص) لعبدالله واصحابه : ان رأيتمونا قد هزمناهم حتّى أدخلناهم مكّة فلا تبرحوا من هذا المكان ، وان رأيتموهم قد هزمونا حتّى ادخلونا المدينة فلا تبرحوا و الزموا مراكزكم ، ووضع ابوسفيان خالدبن وليد فى مأتى فارس كميناً؛ وقال : اذا رأيتمونا قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتّى تكونوا وراءهم (الى آخرماروى) [اِذْ هَمَّتْ] بدل من اذغدوت اوظرف لسميع وعليم [طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ] هما بنوسلمة من الخزرج وبنوحارثة من الاوس وكانا جناحى العسكر وقيل: كانتا طائفة من الانصار و طائفة من المهاجرين وكان سبب همّهم بالفشل انّ عبدالله بن ابىّ بن سلول دعاهما الى الرّجوع الى المدينة عن لقاء المشركين يوم احد فهمّا به ولم تفعلاه [اَنْ تَفْشَلَا] تضعفا وتجبنا [وَاللهُ وَلِيُّهُمَا] فلا يدعهما ان تفشلا وتفرّا وهوجملة حاليّة ، اوالمعنى والله وليّهما فلاينبغى لهما ان تفشلا [وَعَلَى اللهِ] لاعلى غيره كعبد الله بن ابىّ [فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ] عطف على قوله والله وليّهما او حال والمقصود الاشارة الى تعليل الامر بالتّوكّل وتعليل ولايته [بِبَدْرٍ] موضع بين المدينة ومكّة كان لرجل يسمّى بدراً فسمّى به [وَاَنْتُمْ اَذِلَّةٌ] فى انظار النظّار من حيث العدّة والعدّة اذكنتم قليلين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وكنتم رثّ الهيئة من حيث اللّباس ولم يكن فيكم سلاح ولا مراكب الّا قليلاً [فَاتَّقُوا اللهَ] فى الاعتماد على

الغير والاستمداد من الغير [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] تتّصفون بمقام الشّكر اوتشكرون نعمة نصرته لكم اوتنعّمون بنعمة اخرى من النّصروغيره فتشكرون على ان يكون تشكرون قائماً مقام تنعّمون من قبيل اقامة المسبّب اوالسّبب مقام السّبب اوالمسبّب [إِذْ تَقُولُ] ظرف لنصركم اوبدل من قوله اذهمّت اوبدل ثانٍ من قوله اذغدوت يعنى انّ الله كان سميعاً اذتقول [لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ] فى مقام الاستدلال على صدق النّبىّ(ص) ووعده ، اوفى مقام المحاجّة على الاعداء، اوفى مقام المقاتلة مع الاعداء، والاتيان بلن الدّالّة على تأبيد النّفى للاشارة الى انّهم ظنّوا بحسب غفلتهم وعدم تفكّرهم وضعف انتقالهم اوبحسب قلّة عددهم وعُددهم انّه لن يكفيهم ابداً [أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَى] محكىّ لقول النبىّ(ص) اوابتداء كلام من الله خطاباً لمحمّد(ص) وامّته كأنّه قال الله تعالى بلى يكفيكم فهى ايجاب للكفاية وليس قوله تعالى [إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا] بياناً لما افادته بلى بل هووعد لهم بالزّيادة على هذا العدد فى الامداد بشرط الثّبات والتّقوى عن الفشل والفرار فان تصبروا [وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا] الفورمصدر فار اذا غلى استعير للسّرعة ثمّ استعمل فى الزّمان الحاضر الّذى لاتراخى فيه اصلاً، اومن فوران الغضب يعنى ان يأتوكم من اجل شدّة غضبهم [يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوَّمِينَ] معلّمين بعلامات يمتازون بها عن غيرهم وقرئ بكسر الواو من سوّم على القوم اغار عليهم ويستفاد من بعض الاخبار انّه كما كان النّصر ببدر كان هذا الوعد ايضاً ببدر وانّ الملائكة النّازلة كانت اوّلاً ثلاثة آلاف ثمّ لحق بهم الفان ، وفى بعض الاخبار اشارة الى انّ هذا الوعد كان فى غزوة احد [وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ] اى امدادكم بالملائكة [إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ] عن الاضطراب [بِهِ] يعنى ماكان المقصود من الامداد بالملائكة الّا البشارة لكم لتسرّوا قبل الظّفر ولتطمئنّ قلوبكم قبل ان تقرّعيونكم بالغلبة والقتل لانّ الانظار البشريّة على الاسباب الحسيّة [وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ] من غير توسّط اسباب وآلات ومن دون الحاجة الى امداد واستعداد [الْعَزِيزِ] الّذى لا يمنع من مراده [الْحَكِيمِ] الّذى لاينصر ولايخذل الّا لحكم ومصالح عائدة اليكم [لِيَقْطَعَ] متعلّق بقوله لقد نصركم الله اوبقوله يمددكم اوبالنّصرفى قوله وما النّصر الّا من عندالله او متعلّق بمحذوف اى جعل هذا النّصر لكم ليقطع [طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالقتل والاسر كما وقع فى بدر [أَوْ يَكْبِتَهُمْ] كبته صرعه و اخزاه وصرفه وكسره وردّه بغيظه و اذلّه والكلّ مناسب و لفظة او للتّنويع [فَيَنْقَلِبُوا] يرجعوا [خَائِبِينَ] غير نائلين من آمالهم شيئاً [لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ] جملة معترضة بين المتعاطفات وقطع لظنّ المؤمنين فى انّ امر اهلاك المشركين اواحياءهم بايمانهم منوط بمسئلة النّبىّ(ص) [أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ] الظّاهر انّه عطف على ما قبل قوله ليس لك من الامر شيء ويجوز ان يكون عطفاً على الامر اوعلى شيءٍ بتقدير ان ويجوز ان يكون اوبمعنى حتّى بتقدير ان اى ليس لك من امرهم شيءٍ حتّى يتوب الله عليهم بمسئلتك ، اويكون بمعنى الّا بتقدير ان اى ليس لك من امرهم شيء الّا ان يتوب الله عليهم فتسرّ بتوبته وعلى التّقادير الاربعة فقوله ليس لك من الامر يكون منقطعاً جواباً لسؤال مقدّر [أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ] نسب الى الباقر(ع) انّه قرء ان تتوب عليهم اوتعذّبهم باظهار ان ولفظ الخطاب ونسب اليه

ايضاً انّه قرء ان يتب عليهم اويعذّبهم وعنه(ع)انّه قرئ عنده ليس لك من الامر شيء قال بلى والله انّ له من الامر شيئاً وشيئاً وليس حيث ذهبت ولكنّي اخبرك انّ الله تعالى لمّا اخبر نبيّه(ص)ان يظهر ولاية عليّ(ع)ففكّر في عداوة قومه له فيما فضّله الله به عليهم في جميع خصاله و حسدهم له عليها ضاق عن ذلك فاخبرالله انّه ليس له من هذا الامر شيء انّما الامر فيه الى الله ان يصيّر عليّاً وصيّه ووليّ الامر بعده فهذا عنى الله وكيف لا يكون له من الامر شيء وقد فوّض الله اليه ان جعل ما احلّ فهوحلال وماحرّم فهوحرام قوله تعالى ماآتاكم الرّسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا،وروى عنه(ع) ايضاً انّ رسول الله(ص) كان حريصاً على ان يكون عليّ(ع)من بعده على النّاس وكان عندالله خلاف ما اراد فقال له : ليس لك من الامر شيء يا محمّد(ص) في عليّ(ع)الامر اليّ في عليّ(ع) وفي غيره الم انزل عليك يامحمّد(ص)فيما انزلت من كتابي اليك الم احسب النّاس ان يتركوا ان يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون قال ففوّض رسول الله(ص) الامر اليه [وَلِلّٰهِ] من حيث كونه فاعلاً وغاية ومالكاً [مَا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِي الْأَرْضِ] بعد مانفى كون الامر بيده اثبت مخلوقيّة الجميع ومملوكيّتها ورجوعها اليه تعالى [يَغْفِرُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشٰاءُ] يعني امر مغفرتهم وتعذيبهم بيده تعالى [وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] ترجيح لجانب الغفران و ردع له (ص) و للمؤمنين عن التّبادر الى الدّعاء و اللّعن عليهم وتغليب للرّجاء على الخوف [يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] ابتداء كلام لابداء حكم من احكام السّياسات وانّما صدّره بالنّداء ليجبر كلفة النّهي عمّاهم عليه من الرّباء بلذّة النّداء والخطاب [لٰا تَأْكُلُوا الرِّبٰوا] لاتأخذوها وقد شاع استعمال الأكل في مطلق الاخذ و التصرّف امّا لانّ الأكل عمدة افراد التصرّف او لانّ كلّ تصرّف اكل لقوّة من القوى [أَضْعٰافاً] جمع الضّعف بمعنى مثلي الشّيء [مُضٰاعَفَةً] تأكيد للتضعيف والمعنى امثال ماعيّنتموه في المدّة الاولى اومن شأنه ان يصير امثال اصل المال في يسير زمان بتكرار الاجل و تكرار الزّيادة كماكانوا في السّابق يربي الرّجل منهم الى اجل ثمّ يزيد فيه زيادة اخرى وهكذا حتّى يستوفي بالشّيء اليسير في الزّمان القليل جميع مال المديون فهو نهي عن اقبح افراده اونهي عنه مطلقاً ببيان قبحه الشّأنيّ حتّى يكون علّة للنّهي وليس تقييداً للنّهي حتّى يكون بمفهوم مخالفته منافياً لما سبق في سورة البقرة من النّهي عنه مطلقاً ضمناً ولما يأتي في سورة النّساء من التّصريح بالنّهي عنه مطلقاً [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] في ارتكاب ما نهيتم عنه من الرّبوا [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَاتَّقُوا النّٰارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكٰافِرِينَ] بالتجنّب عن مثل افعالهم من اكل الرّبوا و غيره و قد سبق وجه تحريم الرّبوا في سورة البقرة عند قوله تعالى واحلّ الله البيع وحرّم الرّبوا ، وبعد مانهي عمّا يضرّ الانسان ويجرّه الى النّيران اغراه الى ما ينفعه و يجرّه الى الجنان فقال [وَأَطِيعُوا اللّٰهَ] بطاعة الرّسول فيما امركم به و نهاكم عنه و لذلك لم يكرّر اطيعوا وقال [وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] قد سبق انّ الاتيان بادوات التّرجّي من عادة الكبار من النّاس وانّ التّرجّي من الله واجب غير متخلّف عنه [وَسٰارِعُوا] بالمسارعة الى طاعة الرّسول والاهتمام بها [إِلىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰاتُ وَالْأَرْضُ] .

وجه التّعبير عن عرض الجنّة بعرض السّموات والارض

اعلم انّ العرض و الطّول فى المسطّحات عبارة عن اقلّ الامتدادين واكثرهما ، وفى المجسّمات عبارة عن اقصر الامتدادات الثّلاثة واطولها ، والعرض فى الاسطوانات والمخروطيّات عبارة عن امتداد قواعدها والطّول فيها عبارة عن امتداد سهامها، ولمّا كان عوالم الامكان مبتدئةً من المشيّة الّتى هى الوحدة الحقّة الظّلّية الّتى هى كالنّقطة فى عدم تطرّق الكثرة اليها منتهية الى عالم الاجسام الّذى هو لكثرته مثل قاعدة المخروط شبّه العوالم الطوليّة بالمخروط المنتهى من طرفٍ الى النّقطة ومن طرفٍ الى القاعدة، ولمّا كان عالم الطّبع بكثرته مثل قاعدة المخروط فى كثرتها وقد علمت انّ عرض المخروط عبارة عن قطر قاعدته قال تعالى : عرضها نفس السّموات والارض من غير تخلّل اداة التّشبيه ، ولمّا كان هذه كلّها على طريق تشبيه المعقول بالمحسوس قال فى سورة الحديد : سابقوا الى مغفرة من ربّكم وجنّة عرضها كعرض السّماء والارض بتخلّل اداة التّشبيه .

ثمّ اعلم انّ سعة عالم الطّبع ومكانه وعاء لسعة العوالم العالية كما انّ زمانه وعاء لامد بقائها وكما انّ سعة الدّهر الّذى هو امد بقاء العوالم العالية بالنّسبة الى الزّمان اضعاف الزّمان بالف اوبخمسين الفاً لانّ يوماً من الدّهر الّذى وعاءه ومظهره يوم من الزّمان كالف سنة فى المرتبة الاولى او كخمسين الف سنة فى المراتب الاُخر كذلك سعة وعاء العوالم العالية الّذى هو بمنزلة مكان عالم الطّبع بالنّسبة الى المكان الّذى هو وعاء ومظهر لوعاء العوالم العالية اضعافه بالف اوخمسين الفاً ، وهذه السّعة غير السّعة بحسب الكثرة فلا ينافى تشبيه عالم الطّبع بالقاعدة فى الكثرة والعوالم العالية بالنّقطة فى الوحدة [أُعِدَّتْ] صفة بعد صفة اوحال بتقدير قد اومستأنف جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل، لمن هذه الجنّة؟ـ فقال: اعدّت [لِلْمُتَّقِينَ] قد مضى فى اوّل سورة البقرة بيان مراتب التّقوى فانّ التّقوى الحقيقيّة هى الّتى تكون بعد الايمان و اوّل مراتبها التّقوى عن نسبة شيءٍ من الاموال و الافعال الى نفسه وآخر مراتبها التّقوى عن ذاته بحيث لايبقى له ذات وانانيّة وهى آخر مراتب العبوديّة واوّل مراتب الرّبوبيّة [الَّذِينَ يُنْفِقُونَ] من الاموال والابدان والاعراض والقوى والاوصاف والانانيّات [فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ] اى فى جميع الاحوال لا يمنعهم حال من الاحوال من الانفاق وهذا بيان للمتّقين و ليس تقييداً له كما عرفت [وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ] الحابسين له ، والاوصاف الثّلاثة بيان لبعض مراتب الانفاق لانّ كظم الغيظ فى الحقيقة انفاق من سورة القوّة الغضبيّة كما انّ العفوعن النّاس وطهارة القلب عن الحقد عليهم والانزجار من اساءتهم ثمّ الاحسان اليهم بعد اساءتهم انفاق من سورة كبرياء النّفس وانانيّتها [وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ] العفو ههنا بمعنى الصّفح فانّهما كالفقراء والمساكين لانّ كظم الغيظ بمعنى العفو و ترك الانتقام و قد ذكر فالعفو بمعنى الصّفح الّذى هو تطهير القلب عن الحقد على المسيء .

تحقيق مراتب النّاس فى القصاص وتركه

[وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] حقّ العبارة ان يقول و المحسنين لكنّه عدل اليه لافادة القسيم وكونه محبوباً لله باخصر لفظٍ ، ولمّا كان الممدوح من هذه الثّلاثة ماكان سجيّة و ماكان منها صادراً عن سجيّة اتى بها اسماء بخلاف الانفاق فانّ المقصود والممدوح منه حدوث الفعل وطرح الفضول ونفع الغير وان كان سجيّته ايضاً ممدوحة ولذلك اتى به فعلاً دالّاً على التّجدّد الاستمراريّ وقد اشار تعالى بهذه العبارة الوجيزة الى مراتب التّقوى ومنازل السّلوك؛ فانّ **اولى مراتب التّقوى** و السّلوك الانزجار عن فضول الدّنيا و مساوى النّفس وهو نحو انفاق من تشهيّات النّفس ثمّ انفاق الفضول

وطرح شهوات النّفس و فى هذه المرتبة يباح له القصاص عن المسيء لكنّه ينهى عن الزّيادة على قدر الاساءة وهو ايضاً تقوى و انفاق من القوّة الغضبيّة وامضائها فانّها لاتقف فى مقام مكافاة المسيء على حدّ وهذه المرتبة لهادرجات عديدة، و **ثانيتها** مقام كظم الغيظ وترك امضاء الغضب على المسيء ولهذه المرتبة ايضاً درجات ، و **ثالثتها** العفوعن المسيء وتطهير القلب عن الحقد عليه ولا يكون الّا اذا حصل للسّالك مقام الشّهود و العيان وشاهد الحقّ الاوّل فى مظهر من مظاهره ولهذه المرتبة ايضاً درجات وفى هذه المرتبة مهالك عديدة ومفاسد غير محدودة وكلّ من زاغ وانحرف الى مذهب من المذاهب الباطلة نشأ انحرافه من هذه المرتبة و آخرة درجاتها آخرة درجات العبوديّة واوّل ظهور الرّبوبيّة وهو مقام الاحسان و مقام المحبوبيّة لله [وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً] عطف على الّذين ينفقون و الفاحشة تطلق على الزّنا مخصوصاً وعلى ما يشتدّ قبحه مطلقاً و على كلّ ما نهى الله عزّ وجلّ عنه [أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ] الظّاهر المتبادر ان يكون المراد بالفاحشة البالغ فى القبح و بظلم النّفس مطلق القبيح حتّى يكون من قبيل ذكر العامّ بعد الخاصّ اوالغير البالغ فى القبح حتّى يكون قسيماً للفاحشة لكنّه نسب الى النّبىّ (ص) انّه فسّر الفاحشة بالزّنا وظلم النّفس بارتكاب ذنب اعظم من الزّنا وانّ الآية نزلت فى شابّ كان ينبش القبور سبع سنين حتّى نبش قبر جارية من بنات الانصار و اخذ كفنها ثمّ جامعها فسمع صائتا يقول من ورائه : يا شابّ ويلك من ديّان يوم الدّين يوم يقفنى وايّاك كما تركتنى عريانة فى عساكر الموتى ونزعتنى من حفرتى وسلبتنى اكفانى وتركتنى اقوم جنبةّ الى حسابى فويل لشبابك من النّار، فندم واتى النّبىّ (ص) باكياً متضرّعاً ولمّا علم النّبىّ (ص) بحاله بعد استعلام حاله نحّاه من عنده فيئس وخرج الى بعض الجبال وتضرّع على الله اربعين صباحاً حتّى انزل الله تعالى قبول توبته وانزل هذه الآية على نبيّه (ص) فخرج مع اصحابه فى طلبه فدلّوه عليه فجاء اليه ودنا منه واطلق يديه من عنقه ونفض التّراب من رأسه وقال: يا بهلول ابشر فانّك عتيق الله من النّار [ذَكَرُوا اللَّهَ] يعنى لم يكن الفاحشة او ظلم النّفس من التّمكّن فى الجهل بل كان من اللّمم النّازلة بالعباد المغفورة لانّها لم تكن كبيرة كما سبق انّ الكبيرة ماكان صادراً من التّمكّن فى اتّباع الطّاغوت وامّا اذا كان الانسان متمكّناً فى اتّباع علىّ (ع) و ولايته فكلّما صدر عنه من المساوى فهو من قبيل اللّمّات ومن الصّغائر وهذا الانسان كلّما يوقعه الشّيطان فى قبيح يتذكّر الله لامحالة ويندم على قبيحه و يستغفر ربّه و ما ورد فى الاخبار من انّ الاصرار ان يذنب الذّنب فلا يستغفر الله ولا يحدّث نفسه بتوبة ، ومن قوله (ع) : لاصغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار، ومن قول النّبىّ (ص) : ما اصرّ من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرّة ، وغير ذلك ممّا ورد فى بيان الكبائر والصّغائر يشعر بما ذكرنا فصاحبوا الصّغيرة هم الّذين اذا فعلوا فاحشة ایّ فاحشة كانت ذكروا الله [فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ] وصاحبوا الكبيرة هم الّذين اذا فعلوا فاحشة لم يتذكّروا ولم يستغفروا الله لذنوبهم، وما ورد من تعداد الكبائر وحصرها فى السّبعة اواكثر انّما هو للاشارة الى الكبارة بنسبة بعضها الى بعض [وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ] معترضة اوحاليّة والمقصود تأييس العباد عن التوجّه الى غيره تعالى والاستغفار ممّن سواه وتوصيفه تعالى بسعة المغفرة مع حصرها فيه [وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا] عطف على قوله استغفروا لذنوبهم، والاصرار على المعصية كما علم سابقاً توطين النّفس على المعصية من دون احداث توبة سواء صدرت عنه مكرّرة ام لا كما انّ الكبيرة هى المعصيه الصّادرة عن تمكين النّفس فى الجهل واتّباع الطّاغوت [وَهُمْ يَعْلَمُونَ] يعنى لم يصرّوا على الفاحشة اوظلم انفسهم و الحال انّهم كانوا يعلمون بقبح فعلهم يعنى انّ مناط

صدق الاصرار على القبيح هوعلم الفاعل بقبحه لاقبحه فى نفس الامر فلو اشتبه الاجنبيّة واصرّ على المضاجعة معها لم تكن معصية ولا الاصرار عليها اصراراً على القبيح [أُولٰئِكَ] الاتيان باسم الاشارة البعيدة لاحضارهم باوصافهم العظيمة ولتفخيم شأنهم [جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ] هذه الجملة تأكيد لما استفيد من قوله اعدّت للمتّقين فانّه افاد انّ الجنّة والمغفرة جعلت نزل المتّقين لانّهاكانت جزاءهم و لكونها فى مقام التّأكيد اتى بها مؤكّدة باسميّة الجملة وتكرار النّسبة بجعلهاذات وجهين كبرى وصغرى وبسط فى الكلام ولم يكتف بذكر المغفرة والجنّة وجمع الجنّات ووصفها بقوله تعالى [تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا] و مدحها بما يرتفع المنّة به عنهم وانّها اجرعملهم فقال : [وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ] المغفرة والجنّات،روى انّه لمّا نزلت هذه الآية صعد ابليس جبلاً فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا اليه فقالوا : ياسيّدنا لما دعوتنا؟ـ قال : نزلت هذه الآيه فمن لها ؟ـ فقام عفريت من الشّيطان فقال : انالها بكذا وكذا ، قال لست لها ، فقام آخر فقال مثل ذلك ، فقال : لست لها ، فقال الوسواس الخنّاس : انالها ، قال بماذا ؟ـ قال اعدهم وامنّيهم حتّى يواقعوا الخطيئة فاذا واقعوا الخطيئة انسيتهم الاستغفارفقال : انت لها ، فوكّله بها الى يوم القيامة [قَدْ خَلَتْ] استيناف جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل : هذا للمتّقين فما لغيرهم ؟ـ فقال : قد خلت اى مضت [مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ] جمع السّنّة وهى السّيرة والطّريقة والمقصود انّه مضت طرائق كانت عليها الامم الماضية من المتّقين المصدّقين والفاسقين المكذّبين [فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ] اى ارض عالم الطّبع لاستعلام سير المصدّقين والمكذّبين حتّى تعلموا حالهما وعملهما وصنع الله فيهما وفى اعقابهما فى الدّنيا والآخرة بمشاهدة آثار صنع الله بهما وباستعلام اخبار الانبياء بحالهما فى الآخرة ثمّ تفكّروا [فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ] حتّى تعتبروا من حالهم وتجتنبوا امثل افعالهم، اوسيروا فى ارض القرآن والكتب السّماويّة، اوفى ارض اخبار الانبياء واوصيائهم، اوفى ارض السّير والتّواريخ ، اوفى ارض وجودكم وعالمكم الصّغير فانّ اهل عالمكم الماضين كلّ منهم فى مقامهم كانوا مدّعين للانانيّة والاستقلال ومكذّبين بلسانهم الحالىّ لمن يقول انتم فى الطّريق والهلاك من هذه الحيوة ولابدّ لكم الفناء من هذا الوجود ثمّ البقاء والحيوة بوجود آخر اشرف واكمل [هٰذَا] القرآن بآياته اوهذا المذكور من ذكر حال المتّقين ومآلهم وذكر المكذّبين والاشارة الى عاقبتهم الفضيحة ، اوهذا المذكور من السّنن الماضية من المتّقين والمكذّبين، اوالسّير فى الارض ، اوفضيحة عاقبة المكذّبين [بَيَانٌ] اى ظاهر او مظهر او اظهار [لِلنَّاسِ] عامّة [وَهُدًى] هاد اوهداية [وَمَوْعِظَةٌ] واعظ اووعظ [لِلْمُتَّقِينَ] خاصّة فانّ شرط الهداية والوعظ قبول القابل لانّهما امران اضافيّان [وَلَا تَهِنُوا] عطف على سارعوا لانّ الفاصل بينهما من متعلّقات المعطوف عليه اى لاتضعفوا عن الجهاد بمااصابكم يوم احد وقداصبتم مثليه يوم بدر [وَلَا تَحْزَنُوا] على قتلاكم لانّهم بلغوا بالقتل مقاماتهم العالية من الجنان وعانقوا ازواجهم من الحور العين، ولاعلى مافات منكم من الغنيمة [وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ] بالصّعود على الجبل اوانتم الاعلون شأناً لانّكم على الحقّ وعدوّكم على الباطل وقتلاكم فى الجنّة و قتلاهم فى النّار ، اوانتم الاعلون فى العاقبة بالغلبة عليهم وعلى ايّ تقدير فهو تسلية **قيل:** نزلت الآية تسليةً للمؤمنين لمانالهم يوم احد من القتل والجراح ، وقيل : لمّا انهزم المسلمون اقبل خالدبن وليد بخيلٍ من

المشركين يريد ان يعلوعليهم الجبل فقال النّبىّ (ص) لايعلنّ علينا ووثب نفررماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتّى هزموهم وعلاالمسلمون الجبل ونزلت الآية ، وقيل: نزلت بعد يوم احدٍ حين امرالله رسوله (ص) بطلب القوم وقد أصابهم من القتل والجراح ما أصابهم وقال رسول الله (ص) لايخرج الّا من شهد معنا بالامس فاشتدّ ذلك على المسلمين فنزلت الآية [إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] يعنى ان كنتم باقين على الايمان كنتم اعلون اوهو شرط تهييجىّ لقوله : لاتهنوا [إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ] قرئ بالفتح والضمّ وهمامصدران ، اوالقرح بالفتح مصدر وبالضمّ اسم المصدر بمعنى الم الجراح [فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ] ببدراوفى تلك الغزوة [وَتِلْكَ الْأَيَّامُ] اى ايّام الغلبة والسّرور والنّعمة فانّه يكنّى بالايّام عن النّعمة والسّرور فيقال: هذه ايّام فلان يعنى وقت سروره ونعمته [نُدَاوِلُهَا] اى نديرها بالنّوبة [بَيْنَ النَّاسِ] فنعطى السّرور والظّفروالغنيمة يوماً للمؤمنين و يوماً للكافرين لئلّا يغترّ المؤمنون و يسكنوا الى الدّنيا و يجعلوا ايمانهم وسيلة لراحة دنياهم ولئلّا يدخل المنافقون فى الاسلام طلباً للدّنيا فيزاحموا الانبياء و يفتنوا المؤمنين [وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا] اى ليظهرعلمه بالّذين اسلموا حقيقةً اوليعلم نبيّه الّذى هو مظهراسمه الجامع الّذى هو الله ولذلك التفت من التّكلّم الى الغيبة [وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ] بالابتلاء والامتحان [شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ] او امناء فى الشّهادة او رجالاً لا يغيب عن علمهم شيء كالاوصياء والاولياء اوقتلى فى سبيل الله و يظهرظلم الظّلمة منكم ومن الكفّار بسبب الغلبة والمغلوبيّة واكتفى عنه بقوله [وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ] فانّه يدلّ عليه مع شيءٍ زائد والمراد بنفى المحبّة فى مثل المقام اثبات الغضب عليهم كما مرّ مراراً [وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا] من الاهوية والاغراض الفاسدة بسبب المغلوبيّة و من الذّنوب بسبب تحمّل الاذى ، اوليميز الله الّذين آمنوا من الّذين كفروا ممّن انتحل الاسلام ، اوليميز الله الّذين آمنوا من الّذين كانوا كافرين باعلان كلمة المؤمنين [وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ] من حيث ذواتهم باهلاك بعض واسربعض و اجلاء بعض ، اومن حيث كفرهم بادخالهم طوعاً اوكرهاً فى الاسلام [أَمْ حَسِبْتُمْ] اضراب عمّا يستفاد من تلك التّسلية سواء جعل ام بمعنى بل مع الهمزة اوبمعنى بل فقط كأنّه قال: ماتثبّتّم على الايمان وعلى الجهاد بل حسبتم [أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ] لمّا يظهرجهاد منكم فلم يظهر على الله بجهادكم او لم يعلم الله الجهاد منكم فى مقام مظاهره الّذين هم الانبياء (ع) واوصياؤهم والفرق بين لم و لمّا انّ لم لنفى الماضى من غير التفاتٍ الى استمراره الى الزّمان الحاضر و من غير ترقّب وقوع المنفىّ بعد الزّمان الحاضر، ولمّا لنفى الماضى مع الاستمرار الى الزّمان الحاضروترقّب وقوع المنفىّ بعده؛ والجملة حاليّة، [وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ] على الجهاد او عن الجهاد و قرىء بالنّصب باضمار ان بعد الواو بمعنى مع ، و بالرّفع على ان يكون الجملة حالاً بتقدير مبتدءٍ اوعلى ان تكون معطوفة على لمّا يعلم الله ، ويكون المعنى ويعلم الصّابرين عن الجهاد و لمّا يعلم المجاهد [وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ] بالشّهادة والجملة حاليّة، روى انّ المؤمنين لمّا اخبرهم الله تعالى بالّذى فعل بشهدائهم يوم بدر فى منازلهم فى الجنّة رغبوا فى ذلك فقالوا : اللّهمّ ارنا قتالاً نستشهد فيه فاراهم الله يوم احدٍ ايّاه فلم يثبتوا الّا من شاء الله منهم وانهزموا وفرّوا عن القتل والموت فقال تعالى: ولقد كنتم تمنّون الموت ببدرٍ [مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ] بمشاهدة قتلاكم من اخوانكم

المؤمنين وضمير تلقوه و رأيتموه راجع الى الموت باعتبار لقاء اسبابه ورؤية اسبابه [وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ] ترون الموت باعينكم فيكون تأكيداً لرأيتموه لرفع احتمال ان يكون المراد رؤية القلب او تتفكّرون او تتأنّون [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ] اى مضت [مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ] بالموت اوالقتل فيخلو لا محالة [أَفَإِنْ مَاتَ] باجله من دون اسباب خارجيّة وآلات قتّالة فانّ المتبادر من الموت هذا خصوصاً حين استعماله مقابل القتل وقد اشير فى الاخبار وصرّح بأنّه غير القتل [أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ] عن الدّين [عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ] شبّه الرّاجع عن الدّين الّذى هوطريق النّفس بالرّاجع عن الطّريق الظّاهر وانّما قال على اعقابكم للاشارة الى انّ الانسان ان ارتدّ عن دينه كان وجهه الى مقصده بحسب فطرته مثل من ارتدّ عن طريق على عقبه حيث يكون وجهه الى مقصده الاوّل و ذكر فى نزول الآية انّه لمّا فشا يوم احد فى النّاس انّ محمّداً (ص) قتل قال بعض المسلمين ليت لنا رسولاً الى عبدالله بن ابىّ فيأخذ لنا اماناً من ابى سفيان ، وبعضهم جلسوا والقوا مابايديهم وقال اناس من اهل النّفاق : ان كان محمّد (ص) قد قتل فالحقوا بدينكم الاوّل فقال انس بن نضر عمّ انس بن مالك : يا قوم ان كان قد قتل محمّد (ص) فانّ ربّ محمّد (ص) لم يقتل وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله (ص) فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله (ص) وموتوا على مامات عليه ، ثمّ انّ رسول الله (ص) انطلق الى الصّخرة وهو يدعو النّاس فاوّل من عرف رسول الله (ص) كعب بن مالك قال : فناديت بأعلى صوتى : يا معاشر المسلمين ابشروا فهذا رسول الله (ص) فاشار الىّ ان اسكت فانحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم النّبىّ (ص) على الفرار فقالوا : فديناك بآبائنا و امّهاتنا اتانا الخبر بانّك قتلت فرعبت قلوبنا فولّينا مدبرين فأنزل الله تعالى : وما محمّد الّا رسول قد خلت من قبله الرّسل (الى آخر الآية) وكان سبب هزيمة المسلمين يوم احد انّ رسول الله (ص) لمّا سمع اجتماع المشركين لحربه وكانوا ثلاثة الاف فارس والفى راجل واخرجوا معهم النّساء جمع اصحابه وحثّهم على الجهاد و منع عبدالله بن ابىّ اصحابه عن الخروج و قال سعد بن معاذ و امثاله : نخرج من المدينة و قبل رسول الله (ص) رأيه وخرج من المدينة ووضع رسول الله عبدالله بن جبير على باب الشّعب واكّد عليهم فى ثباتهم فى مراكزهم ووضع ابوسفيان خالد بن وليد فى مأتى فارس كميناً وقال: اذا اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشّعب حتّى تكونوا وراءهم وعبّأ رسول الله (ص) اصحابه ودفع الرّاية الى اميرالمؤمنين (ع) فحمل الانصار على مشركى قريش فانهزموا هزيمة قبيحة ووقع اصحاب رسول الله (ص) فى سوادهم وانحطّ خالد بن وليد فى مأتى فارس على عبدالله بن جبير فاستقبلوهم بالسّهام فرجع ونظر اصحاب عبدالله بن جبير الى اصحاب رسول الله (ص) ينهبون سواد القوم فقالوا لعبدالله: قد غنم أصحابنا ونبقى نحن بلاغنيمة.. !؟ فقال لهم عبدالله: اتّقوا الله فانّ رسول الله (ص) قد تقدّم الينا ان لانبرح فلم يقبلوا منه واقبلوا ينسلّ رجل فرجل حتّى خلّوا مراكزهم وبقى عبدالله بن جبير فى اثنى عشر رجلاً و انحطّ خالد بن وليد على عبدالله بن جبير و اصحابه فقتلهم على باب الشّعب ثمّ أتى المسلمين فى ادبارهم ونظرت قريش فى هزيمتها الى الرّاية قد رفعت فلاذوا بها وانهزم اصحاب رسول الله (ص) هزيمة عظيمة واقبلوا يصعدون فى الجبال وفى كلّ وجه [وَمَنْ يَنْقَلِبْ] عن دينه [عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا] بل يضرّ نفسه ويهلك حرثه ونسله [وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ] يعنى ومن يثبت على دينه ويذهب على استقامة طريقه فهو شاكر ورابح وسيجزى الله الشّاكرين و انّما اقتصر على هذا لافادته ايّاه مع شيء زائد باخصر لفظ وانّما كان الثّابت الذّاهب مستقيماً شاكراً لصرفه نعم الله الّتى هى مداركه وقواه وبدنه واعضاؤه وعلمه وشعوره

فيما خلقت لاجله ، ولحفظه حقّ المنعم وعظمته فى انعامه حين صرف نعمه فيما خلقت له ، والمراد بالشّاكرين هٰهنا علىّ(ع) ونفر يسير بقوا عند رسول الله(ص) حين انهزم المسلمون، روى عن الصّادق(ع) انّه لمّا انهزم المسلمون يوم احد عن النّبىّ انصرف اليهم بوجهه وهو يقول: انا محمّد انا رسول الله لم اقتل ولم امت، فالتفت اليه بعض الصّحابة فقال: الان يسخر بنا ايضاً وقد هزمنا وبقى معه علىّ(ع) وابو دجانة رحمه الله فدعاه النّبىّ(ص) فقال: يا ابا دجانة انصرف وانت فى حلٍّ من بيعتك فامّا علىّ (ع) فهو انا وانا هو فتحوّل وجلس بين يدى النّبىّ و بكى و قال : لا والله و رفع رأسه الى السّماء وقال : لا والله لاجعلت نفسى فى حلٍّ من بيعتى ، انّى بايعتك فالى من انصرف يا رسول الله(ص)؟! الى زوجةٍ تموت ؟ اوولدٍ يموت؟ اودارتخرب ؟ ومال يفنى ؟ واجل قد اقترب ؟ فرقّ له النّبىّ فلم يزل يقاتل حتّى قتل فجاء به علىّ (ع) الى النّبىّ(ص) فقال : يا رسول الله (ص) اوفيت ببيعتى ؟ - قال : نعم ، و قال له النّبىّ (ص) خيراً وكان النّاس يحملون على النّبىّ (ص) الميمنة فيكشفهم علىّ (ع) فاذا كشفهم اقبلت الميسرة الى النّبىّ (ص) فلم يزل كذلك حتّى تقطّع سيفه بثلاث قطع فجاء الى النّبىّ (ص) فطرحه بين يديه وقال : هذا سيفى قد تقطّع فيومئذٍ اعطاه النّبىّ(ص) ذاالفقار ولمّا رأى النّبىّ (ص) اختلاج ساقيه من كثرة القتال رفع رأسه الى السّماء وهو يبكى وقال : يا ربّ وعدتنى ان تظهر دينك وان شئت لم يعيك فأقبل علىّ(ع) الى النّبىّ(ص) فقال : يا رسول الله(ص) اسمع دويّاً شديداً واسمع اقدم ياحيزوم وما اهمّ اضرب احداً الّا سقط ميّتاً قبل ان اضربه فقال: هذا جبرئيل وميكائيل واسرافيل والملائكة ثمّ جاء جبرئيل فوقف الى جنب رسول الله(ص) فقال : يا محمّد(ص) انّ هذا لهى المواساة فقال النّبىّ(ص): انّ علياً(ع) منّى وانا منه فقال جبرئيل: وانا منكم (الى آخر الحديث) ونزل وسيجزى الله الشّاكرين وهذا مضمون ماروى عن الصّادق أيضاً ، وفى حديثٍ عن النّبىّ(ص) الا وانّ علياً(ع) هو الموصوف بالصّبر والشّكر ثمّ من بعده ولدى من صلبه ، ويظهر من الاخبار انّ الآية تعريض بما احدث المنافقون من بعده من رجوعهم من علىّ (ع) وتركهم وصيّته (ص) فى حقّه فعن علىّ(ع) فى حديثٍ حتّى اذا دعا الله نبيّه ورفعه اليه لم يك ذلك بعده الّا كلمحة من خفقةٍ اووميض من برقة الى ان رجعوا على الاعقاب وانتكصوا على الادبار وطلبوا بالاوتار واظهروا الكتائب وردموا الباب وفلوا الدّيار وغيّروا آثار رسول الله (ص) ورغبوا عن احكامه و بعدوا من انواره واستبدلوا بمستخلفه بديلاً وعن الباقر(ع) انّه قال كان النّاس اهل ردّةٍ بعد رسول الله(ص) الّا ثلاثة قيل ومن الثّلاثة ؟- قال : المقداد و ابوذرّ و سلمان الفارسىّ ثمّ عرف اناس بعد يسير فقال : هؤلاء الّذين دارت عليهم الرّحا و ابوا ان يبايعوا حتّى جاءوا باميرالمؤمنين مكرهاً فبايع وذلك قول الله ما محمّد الّا رسول (الآية) وعن الصّادق(ع) فى موت النّبىّ(ص) وقتله انّه قال : اتدرون مات النّبىّ(ص) اوقتل انّ الله يقول: افان مات اوقتل انقلبتم على اعقابكم (الى آخر الحديث) [وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ اَنْ تَمُوتَ] كأنّ المراد بالموت هٰهنا معنىً اعمّ من القتل [اِلَّا بِاِذْنِ اللهِ] اى باباحته وهذا تقوية لقلوب المؤمنين وتسلية لهم بانّه ما اصابهم من القتل وما يصيبهم ماكان ولا يكون الّا بعلمه و ترخيصه لخروج الرّوح ولو لم يخرج ارواح المقتولين بالقتل لخرجت بالموت فما لهم يتوانون من الجهاد ويخافون من القتل ويتحسّرون على القتلى [كِتَاباً] حال من ان تموت فانّه بتأويل الموت او مفعول مطلق لفعلٍ محذوفٍ [مُؤَجَّلاً] موقتاً لايتخلّف عن وقته بتأخير ان فرّت وتقديم ان قاتلت [وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا] تعريض بمن شغلته الدّنيا و منعه تعلّقه بها عن القتال و بمن شغلته الغنائم يوم احدٍ عن امتثال الامر كاصحاب عبدالله بن جبيرٍ وعن

القتال كبعض الانصار وبمن فرّعن القتال ذلك اليوم وترك الرّسول (ص) [وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها] تعريض بمن ثبت على الامتثال كبعض أصحاب عبدالله بن جبير وبمن ثبت على القتال حتّى قتل اونجا [وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ] من قبيل وضع الظّاهر موضع المضمر او المراد بالشّاكرين من بذل جهده في سبيل الله و ترك الدّنيا والآخرة وراء ظهره امتثالاً لامر الله واعلاءً لكلمته وحمايةً لدينه كعليّ (ع) فكأنّه قال : ومن يرد وجه الله وطرح ثواب الدّنيا والآخرة فهوشاكر وسنجزي الشّاكرين ، نسب الى الباقر (ع) انّه قال : اصاب علياً (ع) يوم احد ستّون جراحة وانّ النّبيّ (ص) امر امّ سليم وامّ عطيّة ان تداوياه فقالتا : انّا لانعالج منه مكاناً الّا انفتق منه مكانٌ وقد خفنا عليه ودخل رسول الله (ص) والمسلمون يعودونه وهو قرحة واحدةٌ فجعل يمسحه بيده ويقول: انّ رجلاً لقي هذا في الله فقد أبلى وأعذر ، فكان القرح الّذي يمسحه رسول الله (ص) يلتئم فقال عليّ (ع) : الحمدلله اذ لم افرّ ولم اولّ الدّبر فشكرالله له ذلك في موضعين من القرآن وهو قوله وسيجزي الله الشّاكرين و سنجزي الشّاكرين [وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ] قرىء قتل مبنيّاً للمفعول ، وقاتل من باب المفاعلة و هو خبر كايّن اوصفة نبيٍ و مرفوعه امّا ضمير نبيّ و حينئذ فقوله [مَعَهُ رِبِّيُّونَ] مبتدء مكتف بمرفوعه و مرفوع مغن عن الخبر ، اومبتدء مؤخّر وخبر مقدّم والجملة حالٌ اوصفةٌ بعد صفةٍ اوخبرٌ بعد خبر اوخبرابتداء و [كَثِيرٌ] صفة بعد صفةٍ اوخبربعد خبرٍ اوخبر ابتداء وعلى بعض الوجوه الّذي لايبقى معه خبر لكايّن يكون الخبر محذوفاً اومرفوع قاتل ربّيون وحينئذٍ يكون معه متعلّقاً بقاتل والجملة صفة او خبر وكثير صفة بعد صفة و يكون حينئذٍ خبر كأيّن محذوفاً او خبر بعد خبر او خبر ابتداء والرّبّيون منسوب الى الرّبّ وكسر الرّاء من تغييرات النّسب وقد قرىء بفتح الرّاء على الاصل وبضمّ الرّاء مثل الكسر مغيّراً عن هيئته اوهوجمع الرّبّي منسوب الربّة بالكسر بمعنى الجماعة الكثيرة ، او بمعنى عشرة الاف ، و بهذا المعنى قد يضمّ الربّة و فسّر في الخبر بعشرة آلافٍ ، وهذا ايضاً تقوية للمؤمنين وتسلية لهم وتعريض بفشلهم عند الارجاف بقتل النّبيّ (ص) في احدٍ [فَما وَهَنُوا] اي مافتروا في رأيهم عن القتال وعن القيام بأمر دينهم [لِما أَصابَهُمْ] من قتل النّبيّ (ص) اوقتل بعضهم ومن الجرح والنّهب [فِي سَبِيلِ اللهِ] ظرف لاصابهم اومتنازع فيه لقاتل و وهنوا و اصابهم [وَ ما ضَعُفُوا] في ابدانهم او المراد بالوهن الضّعف في الابدان و بالضّعف الوهن في الرّأي [وَمَا اسْتَكانُوا] ماتذلّلوا افتعل من المسكنة بمعنى الذّلّة اشبع فتحة الكاف اواستفعل من كان له بمعنى انقاد له وهوتعريض بما قالواعند ما ارجف بقتل النّبيّ (ص) : اذهبوا بنا الى عبدالله بن أبيّ ليأخذ الامان لنا من أبي سفيان يعني انّهم ما وهنوا كما و هنتم و انهزمتم و ما تذلّلوا عند العدوّ كما أردتم التذلّل و صبروا على القتال [وَاللهُ يُحِبُّ الصّابِرِينَ] تعريض ببغضهم لاجل الفرار وعدم الثّبات واكتفى عن قوله وصبروا بقوله والله يحبّ الصّابرين لافادة سابقه ايّاه واستفادته منه مع شيءٍ زائدٍ هو اثبات محبّته لهم والتّعريض ببغضه للفارّين عن القتال [وَما كانَ قَوْلَهُمْ] مع ثباتهم في دينهم وكمال جهدهم لرضا ربّهم [إِلّا أَنْ قالُوا] قالاً اوحالاً [رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَإِسْرافَنا فِي أَمْرِنا وَثَبِّتْ أَقْدامَنا وَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ] يعني انّهم مع تصلّبهم في دينهم وبذل وسعهم في سبيل ربّهم خافوا من ذنوبهم واستغفروا ربّهم والتجأوا اليه واستضروه على أعدائهم وأعداء ربّهم بخلافكم حيث

اغتررتم ونسيتم ذنوبكم واردتم الالتجاء الى اعدائكم كابى سفيان وعبدالله بن أبىّ [فَآتَيهُمُ اللهُ] بسبب ثباتهم على القتال والتجائهم الى الله واستغفارهم منه واستنصارهم له [ثَوابَ الدُّنيا] من الظّفر والغنيمة والهيبة والرّعب فى قلوب الاعداء وحسن الصّيت والرّاحة من القتال بسبب علوّ كلمتهم وتسليم عدوّهم لهم وفوق الكلّ الالتذاذ بقرب الله و مناجاته [وَحُسْنَ ثَوابِ الآخِرَةِ] من المراتب العالية من الجنّات العالية مثل جنّة عدنٍ و جنّة الرّضوان و نعيمها ممّا وصف و ممّا لم يوصف ولم يخطر على قلب بشرٍ و انّما أتى بالحسن فى ثواب الآخرة للاشعار بانّ ثواب الآخرة ذو مراتب كثيرةٍ بعضها حسن وبعضها أحسن وآتاهم الله احسنها لانّ الحسن المضاف الى امر ذى مراتب كلّها حسن يراد به حسن الاحسن منها كأنّ الاحسن حسن بالنّسبة و غير الاحسن غير حسنٍ بالنّسبة الى الاحسن ، اوالمراد ثواب الآخرة مطلقاً والثّواب مطلقاً حسن لكنّه اضاف الحسن الى ثواب الآخرة دون ثواب الدّنيا للاعتناء بثواب الآخرة دون ثواب الدّنيا كأنّه ليس له حسن [وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] اى يحبّهم ووضع الظّاهر موضع المضمر ايماء الى انّهم محسنون واشعاراً بعلّة المحبّة [يا اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة و قبول الدّعوة الظّاهرة ناداهم بعد ما عرّض بهم تلطّفاً بهم وجذباً لقلوبهم حتّى يتّعظوا بوعظه ويقبلوا نصحه [اِنْ تُطيعُوا الَّذينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلى اَعْقابِكُمْ] قد مضى وجه التّعبير بالرّدّ على الاعقاب وانّه تمثيل للردّ عن الدّين مع بقاء الفطرة بالرّدّ عن الطّريق مع توجّه الوجه الى المقصد الاوّل [فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ] نسب الى مولاى و مولى كلّ مؤمن ومؤمنة اميرالمؤمنين (ع) انّه قال : نزلت فى المنافقين اذ قالوا للمؤمنين يوم احد عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وارجعوا الى دينكم [بَلِ اللهُ مَوْليكُمْ] يعنى ليس هؤلاء المنافقون الّذين يردّونكم عن دينكم مولاكم بل الله مولاكم [وَ هُوَ خَيْرُ النّاصِرِينَ] فلاتستنصروا بمثل عبدالله بن ابىّ ولا بمثل ابى سفيان [سَنُلْقِى فى قُلُوبِ الَّذينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ] بعد ما تلطّف بهم و قوّاهم بكونه مولاهم وناصرهم وعدهم الرّعب فى قلوب اعدائهم استتماماً للنّصرة واستكمالاً للتّقوية وقد انجز وعده بعد هزيمة المسلمين فى احدٍ بنصرتهم على اعدائهم والقاء الخوف فى قلوبهم بحيث انهزموا وماوقفوا الى مكّة من خوف تعاقب المسلمين [بِما اَشْرَكُوا بِاللهِ] باشراكهم فى الطّاعة وفى الوجود [ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً] الباء فى به ظرفيّة او سببيّة او للالصاق و المعنى بما اشركوا بالله شريكاً لم ينزّل بسببه من حيث شركته برهاناً وحجّة دالّة على جواز الاشراك به فى الطّاعة وعلى جواز التوجّه والنّظر اليه .

تحقيق الاشراك بالله باذنه و برهانه

اعلم انّ الانسان سوى المعصومين من اوّل الصّبا كافر محض حالاً و اعتقاداً الى اوان المراهقة والبلوغ فان ساعده التّوفيق وانجذب الى الانقياد لنبىّ وقته والاعتقاد بالتّوحيد صار مسلماً موحّداً اعتقاداً وكان كافرا حالاً لانّه حينئذٍ فى دار الكثرة ومقام النّفس الّتى لاترى الّا الكثرات ولاتتذكّر فى الفاعلين فاعلاً وحدانيّاً بل لاتعتقد فاعلاً وحدانيّاً فان ساعده التّوفيق وانجذب من دار الكثرة الى دار الوحدة الّتى هى دار القلب و دار الايمان فان بايع البيعة الخاصّة الولويّة ودخل الايمان فى قلبه و هاجر من دار الحرب الّتى هى دار النّفس و دار الكفر الى مدينة القلب الّتى هى دار الامن و الامان والايمان فهو قد يجد وجداناً و حالاً فاعلاً الهيّاً فى الفاعلين فيخرج من الكفر الحالىّ الى الشّرك الحالىّ ثمّ الشّهودىّ ثمّ العيانىّ حتّى يخرج من دار الشّرك الى دار التّوحيد بحيث لايرى فى الوجود الّا الله وحصّل معنى

لاحول ولا قوّة الّا بالله ، ثمّ معنى لا آله الّا الله ، وهنا لك يخرج من الشّرك ويصير موحّداً فالانسان مادام فى دار الكفر والشّرك لايخرج من الاشراك بالله فى الوجود ولا فى الطّاعة لانّه ان لم يطع انساناً يطع هواه وشيطاناً فان كان ما اشرك به لله انزل الله تعالى حجّة و برهاناً فى صحّة اشراكه كان المشرك موحّداً من طريق الاشراك وكان اشراكه مأذوناً فيه ومأجوراً فيه، وان لم ينزّل فى اشراكه برهاناً وسلطاناً كان اشراكه كفراً ومنهيّاً عنه وموروثاً لعقوبة الآخرة فقوله تعالى : بما أشركوا بالله مالم ينزّل به سلطاناً يفيد بمفهوم مخالفته انّه ان اشرك بالله من نزّل الله به سلطاناً لم يكن مذموماً وقد فسّر الاشراك فى الاخبار بالاشراك بالولاية وبالاشراك بعلىّ (ع) وذلك لظهور الآلهة بالولاية و ظهور الله بعلىّ (ع) [وَمَأْوٰيهُمُ النّٰارُ وَبِئْسَ مَثْوىَ الظّٰالِمِينَ] النّار و فى وضع الظّاهر موضع المضمر اظهار لذمّ آخر و اشعارٌ بعلّة الحكم [وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّٰهُ وَعْدَهُ] ايّاكم بقوله بلى ان تصبروا و تتّقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربّكم اوبقوله وانتم الاعلون اوبقوله بل الله موليكم و هو خير النّاصرين تعريضاً اوبقوله سنلقى فى قلوب الّذين كفروا الرّعب او بقول نبيّه (ص) لاصحاب عبدالله بن جبير لاتبرحوا من هذا المكان فانّا لانزال غالبين ماثبتّم مكانكم ولقد تحقّق صدق وعده حين كنتم غالبين ماكنتم غيرمخالفين لامر الرّسول بثبات اصحاب عبدالله بن جبير فى مراكزهم [إِذْ تَحُسُّونَهُمْ] تقتلونهم من الحسّ بمعنى القتل اوالحيلة اوالاستيصال [بِإِذْنِهِ] بترخيصه واباحته تكويناً وتكليفاً على لسان نبيّه (ص) [حَتّٰى إِذٰا فَشِلْتُمْ] ضعفتم عن القتال والثّبات فى مراكزكم [وَتَنٰازَعْتُمْ فِى الْأَمْرِ] بان قال بعضكم : غنم اصحابنا، وقال بعضكم: لانبرح من أمكنتنا فانّ الرّسول (ص) قدّم الينا ان لانبرح [وَعَصَيْتُمْ] امر الرّسول (ص) بان لا تبرحوا عن امكنتكم سواء انهزم المسلمون او هزموا [مِنْ بَعْدِ مٰا أَرٰيكُمْ] الله [مٰا تُحِبُّونَ] من الظّفر والغنيمة و جواب اذا محذوف و هو امتحنكم او منعكم انجاز وعده لمنعكم شرط وعده و هو الصّبر والتّقوى والثّبات فى المراكز [مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيٰا] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل لما يقع النّزاع منّا ؟ ـ فقال : لانّ منكم من يريد الدّنيا وهم الّذين تركوا مراكزهم من اصحاب عبدالله بن جبير للحرص على الغنيمة وارادة عرض الدّنيا [وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ] وهم الّذين ثبتوا حتّى قتلوا [ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ] اى عن مقاتلتهم بالجبن و الفرار حتّى غلبوكم [لِيَبْتَلِيَكُمْ] يمتحنكم بالبلايا فيخلصكم من الهوى وارادة الدّنيا [وَلَقَدْ عَفٰا عَنْكُمْ] بعد ما ندمتم على مخالفتكم تفضّلاً منه عليكم فادالكم عليهم ثانياً بحيث غلبتموهم وارعبتموهم حتّى لم يمكثوا الى مكّة وكانوا مسرعين خائفين [وَاللّٰهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ] فلاينظر الى اعمالهم واستحقاقهم بل يريد استكمالهم فى الاحوال كلّها سواء ابتلاهم اوانعم عليهم [إِذْ تُصْعِدُونَ] على الجبل فى فراركم اوفى وجه الارض فانّ الاصعاد الذّهاب فى الصعيد و هو وجه الارض و الصعود بمعنى الارتقاء و الظّرف متعلّق بصرفكم او بيبتليكم اومفعول لذكرهم مقدّراً منقطعاً عمّا قبله [وَلاٰ تَلْوُونَ عَلٰى أَحَدٍ] لا تنظرون على اعقابكم فى فراركم لشدّة خوفكم [وَالرَّسُولُ] والحال انّ الرّسول [يَدْعُوكُمْ فِى أُخْرٰيكُمْ] فى جماعتكم المتأخّرة اى فى أعقابكم كان يقول : الىّ عباد الله الىّ عبادالله انا رسول الله [فَأَثٰابَكُمْ] اى جازاكم الرّسول

اوالله [غَمّاً] هو القتل موصولاً [بِغَمٍ] هو المغلوبيّة والفرار اوغمّاً هو الفرار والقتل موصولاً بغمّ هو الارجاف بقتل الرّسول(ص) اوغموماً متتالية هى القتل والهزيمة والارجاف والجرح فانّ هذه الكلمة قد تستعمل فى الكثرة المتتالية ، اواثابكم غمّاً هو الهزيمة والارجاف والقتل بدل غمٍ اوبسبب غمّ اصاب الرّسول(ص) حين خلافكم قوله(ص) وعدم ثباتكم فى مراكز كم [لِكَيْلاتَحْزَنُوا عَلٰى مٰافٰاتَكُمْ] بعد ذلك يعنى انّ اثابة الغمّ على ترك امر الرّسول(ص) واذاقة مرارة الهزيمة والقتل ليكون ذلك فى ذكركم فلاتخالفوا بعد ذلك امر الرّسول(ص) لعرض الدّنيا ولا تحزنوا على ما تصوّرتم فواته من الغنيمة [وَلٰا] على [مٰاأَصٰابَكُمْ] من الشّدائد فى سبيل الله فانّ البليّة اذاكانت فى طاعة الله وطاعة رسوله لم تؤثّر اثراً بل تلذّ لبعض، اوالمعنى اثابكم غمّاً بغمّ ليستكملكم بذلك فلا تحزنوا بعد الاستكمال على مافاتكم ، اوالمعنى ليشغلكم حزنكم على مخالفة امر النّبىّ(ص) عن الحزن على ما فاتكم [وَاللّٰهُ خَبِيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ] فيجازيكم على اعمالكم على حسب مصالحكم، وفيه ترغيب فى الطّاعة وترهيب عن المعصية [ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعٰاساً] لتعلموا ان ليس الابتلاء والامنة الخارجان عن طريق المعتاد الّا عن الله وتكلوا اموركم الى الله ، وامنة مفعول انزل ونعاساً بدل منه بدل الاشتمال ، اوامنة حال من نعاساً اومن المخاطبين بان تكون جمع آمن اوبتقدير آمنين ، و نعاساً مفعول . نقل عن بعض الغازين فى احد انّه قال غشينا النّعاس فى المصافّ حتّى كان السّيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثمّ يسقط فيأخذه [يَغْشىٰ طٰائِفَةً مِنْكُمْ] وهم المؤمنون الخالصون [وَطٰائِفَةٌ] اخرى ولتقدير الصّفة جاز الابتداء به وهذه الطّائفة هم المنافقون [قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ] اوقعتهم انفسهم فى الهموم اوجعلتهم ذوى اهتمام بأنفسهم من غير التفات الى الدّين اوالرّسول (ص) والمسلمين والجملة خبر عن طائفة اوصفة لها [يَظُنُّونَ بِاللّٰهِ] خبر بعد خبر اوصفة بعد صفة او خبر ابتداء او حالٌ او مستأنف جواب لسؤال مقدّر [غَيْرَ الْحَقِّ] غير الظّنّ الحقّ على ان يكون مفعولاً مطلقاً اوغير المظنون الحقّ على ان يكون قائماً مقام المفعولين [ظَنَّ] الملّة [الْجٰاهِلِيَّةِ] بدل من غير الحقّ اومفعول مطلق [يَقُولُونَ] عند انفسهم او لاقرانهم والجملة بدل عن يظنّون اوهى مثل الجملة السّابقة فى الوجوه المحتملة [هَلْ لَنٰا مِنَ الْأَمْرِ] اى من امر الدّين اومن امر الوعد بالنّصر والظّفر اومن امر أنفسنا وتدبير خلاصنا من هذه البليّة ، او هل لنا نجاة فنكون مسلّطين على امر انفسنا [مِنْ شَيْءٍ] يعنى يظهرون اضطرابهم وعدم اعتقادهم بنبوّة محمّد(ص) على انفسهم بكلامهم النّفسانىّ اوعلى غيرهم بكلامهم اللّسانىّ [قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّٰهِ] اى امر الغلبة والنّصر اوامر التّدبير اوعالم الامر والقضاء والجملة معترضة ان كان قوله تعالى [يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ] حالاً اوصفة اوخبراً وامّا اذاكان مستأنفاً جواباً لسؤالٍ مقدّر فيكون قوله قل انّ الامر كلّه لله منقطعاً مستأنفاً والمعنى يخفى هؤلاء الطّائفة المنافقة فى انفسهم من الانكار و التّكذيب و ارادة اللّحوق بالكفّار [مٰا لٰايُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ] الجملة كالجمل السّابقة فى وجوه الاعراب [لَوْ كٰانَ لَنٰا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ] باحد المعانى المذكورة ، او لوكنّا بالمدينة باختيارنا ولم نبرح من المدينة كماكان رأى ابن ابىّ و غيره [مٰا قُتِلْنٰا] ما غلبنا وما قتل المقتولون منّا [هٰاهُنٰا قُلْ] ردّاً لهذا الزّعم الفاسد والخيال الكاسد [لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ] متحصّنين

[لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ] فى اللّوح المحفوظ اوفرض [عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ اِلٰى مَضَاجِعِهِمْ] ومصارعهم لم ينفعهم التّحصّن ، او المعنى قل لهم ايّها المضطربون الشّاكّون : لو كنتم فى بيوتكم لبرز المؤمنون الّذين فرض الله عليهم القتال الى مضاجعهم [وَ] فعل ذلك الخروج والقتال و المقتوليّة و المغلوبيّة بكم [لِيَبْتَلِيَ اللّٰهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ] و يمتحنه حتّى يظهر كونه فاسداً غير موافق لما فى اللّسان [وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ] لمّا كان الصّدر يطلق على النّفس باعتبار جهتها السّفليّة والقلب يطلق عليها باعتبار جهتها الى القلب الحقيقىّ نسب الابتلاء الّذى هو استعلام حال الرّدىّ واظهار ردائته الى الصّدر والتّمحيص الّذى هو تخليص الجيّد من الرّدىّ و الصّحيح من الفاسد الى القلب لانّ صدر المنافق لا يكون فيه الّا النّفاق و الفاسد من العقائد و ما لم ينقطع الفطرة الانسانيّة منه ولم يرتدّ فطريّاً لايخلو قلبه من امر حقّ ولو كان اجماليّاً [وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] فلا يكون الامتحان منه لاستعلام الممتحن كامتحان الجاهلين بل لاستكمال الممتحن اوظهور حاله على معاشريه ممّن لم يعلم حاله اواستنزاله [اِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ] جواب لسؤال مقدّر عن حال المتولّين عن القتال ولمّا ذمّهم الله تعالى بابلغ ذمّ وصار الاعتذار عنهم باستزلال الشّيطان والعفو عنهم محلّاً للشّكّ اتى فى الجواب بتأكيدات فقال : انّ الّذين تولّوا منكم [يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ] جمع المؤمنين وجمع المشركين فى احد [اِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمْ] طلب زلّتهم اوازلّهم [الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا] من ذنوبهم السّالفة **وقيل:** من خلافهم لقول الرّسول وتركهم مراكزهم **وقيل :** بذكر بعض ما كسبوا فكرهوا القتال لئلّا يقتلوا قبل التّوبة وهما ينافيان ما وقع من فرار الكلّ وانّ الفارّين اكثرهم كانوا منافقين غافلين من المعصية بل غير عادّين المعصية معصية وقد ذكر انّه لم يبق يوم احد مع النّبىّ (ص) الّا ثلاثة عشر نفراً خمسة من المهاجرين و ثمانية من الانصار وكان المهاجرون عليّاً واباب بكر و طلحة و عبد الرّحمن بن عوف و سعد بن ابى وقّاص وقد اختلف فى الجميع الّا فى علىّ وطلحة ، وروى عن عمر بن الخطّاب انّه قال ورأيتنى اصعد فى الجبل اردى ولم يرجع عثمان من الهزيمة الّا بعد ثلاث [وَلَقَدْ عَفَى اللّٰهُ عَنْهُمْ] لمّا تابوا و اعتذروا كرّر ذكر العفو تطميعاً و ترغيباً للمذنبين فى العفو ومنعاً لهم عن اليأس وتحسيناً لظنون المؤمنين [اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ] يغفر لمن يعترف ويندم [حَلِيمٌ] لايعاجل بالمؤاخذة انتظاراً للتّوبة واتماماً للحجّة [يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا] كفر نفاق اومطلقاً [وَقَالُوا لِاِخْوَانِهِمْ] اى لاجل اخوانهم وفى حقّهم و معنى اخوّتهم مناسبتهم لهم فى النّفاق وضعف الاعتقاد اوالكفر [اِذَا ضَرَبُوا] اى الاخوان [فِي الْاَرْضِ] سافروا للتّجارة وغيرها ولم يقل اذضربوا بلفظ اذالّتى هى للماضى لتصوير الماضى حالاً حاضراً [اَوْ كَانُوا غُزًّى] غازين [لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللّٰهُ ذٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ] متعلّق بقالوا [وَاللّٰهُ يُحْيِي] اى يحدث الحيوة فى النّطفة الّتى لاحيوة لها ويبقيها فى الحيوة لا الاقامة فى البيوت [وَيُمِيتُ] لاالسّفر والغزا [وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] ترغيب و ترهيب [وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ اَوْ مُتُّمْ] فى سبيله [لَمَغْفِرَةٌ] عظيمة [مِنَ اللّٰهِ وَرَحْمَةٌ] عظيمة حاصلة لكم [خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ] اى هؤلاء المنافقون اوالكفّار اوسائر النّاس من حطام الدّنيا واعراضها فى الحيوة الدّنيا

والجملة جواب القسم وجواب الشّرط محذوف وهذا تسلية للمؤمنين و تقوية لقلوبهم وتسهيل للموت والقتل عليهم وترغيب لهم فى الجهاد [وَلَئِنْ مُتُّمْ اَوْقُتِلْتُمْ لَاِلَى اللهِ] الّذى هومولاكم وولىّ امركم وحبيب قلوبكم ومنتهى طلبتكم [تُحْشَرُونَ] فمالكم تكرهون الموت اوالقتل ، وقدّم القتل فى الآية الاولى للاهتمام به فى ترتّب الجزاء بخلاف الآية الثّانية فانّ ترتّب الجزاء فيها لاخصوصيّة للقتل فيه والموت هوالفرد الشّائع من الشّرط فالاهتمام بتقديمه اكثر [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ] الفاء للتّرتيب فى الاخبار والباء سببيّة وما زائدة للتّأكيد و تنكير الرّحمة للتّفخيم [لِنْتَ لَهُمْ] يعنى برحمة عظيمة نازلة من الله عليك لنت لهم فكن شاكراً لنعمه [وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً] سيّء الخلق خشن الكلام [غَلِيظَ الْقَلْبِ] لارقّة ولارأفة فيه [لَانْفَضُّوا] لتفرّقوا [مِنْ حَوْلِكَ] ولم يسكنو اليك [فَاعْفُ عَنْهُمْ] يعنى اذاعلمت انّ لين الجانب ولين الكلام رحمة ونعمة من الله ، وانّ سوء الخلق وقساوة القلب بالنّسبة اليهم مورث لتفرّقهم فاجتهد فى المداراة معهم واعف عن اساءتهم بالنّسبة اليك [وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ] ما بينى وبينهم حتّى يرغبوا فيك اشدّ رغبة و يسكنوا اشدّ سكون [وَشَاوِرْهُمْ فِى الْاَمْرِ] اى فى الحرب مخصوصاً او فى كلّ مايصحّ المشاورة فيه تطييباً لنفوسهم وتحبيباً لهم اليك و استظهاراً برأيهم و تسنيناً لسنّة المشاورة فى امّتك لانّ فى المشاورة رفعاً للملامة والنّدامة فى العمل وجلباً للبركة فيه لانّ فى اتّفاق النّفوس اثراً ليس فى انفرادها بالامر بل نقول : ان لم يكن فى الامر الّذى يشاور فيه ويتّفق نفوس عليه خير يجعل الله فيه خيراً لامحالة فلا ينبغى ترك المشاورة فى الامور [فَاِذَا عَزَمْتَ] بعد المشاورة والاتّفاق على امرٍ [فَ] لا تعتمد على الشّورى واتّفاق الآراء فانّ الصّلاح والفساد فى الامور بيدالله و [تَوَكَّلْ عَلَى اللهِ] فاعتمد على الله بأخذه وكيلاً فى امورك و اصلاحها [اِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ] ولا شرف فوق محبّة الله ؛ ترغيب فى التّوكّل .

اعلم انّ التوكّل والتّسليم والتّفويض متقاربة المفهوم ويستعمل كلّ فى معنى الآخرين والفرق بينها فى غاية الدّقّة لانّ التوكّل اخذالله وكيلاً فى امورك ، والتّسليم عرض امورك عليه ، والتّفويض الخروج من نسبة الاموربل من نسبة الانانيّة الى نفسك ، ففى التّسليم تبجيل ليس فى التّوكيل ، وفى التّفويض تبجيل لايدع للمفوّض التفاتاً الى التّبجيل ايضاً [اِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ [فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَاِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ] اى بعد خذلانه [وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] تخلّل الفاء بين العامل والمعمول مع صدارتهما امّا بتقدير امّا او بتوهّمه ، او لفظة الفاء فى امثاله زائدة ، او العامل محذوف بقرينة المذكور [وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ اَنْ يَغُلَّ] تخلّل كان لتأكيد النّفى والمعنى ما وجد لاحدٍ من الانبياء الغلول لمنافاة النبوّة والخيانة وقرئ يغلّ بصيغة المعلوم من الثّلاثىّ وبصيغة المجهول امّا من باب الافعال بمعنى ماينبغى لاحدٍ من الانبياء ان ينسب الى الخيانة من أغلّه نسبه الى الخيانة ، او بمعنى ان يخان معه من أغلّه بمعنى غلّه ، اومن الثّلاثىّ ، والجملة امّا مقطوعة عن سابقتها على ماورد انّها نزلت فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدرٍ من المغنم فقال بعضهم : لعلّ النّبىّ(ص) اخذها ، ونسب الى الصّادق (ع) انّ رضا النّاس لايملك والسنتهم لا تضبط الم ينسبوا يوم بدرٍ الى رسول الله(ص) انّه اخذ لنفسه من المغنم قطيفةً حمراء حتّى اظهره الله على القطيفة وبرّء نبيّه

من الخيانة ، وانزل فى كتابه وما كان لنبىّ ان يغلّ (الآية) اوعلى مانقل انّ رجلاً غلّ بابرة عظيمة من غنائم هوازن يوم حنين فنزلت الآية ، وامّا موصولة على ما قيل: انّ الآية نزلت فى غنائم احدٍ حيث ظنّ اصحاب عبدالله بن جبير انّ الرّسول(ص) يقسم الغنيمة فى الغانمين ولم يقسم لهم وظنّوا انّه يقول : من اخذ شيئاً فهوله ، اوعلى ماقيل : انّه قسم المغنم ولم يقسم للطّلائع فنزلت تنبيهاً للرّسول (ص) على التّسوية فى المغنم ، و سمّى ترك القسمة للطّلائع غلولاً وعليهما فالآية معطوفة على ماقبلها [وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ] الباء للتّعدية اوللمصاحبة والمعنى انّه يأتى به بحيث يعرف النّاس انّه غلّه ليفضح على رؤس الاشهاد، نسب الى الباقر (ع) انّه قال : من غلّ شيئاً رآه يوم القيامة فى النّار ثمّ يكلّف ان يدخل اليه فيخرجه من النّار، ونقل عن النّبىّ(ص) انّه قال: الا لايغلّنّ احد بعيراً فيأتى به على ظهره يوم القيامة ، الا لايغلّنّ احد فرساً فيأتى به على ظهره يوم القيامة فيقول : يا محمّد (ص) يا محمّد(ص) فاقول : قد بلّغت قد بلّغت لا املك لك من الله شيئاً ، ولا اختصاص للغلول بالخيانة فى الاموال بل كلّ معصية من كلّ عاص نحو غلول مع نفسه اومع الله [ثُمَّ تُوَفّٰى كُلُّ نَفْسٍ] يعنى بعد ماأتى من غلّ بماغلّه وجمعوا فى القيامة توفّى كلّ نفس مطيعة وعاصية [مٰا كَسَبَتْ] بعينه على تجسّم الاعمال كما سبق تحقيقه فى سورة البقرة عند قوله: اولئك لهم نصيب ممّا كسبوا او جزاء ما كسبت [وَهُمْ لاٰيُظْلَمُونَ] بنقص ثواب اوزيادة عقاب ثمّ بعد ما عمّم حكم الغلول لكلّ من غلّ وبيّن حكم كلّ نفس من المطيعة والعاصية عطف عليه انكار التّسوية بين المطيعة والعاصية ليكون ابلغ فى الزّجر عن المعصية والتّرغيب فى الطّاعة فقال تعالى [أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوٰانَ اللّٰهِ] الرّضوان بكسر الرّاء وضمّها والرضى مقصوراً بالكسر والضمّ مصدرا رضى عنه وعليه والرّضاء بكسر الرّاء ممدوداً مصدر راضاه ، واتّباع رضوان الله لايكون الّا باتّباع امر الله ونهيه بالفعل والتّرك ، ولا يكون الّا باتّباع الرّسول (ص) فى امره ونهيه [كَمَنْ بٰاءَ] رجع الى الله [بِسَخَطٍ مِنَ اللّٰهِ] بترك ما أمر به وفعل ما نهى عنه [وَمَأْوٰيهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ] جهنّم .

الفرق بين المصير والمرجع انّ المصير ما ينتهى اليه مع تغيّر عمّا هو عليه والمرجع مطلق عن ذلك و لمّا كان المتحقّق برضوان الله عليّاً (ع) و المتحقّق بسخط الله كلّ من خالفه صحّ تفسير التّابع لرضوان الله بالتّابع لعلىّ(ع) والبائى بسخط الله بمن اتّبع مخالفه .

تحقيق كون المؤمنين درجاتٍ و ذوى درجات

[هُمْ دَرَجٰاتٌ] اى التّابعون رضوان الله و البائون بسخط الله درجات [عِنْدَ اللّٰهِ] وان كانوا يرون متساوين عندالنّاس ، و لمّا كان عالم الارواح الطيّبة عالماً وسيعاً ذا مراتب و درجات وكذلك عالم الارواح الخبيثة الّذى فيه الجحيم وآلامها ، وكلّ من اتّصل بواحد من هذين العالمين تحقّق بمرتبة منه وليس المتّصلون بعالم الارواح الطيّبة متساوين فى المرتبة والدّرجة ولا المتّصلون بعالم الارواح الخبيثة بل لكلّ واحد مرتبة ودرجة ليست لغيره ممّن لم يكن بشأنه ، نعم ، اذاكان جماعة متوافقين فى الطّاعة و السّلوك او فى المخالفة والمعصية من جميع الجهات كانوا متوافقين فى المرتبة و الدّرجة وكلّ من اتّصل بدرجة من درجات الجنان او بدركة من دركات النّيران كان متّصلاً بالدّرجات السّابقة او الدّركات السّابقة ، وكلّ من اتّصل بدرجة صار متحقّقاً بتلك الدّرجة فصحّ ان يقال: انّ المؤمنين بحسب عدد اشخاصهم درجاتٌ يعنى كلّ منهم درجة من الجنان ، وان يقال :كلّ واحد منهم بحسب سعة وجوده درجاتٌ من الجنان ، و انّ المعذّبين بحسب عدد اشخاصهم دركاتٌ ، وكلّ واحد

منهم بحسب وجوده دركاتٌ من النّيران فلاحاجة فى الآية الى بعض التّقديرات والتأويلات، روى عن الصّادق(ع) انّ الّذين اتّبعوا رضوان الله هم الائمّة عليهم السّلام وهم والله درجات عندالله للمؤمنين وبولايتهم ومعرفتهم لنا يضاعف الله لهم اعمالهم ويرفع الله لهم الدّرجات العلى ، والّذين باؤا بسخط من الله هم الّذين جحدوا حقّ علىّ (ع) و حقّ الائمّة منّا اهل البيت فباؤا لذلك بسخطٍ من الله [وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِمٰا يَعْمَلُونَ] فيعلم عمل كلّ و درجته على حسب عمله فيجازيه على حسبها وهذا تهديد و ترغيب [لَقَدْ مَنَّ اللّٰهُ] انعم الله [عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ اَنْفُسِهِمْ] بشراً مثلهم ومن سنخهم [يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيٰاتِهِ] او يقرأ عليهم آيات كتابه بعد ماكانوا جهّالاً لا يعرفون كتاباً ولا شريعةً [وَ يُزَكِّيهِمْ] يطهّرهم ممّا ينبغى للانسان ان يطهّرعنه [وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰابَ وَالْحِكْمَةَ] قد مضى بيان التّزكية و تعليم الكتاب والحكمة و وجه تأخير التّعليم عن التّزكية ههنا وفى قوله كما ارسلنا فيكم رسولاً الآية ووجه تقديمه على التّزكية فى قوله وابعث فيهم رسولاً منهم الآية من سورة البقرة [وَإِنْ كٰانُوا] اى انّهم كانوا [مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلاٰلٍ مُبِينٍ] ظاهر واضح اظهارٌ لمنّه عليهم بنعمة وجود الرّسول(ص) ليتنبّهوا لها ويهتمّوا باتّباع الرّسول(ص) شكراً لنعمة وجوده [أَوَلَمّٰا أَصٰابَتْكُمْ] قد اختلف الاقوال عند اجتماع همزة الاستفهام واداة العطف وتقديم الهمزة على العاطف فقيل: انّه على التّقديم والتّأخير وانّما قدّمت الهمزة لقوّة صدارته ، **وقيل** : انّ الهمزة فى التّقدير داخلة على محذوف حذف واتّصل الهمزة بالعاطف والتّقدير ههنا انكرتم البليّة الّتى وردت عليكم بتقصيركم فى أعمالكم ولمّا اصابتكم [مُصِيبَةٌ] يوم احد بقتل سبعين رجلاً منكم [قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهٰا] فى بدر بقتل سبعين واسر سبعين [قُلْتُمْ أَنّٰى هٰذٰا] من اين اوكيف هذا [قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ] باختياركم الفدى عن الاسارى يوم بدر و قد اخبركم الرّسول (ص) انّ الحكم فيهم القتل و ماكان لنبىٍّ ان يكون له اسرى حتّى يثخن فى الارض فأصررتم فى الفداء دون القتل حتّى اباح الله لكم الفداء بشرط ان يقتل منكم فى العام القابل بعدد من تأخذون منه الفداء فقبلتم ذلك واخذتم الفداء عن الاسارى السّبعين [إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ] لمّا توهّم من نسبة المصيبة الى انفسهم إنّها خارجة من قدرة الله و صار المقام مقام ان يسأل هل كان المصيبة بقدرة الله ام كانت خارجة من قدرته فقال : انّ الله على كلّ شيءٍ قديرٌ فيقدر على اصابتكم واصابة عدوّكم وقد يخذلكم لمصالح راجعة الى استكمال نفوسكم [وَمٰا أَصٰابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعٰانِ] يعنى يوم احد من الهزيمة والقتل والجرح [فَ] كان [بِإِذْنِ اللّٰهِ] باباحته التّكوينيّة وترخيصه ليمتحنكم [وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نٰافَقُوا] ليتميّز الفريقان بظهور ايمان هؤلاء ونفاق اولئك فيظهر علمه بهما اوليعلم النّبىّ الّذى هو مظهره فانّ علمه علم الله ولم يقل ليعلم المنافقين للاشعار بانّ نفاق المنافقين حدث عند قتال احد ولم يكن ثابتاً وليناسب المعطوف فى قوله تعالى [وَقِيلَ لَهُمْ] عطف على نافقوا وداخل فى الصّلة [تَعٰالَوْا قٰاتِلُوا] بدل عن تعالوا نحو بدل الاشتمال [فِى سَبِيلِ اللّٰهِ] من دون نظر الى انفسكم و حفظكم انفسكم وعيالكم [أَوِ ادْفَعُوا] عن انفسكم وعيالكم واموالكم من دون نظر الى امرالله وسبيله [قٰالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتٰالاً لاَتَّبَعْنٰاكُمْ] يعنى لوكنّا نعلم انّ ماانتم فيه قتالٌ لاتّبعناكم وليس بقتال فانّ القتال ماكان فيه احتمال الغلبة ولوفى بعض الاحيان وليس الامر كذلك لانّه

ليس فيه الّا المغلوبيّة والهلكة ، اولفظة لوليست للنّفى فى الماضى انّما هوللّشرط فى المستقبل يعنى اذا علمنا بالمقاتلة لاتبّعناكم فيها و انّما قالوه استهزاءً بهم او دفعاً لهم فى الحال الحاضر و قصداً لعدم الانكار صريحاً [هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ اَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْايمانِ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ اوحال والمعنى انّهم كانوا على الاسلام لكنّهم بظهور نفاقهم كأنّهم وقعوا بين الكفر والايمان وصاروا اقرب الى الكفر [يَقُولُونَ بِاَفْواهِهِمْ] يعنى لابالكتابة ولا بالاشارة ولا بالسّيرة والاحوال ، اويقولون بافواههم لابقلوبهم ، اويقولون بأفواه انفسهم لابأفواه غيرهم [ما لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ] من قولهم لونعلم قتالاً لاتبّعناكم اى وقت اطّلاعنا على القتال وافقناكم وليس هذا مطابقاً لاعتقادهم، اومن اظهار نبوّة النّبىّ (ص) وليس فى قلوبهم ذلك الاعتقاد [وَاللّهُ اَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ] من الاعتماد على الاسباب وعدم الاعتقاد بالله وبنبوّة النّبىّ (ص) ، نسب الى الصّادق (ع) انّه قال فى مقام تثريب بعض من ضعفاء الاعتقاد ومن ضعف يقينه تعلّق بالاسباب ورخّص لنفسه بذلك واتّبع العادات واقاويل النّاس بغير حقيقةٍ و السّعى فى امور الدّنيا و جمعها وامساكها ، يقرّ باللّسان انّه لا مانع ولا معطى الّا الله و انّ العبد لايصيب الّا مارزق وقسم له ، والجهد لايزيد فى الرّزق وينكر ذلك بفعله وقلبه قال الله تعالى: يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون [اَلَّذِينَ قالُوا لِاِخْوانِهِمْ] اى فى حقّهم والجملة مستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ محذوفة المبتدأ ، اومحذوفة الخبر اى هم الّذين قالوا ، اوالّذين قالوا هؤلاء المنافقون ، اومفعول لفعلٍ محذوفٍ على الذّمّ ، اوبدل من فاعل يكتمون ، او ضمير قلوبهم ، اوخبر بعد خبر للضّمير فى قوله : هم للكفر ، اوصفة للّذين نافقوا [وَقَعَدُوا] عطف على قالوا اوحال بتقدير قد [لَوْ اَطاعُونا] فى القعود وعدم الخروج من المدينة [ما قُتِلُوا] وقد كان ديدن النّساء والرّجال الّذين هم كالنّساء فى ضعف الاعتقاد والتوسّل بالاسباب ان يكرّروا بعد وقوع قضيّة اسباب عدم وقوعها ويؤدّونه بلو كان كذا لما كان كذا ويكون ذلك اشدّ فى تحسّرهم [قُلْ] لهم [فَادْرَؤُا عَنْ اَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ اِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ] انّ تدبيركم ابقاكم و انّ اخوانكم لمّا خرجوا من تدبيركم وقولكم هلكوا [وَلا تَحْسَبَنَّ] عطف على قل اوعلى فادرأوا ، اوالخطاب لمحمّد (ص) اولكلّ من يتأتّى منه الخطاب ، وقرئ بالياء على اسناده الى الرّسول (ص) اوالى من يتأتّى منه الحسبان ، اوالى الظّاهر بعده اى لايحسبنّ [الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللّهِ] انفسهم [اَمْواتاً] بحذف المفعول الاوّل و هذا ردّ على المنافقين حيث قالوا: لوكانوا اعندنا ماماتوا ولواطاعونا ماقتلوا [بَلْ] هم [اَحْياءٌ] حيوة اتمّ واكمل واشرف و اعلى من هذه الحيوة الدّانية [عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ] بالرّزق المناسب لمقامهم عند الرّبّ [فَرِحِينَ بِما آتيهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ] فضل الله يطلق على نعمه الّتى يفيضها على عباده من جهة كثراتهم مثل احكام الرّسالة والنّعم الّتى يجازى الله العباد بها بسبب قبول احكام الرّسالة والعمل بها كما انّ الرّحمة تطلق على النّعم الّتى يفيضها على العباد من جهة وحدتهم مثل الولاية وآثارها والمجازاة بها [وَيَسْتَبْشِرُونَ] يفرحون اويطلبون الفرح اويبشّرون انفسهم اوغيرهم [بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ] بحسب الزّمان كالمؤمنين الّذين لم يقتلوا ولم يموتوا اوبحسب الرّتبة كالمؤمنين الّذين لم يلحقوا ابرتبتهم ودرجتهم [مِنْ خَلْفِهِمْ اَلّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ] قد مضى وجه الاختلاف بين القرينتين فى اوّل البقرة [يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللّهِ] النّعمة كالرّحمة الولاية

وكلّما صدر منه او انتهى اليها [وَفَضْلٍ] منه قد مضى انّ الفضل الرّسالة وقبول احكامها والمجازاة بها ولذلك فسّر النّعمة بعليّ (ع) والفضل بمحمّد (ص) والتّنكير فيهما للتّفخيم [وَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ] قرئ بفتح الهمزة للعطف على نعمة و قرئ بكسر الهمزة للعطف على يستبشرون او لكونها حالاً [الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلّٰهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ] صفة للمؤمنين اوخبر مبتدءٍ محذوف، اومفعول فعلٍ محذوف للمدح، اومبتدءٌ خبره جملة [لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ] و الجملة مستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ، روى انّ الرّسول (ص) لمّا دخل المدينة من وقعة احد نزل عليه جبرئيل وقال : يا محمّد(ص) انّ الله يأمرك ان تخرج فى اثر القوم ولا يخرج معك الّا من به جراحة فأمر رسول الله(ص) منادياً ينادى يامعشر المهاجرين و الانصار من كانت به جراحة فليخرج و من لم يكن به جراحة فليقم فأقبلوا يضمّدون جراحاتهم ويداوونها فخرجوا على ما بهم من الالم والجراح فلمّا بلغ رسول الله (ص) حمراء الاسد وهو على ثمانية اميال من المدينة و قريش قد نزلت الرّوحاء قال عكرمة بن ابى جهل والحارث بن هشام وعمرو بن العاص و خالد بن وليد نرجع ونغير على المدينة قد قتلنا سراتهم وكبشهم يعنون حمزة فوافاهم رجل خرج من المدينة فسألوه الخبر فقال : تركت محمّداً (ص) واصحابه بحمراء الاسد يطلبونكم جدّ الطلب فقال ابوسفيان : هذا النّكد والبغى فقد ظفرنا بالقوم وبغينا والله ما افلح قوم قطّ بغوا فوافاهم نعيم بن مسعود الاشجعىّ فقال ابوسفيان : اين تريد؟- قال المدينة لامتار لاهلى طعاماً ، فقال : هل لك ان تمرّ بحمراء الاسد وتلقى اصحاب محمّد(ص) وتعلمهم انّ حلفاءنا وموالينا قد وافونا من الاحابيش حتّى يرجعوا عنّا و لك عندى عشرة قلائص املأها تمراً و زبيباً ، قال : نعم ؛ فوافى من غد ذلك اليوم حمراء الاسد فقال لاصحاب رسول الله(ص) اين تريدون ؟ - قالوا : قريشاً قال : ارجعوا انّ قريشاً قد اجتمعت اليهم حلفاؤهم ومن كان تخلّف عنهم وما اظنّ الّا اوائل خيلهم يطلعون عليكم السّاعة فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ما نبالى ، فنزل جبرئيل على رسول الله(ص) فقال : ارجع يامحمّد(ص) فانّ الله قد ارعب قريشاً ومرّوا لايلوون على شيءٍ ، فرجع رسول الله(ص) وانزل الله : الّذين استجابوا ؛ الآية ، **و قيل:** نزلت الآية فى بدرٍ الصّغرى و ذلك انّ اباسفيان حين اراد ان ينصرف من احد قال : يا محمّد (ص) موعدنا موسم بدر الصّغرى من قابل ، فلمّا كان العام المقبل خرج ابوسفيان فى اهل مكّة فالقى الله عليه الرّعب فبدا له فلقى نعيم بن مسعود الاشجعىّ فقال له ابوسفيان : انّى واعدت محمّداً(ص) ان نلتقى بموسم بدر و انّ هذه عام جدب وبدا لى ان لااخرج اليه واكره ان يزيدهم ذلك جرأة فالحق بالمدينة فثبّطهم ولك عندى عشرة من الابل اضعها على يد سهيل بن عمرو، فأتى نعيم المدينة فوجد النّاس يتجهّزون فثبّط وأرعب أصحاب الرّسول فقال رسول الله(ص) : والّذى نفسى بيده لاخرجنّ ولو وحدى فانحرف الجبان وتأهّب الشّجاع وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فخرج رسول الله(ص) فى أصحابه حتّى وافوا بدراً الصّغرى وكانت موضع سوقٍ لهم فى الجاهليّة يجتمعون اليها فى كلّ عام ثمانية ايّام فاقام ينتظر اباسفيان وقد انصرف ابوسفيان فسمّاهم اهل مكّة جيش السّويق وقالوا: خرجتم تشربون السّويق ، ووافق رسول الله(ص) السّوق وكانت لهم تجاراتٌ فباعوا واصابوا للدّرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين [الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ] صفة الّذين استجابوا ، اوصفة الّذين احسنوا منهم ، اومبتدء خبره فزادهم ايماناً ودخول الفاء فى الخبر لكون المبتدأ متضمّناً معنى الشّرط ، اوخبره فانقلبوا بنعمة من الله ، اوخبر مبتدءٍ محذوفٍ ، اومبتدء خبرٍ محذوفٍ ، اومفعول فعلٍ محذوفٍ للمدح والمراد

بالنّاس نعيم بن مسعود على ما نقل من حكايته اوركب من عبد القيس على ما قيل انّه لقى اباسفيان بعد ما علم بخروج محمّد(ص) من المدينة على اثرهم ركب من عبد القيس فقال : اين تريدون ؟ ـ فقالوا : نريد المدينة فقال : هل انتم مبلّغون محمّداً(ص) رسالتى واحمل لكم ابلكم هذه زبيباً بعكاظ غداً اذا وافيتمونا ؟ ـ قالوا : نعم ، قال: فاذ اجئتموه فأخبروه انّا قد اجمعنا للكرّة عليه و على اصحابه لنستأصل بقيّتهم ، او المراد بالنّاس منافقوا اصحاب الرّسول(ص) [إِنَّ النَّاسَ] يعنى اباسفيان و اصحابه [قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً] لانّ المتوسّل بالله بعد الاتّصال بخلفائه بسبب الايمان اذا دهمته بليّة يزداد اتّصاله الايمانىّ ويتقوّى توسّله و ايمانه [وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا] من حمراء الاسد او من بدر الصّغرى [بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ] اى مع نعمة من الله وهى عافيتهم من القتال و سلامتهم من اثر الجراح الّذى كان بهم و قوّة من القلب والايمان [وَفَضْلٍ] الشرف والصّيت وارعاب قلوب الاعداء اوبنعمة هى ما أصابوا من التّجارات ببدر وفضل هوالرّبح الّذى اصابوه من ضعفى ماكان لهم اوبنعمة هو علىّ(ع) وفضل هومحمّد(ص) [لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ] لامن عدوّهم ولامن جراحاتهم [وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ] حيث امتثلوا امره مع ما بهم من الجراح [وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ] فيتفضّل عليهم فى الآخرة بما لاحدّ له وما لا عين رأت وفيه تحسير للمتخلّفين وتخطئة لهم و ترغيب فى الجهاد [إِنَّمَا ذٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ] الشيطان خبر ذلكم او صفته والخبر [يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ] والمراد بالمشار اليه نعيم بن مسعود المثبّط او ابوسفيان او المثبّط من ركب عبد القيس و اولياءه مفعول اوّل او مفعول ثان [فَلَا تَخَافُوهُمْ] اى الشيطان ومن معه او اولياء الشيطان [وَخَافُونِ] فانّ الضّرر من كلّ ضارّ لايصل الى احد الّا باذنى [إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] فانّ شأن الايمان والاعتقاد بتوحيد الله ان لايرجو المؤمن ولايخاف الّا الله [وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ] فى الذّهاب الى الكفر لخوفك ان يضرّوك اويضرّوا المؤمنين بتقوية الكافرين اومقاتلة المؤمنين والمراد بهم المنافقون المتخلّفون عن الجهاد [إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ] فى مقام التّعليل والمعنى لن يضرّوا اولياء الله ومظاهره فى الارض [شَيْئاً] من الضّرر على ان يكون شيئاً قائماً مقام المصدر ويجوز ان يكون بدلاً من الله نحو بدل الاشتمال بتقدير لن يضرّوا الله شيئاً منه ، ويجوز ان يكون منصوباً بنزع الخافض اى بشيءٍ من الله [يُرِيدُ اللَّهُ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ او حال [أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الْآخِرَةِ] و فيه تسلية للرّسول(ص) ودلالة على انّ تسرّعهم الى الكفر انّما هو بارادة الله وان لم يكن برضاه [وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] فى الدّنيا والآخرة فانّ التعبير بالجملة الاسميّة الدّالّة على الإستمرار الثّبوتىّ يدلّ على كونه ثابتاً لهم من حين التكلّم [إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ] تأكيدٌ للاوّل اوتعليل له وتعميم للحكم لجميع الكفّار بعد تخصيصه بالقاعدين المنافقين [لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] قرئ تحسبنّ بالخطاب وبالغيبة [أَنَّمَا نُمْلِي] انّ الّذى نملى اوانّ الاملاء [لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ] لهم متعلّق بنملى و انّما نملى مفعول ثان ليحسبنّ او بدل من المفعول الاوّل مغنٍ عن المفعول الثّانى و على كون الّذين كفروا فاعلاً فهو قائم مقام المفعولين والاملاء الامهال او اطاعة العمر [إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً] جواب لسؤال

مقدّر و ماكافّة اومصدريّة اوموصولة [وَلَهُمْ عَذابٌ مُهينٌ] فى الدّنيا و الآخرة من حين التّكلّم و لمّا كان المقام مقام السّخط والغضب ناسبه البسط والتّغليظ والتّكرير ولذلك كرّر نفى الضّرر وثبوت العذاب باوصاف مختلفة واتى فى الاوّل بوصف العظيم للعذاب للاشعار بانّ عذاب المنافق اشدّ واعظم من عذاب سائر الكفّار و [ماكانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنينَ عَلى ما اَنْتُمْ عَلَيْهِ] اى على الحال الّتى انتم عليها من اختلاط المخلص بالمنافق والمحقّق بالمنتحل بل كان شيمته القديمة الابتلاء والامتحان بالتّكاليف المخالفة للهواء [حَتّى يَميزَ الْخَبيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَما كانَ اللّهُ] كأنّه قيل: ان اطلعنا الله على ما فى القلوب من الاخلاص والنّفاق اجتنبنا عن المنافق فقال: وماكان الله [لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلكِنَّ اللّهَ يَجْتَبى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ] من بيانيّة والظّرف حال من من يشاء يعنى انّ الله يختار من يشاء حالكونه عبارة من رسله للاطّلاع على المغيبات عنكم باراءتها لهم او اخبارهم بها بتوسّط الملائكة او بلا واسطة فلا تقولوا برأيكم فيما هوغيب عنكم من قولكم لوكان كذا لكان كذا، ومن نسبة الخير والشّرّ الى العباد [فَآمِنُوا] اذعنوا اواسلموا حقيقةً كمااسلمتم ظاهراً، اوآمنوا بالايمان الخاصّ والبيعة الخاصّة وقبول الدّعوة الباطنة [بِاللّهِ وَرُسُلِهِ] اى خلفائه من الرّسل واوصيائهم [وَاِنْ تُؤْمِنُوا] تذعنوا او تسلموا بالبيعة العامّة اوتؤمنوا بالبيعة الخاصّة [وَتَتَّقُوا] سخط الله باتّباع خلفائه فيما أمروا به ونهوا عنه؛ اوتتّقوا الانحراف عن الطّريق بالبيعة الخاصّة، اوتتّقوا الخروج عن الطّريق بعد البيعة الخاصّة والدّخول فيه [فَلَكُمْ اَجْرٌ عَظيمٌ] لمّا كان عظم الاجر خاصّاً بمن قبل ولاية علىّ(ع) بالبيعة الخاصّة وقبول الدّعوة الباطنة فالشّرط لابدّ وان يفسّر بما يشمل الايمان الخاصّ [وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذينَ يَبْخَلُونَ] قرئ بالغيبة فالفاعل ضمير راجع الى الرّسول اوالى من يتأتّى منه الحسبان والمفعول الاوّل الّذين يبخلون بتقدير مضاف ليطابق المفعول الثّانى اوالفاعل الّذين يبخلون والمفعول الاوّل محذوف وقرئ بالخطاب خطاباً للرّسول (ص) او لكلّ من يتأتّى منه الخطاب والّذين يبخلون مفعوله الاوّل بتقدير مضاف اى لا تحسبنّ بخل الّذين يبخلون [بِما آتيهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ] لانّ البخل يستجلب العقاب عليهم وليس الامساك يبقى المال ولا الانفاق يفنيه [سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيمَةِ] عن الصّادقين(ع): ما من احد يمنع زكوة ماله شيئاً الّا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوّقاً فى عنقه ينهش من لحمه حتّى يفرغ من الحساب و هو قول الله تعالى: سيطوّقون مابخلوا: وعن الصّادق(ع) عن رسول الله(ص): ما من ذى زكوة مال نخل اوزرع اوكرم يمنع زكوة ماله الّا قلّده الله تعالى تربة ارضه يطوّق بها من سبع ارضين الى يوم القيامة، اعلم انّ البخل لايكون الّا لتعلّق القلب بما يبخل البخيل به وكلّما تعلّق القلب به يكون بملكوته حاضراً فى القلب و ثابتاً فيه وكلّما كان ثابتاً فى القلب يتمثّل عند القلب يوم تبلى السّرائر، وبتفاوت التعلّق يكون حضوره متفاوتاً بنحو الطّوق او بنحو اللّباس مشتملاً على جميع البدن، اوبنحو البيت وغير دلك من انواع الحضور سواء كان ذلك الّذى يبخل به من الاموال او القوى و الابدان، او العلوم النّفسانيّة الّتى بخلوا بها ولم يظهروها لاهلها مثل اليهود والنّصارى بخلوا بما علموا من اوصاف محمّد(ص) وعلىّ(ع) الّتى كانت فى كتبهم واخبار اسلافهم، ومثل المنافقين من الامّة بخلوا بما علموا من حقّيّة محمّد(ص) ومن بعده بما علموا من حقّيّة علىّ(ع) فانّ من كتم

علماً ألجمه الله تعالى يوم القيامة بلجام من النّار [وَ لِلّٰهِ مِيرٰاثُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] يعنى له ما فى السّماوات والارض واداه بلفظ الميراث للاشعار بانّ ما فيها يبقى من بعض و يرثه بعض آخر ، وهكذا كان حاله و ما كان حاله هكذا فلا ينبغى للعاقل ان يبخل به ولا يعطيه بيده و قال الله للاشارة الى انّ الكلّ ملكه فلا ينبغى للعاقل ان يبخل بملك الغير ولا يعطيه بأمره او المعنى لله ميراث هى السّماوات و ما فيها والارض و ما فيها من العالم الكبير والصّغير يعنى يفنى الكلّ ويبقى الله الواحد القهّار وارثاً لها ولما فيها ؛ فمابال متروك به المرء يبخل؟! [وَاللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ] من البخل والاعطاء [خَبِيرٌ] وعد و وعيد وقرئ بالخطاب بطريق الالتفات من الغيبة الى الخطاب [لَقَدْ سَمِعَ اللّٰهُ] لمّا ذمّ البخل والمنع توهّم انّ الله يحتاج فى اصلاح حال الفقراء الى الاغنياء وكأنّه قيل: هل له حاجة الى انفاق المنفق؟- فقال تعالى ردّاً لهذا الوهم وسدّاً لهذا الخيال: لقد سمع الله [قَوْلَ الَّذِينَ قٰالُوا إِنَّ اللّٰهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيٰاءُ] قالت اليهود ذلك لمّا سمعوا : من ذا الّذى يقرض الله قرضاً حسناً وقيل كتب النّبىّ (ص) مع أبى بكر الى يهود بنى قينقاع[1] يدعوهم الى الاسلام وما عليه المسلمون من اقام الصّلوة وايتاء الزّكوة وان يقرضوا الله قرضاً حسناً، فدخل ابوبكر بيت مدارستهم فوجد ناساً كثيراً منهم اجتمعوا الى رجل منهم، فدعاهم الى الاسلام والصّلوة والزّكوة وان يقرضوا الله قرضاً حسناً فقال ذلك الرّجل : فانّ الله فقير والّا لما استقرضنا اموالنا فلطمه ابوبكر و نزلت الآية [سَنَكْتُبُ مٰا قٰالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيٰاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ] قرئ سنكتب بالتكلّم وبالغيبة على صيغة المجهول وقتلهم بالنّصب وبالرّفع [وَنَقُولُ] قرئ بالتّكلّم وبالغيبة [ذُوقُوا عَذٰابَ الْحَرِيقِ] وفيه تأكيد فى التّهديد من حيث اقتران ماقالوه بقتل الانبياء (ع) وكتابته وضبطه بنفسه ثمّ ذكر الجزاء بالعذاب الحريق والاخبار باستهزائه بهم حين العذاب ، والذّوق ادراك المطعوم ثمّ اتّسع فيه فاستعمل فى كلّ ادراك ملذّ اومولم ، وانّما اختار الذّوق الّذى يكون فى المطعوم ههنا لانّ العذاب مرتّب على قولهم وهذا القول ناش عن البخل والتّها لك على المال وغالب حاجة الانسان الى المال تكون لتحصيل المطاعم ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال [ذٰلِكَ] العذاب [بِمٰا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ] خصّص الايدى بالذّكر لانّ معظم الاعمال البدنيّة تصدر منها [وَأَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلاّٰمٍ لِلْعَبِيدِ] الظّلام كالتّمار والخيّاط للنّسبة وليس للمبالغة وهومعطوف على ماقدّمت ايديكم و سببيّة نفى الظّلم عنه تعالى للعذاب بواسطة انّ نفى الظّلم مستلزم للعدل و الفضل و العدل يقتضى عقوبة المسيء كما يقتضى اثابة المحسن ، اوالمقصود التّنبيه على انّ المسيء اذا صار متمكّناً فى الاساءة صار فعليّته الاخيرة هى قوّته المسيئة المناسبة للجحيم و آلامها و تلك القوّة كما تكون مناسبة للجحيم تكون منافية للنّعيم ، والانسانيّة فى هذا الانسان تكون مغلوبة خفيّة غير ظاهرة باقتضائها فلولم يدخل هذا الانسان فى الجحيم لكان ظلماً على قوّته المقتضية لها وان كانت الجحيم عذاباً لانسانيّته لكن انسانيّته مختفية غير مقتضية لشيء [اَلَّذِينَ قٰالُوا] صفة للّذين قالوا انّ الله فقير او بدل منه و يجوز ان يكون مقطوعاً مستأنفاً للذّمّ خبر مبتدء محذوف، اومفعول فعل محذوف، اومبتدء خبرمحذوف [إِنَّ اللّٰهَ عَهِدَ إِلَيْنٰا] اى فى التّوراة لانّ القائلين القول الاوّل كانوا من اليهود كما سلف اوعلى لسان نبيّه (ص) وخلفاء نبيّه [أَلاّٰ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتّٰى يَأْتِيَنٰا بِقُرْبٰانٍ

١- قينقاع بفتح القاف وبتثليث النون شعب اليهود من يهود المدينة .

تَأْكُلُهُ النّارُ] يعنى عهد الينا ان لا نؤمن الّا برسول يأتى بهذه المعجزة الّتى كانت لانبياء بنى اسرائيل وهى ان يقرب(ع) بقربان فيقوم النّبىّ(ع) فيدعو فيأتى نارمن السّماء فتحيل القربان الى طبعها بالاحراق [قُلْ] لهم [قَدْ جاءَكُمْ] اى اسلافكم الّذين كنتم اسناخاً لهم [رُسُلٌ مِنْ قَبْلِى بِالْبَيِّناتِ] و المعجزات الكثيرة غير ماقلتم [وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ] فى هذه الدّعوى [فَإِنْ كَذَّبُوكَ] فلا تحزن فانّ المكذّبيّة كانت سيرة الانبياء [فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جاؤُا] صفة او حال بتقدير قد او مستأنف [بِالْبَيِّناتِ] المعجزات الواضحات او الموضحات الّتى هى من آثار الرّسالة و مصدّقاتها او الحجج الدّالّة على صدق رسالتهم اوالاحكام القالبيّة الدّالّة على صدقهم [وَالزُّبُرِ] الحكم والمواعظ الّتى هى آثار الولاية الدّالات على حقيّتهم وصدقهم [وَالْكِتابِ الْمُنِيرِ] احكام الرّسالة الّتى تضيء قلوب العاملين بها وتنير صدق الرّسل فى رسالتهم اوالّتى تتّضح فى أنفسها فانّ المنير من انار و هو لازم و متعدّ و الكتاب التّدوينىّ صورة تلك الاحكام .

اعلم انّ البيّنة من بان بمعنى ظهرواظهر لازم ومتعدّ تطلق على المعجزة لوضوح كونها من الله وايضاحها ما تدلّ عليه من صدق من أتى بها ، وعلى احكام الرّسالة لانّها احكام القالب الظّاهرة على كلّ ذى حسّ والمظهرة لصدق من أتى بها و المظهرة طريق من عمل بها ، وعلى الحجج و البراهين الدّالّة على صدق الدّعوى ، وعلى الشّاهد المظهر بنطقه صدق الدّعوى ، وعلى الحروف الملفوظة من اسماء الحروف ، اوعلى غير الحرف الاوّل من حروف اسماء الحروف مقابل الزّبر المطلقة على الحروف المكتوبة منها ، والزّبر جمع الزّبور بالفتح بمعنى الكتاب لكنّ المراد بها ههنا الاحكام القلبيّة وآثار الولاية من المواعظ والنّصائح والآثار الّتى تظهر للسّالكين فى طريق الولاية فانّها كلّها التّعبير عنها ليس الّا بالكناية والاشارة كما انّ الكتابة فى الحقيقة تعبيرٌ عمّا فى القلب بنحو اشارة و المراد بالكتاب ههنا احكام الرّسالة القالبيّة [كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ] جواب لسؤال مقدّر وتسلية للرّسول(ص) وللمؤمنين وتهديد للمكذّبين كأنّه قيل: فما لنا لانرى الفرق بين المصدّقين والمكذّبين؟- فقال تعالى: كلّ نفس ذائقة الموت [وَإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ] توفية الشّيء اعطاءه بتمام اجزائه يعنى تعطون اجوركم بتمامها من دون نقيصة شيء منها [يَوْمَ الْقِيامَةِ] اى يوم قيامكم عندالله ، اوقيامكم من قبوركم واشار بمفهوم القيد الى انّه يعطى شيء من الاجور قبل القيامة بعد الموت و فى الحيوة الدّنيا لانّ انموذج الاجر فى الاعمال الّتى لها اجرٌ ان وقعت على ما قرّرها الشّارع يكون مع العمل و يصل شيء من الاجر الى العامل بعد العمل فى الدّنيا و فى القبر لكن تمام الاجر بحيث لا يشذّ منه شيء يعطى يوم القيامة [فَمَنْ زُحْزِحَ] اى بوعد [عَنِ النّارِ] تفصيل لاقسام الاجر و اربابها [وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ] بالنّجاة و نعيم الآخرة [وَمَا الْحَيوٰةُ الدُّنْيا إِلّا مَتاعُ الْغُرُورِ] جمع الغارّ او مصدر وهذا واقع موقع من ادخل النّار وزحزح عن الجنّة فقد هلك و اكتفى بهذا للاشعار بانّ الغرور بالحيوة الدّنيا مادّة دخول النّار فكأنّه قال : و من اغترّ بالحيوة الدّنيا ادخل النّار، ومن ادخل النّار فقد هلك ، فى الحديث القدسىّ: فبعزّتى حلفت وبجلالى اقسمت انّه لايتولّى عليّاً(ع) عبد من عبادى الّا زحزحته عن النّار وأدخلته الجنّة ، ولا يبغضه احد من عبادى الّا ابغضته [لَتُبْلَوُنَّ] مستأنفة

منقطعة عمّا قبلها ، اوجواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل : ما لنا يرد علينا البلايا فى أموالنا وأنفسنا ؟ ـ فقال : أقسم بالله على سبيل التّأكيد بالقسم ولامه ونون التّأكيد لتبلونّ ولتمتحننّ حتّى يخرج ما ينافى الايمان من وجودكم و يخلص ايمانكم ممّا خالطه من الاغراض الفاسدة الشّيطانيّة والاهوية الكاسدة النّفسانيّة فأشار بلفظ لتبلونّ الى انّ الابتلاء [فِي أَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ] لان يخلصكم ممّا لا ينبغى ان يكون خليط ايمانكم ، و الابتلاء فى الاموال بتكليف اخراج الحقوق منها اوتكليف قضاء الحوائج وحفظ النّفوس والحقوق وصلة الارحام بها، اوباتلافها بآفات ارضيّة وسماويّة ، والابتلاء فى النّفوس بتكليف الجهاد والحجّ وسائر العبادات ، اوبالآفات البدنيّة و النّفسيّة [وَلَتَسْمَعُنَّ] ذكر للخاصّ بعد العامّ للاهتمام به فانّ سماع الاذى ابتلاء فى الانفس [مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ] اليهود والنّصارى [وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً] اى قولاً فيه اذى كثير لكم كهجاء الرّسول (ص) والطّعن فى دينكم ولمز المؤمنين والتّخويف بالقتل والاسر والنّهب والشّماتة بكم وغير ذلك ، وهذا اخبار على سبيل التّأكيد حتّى يوطّنوا انفسهم عليه فلايضطربوا فى دينهم ولافى انفسهم حين ورودها عليهم [وَإِنْ تَصْبِرُوا] ولاتضطربوا فى الدّين ولاتخرجوا بالجزع عن الثّبات فى الدّين ولاتتبادروا الى المكافاة بالالسن اوالايدى [وَتَتَّقُوا] عن المكافاة بالاساءة اليهم وعمّا يخالف رضى الله تتمكّنوا فى دينكم وتتفضّلوا بصفة العزيمة والثّبات [فَإِنَّ ذلِكَ] الصّبر و التّقوى [مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ] ممّا يعزم عليه من الامور اى ممّا ينبغى ان يعزم و يوطّن النّفوس عليه [وَ] اذكروا يا امّة محمّد (ص) [إِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ] حتّى تكونوا على ذكر منه فلا تصيروا مثلهم بان تتركوا الميثاق الّذى يأخذه محمّد (ص) عليكم بولاية علىّ (ع) وبان تبيّنوا ولايته لمن غاب عنكم بقوله (ص): الا فليبلغ الشّاهد الغائب منكم فربّ حامل فقه ليس بفقيه ، وربّ حامل فقه الى من هو افقه منه ؛ فهو تعريض بالامّة وعطف باعتبار المعنى كأنّه قال: ولتسمعنّ من الّذين اوتوا الكتاب اذىً كثيراً فكونوا ذاكرين له و اذكروا اذ أخذ الله ميثاق الّذين اوتوا الكتاب على ايدى انبيائهم و خلفاء انبيائهم [لَتُبَيِّنُنَّهُ] اللّام لام جواب القسم لأنّ اخذ الميثاق قائم مقام القسم ، و الهاء راجع الى الكتاب او الى الميثاق ، و فى اخبارنا انّه راجع الى محمّد (ص) وانّ التّقدير اذ اخذ الله ميثاق اهل الكتاب فى محمّد (ص) لتبيننّ محمّد (ص) اذا خرج [لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ] وقرئ الكلمتان بالغيبة وقراءة الخطاب على حكاية حال التّخاطب [فَنَبَذُوهُ] اى الكتاب او الميثاق اوتبيين محمّد (ص) [وَراءَ ظُهُورِهِمْ] فلم يراعوه و هذه الكلمة صارت مثلاً فى العرب و العجم لترك الاعتداء بالمنبوذ [وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً] من اعراض الدّنيا واغراضها وهذا من قبيل الاضراب من الادنى الى الابلغ فى الذّمّ فكأنّه قال : بل لم يكتفوا بالنبذ وجعلوه آلة التّوسّل الى حطام الدّنيا [فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ] فى نفسه فانّ حطام الدّنيا لو لم يكن وسيلة الى الآخرة كان مذموماً ومن حيث الاشتراء والاستبدال حيث استبدلوا بالنّفيس المقصود الخسيس الغير المقصود [لا تَحْسَبَنَّ] جواب لسؤال ناش من سابقه كأنّه قيل : ما حال هؤلاء ؟ ـ فقال : لاتحسبنّهم بمفازة من العذاب وانّما وضع الظّاهر موضع المضمر للاشارة الى ذمّ آخرلهم [الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا] اى عملوا كانوا يعجبون بأعمالهم الفاسدة مثل اهل هذا الزّمان ويباهون بافعالهم الكاسدة وكان الضّعفاء يحسبون انّهم على شيء ويحمدونهم على

ما قالوه من افعالهم فردع الله الضّعفاء عن ذلك الحسبان و اثبت لهم العذاب بأعمالهم واعجابهم وذلك لانّ الاعمال ان كانت من قبيل العبادات فان نقصت من انانيّة العامل شيئاً صارت عبادة ، وان لم تنقص منها اوزادتها كانت وبالاً وعصياناً ، وان كانت من قبيل المباحات ؛ فان لم تزد فى الانانيّة بقيت على اباحتها ، وان زادتها لم تبق على اباحتها بل صارت وبالاً ، و ان كانت من قبيل المرجوحات مكروهة كانت اومحرّمة ؛ كانت بذاتها وبالاً وعصياناً ، و الاعجاب بالعمل ليس الّا من زيادة الانانيّة ورؤية النّفس وعملها ، فالمعجب بالعمل يجب عليه الاستغفار من ذلك العمل لا الافتخار و الفرح به حيث انّه عمل عملاً جرّه الى النّار و ان كان بصورة العبادة [وَيُحِبُّونَ اَنْ يُحْمَدُوابِمٰالَمْ يَفْعَلُوا] من الطّاعات والافعال المرضيّة [فَلاٰ تَحْسَبَنَّهُمْ] تأكيد لزيادة الرّدع عن هذاالحسبان وقرئ لاتحسبنّ بخطاب المفرد فى كليهما على ان يكون الخطاب لمحمّد(ص) اولكلّ من يتأتّى منه الخطاب و قرئ بخطاب الجمع فى كليهما على ان يكون الخطاب له و للمؤمنين و حينئذٍ يكون المفعول الاوّل الّذين يفرحون و المفعول الثّانى قوله تعالى [بِمَفٰازَةٍ مِنَ الْعَذٰابِ] وقوله فلا تحسبنّهم تأكيد للاوّل وقرئ بالغيبة فى كليهما مع الافراد فى الاوّل والجمع فى الثّانى على ان يكون الّذين يفرحون فاعلاً للاوّل وضمير الجمع فاعلاً للثّانى [وَلَهُمْ عَذٰابٌ] جملة حاليّة بلحاظ النّفى لا المنفىّ والمعنى لاتحسبنّهم فى منجاةٍ اوناجين من العذاب حالكونهم لهم عذاب [اَلِيمٌ] باعجابهم بأعمالهم الفاسدة المردودة وان كانت بصورة العبادات [وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ] اى سماوات الارواح [وَالْاَرْضِ] اى ارض الاشباح النّورانيّة والظّلمانيّة فانّ كلّما كان فيه جهة الفاعليّة اظهر وجهة القبول اخفى كان باسم السّماء اجدر ، وماكان بالعكس فباسم الارض احرى ، والجملة امّا حال عن فاعل اشتروا به ثمناً قليلاً اوعطف عليه، وجملة لاتحسبنّ الّذين يفرحون (الى آخرها) معترضة والمعنى انّهم انحرفوا عن الله واشتروا بميثاقه ثمناً قليلاً من اعراض الدّنيا والحال انّ لله ملك السّماوات والارض فمن انحرف عنه لطلب ما فى ملكه كان مخطئاً فى طلبه لانّه من كان يريد حرث الدّنيا فعندالله حرث الدّنيا و الآخرة [وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ] فيقدر على اعطاء ما يشترون بالميثاق من دون الاشتراء ويقدر على اتلاف مايشترون بميثاقه [اِنَّ فِى خَلْقِ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ] استيناف جواب لسؤال مقدّرٍ للتّعليل على مالكيّته وعموم قدرته لانّ فيهما وفى تنضيدهماوتعانقهما وتعاشقهما واختلاف حركات السّماوات واوضاع كواكبها واختلاف اوضاعها وظهور الآثار المختلفة منها فى الارض [وَاِخْتِلاٰفِ اللَّيْلِ وَالنَّهٰارِ] بتعاقبهماوتخالفهما بالزّيادة والنّقيصة وبالآثار المترتّبة عليهما من اختلاف فصول الارض وتوليد المركّبات التامّة والنّاقصة [لَآيٰاتٍ] دالّة على علمه تعالى وحكمته وعموم قدرته ومالكيّته وكمال عنايته بخلقه [لِاُولِى الْاَلْبٰابِ] وهم الّذين بايعوا البيعة الخاصّة الولويّة وقبلوا الدّعوة الباطنة واقرّوا بولاية علىّ(ع) فانّ غيرهم وان بلغ مابلغ فى العلم والزّهد والتّقوى والعبادة بحيث لوعبدالله سبعين خريفاً قائماً ليله صائماً نهاره لم تكن منه مقبولة ولأكبّه الله على منخريه فى النّار لانّه لم يكن له لبّ ولا لعمله مقدار، واولوالالباب هم الّذين يستدلّون بدقائق الصّنع على دقائق الحكمة الدّالّة على عموم القدرة و عموم المالكيّة لله [اَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّٰهَ] فى جميع احوالهم فانّ صاحب اللّبّ الّذى قبل الولاية وصارذالبّ بتلقيح الولاية لايخلوفى احواله من ذكر الله وان أنساه الشّيطان ذكر ربّه حيناً ماتذكّر فاستغفر على اىّ حال كان [قِيٰاماًوَقُعُوداً] يجوز فى كلّ منها ان يكون مصدراً وان يكون جمعاً

[وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ] قد مرّ بيان للذّكر و اقسامه و شطر من الاخبار فى اوّل البقره عند قوله تعالى : فاذكرونى اذكركم ، وفى هذه الآية دلالة على حسن ذكرالله على كلّ حال ولا بأس بذكرالله فى كلّ حال وفى خبرٍ: لابأس بذكرالله وانت تبول ، و فى خبرعن النّبىّ (ص) : من احبّ ان يرتع فى رياض الجنّة فليكثرذكرالله ، وفى خبرٍ: ذاكرالله فى الغافلين كالمقاتل فى الغازين ، و فى خبرٍ عن النّبىّ (ص) يقول الله تعالى : انا مع عبدى ما ذكرنى و تحرّكت به شفتاه ، و فى خبرٍ : ما عمل ابن آدم من عمل انجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله ، قالوا : يا رسول الله(ص) ولاالجهاد فى سبيل الله؟ـ قال(ص) ولاالجهاد فى سبيل الله ولا ان تضرب بسيفك حتّى تقطّع ، ثمّ تضرب به حتّى تقطّع ثلاثاً ، و فى حديثٍ قدسىّ : يا موسى (ع) لو انّ السّماوات السّبع و عامريهن عندى والارضين السّبع فى كفّة ولاا لٰه الّاالله فى كفّة مالت بهنّ ، وفى قدسىّ آخر: اذاكان الغالب على عبدى الاشتغال بى جعلت همّه و لذّته فى ذكرى ، و اذا جعلت همّه و لذّته فى ذكرى عشقنى و عشقته ، و اذا عشقته رفعت الحجاب بينى و بينه ، لا يسهو اذا سهى النّاس ، اولئك كلامهم كلام الانبياء ، اولئك الابدال حقّاً ، اولئك الّذين اذا اردت باهل الارض عقوبةً او عذاباً ذكرتهم فيهم فصرفته بهم عنهم ، و فى قدسىّ آخر : ايّما عبد اطّلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسّك بذكرى تولّيت سياسته وكنت جليسه ومحادثه ، و نسب الى اميرالمؤمنين(ع) انّه قال : انّ الله يتجلّى على عباده الذّاكرين عند الذّكر وعند تلاوة القرآن من غير ان يروه و يريهم نفسه من غير ان يتجلّى لهم لانّه اعزّ من ان يرى و اظهر من ان يخفى فتفرّدوا بالله سبحانه و استأنسوا بذكره ، ونسب اليه(ع) فى هذه الآية انّه قال : الصّحيح يصلّى قائماً والمريض يصلّى جالساً ، و على جنوبهم الّذى يكون أضعف من المربض الّذى يصلّى جالساً .

بيان الفكر ومراتبه

[وَيَتَفَكَّرُونَ] الفكر والتّفكّر والنّظر هو الانتقال من المعلوم الحاضر الى المجهول كما انّ الفقه هوالعلم الدّينىّ الّذى ينتقل منه الى علم آخر والعلم عندهم ليس الّا بهذا المعنى كما انّ الفكرعندهم هوالسّيرمن المبادى المعلومة الى المقاصد المطلوبة للانسان اى المقاصد النّافعة فى الآخرة ، والفكربهذا المعنى من اجلّ العبادات واعظم القربات و فى مدحه بهذا المعنى ورد اخبار كثيرة؛منها : تفكّر ساعة خير من عبادة ستّين سنة ، و لهذا الفكر مراتب ودرجات بحسب اختلاف احوال الاشخاص فمنها التّفكّر فى حال الخربة المنظورة والانتقال منها الى فناء بانيها وساكنيها ، ومنه الى فناء نفس المتفكّر الّتى هى مماثلة البانين والسّاكنين ، ومنه الى اعداد النّفس للبقاء بعدالفناء ، ومنه الى لزوم التّوسّل بمن يستعلم منه كيفيّة ذلك الاعداد ، ومنها التّفكّرفى خلق بدنه الّذى هومركب روحه وكيفيّة ارتباط اجزائه واتّصال اركانه بحيث ينتفع منه الانسان بابلغ وجه ، ومنها التّفكّر فى نفسه وتعلّقها ببدنه بحيث تؤثّر فى بدنه وتتأثّر منه مع الانتقال منه الى المصالح والحكم المودعة فى انتضاد نفسه وبدنه وقواهما واجزائهما و رجوعها الى غاية هى استكمال نفسه وبدنه وهماالسّماء والارض فى عالمه الصّغير،ومنهاان يتفكّروا [فِي خَلْقِ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] فى العالم الكبير وكيفيّة ارتباطهما وتأثير السّماوات فى الارض و تأثّر الارض منها ، وفى وضعهما ووضع كواكب السّماء واختلافها فى الصّغروالكبروالضوء ، وفى الحركة بالبطوء والسّرعة والمناطق والشّرقيّة والغربيّة والاستقامة والرّجوع والوقوف ، و فى وضع الارض بالنّسبة الى مناطق الكواكب بحيث يلزمه طلوعها وغروبها وتعاقب اللّيالى و الايّام و تخالفهما بالكيفيّة والزّيادة والنّقيصة و تعاقب الفصول الاربعة و فى انتفاع

الانسان بتلك الاوضاع ، وفى انّ كلاّ من هذه الحكم ودقائق الصّنع فى السّماوات والارض راجع الى الانسان ونافع له ، وفى انّ الانسان الّذى هو غاية الكلّ لابقاء له ببدنه وحيوته الحيوانيّة وانّ الغاية ليست انتفاع الانسان من حيث حيوته الحيوانيّة الفانية فلابدّ ان يكون المقصود غير هذه الحيوة و ان يكون بعد هذه الحيوة حيوة اشرف و اتمّ وأكمل من هذه الحيوة اوعذاب اتمّ و ابقى و اشدّ من هذا العذاب فيتضرّع عليه تعالى و يلتجىء اليه و يسأله ان يحفظه من عذاب ما بعد هذه الحيوة وان يوصله الى حيوة اتمّ و يقول [رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا] المخلوق من السّماوات والارض ومافيهما [بَاطِلاً] غيرمنتهٍ الى غايةٍ وغير مندرج فيه حكم ومصالح كمايقوله الدّهرىّ و الطّبيعىّ ، ومنها التّفكّر فى اعماله واقواله وانّها من اىّ مصدر صدرت و الى اىّ غاية ترجع فيحترز ممّا يصدر من مصدرٍ غير آلهىّ اويرجع الى غايةٍ غيرانسانيّةٍ ، ومنها التّفكّر فى خطراته وخيالاته وانّها من اىّ مصدر و الى اىّ غاية ، ومنها التّفكّر فى صفاته و اخلاقه و انّها من اىّ دار ، ومنها التّفكّر فى آيات الله و نعمه فى السّماوات والاراضى فى العالم الصّغير والكبير ، ومنها التّفكّر فى صفاته الاضافيّة وخصوصاً جبّاريّته تعالى وانّه ما اخذ من موجودات هذا العالم شيئاً الّا واعطى خيراً منها او مثلها ، و انّه ما ينسخ من آية او ينسها يأت بخير منها او مثلها كما يشاهد من حال الانسان من اوّل تكوّنه من مادّة الغذاء و وصوله الى الانسانيّة وانسلاخه كلّ آن من لباس وصورة وتصوّره بصورةٍ اكمل و اشرف الى اوان بلوغه و رشده ، ومنها التّفكّر فى الذّكر المأخوذ من صاحب الاجازة وفيما يستعقبه من الواردات والاستبصارات والوجدانيّات الذّوقيّات والمشاهدات واليه اشار المولوىّ قدّس سرّه بقوله :

فكر آن باشد كه بگشايد رهى   راه آن باشد كه پيش آيد شهى

و منها التّفكّر فى الفكر المصطلح للصّوفيّة و هو تمثّل شيخ السّالك عنده من قوّة اشتغاله بذكره بحيث لايرى فيما يرى غيره وبحيث يطّلع تدريجاً على تصرّفاته فى ملكه وفى ملك العالم الكبير، وهذا الفكر هو غاية الغايات ونهاية الطّلبات وهو السّكينة القرينة بالنّصر والتّأييد وهو الرّيح الفائحة من الجنّة لهاوجه كوجه الانسان وهو الامام الظّاهر فى العالم الصّغير واشرقت الارض بنور ربّها اشارة اليه ويوم تبدّل الارض غير الارض بظهوره ، واليه اشار الشّيخ الكامل قدّس سرّه بقوله :

كرد شهنشاه عشق در حرم دل ظهور   قد زميان بر فراشت رايت الله نور

والمنظور من قوله تعالى: كونوا مع الصّادقين هذه المعيّة ، وابتغوا اليه الوسيلة حقيقتها هذه الوسيلة، و كيف مدّ الظّلّ بيانه، هذا الظّلّ .

كيف مدّ الظّلّ نقش اولياست   كو دليل نور خورشيد خداست
دامن او گير زو تر بيگمان   تا رهى از آفت آخر زمان
اندر اين وادى مرو بى اين دليل   لا احبّ الافلين گو چون خليل

واذا وصل السّالكون الى شيخهم يقولون حالاً وقالاً [سُبْحَانَكَ] اللّهمّ من معرفة امثالنا ووصول اشباهنا الى ساحة جلالك وعمّا يتصوّره المتصوّرون ويظهر عليهم عالم الظّلمة والنّور و يذوقون و يشاهدون آلام دار الفتنة و الغرور ، ولذّات نعيم الجنان وراحات دار السّرور ، و يعرفون انّ الانسان برزخ بين الجحيم والجنان [فَ] يستعيذون بربّهم من النّيران ويقولون [قِنَا عَذَابَ النَّارِ] منادين لربّهم متضرّعين عليه بقولهم

[رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ] اعترافاً بانّ ادخال النّار ليس الّا بحكمه [وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ] وضعوا الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بانّ فعله تعالى ليس جزافاً وليس ادخال الدّاخلين فى النّار الّا لظلمهم وذلك ايضاً سبب انتفاء النّصرة عنهم، ويجوز ان يكون هذه الجملة من كلام الله معترضة اومعطوفة على قولهم ثمّ يستبصرون بمساويهم الّلازمة لذواتهم من انانيّاتهم ولوازمها فيستظهرون بالايمان الّذى به يغفر الّذنوب ويستر ويذكرونه مقدّمة لسؤال المغفرة منادين لربّهم مستغيثين به [رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً] من وجودنا هو العقل الّذى يدعونا الى التّسليم والانقياد ومنادياً من خارج وجودنا هو نبىّ عصرنا وخليفته [يُنَادِي] عبادك [لِلْإِيمَانِ] لاجل الايمان اوالى الايمان [أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ] [فَ] أجبناه و [آمَنَّا] بك والتجأنا اليك وحصّلنا مادّة الغفران الّتى هى الايمان [رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا] واستر علينا وعلى غيرنا آثامنا الّتى لها تبعات ومشاهدتها وتذكرتها تستتبع عقوبةً والماً [وَكَفِّرْ] اى ازل [عَنَّا سَيِّئَاتِنَا] جمع السيّئة من ساء بمعنى قبح و الفرق بين الّذنب والسيّئة بالشدّة والضّعف فانّ الّذنب هو السيّئة الّتى هى بنفسها توذى الانسانيّة و لها تبعة و عقوبة هى ايضاً تؤذى والسيّئة هى الّذنب الّذى هو بنفسه يؤذى الانسانيّة من دون تبعة له ولذلك نسب الغفران الى الّذنوب و التّكفير الّذى هو بمعنى الازالة الى السيّئات ، و يستعمل كلّ فى كلّ [وَ] بعد غفران ذنوبنا و تكفير سيّئاتنا [تَوَفَّنَا] اى خذ بجميع فعليّاتنا [مَعَ الْأَبْرَارِ] ظرف مستقرّ حال عن المفعول او ظرف لغو متعلّق بتوفّنا ، و الابرار جمع البرّ بمعنى المحسن الى الخلق مقابل المسىء اليهم ، اوبمعنى المحسن فى حاله و هو المراد ههنا كما سيأتى الاشارة اليه ، ثمّ التجأوا اليه بعد ماسألوه التّوفّى والافناء التامّ ونادوه متضرّعين اليه وسألوه البقاء التّامّ بعد الفناء وقالوا : [رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا] من الاستخلاف فى الارض والبقاء بخلافتك والتّمكين فى الدّين و تبديل الخوف بالامن كما قلت : و عدالله الّذين آمنوا منكم و عملوا الصّالحات ليستخلفنّهم فى الارض كما استخلف الّذين من قبلهم وليمكّننّ لهم دينهم الّذى ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون قالاً ولا حالاً ولا شهوداً بى شيئاً [عَلَى رُسُلِكَ] هذه الكلمة مجملة محتاجة الى تقدير مضافٍ فهو امّا متعلّق بوعدتنا فالتّقدير آتنا ماوعدتنا على السنة رسلك اومتعلّق بآتنا فالتّقدير آتنا ماوعدتنا على طريقة رسلك ، اى طريقة اعطاء رسلك من كمال البقاء فى الكثرات بحيث لا تهمل شيئاً من حقوق الكثرات ومن لحاظ التّوحيد بحيث لا يشغلنا شأن التّوحيد عن شأن التّكثير ولا شأن التّكثير عن شأن التّوحيد ، و انّما سألوه ماوعده تعالى والحال أنّه لاخلف لوعده خوفاً من تقصيرهم فيمابعدّهم لوعده فالسّؤال لجبران التّقصير فى الاعداد لا لمحض التعبّد كما قاله مفسّروا العامّة [وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ] لا تفضحنا ببقاء نقيصة حتّى يظهر تلك النّقيصة فنفتضح بها [إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ] استيناف فى مقام التّعليل ، اوجواب للسّؤال عن حاله تعالى مع العباد .

اعلم انّ الانسان ما لم يصر بذاته وافعاله ذالبّ بتلقيح التّوبة والبيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة بقبول الولاية، كان كاللّوز والجوز والفستق الخاليات من اللّب ولا اعتداد به ولا قرب له عندالله ولو أجهد نفسه فى عبادة الله بقيام اللّيل وصيام النّهار طول عمره لأكبّه الله فى النّار، واذا صار ذالبٍّ بقبول الولاية وقبول

الدّعوة الباطنة صارمتذكّراً لله على كلّ حال ومتفكّراً فى خلق نفسه وفى الفانيات من الارض والارضىّ والسّماء والسّماوىّ فينظر فيكون نظره عبرة ، و يتكلّم فيكون كلامه حكمة ، و يسكت فيكون سكوته فكرة بقدرمرتبته فى الايمان ، فينظر الى آلام الدّنيا مثلاً ويعتبر وينتقل الى آلام الآخرة وشدّتها فيستعيذ منها ويتوب الى الله ممّا يجرّها بحسب حاله وان كان لا يقول بلسانه ، ثمّ ينظر الى لُبّه ولطيفة ايمانه الّتى هى نازلة ولىّ امره فيستظهر بها ويستغفرلذنوبه الّتى هى حاصلة له من نسبة الصّفات الى نفسه ويسأله تكفيرسيّئاته الّتى هى حاصلة له من نسبة الصّفات الى نفسه ، ثمّ يسأله ان يتوفّاه ويأخذ جميع فعليّاته بحيث لايبقى له نسبة فعليّة الى ذاته ولانسبة ذاته الى ذاته حتّى يحصل له الفناء التامّ عن افعاله وصفاته وذاته ، ثمّ يسأله بلسان غير منسوب اليه البقاء بعد الفناء على نحوبقاء الرّسل بحفظ الوحدة فى الكثرة وهذه آخرة مراتب السّالك وهى الرّبوبيّة بعدالعبوديّة ، وكلّ ذلك بلسان حاله سواء كان قريناً بلسان القال اولم يكن وسواء كان باستشعاره امبغيراستشعاره ، فالآية مشيرة الى مراتب السّير لانّ قوله تعالى : الّذين يذكرون الله الى قوله فآمنّا اشارة الى السّيرمن الخلق الى الحقّ ،وقوله فاغفرلنا ذنوبنا الى قوله و توفّنا مع الابرار اشارة الى السّير من الحقّ الى الحقّ بمراتبه من توحيد الافعال و الصّفات والذّات والى السّير فى الحقّ ، وقوله: آتنا ماوعدتنا الى قوله لاتخلف الميعاد اشارة الى السّير بالحقّ فى الخلق ، ولكون الآية اشارة الى مراتب الانسان فى الكمال كرّر النّداء وكرّر ربّنا بحسب المراتب وتفاوت ظهور الرّبّ وتفاوت حال السّالك وكان المنادى والمنادى فى كلّ مرتبة غير المنادى والمنادى فى المرتبة السّابقة ولذلك ورد عن النّبىّ (ص) ويل لمن لاكها بين فكّيه ولم يتأمّل مافيها، وروى: من حزنه امرفقال خمس مرّات: ربّنا ؛ أنجاه الله ممّا يخاف [فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي] اى بانّى [لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى] فاعطيكم من الوقاية والمغفرة والتّكفير و التّوفية والايتاء بقدر استعدادكم بأعمالكم [بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل : ان كان لا يضيع الله عمل عامل فما بال الرّجال يذكرون فى الدّنيا بالمدائح مثل الهجرة وغيرها دون النّساء ؟ - فقال : بعضكم من بعضٍ فمديحة الرّجال مديحة للنّساء ايضاً او جواب لسؤال مذكور على ما روى انّ امّ سلمة قالت : يا رسول الله (ص) ما بال الرّجال يذكرون فى الهجر دون النّساء ؟ - ومعنى كون بعضهم من بعض انّ بعضهم ناشٍ من بعض بالتّوالد ، الرّجال ناشون من النّساء ، والنّساء من الرّجال، او بعضهم من سنخ بعضٍ ، او من مادّة بعض ، فلفظة من ابتدائيّة اوتبعيضيّة ، ولم يكتف تعالى شأنه بالجواب الاجمالىّ واتى بالتّفصيل فى الاجابة بطريق عطف التّفصيل على الاجمال فقال : [فَالَّذِينَ هَاجَرُوا] من الاوطان الصّوريّة المانعة من اقامة العبادة واظهار الدّين الى مدينة الرّسول (ص) طلباً للدّين اوللتمكّن من اظهار الدّين والعبادة ، او الى بلد اىّ بلد كان يطلب فيه الدّين ، او يتمكّن فيه من اظهار الدّين ، او اقامة مراسمه ، او هاجروا من دار الشّرك الباطنىّ الّتى هى النّفس الامّارة ثمّ اللوّامة لانّ المهاجر الحقيقىّ من هجر السّيئات الّتى اصلها النّفس الامّارة [وَأُخْرِجُوا] الواو بمعنى او، اوهو عطف فى معنى التّعليل [مِنْ دِيَارِهِمْ] الصّوريّة والمعنويّة و هو متنازع فيه لهاجروا و اخرجوا [وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي] اى سبيل المدينة او سبيل الرّسول (ص) ، او سبيل تحصيل الدّين ، واضافه الى نفسه تشريفاً له ، اوالمراد من السّبيل نفس الدّين اوالرّسول (ص) او طريق القلب والولاية فانّها سبيل الله حقيقة [وَقَاتَلُوا] بالجهاد الصّورىّ اوبالجهاد المعنوىّ [وَقُتِلُوا] من حيوتهم الحيوانيّة

باسياف الاعداء الظّاهرة اومن انانيّاتهم [لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئٰاتِهِمْ] لازيلنّ عنهم انانيّاتهم ولوازم انانيّاتهم من السّيّئات القالبيّة [وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ] اى من تحت اشجارها او عماراتها او قطعها .

اعلم انّ اضافات الحقّ الاوّل تعالى ليست اعتباريّة بل اضافات حقيقيّة اشراقيّة يعبّر عنها بالانهار وكلّ مرتبة من العاليات محلّ لظهور اضافاته فيها و بروزها منها الى غيرها ، و جهتها الّتى تلى الحقّ الواجب تعالى عالية ومحيطة بالجهة الّتى تلى الخلق ، و بروز اضافاته تعالى الى الخلق من الجهة الّتى تلى الخلق فصحّ ان يقال : انّ الانهار الجارية الى الخلق جارية من تحت تلك المراتب الّتى هى الجنان بوجهٍ [ثَوٰاباً] اى جزاء مفعول مطلق من غير لفظ الفعل اومفعول له اوالتّقدير ادخال ثواب اوهو حال من الفاعل اوالمفعول اى حالكونهم مجزيّين [مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوٰابِ] عطف اوحال فيه تحسين للثّواب الّذى من عندالله تشريفاً لهم ؛ روى انّ الآية نزلت فى علىّ (ع) حين هاجر من مكّة ومعه الفواطم ،فاطمة بنت اسدٍ وفاطمة بنت رسول الله (ص) وفاطمة بنت الزّبير وقد قارع الفرسان من قريش حين جاؤا من عقبه ليمنعوه فسار ظاهراً قاهراً حتّى نزل ضجنان فلزم بها يوماً وليلة ولحق به نفر من ضعفاء المؤمنين و فيهم امّ ايمن مولاة رسول الله (ص) وكان يصلّى ليلته تلك هو والفواطم ويذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم فلم يزالوا كذلك حتّى طلع الفجر فصلّى بهم صلوة الفجر ثمّ سار لوجهه فجعل هو وهنّ يصنعون ذلك منزلاً بعد منزل يعبدون الله عزّوجلّ ويرغبون اليه كذلك حتّى قدم المدينة وقد نزل الوحى بماكان من شأنهم قبل قدومهم الّذين يذكرون الله الى قوله من ذكر اوانثى ؛ الذّكر علىّ (ع) والانثى الفواطم ، وتلك الآيات بل جميع الآيات القرآنيّة ان كان نزولها خاصّاً فهى جارية فى كلّ من اتّصف بالصّفات المذكورة فيها [لٰايَغُرَّنَّكَ] مقطوع عن سابقه ودفع لتوهّم نشأ من قوله انّى لااضيع عمل عاملٍ منكم من انّه كيف لايضاع عمل العاملين والحال انّ المؤمنين مع كمال طاعتهم فى ضيقٍ من العيش و بلاءٍ كثير و الكافرون و المنافقون مع عدم طاعتهم فى سعةٍ من العيش و راحةٍ من البلاء و الخطاب خاصّ بالنّبىّ (ص) على طريق ايّاك اعنى و اسمعى يا جارة ، اوعامّ لكلّ من يتأتّى منه الخطاب ، وروى انّ بعضهم تفوّهوا بهذا الوهم بعد ماكانوا يرون المشركين فى رخاءٍ و لين عيش فيقولون : اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع فنزل لا يغرّنّك [تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلٰادِ] التقلّب كناية عن سعتهم و راحتهم وتجاراتهم الرّابحة وتمكّنهم ممّا ارادوا ، ذلك التقلّب [مَتٰاعٌ قَلِيلٌ] جواب سؤالٍ محذوف فى مقام التّعليل وخبر مبتدءٍ محذوفٍ اومبتدء خبرٍ محذوفٍ اى فيه متاع قليل و المتاع بمعناه المصدرىّ او بمعنى ما به التّمتّع وقلّته عبارة عن قلّة ما به التّمتّع فى الدّنيا اوعن قلّة مدّة التّمتّع فيها ، فانّ جميع الدّنيا فى جنب الآخرة مثل ما يجعل احد اصبعه فى اليمّ كما فى الخبر ، و مدّة الدّنيا فى جنب الدّهر ليست الّا مثل ذلك [ثُمَّ مَأْوٰيهُمْ جَهَنَّمُ] ولامدى له ولا شدّة مثل شدّته [وَبِئْسَ الْمِهٰادُ] جهنّم والمهاد كالمهد مايهيّئ للصبىّ وراحته ونومه و استعماله هنا للتهكّم [لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنّٰاتٌ] استدراك ممّا استفيد من قوله تقلّب الّذين كفروا فانّه يستفاد منه انّ الكفّار متنعّمون دون المؤمنين فقال لكنّ المؤمنين لهم جنّات [تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا] من غير زوال [نُزُلاً] تشريفاً لهم والنّزل ما يعدّ للنّازل من طعام وشراب وصلة مثلاً

لان يكون حاضراً عند نزوله [مِنْ عِنْدِ اللهِ وَما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْاَبْرارِ] ممّا يتقلّب فيه الفجّار، وضع الظّاهر موضع المضمر اشارة الى مديحة اخرى لهم [وَإِنَّ مِنْ اَهْلِ الْكِتابِ] عطف باعتبار المعنى فانّه كماقيل: نزلت آية لايغرّنك (الى آخرها) فى غبطة المسلمين لليهود حيث رأوهم متقلّبين متنعّمين وتوهّموا من ضعفهم انّ لهم خيراً فقال الله: لايغرّنكم تقلّبهم فانّ ذلك التقلّب متاع قليل وله عاقبة سيّئة فكأنّه قال: انّ بعض اهل الكتاب لمن يكفر بالله ولهم جهنّم وانّ منهم [لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَما اُنْزِلَ اِلَيْكُمْ] من الكتاب والشّريعة [وَما اُنْزِلَ اِلَيْهِمْ] من كتابيهم وشرائعهم [خاشِعينَ لِلّٰهِ لا يَشْتَرُونَ بِآياتِ اللهِ ثَمَناً قَليلاً] مثل الكفّار منهم ومثل منافقى امّة محمّدٍ (ص) فهو تعريض بالكفّار من اهل الكتاب وبالمنافقين من اهل الاسلام [اُولٰئِكَ لَهُمْ اَجْرُهُمْ] اضافة الاجر اليهم تفخيم للاجر كأنّه لايمكن معرفته الّا بالاضافة اليهم [عِنْدَ رَبِّهِمْ] تفخيم آخر لهم وتعريض بالكفّار والمنافقين [اِنَّ اللهَ سَريعُ الْحِسابِ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: انّ للكفّار جزاءً بقدر استحقاقهم وبحسب اعمالهم و للمؤمنين جزاء بقدر استعدادهم وأعمالهم، والنّفوس البشريّة غير متناهية فكيف يحاسب تلك النّفوس واعمالها وجزاءها؟ـ فقال: انّ الله سريع الحساب لانّه لايشغله حسابٌ عن حسابٍ ولايشذّ عن علمه شيءٌ ولايغيب عنه شيءٌ فيحاسب الكلّ دفعة واحدةً فى طرفة عين [يا اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ والبيعة العامّة النبويّة اوبالايمان الخاصّ والبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة [اِصْبِرُوا] الصّبر حبس النّفس و منعها عن مقتضاها، و لمّا كانت مقتضيات النّفس بحسب قواها الدّاخلة و وارداتها الخارجة مختلفةً صار اقسام الصّبر مختلفة بحسب المتعلّق **وقد جعل الصّبر فى الاخبار ثلاثة اقسام: احدها الصّبر** عن المعاصى وهو حبس النّفس عن مقتضى قواها الشّهويّة والغضبيّة والشّيطانيّة من غير اذنٍ واباحة من الله، **وثانيها الصّبر** على الطّاعات و هو حبس النّفس عن الخروج عن مقام التّسليم و الانقياد فانّ النّفس بقوّتها الشّيطانيّة تقتضى الاستبداد والانانيّة، **وثالثها** الصّبر على المصائب وهو حبس النّفس عن الجزع حين ورود الامر الغير الملائم عليها لانّها تقتضى الجزع والاضطراب والالتجاء الى غيرها والتماس الدّفع منه عند ورود المنافى عليها اذا لم تتمكّن من دفعه اومن الانتقام له اذاكان ممّا ينتقم له ولمّا كانت الآيات ذوات وجوه بحسب اللّفظ وبحسب المعنى وكانت الائمّة (ع) يفسّرون الآيات بالوجوه المناسبة لمقامات الكلام بحسب احوال الاشخاص فسّروا الآية بوجوهٍ مختلفة كما سنشير اليها [وَصابِرُوا] من المصابرة بمعنى حمل كلّ واحد كلّاً على الصّبر على المصائب اوعلى الطّاعات او عن المعاصى اوبمعنى المغالبة فى الصّبر اى صابروا عدوّكم فى الغزاء فانّكم اولى بالصّبر والثّبات فى الجهاد منهم حيث ترجون من الله ما لا يرجون، او صابروهم على التّقيّة، اوعلى الفتنة، وقد اشير الى كلّ فى الخبر كما فسّر **اصبروا** فى الخبر بالصّبر على الفرائض والصّبر على المصائب، وعلى الدّين، وعن المعاصى، بحسب اختلاف احوال السّائلين والمخاطبين وكثرة وجوه القرآن وجواز ارادة كلّ منها بحسب اقتضاء المقام كما اشرنا اليه [وَرابِطُوا] المرابطة فى الظّاهر ملازمة ثغر العدوّ او ان يربط كلّ من الفريقين خيولهم فى ثغره اوالمراد بها الاتّصال بالامام بالبيعة الخاصّة الولويّة، اوبالتبعيّة والانقياد فى الاحكام، اوالاتّصال بملكوت الامام، او المراد انتظار الصّلوة بعد الصّلوة كما اشير الى كلّ فى الاخبار، وقد فسّرت المرابطة فى اخبار كثيرة بالمرابطة على الامام مع اختلافٍ يسير فى اللّفظ، وقداستشهد الصّوفيّة بامثال هذه الآية على ماقالوه انّ السّالك

ينبغى ان يجاهد فى الرّياضات و الـّذكر والفكر المأخوذة من صاحب الاجازة فى الـّشريعة او الطـّريقة بحيث يصفو مرآة قلبه من غبار الكثرات و يتجلّى فيها صورة شيخه ولا يغيب عنه و يسمـّون هذا الاتـّصال و التجلّى بالمرابطة والحضوروالفكر كما يسمـّون ذلك المتجلّى بالـّسكينة ويقولون: انّ الـّسالك ما لم يتـّصل بملكوت شيخه كان سالكاً الى الطـّريق لا الى الله ، فاذا اتـّصل بملكوت شيخه وصل الى الطـّريق وصارسالكاً الى الله على الطـّريق ، وقبل هذاالاتـّصال يكون العبادة منه كلفة وعناء وكرهاً وبعدالوصول تصيرلذّة وراحة و طوعاً ؛ وقول المولوىّ قدّس سرّه :

جهد كن تا نورتو رخشان شود تا سلوك و خدمتت آسان شود

اشارة الى هذاالظـّهوروالتـّجلّى ، وبهذا الاتـّصال تصدق المعيـّة مع الصّادقين الـّتى امرالله بها فى قوله تعالى : كونوا مع الصّادقين و هذا الظـّاهر هو الوسيلة الـّتى امرالله بابتغائها بقوله : ابتغوا اليه الوسيلة و بهذا يتبدّل الارض غيرالارض واشرقت الارض بنورربّها ، واخرجت الارض اثقالها و تحدّث اخبارها و تبلى سرائرها وهذا الظـّاهر هوالنـّور الـّساعى بين أيديهم وبأيمانهم، روى عن سيـّد الـّساجدين (ع) انّ الآية نزلت فى العبـّاس وفينا ولم يكن الرّباط الـّذى أمرنا به وسيكون ذلك من نسلنا المرابط ومن نسله المرابط [وَاتَّقُوااللّهَ] اى سخطه وعذابه فى ترك ماامرتم به من الصّبروالمصابرة والمرابطة ، واتـّقوا الله بعدالمرابطة فى الغفلة اوالاعراض عن المتجلّى لانـّه من يكفر بعد فيعذّبه الله عذاباً لا يعذبه احداً من العالمين [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] قد مضى انّ الترجّى من الله واجب وانـّه يجرى فى وعده على عادة الكبار من النـّاس .

فهرست السّور والمطالب

فهرست السّور والمطالب

فهرست السّور و المطالب